المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

هداية المريد
إلى سبيل الحق والتوحيد

نظم الشيخ أحمد بن محمد العبّادي العدني (ت١٣٨٩هـ)

(من بداية فصل: الطريقة والشريعة إلى نهايتها)

"دراسةً وشرحاً"

رسالة علمية مقدمة لنيل درجة العالمية (الماجستير)

إعداد الطالب

عبيد الله بن وصل سعيد المشدق

إشراف فضيلة الشيخ

د. محمد بن عبدالوهاب العقيل

١٤٣٣هـ/١٤٣٤هـ

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

هداية المريد
إلى سبيل الحق والتوحيد

نظم الشيخ أحمد بن محمد العبّادي العدني (ت١٣٨٩هـ)

(من بداية فصل: الطريقة والشريعة إلى نهايتها)

"دراسةً وشرحاً"

رسالة علمية مقدمة لنيل درجة العالمية (الماجستير)

إعداد الطالب

عبيد الله بن وصل سعيد المشدق

إشراف فضيلة الشيخ

د. محمد بن عبدالوهاب العقيل

١٤٣٣هـ/١٤٣٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على هادي الخلق أجمعين، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فإن النصح في الدين، والحرص على هداية المسلمين، سبيل العلماء الصادقين، ومن هؤلاء العلماء الشيخ أحمد بن محمد العبّادي العدني (ت١٣٨٩هـ) الذي نصح للتوحيد والسنة[١] في بلاده القطر الجنوبي من اليمن، وجاهد في محاربة الشرك والبدع، ويتضح ذلك من خلال منظومته في التوحيد "هداية المريد إلى سبيل الحق والتوحيد" فقد بذل فيها الناظم نصحه، فأكد على التوحيد وحذرمن الشرك، وأمر بالاتباع ونهى عن الابتداع.

---

(١) السنة: لغة: مصدر بمعنى الطريقة والسيرة، حسنة كانت أو قبيحة.

السنة اصطلاحاً: ما أثر عن النبي ﷺ، من قول أو فعل أو تقرير، أو صفة خَلْقِيَّة أو خُلُقِيَّة، أو سيرة، سواء كان قبل البعثة أو بعدها.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: "والسنة: هي الطريقة المسلوكة، فيشمل ذلك التمسك بما كان عليه هو وخلفاؤه الراشدون من الاعتقادات والأعمال والأقوال، وهذه هي السنة الكاملة، ولهذا كان السلف قديماً لا يطلقون اسم السنة إلا على ما يشمل ذلك كله".

وقال شيخ الإسلام رحمه الله :" ولفظ السنة في كلام السلف يتناول السنة في العبادات وفي الاعتقادات، وإن كان كثير ممن صنف في السنة يقصدون الكلام في الاعتقادات ...". انظر: النهاية (ص: ٤٤٩). الصحاح (٥/ ١٧٢١). لسان العرب (٧/ ٢٨٠). فتح الباري (١٣/ ٣٠٢). جامع العلوم والحكم (٢/ ١٢٠). الفتاوى (٢٨/ ١٧٨).

وحيث سبق أن تمت الموافقة للطالب: عبدالمجيد بن إبراهيم العوفي على دراسة وشرح النصف الأول من المنظومة (من: أولها إلى : نهاية فصل السنة والبدعة)، فإني رغبت في إكمال دراسة وشرح النصف الآخر من المنظومة ثلاثمائة بيت إلا ستة وجعلت عنوانها: (هداية المريد إلى سبيل الحق والتوحيد) نظم الشيخ: أحمد بن محمد العبّادي العدني (ت١٣٨٩هـ) (من: بداية فصل الطريقة والشريعة إلى: نهاية المنظومة) دراسة وشرحاً.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

للنصف الآخر من المنظومة أهمية في دراسة العقيدة أوجزها في الآتي:

١-اشتماله على مسائل كثيرة مهمة متعلقة بتوحيد العبادة، حيث أوضح فيه الناظم أهم المخالفات المنتشرة المتعلقة بالاستغاثة بالأموات، والشرك عند القبور، والغلو في الأولياء، وتعظيمهم من دون الله.

٢-تأكيده على أهمية الاتباع، وبيان طريقه، وتحذيره من البدعة، وأرباب الطرائق المبتدعين، وكشف حيلهم، وبيان أهدافهم الشركية.

٣-أوضح فيه الناظم الطريق الحقيقي الموصل إلى ولاية الله عز وجل، وركز فيما يقرب من سبعين بيتا على جانب السلوك وأثر العبادات في التوحيد؛مما يميز هذه المنظومة ويجعلها تستحق الدراسة والشرح والعناية والنشر.

٤-إن شرح المنظومة من قبل الباحث الذي سجل في القسم الأول قد توقف عند منتصفها، وفي إتمامها تحقيق للهدف المرجو من الدراسة والشرح.

٥- أهمية النظم في تقريب مسائل العقيدة، وميل نفوس العامة وطلبة العلم إليه، وسرعة حفظه واستذكاره.

٦- صدق المنظومة في النصح، وحرص ناظمها على هداية المسلمين، فهو عالم من علماء أهل السنة والجماعة، له جهود واضحة في نشر التوحيد والسنة، ومحاربة الشرك والبدعة، ومن حقه علينا- نحن طلبة العلم- أن ننشر علمه ونقربه للناس.

خطة البحث:

قسمت عملي في الرسالة إلى قسمين:

القسم الأول: يشتمل على دراسة الناظم والمنظومة، وجعلته في فصلين:

الفصل الأول: دراسة حياة الناظم. ويحتوي على مبحثين:

المبحث الأول: عصر الناظم. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الحالة السياسية.

المطلب الثاني: الحالة العلمية.

المبحث الثاني: ترجمة الناظم. وفيه تمهيد وأحد عشر مطلباً:

المطلب الأول: اسمه ونسبه ومولده ووفاته.

المطلب الثاني: نشأته.

المطلب الثالث: حياته العلمية.

المطلب الرابع: شيوخه.

المطلب الخامس: تلاميذه.

المطلب السادس: عقيدته.

المطلب السابع: مذهبه الفقهي.

المطلب الثامن: مؤلفاته.

المطلب التاسع: ثناء العلماء عليه.

المطلب العاشر: شِعره.

المطلب الحادي عشر: صفاته.

الفصل الثاني: دراسة المنظومة. وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: اسم المنظومة، وصحة نسبتها إلى مؤلفها، وسبب تأليفها.

المبحث الثاني: عدد أبيات المنظومة، وأهميتها، ووقت نظمها.

المبحث الثالث: طبعات المنظومة.

المبحث الرابع: المآخذ على المنظومة.

المبحث الخامس: عرض مجمل لما احتوته المنظومة.

القسم الثاني: شرح المنظومة: من بداية فصل: الطريقة والشريعة إلى نهايتها.

الخاتمة.

الفهارس: وتحتوي على:

فهرس الآيات القرآنية.

فهرس الأحاديث النبوية.

فهرس الآثار.

فهرس الأعلام المترجم لهم.

فهرس المصطلحات والكلمات الغريبة.

فهرس الأمكنة والفرق والطوائف.

فهرس المراجع والمصادر.

فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

١-المقابلة بين النسخ المطبوعة للمنظومة.

٢-ترقيم أبيات المنظومة ترقيماً تسلسلياً.

٣-ضبط أبيات المنظومة بالشكل.

٤-جمع المادة العلمية من مظانها، من كتب العقيدة وغيرها.

٥-التعريف بما يرد في كلام الناظم من الفرق والطوائف والكلمات الغريبة والأمكنة والأعلام باختصار، جاعلاً ذلك كله في الشرح ومحيلاً للمصدر في الهامش.

٦-ذكر نص المنظومة أولاً وتحته ذكر ما يتعلق بالشرح والبيان مع الفصل بينهما بخط إلى نهاية السطر.

٧-الاجتهاد في توضيح المسائل الواردة في هذا النظم وشرحها شرحاً متوسطاً لا إطالة فيه ولا قصور، بذكر أدلة المسألة، وكلام أهل العلم فيها، وإذا كانت المسألة فيها رد على المبتدعة فإني أذكر قول المردود عليهم من كتبهم، وأبين الحق بدليله.

٨-إذا أشار الناظم إلى آية أو حديث أو أثر أو كلام لأهل العلم فإني أبين ذلك في الشرح وأحيل إلى المصدر في الهامش.

٩-التعليق على المسائل التي يستشكل فيها كلام الناظم وهي قليلة جداً .

١٠- تصدير الشرح لكل جملة مشروحة بقولي: (قوله)مميزاً لها بخط عريض ومسطّر.

١١- التأصيل العلمي في البحث، والنقل عن المتقدمين قدر الإمكان، مع الاستفادة من كتب المتأخرين.

١٢- الالتزام بعلامات الترقيم، وضبط ما يحتاج إلى ضبط.

١٣- جعل هامش تحت الشرح مع الفصل بينهما بخط إلى منتصف السطر، وفيه ما يلي:

أ- توثيق النصوص المنقولة من المصادر والمراجع، وعند التصرف في النص المنقول أشير إلى ذلك.

ب- عزو الآيات، وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية مع كتابتها بالرسم العثماني.

ج- تخريج الأحاديث الواردة في البحث، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بعزوه إليهما، وما كان في غيرهما فأخرجه من كتب السنة الأخرى قدر الإمكان، مع الإشارة إلى درجته صحة أوضعفاً من كلام أهل العلم.

د- التعريف بما يرد في الشرح من الفرق والطوائف والكلمات الغريبة والأمكنة والأعلام باختصار.

هـ- إثبات الفوارق والمقابلة بين الطبعات.

١٤- وضع فهارس علمية تعين على الاستفادة من الرسالة كما هو موضح في نهاية الخطة.

هذا وقد بذلت وسعي في دراسة وشرح هذه المنظومة ومما يدل على ذلك :

١- تعاملت مع المنظومة على أنها هداية وليست بياناً أو رداً مجرداً ويتضح ذلك من خلال بداية شرح الأبيات فقد صدرتها بقولي : يهدي الناظم رحمه الله المريد إلى كذا، ومن خلال المعنى الإجمالي، ومن خلال فهرس الموضوعات فقد ضمنته أكثر الهدايات المتعلقة بموضوع مستقل، وقدوضحت هدايات الناظم رحمه الله للمريد في أكثر من ثلاثمائة موضع.

٢- تعرضت لأكثر من مائة مسألة متعلقة بتوحيد العبادة واتباع السنة وأهم المخالفات العقدية المتعلقة بالقبور والذكر والغلو وبدع التصوف عموماً.

٣- زاد مجموع ما استشهدت به على ألف آية وحديث وأثر.

٤- زاد مجموع ما وظفته من كلام علماء أهل السنة عن خمسمائة نقل.

٥- زاد مجموع ما استشهدت به من دعاوى المتصوفة وأدلتهم على مائتي استشهاد.

٦- زاد مجموع ما استشهدت به من توضيح علماء معاجم اللغة وغريبها على مائتي استشهاد.

٧- بيّنت معنى الأبيات إجمالاً في أكثر من أربعين صفحة.

هذا وقد واجهت في الدراسة والشرح عقبات كثيرة منها ما يتعلق بتشعب موضوعات المنظومة، وكثرتها، وتداخلها. ومنها ما يتعلق بمرضي ، ومرض الابن بالسكري، وكذلك واجب رعاية الوالدة فهي كبيرة في السن ومريضة وأنا مسؤول عن رعايتها.

ثم لا أدّعي ولا أتطلّع ببلوغ الرسالة ألف صفحة وزيادة استحقاقها الرتبة العالية، ولكن يكفيها تحلية أغلب صفحاتها بكلام الله ﷻ ،وحديث رسوله ﷺ ،وآثار سلف الأمة، ومحاولة توظيف كلام علماء أهل السنة والجماعة ،وعلماء لغتها ، للمعنى المراد، وبيان معنى الأبيات إجمالاً حذو الكلمة بالكلمة دون زيادة أو نقص ، والبحث عن مواطن الهداية وبيانها .

وكل ذلك بفضل الله وحده ، ومنّته ، وما في الرسالة من نقص وخلل فأعزوه لنفسي المقصّرة وللشيطان ، وما سبق بيانه من عقبات.

وفي الختام أحمد الله تعالى وأشكره ، ثم أثنّي بالشكر لأستاذي والمشرف على الرسالة فضيلة الشيخ الدكتور/ محمد بن عبد الوهاب العقيل وفقه الله، الذي أحسن الظن فيّ، وقبل الإشراف عليّ، كما أشكر الأستاذين الفاضلين: د. عبيد بن عبدالعزيز العبيد وفقه الله ، و د. سعود بن عبدالعزيز الدعجان وفقه الله على قبولهما مناقشة الرسالة .

كذلك أشكر الجامعة الإسلامية ممثلة في عمادة الدراسات العليا التي هيأت الفرصة لإتمام الدراسة العليا في رحابها.

والله أسأل أن يهدينا إلى سبيل الحق والتوحيد والسنة ،إنه هو الهادي إلى سواء السبيل.

القسم الأول

دراسـة النـاظـم والمنظومـة

ويحتوي على فصلين:

الفصل الأول: دراسة حياة الناظم .

الفصل الثاني: دراسة المنظومة .

الفصل الأول

دراسة حياة الناظم

ويحتوي على مبحثين:

المبحث الأول: عصر الناظم.

المبحث الثاني: ترجمة الناظم.

المبحث الأول

عصـــر النـــاظـــم

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الحالة السياسية.

المطلب الثاني: الحالة العلمية.

المطلب الأول
الحالة السياسية

عاش العبّادي في الفترة الممتدة من ١٣٠٠هـ إلى ١٣٨٩هـ، الموافق ١٨٨٢م/ ١٩٦٩م، وفي ذلك الوقت شهد العالم تقلبات سياسية عنيفة وأحداث شديدة، ففيها قامت حربان عالميتان الأولى ١٩١٤- ١٩١٨م والثانية ١٩٣٧- ١٩٤٥م. ترتب عليهما نتائج وآثار خطيرة، وخلَّفت معاناة وآلاماً ومشاكل ومحناً وخطوباً وأزمات أثقلت كواهل العالم الإسلامي والمسلمين على وجه الخصوص.

وقد شهد اليمن في النصف الأول من القرن العشرين الميلادي صراعات سياسية عديدة، تمثلت في بداية القرن بالصراع العثماني الإنجليزي. ومع نهاية الحرب العالمية الأولى وخروج الأتراك من شمال اليمن، وقيام حكومة يمنية مستقلة شهدت الساحة اليمنية صراعاً يمنياً إنجليزياً، إضافة إلى الصراعات الداخلية(١).
وقد أخذ الصراع اليمني الإنجليزي ثلاثة أوجه(٢)

: الوجه الأول: الصراع الحدودي بين المملكة المتوكلية اليمنية في الشمال، والاستعمار البريطاني في الجنوب. والوجه الثاني: المقاومة اليمنية المسلحة في المحميات ضد النفوذ الإنجليزي. والوجه الثالث: المقاومة المدنية في مدينة عدن حيث أخذ

(١) معالم تاريخ اليمن المعاصر ١٩٠٥- ١٩٤٨، عبد العزيز المسعودي (ص:١٧).
(٢)انظر تاريخ عدن ص:١٩٤ ، ١٨٨ ـ ١٩٩

الصراع شكلاً مختلفاً تماماً عما كان يحدث في الحدود بين شطري اليمن أو في المحميات. حيث شهدت مدينة عدن نشوء جماعات سياسية مؤيدة للوجود الإنجليزي، مثل الجمعية العدنية، ورابطة أبناء الجنوب العربي، رأت إمكانية التعايش معه، كونه سيساعد على رقي مدينة عدن ورفع مستواها في مختلف الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وهذا النوع من التفكير أدى إلى ظهور تيار معارض له، وقد اعتمد التيار المعارض الوسائل السلمية (كتابات في الصحف، بيانات، كتيبات) للتعبير عن رفضه للتعايش مع الاستعمار الإنجليزي، وعزل عدن أو المحميات عن نطاقها الجغرافي اليمني[١].

ونتيجة لذلك فقد شهدت مدينة عدن قيام تنظيمات سياسية عديدة متصارعة فيما بينها، كانت الصحف والمنشورات والكتيبات هي الوسائل المستخدمة في هذا الصراع، مما أدى إلى تكون وعي سياسي لم تشهده اليمن من قبل. [٢].

أما في الشمال فقد ولدت الهزائم العسكرية التي منيت بها الحكومة المتوكلية أمام الإنجليز في الجنوب عام ١٩٣٤م، تذمراً في أوساط الشباب المستنير الذين أخذوا يوجهون النقد للسياسة الداخلية للإمام يحيى حميد الدين على اعتبار أنها تشكل السبب الرئيس لهذه الهزائم الخارجية. وقد أدى ذلك إلى تكون حركة رافضة لسياسات الإمام، وأساليب حكمه. [٣]

---

(١) اليمن الجنوبي: الحياة السياسية من الاستعمار إلى الوحدة، علي الصراف، (ص:١٣٣).

(٢) المرجع السابق.

(٣)انظر كتاب : كنت هناك ... عدن ص: ٢٥ ـ ٢٦.

وقد اتخذ نقد السياسة الداخلية للإمام في بداية الأمر شكل التلميح والنصح عبر كتابات كان أهمها ما كتبه المستنيرون في مجلة الحكمة اليمانية. لكن إصرار الحكومة المتوكلية على السير على نفس السياسة الداخلية، دفع بمجموعة من المستنيرين للانتقال من الشمال الى مستعمرة عدن، حيث بدأت المعارضة العلنية، ابتداء من عام ١٩٤٤م. وسعت في البداية لإصلاح الوضع الداخلي للدولة دون المساس بنظام الإمامة. لكن هذا النوع من المعارضة سرعان ما تبدل إلى مطالبة بتغيير نظام الإمامة نفسه واستبداله بالنظام الجمهوري، خاصة بعد أن فشلت محاولتان انقلابيتان في عام ١٩٤٨م، وعام ١٩٥٥م، في تغيير الإمام بإمام آخر، يمكن أن يقوم بإصلاح الأوضاع الداخلية.

وتعد هذه الفترة مرحلة تحول خطير في تاريخ اليمن الحديث. فهي المرحلة التي شهدت نهاية الحكم الإمامي في الشمال، ونمت فيها عوامل الثورة على الوجود الاستعماري في الجنوب، الذي أنهى احتلاله لمستعمرة عدن فيما بعد (عام ١٩٦٧م)[(١)].

لقد شهدت هذه الفترة، بدايات نشوء فكر سياسي تبلور وتمحور حول موضوعات محددة منها الإمامة ثم الإمامة الدستورية؛ ثم الجمهورية في الشمال؛ كما شهد فكرة عدن للعدنيين في الجنوب، ثم مشروع الجنوب العربي ومقابله الجنوب اليمني وغيرها من الموضوعات والأفكار والمشاريع التي ساهم الجدل حولها في إثراء الحياة الفكرية السياسية وإنضاجها حتى عشية ثورة ١٩٦٢م في الشمال التي شكلت منطلقاً لثورة ١٤أكتوبر ١٩٦٣م في الجنوب.

---

(١) تاريخ اليمن المعاصر ١٩٠٥-١٩٤٨، عبد العزيز المسعودي (ص:١١٨).

وفي عام ١٩٦٦م استطاع أصحاب الجبهة القومية من الماركسيين أن يسيطروا على الوضع في هذا البلد بعد معارك عدة مع المعارضين لحزبهم اغتالوا فيها وسفكوا الدماء وحاربوا الدين بكل صوره ولم يمكنوا أحداً من التعليم أو التعلم وعاقبوا العلماء والمصلحين والمخالفين لفكرهم الماركسي بالتشريد والسجن والتصفية الجسدية[١].

في مثل هذه الظروف السياسية وتحت سلطةالمتكالبين على الدين والأوطان نشأ الشيخ العبّادي رحمه الله.

(١) انظر: عدن في التاريخ، علوي طاهر (ص:١٣- ١٤).

المطلب الثاني
الحالة العلمية

على الرغم من أثر مدرسة الشوكاني العلمية وانتشار طلابها في ربوع اليمن إلا أن التصوف ودعاته قد انتشروا خاصة في شطر اليمن الجنوبي من عدن إلى حضرموت فنشروا الشرك والبدع والمنكرات وغلبوا على البلاد والعباد.

وغالب علمهم يقتصر على علوم تبجيل الأولياء من "آل البيت" وإثبات حقهم في الحكم وأولويتهم في التوقير، ونشر كراماتهم.

أما من ناحية الانتشار فإن التعليم النظامي يكاد يكون محصوراً في الأسر العلوية والفائض منه ينقل إلى رجال الطبقة الثانية في سُلّم المجتمع وهي طبقة القضاة التي تم السماح لها بالتزود العلمي بهدف جعلها المسوغ العلمي- يمنياً - لطروحات آل البيت.

يقول المؤرخ المعاصر السيد محمد بن أحمد الشاطري [(١)]. مدللاً على انتشار الجهل وقلة العلم: "وبلغ الحال بجمهور الأجيال المتأخرة، وحتى عصرنا هذا نقص الوعي العلمي والصوفي إلى درجة جعلت الفرق فاضحاً وواضحاً بينهم وبين جمهور من سبقهم، فشاهدنا كثيراً منهم يشتغلون بسرد كتب التصوف في المجامع ويتصوفون تصوفاً معكوساً، يستغنون بهذا عن الاشتغال بالعلوم الشرعية والعربية والعقلية والكونية، فتقلص ظل العلم والثقافة والعبادة والتصوف الحقيقي بهذا الإقليم"[(٢)].

---

(١) مدير رباط تريم للتعليم الديني الصوفي.

(٢) أدوار التاريخ الحضرمي، محمد الشاطري، (ص:٢٥٥-٢٥٦).

ويقول كذلك الحبيب عبد الله بن علوي الحداد: "إنا لانقطع بإسلام أهل بوادي حضرموت، ولا نجد منهم ما يدل على إسلامهم إلا محبتهم للصالحين"(١).

ويقول أحد الكتاب المعاصرين للشيخ العبّادي: "وكانت البلاد في ذلك الوقت متدهورة يقصد زمن مجيء الشيخ إلى عدن فقد عم الجهل والفوضى، وانتشر في الناس الشرك حتى عبد الأشخاص والأحجار من دون الله، وعمت البلوى، وكاد الناس أن يعودوا إلى الجاهلية الأولى، فقيض الله لهذه البلاد هذا الشيخ المصلح، فتخطى بصارم عزمه كل العقبات، ودعا إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وكرَّس جهوده على الدعوة إلى تحقيق توحيد الله في العبادة، وتحكيم كتاب الله ونصرة دينه، فقام عليه أصحاب البدع والخرافات والشعوذة النصابون لأموال الناس (كذا)، وأضمروا الشر للشيخ؛ فأوعزوا إلى من يقتله في المسجد أكثر من مرة، ولكن الله حماه، فحقق الله له أهدافه بتعاون أصحاب العقول النيرة الذين وقفوا إلى جانبه بإصلاح الناس وقفة المدافع المخلص"(٢).

هكذا عاش الشيخ في بيئةٍ يغلب عليها الجهل، وانتشار الشرك، والبدع، والمنكرات، في البوادي، والهِجَر، والقرى، بل حتى في المدن، بسبب قلة العلماء، والدعاة، والمصلحين، وانتشار دعاة الضلالة والشعوذة، وأدعياء العلم.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) جريدة الأيام، مقال لمحمد علي سعيد العدد (٣٥٢) ١٨ / نوفمبر / ١٩٦٥ م.

المبحث الثاني

ترجمة الناظم. وفيه تمهيد وأحد عشر مطلباً

المطلب الأول: اسمه ونسبه ومولده ووفاته.

المطلب الثاني: نشأته.

المطلب الثالث: حياته العلمية.

المطلب الرابع: شيوخه.

المطلب الخامس: تلاميذه.

المطلب السادس: عقيدته.

المطلب السابع: مذهبه الفقهي.

المطلب الثامن: مؤلفاته.

المطلب التاسع: ثناء العلماء عليه.

المطلب العاشر: شِعره.

المطلب الحادي عشر: صفاته.

تمهيد

هذا العالم له جهود كبيرة في نشر السنة ومحاربة البدعة لا سيما بدعة القبورية التي عمت وطمت في بعض مناطق اليمن وعلى وجه الخصوص جنوب اليمن.

يقول عنه الشيخ أحمد بن حسن المعلم: "وقد عرف في عدن بدعوته إلى الكتاب والسنة وتجريد التوحيد لله تعالى والمتابعة للرسول ﷺ وكانت بينه وبين علماء عدن من الصوفية القبورية مصادمات وخصام بسبب ذلك، ولعله من أوائل الدعاة المعاصرين السلفيين في الشطر الجنوبي من اليمن سابقاً.

غير أني لم أجد له ترجمة ماعدا النبذة اليسيرة التي قدّم بها العلامة البيحاني لمنظومته: "هداية المريد" ولئن تجاهله المترجمون فلن يتجاهله رب العالمين، أسأل الله أن يكتبه مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقاً"[(1)].

ولعلني في هذه المطالب أساهم بالتعريف بهذا العالم، وإعطاء لمحات عن حياته وجهوده العلمية.

---

(١) القبورية في اليمن، أحمد المعلم (ص:٥٨٥).

المطلب الأول
اسمه ونسبه ومولده ووفاته

هو أحمد بن محمد عوض العبّادي الكلاعي الحميري العدني[١].

وقد اختلف تلاميذه والمترجمون له في تاريخ ولادته حيث ذكر أشهر تلاميذه الشيخ محمد سالم البيحاني أنه ولد في سنة ١٣٠٠هـ[٢] بينما ذكر تلميذه محمد سعيد جراده أن ولادته كانت في حدود سنة ١٢٨٥هـ[٣] وممن ترجم له الشيخ محمد بن علي الأكوع وذكر أن ولادته كانت عام ١٣٠١هـ[٤] وقد كانت ولادته في قرية تسمى (اللحج[٥]) وهي قريبة من (إبّ) الشهيرة في اليمن[٦].

وقد مرض الشيخ قبل وفاته حتى كان يصلي جالساً، وتدور وفاته بين عامي ١٣٨٥هـ و ١٣٨٩هـ[٧]، والأصح الثاني، وتوفي في مدينة الشيخ عثمان القريبة من عدن آنذاك. ولم يعقب الشيخ رحمه الله.

قال الشيخ محمد صالح رجب[٨] ـ حفظه الله ـ: " وقد مرض الشيخ قبل وفاته حتى كان يصلي جالساً، ثم توفي في ذي القعدة ـ تقريباً ـ عام ١٣٨٩ هـ، الموافق لعام ١٩٦٨

---

(١) هداية المريد، أحمد العبّادي (ص:٧)، القبورية في اليمن، المعلم (ص:٥٩٢).

(٢) هداية المريد (ص:٤٤-٤٥).

(٣) مجلة الحكمة، دور العبادي في مناهضة الاستعمار، محمد سعيد جراده، العدد (٣٧) ١٥/ إبريل/ ١٩٧١م (ص:٤٨).

(٤) حياة عالم وأمير، محمد علي الأكوع (٢/ ١٠).

(٥) لحج، مخلاف باليمن، منسوب إلى لحج بن وائل، مدينة منها عدد من الفقهاء. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٤/ ١٧٥).

(٦) هداية المريد (ص:٧). حياة عالم وأمير (٢/ ١٠).

(٧) المرجع السابق.

(٨) أحد تلاميذ الشيخ.

م، ودفن في مقبرة (العثماني) في مدينة الشيخ عثمان[1] في الجهة الشرقية من المدينة، ولم يولد للشيخ" [2]

وسبب ترجيح وفاة الشيخ بهذا العام أن الشيخ محمد صالح رجب أرخه بجلاء الاستعمار عن عدن، وهو موافق للتاريخ الذي ذكره.

وبعد وفاته هُدم بيته، وطرد أهله منه، رحم الله الشيخ وأسكنه فسيح جناته.

---

(1) مدينة قرب عدن والآن امتد العمران من عدن إليها.

(2) انظر مقال: الشيخ العبادي مولده نشأته في جريدة الأيام لمحمد علي سعيد العدد (٣٥٢) ١٨ / نوفمبر / ١٩٦٥ م.

المطلب الثاني

نشـــأتـــــه

نشأ العبادي بين أبوين فقيرين، في قرية اللحج فقرأ على والده القرآن[1] وهو صغير وبعد وفاة والده أدخلته أمه (المعلامة) وهي ما يعرف بالكتاتيب فتعلّم القراءة والكتابة وأتم حفظ القرآن[2]، ثم انتقل لمدينة إبّ ودرس فيها قسطًا من التعليم الأساسي[3].

ثم لما أصبح يافعًا احترف النشيد بالدف لجمال صوته ورقته، وهدفه من ذلك كسب العيش[4]،قال الشيخ الأكوع: "وهي طريقة من طرق الارتزاق لذلك التاريخ وإلى اليوم".

فكان يتنقل بين مدينتي (إب) و(ذي جبلة) ينشد القصائد في المآتم والأعراس والمناسبات الدينية وغيرها ثم يذهب للسوق ويشتري حاجيات والدته ويرسلها إليها في القرية، ثم انتقل إلى مدينة عدن لنفس الحرفة حيث تعتبر عدن أكبر أسواق الصوفية ومحط أنظارالمستفيدين من مناسبات التصوف من موالد وغيرها.

---

(١) هداية المريد، العبّادي، تعليق البيحاني (ص:٧).

(٢) حياة عالم وأمير، محمد الأكوع (٢/ ١٠).

(٣) مجلة الحكمة العدد (٣٧) ١٥ / إبريل / ١٩٧١ م (ص:٤٨). دور العبادي في مناهضة الاستعمار، الأديب: محمد سعيد جراده.

(٤) حياة عالم وأمير، محمد الأكوع (٢/ ١٠).

إلا أنه بعد فترة كره هذه الحرفة ومجالسها الدينية والدنيوية وكان يبكي لذلك أشد البكاء لعل الله أن يخلصه منها[1]، وقد استجاب الله دعاءه فصرف قلبه إلى طلب العلم.

(١) صحيفة ١٤ أكتوبر بتاريخ ٢١ / يونيو / ١٩٩٠م، إضاءات حول حياة العبادي، محمد سعيد جرادة.

المطلب الثالث
حياته العلمية

يظهر أن الله عزوجل قد صرف قلب الشيخ عن الإنشاد وحرفته إلى طلب العلم والرحلة فيه فأصبح يجول في مساجد عدن يحضر دروس العلم فأتم حفظ القرآن، ثم توجهت همته إلى علم الحديث ولما لم يكن بعدن من يشفي غليله تاقت نفسه للرحلة إلى بلاد الهند حيث كان مشتهرًا في ذلك الوقت دراسة الحديث(١) فأقام في بومبي سنوات يدرس الحديث.

ثم انتقل إلى بلاد الأفغان حيث كان يشتهر بها الشيخ محمد تقي الدين الأفغاني وفي منطقة تعرف ببلوشستان، قُبض عليه وأدخل السجن ظناً منهم أنه عميل للاستعمار البريطاني، فلبث في السجن مدة ثم أطلق فاتجه إلى مدينة: كابل عاصمة الأفغان(٢).

فلازم الشيخ الأفغاني وقرأ عليه القرآن وجلّ العلوم الأخرى خاصة علوم الآلة(٣) وأخذ الإجازة منه في القرآن والقراءات العشر بعد تسع سنوات من الطلب.

وقد ارتفع ذكره في المنطقة بسبب جمال صوته فعيّنه ملك أفغانستان إمامًا لجامع القصر الرئاسي(٤).

---

(١) حياة عالم وأمير (٢/ ١٠).

(٢) العالم الرباني، عبيد الله الأفغاني (ص:٩١-٩٢).

(٣) هداية المريد، العبّادي، تعليق البيحاني (ص:٥). دور العبادي في مناهضة الاستعمار، الأديب: محمد سعيد جراده. مجلة الحكمة العدد (٣٧) ١٥ / إبريل / ١٩٧١م (ص:٤٩).

(٤) حياة عالم وأمير، محمد الأكوع (٢/ ١١).

ذهب للحج ثم عاد إلى أفغانستان بسبب وعده لرئيسها أن يعود للإمامة والوعظ والإرشاد وقد كان يغدق عليه العطايا ويكرمه ويقربه(١).

ثم إن الشيخ تاقت نفسه مرة أخرى إلى طلب الحديث فرجع إلى الهند ومكث فيها ثلاث سنوات يطلب الحديث.

قرر الشيخ العودة إلى اليمن وفي طريق عودته لليمن توقف في مدينة صور في عُمان فأقام بها بقصد الوعظ والإرشاد ثم تزوج بها فأقام لذلك سنوات عديدة.

وكانت فترة إقامته في عمان مليئة بالخصومات والمناظرات مع الإباضية، وقد ردّ على كتاب (كشف الحقيقة) لرئيس الإباضية عبدالله السالمي بمنظومة أسماها (السهام الدقيقة على كشف الحقيقة) فثارت عليه الإباضية واعتدوا عليه في منزله فاضطر إلى الرحيل وفراق أهله وقد خلف في عمان تلاميذ ينصرون الحق ويدافعون عنه من أهل البلد.

فرجع إلى شمال اليمن واستقر بها قرابة السنتين ثم اضطرته مشاكل الخلافات المذهبية فيها إلى الانتقال إلى جنوب اليمن فاستقر في لحج وأدار مدرسة المحسنية فيها ومكث فيها تسع سنوات شارك في المناسبات الأدبية والثقافية التي كانت تقام في المدينة.

ثم انتقل إلى مدينة الشيخ عثمان فأم الناس في جامع الحاج زكريا، فدعا الناس إلى التوحيد وإخلاص العبادة لله تعالى، وحارب البدع، وحصلت له مخاصمات مع الزيدية والمتصوفة فيها.

---

(١) المرجع السابق.

وفي هذه الفترة رأس نادي الإصلاح فخريًا وليس رسميًا لأنه يكره المناصب ونظم القصائد المندد بالاستعمار الداعية إلى طرده(١).

كما كان له أكبر الأثر في الإصلاح الديني والاجتماعي واستنهاض همم الشعب. وله في ذلك قصائد كثيرة يحث الشعب اليمني فيها إلى الحياة الكريمة والحرية.

وكان الشيخ رحمه الله يحفظ القرآن بقراءاته السبع أو العشر، عارفاً بأسباب نزوله(٢).

كذلك كان الشيخ حافظاً للحديث وطرقه وأسانيده ورجاله شهد له بذلك عدد من كبار علماء اليمن. وفي الحديث يشرح صحيح البخاري(٣) في كل عام، ويشرح رياض الصالحين للإمام النووي(٤)، والترغيب والترهيب للحافظ المنذري(٥).

---

(١) ستأتي في شعره في المطلب العاشر.

(٢) مقال إضاءات حول حياة العبادي، محمد سعيد جرادة في صحيفة ١٤ أكتوبر بتاريخ ٢١ / يونيو / ١٩٩٠م.

(٣) هو الإمام أمير المؤمنين في الحديث، الحافظ الفقيه، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه، وقيل: بذدزبه، وهي لفظة بخارية، معناها الزراع، الجُعفي مولاهم، صاحب الصحيح، وخلق أفعال العباد، وغيرها من المؤلفات الكثيرة، كان ذا فضل وورع وصلاح توفي سنة: ٢٥٦ هـ. انظر: السير (١٢/ ٣٩١-٤٧١).

(٤) هو يحيى بن شرف بن مري النووي، أبو زكريا، محيي الدين، الفقيه الحافظ الزاهد، أحد الأعلام، شيخ الإسلام، ولد في نوى -من قرى حوران بسورية- سنة ٦٣١هـ، وتوفي بنوى أيضا سنة ٦٧٧هـ. انظر ترجمته في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٨/ ٣٩٠-٤٠٠). وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (ص:١٩٤-٢٠٠).

(٥) هو عبد العظيم بن عبد القوي المنذري الشامي ثم المصري، أبو محمد، الحافظ الكبير، ولد سنة ٥٨١هـ، وتوفي سنة ٦٥٦ هـ. انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي (٤/ ١٤٣٦-١٤٣٩). وطبقات الشافعية الكبرى (٨/ ٢٥٩-٢٧٧).

وفي العقيدة: كان يستشهد كثيرا بأقوال شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم[1]، وبكلام الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، كذلك كان يشرح كتاب التوحيد له في درس التوحيد.

وكان عالماً بالخلافات الفقهية، ورغم أنه شافعي المذهب بحكم دراسته الأولى إلا أنه بعد ذلك مال إلى الاجتهاد فلم يعد يتقيد بمذهب من المذاهب [2].

وللشيخ مكتبة مشتملة على كتب تفسير القرآن وكتب السنن الست وأغلب كتب شيخ الإسلام وابن القيم كذلك فيها عدد من كتب الأدب العربي.

قال عنه تلميذه الأستاذ الأديب محمد سعيد جراده: «دارت حياته التي قضاها مرشدًا دينيًا لا يريد أن يصرفه عن مهمته تلك أي صارف وإن لوّح له بالمال والسلطة والجاه العريض»[3].

---

(١) هو: العلامة الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، برع في علوم متعددة، ومن أبرز تلاميذ ابن تيمية، له مصنفات نافعة، منها: "مدارج السالكين"، و"إغاثة اللهفان"، و"زاد المعاد" وغيرها، ولد سنة ٦٩١هـ، وتوفي سنة ٧٥١هـ. " شذرات الذهب في أخبار من ذهب" (٦/ ١٨٠). "الأعلام"، (٦/ ٥٦).

(٢) مقال إضاءات حول حياة العبادي، محمد سعيد جرادة في صحيفة ١٤ أكتوبر بتاريخ ٢١ / يونيو / ١٩٩٠م.

(٣) المرجع السابق.

المطلب الرابع
شيـــوخـــــــه

أول شيوخه والده الشيخ محمد بن عوض العبّادي الذي قرأ عليه القرآن الكريم، وفي عدن لم يذكر تلاميذه أنه تتلمذ على شيخ معين.

أما في رحلته للهند فيقيناً أنه أخذ علم الحديث وطرقه وأسانيده من الشيوخ البارزين في بومبي وغيرها لكن لم يُسم شيخ باسمه.

إلا أن أبرز مشايخه الشيخ: محمد تقي الدين الأفغاني الذي قرأ عليه القرآن مجوداً بالقراءات العشر، وأجازه فيها، وتفقه عليه في مذهب الإمام الشافعي، وأخذ عنه أصول الفقه والمنطق والنحو والصرف والبلاغة(١).

ويظهر أن الشيخ بعدما أخذ علوم الآلة عكف على كتب شيخ الإسلام ،وابن القيم ،والشوكاني(٢) ،وكتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمهم الله جميعاً – وغيرهم، واستفاد منها كثيراً في طلبه، وهذا يتضح من تآليفه ومنظوماته.

ولوكان له شيخ بارز لذكره تلاميذ الشيخ في مقالاتهم عن شيخهم.

---

(١) انظر: العالم الرباني، عبيد الله الأفغاني (ص:٩١-٩٢). هداية المريد، العبّادي، تعليق البيحاني (ص:٧).

(٢) هو محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ثم الصنعاني، أبو عبد الله، فقيه مجتهد، من كبار علماء اليمن، ولد سنة ١١٧٣ هـ، وتوفي سنة ١٢٥٠ هـ، انظر ترجمته في البدر الطالع (٢/ ٢١٤-٢٢٥). والأعلام للزركلي (٦/ ٢٩٨).

المطلب الخامس

تــلاميــــــذه

يظهر أن أوائل تلاميذ الشيخ كانوا في عمان في صور وما حولها خاصة، وذلك لأن الشيخ بعد عودته من رحلة طلب العلم توقف فيها مدة من الزمن يعظ ويعلم الناس، ويرد على الإباضية في عقر دارهم، ولا يستقيم هذا بدون أنصار من تلاميذ مخلصين أقوياء يدافعون عن الشيخ.

أما في اليمن فتلاميذه كثر وهم أعلامُ هذه البلاد وفقهاؤها"[١].

و من أشهرهم:

١ - العلامة محمد بن سالم بن حسين الكدادي المشهور "بالبيحاني"[٢].

ولشهرته وعلاقته الكبيرة بالشيخ العبّادي نورد له هذه الترجمة المختصرة:

ولد البيحاني ﷺ في عام (١٣٢٦هـ) الموافق عام (١٩٠٨م) في بيحان في مدينة القصاب.

ونشأ في حجر أبويه حتى إذا كان في السادسة من عمره في شهر ربيع الأول من سنة (١٣٣٢هـ) أصيب بألم شديد في رأسه وذهب بصره.

يقول عن نفسه: "أول ما تعلمت من القرآن العظيم كان على يد والدي ثم على أيدي جماعة من فقهاء الكتاتيب ومعلمي الصبيان، وحضرت دروس والدي في البيت

(١) انظر: حلقات القرآن الكريم ومجالس العلم في مساجد عدن (ص:٩٣).

(٢) انظر مقدمة كتاب زوبعة في قارورة، البيحاني، تحقيق أمين السعدي (ص:٤).

والمسجد لمبادئ الفقه والتجويد، وكنت أقوم بتدريس زملائي الأطفال في غياب والدي".

ذهب الشيخ مع أخويه عبد الله وعبد الإله إلى حضرموت للالتحاق برباط تريم لطلب العلم.

وبعد أن تخرج البيحاني من تريم وبعد مرور سنتين من مغادرتها زارها في حياة شيخه الشاطري وطلب الشاطري من تلميذه البيحاني أو أذن له أن يجلس في مجلسه معلماً الناس ويكون الشاطري مستمعاً متتلمذاً على يد البيحاني.

وبعد أن أمضى البيحاني أربع سنوات وسبعة أشهر في تريم رجع إلى بلاد بيحان مشبعاً بالروح الدينية عالماً، محدثاً، مفسراً، فقيهاً، كان يلقي المحاضرات في جامع بيحان الكبير بل وكل مسجد فيها ومنزله مفتوح لكل سائل لا يحتجب عن الناس وقد أجلسه والده على كرسيه وتتلمذ له.

انتقل الإمام البيحاني من بيحان التي مكث بها سنتين بعد عودته من تريم إلى مدينة الشيخ عثمان التابعة لعدن وتأهل فيها وهناك التقى بعالمها الجليل أحمد بن محمد بن عوض العبادي اليمني وتتلمذ له واستفاد من علومه الغزيرة كثيراً وكان العبادي يتوسم في تلميذه البيحاني النبوغ وأنه سيصبح عالم الجزيرة العربية الأوحد –وقد كان– وقويت بينهما أواصر المحبة وتعاضدا وتعاونا على نشر السنة وقمع البدعة ومن ذلك أن البيحاني ألف كتابه (إصلاح المجتمع) وقرضه العبادي بالشعر والنثر ونظم العبادي كتابه (هداية المريد إلى سبيل الحق والتوحيد) وعلق عليه البيحاني، وطبعه في مصر.

سافر البيحاني من الشيخ عثمان إلى مدينة القاهرة بمصر كعضو لبعثة "نادي الإصلاح العربي الإسلامي" إلى جامعة الأزهر وهناك حظي بنيل الشهادتين الأهلية والعالمية خلال ثلاث سنوات، وكان البيحاني أول يمني يعتلي منبر الأزهر الشريف للخطابة وإلقاء المحاضرات، وناظر كثيراً من أهل البدع والتقى برئيس وأعضاء جمعية أنصار السنة المحمدية[1].

له مؤلفات كثيره من أشهرها:

١- إصلاح المجتمع.

٢- الفتوحات الربانية بالخطب والمواعظ القرآنية.

٣- أشعة الأنوار على مرويات الأخبار (وهو ديوان يتألف من أربعة آلاف ومائتين وستة وستين بيتاً في سيرة النبي محمد ﷺ والخلفاء الراشدين وخلافة بني أمية ودولة بني العباس إلى يومنا هذا).

وقد دعا البيحاني إلى التوحيد والسنة وترك الشرك والبدعة في كثير من كتبه منها كتابه الشهير: إصلاح المجتمع[2].

وله بعض الرسائل في مناصحة القبائل التي تأثرت بالتصوف من أشهرها (نصيحة البيحاني إلى جميع أهالي يافع)[3].

---

(٣) انظر: قبسات من حياة البيحاني (ص:١٨، ٢٥). حلقات القرآن الكريم ومجالس العلم في مساجد عدن (ص:١٢٣). من أبرز أعلام الدعاة... (ص:٣٣). القبورية في اليمن (ص:٥٩٤).

(٢) انظر: إصلاح المجتمع (ص:٢٨، ٥٠، ٣٥٣، ٤٩٧، ٦٢٨) وغيرها. وكتابه زوبعة في قارورة، وتعليقه على منظومة هداية المريد.

(٣) انظر: مقدمة رسالة البيحاني لأهل يافع، تحقيق أمين السعدي.

كذلك له جهود مشكورة في الذب عن دعوة السلف عمومًا ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب على وجه الخصوص.

وقد لاقى الشيخ في إصلاحه كثيراً من المصاعب، وكانت دعوته مفتاحًا من مفاتيح النهضة المباركة في جنوب اليمن. في ذلك الوقت تعرض في فترة حكم الاشتراكيين إلى المضايقات والأذى والتهديد فاضطر للخروج إلى شمال اليمن فاستقر في تعز إلى توفي في ١٣٩٢هـ(١).

٢-كذلك من أشهر تلاميذ الشيخ العبادي الأديب الشاعر: محمد سعيد جرادة (ت: ١٩٩١م) وقد كان جل أخذه عن الشيخ في علوم اللغة العربية(٢).

ولد في مدينة الشيخ عثمان (عدن)، حفظ القرآن الكريم، وتلقى علوم الدين واللغة والأدب في جامع زكو بمنطقة الشيخ عثمان في عدن، كما حفظ الكثير من ديوان الشعر العربي.

عمل مدرسًا للغة العربية في المدارس الثانوية بعدن، ثم ترقى إلى موجه في وزارة التربية، ونقل إلى إدارة المناهج الدراسية، ثم ألحق بالسفارة اليمنية بأثيوبيا ليعمل مستشارًا ثقافيًا فيها.

كان عضوًا في الأمانة العامة لاتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين، كما كان عضوًا في لجنة تاريخ الأدب اليمني، ونشط في مجال العمل الإذاعي فقدم البرامج

---

(١) انظر: أبناء الزمان فيمن رحل من علماء بيحان خلال قرنين من الزمان، عبدالله با وزير، (ص:٨١-٩٢). كذلك: الصوفية في حضرموت، أمين السعدي (ص:١٠٣٣).

(٢) مقال: إضاءات حول حياة العبادي، الأديب محمد سعيد جرادة في صحيفة ١٤ أكتوبر بتاريخ ٢١/ يونيو/ ١٩٩٠م.

الثقافية لإذاعة عدن منذ إنشائها، كما شارك في العديد من المؤتمرات والمهرجانات الشعرية في اليمن وبعض الدول العربية.

له خمسة دواوين شعرية هي:«فردوس القرآن» و«لليمن حبي» و «مشاعل الدرب» و «وجه صنعاء» وصدرت له: «الأعمال الكاملة» – وزارة الثقافة والإعلام – عدن ١٩٨٨.

و له كتاب بعنوان: «الثقافة والأدب في اليمن عبر العصور» ، وله عدد من المقالات نشرت في المجلات والصحف اليمنية خاض فيها موضوعات متعددة في الشعر والنقد والثقافة، وله كتاب بعنوان: «أعلام في الفن والأدب».

كتب القصيدة العمودية وجدد في موضوعاتها ومعانيها مواكبًا جهود المجددين للشعر العربي في عصره، وتأثرهم بالاتجاهات الذاتية، وتحولهم عن اللغة المعجمية والصور التقليدية، وتظهر بعض قصائده نزعته الوطنية والدينية.

حصل على وسام الآداب والفنون في اليمن. وتوفي في أديس أبابا في أثيوبيا. (١)

---

(١) أنظر في ترجمته الاتجاه الرومانسي في الشعر اليمني ، عبدالرحمن العمراني، ص٢٣١، الأبعاد الموضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر في اليمن ، عبدالعزيز المقالح، ص١٥٤، رحلة في الشعر اليمني ، عبدالله البردوني:، ص٧٦، الشعر المعاصر في اليمن ، عزالدين إسماعيل،ص ٦٠.

٣- كذلك الشيخ محمد عز الدين السروري (ت: ١٤٢٦ هـ)، وقد خلفه في المسجد بعد وفاته[١].

٤- والشيخ ناصر محمد فضل عبد الواحد الشيباني، وقد شغل منصب وزير الأوقاف سابقاً.

٥- والشيخ عبد الله محيرز[٢].

٦- والشيخ: عبد الله سالم، تولى إمامة مسجد الخير بمدينة (الشيخ عثمان)[٣].

٧- والشيخ عبد الله فاضل فارع[٤].

(١) انظر: هداية الوصول في علم الأصول للعبادي، تقديم الشيخ: عقيل المقطري (ص:٣).

(٢) الموسوعة اليمنية (٣/ ٢٠١١). قبسات من حياة البيحاني (ص:٢٥).

(٣) انظر مقال: محمد سعيد جرادة في صحيفة ١٤ أكتوبر بتاريخ ٢١/ يونيو/ ١٩٩٠م.

(٤)البحث عن النموذج، محمد سعيد جرادة (ص:١١).

المطلب السادس
عقيدته

آثار الشيخ رحمه الله تدل على أنه يسيرعلى عقيدة أهل السنة والجماعة، فمن خلال منظومة " هداية المريد " أبرز الشيخ جل مايعتقده في توحيد الربوبية، وفي توحيد الأسماء والصفات، وفي توحيد العبادة، وغيرهما من مسائل الاعتقاد[١]، وكذلك نجد فيها الردود على أهل البدع من الصوفية والرافضة والخوارج[٢] وغيرهم.

وله منظومة في الرد على الإباضية كما تقدم، وكانت له مكتبة تحوي أغلب كتب الإمامين: ابن تيمية[٣]، وابن القيم[٤].

---

(١) الاعتقاد في اللغة: مصدر اعتقد كذا، أي اتخذه عقيدة، بمعنى أنه عقد عليه الضمير والقلب ودان به، ثم استعمل في التصميم والاعتقاد الجازم. ومادة "عقد" تدل على الشد وشدة الثقة. والاعتقاد في الاصطلاح: الحكم الذي لا يُقبل فيه الشك لدى معتقِدِه. واليقين الجازم الذي يعتقده القلب. انظر: شرح الواسطية للهراس (ص: ١٥). معجم المقاييس (ص: ٦٧٩). شرح لمعة الاعتقاد للفوزان (ص:٢٣). التنبيهات السنية (ص: ١٦). وانظر: شرح السفارينية (ص: ٧٤).

(٢) الخوارج جمع خارجي وعرفهم الشهرستاني بأنهم: كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان. الملل والنحل (١/ ١٣٢). وهم فرق كثيرة ويقولون: إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، ويكفرون مرتكب الكبيرة إلا النجدات منهم، ويقولون بالخروج على الأئمة إن كانوا فساقاً. انظر: الملل والنحل (١/ ١٣١-١٦١). الفرق بين الفرق (ص: ٥٥-٨١).

(٣) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام النميري الحراني، ثم الدمشقي، أبو العباس، تقي الدين، ابن تيمية، شيخ الاسلام، الإمام الفقيه، المجتهد المحدث، الحافظ المفسر، الأصولي الزاهد، وعلم الأعلام، ولد سنة ٦٦١هـ ومات معتقلا بقلعة دمشق سنة ٧٢٨هـ. انظر ترجمته في العبر في خبر من غبر للذهبي (٤/ ٨٤). والذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (٤/ ٤٩١).

(٤) انظر مقالاً لتلميذه: محمد سعيد جرادة في صحيفة ١٤ أكتوبر بتاريخ ٢١/ يونيو/ ١٩٩٠م.

قال تلميذه الأديب: محمد سعيد جرادة: "في مسائل التوحيد يصدر عن آراء أحمد تقي الدين ابن تيمية"(١).

وكان متأثراً بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ﷺ ومن الأدلة على ذلك أنه كان يلقب بالوهابي، وسئل ذات يوم: هل أنت وهابي ؟ فأجاب: نعم أنا وهابي...(٢) وكذلك كان يشرح كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب ﷺ وغيره من كتب الشيخ، وقد حدث له بسبب ذلك إشكالات ومصادمات.

يقول عنه تلميذه الشيخ البيحاني: "وكان أساس دعوته والمحور الذي تدور عليه: توحيد الله ﷻ، وإخلاص العبادة لله تعالى، فقام عليه أصحاب البدع والخرافات وأنصارها؛ شأن كل مصلح، وأرادوا به كيداً فجعلهم الله من الأسفلين، وسعوا به إلى الحكام، وشوهوا سمعته في العامة، وحاولوا أن يطفئوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره ولو كره الكافرون"(٣).

قال الشيخ أحمد المعلم: "وقد عرف الشيخ العبادي في عدن بدعوته إلى الكتاب والسنة، وتجريد التوحيد لله تعالى، والمتابعة للرسول ﷺ، وكانت بينه وبين علماء عدن من الصوفية القبورية مصادمات ومخاصمات بسبب ذلك، ولعله من أوائل الدعاة المعاصرين السلفيين في الشطر الجنوبي من اليمن سابقا"(٤).

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) ترجمة البيحاني للناظم في مقدمة المنظومة (ص:٦-٧).

(٤) القبورية في اليمن (ص:٥٥٨).

المطلب السابع
مذهبه الفقهي

رغم أن العبادي شافعي المذهب بحكم دراسته الأولى فقد تعلم في مساجد عدن وفي نواحي "إب"، وعلماء تلك المناطق أغلبهم على مذهب الإمام الشافعي، وبحكم تفقهه على الشيخ محمد تقي الدين الأفغاني على المذهب الشافعي في بلاد الأفغان، إلا أنه كان عالماً بالخلافات الفقهية لا على مستوى المذاهب الأربعة، بل على مستوى من سبقها من المذاهب المنقرضة أو جاء بعدها فمال بعد ذلك إلى الاجتهاد، فلم يعد يتقيد بمذهب من المذاهب[1].

ومنظومته في أصول الفقه (هداية الوصول إلى علم الأصول) دليل على تمكن الشيخ من الفقه وأدواته وأنه لا يميل إلى مذهب معين بل يدور مع الدليل في غالب المسائل.

(١) انظر مقال تلميذه: محمد سعيد جرادة في صحيفة ١٤ أكتوبر بتاريخ ٢١/ يونيو/ ١٩٩٠م.

المطلب الثامن
مؤلفاته

يعتبر الشيخ قليل التأليف مقارنة مع تلميذه البيحاني وذلك لأن الشيخ أشتهر بالتعليم والوعظ والإرشاد أكثر من التأليف أما عن مؤلفاته فمن أشهرها:

١– هداية المريد إلى سبيل الحق والتوحيد (وهي هذه المنظومة) وسيأتي الكلام عليها –إن شاء الله– بالتفصيل، في الفصل الثاني من الدراسة.

٢– منظومة هداية الوصول في علم الأصول. في علم أصول الفقه وهي منظومة بديعة شاملة سلسة العبارة وتبلغ ٧٨٠ بيتاً، وهي مطبوعة. يقول في مطلعها:

أحمـــد ربي مُنْـــزِلِ الكتـــاب ... هـــدى وذكـــرى لأولي الألبـــاب
ثـــم الصـــلاة والســـلام سرمـــدا ... عـــلى ختـــام المرســـلين أحمـــدا
علّـــم بـــالرفق خيـــار الأمـــه ... كتابـــه المبـــين ثـــم الحكمـــه
وآلـــه وصـــحبه الكـــرام ... الحـــائزين الســـبق في الإســـلام
وبعدُهـــذي في الأصـــول القيمـــه ... أرجـــوزة بديعـــة منظّمـــه
ســـميتها هدايـــة الوصـــول ... إلى ريـــاض العلـــم بالأصـــول
وأســـأل الله تعـــالى الصـــمدا ... مـــن فضـــله توفيقـــه والمـــددا
والأجـــر والإرشـــاد للصـــواب ... في مـــنهج الســـنة والكتـــاب[1]

٣– سبب تأخر المسلمين، وهو جواب لسؤال ورد عليه، ويقع في أكثر من مائة صفحة، ذكره الشيخ البيحاني في تعليقه على هذه المنظومة[2].

---

(١) هداية الوصول، أحمد العبّادي (ص:٩).

(٢) هداية المريد(ص:٢٢-٢٣).

وقال تلميذه محمد سعيد جرادة: " وحدثني – يقصد العبادي – أيام التلمذة عن كتاب كان يعده تحت عنوان: (بماذا تأخر المسلمون)[1].

٤ - السهام الدقيقة على كشف الحقيقة. وهو عبارة عن نظم له وهو في عُمان[2]، رد فيه على كتاب لشيخ الإباضية في ذلك الوقت: عبد الله بن حميدالسالمي، سماه: (كشف الحقيقة) وفيه طعن وتجريح لأعلام الصحابة، وقد أحدثت هذه المنظومة ضجة عظيمة في أوساط الإباضية تعرض فيه منزل الشيخ العبادي لوابل من الرصاص دام أياماً[3].

٥ - حوار بين مشرك وموحد، قال جرادة: وهو حوار يعكس آراء ابن تيمية في هذا الموضوع[4].

٦ - الطنطنة والتهويش في كتاب علي باحميش[5]. ذكر جرادة أن الشيخ أخبرهم بأنه قد شرع في تأليفه وذلك لمّا رد علي باحميش على منظومة العبادي هذه (هداية المريد

---

(١) انظر مقال تلميذه: محمد سعيد جرادة في صحيفة ١٤ أكتوبر بتاريخ ٢١/ يونيو/ ١٩٩٠م.

(٢) هداية المريد، العبّادي، تعليق البيحاني (ص:٨، ١٥).

(٣) مقال بعنوان: دور العبادي في مناهضة الاستعمار لتلميذه الأستاذ الأديب: محمد سعيد جرادة في مجلة الحكمة العدد (٣٧) ١٥/ إبريل/ ١٩٧١م (ص:٤٩)، وانظر مقالاً لجرادة في صحيفة ١٤ أكتوبر ٢١/ يونيو/ ١٩٩٠م، وانظر مقالاً لهشام علي في صحيفة ١٤ أكتوبر العدد (٨٠٠٩) بتاريخ ٣/ مايو/ ١٩٩٠م.

(٤) انظر مقال تلميذه: محمد سعيد جرادة في صحيفة ١٤ أكتوبر بتاريخ ٢١ / يونيو / ١٩٩٠م.

(٥) هو علي بن محمد بن صالح باحميش، أشعري، صوفي على الطريقة الشاذلية، فقيه خطيب، درَس في الأزهر، وبعد عودته اشتغل في التدريس والخطابة، ثم أوقف عنها، وكان له تلاميذ، توفي سنة: ١٣٩٧ هـ، الموافق (١٩٧٧م). انظر في ترجمته: من أبرز أعلام التنوير في عدن (ص:١١٨ ـ١٢٢).

إلى سبيل الحق والتوحيد) بكتاب سماه: (درر المعاني في التحذير من منظومة العبادي وتعليق البيحاني)[1].

ولم أطلع إلا على منظومتيه : هداية المريد وهداية الوصول ، أما باقي كتبه فهي إما مفقوده أو خاصة لم يفصح عنها أصحابها .

وله غير ذلك قصائد دينية وسياسية و وطنية وهي أيضاً مفقودة مع مكتبته بعد هدم بيته، وطرد أهله رحمه الله.

(١) انظر مقال تلميذه: محمد سعيد جرادة في صحيفة ١٤ أكتوبر بتاريخ ٢١ / يونيو / ١٩٩٠م.

المطلب التاسع

ثناء العلماء عليه

قال عنه تلميذه العلامة البيحاني: «هو العالم الكبير، والشاعر القدير، ناصر السنة، وقامع البدعة، مولانا الشيخ أحمد بن محمد بن عوض العبادي»[(١)].

وقال عنه الشيخ المؤرخ محمد الأكوع: "وكان العبادي رجلاً مصلِحاً بما في الكلمة من معنى، يتمشى مع الدليل الصريح في الكتاب والسنة، ويرفض التقليد ويندد على ذلك بصراحة ومواجهة، ولديه مؤلفات"[(٢)].

وقال عنه تلميذه الأستاذ الأديب محمد سعيد جراده: « لقد كان على رأس بناء نهضة الإصلاح... وصوته فيها أول صوت يدعو إلى مقاومة الاستعمار بحد السلاح»[(٣)].

وقال عنه أيضًا: «هذه لمحة خاطفة عن حياة علم من أعلام الفكر اليمني الذين وقفوا أنفسهم للنضال بالكلمة في سبيل تحرير الأرض والإنسان اليمني»[(٤)].

وقال عنه أيضًا: «ذلك الرجل الذي يذكر تاريخ اليمن بشطريه الجنوبي والشمالي الدور الذي قام به في إيقاظ حركة الفكر الديني وفي مجال التربية والتعليم، وفي مضمار النشاط الاجتماعي، كل ذلك يضاف إلى مهمته الأصيلة التي وقف عليها جهده

(١) هداية المريد، العبّادي، تعليق البيحاني (ص:٧).

(٢) حياة عالم وأمير ، محمد الأكوع (٢/ ١٥).

(٣) إضاءات حول حياة العبادي، الأديب محمد سعيد جرادة في صحيفة ١٤ أكتوبر بتاريخ ٢١/ يونيو/ ١٩٩٠م.

(٤) المرجع السابق.

وعمله مدى الحياة ونقصد بها مهمة الإصلاح الديني التي اختص بها عامة أبناء الشعب»[1].

وقال عنه أيضًا: «فقد كان الرجل وعاء علم وكتاب معرفة وسجل ثقافة إسلامية»[2].

وقال عنه الشيخ أحمد المعلم: "وقد عرف في عدن بدعوته إلى الكتابوالسنة، وتجريد التوحيد لله تعالى، والمتابعة للرسول ﷺ... ولعله من أوائل الدعاة المعاصرين السلفيين في الشطر الجنوبي من اليمن ـ سابقاًـ"[3].

وقال عنه الشيخ عبيد الله الأفغاني: "وكان عالماً كبيراً"[4].

نقل الشيخ البيحاني عن أحد شعراء اليمن أنه قال في الشيخ:

أحييت سنة خيرِ داعٍ هادي	يا أحمد بن محمدِ العبادي
وتبعت آثار الأئمة في الهدى	يا ملحق الأحفاد بالأجدادِ
وقرأت آيات الكتاب كما أتت	وقهرت بالقرآن كل معادي
فاصبر على كيد الحسود وشره	وابشر فإن الله بالمرصادِ[5]

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) القبورية في اليمن (ص:٥٩٢).

(٤) العالم الرباني، عبيدالله الأفغاني (ص:٩١).

(٥) الصارم القرآني، البيحاني (ص:١٧) (مخطوط).

المطلب العاشر

شعـــــره

تنوع شعر الشيخ وتعددت أغراضه فشعره دعوة صادقة إلى نهضة الأمة العربية ووحدتها، وبعث لتاريخها المجيد الذي سادت به الدنيا، وعلمت الأمم، يجيء ذلك من خلال حثه على استنفار القوى، ونبذ اليأس، والتمسك بأهداب الأمل. يميل إلى استخلاص الحكم، وإسداء النصح والاعتبار، وإصلاح ذات البين، وله شعر في المدح اختص به أولي الأمر من الملوك والأمراء في زمانه، كما كتب في المناسبات والتهاني، وفي الحثّ على طلب العلم، إلى جانب شعر له يقلل فيه من موقف المغالين من دعاة تحريم الأشياء التي تجلب النفع للإنسان كالمخترعات الحديثة. تتسم لغته بقوة العبارة، مع ميلها إلى المباشرة(١).

ومن أغراض شعره:

١ –المراسلات والإهداء.

فقد عمد الشيخ في بداية رجوعه إلى اليمن إلى مراسلة أمراء المناطق التي يستوطنها فقد وجه قصيدة لأمير "إب" إسماعيل با سلامة يقول فيها(٢):

لله درك مـــــن كـــريم ماجـــــد	بـــــر رؤوف شـــــاكر متواضــــعِ
فــيكم علــت (إب) وبــات نزيلهــا	مــــن فضــــله في نعمـــة لم تنــــزعِ
فلــــذا أعلــــن أحمــــد بثنـــائكم	شـكراً ونظــم الشــعر غــير مضـيعِ
فمواســم العيــد الســعيد قــد أقبلـت	لتنـــــال منهـــــا كـــــل سر مـــــودعِ
فلـــك الهنـــا والســـعد وافى مقـــبلا	فارفــــل بعــــز في الأنـــــام مشــــيعِ

(١) المرجع السابق.

(٢) حياة عالم وأمير للأكوع (٢/ ١٢-١٣).

هـــذا ودمـــتم والســـلام علـــيكم يـــذري ريـــاح العنـــبر المتضـــوعِ

كما عمد إلى مراسلة أمير لحج في عدن أحمد بن فضل[1] وقد كانت له اهتمامات أدبية ومقصده من ذلك التقرّب منه لإعانته في إزالة البدع الموجودة في المنطقة يقول فيها:[2]

ونشـــر الخـــزام لمـــن قـــد أقـــام لحفـــظ الســـلام بخـــير الرحـــاب

أتـــاك الفـــرات بـــماء الحيـــاة إذا مـــا الربيـــع بـــه الظـــن خـــاب

كذلك: أهدى له الأمير يوم عيد الأضحى كتاب "تلبيس أبليس" لابن الجوزي[3] ومعه إهداء ضمنه عدة أبيات يقول في مطلعها:

خـــــذها هديـــــة مخلـــــص في يـــــوم عيـــــد واصـــــله

ورد عليه الشيخ بقصيدة من نفس البحر والروي يقول فيها:

فلـــك الهنـــا ولـــك الثنـــا تهـــدى إليـــك مناهلـــه

وقال في معرض تقريضه لكتاب تلميذه الشيخ محمد سالم البيحاني المشهور (إصلاح المجتمع)[4]:

كتـــاب جليـــل وسِـــفر جميـــلْ عزيـــز الوجـــود عـــديم المثيـــلْ

---

(١) هو أحمد بن فضل العبدلي، أمير، أديب، شقيق السلطان عبد الكريم، له كتاب: هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن، توفي سنة: ١٣٦٢ هـ. الأعلام (١ / ١٩٥).

(٢) مجلة الحكمة العدد (٣٧) ١٥/ إبريل/ ١٩٧١م مقال لمحمد سعيد جراده (ص:٥٠).

(٣) هو عبد الرحمن بن علي بن الجوزي القرشي البغدادي الحنبلي، أبو الفرج، الواعظ، صاحب التصانيف المشهورة في أنواع العلوم من التفسير، والحديث، والفقه، والوعظ، الزهد، والتاريخ، والطب، وغير ذلك، ولد سنة ٥٠٨ و قيل ٥١٠ هـ، وتوفي سنة ٥٩٧ هـ. انظر ترجمته في تاريخ الإسلام للإمام الذهبي (٤٢/ ٢٨٧-٣٠٤).

(٤) إصلاح المجتمع (ص:٤٢٩-٤٣٠).

يرينـــا انتظـــام صـــلاح العبـــا ... د بمعنـــى قريـــب ولفـــظ قليـــلْ

٢- شعر الدعوة والإصلاح فقد دعا أفراد الأمة وأمراءها إلى الأخذ بأسباب الرقي فقال في قصيدة له:

ســـابقوا القـــوم ورقـــوا الوطنـــا ... وانهضـــوا واستنهضـــوا أهـــل الونـــا
أمـــراء العصـــر في العـــرب اعلمـــوا ... لـــيس إدراك المعـــالي بـــالمنى
نـــوروا الأفكـــار بـــالعلم ولا ... تطمعـــوا في الـــنجح إلا مـــن هنـــا
أمـــراء العـــرب بـــالله انظـــروا ... كيـــف أهـــدى العلـــم الغـــرب الســـنا
أبصـــروا بـــالعلم مـــا لم تبصـــروا ... ســـلم العليـــا بـــه قـــد كمنـــا...
هـــذه آثـــار قحطـــان عفـــت ... فاكشـــفوا يـــاقوم عنهـــا الـــدمنا
واســـألوها كيـــف كـــانوا أهلهـــا ... في رخـــا عـــيش وعـــز وهنـــا
نـــوروا أفكـــاركم واســـتظهروا ... كنـــز سر رمـــزه قـــد بطنـــا
شـــمروا عـــن ســـاعد الجـــد فقـــد ... يبلـــغ الإنســـان بالجـــد المنـــى
ســـددوا آراءكـــم ثـــم اجمعـــوا ... أمـــركم وابنـــوا بنـــاء حســـنا[1]

ولم يكن شعر العبادي معارضًا للحضارة الغربية بل كان يدعو إلى مزاحمتهم في ميادين العلم والصناعة لكن كان يشجب تقليدهم في قشور الظاهر وفي حضيض الأخلاق يقول رحمه الله[2]:

زاحمـــوا الإفـــرنج في آرائهـــم ... في الترقـــي لا بأفعـــال الخنـــا...
واعمـــروا بالعـــدل أرضـــاً طالمـــا ... أخـــرب الجـــور بناهـــا زمنـــا...
أصـلِحوا مـا أفسـدت أيـدي العـدا ... مـــن علـــوم واجتهـــاد وغنـــا
كانـــت العليـــا لنـــا مـــن قـــبلهم ... فحرمناهـــا إذاً مـــن جهلنـــا

(١) دور العبادي في مناهضة الاستعمار، الأديب: محمد سعيد جراده، مجلة الحكمة العدد (٣٧) ١٥/ إبريل/ ١٩٧١م (ص:٥١).

(٢) المرجع السابق.

المطلب الحادي عشر
صفاته

اتصف رحمه الله بالبساطة والهيبة قال عنه تلميذه محمد سعيد جراده: «على الرغم من مظاهر البساطة التي كان يتحلى بها إلا أن المهابة تكاد تكون طابعه الشخصي، يفرضها على أنداده من كبار العلماء قبل أن يفرضها على تلاميذه وجلسائه»[١].

وكما أن البساطة في مظهره، كذلك هي في سلوكه، وفي درسه وتنقلاته، مبتعدا عن البهرجة التي يشتهر بها مشايخ التصوف.

ومن صفات الشيخ الظاهرة: الزهد في الدنيا ومنها المناصب وغيرها[٢].

وكان رحمه الله على جانب من رباطة الجأش وهدوء الأعصاب، وتعلوه حدة وغضب أحياناً[٣].

قال تلميذه محمد سعيد جرادة: "ولم أسمعه يقهقه منذ عرفته في الصبا إلى أن توفاه الله"[٤].

وكان له صوت رقيق مؤثر عندما يقرأ القرآن الكريم. [٥].

---

(١) دور العبادي في مناهضة الاستعمار، الأديب: محمد سعيد جراده، مجلة الحكمة العدد (٣٧) ١٥/ إبريل/ ١٩٧١م (ص:٥٢).

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥)المرجع السابق.

الفصـــل الثانـــي

دراســـة المنظومـــة

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: اسم المنظومة، وصحة نسبتها إلى ناظمها، وسبب تأليفها.

المبحث الثاني: عدد أبيات المنظومة، وأهميتها، ووقت نظمها.

المبحث الثالث: طبعات المنظومة.

المبحث الرابع: المآخذ على المنظومة.

المبحث الخامس: عرض مجمل لما احتوته المنظومة.

المبحث الأول
اسم المنظومة وصحة نسبتها إلى مؤلفهـا وسبب تأليفهـا

نص الناظم رحمه الله في مقدمة المنظومة على أنه هو الذي نظمها فقال[(1)]:

يقـــول راجـــي رحمـــة الجـــواد   عـــلى الـــدوام أحمـــد العبّـــادي

كما نص أيضاً على اسم المنظومة فقال[(2)]:

ســـــميته هدايـــــة المريـــــد   إلى ســـــبيل الحـــــق والتوحيـــــد

وعلى ذلك فنسبة المنظومة إلى الشيخ العبّادي متفق عليها، كما أنه لم يذكر أحد أن المنظومة منسوبة لغيره، بل تواترت الأقوال في عزو المنظومة للشيخ.

أما عن سبب تأليفها: فقد ذكر تلميذه الشيخ البيحاني أنه ألفها للرد على القبوريين ، [(3)].

والذي يظهر من قول الناظم:

نصـــحت مـــن في الله قـــد آخانـــا   فيـــه وأوضـــحت لـــه البيانـــا
حذرتـــه الطرائـــق المخترعـــه   لأنهـــا حبـــائل المبتدعـــه[(4)].

أن سبب تأليف المنظومة هو النصح والتحذير لبعض الإخوة الطيبين الذين يربطهم مع الشيخ مودة من قرابة، أو جيرة، أو زمالة، أو تلمذة، وقد وقعوا في حبائل

(١) هداية المريد(ص:٩). تعليق البيحاني

(٢) المرجع السابق.

(٣) هداية المريد(ص:٢٤). تعليق البيحاني

(٤) المرجع السابق.

التصوف، فأراد الشيخ أن يقوم بواجبه نحوهم.وفي نفس الوقت هي رد على القبوريين .

فالمقصود من "المريد"الذي حرص الشيخ على هدايته في المنظومة هو إما المريد في المصطلح الصوفي وهو المبتدئ في التصوف، أو كل مريد للحق والتوحيد من عامة المسلمين، وهذا هو الأقرب.

ونظراً لكون النظم والرجز أسلوباً منتشراً ومحبباً في اليمن عامة، والشيخ يجيده، ولسهولة حفظه واسترجاعه، وقدرته على ضم المسائل والمعاني الكثيرة، استخدمه الناظم في النصح والهداية.

المبحث الثاني
عدد أبيات المنظومة وأهميتها ووقت نظمها

عدد أبيات المنظومة: (٥٤٩) بيتاً فهي تعتبر من المنظومات المطوّلة.

ومما يدل على أهمية المنظومة عدة أمور:

أولاً: أنها أدّت إلى إزالة الشرك والبدع والمنكرات من بعض أقطار اليمن، فقد ذكر تلاميذ الشيخ أن الإمام أحمد حميد الدين إمام اليمن قد تأثر بالمنظومة وعمل بما فيها، فأزال القباب والمشاهد من كثير من المناطق.قال البيحاني:"وشكر وليُّ عهد المملكة اليمنية سيف الإسلام أحمد ـ حفظه الله ـ صاحبَ المنظومة والمعلق عليها، وأخذ يعمل بما فيها، ويهدم القباب المبنية على أضرحة الصالحين، ويطمس التماثيل المرتفعة والقبور المشرفة... "[1].

ثانياً: ثناء عدد من العلماء عليها. فقد ذكر الشيخ البيحاني أنه اطلع جماعة من العلماء (وسَمَّاهم) على المنظومة وأقروا ما فيها،وأثنوا عليها.[2].

ثالثاً: أنها ساهمت في تصحيح الأخطاء والانحرافات عن العقيدة الصحيحة.

رابعاً: انتشارها في بعض البلدان في ذلك الوقت.قال البيحاني :" وانتشرت هذه المنظومة في مصر والسودان واليمن والحجاز ونجد والعراق وسوريا وفلسطين"[3].

---

(١) مقدمة زوبعة في قارورة للبيحاني.

(٢) المرجع السابق.

(٣) مقدمة البيحاني على المنظومة.

خامساً: ما صاحب ظهورها من احتجاج صوفية اليمن على ما حوته ، وقد ردّوا عليها، وقرّظ الردَّ اثنا عشر منهم فيكتاب:(درر المعاني في التحذير من منظومة العبادي وتعليق البيحاني) لعلي باحميش.[1]

سادسا: أن محتوى المنظومه على معتقد السلف الصالح إلا فيما ندر،وقد بيّنت ذلك في المآخذ على المنظومة.

أما عن وقت نظمها فلم يذكر المقربون من تلاميذ الشيخ أي إشارة لذلك، لكن أول طبعة للمنظومة كان عام ١٣٥٨هـ، ونظمها قد سبق ذلك بسنوات قليلة.

---

(١) انظر مقال تلميذه: محمد سعيد جرادة في صحيفة ١٤ أكتوبر بتاريخ ٢١ / يونيو / ١٩٩٠م.

المبحث الثالث

طبعات المنظومــة

للمنظومة عدة طبعات وهي كالتالي:

الأولى: عام ١٣٥٨هـ، طبعة أنصار السنة المحمدية بمصر، وعليها تعليق تلميذه البيحاني، ومما ساهم في طبعها اتصال البيحاني بجماعة أنصار السنة كما ذكرنا في ترجمته، وتوجد منها نسخةفي مكتبة المسجد النبوي الشريف، قسم الكتب النادرة.

الثانية: عام ١٣٨٩هـ، طبعة السلفية في مصر، وعليها أيضاً تعليقات البيحاني، وهي أيضا موجودة في مكتبة المسجد النبوي.

الثالثة: عام١٤٠٤هـ، طبعة دار إحياء التراث الإسلامي بالدوحة في قطر، مراجعة وتحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري مدير دار إحياء التراث الإسلامي.

الرابعة: عام ١٤٢٢هـ، دار الوطن بالرياض في السعودية، أيضاً عليها تعليقات البيحاني.

الخامسة: عام ١٤٢٦هـ، طبعة المكتبة الأثرية بعدن في اليمن.

وهذه النسخ متطابقة إلا ما كان من طبعة المطبعة السلفية وطبعة دار إحياء التراث الإسلامي فإن فيها بضع كلمات تختلف عن سائر النسخ وقد أثبت الفوارق في مواطنها.

وقد استفدت من تعليقات البيحاني رحمه الله على المنظومة وأثبت ذلك في مواضعه.

أما النص المخطوط للمنظومة فلم أجد له أثراً ، والغالب أنه فقد بعد أن صودرت ممتلكات الشيخ رحمه الله،و هدم منزله، وطرد أهله منه .

المبحث الرابع
المآخذ على المنظومة

من المآخذ على المنظومة:

أولا: التكرار، فيلاحظ تركيز الناظم على عدة مسائل يكررها غالبا في أكثر الفصول منها:

١- أهمية الذكر وضرورة الاتباع فيه فقد كرره في الأبيات التالية في غير فصل الذكر:

٢٦٠ فذكرهُ- جلَّ- بما يشاءُ لا ذكره- عَزَّ- بما تشاءُ
٢٦٦ وكلُّ ذكرٍ قد خلا عن معرفه فذاكَ بالجهلِ على هذي الصفَهْ
٢٦٩ وصيغةُ الذكرِ على ما يهوَى شيخهمُ الذي يبثُّ الدعوَى
٢٧٠ وذا مُنافٍ ذكرَ أهلِ التقوى العارفين غيرِ أهلِ الأهوا
٥٠٠ مشتغلاً بالذكر والصلاةِ وغيرها من سائر الطاعاتِ
٥٢٣ واذكرْ إلهَ العالمين جَهْرا فإن خشيتَ سُمعةً فسرّا
٥٢٤ واخترْ من الأذكارِ ما قد أُثرا عن النبيِّ المصطفَى واشتَهَرا
٥٢٥ وادعُ لَدَى الصباحِ والمساءِ بما دعا المختارُ من دعاءِ
٥٢٦ مُشكلُ مأثورٍ من الأذكار أو من دعاءٍ صحَّ في الأخبَارِ
٥٢٧ فاحرِصْ عليهِ والزمِ المتابعَهْ فإنَّها من المزايا النافعَهْ

٢- مسألة دعاء غير الله. وأنه لا يملك النفع والضر غير الله ﷻ فقد ذكرها في عدة أبيات من فصول شتى منها:

٢٦٧- ويصرخون بدعا الأمواتِ كيا دسوقي يا أبا الخيراتِ
٣٢٦- والصالحين وجميعِ العالمِ لم ينفعوا ولم يَضُرُّوا آدَمي

٣٥٢ - فـما لكـمْ يـا معشـرَ الجُهـالِ تـدعون غـيرَ الله ذي الجـلالِ

ثانياً: الغموض في بعض المواضع، والغالب أنها بسبب الطبع، وقد نبهت على ذلك في موضعه، ومن هذه المواضع على سبيل المثال:

٢٥٨- كيفَ الطريقُ والسلوكُ والأدَبْ وما بها من واجب ومستحبْ

٣٩٥- فعنده جميع أفعال الإلهْ ليست لأغراض ولا معللهْ[1]

٥٢٦- مُشكلُ مأثورٍ من الأذكار أو من دعاءٍ صحَّ في الأخبَارِ

ثالثا: القصور في التوضيح في بعض المواضع. فمثلا تطرق لشبهة الإساءة ورد عليها في بيتين فقط:

٣٣٥ - أقولُ ما المانعُ أن تتوبا ويغفرُ الله لك الذنوبا

٣٤٢ - فإن يتبْ من ذنبِه واستغفرا فقد غَدا من رجْسِه مُطهَّرا

وتطرق للولاية وهي أساس في المنظومة وقصر الحديث عنها وعن صفات الأولياء في بيتين فقط:

٣٩١ - نقولُ هذا وصفُ أرباب التُّقَى من كلِّ عبدٍ مؤمنٍ قد اتَّقَى

٣٩٢ - إذ جاء في القرآن أن الأوليا المؤمنونَ العارفونَ الأتقيا

رابعاً: تجوّزه في قبول التصوف بشروط ووصفه حينئذٍ بالمحمود، حيث عقد فصلا في المنظومة عنوانه: فصل في التصوف المحمود قال فيه:

٤٩٢ - فإن صفا فؤاده من عيبِهِ وصوَّر ابتعاده من قُربِهِ

٤٩٣ - ولازَمَ الحِمْيَةَ حتى عُوفي فذاك للصفاء يُدْعَى صُوفي

بينما منهج السلف هو رد التصوف جملة وتفصيلاً، وإذا كانوا يقولون عنِه إنَّه التصوُّف الإسلامي المحمود، والسُّلوك الطيِّب بيْن الإنسان وربِّه، والإنسان وأخيه

---

(١) هداية المريد(ص:٣٩).

الإنسان إلى آخِر ما يُغالطون به، فإنِّي أتساءل: لماذا تسلبون الصِّفات والأعمال الطيِّبة والسلوك الحَميد مِن القُرآن والسنَّة، وتضعونها في غير موضعها تحتَ اسم التصوُّف؛ يقولُ الله – عزَّ وجلَّ :– ﴿ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ﴾(١). ولم يقل الصوفيين.

وإذا كان لأَحدٍ مِن أتْباع التصوُّف أن يدعي أنَّ التصوُّف مِن الإسلام، فإنِّي أُطالبه بدليلٍ واحدٍ مِن القُرآن أو حديث عن رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – أو خبَر عنِ الصَّحابة – رضي اللهَّ عنهم :– ﴿ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾(٢)، بلْ نجِد القُرآنَ والسنَّة الصحيحة يحضَّانِ على التمسُّك بالكتاب والسنَّة؛ وترك كل ماعداهما، يقول اللهَّ تعالى :﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾(٣).

ويقول تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهَّ ﴾(٤).

ويقول تعالى : ﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾(٥).

ويقول الرسولُ ﷺ: ((مَن عَمِل عملاً ليسَ عليه أمرُنا فهو ردٌّ)) (٦).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : [[اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتم]](٧).

---

(١) الحج: ٧٨

(٢)الأحقاف: ٤.

(٣)الأعراف: ٣.

(٤)الأنعام: ١٥٩

(٥) المؤمنون: ٥٣.

(٦)البخاري (٢٦٩٧) ، ومسلم (١٧١٨)

(٧) سنن الدارمي (١/ ٨٠، ح٢٠٥). والمعجم الكبير للطبراني (٩/ ١٥٤، ح٨٧٧٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٨١): "رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح". والإبانة لابن بطة

والواقع أنَّ أَيَّة عِبارة: يُريد الإنسان أن يتقرَّب بها إلى اللهِ لا يَقبلها إلا بشَرْطين: [1].

الشرط الأوَّل: الإخلاص لله – عزَّ وجلَّ.

والشرط الثاني: المتابَعة لرَسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – والصَّحابة إنما كانوا يتحرَّكون بالقرآن، وكانوا قرآنًا يمشي على الأرضِ في أعمالهم، وعقائدهم وسلوكهم، وطبعًا لم يكونوا على شيءٍ مِن علوم التصوُّف.

وعِندما سُئلتِ عائشةَ – رضي الله عنها – عن خُلُق رَسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – قالت: "كان خُلُقه القرآن"[2]. ولم تقلْ: شيئًا مِن التصوُّف

أما الإنتساب للسلف فلا يعارض التسمية المذكورة في القران بل يوافقها وقد حكى الإجماع على على صحة الانتساب إلى السلف: شيخ الإسلام ابن تيميه ـ رحمه الله ـ : " ولا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه واعتزى إليه، بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق؛ فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقاً، فإن كان موافقاً له باطناً وظاهراً، فهو بمنزلة المؤمن الذي هو على الحق باطناً وظاهراً، وإن كان موافقاً له في الظاهر فقط دون الباطن فهو بمنزلة المنافق ، فتقبل منه علانيته وتوكل سريرته إلى الله، فإنا لم نؤمر أن ننقب عن قلوب الناس ولا نشق بطونهم"[3].

وذكر شيخ الإسلام ابن تيميه أن شعار أهل البدع : هو ترك انتحال السلف الصالح.[4]

(١/ ٣٢٧). واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٢٢).

(١) حقيقة التصوف ، الفوزان (ص: ٥٣).

(٢) صحيح مسلم (١/ ٢٧٨ح١٧٧٣).

(٣)الفتاوى : (١/ ١٤٩)

(٤)الفتاوى (٤/ ١٥٥)

ولفظ التصوف والصوفية لم يكن معروفا في صدر الاسلام وإنما هو محدث بعد ذلك أو دخيل على الاسلام من أمم أخرى . قال شيخ الاسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: "أما لفظ الصوفية فإنه لم يكن مشهورا في القرون الثلاثة ، وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك ،وبعضهم يذكر ذلك عن الحسن البصري".(١).

وقال الشيخ إحسان إلهي ظهير ـ رحمه الله ـ :" عندما نتعمق في تعاليم الصوفية الأوائل والأواخر وأقاويلهم المنقولة منهم والمأثورة في كتب الصوفية القديمة والحديثة نفسها نرى بونا شاسعا بينها وبين تعاليم القران والسنة ، وكذلك لا نرى جذورها وبذورها في سيرة سيد الخلق محمد " صلى الله عليه وسلم " وأصحابه الكرام البررة خيار خلق الله وصفوة الكون ، بل بعكس ذلك نراها مأخوذة مقتبسة من الرهبنة المسيحية والبرهمية الهندوكية وتنسك اليهودية وزهد البوذية ." (٢).

خامساً: إستعمال ألفاظ أهل الكلام أو مالم يثبت في الكتاب والسنة وذلك في المواضع التالية : أ- القديم في حق الله عز وجل

٣٧٣ - هل يستوي القديمُ ربُّ الناسِ وغيره من عاجزٍ وناسي

ب- واجب الوجود في حق الله عز وجل

٣٦٧ - شبهتمُ الرحمنَ بالإنسانِ ساويتمُ الوجوبَ بالإمكانِ

ج- جعل "طه" من أسماء الرسول ﷺ.

٣٦٥ - وقال طه خيرُ كلِّ العالَمِ مُخُّ العباداتِ الدعاءُ فاعلمِ

سادسا: أنها لم تتعرض لبدعة المولد النبوي على الرغم من انتشارها في اليمن .

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ١٤٤).

(٢) التصوف ، المنشأ والمصادر (ص:١٤)

المبحث الخامس
عرض مجمل لما احتوته المنظومة

قسم الناظم رحمه الله المنظومة إلى مقدمة وفصول، ووضع لكل فصلٍ عنواناً، وتحت الفصل يسرد المسائل.

فبدأ الناظم رحمه الله منظومته بمقدمة ذكر في مطلعها أنه هو الذي نظمها، وحَمدَ الله وأثنى عليه، وصلى على رسوله ﷺ وعلى آله وأصحابه الكرام، ثم ذكر اسم منظومته كاملاً، وبين أنه نظمها وفق اعتقاد سلف الأمة، نصيحة للإخوان، وبياناً للحق وتحذيراً من البدع المضلة، طالباً من ربه تعالى العون والتسديد.

ثم وضع فصلاً في حد العلم والجهل، ذَكر فيه حدَّ العلم وضابطَ الجهل وأنواعَه، وأكد على وجوب تقديم العلم على العمل، وبين أهمية العلم بالتوحيد، والابتداء به، ثم بعد ذلك: الإيمان بأركان الإيمان الأخرى كالإيمان بالرسل والكتب. ثم ما يلزم كلَّ مسلم تعلُّمه ـ أيضاً ـ من الأمور التي أوجب الله على عباده كالصلاة والطهارة لها، وبين أن العلماء هم الذين يخشون الله سبحانه وتعالى، وفي هذا حث على العلم وتحذير من ضده.

ثم وضع فصلاً في التوحيد، ابتدأ فيه بتوحيد الألوهية، ثم ذكر جملة من الأسماء والصفات؛ كالأزلية والبقاء والكلام واليدين والوجه والنزول والسمع والبصر،

وبين أن الواجب هو أن تثبت لله ـ تعالى ـ مع إمرارها كما جاءت من غير تكييف[(١)] أو تعطيل[(٢)]. وذكر بعض القواعد في باب الأسماء والصفات، ورد على من أوَّلها.

ثم وضع فصلاً في شروط التوحيد ذكر فيه بعض شروط التوحيد كترك ما ينافيه والصدق والإخلاص والنطق بكلمة التوحيد والجزم بها . وذكر أنواعاً من العبادة كالنذر والخوف والذبح والرغبة والرهبة والذكر بالتعظيم والخضوع والإنابةوغيرها من العبادات التي لا يجوز صرفها لغير الله تعالى.

ثم وضع فصلاً في العقائد ذكر فيه أن لكل أناس عقيدةً، وبيّن بطلان قول من يعتقد ما جاء في الحديث الموضوع (لو اعتقد أحدكم بحجر لنفعه) وحذر من قربان الفتن حتى لا تنال العقيدة بسوء. وبين أن التوحيد أول واجب على المكلف، وأن الرسول ﷺ قد دعا إلى التوحيد، ودعا إليه صحابتُه والتابعون لهم بإحسان.

ثم وضع فصلاً في الإيمان عرف فيه الإيمان، وبين حقيقة الأنبياء وأنهم بشر مثلنا لكن الله خصهم واصطفاهم بالنبوة، ورد على من قال: إن حياتهم مستمرة لم تنقطع، وذكر أن للأنبياء حياة برزخية، وأن الله قد خصهم بالمعجزات[(٣)] من شواهد صدقهم.

---

(١) التكييف اصطلاحاً: هو أن يعتقد المثبت أن كيفية صفات الله تعالى كذا وكذا من غير أن يقيدها بمماثل. القواعد المثلى (ص: ٦٥). وانظر: التحفة المهدية (ص: ٣٢).

(٢) التعطيل اصطلاحاً: إنكار ما أثبت الله لنفسه من الأسماء والصفات كلياً أو جزئياً بتحريف أو جحود. انظر: شرح الواسطية للعثيمين (ص: ٦٠).

(٣) المعجزات لغة: جمع معجزة من الإعجاز وهو ضد القدرة، والقصورُ عن فعل الشيء. ومعجزات الأنبياء عليهم السلام هي أمر خارق للعادة يجريه الله تعالى على يد نبي من أنبيائه لإظهار صدقه. انظر: المفردات (ص: ٣٢٥). النبوات (٢/ ٧٧٨).

وذكر جملة مما يجب الإيمان به كالعرش والكرسي واللوح والجن والملائكة والأرواح وسؤال الملكين...، وبين معتقد أهل السنة في مرتكب الكبيرة، وعدالة الصحابة.

ثم وضع فصلا في الإيمان والكفر بين فيه وجوب اتباع الرسول ﷺ والجزم في الإقرار له بالرسالة مع التصديق وامتثال الأوامر واجتناب النواهي ثم عدد بعضاً من صفات المسلم.

ثم وضع فصلا في الشرك وأنواعه بين فيه خطورة الشرك، وأن من الكفر نفي علم الله بالجزيئات، ودعاء الأموات، والطواف بالقبور، والاعتكاف عندها... وبين خطورة تكفير المسلم، وبين خطورة رد حكم الشرع وتفضيل غيره عليه.

ثم وضع فصلا في السنة والبدعة ذكر فيه تعريف السنة وفضلها، وتعريف البدعة وخطورتها، وبين أن جمع القرآن، وأذان الجمعة الأول، وصلاة التراويح، وتأليف الكتب الشرعية فعل طيب وليس من البدع ، وكذلك الاستفادة من المخترعات الحديثة. وبين أنه يجب فهم الشرع كما فهمه الصحابة.

ثم وضع فصلا في الطريقة والشريعة بين فيه أن الطريقة في الحقيقة هي طريق الشرع وما جاء فيه من السلوك والآداب، والأذكار والعبادات، وبين فساد طريقة الصوفية المبنية على الرقص والسماع[1] والسكر[1] والاستغاثة بشيوخهم... وذكَرَ شيئاً من شطحاتهم... وبين أن الأولياء حقاً هم الصحابة والتابعون لهم بإحسان...

(١) في اللغة: مصدر من سمع يسمع، وهو ما وقر في الأذن من صوت، سواء كان هذا الصوت كلاماً أو أو غيره. انظر: مادة: سمع، في: لسان العرب (١١/ ٢٢١). القاموس (ص: ٩٤٣). والسماع عند المتصوفة: هو الاجتماع على استماع الأشعار والغناء، ويصاحب ذلك عند بعضهم الدفوف والمزامير، والتصفيق بالأيدي، والرقص والتمايل، وترتفع عنده الأصوات وتكثر الصرخات

ثم وضع فصلا في الذكر المطلوب بين فيه أن الذكر المطلوب هو ما كان بالمأثور، وبين فضله، وأفضله. وأنه لابد من حضور القلب عند الذكر. وحثّ على الأذكار المشروعة في أوقاتها، وضرب أمثلة لها.

ثم وضع فصلا في الغلو المذموم بين فيه أن الغلو مذموم في الشرع، وتكلم عن الغلو في الشيوخ، وبين أنهم عبيد مثلنا، والله ـ تعالى ـ هو الذي له الملك والأمر، ولا يكون ضر ولا نفع إلا بمشيئته وتقديره. وبين أن من الغلو الشركي دعاء الأموات والاستغاثة بهم في الملمات، ورد الناظم ـ رحمه الله ـ رداً كافياً وشافياً على من يجعل بينه وبين الله وسائط بحجة أنه كثير الذنوب... ودعا الشيخ إلى عدم الانخداع بتلك الأوهام، وإلى اعتقاد قرب الله من عبده وكفايته له... وأن الدعاء عبادة فلا يجوز صرفه لغير الله تعالى.

ثم وضع فصلاً في التكييف والتشبيه بين فيه أن أهل التكييف والتشبيه قد شبهوا الرحمن بالإنسان، وقاسوا الخلاّق بالمخلوق، وبين وجه الشبه في القياس والتشبيه، ثم

وتخرّق الثياب، ويحصل التواجد والفناء والسّكر. وهو أيضا: المجالس التي تلقى فيها المدائح والأذكار على صفة وطريقة وعدد معين مع مصاحبة ذلك للرقص والاهتزاز والغناء، ويأتي عرفاً بمعنى الرقص، وفي إطلاقهم للسماع يقصدون السماع المقيد بالنغمات لا مطلق السماع. انظر: الفتوحات المكية (٢/ ٣٦٧). الرسالة القشيرية (ص: ٦١). عوارف المعارف للسهروردي (٥/ ٢٥٠). إحياء علوم الدين للغزالي (٢/ ٢٣٦). كشاف اصطلاحات الفنون (٤/ ١٠-١١).

(١) السكر عند الصوفية: «دهش يلحق سر المحب في مشاهدة جمال المحبوب فجأة، لأن روحانية الإنسان التي هي جوهر العقل لما انجذبت إلى جمال المحبوب بعد شعاع العقل عن النفس، وذهل الحس عن المحسوس، وألمّ بالباطن فرحٌ ونشاطٌ وهزّة وانبساط لتباعده عن عالم التفرقة والتمييز، وأصاب السرّ دهش ووله وهيمان دونه لتحيز نظره في شهود الجمال الحق، وتسمى هذه الحالة سكراً لمشاركتها السكر الظاهري في الأوصاف المذكورة». والسكر: هو حيرة بين الفناء والوجود في مقام المحبة الواقعة بين أحكام الشهود والعلم إذ الشهود يحكم بالفناء، والعلم يحكم بالوجود. انظر : معجم اصطلاحات الصوفية (ص: ١٥٥-١٥٦).

بين أن هذا القياس والتشبيه شرك باتفاق الأمة؛ لأن فيه قياساً لله القوي القادر بالمخلوق الضعيف العاجز، والله منزه عن ذلك.

وردّ على الذين يدعون أنهم حُجّاب بين الله وبين عبيده لا يوصل إليه إلا عن طريقهم - تنزه الله وتعالى وتقدس عما يقول هؤلاء الظالمون - ثم بين صفات أولياء الله حقاً.

ثم وضع فصلا في حكم رفع القبور وبناء القباب عليها بين فيه - رحمه الله - أن الإسلام جاء بتحريم رفع القبور والبناء عليها وجَعْلِ الأستار والرايات عليها ومَنَعَ زيارة النساء لها وإيقاد السرج عليها، وأشار إلى بعض أدلة ذلك. وذكر بعض المفاسد التي تحدث عند ما يسمى بالمشاهد من اجتماع الفساق، واختلاط النساء بالرجال، وذكر بعضاً من الشركيات التي تحدث عندها: من الطواف بها، واستلامها وتقبيلها، وردّ على من فعل ذلك، وذكر أن من الناس من لو طُلب منه أن يحلف بصاحب التربة لم يحلف إذا كان كاذباً، وإن طُلب منه أن يحلف بالله حلف ولو كان كاذباً.

وبين أن هذا من أعظم أسباب تخلف المسلمين، وهو بسبب علماء السوء من الصوفية. وأنه على ولاة الأمر من العلماء والأمراء القيام بواجبهم تجاه ذلك...

ثم وضع فصلا جعله بعنوان خاتمة "في التصوف المحمود" بين فيه أن انقطاع العبد بالكلية للعبادة إذا كان قصده إرضاء الله، وكانت أعماله صالحة، وكان مقدماً للعلم على العمل، سائراً على منهج السلف في العبادة، مع مراقبة الله في السر والعلن، مع الإكثار من ذكر الله، والتفقه في الدين، والمداومة على الطاعة وأولها الواجبات كالصلاة جماعة فلا بأس بذلك.. وتكلم عن أفضل الأذكار، وأن أفضل العبادات هي

العلم بالتوحيد، وفهم معنى الشهادتين، وتفهم كتاب الله والعلم به... وذكر في هذه الخاتمة جملة من الوصايا، منها:

الإكثار من ذكر الله،ووزن الخواطر والأعمال بالكتاب والسنة، وتأديب النفس بحكم الشرع،والسمو بالنفس وعلو الهمة،والإحسان إلى الأيتام والمساكين، ومعاونة الضعفاء،ورحمة الإخوان في الدين ،والمحافظة على أوراد الصباح والمساء المأثورة، وتفسير القرآن بما تعرفه العرب من كلامها والبعد عن التفسيرات الشاذة،والسير على منهج النبي ﷺ واتباع سنته.

وقد سار الناظم رحمه الله في منظومته على الوصف وذكر أقوال المتصوفة ، ثم يتبع الوصف والقول بالنقد وهو أقرب ما يكون إلى المنهج التاريخي الذي له دور كبير في الأدب العربي.

القسم الثاني

شرح المنظومة

نص المنظومة

فصل في الطريقة والشريعة

٢٥٦ - وبعدُ فاعلم أنما الطريقَهْ هيَ طريقُ الشرعِ في الحقيقهْ
٢٥٧ - كما أبانَ اللهُ في كتابِهِ وبيَّنَ الرسولُ في خطابِهِ
٢٥٨ - كيفَ الطريقُ والسلوكُ والأدَبْ وما بها من واجب ومستحبْ
٢٥٩ - والذكر والأوراد والدعاء بالآي والصفات والأسماء
٢٦٠ - فذكرهُ - جلَّ - بما يشاءُ لا ذكره - عَزَّ - بما تشاءُ
٢٦١ - فهل سوى الشريعةِ المرضيَّهْ قد أرسلَ اللهُ به نبيَّهْ
٢٦٢ - كالرقص والسماعِ ثم النَّحْبِ القصفِ والصراخِ عند الجذْبِ
٢٦٣ - كأنهمْ سَكْرى بغيرِ سُكْرِ بالرقصِ والسماعِ لا بالذكرِ
٢٦٤ - إن شَبَّهوا سلمَى بغصنِ البانِ خَرُّوا بها وَجْدًا على الأذقانِ
٢٦٥ - ثم ادَّعَوا وَجْدًا بذكر الله وقلبُ كلٍ غافلٌ أو ساهِي
٢٦٦ - وكلُّ ذكرٍ قد خلا عن معرفه فذاكَ بالجهلِ على هذي الصفَهْ
٢٦٧ - ويصرخون بدعا الأمواتِ كيا دسوقي يا أبا الخيراتِ
٢٦٨ - ويا رفاعِيْ الغوثُ يا عبدَ مَدَدْ مَدَدْ يا سادتي مدد مددْ
٢٦٩ - وصيغةُ الذكرِ على ما يهوَى شيخهمُ الذي يبثُّ الدعوَى
٢٧٠ - وذا مُنافٍ ذكرُ أهل التقوى العارفين غيرِ أهلِ الأهوا
٢٧١ - أما الغلوْ والشَّطْحُ في المناقبِ فذاك زورٌ من صنيعِ الكاتبِ
٢٧٢ - فكم بها يا صاحِ من مقالِ تصديقُه ضربٌ من المحالِ
٢٧٣ - كجعلِ ماءِ البحر في إبريقِ فماله في الصِّدقِ من طريقِ

٢٧٤ - فكيـف يخفَـى فقـدُ مـاءِ البحـرِ والفُلـكُ بالنـاس عليـه يجـري
٢٧٥ - ومـا لـدَى المـلاحِ علـمٌ أو خـبرْ ولا لَـدَى الصيادِ مِـنْ هـذا أثـرْ
٢٧٦ - وكـلُّ مِصـرٍ في شـواطي البحـرِ لم يـدرِ أهلُهـا بهـذا الأمـرِ
٢٧٧ - فليـت شـعري مـا بهـا مـن رتبـهْ حتـى ادَّعـوا وقـوعَ هـذه الكذبَـهْ
٢٧٨ - فكـم وليٍّ كـان أتقـى وأبـرْ لله كالصِّـديقِ أيضًـا وعمـرْ
٢٧٩ - كـذاكَ ذو النـورين والهـمامُ صِـنوُ الرسـولِ البطـلُ الضَّرغـامُ
٢٨٠ - والسـتةُ البـاقون بعـد الأربعـهْ فهـؤلاء خـيرُ مـن كـانوا مَعـهْ
٢٨١ - والتـابعون مـن خيـار الأمـةِ والشـافعي وسـائرُ الأئمـةِ
٢٨٢ - مـا قـطُّ زكَّـى نفسـه مـنهم أحـدْ ومـن يُزكِّـي نفسَـه فـما رشـدَ
٢٨٣ - ولا ادَّعَـى إحيـاءَ مـن قـد ماتـا أو ردَّ شـيئًا بعـد مـا قـد فاتـا
٢٨٤ - ولم يقـلْ صـليتُ فـوق المـاءِ أو امتطيـتُ الـريحَ في الفضـاءَ
٢٨٥ - أو طلعـتْ بغلتُـه إلى السَّـما والعـرشِ فَخـرًا أو أنـا بـانيهما
٢٨٦ - فهـل أولاء الشـاطِحون أفضـلُ من صحب خيرِ الخَلقِ أم هم أكملُ
٢٨٧ - أو هـل لهـذا الشَّـطحِ مـن مزيَّـةِ إلا انحطـاطَ الرتبـةِ العليـةِ
٢٨٨ - بـل كـل هـذا مـن سماتِ الكِـبْرِ والعجـبِ قـد أبـداه حـبُّ الفَخْـرِ
٢٨٩ - والمخلصـونَ مـن عبـادِ الله يرونـه مـن أقـبحِ المنـاهِي
٢٩٠ - لأنَّ دعـوى الكامـلِ الكـمالا نقـصٌ سـوى ربِّ السَّـما تعـالى

فصل في الذكر المطلوب

٢٩١ - الـذكرُ بالمـأثورِ نعـمَ القُربـهْ ورتبـةُ الـذاكر أعـلى رتبـهْ
٢٩٢ - لأنـه مـن أعظـم الرغائـبِ كـما علمـتَ بعـد فعـلِ الواجـبِ
٢٩٣ - وأفضـلُ الـذكر كـلامُ الله كـما أتانـا عـن رسـولِ الله
٢٩٤ - وبعـد هـذا الـذكرِ بالمـأثورِ عـن النبـيِّ المصـطفى البشـيرِ

٢٩٥ - كالحمدِ والتسبيح والتكبيرِ   كما أَتَى في الخبرِ المشهورِ

٢٩٦ - أَمَّا لدى الإِطلاقِ فالتهليلُ   أفضلُ ما قد قلتُ أو تقولُ

٢٩٧ - كذاك الاستغفارُ ثم الحوقلهْ   كما روته السنةُ المفضلهْ

٢٩٨ - فاذكرْ إلهَ العالمين دائما   ودُمْ على أذكاره مُلازما

٢٩٩ - مستحضِرًا يا صاحِ معنى الذكرِ   لأنه مفتاحُ بابِ السرِّ

٣٠٠ - فالذكرُ إن لم تدرِ ما معناهُ   فحظُّه اللسانُ لا سواهُ

٣٠١ - وليس يُجدي الذكر باللسانِ   شيئًا إذا لم يكُ في الجَنَانِ

٣٠٢ - لأن ذكرَ الجاهلِ المغرورِ   ضربٌ من التمويهِ والتزويرِ

٣٠٣ - وغايةُ الذكر الذي لا يفهمُ   معنىً كدعوى حُبٍّ من لا يعلمُ

٣٠٤ - وليس يُرضِي اللهَ حمدَ الجاهلِ   ولا يحب الله ذكر الغافلِ

٣٠٥ - وكل من يجهلُ معنى الذكرِ   فما لَه في ذكره من أجْرْ

٣٠٦ - إلا على تلاوةِ القرآنِ   فلا تُمارِ واحفظنْ بياني

٣٠٧ - فاذكرْ بما تفهمُ ربًّا تعبدُهْ   واعرفْ إذا هلَّلت مَنْ توحدُهْ

٣٠٨ - واحرصْ على الأذكارِ والكيفيَّهْ   كما أَتَى عن سيِّد البريّهْ

٣٠٩ - فأفضلُ الأذكارِ ما قد شرعَهْ   واختارَه السُّنيَّةُ المتبعَهْ

٣١٠ - فالذكرُ معدود من العبادَهْ   إن وافقَ الكيفيَّةَ المرادَهْ

٣١١ - ولازمُ الذاكرِ في الذكر الأدبْ   وعن دواعي السوء في الذكر

٣١٢ - وكونُ هذا الذكرِ في اللسانِ   مطابقًا للذكرِ في الجَنَانِ

٣١٣ - فالذكرُ باللسانِ دونَ القلبِ   زورٌ وتدليسٌ وشؤمٌ ذنبُ

٣١٤ - ومثلُ هذا لم يجُزْ بحالِ   لعدمِ التعظيمِ والإجلالِ

٣١٥ - فقدّمِ العلمَ على فعلِ القُربْ   من واجب وسنةٍ ومستحبْ

٣١٦ - لأنها بدونِ علمِ لم تصحْ   ولن ترى بالجهل ساع قد ربحْ

٣١٧ - فالذكرُ يبديهِ عظيمُ الحبِّ   إذِ اللسانُ تَرجمانُ القلبِ

٣١٨ - والعلمُ بالمذكورِ للحبِّ سببْ والمرءُ مشغوفٌ بذكرِ من أحبْ
٣١٩ - وذا مثالٌ شاع في الأنامِ لدى خواصِ الناسِ والعوامِ

فصل في الغلو المذموم

٣٢٠ - فقلْ لمن بشيخِهِ يُغالي وغيرِهِ من سائرِ الرجالِ
٣٢١ - في العلم بالغيبِ وجلبِ النفعِ وما استحالَ حكمُه في الشرعِ
٣٢٢ - إن الغلوَّ لم يجزْ في الدينِ فكيفَ تغلو بامرئ مسكينِ
٣٢٣ - فكلُّنا لربنا عبيدُ يفعلُ فينا كلَّ ما يريدُ
٣٢٤ - فالملكُ والأمرُ له تعالى فافهمْ ولا تعتقدِ المُحالا
٣٢٥ - واعلمْ بأن غيرَ مَنْ قد أوجدكْ مِنْ مرسَلٍ أو من نبيٍّ أو مَلَكْ
٣٢٦ - والصالحين وجميعِ العالمِ لم ينفعوا ولم يَضُرُّوا آدَمي
٣٢٧ - إلا بما قدّره تعالى عليه فاسمعْ واتركِ الجِدالا
٣٢٨ - بمثلِ هذا المصطفَى قد أخبرا ذاكَ ابنَ عباسٍ فدعْ عنك المِرا
٣٢٩ - فكيف تدعو غائبًا لن يَسمعكْ أو مَيِّتًا في قبرِه لن ينفعَكْ
٣٣٠ - لا تستغثْ بغيرِ من لم يستجِبْ وإن دُعي لكشفِ ضُرٍّ لم يُجِبْ
٣٣١ - ولا تنادِ كلَّ من لا يسمعُ وتستعنْ جهلاً بمن لا ينفعُ
٣٣٢ - إذ لا يجيبَ الداعي غيرُ السامعِ أعني القريبَ الحيَّ فاحفظه وعِ
٣٣٣ - فإن تقلْ إنِّي مسيءٌ مذنِبُ ودعوةُ المسيء مثلي تُحجَبُ
٣٣٤ - والشيخُ للعاصي المسيء ومن دعاه دام تلك الرابطَهْ
٣٣٥ - أقولُ ما المانعُ أن تتوبا ويغفرُ الله لك الذنوبا
٣٣٦ - والشيخُ في التعليم يدعي لا في سواه فاتركِ المغالطَهْ
٣٣٧ - وهل يردُّ الشيخُ يا صاحِ القَدَرْ بل لا يحبُّ من على الذنب أصرْ
٣٣٨ - ومن يقلْ إن رجال الله يساعدون فاعلَ المناهي

٣٣٩ - أعظِـمْ بهـا مـن فريـةٍ وكِذْبَـهْ ... في حقِّهـم وشَـتمهِ وسُـبَّهْ
٣٤٠ - وأبغـضُ النـاس أُهيـلُ الفِسْـقِ ... عنـد ذوي الأيـمانِ أهـلِ الحـقِّ
٣٤١ - وكـلُّ محـرومٍ بشـؤم ذنبِـهِ ... فمالـه مـن عاصـمٍ مـن ربِّـهِ
٣٤٢ - فـإن يتـبْ مـن ذنبِـه واستغفرا ... فقـد غَـدا مـن رجْسِـه مُطَهَّـرا
٣٤٣ - ممتـثلاً لكـل مـا بـه أَمَـرْ ... منتهيًـا لكـل مـا عنـه زَجَـرْ
٣٤٤ - رقَّـاهُ مـولاهُ إلى أعـلى الرُّتَـبْ ... وإن دعـا أجابـه بـما طَلَـبْ
٣٤٥ - فاعمـلْ وحـاذرْ أن تَـرى منخـدِعا ... فلـيس للإنسـان إلا مـا سَـعَى
٣٤٦ - وسَـيَرى الله تعـالى عملـكْ ... لا غـيرُه فقـوِّ في ذا أملـكْ
٣٤٧ - فقُـمْ ونـاجِ اللهَ إن خطـبٌ نـزلْ ... ولا تنـاجِ غـيرَه عزوجـلْ
٣٤٨ - فـما سـواهُ بالعبـادِ أعلـمُ ... كـلاَّ ولا للخلـق منـه أرحـمُ
٣٤٩ - فإنـه أقـربُ مـن حبـل الوريـدْ ... وعـالمٌ بكـل أحـوال العبيـدْ
٣٥٠ - ولا سـواهُ للـدعاةِ أقـربُ ... وغـافرٌ ذنـوبَهمْ إن أذنبُـوا
٣٥١ - ألـيس يكفـي اللهُ جـل عبـدَه ... إذا دعـاه وارتجـاه وحـدَه
٣٥٢ - فـما لكـمْ يـا معشـرَ الجُهـالِ ... تـدعون غـيرَ الله ذي الجـلالِ
٣٥٣ - في جلـب النفـع أو لـدفع ضُرِّ ... أو بُـرءِ سُـقمٍ وارتفـاعِ شرِّ
٣٥٤ - مـن لـيس يُغني نفسَـه من ضُرِّهـا ... ولم يُطـقْ إنقاذهـا مـن فقرِهـا
٣٥٥ - وتسـألون العـون والإمـداد ... والهَـدْيَ والإسـعاد والإرشـاد
٣٥٦ - وتسـتمدون مـن المـواتِ ... تيسـير عسـرٍ وقضـا الحاجـاتِ
٣٥٧ - ألم تـروا أن الـدعا عبـادَهْ ... لا يمـتري فيـه ذوو الشـهادَهْ
٣٥٨ - فمـن دعـا غـيرَ الإلـهِ أحـدا ... يمنحُـه الخـيرَ ويكفيـه الـرَّدَى
٣٥٩ - فإنـه لِمَـنْ دعـاه عابـدُ ... سـواءً الجاهـلُ والمعانـدُ
٣٦٠ - وفي ثبـوتِ النَّهـي في الكتـابِ ... دلائـلٌ لمبتغـي الصـوابِ
٣٦١ - يكفيـكَ أن الله قـال ادعـوني ... كمثـلِ مـا قـد قـال فاعبـدوني

٣٦٢ – وفي الحديث عن رسول الله: إذا استعنتَ فاستعِن بالله

٣٦٣ – وإن سألتَ فاسألِ الله ولا تسألْ سواهُ أحدًا من المَلا

٣٦٤ – لأن من تدعوه غيرُ قادرِ من غائبِ أو ساكني المقابرِ

٣٦٥ – وقال طه خيرُ كلِّ العالَمِ مُخُّ العباداتِ الدعاءُ فاعلمِ

فصل في التكييف والتشبيه

٣٦٦ – فيا أُولي التكييفِ والتشبيهِ ويا أولي التضليلِ والتمويهِ

٣٦٧ – شبهتمُ الرحمنَ بالإنسانِ ساويتمُ الوجوبَ بالإمكانِ

٣٦٨ – وقِسْتمُ الخلاَّقَ بالمخلوقِ فحُدتمُ عن مستوى الطَّريقِ

٣٦٩ – وذاك شركٌ باتفاق الأَمَّهْ قد صرّحت بقبحِه الأَئمهْ

٣٧٠ – إذْ كلُّ سلطانٍ من البريَّةِ مفتقرٌ للجند والرعيَّةِ

٣٧١ – لعجْزِهِ عن حفظِ ما استرعاهُ إن كان لا يعضُده سُواهُ

٣٧٢ – وجهلهُ عمَّا بها من مفسدَهْ مضرَّةٌ وما بها من فائدهْ

٣٧٣ – هل يستوي القديمُ ربُّ الناسِ وغيره من عاجزٍ وناسي

٣٧٤ – لم يدر شخصًا واقفًا ببابهِ إلا بما يعلمُ من حُجَّابهِ

٣٧٥ – فكلُّ سلطانٍ من الأنامِ قِوامُه بالجندِ والخُدَّامِ

٣٧٦ – جُباتُه في ملكهِ على خَطَرْ ولم يزلْ من قومه على حَذَرْ

٣٧٧ – وليس يدري من هو الظلومُ في ملكهِ ومَنْ هو المظلومُ

٣٧٨ – من غير برهانٍ على دعواهُ من واقفٍ مطلع رآهُ

٣٧٩ – وخلتمُ العبادَ لم يقرِّبوا إلى الذي منكمْ إليه أقربُ

٣٨٠ – إلا بكمْ لأنكم حُجَّابُ وفيكمُ تفتَّحُ الأبوابُ

٣٨١ – تبلِّغون الله من أحببتمُ وتمنعون كلَّ من أبغضتمُ

٣٨٢ – أليس يدري اللهُ من يتوبُ ومن لِبابِ فضلهِ يؤوبُ

٣٨٣ – ومن يناديهِ بصدقِ لهجتِهْ مستمسكًا بحبلِهِ وعروتِهْ

٣٨٤ - سـبحانَهُ مـن صـمدٍ قريـبِ عـدلٍ علـيمٍ سـامعٍ مجيـبِ
٣٨٥ - هـا أخبرونـا مَـنْ لـه وزيـرُ مـن خلقِـهِ معـينٌ مـذكورُ ؟
٣٨٦ - أو حاجـبٌ ببابـه قـد وُكِّـلا يبلِّـغُ الـرحمنَ حاجـاتِ المَـلا ؟
٣٨٧ - وهـل لـهُ بـين الـورَى علامَـهْ فـيما سـوى السُّـبحةِ والعمامَـهْ ؟
٣٨٨ - أم تلكـما والشـهرةُ المزيَّفَـهْ بـين أنـاسٍ مـا لهـمْ مـن معرفَـهْ
٣٨٩ - يخـتصُّ بـين النـاس بالوِسـامِ بالرتبـةِ العليـا عـلى الأنـامِ
٣٩٠ - فـإن تقولـوا إنهـا الولايَـهْ وسـامُ أهـلِ الفضـلِ والعنايَـهْ
٣٩١ - نقـولُ هـذا وصـفُ أربـاب التُّقَـى مـن كـلِّ عبـدٍ مـؤمنٍ قـد اتَّقَـى
٣٩٢ - إذ جـاء في القـرآن أن الأوليـا المؤمنـونَ العـارفونَ الأتقيـا
٣٩٣ - فـإن تكـنْ في الاعتقـادِ أشـعريْ فإنـه ممـا اعتقدتَـه بـريْ
٣٩٤ - فلـم يقـل كـلاًّ بهـذا الـزعمِ ومـن عَـزاهُ مـا لـه مـن عِلْـمِ
٣٩٥ - فعنـده جميـع أفعـال الإلَـهْ لـيس لأغـراضٍ ولا معلّلَـهْ
٣٩٦ - هـذا الـذي قـد صـحَّ عنه واشـتهرْ كـما روت عنـه الجحـاجيحُ الغُـرَرْ
٣٩٧ - والله فاعـلٌ لكـل مـا يشـا يُضـلُّ مـن شـاء ويهـدي مـن يشـا
٣٩٨ - لكـنَّما الإرشـادُ للعصـاةِ وسـيلةُ النجـاحِ والنجـاةِ
٣٩٩ - ثـم الـدعاءُ مـن وليِّ الله أقـربُ مـن دعـاء عبـدٍ لاهِ
٤٠٠ - ولم نقـلْ بـالقطعِ أنَّ مَـنْ دعـا يُجـابُ فـورًا بالـذي بـه دَعـا
٤٠١ - بـل ربُّنـا إن شـاءَ أعطَـى السـائلا مـا رامَـه منـه سريعًـا عـاجلا
٤٠٢ - أو يـدّخرْه أو يكـفْ عنـه الـبلا أَعْنـي الـذي لـولاه كـان نـازلاً

فصل في حكم رفع القبور وبناء القباب عليها

٤٠٣ - ثـم اسـمعُوا يـا أمَّـةَ الإسـلامِ معنـى حـديثِ سـيِّدِ الأنـامِ
٤٠٤ - فعـن أبي الهيَّـاج عـن علـيِّ يـروي بإسـنادٍ عـن النبـيِّ
٤٠٥ - في طَمْـس تمثـالٍ خبيـث ثـمَّ في تسـويةٍ لكـلِّ قـبرٍ مشـرفِ

٤٠٦ - وغـيرُ هـذا مـن طريـق آخـر ... يُـروَى بإسـنادٍ قـويٍّ بـاهرِ
٤٠٧ - في لعـنِ بـاني قبَّـةٍ أو مسـجدِ ... لأيِّ قـبرٍ مطلقًـا أو مَشْـهَدِ
٤٠٨ - وكـلِّ مـن قـد أوقـد السـِّراجا ... عـلى القبـورِ فاحـذرِ اللجاجـا
٤٠٩ - وخَـصَّ مَعْـهُ زائـرتِ القَـبْرِ ... أبعـدَ هـذا هـل تَـرى عُـذْرِ ؟
٤١٠ - مجـوِّزًا لهـذه الأمـورِ ... وفِعْلِهـا أيضًـا عـلى القبـورِ
٤١١ - وجعـلِ أسـتارٍ عـلى القبـورِ ... كالصُّـوفِ والـديباجِ والحريـرِ
٤١٢ - كـما تَـرى الأعـلام والرايـاتِ ... يخفقـن في مقـابر الأمـواتِ
٤١٣ - فليـتَ شـعري مـن لهـم أباحـا ... وصَـيّر الحظْـرَ لهـم مُباحـا
٤١٤ - وقـد نَهَـى عنـه الرسـولُ المصـطفَى ... وقُبْحُـه مـن لَعنـه قـد عُرِفـا
٤١٥ - كـم دنَّسُـوا قبـورَ أهـلِ الله ... بـما حَكَـتْ عـن قبحِـهِ المنـاهي
٤١٦ - وزَعَمـوا تعظـيمهمْ للأوليـا ... بـه وأهـلُ الله منـه أبْرِيَـا
٤١٧ - لأن أهـل الله مـن سـارُوا عـلى ... سـبيلِ طـهَ المصـطفَى خَـيرِ المَـلاَ
٤١٨ - بسـيرةٍ محمـودةٍ مرضـيَّهْ ... علـيهمُ الرضـوانُ والتحيَّـهْ
٤١٩ - قـد أحسنوا في شِرْعـةِ الـدينِ الأدبْ ... فحُـبُّهم لله دينًـا قـد وجـبْ
٤٢٠ - ومـن أحـبَّ أوليـاءَ الله ... أجلَّهـمْ عـن هـذهِ المنـاهي
٤٢١ - ولم يصـدِّقْ كاذِبًـا مـزوِّرا ... علـيهمُ مـا لـيسَ مَرضـيًّا يُـرى
٤٢٢ - أو كاسـبًا رزقًـا مـن الزيـارهْ ... لأنهـا في سُـوقِهِ تجـارَهْ
٤٢٣ - ولا يبـالي بـالأمورِ المنكـرَهْ ... وفاعليهـا عنـدَه في المقـبرَهْ
٤٢٤ - ولـو يَـرَى هـذا الـوليْ الـزُّوَّارا ... لانفـضَّ مـن فسـادِهمْ فِـرارا
٤٢٥ - فكـم حـوتْ مـن فاسـقٍ وفـاجرِ ... ومـاردٍ غـاوٍ خبيـثٍ مـاكرِ
٤٢٦ - وجمعـتْ خبائـثَ النسـاءِ ... يسـلبن بـين الجمـع قلـبَ الرَّائـي
٤٢٧ - وكَـمْ وكَـمْ فيهـا مـن المنـاكرِ ... كشُـربِ خمـرٍ وقِـمارٍ ظـاهرِ
٤٢٨ - وضربِ عـودٍ ثـم رقـصِ الأَمْـردِ ... وقـبحِ فعـلٍ حـول ذاك المشـهدِ

٤٢٩ - وفي اختلاطِ الجمعِ عند القبرِ يذوبُ منه قلبُ كلِّ حرِّ
٤٣٠ - ترى الرجالَ والنسا مُردحمَهْ مصيبةٌ ي الدين أضحتْ مؤلمهْ
٤٣١ - فليتَ شعري من أباحَ المنكرا حولَ القبورِ ظاهرا كما تَرَى
٤٣٢ - فنزِّهوا القبور من السَّفَهْ ولا تَزُوروها على هذي الصِّفهْ
٤٣٣ - ولا تزوروا قبرَ كلِّ مسلمِ بفعل شيءٍ منكر محرَّمِ
٤٣٤ - وإنما الزيارةُ المرضيَّهْ ما بيَّنتها السُنةُ السَّنيَّهْ
٤٣٥ - من السلام ودِعاءِ الزائرِ للمؤمنين من ذوي المقابرِ
٤٣٦ - وازداد فيها الزائرُ اعتبارا بساكني الأجداثِ حين زارا
٤٣٧ - وإنما مَضرةُ الإسلامِ ممن يَغرُّ الناسَ بالأوهامِ
٤٣٨ - كعاكفٍ في مشهدِ المزورِ يغرُّ أهلَ الجهلِ بالتزويرِ
٤٣٩ - يزخرفُ المقالَ زورًا وافترا ومثبتًا ما كان منهيًا يُرَى
٤٤٠ - حتَّى يراه الناسُ ذا مقامِ قد فاقَ فضلاً سائرَ الأنامِ
٤٤١ - فكم أحلُّوا من حرامٍ ظاهرِ ولم يخافوا هولَ يوم آخرِ
٤٤٢ - كقولهم إن تراب القبرِ فيه الشفاءُ من جميعِ الضُّرِ
٤٤٣ - فيأكل الزائرُ من ترابِهِ ليشتفيْ المغرورُ من مُصابِهِ
٤٤٤ - أضافَ أسقامًا إلى أسقامِهِ وازداد آلامًا على آلامِهِ
٤٤٥ - وحَبَبَّوا مسحَ الوجوهِ بالخِرقْ تبرُّكًا لأجل قولٍ مختلقْ
٤٤٦ - ثم الطوافُ واستلامُ المشهدِ بالفمِ تقبيلاً له وباليدِ
٤٤٧ - فإن أقاسوه على لَثْمِ الحَجَرْ فليس للقياسِ دين يُعتبرْ
٤٤٨ - لإنما تقبيلُها عبادَهْ مرضيَّةٌ مشروعةٌ مرادَهْ
٤٤٩ - لكونها في ركنِ أسمى بيتِ لا حَجَرًا من فوقِ قبرِ الميتِ
٤٥٠ - ألم تروا يا أمَّةَ الشهادَهْ لدى الطوافِ لثمَه عبادَهْ
٤٥١ - ونسبةُ البيت الذي منه الحَجَرْ لله لا لميت من البشر

٤٥٢ – وحبَّبـــوا زيـــارة القبـــور بالشـــمعِ والأدهـــانِ والبُخُـــورِ
٤٥٣ – ولـــو ســـمعتَ الزائـــرَ المغـــرورا يـــدعو بصـــدقِ النّيـــةِ المقبـــورا
٤٥٤ – يـــا ســـيّديْ عَجِّـــل لنـــا بغـــارَهْ وجُـــد عـــلى مـــن جـــاء للزيـــارَهْ
٤٥٥ – لازددتَ مـــن دعائـــه تحســـُّرا وذابَ قلـــبُ المتَّقِـــي ممـــا يَـــرى
٤٥٦ – فـــما لكـــم يـــا علـــماءَ الـــدينِ وخلفـــاءَ المصـــطفى الأمـــين
٤٥٧ – لا تنكـــرونَ هـــذه المنـــاكرا فقـــد فشـــتْ ظـــارةً بـــين الـــورَى
٤٥٨ – فبيّنـــوا الزيـــارة المـــشروعَهْ وانهـــوْا عـــن الزيـــارةِ الممنوعَـــهْ
٤٥٩ – فكـــم نَـــرَى مـــن حـــالفٍ كـــذَّابِ بـــالله لا يخشَـــى مـــن العقـــابِ
٤٦٠ – وإن دَعَـــى يحلـــفُ بـــالمزارِ يخـــافُ منـــه فـــوق خـــوفِ البـــاري
٤٦١ – فهـــل تجـــوزُ يـــا ذوي الأحـــلامِ هـــذه الفعـــالُ مـــن ذوي الإســـلامِ
٤٦٢ – أم عـــدَّه الإســـلامُ شِرْكـــا بيِّنـــا ومَنْعُـــه مـــن قـــادر تعيَّنـــا
٤٦٣ – فهـــذه عقائـــدُ العـــوامِ نتـــائجُ التضـــليلِ بالأوهـــامِ
٤٦٤ – قـــد دسَّـــها للنـــاس كـــلُّ مـــارقِ مخـــادعٍ غـــاوٍ جهـــولٍ مـــاذقِ
٤٦٥ – يُعْـــزَى إلى الطريـــقِ المشـــتهرَهْ قـــد خـــالف الشـــريعةَ المطهَّـــرَهْ
٤٦٦ – فتابعـــتْ أمثالَـــه العبـــادُ فانتـــشر الضـــلالُ والإلحـــادُ
٤٦٧ – لجهلهـــمْ شريعـــةَ الإســـلامِ وكـــلِّ مـــا فيهـــا مـــن الأحكـــامِ
٤٦٨ – والجهـــلُ والأوهـــامُ أســـبابُ الشَّـــقا لم تلـــقَ شـــعبًا جـــاهلاً قـــد ارتَقَـــى
٤٦٩ – مـــن أجـــل ذا لم نـــرقَ معـــراجَ العُـــلى ومـــن تَـــرَى بالجهـــل قـــد ســـاد المَـــلا
٤٧٠ – فقـــد جَهِلنـــا مَهْيـــعِ الحقيقَـــهْ وغَرَّنـــا مشـــايخُ الطريقَـــهْ
٤٧١ – وفرَّقُونـــا كلَّنـــا أشْـــتاتا واقتســـمونا بيـــنهمْ أقواتـــا
٤٧٢ – وكـــلُّ شـــيخ ســـاخطٌ لمثلِـــهِ ومنكـــرٌ لقولـــه وفعلِـــهِ
٤٧٣ – قلـــوبهمْ مملـــوءةٌ مـــن الحسَـــدْ وفَخُّهـــمْ للنـــاسِ في كـــلِّ بلـــدْ
٤٧٤ – قـــد نصـــبوه لاصـــطياد النـــاسِ وأوهمـــوا العـــوامَ باللِّبـــاسِ

٤٧٥ – وأوصَدوا بابَ العلوم النافعَهْ فظلَّتِ الأمةُ فيهم ضائعَهْ
٤٧٦ – فيا ولاةَ الأمرِ في الإسلامِ أهْملتهمُ هدايةَ العوامِ
٤٧٧ – فانتشرَ الإلحادُ والفسادُ والجهلُ والضلالُ والعنادُ
٤٧٨ – فكلكمْ يسئلُ عن رعيتِهْ عن نصحِهِ بالصدقِ أو خيانتِه
٤٧٩ – فليتقِ الله ولا يُداجِ في الدين من رآه ذا اعوجاجِ
٤٨٠ – فيا ولاةَ الأمر بالحقِّ اصْدَعُوا وعاقبوا من ضلِ أو يبتدعُ
٤٨١ – فمن يزد في الدين غير ما شرِعْ أو خالف السنةَ فهو المبتدِعْ
٤٨٢ – فاهدوا برفقٍ سائرَ الجهالِ وانفُوا دعاةَ الزيغِ والضَّلالِ

خاتمة في التصوف المحمود

٤٨٣ – ثم اعملوا يا معشرَ الإخوانِ هداكمُ الله العليُّ الشانِ
٤٨٤ – أن انقطاعَ العبد بالكليَّهْ لله بالعبادةِ المرضيَّهْ
٤٨٥ – تبَتُّلاً بصالحِ الأعمالِ مبتغيًا رضاءَ ذي الجلالِ
٤٨٦ – مقدِّمًا للعلم من قبلِ العمل حتى يكونَ سالمًا من الخللْ
٤٨٧ – مبتدئًا بالعلم بالطهارَهْ عن جملةِ الأحداثِ والقذارَهْ
٤٨٨ – والعلم بالمفروضِ والمسنونِ من كل مطلوبٍ بأصلِ الدينِ
٤٨٩ – وليعلمِ الحرامَ والمكروها حتى يُنَزِّهْ نفسَه تنزيها
٤٩٠ – من فعلِ مكروهٍ وعن محرَّمِ والعلم محتاجٌ إلى التعلمِ
٤٩١ – مُصفِّيا بالعلم رانَ قلبِهِ وكلّ ما يبعده عن ربِّهِ
٤٩٢ – فإن صفا فؤاده من عيبِهِ وصوَّر ابتعاده من قُربِهِ
٤٩٣ – ولازَمَ الحِمْيَةَ حتى عُوفي فذاك للصفاء يُدْعَى صُوفي
٤٩٤ – لأنه قد لازمَ العبادَهْ حتى ارتقَى مراتبَ السعادَهْ
٤٩٥ – ولم يزلْ لنفسه معاتِبا وعن هواها دائمًا مُجانبا
٤٩٦ – مراقبًا لله في الدوامِ لم يخشَ فيه لومةَ اللَّوامِ

٤٩٧ – يقــول حقًــا صــادقًا لا يكــذبُ	وزاهــدًا عــمَّا ســواه يرغــبُ
٤٩٨ – مؤدَّبًــا بــأدب الــشريعةِ	وعــاملاً بالســنة الرفيعــةِ
٤٩٩ – مســتغرقًا أوقاتــه بالطاعــهْ	بــما لــه فيهــا مــن اســتطاعَهْ
٥٠٠ – مشــتغلاً بالــذكر والصــلاةِ	وغيرهــا مــن ســائر الطاعــاتِ
٥٠١ – متابعًــا فيهــا ســبيلَ المصــطفَى	ولم يخــالفْ في الهــدَى مــن سَــلَفا
٥٠٢ – ملازمًــا في غالــب الأوقــاتِ	تــلاوةَ القــرآنِ في الصــلاةِ
٥٠٣ – لأنهــا مــعَ الصــلاةِ أفضــلُ	وأجرُهــا مــن غــيرِ شــكٍ أكمــلُ
٥٠٤ – وكــلُّ ذي وقــت مــن الأذكــارِ	أولى مــن الغــيرِ فــلا تُمــارِ
٥٠٥ – مثالُــه إجابــةُ المــؤذِّنِ	ثــم الــدعا بعــد الفــراغِ فــافطِنِ
٥٠٦ – وســبّحنَّ واحمَــدَنْ وكــبِّرا	بعد صلاةِ الفرضِ من غير امترا
٥٠٧ – والأفضــلُ التهليــلُ بــالإطلاقِ	عــلى جميــعِ الــذكر باتفــاقِ
٥٠٨ – واســتغفرنَّ الله واســألْهُ الرِّضــا	ولا تكــنْ لفعلِــه معترِضــا
٥٠٩ – ودُمْ عــلى اســتغفاره والحوقلَــهْ	فإنهــا لكــل خــيرٍ مُوصــلَهْ
٥١٠ – وإن أتــاكَ خــاطرٌ فَزِنْــهُ	بــوزنِ شرعِ الله تعلمَنْــهُ
٥١١ – فــإن يكــنْ مــن جملــةِ المنــاهي	فــذاك إغــواءٌ بــلا اشــتباهِ
٥١٢ – وإن يكــنْ مــن يُــدْعَى إلى	فــذاك إلهــامٌ إلى الخــيراتِ
٥١٣ – فكــنْ إلى خيراتــهِ مســارِعًا	ولا تكــنْ لشــرِّه مطاوِعًــا
٥١٤ – وأدِّب الــنفس بحكــمِ الــشرعِ	وربِّهــا إن طمحــتْ بــالمنعِ
٥١٥ – وكــنْ شريــفَ الــنفسِ عــالي الهمَّــةِ	ذا فطنــة تريــك عــين الحكمــةِ
٥١٦ – واجعــلْ كتــاب الله ميــزانَ العمــلْ	والسُّــنةَ الغــراءَ إن خِفــتَ الزلــلْ
٥١٧ – وخــيرُ طاعــاتِ الإلــهِ كلِّهــا	مــن كــلِّ مفــروضٍ ومنــدوبٍ لهــا
٥١٨ – العلــمُ بالتوحيــدِ والعبــادَهْ	وفهــمُ معنــى النطــقِ بالشــهادَهْ
٥١٩ – وبعــدَهُ فالأفضــلُ الصــلاةُ	فَرضًــا ونفــلاً وكــذا الزكــاةُ

٥٢٠ - والصومُ والحجُّ على الأنامِ ... من مستطيعِ الحجِّ والصيامِ
٥٢١ - أحسِنْ إلى اليتيمِ والمسكينِ ... تَرْقَى سما العُليا بهذا الدينِ
٥٢٢ - أعِنْ ضعيفًا ما لَهُ من ناصرِ ... وارحمْ أخًا في الدين غيرَ قادرِ
٥٢٣ - واذكرْ إلهَ العالمين جَهْرا ... فإن خشيتَ سُمعةً فسرّا
٥٢٤ - واخترْ من الأذكارِ ما قد أُثِرا ... عن النبيِّ المصطفَى واشتَهَرا
٥٢٥ - وادعُ لدَى الصباحِ والمساءِ ... بما دعا المختارُ من دعاءِ
٥٢٦ - مُشكلُ مأثورٍ من الأذكار ... أو من دعاءٍ صحَّ في الأخبَارِ
٥٢٧ - فاحرِصْ عليهِ والزمِ المتابعَهْ ... فإنَّها من المزايا النافعَهْ
٥٢٨ - وسِرْ على نهجِ النبي وسيرِه ... ولا تتابعْ مَنْ رَضِي بغيرِهِ
٥٢٩ - فإن ظننتَ مرشدًا سواهُ ... قد اصطفاه اللهُ وارتضاهُ
٥٣٠ - مثالُه هدايةً وعلما ... ورحمةً وعصمةً وحلما
٥٣١ - وناصحًا بالرفق للعباد ... وهاديًا لحاضرٍ وبادِ
٥٣٢ - فقد نبذتَ الحقَّ والصوابا ... والسُّنةَ الغراءَ والكتابا
٥٣٣ - فالمرشدونَ الصادقون الأتقيا ... من اقتفَوْا في الهدي خيرَ الأنبيا
٥٣٤ - يعلِّمون الناس أحكام الهُدى ... وما لهمْ إلا اتباعُ أحمدا
٥٣٥ - قولاً وفعلاً واعتقادًا جاء بِهْ ... وحْيًا وهدْيًا واضحًا لم يشتَبِهْ
٥٣٦ - ومن تراهُ حادَ عن شريعتِهْ ... فقد هَوَى عن دينِهِ ومِلَّتِهْ
٥٣٧ - ومن يفسِّر مُحكمَ الآياتِ ... وهَدْيَ طه أشرفَ الهُداةِ
٥٣٨ - بأيِّ معنى شذَّ عن لفظ العربْ ... فذاكَ ممَّنْ ضلَّ دينا أو كذبْ
٥٣٩ - لأنه بلفظهمْ قد أُنْزِلا ... وكلُّ ما قد قاله خيرُ الملا
٥٤٠ - فلا تُفسِّرْه بغيرِ الظاهرِ ... فاحفظْ وكُنْ لله خيرَ شاكرِ
٥٤١ - قد تَمَّ ما أمليتُه بفضلِهِ ... مُكمَّلاً بحولِهِ وطولِهِ
٥٤٢ - فقد دنتْ قطوفُه للجاني ... نعمَ الغراسُ أثْمرَ المعاني

٥٤٣ - أعيــذُه مــن شرِّ كــلِّ حاســدِ	أو جاحــدٍ للحــقِّ أو معانــدِ
٥٤٤ - أو قائــلٍ بالجهــل قــولَ مُختلِــقْ	أو ذوي هــوىً يريـدُ لا يصـغي لحـقْ
٥٤٥ - يهـدي سـبيلَ الحـقِّ كـلَّ منصـفِ	مــؤتمنٍ خــالٍ عــن التعسُّــفِ
٥٤٦ - فكــلُّ لفــظٍ ظــاهرُ المــرامِ	كأنَّــه في طَــرَفِ الــثُّمامِ
٥٤٧ - فالحمـــدُ لله عـــلى إكمالِـــهِ	شـكرًا عـلى مـا مَـنَّ مِـنْ أفضـالِهِ
٥٤٨ - ثــم الصــلاةُ والســلامُ سَرْمــدا	تَغْشَــى رســولَ الله طــه أحمــدا
٥٤٩ - والآلَ والأصـحابَ أربـابَ الوفـا	وحســبُنا الله تعــالى وكَفَــى

المعنى الإجمالي للمنظومة

فصل في الطريقة والشريعة

يهدي الناظم ﷺ المريد إلى وجوب إتباع طريق الشرع فيقول: بعد ما قدمت من وجوب إتباع السنة وترك الابتداع في الدين اعلم أيها المريد أنه لا طريقة موصلة إلى مرضاة الله ﷻ إلا التي ارتضاها الله تعالى لنا وهي طريق الشرع الذي جاء به محمد ﷺ ولا حقيقة غير ذلك.

وهذه الحقيقة قد أوضحها الله ﷻ في كتابه العزيز أتم إيضاح، وكذلك بيّنها الرسول ﷺ في سنته أكمل بيان.

ثم يبدأ الناظم ﷺ تفنيده لتشقيقات الصوفية لوحدة الدين وتلمسهم الطرق والمسالك والآداب البدعية، فيرجع الفروع من الطرق والمسالك والآداب واجبها ومستحبها كما أرجع الأصل الذي قامت عليه الصوفية– الطريقة – إلى طريق واحد يجب أن يكون السير وفق حدوده وما أمر به، وما رسمه، فلا يُبتدع طرق ومسالك وآداب مخالفة لهديه، وكذلك يجب أن توزن هذه الفروع بميزانه، وتسير على هديه وطريقته.

ثم يتابع الناظم ﷺ تأكيده على وجوب لزوم طريق الشرع في مفردات الطريقة من الأذكار والأوراد والأدعية، وذلك بأن تكون وفق هدي النبي ﷺ، حيث كان هديه ﷺ الذكر بآيات القرآن وسوره، وأسماء الله ﷻ وصفاته.

فالذكر الصحيح هو بما شاءه الله ﷻ ورضيه لنا، وليس بما شئناه نحن وارتضيناه لأنفسنا، أو ارتضاه لنا مشايخ الطرق.

ثم يؤكد الناظم ﷺ ما بدأه من أنه لا يوجد طرق في الإسلام سوى طريق واحد وهو طريق الشرع، ولم يرسل الله ﷻ رسوله محمداً ﷺ بشيء غير الشريعة

المحمدية التي ارتضاها الله لعباده.

ثم يمثّل الناظم ﷺ ببعض المبتدعات الصوفية التي لا يعقل أن يرسل الله ﷻ نبيّه بها ولم يشرعها الله ﷻ ويرضاها لعباده، من رقص وسماع وأصوات منكرة يفعلونها بدعوى أنها تجذبهم إلى الله وتقربهم إليه، حتى إذا رأيتهم تحسبهم سكرى لكن سكرهم هذا بغير مسكر، بل بسبب غلبة السماع والرقص عليهم، أما ذكر الله المشروع فإنه لا يحدث مثل هذه التصرفات الشنيعة.

ومن أفعالهم الشنيعة التي تخالف الشريعة التي ارتضاها الله ﷻ لنا دعاء الأموات جهارًا بصوت شديد كدعاء الدسوقي وأبي الخيرات.

والاستغاثة بهم كالاستغاثة بالرفاعي، وطلب المدد منهم أيضًا كطلبه من عبدالصمد؛ لأنهم من سادات آل البيت.

ثم يعود الناظم ﷺ إلى بيان أخطاء الصوفية في الذكر، ومنها: إحداثهم صيغ للذكر لم ترد عن النبي ﷺ بل هي بسبب أهواء مشايخ الطرق الذين يضفون على أذكارهم المبتدعة الدعاوى العريضة من جلب الخير ودفع الضر والوصول لأعلى المراتب فيصطادون بها الجهال.

وهذه الأذكار المبتدعة تتنافى مع الذكر المشروع.. ذكر الأتقياء الحريصين عن البعد عن كل ما يبغض الله ﷻ من أذكار مبتدعة وغيرها.

وهو كذلك ذكر العارفين بهدي النبي محمد ﷺ في الذكر وغيره، المجانبين لأهل الأهواء في أذكارهم المبتدعة.

ثم يتابع الناظم ﷺ تفنيده لأعمال الصوفية المنافية للشريعة التي ارتضاها الله لنا، فيقف عند الغلو والشطح في مناقب الأولياء وقفة طويلة يؤكد في أولها أنها من الأساس هي مزورة مكذوبة على أصحابها وإنما هي من تلفيق الكتاب المغرضين

الذين ينسجون القصص في مناقب الأولياء.

وكم في هذه المناقب المزعومة والشطحات المخذولة من أقوال لا يمكن تصديقها لأنها تعد نوعاً من أنواع المستحيلات.

ومن ذلك شطح من يقول: إن أحد الأولياء جمع ماء البحر في إبريق، فإن هذه الشطحة بيّن كذبها وليس لها وجه من الصحة لاستحالتها على قدرة البشر.

ومما يدل على كذبها وبطلانها أنه لو صح هذا الخبر لما خفي فقد ماء البحر خاصة وأن السفن كثيرة عليه وعليها الناس، فهل يعقل أن لا يشعر بذلك من أحد، وكيف تسير السفن وليس ثمت ماء.

وإذا خفي هذا الأمر فلا يعقل أن يخفى على ملاّحي السفن والصيادين في البحر، فهم أولى الناس بالعلم في هذا الأمر، ومع ذلك لا علم لديهم بهذه الكرامة.

وكذلك الساكنين في الأمصار قرب البحر المفروض أن يعلموا بهذه الكرامة.

فأي رتبة ومنزلة وصلها الولي تجعل المريد يغلو فيه هذا الغلو، ويدعي له مثل هذه الأكاذيب التي يستحيل تصديقها.

ثم يفنّد الناظم ؒ دعاوى الصوفية التي جعلتهم يغلون ويشطحون في أوليائهم، فيقول: فإن كانت رتبة الولاية هي التي جعلتكم تشطحون في أوليائكم فإن هناك أولياء لله أتقى وأبر من أوليائكم مثل الصحابة وعلى رأسهم أبو بكر الصديق، وعمر الفاروق، وذو النورين عثمان، والهمام البطل الضرغام في الحروب علي بن أبي طالب والستة بعدهم الذين بشرهم رسول الله ﷺ بالجنة، ومن التابعين الذين هم خير الأمة بعد الصحابة وعلى رأسهم الشافعي وبقية الأئمة.

فإن كل هؤلاء صفوة الأتقياء البررة، ما ذكر أن أحدًا منهم يومًا زكى نفسه

وادعى الولاية أو ذكر لنفسه منقبة؛ لعلمهم أن تزكية النفس تخالف أمر الله، ومن يزكي نفسه فقد جانب طريق الرشد.

ثم يهدي الناظم رحمه الله المريد إلى أن كل أولئك السابق ذكرهم من صفوة الأتقياء البررة ما ذكر أن أحدًا منهم يومًا ادعى أو ذكر أنه يحيي الموتى أو يرد الفائت الذي ذهب، أو زعم أنه صلى فوق الماء أو ركب الريح يسير به في الفضاء أو طلعت دابته إلى السماء لمعرفة الغيب، أو وصل إلى عرش الرحمن مفتخرًا بذلك، أو ادعى أنه بنى السماء كما ادعاه الشاطحون في الكرامات والمناقب لأوليائهم.

ثم يتساءل الناظم رحمه الله على سبيل الاستنكار: هل يعقل أن يكون هؤلاء الكذابون المدعون للولاية والكرامات الشاطحون في المناقب المدعون خصائص الربوبية أن يكونوا أفضل من صحابة رسول الله ﷺ وقد شرفهم الله بذلك أو يكونوا أكمل منهم وقد زكاهم رسول الله ﷺ.

بل إن الشطح في المناقب إن كان له ميزة تميّزه فهي أنه ينقص من منزلة المؤمن الرفيعة، فالله عز وجل قد أعطى الناس عقولاً يميزون بها بين الممكن والمحال والشطح كلّه من باب المحال. لذلك يسقط الشاطح من عين السامع بعدما كان في نظره في منزلة رفيعة.

وشطحاتهم هذه وغيرها هي دليل على اتصاف قائلها بأقبح الصفات، ومنها الكبر والتعالي على الخلق والعجب بالنفس الذي أظهره الافتخار بالمناقب.

ثم يتوجه الناظم رحمه الله إلى بيان موقف المؤمنين المخلصين في إيمانهم من هذا الشطح المقيت، حيث يعدونه من المحرمات القبيحة بل من أقبحها؛ لأنه مشتمل على الشرك في الربوبية.

ثم يبيّن الناظم رحمه الله السبب الذي جعل المخلصون من عباد الله تعالى يرون الشطح

من أقبح المناهي؛ لأن فيه ادعاء للكمال، ومن ادعى ذلك فقد عرّض نفسه للنقص والانحطاط، إلا الرب ﷻ فإن له الكمال المطلق الذي يليق بعظمته.

فصل في الذكر المطلوب

يهدي الناظم رحمه الله المريد إلى أهمية الذكر بما أثر عن النبي ﷺ وكونه من أفضل الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى الله عز وجل، ومنزلة الذاكر عند الله عز وجل تعتبر أعلى المنازل.

ويعلل وصول الذكر بالمأثور إلى هذه الدرجة الرفيعة عند الله عز وجل بأنه قد اشتهر العلم من خلال الدليل أن الذكر أعظم النوافل التي رغب الله عز وجل فيها بعد الواجبات.

ثم يوضح الناظم رحمه الله هنا أن أفضل الذكر هو القرآن كلام الله كما صح الخبر في ذلك عن رسول الله ﷺ، وأفضل الذكر بعد القرآن الأذكار التي صحت وثبتت عن رسول الله ﷺ الذي اصطفاه الله عز وجل من بين الخلق فجعله رسولاً، والمبشر العاملين بالأعمال الصالحة الثواب العظيم من الله عز وجل.

ومن الأذكار المأثورة التي ورد فضلها على غيرها من الأذكار الحمد والتسبيح والتكبير كما ورد في الحديث الذي اشتهر ذكره.

ثم يشير الناظم رحمه الله إلى أن هذا الحكم ليس على عمومه، فقول: لا إله إلا الله أفضل الذكر على الإطلاق، ويلحق به الاستغفار، وقول: لاحول ولا قوة إلا بالله، فإن إطلاق فضلهما روي في السنة في أحاديث الفضائل.

ثم يهدي الناظم رحمه الله المريد إلى وجوب ذكر الله عز وجل دائمًا وعدم الغفلة عنه، كذلك وجوب المداومة على الأذكار التي شرعها لنا ووجوب ملازمتها.

وينبهه إلى أمر مهم وهو أن يحرص على استحضار معاني الأذكار؛ لأن ذلك الاستحضار له أعظم الأثر في حصول فتوحات الذكر التي جاء الوعد بها.

أما إذا لم تعرف معنى الذكر أو لم تستحضر معناه ولم يتجاوز اللسان، فإن نصيبك منه لا يتجاوز الألفاظ، أما أثره وثمراته فمعدومة إذا لم تخالط معاني الذكر قلبك،

فيستشعرها ويتأثر بها قبل لسانك.

ثم يبيّن الناظم ﷺ سبب هذا الحكم الذي ذكره، وهو أن الأدعياء من الصوفية الجهلاء بالذكر المثمر المغترين بأذكارهم المبتدعة لا يتجاوز ذكرهم حناجرهم، وحقيقة الأمر أن مقصودهم من الذكر هو التستر به والتضليل على المريدين والجهلاء، لذلك لم يثمر ذكرهم لهم إلا التعب والنصب.

ثم يضرب الناظم ﷺ مثالاً لأثر ذكر من يردد الأذكار بدون حضور قلب ولا استشعار لعظيم معناها، وإنما هدفه الكثرة وطاعة مشايخ الطرق بأثر حب شيء لم تسمع به ولم تعلم عنه شيئاً، فإن كلا الحالين عديم الثمرة والأثر في القلب.

ثم يهدي الناظم ﷺ المريد إلى أمر مهم وهو أنه إضافة إلى عديم ثمرة ذلك الذكر المشتمل على الجهل والغفلة، فإن هذا الذكر لا يُرضي الله عز وجل ولا يحب أهله.

ويصدر الناظم ﷺ الحكم على الذاكرين الذين يرددون الأذكار بطريقة مبتدعة بدون استشعار لمعناها ولا علم بمقتضاها بأنهم غير مأجورين على أذكارهم وحالهم تلك.

ويستثنى من هذا الحكم تالي القرآن، ويؤكد على المريد أن ينتبه لهذا الأمر ولا يشك فيه أو يجادل ويحفظ عنه هذا الحكم.

ثم يوجه الناظم ﷺ المريد إلى أن يذكر الله ﷻ بما شرعه من الألفاظ المفهومة، ويترك الأذكار المبتدعة التي لا يفهم معناها أو بعضها، وأن يعتني بمعرفة المذكور الموحَّد ﷻ من خلال الأذكار المشروعة الدالة على توحيده.

ثم يهدي الناظم ﷺ المريد إلى الحرص على الأذكار المأثورة من الكتاب والسنة، وكذلك الحرص على إيقاعها على الكيفية والصفة التي جاءت عن سيد الخلق محمد ﷺ.

فإن أفضل الأذكار ما جاء في الشرع المحمدي وتلقاه بالقبول والاختيار أهل

السنة المتبعون لسنة الرسول ﷺ.

وذلك أن الذكر بالمأثور معدود من أنواع العبادة بشرط أن يوافق الكيفية والصفة والمقدار الذي أراده الشارع للذكر.

ثم يهدي الناظم رحمه الله المريد إلى مسألة مهمة وهي ضرورة التأدب مع الذكر، وصونه عن الأغراض السيئة، فلا يتستر به لأغراض دنيوية.

كذلك مطابقة اللسان وموافقته لما في القلب، فإن الذكر باللسان والقلب غافل دليل على عدم صدق قائله، وتدليسه على الناس وعقوبة من عقوبات المعاصي والذنوب.

وهذا الذكر الدال على غفلة صاحبه الذي لا يجدي لا يجوز بأي حال؛ لأنه مشتمل على الغفلة واللهو، ولا يدل على تعظيم الله عز وجل وإجلاله.

ثم يهدي الناظم رحمه الله المريد إلى أن يهتم بالعلم الشرعي لكل ما يريد فعله من القرب، سواءً كانت واجبة أم مستحبة.

ومن القرب الأذكار المأثورة فيجب أن يقدم العلم بها على النطق بها.

ثم يبين السبب في وجوب تقديم العلم بالأذكار على النطق بهاأن نطقها بدون علم لمعناها لا يصح مثل ما أنك لا تجد أي ساع في أمر من الأمور وهو جاهل به أنه يُفلح به.

ثم يبيّن الناظم رحمه الله أن الذكر أثر من آثار تمكن الحب في قلب العبد وهو الذي يظهره. حيث أن اللسان حقيقة ما هو إلا مظهر لما في القلب من أمور.

ثم يذكر الناظم رحمه الله أن العلم بصفات المذكور وأفعاله سبب لحبّه، وحقيقة العباد أنهم مشغوفون بذكر من أحبوا، حتى أصبحت هذه الحقيقة مثالاً شائعاً بين كل الناس.

فصل في الغلو المذموم

يردّ الناظم رحمه الله المريد إلى نقطة جامعة وهي: أن جميع الخلق بلا استثناء بما فيهم الأنبياء والأولياء والمشايخ هم عبيد لله داخلون تحت قهره ومشيئته يفعل فيهم ما يريد.

ثم يوجّه فهمه إلى مسألة مهمة، وهي: أن الملك المطلق والأمر المطلق في التصرف في الكون هو لله وحده تعالى، وأن كل اعتقاد غير ذلك من إعطاء هؤلاء المشايخ ملكاً أو أمرًا في الكون هو من المحال في الشرع.

ثم أفاد الناظم رحمه الله المريد علمًا بما أفاد به النبي صلى الله عليه وسلم أمته جميعها في حديث ابن عباس رضي الله عنه المشهور بأن كل الخلق بلا استثناء وفي مقدمتهم الرسل والأنبياء والملائكة والصالحين لا يستطيعون أن يجلبوا النفع لغيرهم أو يدفعوا الضر عنهم إلا بما قدره الله تعالى على الإنسان، وعليه أن يسمع لكلام الرسول صلى الله عليه وسلم ويترك الجدال في دعوى أن للأولياء قدرة على النفع والضر المطلق.

ثم بعد أن بيّن الناظم رحمه الله للمريد في الأبيات السابقة من الفصل حكم الغلو في الصالحين. وبعض صور ذلك، وبيان حالهم أنهم لا يملكون النفع والضر إلا بما قدره الله تعالى، وأن عليه أن يسمع وينقاد لكلام الله عز وجل وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ويترك الجدال والمراء ، استفهم منه على سبيل التعجب والإنكار كيف بعد ما قدمت لك من بيان يسوغ لك أن تدعو أي مخلوق غائب يستحيل أن يسمع دعاءك أو ميت مقبور تحت الأرض يقينًا لن يقدم لك النفع.

ثم نهاه عن ثلاثة أفعال شركية، وهي: الاستغاثة والدعاء والاستعانة بغير الله تعالى، وبيّن أنها محالة لمن فقد أدوات القدرة على الاستجابة وهي سماع المستغاث به،

وأهم من ذلك القدرة على إغاثته بكونه قريب منه حي قادر على إغاثته.

بعد ذلك انتقل الناظم رحمه الله إلى خطوة مهمة وضرورية وهي إزالة الشبهات التي قد علقت بذهن المريد أو علقها مشايخ الطرق بقصد استعباد المريدين.

وبدأها بشبهة حجب الذنب والإساءة لدعائهم وأنه لا بد للعاصي من واسطة نقيّة مهيئة يربط دعاءه بها.

ثم انتقل لتفنيد هذه الشبه بجواب لطيف قريب، حيث دعا المريد العاصي إلى التوبة وبيّن أنه لا مانع منها فباب التوبة مفتوح لجميع العباد، وثمرات التوبة عظيمة ويكفي منها أن الله يغفر لك جميع الذنوب السابقة، أما كون الشيخ واسطة في الدعاء والعبادة فهذا مغالطة للحق حيث لا يعرف أن للشيخ واسطة سوى واسطة التعليم وبلاغ الدين فهي سلسلة من جبريل عليه السلام ثم - محمد صلى الله عليه وسلم - ومنه تعلم الصحابة رضي الله عنهم ومنهم تعلم التابعون وهكذا استمرت واسطة التعليم وبلاغ الرسالة بواسطة مشايخ العلم، أما ما سواه من دعاوى أنهم يتوسطون في مغفرة الذنوب، وجلب النفع ودفع الضر، وغير ذلك فهو من المغالطة التي يجب تركها.

ثم استمر الناظم رحمه الله في الرد على شبهة الواسطة مستفهمًا على وجه الإنكار ومقررًا في نفس الوقت أنه لا يستطيع أحد أن يرد قدر الله عز وجل.

وما دام الأمر كذلك فلا فائدة من واسطته؛ لأن كل الأمور مقدرة، بل إن دعواكم تلك فيها مخالفة لحال الأولياء الصادقين، فإنهم لا يحبون المصرين على الذنوب، وقولكم: إنهم يساعدون العاصين وهم على معاصيهم مصرون، من أعظم الافتراء عليهم والكذب في حقهم، بل دعوى ذلك يعتبر شتم وسبّ للأولياء، بل هؤلاء المصرون على معاصيهم الفسقة هم أبغض الناس عند الأولياء المؤمنين السائرين على الحق.

وكذلك المحرمون عن كل خير بسبب ذنوبهم وشؤمها عليهم، فإن هؤلاء لن تنفعهم واسطة الأولياء ولا أحد يعصمهم من أمر الله إذا قضاه وقدره.

ثم يوضح الناظم رحمه الله السبيل الأمثل للوصول إلى المبتغى إجابة الدعاء وهو التوبة، فإن من يتوب من ذنوبه ويستغفر منها فإنه يصبح مطهر القلب من وسخ الذنوب والمعاصي.

وبعد ذلك لا يقتصر على التوبة فقط، بل لابد من أداء جميع الأوامر التي أمر الله بها من الواجبات يتمثل لذلك بالمستحبات، والانتهاء عن جميع النواهي التي نهى الله عنها من المحرمات، وينتهي كذلك عن المكروهات.

فإذا قام العبد بذلك على خير وجه تولاه الله عز وجل ثم رفعه إلى أعلى المراتب التي يمكن أن يصل إليها العبد وهي مرتبة الولاية، ثم يكون أهلاً لإجابة الدعاء بما يطلبه من أمور الدنيا والآخرة.

ثم يهدي الناظم رحمه الله المريد إلى وجوب العمل بالصالحات ومنها دعاء الله عز وجل والحذر من خديعة مشايخ الطرق بأن الأولياء يهبون الحسنات ويكفرون السيئات، فإن هذا مخالف للشريعة المتفق عليها بين الشرائع السماوية المذكورة في قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾[1].

كذلك يوجه علمه إلى أن الله عز وجل وحده فقط المطّلع على جميع أعمالك لا يعلم عنها لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا ولي محبوب. ولهذا أصلح أعمالك وقوّي فيها آمالك، فإن الله عز وجل قد رتب عليها الثواب والعقاب.

(١) [النجم:٣٩].

ثم يهدي الناظم رحمه الله المريد إلى أهمية التوجه إلى الله عز وجل ومناجاته.

فهي من الأمور المهمة بعد التوبة والقيام بالأعمال الصالحة وخاصة قيام الليل لمناجاة الله عز وجل ودعائه وخاصة عندما تنزل الخطوب والمصائب بالعبد، ويحذره من أن يدعو ويناجي غير الله عز وجل مهما كانت منزلته.

ثم يبين له السبب في التوجه بالدعاء إلى الله عز وجل وحده؛ لأنه لا أحد أعلم بحال العباد منه ولا أحد أرحم بالخلق منه سبحانه وتعالى.

كذلك هو سبحانه وتعالى متصف بالقرب مع علوه سبحانه وتعالى، فإنه أقرب حتى من أعضاء الإنسان بالإنسان كحبل الوريد، وعالم بكل حال يتقلب فيها عباده من عسر ويسر.

وليس أحد سواه سبحانه وتعالى أقرب من الداعي إذا دعاه، وليس لذلك أحد سواه يغفر ذنوب العباد إن هم أذنبوا.

فبعد كل هذا البيان عن صفات الخالق سبحانه وتعالى الدالة على عظيم شأنه أيعجز الله عز وجل عن كفاية عبده في جميع حاجاته، وذلك إذا توجه العبد إليه وحده سبحانه بالدعاء والرجاء.

ثم يتابع الناظم رحمه الله تعجبه واستنكاره من حال هؤلاء الجهال الذين يتوجهون للمخلوقين بالدعاء، فيقول لهم: العجب كل العجب من حالكم أيها الجهّال تتوجهون لهؤلاء المخلوقين الضعفاء بالدعاء ولا تدعون الله عز وجل وحده وهو المتصف بجليل الصفات الدالة على عظيم قدرته وجلالة قدره.

كيف تتوجهون إليهم في كل حاجاتكم من طلب كل ماهو نافع لكم، ودفع ما يضر بكم، ومن ذلك طلبكم منهم الشفاء من الأسقام والأمراض، ورفع الشرور المحدقة بكم.

وحقيقة حال هؤلاء الذين تتوجهون إليهم بالدعاء والرجاء أنهم لا يملكون لأنفسهم شيئًا من جلب نفع، ولا يغنون عنها شيئًا من دفع ضر، ولا يستطيعون إنقاذ أنفسهم من الفقر النازل بهم.

وكذلك من أجهل الجهل أن تتجهون لهؤلاء المخلوقين الضعفاء وتسألونهم الإعانة على قضاء الحوائج ودفع المضار، وتطلبون مددهم، وتسألونهم الهداية والسعادة والرشاد.

ثم تتوجهون للأموات منهم تطلبون مددهم أن ينزلوا بكم اليسر إذا تعسرت أموركم، وأن يقضوا حاجاتكم.

ثم يتابع الناظم رحمه الله هدايته للمريد في وجوب صرف عبادة الدعاء لله عز وجل وحده، فيقول لهم: ألم تعلموا أن الدعاء عبادة لا يجوز صرفها لغير الله لا يشك في ذلك ولا يجادل فيه الذين حققوا الشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدًا رسول الله وامتثلوا لشروطها.

ثم يقرر لهم أن من دعا غير الله كائنًا من كان بأن يعطيه الخير ويجلبه له ويكفيه الشر ويمنعه عنه؛ فإن من فعل ذلك فإنه يعتبر عابداً له من دون الله، يستوي في هذا الحكم الجاهل له والمعاند المكابر الذي يجادل في هذه المسألة.

ثم يتابع الناظم رحمه الله هدايته للمريد، فيقول له: إن هذا الحكم الذي ذكرناه – أن دعاء غير الله شرك – ثبت النهي عنه في كتاب الله عز وجل في أدلة كثيرة متنوعة فيها لمريد الحق والهداية الكفاية.

ويكفيك منها أن الله عز وجل قد جعل الدعاء عبادة كما بيّنا، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم كما في الحديث المشهور عن ابن عباس وجه المسلم إذا أرد أن يستعين على أمر من الأمور أن

يستعين بالله وحده، وإذا أراد أن يسأل حاجة من الحاجات أن يسألها من الله وحده ولا يسألها من أي أحد سواه، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا ولي محبب فضلاً عن غيرهم.

والسبب في ذلك لأن كل من تدعوهم من غير الله غير قادرين على جلب النفع ودفع الضر؛ لأنهم إما غائبين غير حاضرين أو ميتين ساكنين المقابر، وقد انتفت شروط جواز الاستعانة فيما يقدر عليه المخلوق كما بيّنا. وتصرفها لغير الله عزوجل.

وكذلك الرسول ﷺ خير الخلق أجمعين قد بيّن في حديث آخر أن منزلة الدعاء من العبادات منزلة المخ من الجسد، فاعلم واحذر أن تَصرف شيئاً من ذلك لغير الله عزوجل.

فصل في التكييف والتشبيه

إنتقل الناظم ﵀ في هذا الفصل إلى كشف شبهات الأئمة المضلين من مشايخ الطرق، وأرباب المقاصد الدنيئة، والمستخدمين أساليب التضليل والتمويه.

ومن ذلك حثهم المريدين على دعاء الأموات الأولياء على اعتبار أنهم خير واسطة بين هذا المريد المذنب المسيء وبين الله ﷿، كما أن الشخص إذا أراد أمراً من أمور الدنيا من سلطان أو ملك فإنه يتقرَّب إليه من خلال وزيره أو أميره أو حاجبه، فكذلك العبد المسيء المذنب، فإن عليه أن يتقرَّب إلي من خلال هؤلاء الأولياء الأموات فينزل بهم حاجاته وهم يرفعونها إلى الله ﷿.

وهذا التضليل فيه تشبيه للخالق ﷻ المتصف بالرحمة الكاملة الشاملة لجميع عباده في الدنيا محسنهم ومسيئهم بالمخلوق من سلاطين الدنيا وملوكها وتسوية بين الخالق والمخلوق.

كذلك فيه قياس باطل لقيامه على متناقضات لا يجمع بينها وجه شبه، فأين الخالق من المخلوق وأين ملك الله ﷿ من ملك المخلوق وإنكم في تشبيهكم وقياسكم الباطل، هذا قد ملتم عن الطريق الحق الذي أمرنا الله ﷿ به وهو أن نتوجه إليه بالدعاء مباشرة من دون واسطة.

ثم ينقض الناظم ﵀ شبهة الواسطة، فقد اتفق علماء أمة محمد ﷺ على أنها شرك، وصرح الأئمة الأعلام بذلك وكونه من أقبح القول؛ لأن فيه مساواة للخالق بالمخلوق، وهذا شرك صريح وقياس قبيح.

ثم يتابع الناظم ﵀ سوق الردود العقلية القوية الدالة على فساد شبهة الواسطة هذه وبطلان قياسهم في ذلك، فيقول: إن سلاطين الدنيا وملوكها مفتقرون محتاجون

لمن يساعدهم من جند ووزراء وأمراء، فهم عاجزون عن حفظ دولتهم ورعيتهم بدون هؤلاء المساعدين.

إضافة إلى كونهم بدون هؤلاء الأعوان والمساعدين يجهلون أحوال رعيتهم ويجهلون المفاسد التي تضر بالبلاد والمصالح التي تعود عليها بالفائدة.

ثم يقول الناظم ﷺ: مع ما قدمت من بيان فلا يصح بعد ذلك أن يسوّى الخلاّق القديم رب الناس بغيره من المخلوقين من سلاطين وملوك، وحالهم كما بيّنت العجز والنسيان والجهل.

بل بلغ من جهلهم بأحوال أفراد رعيتهم أن يقف الفرد ببابهم ليس بينه وبينهم إلا ساتر من خشب ويطلب مقابلتهم فلا يعلم بهم، ولولا الحجاب على الباب أعلموهم بذلك لما دروا عنهم وعلموا بهم، وقد لا يسمح الحجاب لأفراد الرعية بالدخول فيعود أحدهم منكسراً وقد ضرب إليهم المسافات الطويلة، هذا نقص كبير متصف به المخلوق مع ملكه.

وحقيقة الأمر أن كل سلطان وملك لا يستطيع أن يقوم أمره بدون المساعد والمعين من جند وخدم وغيرهم يعلمونه بما ظهر لهم من حال البلاد والعباد، ثم يساعدونه في جلب المصالح لهم ودرء المفاسد عنهم.

وهو مع جهله وعجزه كذلك هو متصف بالخوف، سواءً على مساعديه الذين يساعدونه من جبات للزكاة وغيرهم أن يسرقوهم اللصوص وقطاع الطرق وإن سلم من ذلك، لم يسلم من الخوف من مساعديه أنفسهم الذين تقوم الأمور على أيديهم أن ينقلبوا عليه فيأخذوا ملكه أو من قومه أن يخلعوا ملكه.

ثم يعود إلى ضرب مثال آخر لجهل هذا المخلوق أنه ينتشر الظلم في مملكته

ويستشري الفساد ولا يستطيع أن يوقف الظالم أو يرد الحق للمظلوم لجهله بهم، والمعلوم من أحوال أعوان الملوك أن الغالب عليهم إخفاء الأمور عن الملك لمصالحهم الشخصية، فلا يقتص من الظالم ولا ينتصف للمظلوم.

فالجهل قد يكون طبيعيًا نظرًا لانشغال الملك بالأمور العامة والمصالح العظمى عن أحوال الأفراد وما يتعرضون له من ظلم وغيره، وقد يكون متعمدًا من قبل المقربين من الملك بسبب المصالح الشخصية.

وأحيانًا قد يرفع أمر الظالم والمظلوم إلى الملك مباشرة فلا يستطيع أن يفصل بينهم وهم أمامه يراهم ويسمع شكاية المظلوم؛ لأنه لم يظهر البيّنة على دعواه، وهذا أيضًا من الجهل، فكيف يسوّى بعد ذلك بالعليم سبحانه.

ثم يعود الناظم رحمه الله إلى ذكر مقالتهم التي بنيت عليها الواسطة في الدعاء وكانت سببًا لتشبيه المخلوق بالخالق.

ومقالتهم تتلخص في كونهم أوحوا إلى الأتباع إضلالاً وتمويهاً أنه لا يُقرّب أحد من العباد إلى الله إلا بكم، ومن كان قريبًا منكم لأنكم أقرب الخلق إلى الله فأنتم مثل الحجاب للملوك، وفيكم فقط تفتح الأبواب أبواب: الرزق والشفاء والفلاح والنجاح وغيرها من أمور الدنيا والدين، ومن خصائصكم أنكم تبلغون الله حاجات من أحببتم وتمنعون عن تبليغ الله حاجات من أبغضتم.

وهذا الذي زعمتم هو تنقّص لكمال علم الله عز وجل، فإن لازم زعمكم هذا أن الله عز وجل لا يدري من يتوب من عباده ولا من يرجع ويؤوب راجيًا باب فضله وكرمه واقفًا به، ولا من يناديه صادقًا بالتوبة وطلب الإعانة معتمدًا عليه في كشف كربه.

ثم ينزه الناظم الرب سبحانه وتعالى عما زعموا وقالوا، فإنه سبحانه وتعالى متصف بصفات الكمال الدالة

على عظيم ملكه، وأنه غير محتاج إلى مخلوق لا حاجب يُبلّغه حاجات عباده، فهو سبحانه الصمد الذي تصمد الخلائق إليه بفطرتهم في طلب حوائجهم ودفع كرباتهم، وهو ﷻ قريب من عباده أقرب إلى أحدنا من شراك نعله، وهو ﷻ عدل لا يظلم عنده أحد، ومن عدله أن لا يترك حاجات عباده إلى أحد من خلقه، قد ينسى أو يحابي فيقدم ويؤخر. وهو سبحانه عليم بأحوال عباده من يتوب ومن يؤوب ومن يتوجه إليه بصدق في الدعاء، وهو سبحانه سميع للدعاء عباده لا تختلط عليه الأصوات ولا يخف عليه صوت وإن دق، وهو سبحانه مجيب لدعوة الداع إذا دعاه.

ثم يتوجه الناظم رحمه الله بالنقيض إلى الطرف المقابل مدعي الولاية الذين أوهموا الأتباع أنهم بهم تفتح الأبواب، فيقول لهم بعدما سمعتم من عظيم صفات الله عز وجل التي تدل على قربه من عباده واطلاعه على أحوالهم.

فأخبرونا من الذي بعد ذلك حقيقة له معين من وزير وحاجب، إنه أنتم التي علامتكم البارزة السبحة والعمامة التي حرصتم عليها مع الشهرة المبنية على الباطل تجعلون هذه المظاهر الكذابة وسيلة للاستعلاء على الأتباع الجهلاء الذين تغرهم تلك المظاهر الكذابة والشهرة الزائفة، بل وتجعلون لكم منزلة لا يبلغها أحد خاصة بكم من بين الناس ينادونكم بها، حتى إذا أطلقت – الولاية – لا تتوجه القلوب والأنظار إلا إليكم من بين جميع الخلق.

ثم يتابع الناظم رحمه الله نقضه لمدعي الشهرة من مشايخ الطرق الزاعمين أنهم الأولياء الذين تفتح بهم أبواب الدعاء.

فيقول لهم: إن تزعمون أن الذي أوصلكم إلى هذه المرتبة العالية وجعلكم علامة بارزة بين الخلق هي دعوى الولاية لأنكم أولى بها فأنتم مجمع الفضائل والسجايا الكريمة حتى صرتم أهلها، ومحل لعناية الله ونظره نظرًا لما تتمتعون به من خصائص

ومميزات.

فإن هذا الوصف - الولاية - لا ينطبق عليكم وقد تركتم تقوى الله وراء ظهوركم، إنما الأحق به هم الأتقياء من المؤمنين الملازمين لهذه العبادة الجليلة أيًّا كانت منزلتهم عند الناس، وهذا ما جاء به القرآن الكريم، فقد وصف الله عز وجل الأولياء بأنهم ملازمون للتقوى.

ثم يتابع الناظم رحمه الله نقض شبه المضلّين من مشايخ الطرق التي تناسب أهواءهم المبنية على العقائد الباطلة للمتكلمين وغيرهم، ومن ذلك أنهم قالوا: وكما أن أفعال الله عز وجل لا تعلل بالحكم والغايات، فكذلك أفعال الولي وإن رأيتها في ظاهرها منكرة إلا أنها عين الحكمة، وقصدهم أن لا تنكر أيها المريد على معصية الولي.

كذلك يتابع الناظم رحمه الله نقض شبه المضلين من مشايخ الطرق في طلب الدعاء من الأولياء، فيبين أن هداية التوفيق والإلهام التي زعمتموها للأولياء داخلة مع الإضلال في أفعال الله عز وجل، فهي من خصائص أفعاله تبارك وتعالى لا يملكها الأولياء وغيرهم، فمن شاء سبحانه أضله ومن شاء هداه، وإنما عليكم هداية الإرشاد والدلالة للعاصين، وهي كفيلة بإذن الله أن توصل الداعين لمرادهم من النجاح في الدنيا والنجاة في الآخرة.

ثم يقول الناظم رحمه الله: إن من الإرشاد والدلالة طلب الدعاء من الصالحين من أولياء وغيرهم وليس دعاؤهم من دون الله، فدعاؤهم بسبب إيمانهم وأعمالهم الصالحة أقرب للإجابة من دعاء المسلم الغافل العاصي اللاهي وراء شهواته.

ومع ذلك لا نستطيع الجزم أن دعاء الأولياء لغيرهم ودعاء الإنسان لنفسه سيستجاب فوراً لمسألته فإنه قد يشاء الله أن لا يستجب لمسألته بل يدخر له الأجر في

الآخرة. وإن شاء دفع عنه بلاء آخر لا يعلمه لولا هذا الدعاء لنزل به، فكان جزاء هذا الدعاء رفع البلاء البعيد وليس القريب.

فصل في حكم رفع القبور وبناء القباب عليها

يوجه الناظم ﷺ مسامع المسلمين إلى حديث سيد الخلق محمد ﷺ الذي رواه أبو الهيَاج الأسدي عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه بعث عليًا رضي الله عنه وأمره بطمس التماثيل وتسوية كل القبور المرتفعة عن الأرض.

كذلك يوجه الناظم رحمه الله مسامع المسلمين إلى حديث الرسول ﷺ الذي ورد عنه بسند قوي مثل الأول، لكنه من طريق آخر أنه ﷺ لعن الذين يبنون القباب أو المساجد على القبور عامة أو المشاهد.

وكذلك لعن رسول الله ﷺ كل من اتخذ السرج على القبور وزائرات القبور من النساء على وجه الخصوص. فالحذر من المجادلة بالباطل في هذه الأمور المنكرة.

ولا لأحد بعد هذه الأحاديث القويّة الصريحة في اللعن من عذر في فعلها أو تجاوزها.

ثم يتابع الناظم رحمه الله بيان الأمور المنكرة عند القبور، فيذكر منها جعل أستار عليها مصنوعة من شتى المنسوجات الفاخرة من صوف وديباج وحرير.

كذلك تشاهد الأعلام والرايات التي تحمل العبارات المنكرة ترفرف على القبور.

ثم يتساءل الناظم رحمه الله على وجه الإنكار من هذا الذي أباح لهم فعل هذه الأمور المنكرة وقلبها وجعلها مباحة وهي محظورة قد نهى عنها الرسول المصطفى ﷺ، ولا أدلّ على قبحها من لعنه ﷺ لفاعلها كما هو معروف من سنته.

ثم يبيّن الناظم رحمه الله للمريد الأسباب التي تجعل هذه الأفعال منكرة، غير نهيه ولعنه ﷺ لفاعلها.

فيذكر منها: تدنيس قبور المؤمنين أولياء الله، وكم حُكي من هذا التدنيس الشيء

الكثير، وهم يزعمون بأفعالهم هذه تعظيم الأولياء، ولاشك أن أولياء الله وعباده المؤمنين من أهل القبور أبرياء من هذه الأفعال الشنيعة المنكرة ولا حيلة لهم في دفعها؛ لأن من أبرز صفات أولياء الله الإتباع لسبيل وسنة خير خلق الله محمد ﷺ والسير على نهجه سيرًا محمودًا يحمده الناس عليهم ويرضاه الله عز وجل عنهم، وعليهم منّا الترضّي وأطيب التحايا. وهم في جميع عباداتهم قد أحسنوا الأدب مع الشرع، لذلك نحن نحبهم ونجلّهم ونرى ذلك واجباً علينا.

ثم يهدي الناظم رحمه الله المريد إلى أن من مقتضيات حب أولياء الله أن نجلّهم ونرفع قدرهم عن تجويز مثل هذه القبائح المنكرة أو الرضا بها، ولا نصدق في ذلك الكذابين المزورين على أولياء الله الجواز والرضا عن هذه القبائح غير المرضية. وكذلك لا نصدّق المتكسبين من الزيارات المنكرة المتخذين منها سوقًا وتجارة، غير مبالين بما يحدث في هذه الاجتماعات من أمور منكرة وما جمعته من فاعلين للمنكر.

ثم يتوقع الناظم رحمه الله أنه لو قُدّر أن يقوم صاحب القبر من قبره ويرى الزوار حوله وهم مجتمعون على الفساد والإفساد والبدع والمنكرات لفرّ من قبره من هول ما يرى من فساد ومنكرات وشرك وبدع.

فكم حوت هذه الاجتماعات من منكرات كثيرة، منها: شرب الخمر والقمار الواضح البيّن والغناء المحرم بآلات الموسيقى كالضرب بالعود، وكذلك رقص المردان وأفعال قبيحة تتصل بهم وبالنساء حول المكان. وكذلك اختلاط الرجال بالنساء وتلاصق أجسادهم من شدة الزحام.

ولا يسع كل حرّ غيور على دينه إلا أن يذوب قلبه من هذه المنكرات، وقد أضحت هذه الاجتماعات والمنكرات مصيبة على كل مسلم في دينه.

ثم يتساءل الناظم ﷺ مرة أخرى على وجه الإنكار عن الذي أباح لهم هذه المنهيات وهذه المنكرات التي قد ظهر فسادها؟

ثم يوجه المريدين إلى أن ينزهوا القبور من هذه السفاهات والمنكرات، ولا يزوروها على هذه الصفة من الزيارة الشركية أو البدعية، وكذلك نهاهم عن فعل أي شيء منكر محرم عند قبر أي مسلم، سواء كان وليًا أو لم يكن.

ثم وجه أنظارهم إلى الزيارة المرضية عند الله وعند أولياء الله، وهي ما بينتها السنة المشرقة الواضحة من السلام على أصحاب القبور والدعاء لهم، وزادته هذه الزيارة اعتبارًا بحال هؤلاء الموتى المقبورين ومآلهم.

ثم يهدي الناظم ﷺ المريد إلى خطر هؤلاء المشايخ الطرقيين، ويبيّن أنهم سبب الضرر الحاصل على الإسلام، واصفًا إياهم بأخطر صفاتهم البارزة: التغرير بالناس الجهال بالأوهام الزائفة.

ثم يصرح الناظم بهؤلاء المفسدين للدين ويبيّن مكان تواجدهم عاكفين عند المشاهد المكذوبة فضائلها يصطادون الجاهلين مزورين لها بالفضائل ولأصحابها بالمكارم.

مستخدمين في ذلك التزوير زخرف القول وأحلاه، والكذب والافتراء وقلب الحقائق، فيُقبل الناس على تلك المقامات والمشاهد ويعظمون أصحابها ويغلون فيهم وينزلونهم أعلى المنازل.

ثم يتابع الناظم ﷺ بيان ضرر هؤلاء المفسدين، فيقول: ومن ضررهم أيضًا على الإسلام وأهله أنهم يحلون الحرام البيّن الواضح غير مبالين ولا خائفين من عذاب يوم القيامة وأهواله.

ومن ذلك أنهم أجازوا للناس أكل تراب قبر الولي وزعموا له من الخصائص أنه يشفي من جميع الأمراض، فأقبل الزوار على أكل تراب القبور المعظمة طلبًا للشفاء.

والحال والمآل أن ذلك المسكين المغرر به قد زاد على سقمه سقمًا وعلى مرضه مرضًا بسبب المرض أولاً، والمرض الحاصل بسبب أكله تراب القبر ثانيًا.

ثم يتابع الناظم بيان الأمور التي أحلوها وهي حرام فيقول إن منها: استحبابهم الطواف بالمشاهد والقبور واستلامها باليد وتقبيلها بالفم؛ معتمدين في ذلك على قياس استحباب استلام الحجر الأسود وتقبيله، وليس للقياس هنا وجه معتبر، وذلك لأن تقبيل الحجر الأسود عبادة يرضاها الله عز وجل وشرعها وأرادها؛ لأن هذا الحجر له من المزايا ما ليس لغيره من الأحجار التي توضع فوق القبور، ويكفيه في ذلك أنه في ركن أعظم بيت وأعلاه مكانةً على وجه الأرض، وتقبيله كما هو معلوم للأمة التي تشهد لمحمد ﷺ بالرسالة يعد عبادة نتعبد الله عز وجل بها.

ويكفي الأمر فيه سموًا ومكانة أن البيت الذي فيه الحجر هو بيت الله وليس لميت من موتى البشر.

ومن الأمور التي أحلوها واستحبوها أيضاً عند زيارة القبور: استصحاب الشموع وسائر أنواع الطيب من دهن وبخور.

ثم يقول الناظم: ولو قدّر لك أن تسمع زوّار القبور وهم يدعون المقبورين متوجهين لهم بنيّة صادقة، وناعتيهم بأحسن الألقاب وداعينهم المدد على عجل والجود على كل الزائرين بتحقيق المطالب؛ لأصابتك الحسرة على الإسلام، ولاحترق قلب المتقي مما يرى من الشركيات والبدع والمنكرات.

ثم يتوجه الناظم رحمه الله للعلماء ورثة النبي محمد ﷺ مستنكرًا عليهم سكوتهم عن هذه المنكرات التي تفشت وظهرت وعدم إنكارهم على أصحابها.

ثم يدعوهم إلى بيان المعروف من الزيارة المشروعة والنهي عن الزيارة الشركية الممنوعة.

ثم يعود الناظم رحمه الله إلى بيان أحد المنكرات التي تفشّت وأصبحت ظاهرة عند كثير من الأتباع الذين لا يخشون من الحلف بالله وهم كاذبون غير خائفين من عقابه، وذلك أنه لو دعي أحدهم إلى أن يحلف بصاحب المقام والمزار كاذبًا فإنه يخاف من ذلك أشد من خوفه من خالق هؤلاء المخلوقين.

ثم يوضح الناظم رحمه الله للمريد أن هذه الأفعال السابقة لا تجوز من المنتسبين إلى الإسلام ولا يقرها ذوي العقول بل عدها الشرع شركًا واضحًا، ويتعيّن على من يقدر منع هذه الأفعال..

ثم يتحوّل الناظم رحمه الله إلى بيان سبب فساد عقائد العوام وأنه نتيجة التضليل وإيهامهم بكرامات أصحاب المشاهد والقبور وفضل زيارتهم لها من قِبل مشايخ الطرق مستخدمين في ذلك التضليل والإيهام أساليب الدس.

ويصف هؤلاء المشايخ بالمكر والخداع والغواية والجهل، ويعزوهم إلى الطرق المشهورة بالتصوّف المخالفة للشريعة التي قد طهرها الله عز وجل من كل إصر وأغلال.

كذلك يصف الناظم المآل الذي صار إليه الأتباع، فيقول: فتابع العباد أولئك المضلين فانتشر الضلال والميل عن الشريعة، وذلك بسبب الجهل بأحكامها.

ثم يعزو الناظم رحمه الله أسباب شقاء الشعوب المسلمة وعدم رقيّهم وتقدمهم إلى سببين رئيسيين هما: الجهل بأحكام الشرع المطهر والأوهام التي يعيشون فيها، لذلك لم يصلوا إلى المراتب العالية، وحالهم كما ترى قد ساد فيهم الجاهل على جميع الملأ.

ويتابع الناظم رحمه الله وصف حال الأتباع فيذكر أنهم جهلوا عين الشريعة ومنبعها

الصافي ووقعوا في فخ الغرور من قبل مشايخ الطرق ومزقوهم أشتاتًا، كل فئة من الناس تتبع طريقة معينة ومشايخ معينين. فاقتسموهم بينهم في التبع مثل ما يقتسم الناس أقواتهم من الطعام.

ثم يصف حال مشايخ الطرق المتعصبين لطريقتهم والساخطين على غيرهم من المنافسين لهم بالمشيخة أو المشابهين لهم بالمنزلة من مشايخ الطرق الأخرى، كذلك الاختلاف عليهم في الأقوال والأفعال والإنكار لطريقتهم.

وقد ملأ الحسد قلوبهم، ونصبوا للناس فخاخهم في كل البلدان لاستمالتهم لطريقتهم بكل الوسائل، واصطيادهم كما تصطاد الحيوانات بالفخاخ، موهمين للناس أنهم زاهدين متواضعين من خلال لباسهم فقط والحقيقة غير ذلك.

وكذلك أغلقوا وحاربوا كل علم نافع يهدي إلى الصراط المستقيم أو يبصر الناس بسبيل هؤلاء المضلين، وبسبب ذلك التجهيل ضاعت الأمة.

ثم يتوجه الناظم رحمه الله إلى ولاة أمر المسلمين في كل البلدان ناصحًا لهم ومبينًا أنهم قد قصروا في هداية العوام ووصل التقصير إلى حد الإهمال، وبسبب ذلك الإهمال انتشر الإلحاد في الدين والفساد بشتى صوره، والجهل والضلال عن الشرع والعناد عن قبول الحق أو ترك الباطل.

ومذكرًا لهم بالمسؤولية التي سوف يسأل عن رعيتها هل نصح فيها وصدق أو أنه خان فيها وغش. ناصحاً لهم كذلك بأن يتقوا الله في هذه المسؤولية ولا يراعون أحدًا قد حاد عن الطريق المستقيم على حساب الدين.

وأن يصدعوا بالحق ويعاقبوا أهل الضلال والبدع، وهم الذين يزيدون في دين الله غير ما شرعه ويخالفون سنة نبيه ﷺ.

ويهدوا الجهال من العوام ويبينوا لهم الطريق برفق وينفوا دعاة البدع الزائفين عن الطريق المستقيم الضالين عنه.

خاتمة في التصوف المحمود

يهدي الناظم رحمه الله المريدين إلى أسباب تزكية النفوس التي يدعونها أو ينشدونها داعياً لهم بالهداية من الله العلي في شأنه ومكانته.

مبينًا لهم أهمية أن ملازمة العبادة التي يرضاها الله عز وجل في كل وقت بقصد التقرّب من الله بصالح الأعمال ابتغاء رضاه تبارك وتعالى هو أو لأمر يجب أن يعلموه ويطلبوه للوصول إلى مبتغاهم.

ثم يهدي الناظم المريد إلى وجوب تقديم العلم على أي عمل حتى يكون العمل صوابًا وفق الشرع، سالمًا من أي مخالفة له.

وأول ما يجب تعلمه الطهارة من كل حدث وقذر، كذلك العلم بكل مفروض ومسنون لكل عبادة تُعد من أصول الدين، وكذلك العلم بالمحرمات والمكروهات حتى يجتنبها وينزه نفسه عنها.

ثم وضح لهم أهمية التعلّم والحاجة إليه في كسب العلم، كذلك أثر العلم في تصفية القلوب من الذنوب.

ثم يبيّن الناظم للمريد أنه إذا زكى القلب من أدرانه، وأصبح الفرد عارفًا لعيوبه التي تبعده عن ربه وعباداته التي تقربه منه، وثبت على الابتعاد عن المحرمات والمكروهات حتى تعافى قلبه من أدرانه، عند ذلك ولأجل ما ذكرنا من أسباب يصبح الصفا الذي يجده الفرد في قلبه هو سبب التسمية والإطلاق على الشخص بأنه صوفي.

ثم يعود الناظم إلى بيان الأسباب المؤدية إلى زكاة النفس وصفائها، وأولها ملازمة العبادة وهي سبب ارتقاء العبد أعلى درجات ومراتب الإيمان الموصل للسعادة.

ثم يتابع الناظم رحمه الله بيان الأسباب المؤدية إلى زكاة النفس وصفائها، فيذكر منها

دوام معاتبة النفس على تقصيرها في العبادة أو ارتكابها الخطأ، كذلك مجانبة هوى النفس والابتعاد عنه، كذلك دوام مراقبة الله عز وجل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصيحة خشية لله وإن لامه اللّوام فإنه لا يخشى فيه أحدًا.

كذلك قول الحق والصدق وعدم الكذب والزهد في كل ما ترغبه النفس، كذلك التأدب بآداب الشريعة، والعمل بالسنة ذات المكانة السامية.

ثم يعود الناظم ويؤكد على السبب الأول من أسباب تزكية النفس وهو ملازمة العبادة، فيهدي المريد إلى أهمية إشغال جميع الأوقات بطاعة الله عز وجل على قدر الاستطاعة، كذلك الاشتغال بذكر الله والصلاة وغيرها من الطاعات، مع متابعة هدي النبي صلى الله عليه وسلم فيها، وهدي السلف الصالح.

كذلك ملازمة تلاوة القرآن أثناء الصلاة في أغلب الأوقات؛ لأن التلاوة مع الصلاة أفضل من التلاوة مفردة، وأجرها كذلك من غير شك أفضل.

ثم يهدي الناظم رحمه الله المريد إلى الاهتمام بأذكار اليوم والليلة، وكل وقت ذكره أهم من غيره من العبادات، وإن كانت فاضلة عليه بدون جدال. ومثاله: إجابة المؤذن والدعاء بعد الأذان أولى وأهم من الصلاة وتلاوة القرآن، فانتبه لذلك ولأهمية هذه الأذكار في وقتها.

كذلك التسبيح والتحميد والتكبير بعد الصلاة المفروضة، فقد ثبت أفضليتهما من غير شك في ذلك.

ثم يتابع الناظم بيان أفضلية الذكر ويذكر أن أفضل الذكر على الإطلاق التهليل، وذلك متفق عليه عند العلماء.

ثم يحث الناظم على الاستغفار وسؤال الله عز وجل الرضا، ويحذر من الاعتراض على

قضاء الله وقدره.

كذلك يحث الناظم على المداومة على الاستغفار وقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فإن لهذه الكلمة شأن في بلوغ الخيرات.

ثم يحث الناظم ﷺ المريد على الانتباه لشأن الخواطر ووجوب ردها إلى الشرع لمعرفة حسنها من قبحها، ويقول له إذا علمت أنها من الخواطر المنهية التي يغوي بها الشيطان فيجب عليك تركها بدون تردد؛ لأن مصدرها الشيطان بدون شك، وإن كانت هذه الخواطر تدعو إلى الطاعات فاعلم أنها إلهام من الله يحض على فعل الخيرات.

ثم يدعو الناظم المريد إلى المسارعة إلى الخيرات وعدم الانقياد إلى شرور النفس وأهوائها ومطاوعتها في ذلك.

ثم يحث الناظم المريد على الاهتمام بآداب الشرع وحمل النفس عليها، ومنعها من الانسياق وراء أهوائها وشهواتها، والتطلّع إلى معالي الأمور، لافتًا الانتباه إلى أهمية الفطنة ودورها في الوصول إلى حقائق الأمور.

كما يهدي الناظم المريد إلى لزوم كتاب الله وسنة رسوله وجعله المرجع في كل أمر حتى ينجو المسلم من الوقوع في البدع والمعاصي وغيرها.

ثم يبيّن الناظم ﷺ للمريد أفضل الطاعات التي عليه أن يلزمها من فروض ومستحبات، وهي العلم بتوحيد رب العالمين وعبادته وفهم حقيقة معنى شهادة أن لا إله إلا الله، وبعد ذلك في الأفضلية الصلاة المفروضة والنافلة ثم الزكاة والصوم والحج على المستطيع.

ثم يهدي الناظم ﷺ المريد إلى أهمية الإحسان إلى اليتامى والمساكين ودورهما في رقي النفس وزكاتها.

كذلك يهديه إلى أهمية إعانة الضعفاء الذين ليس لهم معين ولا ناصر، والرحمة بإخوانه المسلمين العاجزين.

ثم يهدي الناظم رحمه الله المريد إلى أهمية الذكر، وأن الأصل فيه أن يكون جهرًا إلا إذا خشي السمعة فالإسرار به أفضل. وأن يختار من الأذكار ما أثر عن النبي ﷺ واشتهر في كتب الحديث وكتب الأذكار.

وأن يواظب على أذكار الصباح والمساء الواردة عن النبي المختار ﷺ المأثورة عنه الصحيحة.

كذلك يهدي الناظم المريد إلى الحرص على الأذكار الثابتة عن النبي ﷺ، وأن يلزم متابعة النبي ﷺ فإن تلك المتابعة مزية يتميز بها المسلم، وهي في الوقت نفسه نافعة له في دنياه وآخرته.

ثم يهدي الناظم رحمه الله المريد إلى الحرص على السير على هدي وسيرة النبي ﷺ ولا يتّبع أئمة الطرق الذين رضوا بغير هدي النبي ﷺ.

وكذلك يحذره من أن يظن أن هناك أحداً مثل الرسول ﷺ وهو الذي اصطفاه الله وارتضاه لإرشاد الناس أو أن أحدًا يماثله في الحرص على هداية الخلق وفي العلم بدين الله وبطرق الهداية وفي الرحمة بالخلق عمومًا وبالجاهل خصوصًا، ومع ذلك زاد عن غيره من المرشدين بالعصمة عن الزلل، كذلك هو ﷺ متصف بالحلم، وهو الناصح للعباد بالرفق واللين والهادي لجميع الناس دون استثناء حاضرهم وباديهم.

ثم يبين له عاقبة ظنّه المنحرف هذا وهو أنك إن فعلت ذلك وظننت هذا الظن فإنك حينئذ قد تركت الحق والصواب والكتاب والسنة، والتمست الهدي من غير مظانه.

ثم يوضح الناظم ﷺ للمريد أن المرشدين الحقيقيين الصادقين في إرشادهم هم من اتبعوا خير الأنبياء محمد ﷺ في هديه في الإرشاد، ويحرصون على تعليم الناس أحكام الشرع وهدي النبي ﷺ.

ومن صفاتهم كذلك: اتباع الرسول ﷺ في كل ما يقولونه ويفعلونه، واعتقاد ما جاء به القرآن والسنة الواضحة الغير مشتبهة.

ثم يوضح الناظم ﷺ للمريد بعض صفات مشايخ الطرق الذين ضلّوا طريق الشرع الذي سنه النبي ﷺ وبسبب ضلالهم عن الشرع فإنهم قد تركوا الدين وملّة المسلمين.

فتراهم يفسرون الآيات المحكمة من كتاب الله والسنة الواضحة من هدي رسول الله ﷺ أشرف الهادين إلى دين الله بمعانٍ شاذة عن مدلولاتها في اللغة العربية لغة القرآن والسنة، وهذا فعل الضالين عن دين الله الكذابين على كتابه وسنة رسوله ﷺ.

ثم يبين له السبب في وجوب تفسير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لأن القرآن قد نزل بها والرسول ﷺ خاطب العرب بلغتهم.

ثم يحذره أن يفسره بغير الظاهر من لغة العرب، ويحفظ وصيته هذه ويشكر الله أن هداه للسنة وهدي السلف.

ثم يختم الناظم ﷺ المنظومة بإسناد الفضل والمنة والقدرة على إكمالها إلى الله ﷻ، ويبشر المريد بأن ثمرات المنظومةقد قربت من مريديها الحريصين على قطفها. فهي نعم الغراس لاتباعها هدي النبي ﷺ قد أثمرت نعم المعاني المقتفية للسنة.

ثم يستعيذ بالله ﷻ أن يعيذ قوله في هذه المنظومة من شر الحاسدين للسنة ومن المنكرين للحق ومن المعادين أهله، ومن الجاهلين الذين يُضلون الناس بغير علم، ومن المفترين على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ التفاسير المختلفة، ومن أهل الأهواء

والبدع الذين لا يريدون الحق ولا يلتفتون إليه بأسمائهم.

ثم يؤكد الناظم ﵀ ما بدأه بأن قوله هذا في المنظومة يهدي إلى طريق الحق وهو التوحيد والسنة، وذلك لمن نظر إليه بإنصاف وعدل وتحلّى بالأمانة وابتعد عن رد الحق ولوي عنقه، واصفًا ألفاظه بالوضوح والقرب، مشبهًا إياه بالزرع القريب قطفه.

ثم يختم الناظم ﵀ المنظومة مرة ثانية بإسناد الحمد لله على إكمالها وشكره على ما منَّ عليه من فضل في إملائها وتقريب ألفاظها ومعانيها، ثم كذلك يزيّنها بالصلاة والسلام الدائمين الواصلين إلى رسوله محمد ﷺ في قبره، وكذلك على آل محمد وأصحابه الأوفياء.

ثم يتوكل على الله في كفايته مما استعاذ به من المعارضين لقوله، وهو سبحانه حسيبه وكافيه.

فصل في الطريقة والشريعة

(مجمل ما عرضه الفصل)

وضع الناظم رحمه الله هذا الفصل لبيان ضلال الصوفية في تقسيمهم الدين إلى طريقة وشريعة، أوحقيقة وشريعة، والرد عليهم في ذلك. فأكد فيه الناظم رحمه الله على أنه لا يوجد طريق موصل إلى مرضاة الله عز وجل إلا الذي ارتضاه الله لنا، وهو طريق الشرع الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم .

ثم أوجب الناظم رحمه الله دخول كل الطرق - بما فيها من سلوك وآداب وأذكار وأوراد وأدعية- تحت هذا الطريق (الشرع) ،ثم ذكر بعض عقائد وسلوكيات الطرق الصوفية المخالفة لشريعة محمد صلى الله عليه وسلم مثل السماع والرقص وما يشتملان عليه من بدع وأصوات منكرة وحركات مستقبحة، ، وبيّن أنه لا يمكن حصول الثمرة المدعاة من أذكارهم وهي مبتدعة والقلوب مشتملة على الغفلة واللهو،ثم تحوّل إلى مسألة دعاء الأموات وضرب أمثلة عليها .

ثم انتقل إلى بيان أهم أسباب ضلال هؤلاء المبتدعة، فبدأها بالغلو والشطح في مناقب[1] أوليائهم، فذكر أمثلة كثيرة عليها ثم ردّ عليهم، وفند شبهات هؤلاء الغالين في ذلك من دعوى الولاية وزكاة النفس، معتمدًا في ذلك على منهج أصيل وهو الوقوف عند هدي السلف وخيرهم الصحابة رضي الله عنهم الذين لم يزكّيوا أنفسهم.

ثم ختم الفصل في بيان أسباب هذا الغلو عند الصوفية، مبيّناً في الوقت نفسه موقف المؤمنين المتبعين من هذا الغلو وذمهم له.

---

(١) جمع مَنْقَبَة . ومناقب الإنسان: ما عرف به من الخصال الحميدة والأخلاق النبيلة. انظر: تهذيب اللغة (٥/ ١١٧).

قوله: فصلٌ في الطريقة والشريعة.

قال الكفوي[1]: «الفصل فصله فصلاً ميّزه... وفي الاصطلاح: علامة تفريق بين البحثين، وقيل: هو القول الواضح البيّن الذي ينفصل به المراد عن غيره والحاجز بين شيئين، فكان ينبغي أن يوصل بـ(بين) إلا أن المصنفين يجرونه مجرى الباب فيصلونه بـ(في) وحينئذ يكون بالتنوين... وهو طائفة من المسائل تغيرت أحكامها بالنسبة إلى ما قبلها غير مترجمة بالكتاب والباب، وقد يستعمل كل من الفصل والباب مكان الآخر وقد يكتفى بالفصول والكل علم جنس، والفقهاء يذكرون الكتاب في مقام الجنس، والباب في موضع النوع، والفصل في مرتبة الصنف... ومن حق الفصل أن لا يقع إلا بين معرفتين»[2].

والطريقة في اللغة: تطلق على المذهب والحال.

قال ابن منظور[3]: «طريقة الرجل مذهبه. يقال: ما زال فلان على طريقة واحدة، أي: حالة واحدة»[4].

وهي عند الصوفية: «السيرة المختصة بالسالكين إلى الله تعالى، من قطع المنازل

---

(١) هو: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء: صاحب الكليات. كان من قضاة الأحناف.عاش وولي القضاء في (كفه) بتركيا، وبالقدس، وببغداد.وعاد إلى استانبول فتوفي بها، ودفن في تربة خالد.وله كتب أخرى بالتركية، توفي سنة (١٠٩٤م). أنظر:إيضاح المكنون ، إسماعيل باشا البغدادي(٢/ ٣٨٠)، الأعلام ، الزركلي (٢/ ٣٨).

(٢) الكليّات، أبو البقاء الكفوي، (١/ ١٠٨٨). الفروق اللغوية، القرافي، (١/ ٤٤٦).

(٣) هو محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري الأفريقي المصري، أبو الفضل، صاحب لسان العرب في اللغة، ولد سنة ٦٣٠ هـ، وتوفي سنة ٧١١ هـ. انظر ترجمته في بغية الوعاة ، السيوطي (١/ ٢٤٨).

(٤) لسان العرب، ابن منظور، ١٠/ ٢٢١ مادة (طرق).

والترقي في المقامات»[(١)].

وقيل هي: «مجموعة القواعد والرسوم التي يضعها المشايخ لبلوغ المريدين الغاية من التصوف»[(٢)].

وكانت الطريقة في بداية الأمر تعني: الالتفاف على شيخ معين والأخذ بطريقته في العبادة. وبسبب هذا الالتفاف حصل للصوفية شيء من التميّز عن جمهور المسلمين[(٣)].

إلا أن هذا المعنى للطريقة قد تحول بعد القرن السادس إلى طرق لها زي خاص، وأوراد خاصة، وزوايا[(٤)] خاصة، وأضرحة خاصة، وبيعة في أعناق أتباعها، وموالد معينة، وغير ذلك من البدع المحدثة في الدين[(٥)].

قال ابن الجوزي رحمه الله ملخصاً نشأة التصوف ومبيناً أطواره: "كانت النسبة في زمن رسول الله ﷺ إلى الإيمان والإسلام، فيقال مسلم ومؤمن، ثم حدث اسم زاهد وعابد، ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد، فتخلوا عن الدنيا وانقطعوا إلى العبادة واتخذوا في ذلك طريقة تفردوا بها وأخلاقاً تخلقوا بها ...

وهذا الاسم ظهر للقوم قبل سنة مائتين، ولما أظهره أوائلهم تكلموا فيه وعبروا عن صفته بعبارات كثيرة، وحاصلها أن التصوف عندهم: رياضة النفس

---

(١) معجم اصطلاحات الصوفية، الكاشاني(ص: ٨٥).

(٢) المعجم الصوفي ، عبدالمنعم حنفي(ص:١٥٨)

(٣) الطرق الصوفية نشأتها وآثارها، البراك (ص: ٧).

(٤) جمع زاوية: وهي المكان الذي يخصصه الشيخ للعبادة ويختلي فيه ويأتيه، فيه بعض مريديه وطلابه. أنظر: المعجم الصوفي (ص: ١١٢).

(٥) الطرق الصوفية (ص: ٨).

ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرذيلة وحمله على الأخلاق الجميلة، من الزهد والحلم والصبر والإخلاص والصدق، إلى غير ذلك من الخصال الحسنة التي تكسب المدائح في الدنيا والثواب في الأخرى.

وعلى هذا كان أوائل القوم، فلبس إبليس عليهم في أشياء، ثم لبس على من بعدهم من تابعيهم، فكلما مضى قرن زاد طمعه في القرن الثاني، فزاد تلبيسه عليهم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن.

وكان أصل تلبيسه عليهم أنه صدهم عن العلم وأراهم أن المقصود العمل، فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا في الظلمات، فمنهم من أراه أن المقصود من ذلك ترك الدنيا في الجملة، فرفضوا ما يصلح أبدانهم، وشبهوا المال بالعقارب، ونسوا أنه خلق للمصالح، وبالغوا في الحمل على النفوس حتى إنه كان فيهم من لا يضطجع، وهؤلاء كانت مقاصدهم حسنة غير أنهم على غير الجادة، وفيهم من كان لقلة علمه يعمل بما يقع إليه من الأحاديث الموضوعة وهو لا يدري .

ثم جاء أقوام فتكلموا لهم في الجوع والفقر والوساوس والخطرات وصنفوا في ذلك، وجاء آخرون فهذبوا مذهب التصوف وأفردوه بصفات ميزوه بها من الاختصاص بالمرقّعة والسماع والوجد والرقص والتصفيق، وتميزوا بزيادة النظافة والطهارة، ثم ما زال الأمر ينمي، والأشياخ يضعون لهم أوضاعاً ويتكلمون بواقعاتهم، ويتفق بعدهم عن العلماء، لا بل رؤيتهم ما هم فيه أولى العلوم حتى سموه العلم الباطن وجعلوا علم الشريعة العلم الظاهر، ومنهم من خرج به الجوع إلى الخيالات الفاسدة فادعى عشق الحق والهيمان فيه فكأنهم تخايلوا شخصاً مستحسن الصورة فهاموا به، وهؤلاء بين الكفر والبدعة ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق ففسدت عقائدهم، فمن هؤلاء من

قال بالحلول، ومنهم من قال بالاتحاد، وما زال إبليس يخبطهم بفنون البدع حتى جعلوا لأنفسهم سنناً "[1].

واستدلوا على ضرورة التمسك بها بحديث مكذوب ذكره ابن عربي[2] في فتوحاته يقول فيه:«...إن عليًا أمير المؤمنين دخل على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، دلني على أقرب الطرق وأفضلها. فقال رسول الله ﷺ: عليك يا علي، بما نلت ببركة النبوة. فقال علي: ما هذا يا رسول الله!قال ﷺ: ذكر الله تعالى.. قال علي: يا رسول الله، هكذا فضيلة الذكر وكل الناس ذاكرون. قال رسول الله ﷺ: مه يا علي، لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول: الله. الله، ثم قال: أحصيت، يا علي، حتى أنا أقوله ثلاث مرات وأنت تسمع مني، فإذا أمسكت فقل: أنت حتى أنا أسمع منك»[3].

ولا شك أن هذا كذب، فالحديث لا أصل له في كتاب من كتب السنة المعتبرة،ولم أعثر عليه في كتب السنة ، وهو يخالف ما ثبت عن النبي ﷺ من أنه خص أهل البيت لا عليًا ولا غيره بذكر خاص أو بعلم خاص امتثالًا لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ

---

(1) تلبيس إبليس (ص ١٩٩-٢٠٣) باختصار.

(٢) هو محيي الدين محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي، المعروف بابن عربي، والملقب عند الصوفية بالشيخ الأكبر، فيلسوف صوفي من أئمة المتكلمين، ولد بمرسية سنة (٥٦٠هـ)، ثم رحلت أسرته إلى إشبيلية، وفيها أخذ عن ابن بشكوال، وأبي بكر محمد بن خلف الإشبيلي، وأبي الحسن الرعيني، وابن زرقون، وغيرهم من أقطاب التصوف، ثم تنقل ابن عربي بين البلدان في الغرب والشرق حتى استقر في دمشق، وفيها توفي سنة (٦٣٨هـ). انظر: الطبقات الكبرى (١/ ١٦٣). لسان الميزان (٥/ ٣١١-٣١٥). شذرات الذهب (٥/ ١٩٠-٢٠٢). سير الأعلام (٢٣/ ٤٨). الأعلام (٧/ ١٧٠-١٧١).

(٣) الفتوحات المكية، ابن عربي، (٢/ ٧٥).

أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾[1].

قال علي رضي الله عنه: [والذي خلق الحبة، وبرأ النسمة، لم يخصنا رسول الله ﷺ بشيء من العلم إلا كتاب الله، وهذه الصحيفة، وأخرجها، وإذا فيها: العقل، وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر][2].

ومن أهم أسباب نشأة هذه الطرق[3]:

١- دخول العنصر الباطني الفارسي وغيره في التصوف، مما ساهم في الفرقة والشذوذ عن جماعة المسلمين.

٢- انتشار البدع، ومجالسة أهل الأهواء ومخالطتهم.

٣- عدم الاكتفاء بالكتاب والسنة وما جاء عن السلف، والاعتماد على المصادر الباطلة في التلقي، مثل التلقي عن أهل الكتاب والاعتماد على الأحاديث الموضوعة والرؤى والأحلام والمنامات.

٤- الجهل بمذهب السلف، وباللغة العربية، وبمقاصد الشريعة.

٥- اتباع الهوى.

٦- الجدال والمراء والخصومة في الدين.

---

(١) [المائدة:٦٧].

(٢) البخاري (١/ ٥٣، ح١١١). النسائي (٨/ ٢٣، ح٤٧٤٤). الترمذي (٤/ ٢٤ ح١٤١٢). الدارمي (٢/ ٢٤٩ ح٢٣٥٦). الشافعي (١/ ١٩٠). الطحاوي في "شرح معاني الآثار" (٣/ ١٩٢). عبد الرزاق (١٠/ ١٠٠). ابن أبي شيبة (٥/ ٤٠٩). والطيالسي (١/ ١٥ ح٩١). والحميدي (١/ ٢٣ ح٤٠). وأبي يعلى (١/ ٣٥٠ ح٤٥١). وأحمد (١/ ٧٩). والطبراني في "الأوسط" (٢/ ٣٣٩، ٣/ ٨١). وابن ماجه (٢/ ٨٨٧ ح٢٦٥٨) من طريق أبي جحيفة أنه سأل علي رضي الله عنه.

(٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (١٢/ ٨٧). درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، (٨/ ٣١٣-٣١٤).

٧- حب الشهرة والجاه والطمع المادي في الثراء.

وتشترك الطرق الصوفية في الأصول مثل تعظيم القبور والأضرحة، وتقديس الأولياء، بينما الاختلاف في المظاهر والطقوس مثل طريقة الأذكار وعددها والزي[١] الذي يرتديه أتباع كل طريقة، وأشخاص شيوخها[٢].

ويمثل القرن السادس الهجري البداية الفعلية للطرق الصوفية وانتشارها، ثم تتابعت البدع في القرن السابع وما بعده، فأصبح من شروط السالك في أي طريقة صوفية التزام البيعة لشيخ الطريقة أو أحد خلفائه[٣].

أمّا الشريعة في اللغة: فهي مورد[٤] الشاربة، ولا تسميها العرب شريعةً حتى يكون الماء عِدًّا، لا انقطاع له، ويكون ظاهرًا مَعِينًا، وقد شرع لهم، يشرع شرعاً: أي سن[٥].

وهي في اصطلاح علماء الشريعة: «كل ما شرعه الله من العقائد والأعمال»[٦].

و الصوفية يقصرونها على الأحكام العملية التكليفية، ويقابلون بها الحقيقة، وجعلوها للعوام، والحقيقة للخواص، وقللوا من شأنها، وعادوا علماءها وسموهم أهل الظاهر.

يقول ابن عجيبة[٧]: "فعلم الشريعة ظاهر، وعلم الطريقة باطن، وعلم الحقيقة

(١) الزِّيُّ: الهيئةُ والمنظر. و الزِّيُّ اللِّباسُ. انظر: المعجم الوسيط (١/ ١٣٦).

(٢) الطرق الصوفية، البراك (ص: ١١).

(٣) المرجع السابق (ص: ١٢).

(٤) موضع ورود الماء. انظر: لسان العرب (ورد) (١٤/ ١١٢).

(٥) لسان العرب، ابن منظور، (٨/ ١٧٥).

(٦) مجموع الفتاوى (١٩/ ٣٠٦). جامع أحكام القرآن، القرطبي، (١٦/ ١٠٩).

(٧) هو أحمد بن محمد المهدي بن عجيبه، صوفي من أهل المغرب، له كتب كثيرة في التصوف منها:

باطن الباطن" [(١)].

ويقول أيضًا محذراً من الجلوس مع علماء الشريعة والاستماع إليهم: «الجلوس معهم اليوم أقبح من سبعين عاماً غافلاً وجاهلاً؛ لأنهم لا يعرفون إلا ظاهر الشريعة، ويرون من خالفهم في هذا الظاهر خاطئ أو ضال، فيجهدون في رد من خالفهم، يعتقدون أنهم ينصحون وهم يغشون. فليحذر المريد من صحبتهم والقرب منهم ما استطاع، فإن توقف في مسألة ولم يجد من يسأل عنها من أهل الباطن فليسأله على حذر ويكون معه كالجالس مع العقرب والحية، والله ما رأيت أحداً قط من الفقراء قرب منهم فأفلح أبداً في طريق الخصوص» [(٢)].

ويقول القشيري[(٣)]: «الشريعة قيام بها أمر والحقيقة شهود لما قضى وقدر وأخفى وأظهر»[(٤)].

ويقول أيضاً: «ويقبح بالمريد أن ينتسب إلى مذهب من مذاهب من ليس من هذه الطريقة وليس انتساب الصوفي إلى مذهب من مذاهب المختلفين سوى طريقة الصوفية إلا نتيجة جهلهم بمذاهب أهل هذه الطريقة، فإن هؤلاء حججهم في

الفتوحات الإلهية، وإيقاظ الهمم، توفي عام (١٢٢٤هـ). انظر: جمهرة الأولياء، المنوفي (١/ ٢٣٤).

(١) الفتوحات الإلهية، ابن عجيبة، (ص٣٣٣).

(٢) إيقاظ الهمم، ابن عجيبة الحسني، (ص ٩٧).

(٣) هو عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك بن طلحة بن محمد القشيري الشافعي، الصوفي المفسر، ولد سنة ٣٧٥هـ، سمع الحديث وتفقه، وهو من رؤوس المتصوفة، وله فيهم تصانيف؛ منها: الرسالة في التصوف تكلم فيها عن رجال التصوف وأخرقهم وترجم لكثير منهم، ولطائف الإشارات، توفي سنة ٤٦٥هـ. انظر: تاريخ بغداد (١١/ ٨٣). وفيات الأعيان (٣/ ٢٠٥). سير الأعلام (١٨/ ٢٢٧-٢٣٣).

(٤) الرسالة، القشيري، (ص: ١١٨).

مسائلهم أظهر من حجج كل أحد، وقواعد مذاهبهم أقوى من قواعد كل مذهب، والناس إما أصحاب النقل والأثر وإما أرباب العقل والفكر، وشيوخ هذه الطائفة ارتقوا عن هذه الجملة، فالذي للناس غيب فهو لهم ظهور، والذي للخلق من المعارف مقصود فلهم من الحق سبحانه موجود فهم من أهل الوصال والناس أهل الاستدلال»[1].

وهدف الصوفية من هذا الفصل إسقاط التكاليف عن أنفسهم الخائرة، فمن كان منهم يدرك مقاصد الأحكام فقد وصل إلى الحقيقة، ومن وصل للحقيقة فقد سقطت عنه التكاليف الشرعية.

يقول إبراهيم الدسوقي[2]: «العارف[3] ليس عليه تكليف»[4].

ويقول عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «كثير من هؤلاء يخرجون عن ربقة العبودية مطلقاً؛ بل يزعمون سقوط بعض الواجبات عنهم، أو حل بعض المحرمات لهم، فمنهم من يزعم أنه سقطت عنه الصلوات الخمس لوصوله إلى المقصود، وربما قد يزعم سقوطها عنه إذا كان في حال مشاهدة وحضور، وقد يزعمون سقوط الجماعات عنهم استغناء عنها، بما فيه من التوجه والحضور، ومنهم من يزعم سقوط الحج عنه مع قدرته عليه؛ لأن الكعبة تطوف به، أو لغير هذا من الحالات الشيطانية،

---

(١) المرجع السابق (ص: ١٨٠).

(٢) هو إبراهيم ابن أبي المجد الدسوقي، صوفي كبير من أهل دسوق بغربية مصر، تفقه على مذهب الشافعي ثم اقتفى آثار القوم وكثر مريدوه الذين نقلوا عنه كلاماً كثيراً على طريقة القوم، فيه الكثير مما لا معنى له. ولد سنة (٦٣٣هـ) وتوفي (٦٧٦هـ). انظر: الأعلام (١/ ٥٩).

(٣) (العارف) : من أشهده الرب عليه فظهرت الأحوال على نفسه . انظر: معجم ألفاظ الصوفية (ص: ٤٦٣).

(٤) طبقات الأولياء، المناوي، (٢/ ١١٦).

ومنهم من يفطر في رمضان لغير عذر شرعي زعماً منه استغناءه عن الصيام، ومنهم من يستحل الخمر زعماً منه أنها تحرم على العامة الذين إذا شربوها تخاصموا وتضاربوا دون الخاصة من العقلاء، ويزعمون أنها تحرم على العامة الذين ليس لهم أعمال صالحة، فأما أهل النفوس الزكية والأعمال الصالحة فتباح لهم دون العامة»(١).

وأهل السنة يرون هذا الفصل والتقسيم باطل وتجزئة للدين وهروب عن التكاليف، واتباع للأهواء.

فقد سأل رجل مالكا(٢) رحمه الله عن شيء من علم الباطن فغضب وقال : إن علم الباطن لا يعرفه إلا من عرف الظاهر فإنه متى عرفه وعمل به فتح الله علم الباطن ولا يكون ذاك إلا مع فتح القلب وتنويره ثم قال للرجل : عليك بالدين المحض وإياك وبنيات الطرق وعليك بما تعرف واترك ما لا تعرف ".(٣)

ويقول شيخ الإسلام رحمه الله: «فالشريعة التي جعله عليها تتضمن ما أمر به، وكل حب وذوق(٤) ووجد لا تشهد له هذه الشريعة فهو من أهواء الذين لا يعلمون، فإن العلم

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٤٠٣).

(٢) هو: مالك بن أنس الأصبحي، إمام دار الهجرة، إليه ينتسب المالكية، محدث فقيه حافظ حجة. قال عنه الشافعي: مالك حجة الله تعالى على خلقه بعد التابعين، صنف كتاب الموطأ في الحديث، وتوفي سنة ١٧٩هـ. أنظر: سير أعلام النبلاء" ٨/ ٤٨.

(٣) مواهب الجليل في شرح مختصر خليل ، محمد بن محمد بن عبد الرحمن (الحطاب) ١/ ٣٦.

(٤) قال ابن عربي: «اعلم أن الذوق عند القوم أول مبادئ التجلي، وهو حال يفجأ العبد في قلبه، فإن أقام نفسين فصاعداً كان شرباً، وهل بعد هذا الشرب رِيٌّ أم لا، فذوقهم في ذلك مختلف» اهـ. وقال الكاشاني: «هو أول درجات شهود الحق بالحق في أثناء البوارق المتوالية عند أدنى لبث من التجلي البرقي، فإذا زاد وبلغ أوسط مقام الشهود سمي مشرباً، فإذا بلغ النهاية يسمى: ريّاً، وذلك بحسب صفاء السر عن لحوظ الغير» اهـ. وقال السهروردي: «فالذوق إيمان، والشرب علم، والري حال، فالذوق لأرباب البوارق» اهـ. وقال الجرجاني: «الذوق في معرفة الله: عبارة عن نور عرفاني يقذفه الحق

بما يحبه الله إنما هو ما أنزله الله إلى عباده من هداه ....فكل من اتبع ذوقا أو وجدا بغير هدى من الله سواء كان ذلك عن حب أو بغض، فليس لأحد أن يتبع ما يحبه فيأمر به ويتخذه ديناً، وينهى عما يبغضه ويذمه، ويتخذ ذلك دينا إلا بهدى من الله، وهو شريعة الله التي جعل عليها رسوله، ومن اتبع ما يهواه حباً وبغضاً بغير الشريعة فقد اتبع هواه بغير هدى من الله»[1].

ويقول ابن الجوزي ﵀: «... وهذا قبيح لأن الشريعة ما وضعه الحق لصالح الخلق، فما الحقيقة بعدها سوى ما وقع في النفوس من إلقاء الشياطين»[2].

ويقول ابن القيم ﵀: «وتقسيم بعضهم طرق الحكم إلى شريعة وسياسة كتقسيم غيرهم الدين إلى شريعة وحقيقة، وكتقسيم آخرين الدين إلى عقل ونقل، وكل ذلك تقسيم باطل»[3].

وقال ابن عقيل[4] ﵀ : «لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام[5]، عدلوا عن

بتجليه في قلوب أوليائه يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره. انظر: الفتوحات المكية، لابن عربي (٢/ ٥٤٨). معجم اصطلاحات الصوفية، للكاشاني (ص: ١٨١، ٣٢٣). عوارف المعارف (ص: ٣٦٩). التعريفات للجرجاني (ص: ١٤٤).

(١) الاستقامة (ص: ٢٥٣).

(٢) تلبس إبليس، ابن الجوزي، (ص: ٣٣٧).

(٣) بدائع الفوائد، ابن القيم، (٤/ ١٤٧).

(٤) هو علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي أبو الوفاء، فقيه، أصولي، الفقيه الحنبلي الأصولي المتكلم، عالم العراق، وشيخ الحنابلة في وقته، في كلامه ميل إلى كلام المعتزلة وتأويل لبعض الصفات، قال شيخ الإسلام عنه: «وكان الأشعري أقرب إلى مذهب أحمد وأهل السنة من كثير من المتأخرين المنتسبين إلى أحمد الذين مالوا إلى بعض كلام المعتزلة كابن عقيل.. » اهـ، له كتاب الفنون أزيد من أربعمائة مجلد، طبع منه جزءان، توفي سنة (٥١٣هـ). انظر: سير الأعلام (١٩/ ٤٤٣). البداية والنهاية (١٢/ ١٨٤). شذرات الذهب (٤/ ٣٥).

(٥) الطغام: هم أوغاد الناس ورذالهم وصغارهم. انظر: المخصص (٣/ ٩٥).

أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم، فسهلت عليهم»[1].

ثم إن اعتقاد سقوط التكاليف عن الخواص من هؤلاء وغيرهم هو باب فتحته الزنادقة لهم و كفر وردة عن الإسلام.

يقول الشاطبي رحمه الله:" كثيرا يتوهمون أن الصوفية أبيح لهم أشياء لم تبح لغيرهم ؛ لأنهم ترقوا عن رتبة العوام المنهمكين في الشهوات إلى رتبة الملائكة الذين سلبوا الاتصاف بطلبها والميل إليها ؛ فاستجازوا لمن ارتسم في طريقتهم إباحة بعض الممنوعات في الشرع بناء على اختصاصهم عن الجمهور ؛ كما أن من الفلاسفة المتسبين إلى الإسلام من استباح شرب الخمر بناء على قصد التداوي بها ، واستجلاب النشاط في الطاعة ، لا على قصد التلهي ، وهذا باب فتحته الزنادقة بقولهم : إن التكليف خاص بالعوام ساقط عن الخواص ". [2]

ويقول شيخ الإسلام رحمه الله: «ومن اعتقد أنها – أي: الصلاة – تسقط عن بعض الشيوخ العارفين والمكاشفين والواصلين.. أو أن لله رجالاً خواصًا؛ لا يحتاجون إلى متابعة محمد ﷺ، بل استغنوا عنه كما استغنى الخضر عن موسى.. فهو كافر مرتد عن الإسلام، باتفاق أئمة الإسلام، ولو كان في نفسه زاهدًا عابدًا»[3].

---

(١)الفنون ، ابن عقيل،(٢/ ٢٨٣).

(٢). الموافقات ٢/ ٤١٤.

(٣) الفتاوى، (١٠/ ٤٣٣).

ويقول الشنقيطي رحمه الله [1] :" وبذلك تعلم أن ما يدعيه كثير من الجهلة المدعين من أن لهم ولأشياخهم طريقًا باطنة توافق الحق عند الله ولو كانت مخالفة لظاهر الشرع، كمخالفة ما فعله الخضر لظاهر العلم الذي عند موسى زندقة وذريعة إلى الانحلال بالكلية من دين الإسلام، بدعوى أن الحق فيه أمور باطنة تخالف ظاهره"[٢].

والبحث عن طريقة غير طريق الشرع اتباع للهوى، فليس ثمَّ إلا طريقان: إما طريق الشرع، وإما طريق الهوى، يقول الله عز وجل: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾[٣].

ويقول ابن رجب[٤] رحمه الله: «وكذلك البدع تنشأ من تقديم الهوى على الشرع ولهذا يسمّى أهلها أهل الأهواء، ومن كان حبّه وبغضه وعطاؤه ومنعه لهوى نفسه كان ذلك نقصاً في إيمانه الواجب، فيجب عليه حينئذ التّوبة من ذلك، والرّجوع إلى اتّباع ما جاء

---

(١) هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني، الشيخ العالم، المفسر، الفاضل، ولد سنة ١٣٢٥ هـ، وتوفي سنة ١٣٩٣ هـ. انظر ترجمته في مشاهير علماء نجد وغيرهم لعبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ(ص:٥١٧-٥٢٠).

(٢)أضواء البيان: ج٤ ص١٥٨.

(٣) [القصص:٥٠].

(٤) هو الإمام الحافظ عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السلامي البغدادي ثم الدمشقي، أبو الفرج، زين الدين الحنبلي، حافظ للحديث، من الفقهاء المحققين، ومن أئمة أهل السنة، ولد في بغداد، ونشأ وتوفي في دمشق، له مؤلفات كثيرة منها: (جامع العلوم والحكم) في الحديث، وهو المعروف بشرح الأربعين، و (فضائل الشام)، (لطائف المعارف)، (فتح الباري، شرح صحيح البخاري)، توفي رحمه الله سنة: ٧٩٥ هـ. انظر: الأعلام (٣/ ٢٩٥).

به الرّسول ﷺ من تقديم محبّة اللهّ ورسوله وما فيه رضا اللهّ ورسوله على هوى النّفس ومراداتها كلّها»[1].

والوقوف عند طريق الشرع في تزكية النفس كفيل بالوصول بها إلى أعلى المنازل إن كانوا صادقين، أمّا من يريد الوصول إلى غير ذلك من المآرب فلعلمهم أن طريق الشرع لن يوصلهم إلى مرادهم، لذلك ابتدعوا هذه الطرق الضالة، أو لجهلهم بطريق الشرع الموصل إلى التزكية لذلك حادوا عنه وذهبوا في كل واد يلتمسون الطرق والمسالك.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وما ثمّ طريق لخاصة ولا لعامة ولا فيها ترق من منزل إلى منزل، كما قال أعلم الخلق بالله وبطريق الله فيما يروي عن الله: «ما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه»[2]، والتقرب هو الترقي، فما في أولياء الله إلا ترق متقرب إليه؛ إما بالفرائض وإما بالنوافل بعد الفرائض، ومن لم يتقرب إليه لا بفريضة ولا نافلة فليس من أولياء الله، بل من أعدائه، فضلاً عن أن يكون من خواص الأولياء»[3].

وقال ابن قدامة[4] رحمه الله: «ومن طلب الوصول إلى الله سبحانه من غير طريق رسول الله ﷺ وسنته فهو بعيد من الوصول إلى المراد»[5].

---

(١) جامع العلوم والحكم، (ص: ٣٦٦، ٣٦٧) بتصرف يسير جداً.

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٢١٠، ح٦٥٠).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٤٣٦).

(٤) هو: عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، ثم الدمشقي الجماعيلي، أبو محمد، موفق الدين، فقيه من أكابر الحنابلة، صنف المغني، والكافي، والمقنع، وروضة الناظر وغيرها، وتوفي في دمشق سنة ٦٢٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٢/ ١٦٥). شذرات الذهب (٥/ ٨٨).

(٥) ذمّ ما عليه مدعو التصوف، (ص ٦-٧).

وعليه لابد من لزوم سنة النبي ﷺ وشريعته فيها، لأنها شرع من عند الله تعالى، فلا يجوز التقرب إلى الله بتشريع شيء لم يشرعه الله تعالى، وإلا كان هذا اعتداءً على حق الله تعالى في التشريع، ومنازعة لله تعالى في حكمه، وقد قال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾[1].

قال السعدي[2] رحمه الله في تفسير هذه الآية ﴿ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ ﴾ : «من الشرك والبدع وتحريم ما أحل الله، وتحليل ما حرم الله، ونحو ذلك مما اقتضته أهواؤهم مع أن الدين لا يكون إلا ما شرعه الله تعالى، ليدين به العباد ويتقربوا به إليه. فالأصل الحجر على كل أحد أن يشرع شيئاً ما جاء عن الله ولا عن رسوله...»[3].

---

(١) [الشورى:٢١].

(٢) هو عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي الناصري التميمي الحنبلي، العلامة، الورع، الزاهد، تذكرة السلف، من شيوخه: إبراهيم بن حمد، ومحمد بن عبد الكريم الشبل، وصالح بن عثمان، وغيرهم، ومن تلاميذه: الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام، والشيخ محمد بن صالح العثيمين، والشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل، وخلق كثير، ومن مؤلفاته: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، والقواعد الحسان، وإرشاد أولي الأبصار، وغيرها، ولد سنة ١٣٠٧ هـ، وتوفي سنة ١٣٧٦ . انظر ترجمته في مشاهير علماء نجد وغيرهم (ص:٣٩٢-٣٩٧).

(٣) انظر: تفسير السعدي (ص: ٧٥٧).

فصل في الطريقة والشريعة

٢٥٦- وبعدُ فاعلم أنما الطريقَهْ هيَ طريقُ الشرعِ في الحقيقهْ
٢٥٧- كما أبانَ اللهُ في كتابِهِ وبيَّنَ الرسولُ في خطابِهِ

قوله: وبعد. الواو عاطفة، وبعد ظرف زمان مبني على الضم مقطوع عن الإضافة، والأصل وبعد ذلك، وهو اختصار جاء على وجه التفنن والتنوع في القول، ومجيء الفاء بعده واجب (١).

والمعنى: وبعد ما قدمت من البيان فإن كذا وكذا.

ومن هنا يبدأ الناظم رحمه الله هداية المريد من أتباع الطرق الصوفية إلى طريق التوحيد والسنة، فبعد بيانه لمهمات العقيدة من وجوب التمسك بالتوحيد والسنة وترك الشرك والبدعة، انتقل إلى مراده من نظم المنظومة وهو نصح أهل بلده ومن على شاكلتهم من أتباع الطرق الصوفية المبتدعة، يعلمهم أنه لا يوجد طريق أمرنا الله باتباعه سوى الطريق الذي جاء به محمد ﷺ وهو ما بيّنه الله عز وجل في كتابه وما وضحه الرسول ﷺ في سنته.

ويدل على ذلك قوله:

نصحت من في الله قد آخانا فيه وأوضحت له البيانا(٢)

قوله: فاعلم. العلم هو: إدراك الشيء على حقيقته، وقيل هو: الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، وقيل هو: صفة راسخة تدرك بها الكليات والجزئيات(٣).

---

(١) شرح ابن عقيل (٢/ ٦٨-٧١). فتح الباري، ابن حجر، (٢/ ٥٢٠).

(٢) البيت رقم (١٣) من المنظومة.

(٣) التعريفات، الجرجاني، (١/ ١٩٩).

ومن أعظم أبواب العلم، العلم بسبيل أهل الباطل لاجتنابه والتحذير منه. قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾[١].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: [ينقض الإسلام عروة[٢] عروة، إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية][٣].

وهو من منهج السلف رحمهم الله، فعن حذيفة[٤] رضي الله عنه قال: [كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني][٥].

ويثني ابن القيم رحمه الله على العالمين بسبيل أهل الحق وسبل أهل الباطل، وبيّن أن الله عز وجل يحب معرفة هذه السبل ليتبع الحق ويجتنب الباطل .

يقول رحمه الله: «فالعالمون بالله وكتابه ودينه عرفوا سبيل المؤمنين معرفة تفصيلية، وسبيل المجرمين معرفة تفصيلية، فاستبانت لهم السبيلان كما يستبين للسالك الطريق الموصل إلى مقصوده والطريق الموصل إلى الهلكة؛ فهؤلاء أعلم الخلق وأنفعهم للناس وأنصحهم لهم، وهم الأَدِلاَّءُ الهداةُ".[٦]

---

(١) [الأنعام:٥٥].

(٢) العروة من الدَّلْو أَو الكوز: مقبضُه، و العُرْوَةُ ما يُستَمسك به ويعتصمُ. انظر: الصحاح (٣/ ٣١٣).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٦ / ٤١٠) وابن سعد في الطبقات (٦ / ١٢٩) والحاكم في المستدرك (٤ / ٤٧٥) وصححه، والبيهقي في الشعب (٦ / ٦٩) وأبو نعيم في الحلية (٧ / ٢٤٣) كلهم من طريق شبيب بن غرقدة عن المستظل بن حصين البارقي ، قال عنه ابن سعد : ثقةٌ قليل الحديث .وذكره العجلي في الثقات (رقم "١٥٥٨") وابن حبان (٥ / ٤٦٢) .

(٤) هو حذيفة بن اليمان العبسي، أبو عبد الله، من كبار أصحاب رسول الله ﷺ، صاحب سر رسول الله ﷺ، توفي سنة ٣٦ هـ. انظر ترجمته في الاستيعاب (ص:١٣٨). والإصابة (١/ ٣٣٢-٣٣٣).

(٥) صحيح البخاري (٣/ ١٣١٩، ح٣٤١١). وصحيح مسلم (٣/ ١٤٧٥، ح١٨٤٧).

(٦) الفوائد، ابن القيم، (ص:٧٠).

ويقول ﵀:"فمَن لم يعرف سبيل المجرمين ولم تستبن له أوشك أن يظن في بعض سبيلهم أنها من سبيل المؤمنين، كما وقع في هذه الأمة من أمور كثيرة في باب الاعتقاد والعلم والعمل، وهي من سبيل المجرمين والكفار وأعداء الرسل، أدخلها من لم يعرف أنها من سبيلهم في سبيل المؤمنين، ودعا إليها، وكفَّر مَن خالفها، واستحلَّ منه ما حرَّمه الله ورسوله؛ كما وقع لأكثر أهل البدع".(١)

ويقول كذلك﵀:"والنَّاس في هذا الموضع أربعُ فرقٍ:

الفرقة الأولى: مَن استبان له سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين على التفصيل علماً وعملاً، وهؤلاء أعلم الخلق.

الفرقة الثانية: مَن عَمِيَت عنه السبيلانِ من أشباه الأنعام. وهؤلاء بسبيل المجرمين أحضَر ولها أسلَك.

الفرقة الثالثة: مَن صَرَفَ عنايته إلى معرفة سبيل المؤمنين دون ضدِّها، فهو يعرف ضدّها من حيث الجملة ، وأن كل ما خالف سبيل المؤمنين فهو باطل وإن لم يتصوَّره على التفصيل، بل إذا سمع شيئا مما خالف سبيل المؤمنين صرف سمعه عنه ولم يشغل نفسه بفهمه ومعرفة وجه بطلانه، و هو بمنزلة من سلمت نفسه من إرادة الشهوات فلم تخطر بقلبه ولم تَدْعُه إليها نفسه، بخلاف الفرقة الأولى، فإنهم يعرفونها وتميل إليها نفوسهم ويجاهدونها على تركها لله.

الفرقة الرابعة: فرقة عرفت سبيل الشر والبدع والكفر مفصلة، وسبيل المؤمنين مجملة، و هذا حال كثير ممن اعتنى بمقالات الأمم ومقالات أهل البدع، فعرفها على

(١) المرجع السابق(ص:٧٠).

التفصيل ولم يعرف ما جاء به الرسول كذلك، بل عرفه معرفة مجملة وإن تفصلت له في بعض الأشياء.

والمقصود: أن الله سبحانه يحبُّ أن تُعرف سبل أعدائه لتُجتنب وتُبغض، كما يحب أن تُعرف سبيل أوليائه لتُحب وتسلك. وفي هذه المعرفة من الفوائد والأسرار ما لا يعلمه إلا الله؛ من معرفة عموم ربوبيته سبحانه وحكمته، وكمال أسمائه وصفاته، وتعلُّقها بمتعلقاتها، واقتفائها لآثارها وموجباتها. وذلك من أعظم الدلالة على ربوبيته وملكه وإلهيته وحُبِّه وبغضه وثوابه وعقابه»[1].

قوله: أنما الطريقة. أنما: أداة حصر أي: لا طريقة يرضاها الله عز وجل سوى طريق الشرع الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم.

والطريقة: سبق بيانها في عنوان الفصل.

قوله: طريق الشرع. هو الطريق الذي رسمه الشرع للعبادات والتكاليف على وجوه خاصة زماناً ومكاناً، هيئة وعدداً، وقصر الخلق عليها أمراً ونهياً، ووعداً ووعيداً، وأخبر أن الخير فيها، والشر في تجاوزها[2].

قوله: في الحقيقة. الحقيقة في اللغة هي: «ما طابق الواقع»[3].

وهي عند الصوفية شيء آخر يختلف تماماً عن هذا المعنى يقول الهجويري «والأولى أن تعرّف الحقيقة بعلم بواطن الأمور»[4].

---

(١) المرجع السابق(ص:٧١).

(٢) انظر: الموافقات (٢/ ١٦١).

(٣) انظر: اليواقيت والدرر شرح نخبة ابن حجر، المناوي، (١/ ٢٢٧).

(٤) انظر: كشف المحجوب (ص: ٢٨).

ويقول القشيري[1] عن الحقيقة: «هي ما وراء الأحكام العملية التكليفية من إشارات وأسرار»[2].

وبمعنى آخر هي: إدراك المقصود الأساس من الشرائع، لذلك من وصل إلى هذه الحقيقة فهو من الخواص، وقد حصل له المقصود وإن لم يلتزم بالتكاليف.

والقول بالحقيقة مبني على عقيدة وحدة الوجود[3]، يقول ابن عجيبة: «الحقيقة هي شهود نور الحق من مظاهر الخلق»[4].

أما عند أهل السنة فالحقيقة هي الدين كلّه بعقيدته وشريعته، ولا حقيقة عندهم سوى اتباع هذا الدين بكامله، يقول شيخ الإسلام: «حقيقة الدين دين رب العالمين هي ما اتفق عليها الأنبياء والمرسلون، وإن كان لكل منهم شرعة ومنهاج[5] وأن

---

(١) هو عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك بن طلحة بن محمد القشيري الشافعي، الصوفي المفسر، ولد سنة ٣٧٥هـ، سمع الحديث وتفقه، وهو من رؤوس المتصوفة، وله فيهم تصانيف؛ منها: الرسالة في التصوف تكلم فيها عن رجال التصوف وأخرقهم وترجم لكثير منهم، ولطائف الإشارات، توفي سنة ٤٦٥هـ. انظر: تاريخ بغداد (١١/ ٨٣). وفيات الأعيان (٣/ ٢٠٥). سير الأعلام (١٨/ ٢٢٧-٢٣٣).

(٢) الرسالة، القشيري، (ص١١٨).

(٣) هي مذهب فلسفي صوفي يوحد بين الله و العالم و لا يقر إلا بوجود واحد هو الله و كل ما عداه أعراض و تعيينات لها. و بصورة أوضح تعني "أنه ليس في الوجود إلا واحد هو الله، و كل ما يري هو أجزاء منه تتعين بأشكال مختلفة، بما في ذلك أنا، و أنت و هو، و هي، و هما وهن و الارض و الشمس و القمر و النجوم و الملائكة و الجن، بما في ذلك الشياطين و الحيوانات و الحشرات تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا". انظر: الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ (ص: ٢٥٩).

(٤) إيقاظ الهمم شرح متن الحكم، ابن عجيبه، (١/ ٢٧١).

(٥) الطَّرِيقُ الواضح. انظر: الصحاح (٤/ ٩٤).

يستسلم العبد لله رب العالمين لا يستسلم لغيره»[١].

قوله: كما أبان الله في كتابه.

البيان: هو شدة الإيضاح[٢].

وقد أوضح القرآن أنه لا طريق موصل إلى مرضاة الله عزوجل إلا طريق الشرع الذي ارتضاه الله تعالى لنا، وذلك في عدة آيات من كتابه العزيز، منها قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[٣]. قال ابن جرير[٤] رحمه الله: «أي: على طريقة وسنة ومنهاج من أمرنا»[٥].

ولا حقيقة سوى اتباع الشرع والوقوف عند طريقه، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ﴾[٦].

قوله: وبيَّنَ الرسولُ في خطابِه .

أي: كذلك أوضح الرسول ﷺ هذه الحقيقة كما في قوله ﷺ: «تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك»[٧].

---

(١) مجموع الفتاوى، (١١/ ٢١٩).

(٢) انظر: لسان العرب (١٣/ ٦٢).

(٣) [الجاثية:١٨].

(٤) هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري، وقيل يزيد بن كثير بن غالب، أبو جعفر، صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير، كان إماما في فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك، ولد سنة ٢٢٤هـ، وتوفي ببغداد سنة ٣١٠هـ. انظر ترجمته في وفيات الأعيان (٤/ ١٩١-١٩٢)، وطبقات المفسرين للأدنروي (ص:٤٨-٥١).

(٥) تفسير الطبري (٢٥/ ١٤٦).

(٦) [الأنعام:١٥٣].

(٧) مسند أحمد (٤/ ١٢٦، ح١٧١٨٢). وابن ماجه (١/ ١٦، ح٤٣)، وقال ابن عبد البر في التمهيد

وعن ابن مسعود[1] رضي الله عنه قال: {خط لنا رسول الله ﷺ يوما خطا فقال: هذا سبيل الله، ثم خط خطوطا عن يمين الخط ويساره وقال: هذه سُبل، على كل سبيل منه شيطان يدعوه، ثم تلا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[2] يعني الخطوط التي عن يمينه ويساره } [3].

وبعد هذا التوضيح لمعنى الطريقة والشريعة أقول: إن الدين قد أكمله الله عز وجل، والقرآن والسنة لم يتركا في سبيل بيان الهداية قولاً لقائل، ولم يدعا مجالاً لمشرع، فيجب أن تكون عبادات المتعبدين محكومة بحكم الشرع، جارية على نهجه، موافقة لطريقته.

فقد وردت آيات وأحاديث وآثار كثيرة تحث على المتابعة، منها:

قوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣١﴾ ﴾[4]. قال ابن كثير[5]: «هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة

(٢٤/ ٣١٨): "وهذا الحديث يتصل مسندا عن النبي ﷺ من حديث ثوبان". وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣/ ١١، ح٩٣٧). وصحيح سن ابن ماجه (١/ ١١٥، ح٤٣).

(١) هو الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمن، حليف بني زهرة وكان أبوه حالف عبد الحارث بن زهرة، أمه أم عبد الله بنت ود أسلمت وصحبت، أسلم قديماً وهاجر الهجرتين وشهد بدراً والمشاهد بعدها، ولازم النبي ﷺ وكان صاحب نعليه. وحدث عن النبي ﷺ بالكثير، هو أول من جهر بالقرآن بمكة، وفضائله كثيرة، مات قبل قتل عمر، قيل: مات بالمدينة سنة: اثنتين وثلاثين، وقيل: مات سنة ثلاث، وقيل: مات بالكوفة والأول أثبت. انظر: الإصابة (٢/ ١١٢٢-١١٢٤).

(٢) [الأنعام:١٥٣].

(٣) مسند أحمد (١/ ٤٦٥، ح٤٤٣٧). وسنن النسائي الكبرى (٦/ ٣٤٣، ح١١١٧٤). وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (١/ ٨٣، ح١١).

(٤) [آل عمران:٣١].

(٥) هو إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي، الفقيه الشافعي، الحافظ، المحدث، أبو الفداء، ولد سنة ٧٠١ هـ، وتوفي سنة ٧٧٤ هـ. انظر ترجمته في طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة

الله وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله»[1].

وقوله تعالى: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾[2].

وقال ابن جرير رحمه الله: «فاهتدوا به –أيها الناس– واعملوا بما أمركم أن تعملوا به من طاعة الله لكي تهتدوا فترشدوا وتصيبوا الحق في اتباعكم إياه»[3].

وقوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾[4].

(٣/ ١١٣–١١٥). وطبقات المفسرين (ص: ٢٦٠–٢٦١).

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٦٦).

(٢) [الأعراف: ١٥٦–١٥٨].

(٣) جامع البيان (٦/ ٨٨).

(٤) [الأعراف: ٣].

قال ابن كثير رحمه الله: «أي: اقتفوا آثار النبي الأمي الذي جاءكم بكتاب أنزل إليكم من رب كل شيء ومليكه»[(١)].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «ففرض اتباع ما أنزله من الكتاب والحكمة وحظر اتباع أحد من دونه»[(٢)].

وعن العرباض بن سارية[(٣)] رضي الله عنه قال: {صلى بنا رسول الله ﷺ ذاتَ يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودِّعٍ فماذا تعهد إلينا؟ قال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة}[(٤)].

قال البغوي[(٥)] رحمه الله: «فأمر بلزوم سنته وسنة الخلفاء الراشدين والتمسك بها بأبلغ وجوه الجد، ومجانبة ما أحدث على خلافها»[(١)].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٢٠٨).

(٢) مجموع الفتاوى (١٩/ ٦٧).

(٣) هو العرباض بن سارية السلمي، أبو نجيح، صحابي مشهور، كان من أهل الصفة، وكان شيخا كبيرا من الصحابة، سكن الشام ومات بها سنة ٧٥ هـ. انظر ترجمته في الاستيعاب (ص:٥٩٠). والإصابة (٤/ ٢٣٤).

(٤) سنن الترمذي (٥/ ٤٤، ح٢٦٧٦)، وقال: "حسن صحيح". وسنن أبي داود (٤/ ٢٠٠، ح٤٦٠٧). وسنن ابن ماجه (١/ ١٦، ح٤٣). ومسند أحمد (٤/ ١٢٦، ح١٧١٨٢). وصححه الألباني في الصحيحة (ح٩٣٧).

(٥) هو الإمام العلامة الحافظ محيي السنة: أبو محمد، الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي، الفقيه الشافعي الكبير، المحدِّث المفسِّر، يلقب بمحيي السنة وركن الدين، له تفسير مشهور، وله: شرح السنة، وكان عالماً زاهداً قانعاً، توفي سنة: ٥١٦ هـ. انظر: السير (١٩/ ٤٣٩-٤٤٣). طبقات السبكي (٧/ ٧٥-٨٠) .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: {كان رسول الله ﷺ يقول إذا خطب: أما بعد: إن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة}(٢).

وعن أبي هريرة(٣) رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: {كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، فقالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى}(٤).

قال الطيبي رحمه الله: «التقدير: من أطاعني وتمسك بالكتاب والسنة دخل الجنة، ومن اتبع هواه وزال عن الصواب وضلَّ عن الصراط المستقيم فقد دخل النار»(٥).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: {إنما مَثَلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوماً، فقال: يا قوم، إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان فالنجاء، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذَّبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبَّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذَّب بما جئت به من الحق}(٦).

---

(١) شرح السنة (١/ ٢٠٦).

(٢) صحيح مسلم (٢/ ٥٩٢، ح٨٦٧).

(٣) هو عبدالرحمن بن صخر (وقيل: غير ذلك) الدوسي، أبو هريرة، الصحابي الجليل رضي الله عنه، توفي سنة (٥٧هـ)، وقيل (٥٩هـ). انظر: الاستيعاب (٤/ ٢٠٠-٢٠٧). أسد الغابة (٥/ ٣١٥-٣١٧). الإصابة (٤/ ٢٠٠-٢٠٨). تهذيب التهذيب (١٢/ ٢٦٢-٢٦٧).

(٤) صحيح البخاري (٦/ ٢٦٥٥، ح٦٨٥١).

(٥) شرح الطيبي على المشكاة (١/ ٢٩٨).

(٦) متفق عليه، صحيح البخاري (٦/ ٢٦٥٦، ح٦٨٥٤). وصحيح مسلم (٤/ ١٧٨٨، ح٢٢٨٣).

قال العيني[1] رحمه الله: «مطابقته للترجمة تؤخذ من قوله: «فأطاعه طائفة من قومه» لأن طاعة النبي صلى الله عليه وسلم اقتداء بسنته»[2].

وقال الملا علي قاري[3] رحمه الله: «وهذا ليعلم أنه لا ينبغي أن يستروَح بظاهر الطاعة عن اتباع ما جاء به»[4].

ومن آثار السلف في لزوم الاتباع:

قال ابن مسعود رضي الله عنه: [[اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتم]][5].

وقال أبي بن كعب رضي الله عنه: [[عليكم بالسبيل والسنة فإنه ليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله فتمسه النار أبداً، وإن اقتصاداً في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة]][6].

وقال أبو العالية[7] رحمه الله: [[تعلموا الإسلام، فإذا تعلمتم الإسلام فلا ترغبوا عنه

(١) هو محمود بن أحمد بن موسى الحلبي الأصل، العنتابي المولد، ثم القاهري الحنفي ويعرف بالعيني، بدر الدين، أبو محمد، ولد سنة ٧٦٢هـ، وتوفي سنة ٨٥٥هـ. انظر ترجمته في الضوء اللامع للسخاوي (١٠/ ١٣١-١٣٥). والفوائد البهية في تراجم الحنفية للكنوي (ص: ٢٠٧-٢٠٨).

(٢) عمدة القاري (٢٥/ ٢٩).

(٣) هو علي بن محمد سلطان الهروي المعروف بالقاري، الحنفي، نزيل مكة، أحد صدور العلم، ألف التآليف الكثيرة، توفي سنة ١٠١٤ هـ. انظر ترجمته في خلاصة الأثر (٣/ ١٨٥-١٨٦).

(٤) مرقاة المفاتيح (١/ ٣٨٠).

(٥) سنن الدارمي (١/ ٨٠، ح٢٠٥). والمعجم الكبير للطبراني (٩/ ١٥٤، ح٨٧٧٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٨١): "رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح". والإبانة لابن بطة (١/ ٣٢٧). واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٢٢).

(٦) أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ٥٤).والإبانة لابن بطة (١/ ٣٥٩).

(٧) هو رفيع بن مهران، الإمام المقرئ، الحافظ، المفسر، أبو العالية الرياحي البصري، أحد الأعلام.كان مولى لامرأة من بني رياح بن يربوع، ثم من بني تميم، أدرك زمان النبي صلى الله عليه وسلم وهو شاب، وأسلم في

يميناً ولا شمالاً، وعليكم بالصراط المستقيم، وعليكم بسنة نبيكم والذي كان عليه أصحابه، وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء]][1].

وقال سفيان الثوري[2] رحمه الله: «وجدتُ الأمرَ الاتباع»[3].

ولا يُؤخذُ السلوكُ من الخيالات أو القياسات أو الآراءِ والمنامات كما عند الصوفية.

وقال ابنُ تيمية رحمه الله: «مسائلُ السلوكِ من جنس مسائل العقائد، كلُّها منصوصةٌ في الكتاب والسنّةِ»[4].

وقال ابنُ القيمّ رحمه الله: «من أحالك على غير (أخبرنا) و(حدثنا) فقد أحالكَ إمَّا على خيالٍ صوفي، أو قياسٍ فلسفي، أو رأيٍ نفسي، فليس بعد القرآن و(أخبرنا) و(حدّثنا) إلاّ شبهاتُ المتكلمين، وآراءُ المنحرفين، وخيالاتُ المتصوفين، وقياسُ المتفلسفين، ومن فارقَ الدليل ضلَّ عن سواءِ السبيل، ولا دليل إلى الله والجنّةِ سوى

خلافة الصديق، ودخل عليه.وسمع من عمر، وعلي، وأبي، وأبي ذر، وابن مسعود، وعائشة، وابن عباس، وعدة ﷺ.حفظ القرآن وقرأه على أُبي ﷺ،وتصدر لإفادة = =العلم، قيل: مات سنة: (٩٠). وقال غير واحد: سنة: (٩٣). انظر: السير: ٤ / ٢٠٧ ـ ٢١٣.

(١) الإبانة لابن بطة (١/ ٢٩٩)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ٥٦، ح١٧). والشريعة للآجري (١/ ٣٠١).

(٢) هو الإمام سفيان بن سعيد بن مسروق، أبو عبد الله الكوفي، الفقيه الحافظ المجتهد، سيد العلماء العاملين في زمانه، طلب العلم وهو حدث، كان ذكياً قوي الحفظ، قيل: إن شيوخه بلغوا ستمائة شيخ، توفي سنة: ١٦١ هـ.انظر: السير ٧ / ٢٢٩ ـ ٢٧٩.

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ٨٨، ح١١٣). وشرح السنة للبغوي (١/ ٢١٧).

(٤) الفتاوى (١٩/ ٢٧٣).

الكتابُ والسنّة»[1].

والشرع قد رسم للعبادات والتكاليف طرقاً خاصة، على وجوه خاصة زماناً ومكاناً، هيئةً وعدداً، وقصر الخلق عليها أمراً ونهياً، إطلاقاً وتقييداً، وعداً ووعيداً، وأخبر أن الخير فيها، والشر في تجاوزها وتعديها.

قال شيخ الإسلام رحمه الله عن طريق أهل التصوف وطريقتهم: «والناس في طلب العلم والدين طريقان مبتدعان وطريق شرعي، فالطريق الشرعي هو النظر فيما جاء به الرسول والاستدلال بأدلته ، والعمل بموجبها ؛ فلا بد من علم بما جاء به وعمل به ، لا يكفي أحدهما ، وهذا هو الصراط المستقيم الذي أمر الله عباده أن يسألوه هدايته .

وأما الطريقان المبتدعان : فأحدهما : طريق أهل الكلام البدعي والرأي البدعي ؛ فإن هذا فيه باطل كثير ، وكثير من أهله يفرطون فيما أمر الله به ورسوله من الأعمال ، فيبقى هؤلاء في فساد علم وفساد عمل ، وهؤلاء منحرفون إلى اليهودية الباطلة .

والثاني: طريق أهل الرياضة والتصوف والعبادة البدعية، وهؤلاء منحرفون إلى النصرانية الباطلة؛ فإن هؤلاء يقولون: إذا صفى الإنسان نفسه على الوجه الذي يذكرونه. فاضت عليه العلوم بلا تعلّم، وكثير من هؤلاء تكون عبادته مبتدعة؛ بل مخالفة لما جاء به الرسول ﷺ، فيبقون في فساد من جهة العمل وفساد من نقص العلم»[2].

وقال عنهم أيضاً رحمه الله: «وهؤلاء الاتحادية وأمثالهم إنما أتوا من قلة العلم وقلة اتباع السنة وطريقة السلف في ذلك)[3].

(١) مدارج السالكين (٢/ ٤٦٨).

(٢) منهاج السنة النبوية (٥/ ٤٢٨-٤٣١).

(٣) الفتاوى (٤/ ٥٨).

وقال عنهم أيضاً: «وكل حب وذوق ووجد لا تشهد له هذه الشريعة فهو من أهواء الذين لا يعلمون، فإن العلم بما يحبه الله إنما هو ما أنزله الله إلى عباده من هداه، ولهذا قال في إحدى الآيتين: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾(١) وقال في الآية الأخرى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾(٢) فكل من اتبع ذوقا أو وجدا بغير هدى من الله سواء كان ذلك عن حب أو بغض، فليس لأحد أن يتبع ما يحبه فيأمر به ويتخذه ديناً، وينهى عما يبغضه ويذمه، ويتخذ ذلك دينا إلا بهدى من الله، وهو شريعة الله التي جعل عليها رسوله، ومن اتبع ما يهواه حباً وبغضاً بغير الشريعة فقد اتبع هواه بغير هدى من الله»(٣).

ومعنى البيتين إجمالاً:

يهدي الناظم رحمه الله المريد إلى وجوب اتباع طريق الشرع فيقول: بعد ما قدمت من وجوب اتباع السنة وترك الابتداع في الدين اعلم أيها المريد أنه لا طريقة موصلة إلى مرضاة الله عز وجل إلا التي ارتضاها الله تعالى لنا وهي طريق الشرع الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ولا حقيقة غير ذلك.

وهذه الحقيقة قد أوضحها الله عز وجل في كتابه العزيز أتم إيضاح، وكذلك بيّنها الرسول صلى الله عليه وسلم في سنته أكمل بيان.

---

(١) [الأنعام: ١١٩].

(٢) [القصص: ٥٠].

(٣) انظر: الاستقامة، ابن تيمية، (ص: ٢٥٣).

٢٥٨- كيفَ الطريقُ والسلوكُ والأدَبْ وما بها من واجب ومستحبْ

قوله: كيف الطريق. الصواب: (كذا الطريق) فليس للاستفهام هنا وجه يصح.

ويقصد الناظم رحمه الله بقوله: (كذا) أي: كذلك الطريق والسلوك والآداب يجب أن تكون وفق حدود الشرع، وما أمر به، وما رسمه، وتوزن بميزانه، وتسير على هديه وطريقته. فلا يبتدع طرق ومسالك وآداب لم يأمر بها الشرع أو تكون مخالفة لهديه.

والطريق عند الصوفية هو: «مجموعة القواعد والرسوم التي يضعها المشايخ لبلوغ المريد الغاية من التصوّف»(١).

وأكثر الطرق التي ابتدعوها تقوم على ما يسمونه برياضة النفس، وهي رياضات بدعية لادليل لها في الكتاب والسنة ، ويكفي لمن أراد أن يزكي نفسه أن يتأدب بآداب الشرع.

ولهذه الطرق قواعد وأركان ورسوم ومعالم منها(٢):

١- المريد(٣) والآداب التي وضعت له.

٢- البيعة والتلقين(٤).

---

(١) المعجم الصوفي، عبدالمنعم حنفي، (ص ١٥٨).

(٢) إحياء علوم الدين، الغزالي، (٣/ ٦٠-٨٧، ٤/ ٢٧٥). الرسالة القشيرية، (ص: ٣٥١).

(٣) عرَّفه المناوي فقال: المريد: -بالضم-: من انقطع إلى الله عن النظر والاستبصار، وتجرد من إرادته، إذ علم أنه لا يقع في الوجود إلا ما يريده الله، لا ما يريده غيرُه، فيمحو إرادتَه في إرادته، فلا يريد إلا ما يريده الحق. «التوقيف على مهمات التعاريف» (ص: ٦٥١). وعرَّفه ابن عربي بقوله: «الإرادة عند القوم لوعة يجدها المريد من أهل هذه الطريقة تَحُول بينه وبين ما كان عليه ممَّا يحجبه عن مقصوده». اهـ. الفتوحات المكية (٢/ ٥٢١).

(٤) معنى التلقين -في اللغة-: مصدر مِن لقَّن تلقيناً، أي: فهَّم تفهيماً، ولقَّنه كلاماً تلقيناً: فهَّمه ما لم

٣- لبس الخرق[1] والمرقعات[2].

٤- تقديس المشايخ وترك الاختيار.

٥- الخلوة[3]، والصمت، والجوع، والسهر.

٦- إذلال النفس وإهانتها، وترك الطيبات.

٧- السماع[4].

يفهم.ومن التعريف اللغوي للتلقين يتضح أن مراد المتصوفة بالتلقين في الطرق الصوفية: أن يُفهِّم الشيخ المريد الطريقة الصوفية، ويلقِّنه تعاليمها وآدابها، فالشيخ بعد أن يأخذ العهد والبيعة من المريد يبدأ في تلقينه الأصول والتعاليم. انظر: مادة: لقن، في: لسان العرب (١٣/ ٣٩٠). تاج العروس (١٨/ ٥١٢). المعجم الصوفي (ص: ٢١٣).

(١) جمع خرقة، وهي شعار صوفي، يطبقه الصوفية، وعنون به قطعة الثوب الممزقة التي يلبسها الصوفي إظهاراً لفقره وخشونته، وغالباً ما يلبسها الشيخ مُريدَه علامة التفويض والتسليم، ولا يمنحها إياه إلا بعد أن يقضيَ مرحلة رياضية خاصة، ولم يكن للخرقة في البداية لون ثابت معين، ثم صارت كثير من الطرق تختار لوناً معيّناً. ويحرص بعض الصوفية على لبس الثياب المرقعة إظهاراً للزهد والتقشف. المعجم الصوفي (ص: ٢١٧).

(٢) أي الثياب المرقعة،وهي الخرقة المعروفة عند الصوفية،وهي قطعة ثوب مرقعة ترمز لفقر الصوفي وخشونته، يمنحها شيوخهم للتلاميذ بعد مرحلة رياضية خاصة. تلبيس إبليس لابن الجوزي (٣ / ١١٢٨-١١٤٣). الفتاوى (١١/ ٥١٠-٥١١).

(٣) لغة: مصدر خلا يخلو، إذا اعتزل الناس وانفرد عنهم.والخلوة في اصطلاح الصوفية تعني: التخلي واختيار الخَلوة، والإعراض عن كل ما يشغل عن الحق، والخلوة: محادثة السر مع الحق، حيث لا أحد ولا ملك. المعجم الصوفي (ص: ٢٢١).

(٤) في اللغة: مصدر من سمع يسمع، وهو ما وفر في الأذن من صوت، سواء كان هذا الصوت كلاماً أو أو غيره. انظر: مادة: سمع، في: لسان العرب (١١/ ٢٢١). القاموس (ص: ٩٤٣). والسماع عند المتصوفة: هو الاجتماع على استماع الأشعار والغناء، ويصاحب ذلك عند بعضهم الدفوف والمزامير، والتصفيق بالأيدي، والرقص والتمايل، وترتفع عنده الأصوات وتكثر الصرخات وتخرّق الثياب، ويحصل التواجد والفناء والسّكر. وهو أيضا: المجالس التي تلقى فيها المدائح والأذكار على صفة وطريقة وعدد معين مع مصاحبة ذلك للرقص والاهتزاز والغناء، ويأتي عرفاً بمعنى الرقص، وفي إطلاقهم للسماع يقصدون السماع المقيد بالنغمات لا مطلق السماع. انظر:

أما عن كيفية الدخول في الطريق، فيوضح ذلك الغزالي[1] بقوله: «يقوم على قطع العلائق بالدنيا بالكلية، وتفريغ القلب منها، وبقطع الهمة عن الأهل والمال والولد والوطن، وعن العلم والولاية والجاه. بل يصير قلبه إلى حالة يستوي فيها وجود كل شيء وعدمه. ثم يخلو بنفسه في زاوية[2] مع الاقتصار على الفرائض والرواتب. ويجلس فارغ القلب مجموع الهمة. ولا يفرّق فكره بقراءة قرآن ولا بالتأمل في تفسير ولا بكتب حديث ولا غيره... ثم يبدأ قائلاً بلسانه: (الله الله) على الدوام مع حضور القلب حتى ينتهي إلى حالة يترك فيها تحريك اللسان ويرى أن الكلمة جارية على لسانه بدون تحريك، ثم يصير إلى أن يمحى عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة ويبقى معنى الكلمة مجرداً حاضراً فيه كأنه لازم له. وهنا ينتهي اختيار الشخص في الانتقال إلى مرحلة أخرى»[3].

ويرون نقض العهد في الطريق ردة، يقول القشيري[4]: «فإن نقض العهد في طريق

الفتوحات المكية (٢/ ٣٦٧). الرسالة القشيرية (ص: ٦١). عوارف المعارف للسهروردي (٥/ ٢٥٠). إحياء علوم الدين للغزالي (٢/ ٢٣٦). كشاف اصطلاحات الفنون (٤/ ١٠-١١).

(١) هو: أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، الملقب حجة الإسلام، صاحب كتاب إحياء علوم الدين، وغيره من الكتب المصنفة في الفقه والتصوف والفلسفة. ولد سنة ٤٥٠ وتوفى سنة ٥٠٥هـ. أنظر :"سير أعلام النبلاء " ١٩/ ٣٢٣.

(٢) الزاوية: مركز ديني ثقافي اجتماعي اقتصادي في بعض البلدان، يضم مسجدا ومدرسة ومضافة وبيوتا، له شيخ يدير شؤونه. المعجم: الرائد (ص: ٧٤).

(٣) الإحياء، (٣/ ١٩).

(٤) هو عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك بن طلحة بن محمد القشيري الشافعي، الصوفي المفسر، ولد سنة ٣٧٥هـ، سمع الحديث وتفقه، وهو من رؤوس المتصوفة، وله فيهم تصانيف؛ منها: الرسالة في التصوف تكلم فيها عن رجال التصوف وأخرقهم وترجم لكثير منهم، ولطائف الإشارات، توفي سنة ٤٦٥هـ. انظر: تاريخ بغداد (١١/ ٨٣). وفيات الأعيان (٣/ ٢٠٥). سير الأعلام (١٨/ ٢٢٧-٢٣٣).

الإرادة[1] كالرِّدة عن الدين لأهل الظاهر»[2].

قوله: والسلوك. السلوك هو النفاذ في الطريق والذهاب فيه[3]. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾﴾[4]، وقال ﷺ: {إن أقواماً بالمدينة خلفنا ما سلكنا شعباً ولا وادياً، إلا وهم معنا فيه، حبسهم العذر}[5].

والسالك عند الصوفية هو: «المتوسط بين المريد والمنتهي، ما دام في السير»[6].

أو هو: «الذي مشى على المقامات بحاله لا بعلمه»[7].

أو هو: «الذي سلك الطريق ولم تصله جذبة[8] الحق، وأعلى منه المجذوب وهو الذي وهبه الله عز وجل جذبة الحق فوصل إلى مرتبة العشق»[9].

---

(١) عند الصوفية :"جمرةٌ من نار المحبة في القلب مقتضية لإجابة دواعي الحقيقة، والإرادة عند السالكين هي: استدامة الكدّ وترك الراحة. ... وقيل : الإرادة، الإقبال بالكلّية على الحق والإعراض عن الخلق، وهي ابتداء المحبة . انظر : معجم اصطلاحات الصوفية (ص: ٧). كشف اصطلاحات الفنون (١/ ١٣٣).

(٢) الرسالة (ص:٢٣٥).

(٣) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، (ص: ٤١٣).

(٤) [طه: ٥٣].

(٥) صحيح البخاري (٣/ ١٠٤٤، ح٢٦٨٤).

(٦) انظر: الرسالة القشيرية، (ص: ١١٨).

(٧) انظر: التعريفات، للجرجاني (ص: ١٥٤).

(٨) الجذبة: هو تقريب العبد بمقتضى العناية الإلهية المهيئة له كل ما يحتاج اليه في طي المنازل الى الحق بلا كلفة وسعي منه، والمجذوب: من اصطنعه الحق تعالى لنفسه، واصطفاه لحضرة أنسه، وطهّره بماء قدسه فحاز من المنح والمواهب ما فاز به بجميع المقامات والمراتب بلا كلفة المكاسب والمتاعب. انظر : معجم اصطلاحات الصوفية (ص: ١٩، ٧١).

(٩) لطائف المنن، الشعراني، (٢/ ٧).

ويقال لمن سلك هذا الطريق: أهل السلوك[1] أو السالكين.

ويرى السهروردي[2] أنه: «لا يصح لأحد أن يسلك طريق الصوفية، حتى يعلم عقائدهم وآدابهم في ظاهرهم وباطنهم واصطلاحاتهم في كلماتهم، ويفهم إطلاقاتهم في محاوراتهم، حتى يصح له أن يحذو حذوهم ويقفو أثرهم في أفعالهم وأقوالهم»[3].

قوله: والأدب. قال ابن منظور[4]: «وأصل الأدب الدعاء، ومنه قيل للصنيع، يدعى إليه الناس مدعاة ومأدبة»[5].

وفي اصطلاح أهل العلم: «الأدب اجتماع خصال الخير في العبد»[6].

وقيل: «استعمال ما يحمد قولاً وفعلاً»[7].

وقد وضع الصوفية آداباً للمريد الغاية منها في الحقيقة الخضوع التام لمشايخ الطرق والانقياد الأعمى لهم.

وقولنا: آداب، إنما هو من باب التعبير بها عندهم، وإلا فإن كثيراً منها يخالف

---

(١) سُموا بذلك؛ لأنهم يتكلمون في طريق السلوك إلى الله، ومعالم هذا الطريق، وما يجب على السالك فيه. المعجم الصوفي (١/ ١٥٥).

(٢) هو شهاب الدين عمر بن محمد بن عبدالله القرشي السهروردي، ولد سنة ٥٣٩هـ، من كبار الصوفية، وكان شيخ شيوخ بغداد، وصحِب قليلاً الشيخ عبدالقادر، وسمِع من هبة الله الشبلي، قال الذهبي عنه: الزاهد العارف المحدث شيخ الإسلام أوْحد الصوفية، توفي سنة ٦٣٢هـ. انظر: سير الأعلام (٢٢/ ٣٧٣). الأعلام (٥/ ٢٢٣).

(٣) آداب المريدين، السهروردي، (ص: ١٥).

(٤) هو محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري الأفريقي المصري، أبو الفضل، صاحب لسان العرب في اللغة، ولد سنة ٦٣٠ هـ، وتوفي سنة ٧١١ هـ. انظر ترجمته في بغية الوعاة (١/ ٢٤٨).

(٥) لسان العرب، ابن منظور، (١/ ٧٠).

(٦) مدارج السالكين، (٢/ ٣٧٥).

(٧) فتح الباري، ابن حجر، (١٠/ ٤٩١).

مكارم الأخلاق ويدعو إلى الذل والخنوع[1] للمخلوقين.

يقول القشيري في مقدمة رسالته: «فعلّقت هذه الرسالة إليكم -أكرمكم الله- وذكرت فيها بعض سير شيوخ هذه الطريقة في آدابهم، وأخلاقهم... »[2].

ويقول أيضاً: «وليس من آداب المريدين كثرة الأوراد في الظاهر، فإن القوم في مكابدة[3] إخلاء خواطرهم، ومعالجة أخلاقهم، ونفي الغفلة عن قلوبهم، لا في تكثير أعمال البر»[4].

وجعلوا للذكر آداباً من لم يتحقق بها فبعيد عليه الفتح، بعضها سابق للذكر كالغسل أو الوضوء والاستمداد بهمة الشيخ، وبعضها عند الذكر كاختيار الموضع المظلم وتغميض العينين وتخيّل مراقبة الشيخ له، وبعضها بعد الذكر كالسكوت والترقب لوارد الذكر، ومنع شرب الماء البارد لأنه يطفئ الهيجان إلى المذكور[5].

قوله: وما بها من واجب ومستحب. الواجب في اللغة: اللازم، ومنه وجب البيع إذا لزم[6].

وفي الاصطلاح هو: ما يثاب على فعله، ويعاقب على تركه[7].

والمستحب: ما يثاب على فعله، ولا يعاقب على تركه[8].

(١) خَنَعَ له، وإليه، خُنُوعًا: ذَلَّ وخضع. انظر: الصحاح (١/ ١١٧).
(٢) الرسالة، القشيري، (ص: ٩).
(٣) كابَدَ الأمرَ كِبادًا، ومكابدةً: قاسَى شِدَّتَه. انظر: الصحاح (٣/ ٣٤).
(٤) الرسالة (ص: ٣١٥).
(٥) الأنوار القدسية، (١/ ٣٦-٤٠).
(٦) انظر: أنيس الفقهاء، القوني (ص: ٢٤٥). لسان العرب (١/ ٧٩٣).
(٧) انظر: التبصرة، الشيرازي (ص: ٣٧).
(٨) البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي، (١/ ١٤٠).

ويقصد الناظم بها هنا الواجبات والمستحبات التي وضعوها للمريدين أثناء السلوك في الطريق الصوفي، ومنها قول القشيري: «ويجب أن لا يخالف المريد أحداً، وإن علم أن الحق معه يسكت، ويظهر الوفاق لكل أحد»(١).

وقوله أيضاً: «ومن آداب المريد، بل من فرائض حاله، أن يلازم موضع إرادته، وأن لا يسافر قبل أن تقبله الطريق»(٢).

ويقول ابن عربي: «ومن شروط المريد أن يعتقد في شيخه أنه على شريعة من ربه ونبيه ولا يزن أحواله بسيرته، فقد تصدر من الشيخ صورة مذمومة في الظاهر وهي محمودة في الباطن والحقيقة يجب التسليم، فكم من رجل كأس الخمر في يده ورفعه إلى فيه وقَلَبه الله في فيه عسلاً والناظر يراه شرب خمراً وهو ما شرب إلا عسلاً ومثل هذا كثير»(٣).

ويهدف الناظم في هذا البيت إلى إلحاق الفرع - وهوالطرق والمسالك والآداب - بالأصل - وهو الطريقة - في الحكم فمن طلب غير طريق الشرع، وزعم أن ثمت طرقاً أو مسالك أوآداباً غير ما جاء به الشرع منها، وعبد الله بمستحسنات العقول؛ فقد قدح في كمال هذا الدين.

و تلمّس هذه الطرق والمسالك والآداب وغيرها مما ليس من هدي الكتاب والسنة مشاقة(٤) للشرع، واتباع للهوى.

(١) الرسالة، القشيري، (ص: ٩).

(٢) المرجع السابق (ص: ٣١٦).

(٣) الإبريز، (ص: ٢٠٢).

(٤) شاقَّ الرَّجُلَ خالفه وعاداه. انظر: الصحاح (٢/ ٥٧).

يقول الإمام الشاطبي[1] رحمه الله: «إن المبتدع معاند للشرع ومشاقق له؛ لأن الشارع قد عيّن للعبد طرقاً خاصة وقصر الأمر عليها بالأمر والنهي والوعد والوعيد، وأخبر أن الخير فيها والشر في تعديها؛ لأن الله يعلم ونحن لا نعلم وأنه إنما أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين، فالمبتدع راد لهذا كلّه»[2].

معنى البيت إجمالاً: يبدأ الناظم رحمه الله تفنيده لتشقيقات الصوفية لوحدة الدين وتلمسهم الطرق والمسالك والآداب البدعية، فيرجع الفروع من الطرق والمسالك والآداب واجبها ومستحبها كما أرجع الأصل الذي قامت عليه الصوفية– الطريقة – إلى طريق واحد يجب أن يكون السير وفق حدوده وما أمربه، وما رسمه، فلا يُبتدع طرق ومسالك وآداب مخالفة لهديه، وكذلك يجب أن توزن هذه الفروع بميزانه، وتسير على هديه وطريقته.

---

(١) هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، المالكي، الشهير بالشاطبي، أبو إسحاق، محدث، فقيه أصولي، لغوي، مفسر، توفي سنة ٧٩٠ هـ. انظر ترجمته في معجم المؤلفين (١/ ٧٧). وهدية العارفين (١/ ١٨).

(٢) الاعتصام، الشاطبي، (١/ ٤٩).

٢٥٩- والـــذكر والأوراد والـــدعاء	بـــالآي والصـــفات والأســـماء
٢٦٠- فـــذكرهُ- جـــلَّ - بمايشـــاءُ	لا ذكـــره- عَـــزَّ - بماتشـــاءُ

قوله: والذكر. قال الراغب[١]: «الذكر: تارة يقال ويراد به: هيئة للنفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة، وهو كالحفظ إلا أن الحفظ يقال اعتباراً باحترازه، والذكر يقال اعتباراً باستحضاره. وتارة يقال لحضور الشيء القلب أو القول. ولذلك قيل منهما ضربان: ذكر عن نسيان، وذكر لا عن نسيان، بل عن إدامة الحفظ»[٢].

وأما معنى الذكر في الشرع، فهو: كل قول سيق للثناء والدعاء[٣].

أي: ما تعبدنا الشارع بلفظ منا يتعلق بتعظيم الله والثناء عليه، بأسمائه وصفاته، وتمجيده وتوحيده، وشكره وتعظيمه، أو بتلاوة كتابه، أو بمسألته ودعائه.

وسيأتي مزيد إيضاح لمعناه ، وفضله ، وآدابه، في أول فصل الذكر، في البيت رقم:٢٩١

والذكر عند الصوفية «هو مجموعة من الأوراد تؤخذ من الشيخ الملقن وتمارس

---

(١)الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء.من أهل (أصبهان) سكن بغداد،.وقد ذكر كاشف الظنون مؤلّفاته (أفانين البلاغة) و (التفسير) و (المحاضرات) و (تفصيل النشأتين) و (الذريعة إلى مكارم الشّريعة) و (مفردات ألفاظ القرآن) أنظر ترجمته في بغية الوعاة ، انظر: ترجمته في بغية الوعاة للسيوطي ٢/ ٢٩٧، وطبقات المفسرين للداوودي ٢/ ٣٢٩، ، وكشف الظنون ١/ ٣٦.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن (١/ ٣٦٣).

(٣) الفتوحات الربانية، ابن علان (١/ ١٨).

بآداب وشروط وسلوك خاصة»[1].

وجعله الصوفية كل الدين، قال الشعراني[2]: «وأجمعوا على أن عمدة الطريق الإكثار من ذكر الله عزوجل، حتى لا يكون للمريد شغل إلا به وحده»[3].

إلا أنهم ضيقوا مفهومه الشرعي الواسع الشامل لأعمال القلوب والجوارح فاختزلوه بأداء بعض أنواعه، وهو ذكر اللسان فقط.

وقد كان باب الأذكار هو الباب الذي دخل منه هؤلاء المشايخ المضلون للتشريع للأتباع والمريدين، فوضع كل منهم لأتباع طريقته منهجاً خاصاً في الذكر، وأذكاراً مخصوصة[4].

وهؤلاء القوم الذين قصروا الحياة على أداء الذكر الخاص مع إفراطهم هذا لا يطمعون من وراء ذلك الوصول إلى فوائد الذكر الجلية التي يرجوها المسلم الذاكر لله سواءً في الدنيا أو في الآخرة؛ لأن ذلك من مطالب العوام كما يزعمون، إنما مطلبهم الوصول إلى الكشف[5] ثم الوصول إلى الغيب والأخذ عن الله بلا واسطة.

---

(١) الرسالة (ص: ٢٥٥). وانظر: إعانة الطالبين (١/ ١٨٤).

(٢) هو عبدالوهاب بن أحمد الحنفي - نسبة إلى محمد ابن الحنفية - من المتصوفين الغلاة، ولد بمصر (٨٩٨هـ = ١٤٩٣م) ونشأ بساقية أبي شعرة (من قرى المنوفية) وإليه نسبته «الشعراني» و«الشعراوي»، مات في القاهرة سنة (٩٧٣هـ - ١٥٦٥م) له مؤلفات غالبها في التصوف منها: لواقح الأنوار في طبقات الأخبار، والقواعد الكشفية، وغيرهما كثير. انظر: الأعلام (٤/ ١٨٠- ١٨١).

(٣) الأنوار القدسية، الشعراني، (١/ ٣٥).

(٤) انظر: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، عبدالرحمن عبدالخالق، (ص: ٨٣).

(٥) لغة: رَفعُك الشيء عما يواريه ويغطيه، وكشف الأمر يكشفه كشفاً: أظهره. انظر: لسان العرب (٩/ ٣٠٠).

قال الشعراني(1): «ومعلوم أن مقصود القوم القرب من حضرة الله الخاصة ومجالسته فيها من غير حجاب(2)، وأما الثواب فحكمه حكم علف الدواب»(3).

ويقول أيضًا: «وأجمع القوم على أن الذكر مفتاح الغيب»(4).

ويقول كذلك: «فوائد الذكر لا تنحصر؛ لأن الذاكر يصير جليس الله تعالى، لا يرى فيه بينه وبين ربه واسطة، فلا يعلم أحد قدر ما يتحفه الحق تعالى من العلوم والأسرار كلما ذكر»(5).

ويقول ابن تيمية رحمه الله مؤكداً هذا الأمر عندهم: «والخلاصة أن الكشف الذي هو سماع أو رؤية أو علم الأمور غيباً هو حاصل الذكر وهدفه الأول عند المبتدعة»(6).

وزيادة على ضلالهم في القصد والغاية من الذكر أضافت الصوفية لها ضلال في الاتباع، فقد وضع كل شيخ من مشايخ الصوفية لأتباع طريقته منهجاً خاصاً بالذكر، وأذكاراً مخصوصة وأضفى على ذكره وطريقته في الذكر هالة من التقديس، بها يجذب المريدين، فمنهم من زعم أن ذكره الخاص قد أخذه من الرسول ﷺ مناماً، ومنهم من

---

(1) هو عبدالوهاب بن أحمد الحنفي – نسبة إلى محمد ابن الحنفية – من المتصوفين الغلاة، ولد بمصر (٨٩٨هـ = ١٤٩٣م) ونشأ بساقية أبي شعرة (من قرى المنوفية) وإليه نسبته «الشعراني» و«الشعراوي»، مات في القاهرة سنة (٩٧٣هـ - ١٥٦٥م) له مؤلفات غالبها في التصوف منها: لواقح الأنوار في طبقات الأخبار، والقواعد الكشفية، وغيرهما كثير. انظر: الأعلام (٤/ ١٨٠- ١٨١).

(2) انطباع الصور الكونية في القلب المانعة لقبول تجلي الحق. انظر: اصطلاحات الصوفية (١/ ٢٥٦). التعريفات (ص: ١١١).

(3) الأنوار القدسية، (١/ ٣٤-٤٣).

(4) المرجع السابق.

(5) المرجع نفسه.

(6) مجموع الفتاوى، (١١/ ٣١٣).

أخذه يقظة، ومنهم من زعم أن الخضر هو الذي أوحى له بالذكر(١).

جاء في صلاة الفاتح للتجاني(٢) قوله: «سألت النبي ﷺ عن فضل صلاة الفاتح، فأخبرني أولاً بأن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ست مرات، ثم أخبرني ثانياً بأن المرة الواحدة منها تعدل من كل تسبيح وقع في الكون ومن كل ذكر ومن كل دعاء كبير أو صغير، ومن القرآن ستة آلاف مرة»(٣).

وجاء في فضل جوهرة الكمال عند التيجانية :"وأما جوهرة الكمال فهي إملاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لسيدنا الشيخ رضي الله عنه يقظة لا مناماً فمن فضلها الذي ذكره الشيخ رضي الله عنه أن المرة منها تعدل تسبيح العالم ثلاث مرات بشرط الطهارة المائية وأن من لازمها كل يوم سبع مرات يحبه النبي صلى الله عليه وسلم وأن النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الأربعة يحضرون مع الذاكر عند السابعة منها ولا يفارقونه حتى يفرغ من ذكرها وهذا من باب خرق العادة ، ومنها أن من قرأها عشرة مرة وقال هذه هدية مني إليك يا رسول الله فكأنما زار النبي صلى الله عليه وسلم والأولياء والصالحين من أول الوجود إلى وقته ومنها أن من نزلت به شدة أو ضيق وقرأها خمساً وستين مرة فرج الله عنه في الحين وفضل الله أوسع ويختص به من يشاء

(١) انظر: الذكر والسماع عند الصوفية، محمد لوح (ص: ٤٥).

(٢) هو: أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد الشريف التجاني، شيخ الطريقة التجانية ومؤسسها، ولد بعين ماضي بالجزائر سنة (١١٥٠هـ)، توفي سنة (١٢٣٠هـ-١٨١٥م)، وخلف بعض الآثار منها: «السر الأبهر في أوراد القطب الأكبر» و«جوهرة الحقائق في الصلاة على خير الخلائق» و«جوهرة الكمال في الصلاة على سيد الأرسال» وكلها أوراد وأحزاب مقررة على أتباع الطريقة، وأشهرها وأكبرها «جواهر المعاني» وهو عبارة عن سيرة للتجاني ومناقبه، وروايات عنه، جمعها صاحبه علي حرازم برادة.أنظر ترجمته في الدرر السنية في الطريقة التيجانية للرباطي ص ١٥. كذلك التيجانية لعلي الدخيل الله ص ٢١.

(٣) جواهر المعاني، علي حرازم، ١/ ٣٦.

والله ذو الفضل العظيم ومن أراد زيادة فعليه بكتب هذه الطريقة كجواهر المعاني والرماح وأما فضل الذكر به يوم الجمعة بعد صلاة العصر فيكفي في فضله حضور النبي صلى الله عليه وسلم من أول الذكر إلى آخره ، قال صاحب المنية :

يكفيك في الفضل حضور المصطفى صلى عليه ربنا وشرفا "[1]

ومما أحدثوه في باب الأذكار ضرورة تلقيهم الذكر عن طريق شيخ، فهم يتلقون الأذكار من مشايخهم من خلال طقوس معينة واحتفالات مطولة حتى يتشرف بتلقي الذكر.

يقول الرازي[2]: «وشرط التلقين هو أن يصوم المريد ثلاثة أيام بوصية الشيخ ويجتهد في هذه الأيام الثلاثة.... وبعد اليوم الثالث يغتسل بأمر الشيخ»[3].

كذلك مما ابتدعوه إلزامهم المريد بعدم تجاوز ما لقنه الشيخ إلى غيره، ولهذا تعددت صيغ الذكر الصوفي تبعاً لتعدد الطرائق، فمنهم من يذكر الله بكلمة الشهادة (لا إله إلا الله)، ومنهم من يذكر الله بالاسم المفرد (الله) ومنهم من يذكره بالضمير

---

(1). الدرر السنية في الطريقة التيجانية للرباطي ص ٦٠ ط مطبعة حجازي القاهرة ١٣٧٥ هـ.

(٢) فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين التيمي البكري الرازي، ويُعرف بابن خطيب الري، من أئمة الأشاعرة الذين مزجوا المذهب الأشعري بالفلسفة والاعتزال، رد عليه شيخ الإسلام في نقض التأسيس والدرء وغيرهما، قال الذهبي عنه: «وقد بدت في تواليفه بلايا وعظائم وسحر وانحرافات عن السنة، والله يعفو عنه، فإنه توفي على طريقة مُرضية» اهـ، ولد سنة (٥٤٤هـ)، وتوفي سنة (٦٠٦هـ). انظر: وفيات الأعيان (٣/ ٣٨١-٣٨٥). لسان الميزان (٤/ ٢٤٦-٢٤٩). شذرات الذهب (٥/ ٢١). سير الأعلام (٢١/ ٥٠٠).

(٣) مرصاد العباد من المبدأ إلى المعاد، لنجم الدين الرازي، (ص: ٨٧).

(هو)[1].

وفهمهم للذكر أنه فقط ترديد أذكار معينة ،وانعزالهم عن الناس والحياة، فهم خاطئ لمكانة الذكر وقيمته، فالله عزوجل طلب من المؤمنين أن يذكروا الله عزّ وجلّ كثيراً حين انتشارهم في الأرض ابتغاء الرزق ولم يقصر الذكر على خلوات معينة، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾﴾[2].

ودعوى أفضلية ذلك جهل، فهذا حال الرسول ﷺ سيد الذاكرين كان لا يختلي بالذكر إلا في أوقات قليلة جداً، بل أكثر الأحيان يأتي بالأذكار وهو يجهز الجيوش ويصلح الرعيّة ويعلم العلم ولسانه رطب من ذكر الله، وذكر الله حاضر في قلبه ﷺ.

فالشرع حين أعطاه المكانة العليا، جعله هو الأساس لعمل الطاعات والمخالط لها، وجعله هو المانع من الوقوع في المنهيات، وشرع الشرائع كلها لإقامته ولم يفصل بينه وبين الطاعات، فلا تقوم طاعة إلا به، ولا يقوم هو بدونها.

ولهذا فإن المسلم ينبغي له ألا يحدث في ذكره لله ودعائه شيئاً مخالفاً لما كان عليه رسول الله ﷺ هو وأصحابه، وإلا كان مبتدعاً في الدين، محدثاً في العبادة ما ليس منها، وسيضل الطريق حتماً.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «ومتى خرج الإنسان عن الأحزاب النبوية والأذكار والدعوات الشرعية كان كالسالك بشعاب الطريق، فقد يضل طريقه من حيث لا

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٥٦١).

(٢) [الجمعة:١٠].

يدري»[1].

وقال أيضاً رحمه الله: «الأذكار والدعوات من أفضل العبادات، والعبادات مبناها على التوقيف والاتباع لا على الهوى...، وليس لأحد أن يسن منها غير المسنون ويجعله عادة راتبة يواظب الناس عليها، بل هذا ابتداع دين لم يأذن به الله، بخلاف ما يدعو به المرء أحياناً من غير أن يجعله للناس سنة»[2].

قوله: والأوراد. الورد بالكسر «الوظيفة من قراءة ونحو ذلك، والجمع: أوراد»[3].

وهي مما ابتدعته الصوفية، حيث رتبوا لكل يوم ورد خاص به من الذكر والدعاء لا يدعى به في اليوم الآخر.

فدخلت البدعة على هذه الأذكار والأدعية من وجه آخر وهو ترتيبها وتقييدها بوقت خاص لم يقيّده الشارع ولو على فرض صحة الذكر والدعاء.

فلكل شيخ طريقة دعاء خاص، يسمى بحزب فلان أو ورده، فأتباع ذلك الشيخ يحافظون عليه قراءة وتبركاً وتقديساً أشد من محافظتهم على القرآن الكريم، ثم إنهم ألزموا الأتباع قراءة الورد، ووجوب قضائه إذا فات وقته. ولا يخف ما يتضمنه هذا الإلزام من التشريع مع الابتداع.

ثم إن كل طريقة تتباهى بوردها وحزبها حتى وصل الأمر إلى تفضيله على القرآن، كما جاء في صلاة الفاتح للتجاني[4] قوله: «سألت النبي ﷺ عن فضل صلاة الفاتح،

---

(١) الرد على أبي الحسن الشاذلي في حزبه، ابن تيمية، (ص: ١٢٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٥١٠-٥١١).

(٣) المصباح المنير، (ص: ٣٣٧).

(٤) هو: أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد الشريف التجاني، شيخ الطريقة التجانية

فأخبرني أولاً بأن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ست مرات، ثم أخبرني ثانياً بأن المرة الواحدة منها تعدل من كل تسبيح وقع في الكون ومن كل ذكر ومن كل دعاء كبير أو صغير، ومن القرآن ستة آلاف مرة»[(١)].

والتيجانيين[(٢)] يعتقدون أنها من كلام الله تعالى، وأنها وردت من الحضرة القدسية مكتوبة بقلم القدرة في صحيفة نورانية، وأنها لم تكن من تأليف أحد من البشر، وإنما

ومؤسسها، ولد بعين ماضي بالجزائر سنة (١١٥٠هـ)، توفي سنة (١٢٣٠هـ-١٨١٥م)، وخلف بعض الآثار منها: «السر الأبهر في أوراد القطب الأكبر» و«جوهرة الحقائق في الصلاة على خير الخلائق» و«جوهرة الكمال في الصلاة على سيد الأرسال» وكلها أوراد وأحزاب مقررة على أتباع الطريقة، وأشهرها وأكبرها «جواهر المعاني» وهو عبارة عن سيرة للتجاني ومناقبه، وروايات عنه، جمعها صاحبه علي حرازم برادة. انظر: التيجانية (ص: ١٤).

(١) التيجانية، علي آل دخيل الله، (ص: ١١٦).

(٢)التيجانية: فرقة صوفية يؤمن أصحابها بجملة الأفكار والمعتقدات الصوفية ويزيدون عليها الاعتقاد بإمكانية مقابلة النبي صلى الله عليه وسلم، مقابلة مادية واللقاء به لقاءً حسيًّا في هذه الدنيا، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قد خصهم بصلاة (الفاتح لما أُغلق) التي تحتل لديهم مكانة عظيمة.

مؤسسها هو: أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار ابن أحمد بن محمد سالم التيجاني، وقد عاش مابين (١١٥٠-١٢٣٠هـ) أنشأ طريقته عام (١١٩٦هـ) في قرية أبي سمغون وصارت فاس المركز الأول لهذه الطريقة، ومنها تخرج الدعوة لتنتشر في أفريقيا بعامة .

ومن مشاهيرالطريقة بعد المؤسس علي حرازم أبو الحسن بن العربي برادة المغربي الفاسي .وعمر بن سعيد بن عثمان الفوتي السنغالي.لها أتباع كثيرون في بلاد المغرب والسودان الغربي (السنغال) ونيجيريا وشمالي أفريقيا ومصر والسودان وغيرها من أفريقيا.

أنظر : الهداية الهادية إلى الطائفة التيجانية، الدكتور محمد تقي الدين الهلالي (ص:١٦) التيجانية، علي بن محمد الدخيل الله، (ص: ٣١) الأنوار الرحمانية لهداية الفرقة التيجانية، عبد الرحمن بن يوسف الأفريقي (ص:٦).

هي من كلام الله تعالى كالأحاديث القدسية، بل وصل الأمر إلى أن قالوا: «من لم يعتقد أنها- أي: صلاة الفاتح- من القرآن لم يصب الثواب فيها» (١).

ويكفي في ضلال هذه الأوراد اشتمال كثير منها على الشرك، كما في وظيفة ابن مشيش(٢): «اللهم انشلني من أوحال التوحيد وألقني في بحار الوحدة»(٣).

ثم اشتمالها على الاعتداء في الدعاء مثل ما جاء في حزب البحر للشاذلي(٤) من قوله: «اللهم اعصمني في الحركات والسكنات»(٥) فهذا طلب للعصمة(٦) وهي من منازل الأنبياء، كذلك أخذ العهد من المريد بعدم تركها وما يكتنفها من الغموض والاجتماع لترتيلها.

---

(١) الإفادة، ابن اللبّاد، (ص: ٨٠).

(٢) هو عبدالسلام بن مشيش بن أبي بكر، صوفي، مغربي كبير، اشتهر برسالته: الصلاة المشيشية، توفي سنة (٦٢٢هـ). انظر: الأعلام (٤/ ٩)، ومعجم المؤلفين (٥/ ٢٣٢). و المطرب (ص: ٨٦-١٠٤).

(٣) نقلاً عن مصرع التصوف، البقاعي، (ص: ٣٤).

(٤) هو محمد بن سليمان بن عبدالرحمن الجزولي الشاذلي، صوفي من أهل المغرب – تفقه بفاس ومات سنة (٨٧٠هـ)، ودفن بمراكش. انظر: «معجم المؤلفين» (١٠/ ٥٢).

(٥) المرجع السابق (ص: ٣٥).

(٦) العصمة في اللغة: قال ابن فارس: العين والصاد والميم أصل واحد يدل على إمساك ومنع وملازمة، والمعنى في ذلك كله معنى واحد، من ذلك: العصمة أن يعصم الله تعالى عبده من سوء يقع فيه. وتطلق العصمة على الحفظ ـ أيضاً ـ.
واصطلاحا: منع الله تعالى عبده من المعاصي.
وعصمة الأنبياء: حفظ الله لأنبيائه من الذنوب والمعاصي.
وقال الحافظ ابن حجر: "وعصمة الأنبياء على نبينا وعليهم الصلاة والسلام: حفظهم من النقائص، وتخصيصهم بالكمالات النفيسة، والنصرة والثبات في الأمور وإنزال السكينة". انظر: معجم المقاييس (ص: ٧٧٩). المفردات (ص: ٣٤٠). لسان العرب (١٠/ ١٧٦). المطلع على أبواب المقنع (ص: ٢٠٣). الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (ص: ١٨٨). فتح الباري (١١/ ٦١٠-٦١١).

وأشهر أورادهم (دلائل الخيرات) [1]، وهذا الكتاب مشتمل على الإعتداء في الدعاء وفي الصلاة على النبي ﷺ ، زيادة على ما يترتب على التزام صيغة مبتدعة من الصلاة واعتقاد أنها أفضل من الصيغ الواردة في الصلاة والسلام، واعتقاد أن لتلك الصيغ خصائص ومميزات ما أنزل الله بها من سلطان، وربما اعتقد بعضهم فضله على القرآن، وإن لم يصرح بلسانه، ولكنه عملياً يفضل حيث يلازم قراءته ويعتني به أكثر من القرآن.

قال شيخ الإسلام: «والذي يعدل عن الدعاء المشروع إلى غيره – وإن كان من أحزاب بعض المشايخ – الأحسن له أن لا يفوته الأكمل الأفضل، وهي الأدعية النبوية، فإنها أفضل وأكمل باتفاق المسلمين من الأدعية التي ليست كذلك، وإن قالها بعض الشيوخ فكيف وقد يكون في عين الأدعية ما هو خطأ أو إثم أو غير ذلك. ومن أشد الناس عيباً من يتخذ حزباً ليس بمأثور عن النبي ﷺ وإن كان حزباً لبعض

---

(١) دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار ، كتاب من تأليف محمد بن سليمان الجزولي المتوفى سنة ٨٧٠ هـ، جمع فيه صيغ في الصلاة على الرسول ﷺ ، وهو يعدّ من أشهر الكتب عند الصوفية حيث جعلوه جزءاً من أورادهم التي يقرأونها صباحاً ومساءً.

وقد قسم هذا الكتاب على سبعة أقسام، على عدد أيام الأسبوع، لكل يوم صيغ من الصلاة على النبي. وجعل الجزولي كمقدمة لهذا الكتاب دعاء بأسماء الله الحسنى وذكر لأسماء الرسول ﷺ.

شرح كتاب دلائل الخيرات : محمد المهدي القصري الفاسي، المتوفى سنة ١٠٦٣ هـ، وسماه "طالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات". ومما قيل عنه :

بدلائل الخيرات كن مستمسكاً والزم قراءتها تنل ما تبتغي

فشوارق الأنوار لائحة بها فالترك منك لها لا ينبغي

وقد بذل حكام المسلمين وأمراؤهم المال الكثير في نسخه وتوزيعه بين البلاد، وكان آخرهم السلطان عبد الحميد. أنظر : مقدمة كتاب الألفاظ الموضحات لأخطاء دلائل الخيرات ،عبد الله بن محمد الدويش.

المشايخ، ويدع الأحزاب النبوية التي كان يقولها سيد بني آدم وإمام الخلق وحجة الله على عباده، والله أعلم»[١].

قوله: والدعاء. الدعاء لغة: تعود أصل الكلمة (دعو) إلى معان كثيرة ترجع إلى أصل تدور عليه وهو إمالة الشيء إليك، ومن المعاني: المناداة والطلب والثناء[٢].

وهويطلق على عدة معان، منها: العبادة، والتوحيد، والنداء، والاستغاثة، والسؤال، والاستعانة وغيرها[٣].

معنى الدعاء شرعاً:

قال الخطابي ﷺ: «استدعاء العبد ربه عزوجل العناية، واستمداده إياه المعونة»[٤].

وقال بن العربي المالكي ﷺ: "حقيقة الدعاء مناداة الله تعالى لما يريد من جلب منفعة، أو دفع مضرة من المضار والبلاء بالدعاء، فهو سبب لذلك، واستجلاب لرحمة المولى"[٥].

وقال شيخ الإسلام بن تيمية ﷺ:"إن دعاء المسألة: هو طلبُ ما ينفع الداعي، وطلبُ كشفِ ما يضره، ودَفعِهِ"[٦].

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب ﷺ: "هو الطلب بياء النداء؛ لأنه ينادى به القريب والبعيد، وقد يستعمل في الاستغاثة أو بأحد أخواتها"[١].

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٥٢٥).

(٢) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (٢/ ٢٧٩). المخصص، لابن سيده، (١٣/ ٨٨).

(٣) الدعاء المأثور وآدابه للطرطوشي، (ص: ٣١-٣٣).

(٤) شأن الدعاء، الخطابي، (ص: ٤).

(٥) مراقي الزلفى لابن العربي، بواسطة الدعاء ومنزلته من العقيدة للعروسي (١/ ٢٥).

(٦) الفتاوى: (١٥/ ١٠)، ومثله في بدائع الفوائد: (٢/ ٣).

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله: "هو السؤال والطلب رغبة أو رهبة أو مجموعهما"(٢).

أنواع الدعاء:

النوع الأول: دعاء مسألة

النوع الثاني: دعاء عبادة.

وممن قال بهذا التنويع من السلف ابن جرير رحمه الله، قال في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾(٣) وجهين: أحدهما: مسألة العبد ربه ما وعدهم على العمل من الأجر، واستدل على ذلك بحديث: {الدعاء هو العبادة}(٤)، ثم قال: "فأخبر صلى الله عليه وسلم أن الدعاء إنما هو عبادته ومسألته بالعمل والطاعة "(٥).

وقال أيضاً رحمه الله: "والدعاء لله يكون بذكره وتمجيده والثناء عليه قولاً وعملاً، وقد يكون بالعمل له بالجوارح"(٧).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: "لفظ الدعاء والدعوة في القرآن يتناول معنيين: دعاء العبادة، ودعاء المسألة..."(٦)

---

(١) الرسائل الشخصية من مؤلفات الشيخ (ص:٤).

(٢) القول الفصل النفيس (ص:٤٧).

(٣) [البقره:١٨٦]

(٤) يأتي تخريجه (ص:١٧٠).

(٥) تفسير ابن جرير: (٢/ ١٦٥-١٦١)، وبدائع الفوائد (٣/ ٢-١٤).

(٦) الفتاوى: (١٠/ ٢٣٧-٢٣٨)، واقتضاء الصراط: (٤١١).

وقال ابن القيم رحمه الله: "والدعاء نوعان: دعاء عبادة، ودعاء مسألة. والعابد داع، كما أن السائل داع"[1]،

وقال أيضاً رحمه الله: "فالتشهد يجمع نوعي الدعاء: دعاء الثناء والخير، ودعاء الطلب والمسألة"[2].

تلازم نوعي الدعاء:

الدعاء يراد به تارة دعاء المسألة، وتارة دعاء العبادة، وليس معنى هذا أنهما متضادان بحيث أنه لا يدل إلا على النوع الذي أريد به، بل معناه أنه في تلك الحالة دلالته على أحد النوعين أظهر، ويدل على النوع الآخر إما بدلالة الالتزام أو بدلالة التضمن، وعلى النوع الذي يكون فيه أظهر بدلالة المطابقة.[3]

فإذا أريد به المسألة والطلب يدل على العبادة بطريق التضمن[4] ؛ لأن الداعي دعاء المسألة عابد لله تعالى بسؤاله، ورغبته، والتضرع إليه، والابتهال إليه، والانطراح بين يديه، وهو يرجو قبول دعوته، وقضاء حاجته، وهو مع ذلك خائف من طرده، وعدم قبول دعوته، فهذا هو لب العبادة ومخها وروحها وحقيقتها. فالآيات التي ورد فيها الدعاء مراداً به دعاء المسألة -تدل هذه الآيات بطريق التضمن على دعاء العبادة-.

وأما إذا أريد بالدعاء دعاء العبادة، فإنه يدل على دعاء المسألة بطريق دلالة

---

(١) جلاء الأفهام (ص:١٨).

(٢) بدائع الفوائد: (٢/ ١٩٠).

(٣) دلالة اللفظ على تمام ما وضع له تسمى مطابقة، وعلى جزئه تضمناً، وعلى الخارج التزاماً، ودلالة اللفظ على ما وافقه.. يدعونها دلالة المطابقة، وجزئه تضمناً وما لزم.. فهو التزام إن يعقل التزم. اهـ. إرشاد الفحول (ص:١٧)، ومنهاج السنة: (٥/ ٤٥٢-٤٥٤).

(٤) مجموع الفتاوى: (١٥/ ١٠، ١٥/ ٢٤٣)، وجلاء الأفهام (ص:٨١).

الالتزام[1] ؛ وذلك لأن العابد لله تعالى كالذي يذكر الله مثلاً، فهو في الحقيقة سائل وإن كان لا يأتي بلفظ السؤال، كالذي يطوف على بعض الأبواب والأسواق ليدعو الناس يكون سائلاً وإن حذف لفظ السؤال[2]. فالعابد لله سبحانه سائل لله تعالى، يسأله الفوز بالجنة، والنجاة من النار، فإنه يعبد الله خوفاً من عقابه، وطمعاً في رحمته، ولا يخلو العابد في قرارة نفسه من الخوف والرجاء، لا كما يزعمه بعض المتصوفة "إنه يعبد الله لا خوفاً من النار ولا طمعاً في الجنة، وإن هذا المقام نقص، وإنما الكمال في عبادة الله لذاته"[3] وهذا باطل مخالف لنصوص الكتاب والسنة، ولواقع عباد الله الصالحين من الصحابة والتابعين وسلف هذه الامة.

ولهذا فالعبادة تستلزم السؤال والطلب، فإذا أريد من الدعاء دعاء العبادة فإنه يدل على دعاء المسألة استلزاماً.

فالعابد لابد أن يطلب غرضاً ما عاجلاً أو آجلاً، فلا يخلو في قرارة نفسه من رغبة أو رهبة.

وبما تقدم تبين أن نوعي الدعاء متلازمان، لا ينفك أحدهما عن الآخر، فحيث ذكر أحدهما دخل معه الآخر، إما تضمناً أو التزاماً،

وبهذا التوضيح يندفع ما يردده بعض المخالفين من أن الآيات الواردة في التحذير من دعاء غير الله المراد بها العبادة فقط، وليس المراد بها السؤال والطلب، فلا يدخل فيها

(١) الفتاوى: (١٥/ ١١)، بدائع الفوائد: (٣/ ٣)، ونحوه في اقتضاء الصراط: (٤١١).

(٢) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي: (١/ ٥٣٧).

(٣) الفتاوى: (١٠/ ٦٩١).

طلب الشفاعة من الأموات، والتوسل بهم، بل ولا دعاؤهم والاستغاثة بهم، والهتاف باسمهم من مسافات بعيدة.. هكذا زعموا وأولوا كل الآيات التي فيها التحذير من دعاء غير الله تعالى بالعبادة.

قال الشيخ سليمان بن عبدالله ﷺ : "فعلم أن النوعين متلازمان. فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة. وبهذا التحقيق يندفع عنك ما يقوله عباد القبور إذ احتج عليهم بما ذكر اللهّ في القرآن من الأمر بإخلاص الدعاء له.

قالوا: المراد به العبادة، فيقولون في مثل قوله تعالى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ للهَِّ فَلا تَدْعُو مَعَ اللهَِّ أَحَداً}(١). أي: لا تعبدوا مع اللهّ أحدًا، فيقال لهم: وإن أريد به دعاء العبادة، فلا ينفي أن يدخل دعاء المسألة في العبادة، لأن دعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة، كما أن دعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة، هذا لو لم يرد في دعاء المسألة بخصوصه من القرآن إلا الآيات التي ذكر فيها دعاء العبادة. فكيف وقد ذكر اللهّ في القرآن في غير موضع. قال اللهّ تعالى: {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}(٢)

وقال تعالى: {وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً}(٣)

وفي الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ما لا يحصى، منها قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: "يا عبادي، كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا

---

(١)سورة الجن آية: ١٨.

(٢)سورة الأعراف آية: ٥٥.

(٣)سورة الأعراف آية: ٥٦.

عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا فاستغفروني أغفر لكم"[1]

فثبت بهذا أن الدعاء عبادة من أجل العبادات، بل هو أكرمها على الله كما تقدم، فإن لم يكن الإشراك فيه شركًا، فليس في الأرض شرك، وإن كان في الأرض شرك فالشرك في الدعاء أولى أن يكون شركًا من الإشراك في غيره من أنواع العبادة. [2]

وحقيقة الدعاء إظهار الافتقار إلى الله، والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله عز وجل وإضافة الجود والكرم إليه[3].

ومما يدل على أهمية الدعاء وعظم شأنه وأنه من أجل العبادات، أنه ذكر في القرآن الكريم في نحو ثلاثمائة موضع[4].

وقد سماه الله تعالى عبادة، وتوعد من ترك الدعاء – استكباراً – بدخوله جهنم ذليلاً حقيراً، فقال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[5].

والدعاء عند الصوفية انحرف انحرافاً كبيراً عن هدي الكتاب والسنة، ومن ذلك:[6]

---

(١)مسلم: البر والصلة والآداب (٢٥٧٧).

(٢) تيسير العزيز الحميد (٢١٥-٢١٦) بتصرف واختصار.

(٣) المرجع السابق، وانظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٦٧٨).

(٤) انظر الدرر السنية (٩/ ٤١٨).

(٥) [غافر:٦٠].

(٦) الدعاء ومنزلته من العقيدة، العروسي، (٢/ ٥١٧-٥٢٨).

١- دعاء غير الله عزّوجلّ كدعاء الأولياء وأصحاب القبور.

٢- ترك الدعاء بدعوى التوكل على الله عزّوجلّ.

٣- دعاء الله عزّوجلّ عند القبور معتقداً أن له خصوصية في إجابة الدعاء.

٤- التوسل بذوات الأولياء والصالحين في الدعاء.

٥- الاعتداء في الدعاء.

٦- تقييده وترتيبه على أوراد معينة لكل يوم ورد معين.

٧- الاجتماع للدعاء.

وسيأتي إن شاء الله أمثلة كثيرة على ذلك في فصل الغلو، فقد خصص الناظم رحمه الله أكثر الفصل لمسألة دعاء غير الله.

و قد نهى الله عزوجل عن دعاء غيره، فقال: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾[(١)]، وقال كذلك سبحانه: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾[(٢)].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر: {الدعاء هو العبادة} ثم قرأ ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[(٣)][(٤)].

(١) [يونس:١٠٦].

(٢) [الجن:١٨].

(٣) [غافر:٦٠].

(٤) مسند أحمد (٤/ ٢٦٧، ح١٨٣٧٨). سنن أبي داود (٢/ ٧٦، ح١٤٧٩). وسنن الترمذي (٥/ ٢١١، ح٢٩٦٩). ومستدرك الحاكم (١/ ٦٦٧، ح١٨٠٢)، وقال: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، وصححه النووي في الأذكار (ص: ٣٣٣). وقال ابن حجر في الفتح (١/ ٤٩): "إسناده

قال الشوكاني رحمه الله: «قوله: {الدعاء هو العبادة} هذه الصفة المقتضية للحصر من جهة تعريف المسند إليه، ومن جهة تعريف المسند، ومن جهة ضمير الفصل، تقتضي أن الدعاء هو أعلى أنواع العبادة وأرفعها وأشرفها... والآية الكريمة قد دلت على أن الدعاء من العبادة، فإنه سبحانه وتعالى أمر عباده أن يدعوه، ثم قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي ﴾ فأفاد ذلك أن الدعاء عبادة، وأن ترك دعاء الرب سبحانه وتعالى استكبار»[١].

ويقول السعدي رحمه الله في بيان عظم الدعاء: «قال تعالى: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[٢] فوضع كلمة «الدين» موضع كلمة «الدعاء» وهو في القرآن كثير جداً، يدل على أن الدعاء هو لب الدين وروح العبادة، ومعنى الآية هنا: أخلصوا له إذا طلبتم حوائجكم، وأخلصوا له أعمال البر والطاعة»[٣].

قال القاضي عياض رحمه الله: «أذِن الله في دعائه، وعلَّم الدعاءَ في كتابه لخليقته، وعلَّم النبيُّ صلى الله عليه وسلم الدعاءَ لأمته، واجتمعت فيه ثلاثة أشياء: العلم بالتوحيد، والعلم باللغة، والنصيحة للأمة، فلا ينبغي لأحد أن يعدل عن دعائه صلى الله عليه وسلم[٤].

وقد احتال الشيطان للناس من هذا المقام فقيَّض لهم قومَ سوء، يخترعون لهم أدعية يشتغلون بها عن الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم، وأشد ما في الإحالة أنهم ينسبونها إلى الأنبياء والصالحين، فيقولون: دعاء نوح، دعاء يونس، دعاء أبي بكر، فاتقوا الله في أنفسكم، لا تشتغلوا من الحديث إلا بالصحيح»[٥].

جيد"، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داوود ٣/ ٢٣٩) .

(١) تحفة الذاكرين، الشوكاني، (ص: ٢٥).

(٢) [غافر: ١٤].

(٣) القواعد الحسان، السعدي، (ص: ١٥٥).

(٤) يقصد دعائه المأثور عنه صلى الله عليه وسلم ، وليس دعاء النبي صلى الله عليه وسلم

(٥) انظر: الفتوحات الربانية، ابن علان، (١/ ١٧).

وهذه المحدثات مصداق ما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: {سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الدعاء والطهور}(١)،وهي تزداد على حين فترة من العلماء، وجهل الدهماء، ونفوذ أهل الأهواء. والإحداث في هذا الباب له أربع مفاسد: هجر المشروع، والاستدراك على الشرع، واستحباب ما لم يشرع، وإيهام العامة بمشروعيته(٢).

قوله: بالآي. جمع آية مثل آيات. وقصره لمناسبته الوزن الشعري، والآية: العلامة، والآية في القرآن الكريم كأنها علامة شيء ثم يخرج منها إلى غيرها(٣).

ويقصد الناظم بالآي: آيات القرآن التي ورد الذكر والدعاء بها، مثل: قراءة آية الكرسي والمعوذتين بعد الفريضة، فقد ورد الذكر بهما في حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: {من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت}(٤).

---

(١) مسند أحمد (١/ ١٧٢، ح١٤٨٣). وبنحوه عند أبي داود في سننه (٢/ ٧٧، ح١٤٨٠). وسنن ابن ماجه (٢/ ١٢٧١، ح٣٨٦٤). ومستدرك الحاكم (١/ ٧٢٤، ح١٩٧٩)، وقال: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه". وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٥/ ٢٢٠، ح١٣٣٠). وصحيح سنن ابن ماجه (٨/ ٣٦٤، ح٣٨٦٤).

(٢) شأن الدعاء (١/ ١٨٦).

(٣) جمهرة اللغة، ابن دريد، (١/ ٩٧).

(٤) سنن النسائي الكبرى (٦/ ٣٠، ح ٩٩٢٨). والمعجم الأوسط للطبراني (٨/ ٩٣، ح٨٠٦٨)، وقال: "لم يرو هذا الحديث عن محمد بن زياد إلا محمد بن حمير، ولا يروى عن أبي أمامة إلا بهذا الإسناد". وحسن إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ١٤٨). وصححه الألباني في صحيح الجامع(٢٣/ ٤١٠، ح١١٤١٠).

وحديث عقبة بن عامر[1] رضي الله عنه قال: {أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقرأ بالمعوذات في دبر كل صلاة}[2]، ومثل قراءة آخر آيتين من البقرة فعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأ بهما في ليلة كفتاه}[3]وغير ذلك كثير.

وكذلك الدعاء بالآيات فعن أنس رضي الله عنه[4] قال: {كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾[5]}[6].

قوله: والصفات والأسماء. أي كذلك الأذكار والأدعية والأوراد من السنة أن تكون بالأسماء والصفات، فعن فضالة رضي الله عنه أنه قال: {سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يدعو في صلاته، ولم يمجد الله تعالى، ولم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عجل هذا، ثم دعاه، فقال له أو لغيره: إذا صلى أحدكم، فليبدأ بتمجيد ربه جل وعز

---

(1) هو عقبة بن عامر بن عبس الجهني، الصحابي المشهور، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا، كان قارئا عالما بالفرائض والفقه شاعرا كاتبا، أحد من جمع القرآن، توفي في آخر خلافة معاوية. انظر ترجمته في الاستيعاب (ص:٥٦١-٥٦٢)، والإصابة (٤/ ٢٥٠-٢٥١).

(٢) سنن أبي داود (١/ ٤٤٧، ح١٥٢٣). وصحيح ابن حبان (٥/ ٣٤٤، ح٢٠٠٤). وسنن النسائي (٣/ ٦٨، ح١٣٣٦). ومستدرك الحاكم (١/ ٣٨٣، ح٩٢٩)، وقال: "صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي. ومسند أحمد (٤/ ١٥٥، ح١٧٤٥٣). وصححه الألباني في: الصحيحة (١٥١٤). وصحيح أبي داود (١٣٦٣). وصحيح الجامع (ح١١٥٩).

(٣) صحيح البخاري (٤/ ١٩٢٣، ح٤٧٥٣). وصحيح مسلم (١/ ٥٥٤، ح٨٠٧).

(٤) هو أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي، أبو حمزة، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، واحد المكثرين من الرواية، آخر من مات بالبصرة من الصحابة، توفي بعد ٩٠ هـ. انظر ترجمته في الاستيعاب (ص:٥٣-٥٤). والإصابة (١/ ٧١-٧٣).

(٥) [البقرة: ٢٠١].

(٦) صحيح البخاري (٥/ ٢٣٤٧، ح٦٠٢٦). وصحيح مسلم (٤/ ٢٠٧٠، ح٢٦٩٠).

والثناء عليه، ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يدعو بعد بما شاء}[1].

وكان النبي ﷺ يستفتح صلاة الليل بالدعاء بالأسماء والصفات.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: {كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يتهجد قال: "اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد لك ملك السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض، ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم، وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت - أو: لا إله غيرك -}[2].

وأعلى أنواع التوسل التي شرعها الله عز وجل لعباده التوسل إليه بأسمائه الحسنى وصفاته، فعن محجن بن الأدرع رضي الله عنه أنه قال: {دخل رسول الله ﷺ المسجد إذا رجل قد قضى صلاته وهو يتشهد، فقال: اللهم إني أسالك يا ألله بأنك الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، أن تغفر لي ذنوبي إنك أنت الغفور الرحيم، فقال رسول الله ﷺ: قد غفر له ثلاثاً}[3].

---

(١) سنن الترمذي (٥/ ٥١٧، ح٣٤٧٧)، وقال: "هذا حديث حسن صحيح". وسنن أبي داود (٢/ ٧٧، ح١٤٨١). ومسند أحمد (٦/ ١٨، ح٢٣٩٨٢). المستدرك للحاكم (١/ ٣٥٤، ح٨٤٠)، قال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه"، وقال في نصب الراية (١/ ٤٢٥): "لا أعلم له علة". وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١/ ٢، ح١٤٨١). وصحيح ضعيف سنن الترمذي (٧/ ٤٧٧، ح٣٤٧٧).

(٢) البخاري (٢/ ٤٨، ح١١٢٠). ومسلم (١/ ٥٣٢، ح ٧٦٩).

(٣) سنن أبي داود (١/ ٢٥٩، ح٩٨٥). وسنن النسائي (٣/ ٥٢، ح١٣٠١). وصححه الألباني في

قوله: فذكره جل بمايشاء.

يهدي الناظم هنا المريد إلى قاعدة مهمة في باب الذكر وهي أن يلزم الأثر ويدع ما سواه؛ لأن العبادات - ومنها الذكر - كلها توقيفية، أي: لا مجال فيها للاجتهاد، ويجب اتباع الأثر فيها.

ويقصد الناظم بما شاءه الله عز وجل أي: ما شرعه لنا من الذكر بالقرآن والأذكار النبوية الثابتة عن رسوله ﷺ، وسيأتي تفصيلها في فصل الذكر. في البيت رقم (٢٩١) عند قوله: الذكر بالمأثور نعم القربة.

وقوله: «جل» و «عزّ» اختصار اقتضته الضرورة الشعرية، والدارج جمع أحدهما إلى الآخر، فيقال: (عزوجل) أو (جل وعز).

والمقصود بالجلال التنزيه، ويتضمن التعظيم، والاسم الثابت فيه (ذو الجلال) والإضافة فيه من باب إضافة صفاته القائمة به إليه سبحانه وتعالى[(١)].

قال الخطابي[(٢)] رحمه الله: «والمعنى أن الله جلّ وعز مستحق أن يجل ويكرم فلا يجحد سبحانه ولا يكفر به»[(٣)].

والجلال صفة ثابتة لله عز وجل، قال تعالى: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾[(٤)]، ويقول الله عز وجل في الحديث القدسي: {... وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي،

صحيح سنن أبي داود (١/ ٢، ح٩٨٥). وصحيح سنن النسائي (٣/ ٤٤٥، ح١٣٠١).

(١) شرح الواسطية (ص: ٦٤).

(٢) هو الإمام الحافظ اللغوي، أبو سليمان، حَمْد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي، صاحب التصانيف؛ كشرح السنن، والغنية عن الكلام وأهله، وشأن الدعاء، توفي ببست في سنة: (٣٨٨ هـ) انظر: السير (١٧/ ٢٣-٢٨).

(٣) شأن الدعاء، الخطابي، (ص: ١١٤).

(٤) [الرحمن:٧٨].

لأخرجن منها من قال: لا إله إلا الله}[1].

وقال الهرّاس[2] رحمه الله: «وأوصاف الجلال الثابتة له سبحانه مثل: العزة والقهر والكبرياء والعظمة والسعة والمجد، كلها ثابتة له على التحقيق لا يفوته منها شيء»[3].

وقوله: لا ذكره عَزَّ بما تشاءُ. العزّ والعزّة صفة لله عز وجل، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾﴾[4]، وجاء في حديث أبي هريرة مرفوعاً قال الله عز وجل:

---

(١) صحيح البخاري (٦/ ٢٧٢٧، ح٧٠٧٢).

(٢)محمد بن خليل حسن هرّاس ، ولد عام ١٩١٦م في محافظة الغربيَّة بجمهورية مصر العربية،عمل أستاذًا بكلِّيَّة أصول الدين في جامعة الأزهر،ثم أُعير إلى المملكة العربية السعودية - بطلب من العلامة عبد العزيز بن باز - ودرَّس في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ثمّ أُعير مرَّةً أخرى رئيسًا لشعبة العقيدة في قسم الدِّراسات العليا في (كلية الشريعة سابقًا / جامعة أم القرى حاليًا) ، شغل منصب نائب الرئيس العام لجماعة أنصار السنة النبوية، ثم الرئيس العام لها بالقاهرة.كان رحمه الله سلفي المعتقد، شديدًا في الحقّ، قويّ الحجّة والبيان، أفنى حياته في التعليم والتأليف ونشر السنة وعقيدة أهل السنة والجماعة، تعرض رحمه الله لمحاولات عديدة للقتل من متشددي الصوفية و منكري السنة فنجاه الله حتى يكون شوكة في حلوقهم و قد ركز رحمه الله على كتابة كتب العقيدة مثل الصفات الإلهية عند ابن تيمية - شرح العقيدة الوسطية - ابن تيمية السلفي،من تتلمذ على يديه - رحمه الله -: الشيخ محمد أمان بن علي الجامي -رحمه الله-، والشيخ علي بن ناصر الفقيهي - حفظه الله -، له مؤلفات عدة؛ منها:- تحقيق وتعليق على كتاب ((التوحيد)) لابن خزيمة.و شرح ((القصيدة النونية)) لابن القيم،و شرح ((العقيدة الواسطية)). توفى رحمه الله في عام ١٩٧٥م ،بقلم أحد تلاميذه : فضيلة الشيخ عبد الفتاح سلامة، رئيس قسم التفسير بشعبة الدراسات العليا بالجامعة للإسلامية بالمدينة المنورة ، باختصار.

(٣) النونية مع شرحها، الهراس، (٢/ ١١٣).

(٤) [يونس:٦٥].

{العز إزاري والكبرياء ردائي، فمن ينازعني عذبته}[1].

ومن أسمائه ﷻ العزيز، أي: الغالب القوي، وهو المعز الذي يهب العزة لمن يشاء من عباده، وقد تكرر وصف الله بالعزيز في القرآن بما يقارب تسعين مرة[2].

والعزة ترجع إلى ثلاثة معانٍ:

١-عزة القوة

٢-وعزة الامتناع

٣-وعزة القهر والغلبة لجميع الكائنات.

قال ابن القيم ؒ: «الأول: عزة القوة والدال عليها من أسمائه القوي المتين، وهو وصفه العظيم الذي لا تنسب إليه قوة المخلوقات وإن عظمت.

الثاني: عزة الامتناع؛ فإنه عز وجل الغني بذاته، فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العباد ضره فيضروه، ولا نفعه فينفعوه، بل هو الضار النافع المعطي المانع سبحانه.

الثالث: عزة القهر والغلبة لكل الكائنات؛ فالله عز وجل غالبٌ على كل شيء، والكائنات مقهورة لله خاضعةٌ لعظمته منقادةٌ لإرادته، فجميع نواصي العباد بيده، لا يتحرك منها متحرك، ولا يتصرف فيها متصرفٌ إلا بحوله وقوته وعزته وإذنه، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن»[3].

ويقصد بما تشاءه النفس من الأذكار المبتدعة، وسيأتي تفصيلها إن شاء الله في

(١) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٢٣، ح٢٦٢٠).

(٢) انظر: شأن الدعاء (١/ ٢١٤).

(٣) مدارج السالكين (٣/ ٢٤١).

فصل الذكر، في البيت رقم : ٣٠٨ عند قوله :واحرص على الأذكار والكيفية.

معنى البيتين إجمالاً: يتابع الناظم ﷺ تأكيده على وجوب لزوم طريق الشرع في مفردات الطريقة من الأذكار والأوراد والأدعية، وذلك بأن تكون وفق هدي النبي ﷺ، حيث كان هديه ﷺ الذكر بآيات القرآن وسوره، وأسماء الله ﷻ وصفاته.فالذكر الصحيح هو بما شاءه الله ﷻ ورضيه لنا، وليس بما شئناه نحن وارتضيناه لأنفسنا، أو ارتضاه لنا مشايخ الطرق.

٢٦١- فهل سوى الشريعة المرضيه قد أرسل الله بها نبيه

قوله: فهل سوى الشريعة المرضيه. الاستفهام هنا على وجه التقرير، والجواب أنه لا يوجد شريعة مرضية عند الله إلا التي جاء بها رسوله محمد ﷺ.

والشريعة: سبق بيانها في عنوان هذا الفصل.

والمرضية.أي: التي رضيها الله ﷻ لعباده، كما في قوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1].

ويقصد الناظم رحمه الله بقوله : فهل سوى إبطال الطرق المبتدعة التي هي تشريع في الدين.

وعليه لابد من لزوم سنة النبي ﷺ ، لأنها شرع من عند الله تعالى، فلا يجوز التقرب إلى الله بتشريع شيء لم يشرعه الله تعالى، وإلا كان هذا اعتداءً على حق الله تعالى في التشريع، ومنازعة لله تعالى في حكمه، وقد قال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾[2].

قوله: قد أرسل الله بها نبيه. أي: لم يرسل الرسول ﷺ بغير هذه الشريعة المرضية، كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[3].

---

(١) [المائدة:٣].

(٢) [الشورى:٢١].

(٣) [الجاثية:١٨].

قال السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية: ﴿ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ ﴾[(١)]: «من الشرك والبدع وتحريم ما أحل الله، وتحليل ما حرم الله، ونحو ذلك مما اقتضته أهواؤهم، مع أن الدين لا يكون إلا ما شرعه الله تعالى، ليدين به العباد ويتقربوا به إليه. فالأصل الحجر على كل أحد أن يشرع شيئاً ما جاء عن الله ولا عن رسوله...»[(٢)].

فلا ينبغي بل ولا يجوزالتقرب إلى الله تعالى إلا بما شرع، وبما بيَّن على لسان رسوله ﷺ، ومن هنا كان لازماً على المسلم أن يلزم السنة في كل عباداته، وألا يحيد عنها قيد أنملة، وإلا أحبط عمله وأبطله، إذا كان مخالفاً هدي رسول الله ﷺ في العمل.

معنى البيت إجمالاً:

يؤكد الناظم رحمه الله ما بدأه من أنه لا يوجد طرق في الإسلام سوى طريق واحد وهو طريق الشرع، ولم يرسل الله عز وجل رسوله محمداً ﷺ بشيء غير الشريعة المحمدية التي ارتضاها الله لعباده.

---

(١) [الشورى:٢١].

(٢) انظر: تفسير السعدي (ص: ٧٥٧).

٢٦٢-كالرقص والسماعِ ثم النَّحْبِ القصفِ والصراخِ عند الجذْبِ
٢٦٣- كأنهمْ سَكْرى بغيرِ سُكْرِ بالرقصِ والسماعِ لا بالذكرِ

قوله: كالرقص.

يضرب الناظم هنا أمثلة للمريد لما سوى الشريعة المرضية من بدع وشركيات وطرق ومسالك وآداب ويبدؤها بالرقص.

والرقص في اللغة: الارتفاع والانخفاض، ومنه رقصت السلعة إذا ارتفعت أو انخفضت[١]، ورقص رقصاً تنقل وحرك جسمه على الغناء[٢].

والرقص عند الصوفية قرين السماع ومرافق له.

وأكثر الطرق الصوفية راقصة حيث يبدؤون الحضرة[٣]جلوساً ثم ينهضون للقفز والرقص، وقد يصاحب رقصهم الطبول والزمور والدفوف[٤].

(١) المحيط في اللغة، ابن عباد، (١/ ٤٤٣).

(٢) المعجم الوسيط، (١/ ٣٦٤).

(٣) مصطلح عند الصوفية يعني الاجتماع على ذكر الله بالرقص على شكل حلقة يكون الشيخ في وسطها. انظر: المعجم الصوفي (ص: ٤٧).

(٤) الفكر الصوفي، محمد لوح، (ص: ٦٨). قال أحمد بن محمد (أبو المواهب) الشاذلي :" فصل في من حضر السماع بالدف والشبابة من مشاهير العلماء المتأخرين من أهل المشرق ومن أهل المغرب. فمن أهل المشرق: الشيخ عز الدين بن عبد السلام، حكاه عنه غير واحد من العلماء في كتبهم ، وحضر السماع بالدف والشبابة الشيخ: تاج الدين الفزاري شيخ دمشق ومفتيها" أنظر: فرح الاسماع برخص السماع ص٢١١.

ونقل القرطبي[١] رحمه الله: أن الرقص والتواجد أول من أحدثه أصحاب السامري حيث رقصوا وتواجدوا حول العجل، فهو دين الكفار وعباد العجل[٢].

واستدلوا على جواز الرقص بما روي عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم أنهم حجلوا لما ورد عليهم سرور أوجب ذلك في قصة ابنة حمزة رضي الله عنه، لما اختصم فيها علي بن أبي طالب وأخوه جعفر وزيد بن حارثة رضي الله عنهم. حيث ذكر الغزالي هذه القصة ثم قال في التعليق عليها: والحجل هو الرقص[٣].

والجواب عليه[٤]:

١- أن الروايات التي ذكرت الحجل كلها روايات ضعيفة لا تصلح للاحتجاج.

٢- أننا لو سلمنا بصحة الروايات فإننا لا نسلّم بأن الحجل هو الرقص على الأنغام كما يقصده ويفعله الصوفية بل هو القفز من الفرح، وهما كبير، وهذا ما أوضحته رواية ابن سعد، وفيها: (فقام جعفر فحجل حول النبي ﷺ دار عليه)[٥]، وقال ابن الجوزي بعد أن ذكر استدلالهم بقصة الحجل: «أما الحجل فهو نوع من المشي يفعل عند الفرح، فأين هو من الرقص»[٦].

٣- لو سلمنا أن الحجل هو الرقص، فإن فعله على وجه العبادة بدعة ويختلف

---

(١) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي، أبو عبد الله، صاحب التفسير، كان من عباد الله الصالحين والعلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا، توفي ٦٧١ هـ. انظر ترجمته في الوافي بالوفيات (٢/ ٨٧). والديباج المذهب (٢/ ٣٠٨-٣٠٩).

(٢) جامع أحكام القرآن، القرطبي، (١١/ ٢٣٧).

(٣) الإحياء، الغزالي، (٢/ ٣٣١).

(٤) انظر: السماع والذكر عند الصوفية، محمد لوح (ص: ٤٣).

(٥) الطبقات (٤/ ٣٥)، وانظر فتح الباري (٧/ ٥٠٧)، والحديث مرسل.

(٦) تلبيس إبليس، ابن الجوزي، (ص:٢٥٠).

عن فعله على وجه التعبير عن الفرح والسرور.

وقصد الناظم ﵀ من ضربه الرقص كمثال أن يبين أن شريعة محمد ﷺ منزهة عن مثل هذه الأفعال.

قال السيوطي(1) ﵀: «ومن ذلك – أي من البدع – الرقص والغناء في المساجد وضرب الدف أو الرباب أو غير ذلك من آلات الطرب، فمن فعل ذلك في المسجد فهو مبتدع ضال مستحق للطرد والضرب؛ لأنه استخف بما أمر الله بتعظيمه، قال الله تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ ﴾ أي: تعظم ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ أي: يتلى فيها كتابه، وبيوت الله هي المساجد قد أمر الله بتعظيمها وصيانتها عن الأقذار والأوساخ... والغناء والرقص، فمن غنَّى أو رقص فهو مبتدع ضال مضل مستحق للعقوبة»(2).

قال شيخ الإسلام﵀: «ونص الفقهاء على أنه لا يجوز شغل المساجد بالغناء والرقص»(3).

وقد سئل العز بن عبد السلام(4) ﵀ عن مثل ذلك: «ما يقول سيدنا في جماعة من أهل الخير والصلاح والورع يجتمعون في وقت فينشد لهم منشد أبياتاً في المحبة

(1) هو: جلال الدين أبو الفضل عبدالرحمن بن الكمال أبي بكر الخضيري الأسيوطي الشافعي، ولد سنة ٨٤٩هـ وتوفي سنة ٩١١هـ، إمام حافظ، اشتغل بالعلم ولازم كثيراً من شيوخ عصره، ترك عدداً ضخماً من المصنفات في أكثر الفنون من أهمها " الدر المنثور في التفسير المأثور" و"تدريب الراوي في شرح تقريب النووي" و"الإتقان في علوم القرآن" وغيرها كثير. أنظر : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ١/ ٣٢٨-٣٣٥، " الأعلام للزركلي"، ٣/ ٣٠١].

(2) الأمر بالاتباع، السيوطي، (ص:٢٧٥).

(3) مجموع الفتاوى، (٤/ ١٦).

(4) هو عبدالعزيز بن عبدالسلام السلمي الدمشقي، عز الدين الملقب بسلطان العلماء، ولد بدمشق سنة (٥٧٧هـ)، وتوفي بالقاهرة سنة (٦٦٠هـ). انظر: الأعلام (٤/ ٢١).

وغيرها، فمنهم من يتواجد فيرقص، ومنهم من يصيح ويبكي، ومنهم من يغشاه شبه الغيبة[1] عن إحساسه فهل يكره لهم هذا العمل أم لا؟» فأجاب: «الرقص بدعة لا يتعاطاه إلا ناقص العقل ولا يصلح إلا للنساء»[2].

وقال الصنعاني[3] رحمه الله: «وأما الرقص والتصفيق فشأن أهل الفسق والخلاعة لا شأن من يحب الله ويخشاه[4].

قوله: والسماع.

يتابع الناظم هنا ضرب الأمثلة على ضلال طريقة الصوفية عن الشريعة المرضية ببدعة السماع.

والسماع في اللغة: مصدر من سمع يسمع، وهو ما وقر في الأذن من صوت، سواء كان هذا الصوت كلاماً أو غيره.[5].

والسماع عند المتصوفة قد عرّفه الجنيد[6] بأنه: «وارد حق يزعج القلوب إلى الحق،

---

(١) معنى الغيبة في اللغة: بفتح الغين وسكون الياء: فقدان الشيء والبعد عنه وعدم المعرفة به. ومعنى الغيبة عند الصوفية: الغيبة عن الأشياء بمشاهدة الحق، وهي بهذا التعريف قريبة المعنى مما يسمونه الفناء. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني (ص: ٦٢).

(٢) فتاوى العز بن عبد السلام، (ص: ٣١٨-٣١٩).

(٣) هو محمد بن إسماعيل بن صلاح الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، المعروف بالأمير، الإمام الكبير، صاحب التصانيف، أصيب بمحن كثيرة من أهل عصره، ولد سنة ١٠٩٩هـ، وتوفي سنة ١١٨٢هـ. انظر ترجمته في البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (٢/ ١٣٣-١٣٩).

(٤) سبل السلام (٣/ ١٣٠-١٣١).

(٥)انظر: مادة: سمع، في: لسان العرب (١١/ ٢٢١). القاموس (ص: ٩٤٣).

(٦) هو الجنيد بن محمد بن الجنيد، أبو القاسم البغدادي الخراز، أصل أبيه من نهاوند، يثني عليه شيخ الإسلام كثيراً، ويصفه بسيد الطائفة، وإمام الصوفية، ومن أئمة الطريق ونحو ذلك، كان يضبط مذهبه في التصوف بما جاء في الكتاب والسنة، وينكر على الصوفية ما يقعون فيه من بدع ومحدثات، توفي ببغداد سنة ٢٧٩هـ، وقيل: ٢٩٨هـ. انظر: طبقات الصوفية (ص: ١٥٥-١٦٣). الطبقات

فمن أصغى إليه بحق تحقق، ومن أصغى إليه بنفس تزندق»(١).

وهو أيضا: الاجتماع على استماع الأشعار والغناء، ويصاحب ذلك عند بعضهم الدفوف والمزامير، والتصفيق بالأيدي، والرقص والتمايل، وترتفع عنده الأصوات وتكثر الصرخات وتخرّق الثياب، ويحصل التواجد والفناء والسّكر. وهو أيضا: المجالس التي تلقى فيها المدائح والأذكار على صفة وطريقة وعدد معين مع مصاحبة ذلك للرقص والاهتزاز والغناء، ويأتي عرفاً بمعنى الرقص، وفي إطلاقهم للسماع يقصدون السماع المقيد بالنغمات لا مطلق السماع.(٢).

فأضافت الصوفية بدعة السماع على أذكارهم المبتدعة وزاد أكثرهم على ذلك الرقص.

والسماع له أهميته عند الصوفية، فقد أبرزه أوائل المتصوفة في كتبهم وحثّوا عليه، وبيّنوا فوائده(٣).

وحكمه مستحب، يقول القشيري: «سمعت أبا علي الدقاق(٤) يقول: السماع...

الكبرى (١/ ٧٢-٧٤). طبقات الشافعية (٢/ ٢٦٠-٢٧٥). الأعلام (٢/ ١٣٧-١٣٨). طبقات الأولياء (ص: ١٢٦-١٣٦). شذرات الذهب (٢/ ٢٢٨). سير أعلام النبلاء (١٤/ ٦٦).

(١) معجم مصطلحات الصوفية، الحفني، (ص: ١٣٤).

(٢)انظر: الفتوحات المكية (٢/ ٣٦٧). الرسالة القشيرية (ص: ٦١). عوارف المعارف للسهروردي (٥/ ٢٥٠). إحياء علوم الدين للغزالي (٢/ ٢٣٦). كشاف اصطلاحات الفنون (٤/ ١٠-١١).

(٣) انظر على سبيل المثال: كلام الطوسي في اللمع، (ص: ٢٣٨). والقشيري في رسالته، (ص٣٦٣-٣٧٧). والسهروردي في عوارف المعارف، (ص١٢٤-١٤٧). والغزالي في الإحياء، (٢/ ١٩٢ - ٢٣٢).

(٤) هو الحسن بن علي الدقاق النيسابوري، أبو علي، الأستاذ، كان يعظ الناس ويتكلم على الأحوال

مستحب لأصحابنا لحياة قلوبهم»[1].

واستحسنه الكلاباذي[2] حيث يقول: «السماع استجمام من تعب الوقت، وتنفّس لأرباب الأحوال»[3].

ولاعتقادهم أن السماع عبادة حثوا الناس عليه ورغبوهم فيه، فقد نقل القشيري عن الجنيد أنه قال: «تنزل الرحمة على الفقراء – يعني: الصوفية – في ثلاثة مواطن: أولها: السماع....»[4].

وصار من حالهم أنهم يتأثرون بهذا السماع ولا يتأثرون بالقرآن، فقد ذكر القشيري عن يوسف بن الحسين الرازي[5] أنه أتاه زائر وهو يقرأ القرآن في المسجد، فطلب منه أن ينشده شيئاً فأنشده بيتاً، فأطبق ابن الحسين المصحف ولم يزل يبكي حتى رحمه

والمعرفة، وهو شيخ أبي القاسم القشيري –صاحب الرسالة–، له كلام حسن، منه قوله: من تواضع لأحد لأجل دنياه ذهب ثلثا دينه؛ لأنه خضع له بلسانه وأركانه، فإن اعتقد تعظيمه بقلبه أو خضع له به ذهب دينه كله، توفي سنة ٤١٢هـ. انظر: البداية والنهاية (٨/ ١٢٧)، حوادث سنة ٤١٢هـ. الكامل في التاريخ (٩/ ٣٢٤). شذرات الذهب (٣/ ١٨٠).

(١) الرسالة، (ص: ٣٦٩).

(٢) هو محمد بن إسحاق (ويُقال: بن إبراهيم) الكلاباذي البخاري، أبو بكر، مُحدّث صوفي، له تصانيف؛ منها: كتاب: بحر الفوائد، ويُعرف بمعاني الآثار، وأشهر وكتبه: التعرف لمذهب أهل التصوف، توفي سنة ٣٨٠هـ. انظر: الاستقامة (١/ ٨٢). الأعلام (٥/ ٢٩٥). معجم المؤلفين (٨/ ٢٢٢).

(٣) التعرف لمذهب أهل التصوف، الكلاباذي، (ص: ١٦٠).

(٤) الرسالة، القشيري، (ص: ٣٦٩).

(٥) هو يوسف بن الحسين بن علي، أبو يعقوب الرازي، من مشايخ الصوفية، كان كثير الأسفار، وصحب ذا النون المصري، روى كثيراً من حكايات المتصوفة، توفي سنة (٣٠٤هـ). انظر: تاريخ بغداد (١٤/ ٣١٤).

الزائر، ثم قال للزائر: من وقت الصلاة وأنا اقرأ القرآن فلم تقطر من عيني قطرة وقد قامت عليّ القيامة بهذا البيت(١).

وكذلك وصفه الشعراني(٢) بقوله: «وكان إذا سمع القرآن لا تقطر له دمعة، وإذا سمع شعراً قامت قيامته»(٣).

ويقومون للسماع والرقص ويتكاسلون للقيام للصلاة، فقد ذكر القشيري عن عبدالله الوزان أنه كان لا يصلي إلا قاعداً، وكان في السماع يتوجّد ويقوم ويستمع(٤).

والسماع يشتمل على صاحب صوت حسن وبعض آلات الطرب، فينشد قصائد تشتمل على الزهد وترقيق القلوب أو المدح والثناء أو الحب، ثم يتفاعل الحاضرون مع هذه الأصوات المطربة.

ثم تطوّر الأمر إلى أن أحدثوا بدعة عظيمة وهي إدخال الذكر في السماع ثم تلاعبت بهم شياطين الإنس والجن، فجعلتهم يرقصون ويصرخون بدعوى الذكر.

وحدث السماع في أواخر المائة الثانية، عند قوم شقّت عليهم التكاليف فاستعاضوا عنها واكتفوا بسماع القصائد والأذكار على صوت آلات الطرب، وظنوا

---

(١) الرسالة، (ص:٣٧٤).

(٢) هو عبدالوهاب بن أحمد الحنفي – نسبة إلى محمد ابن الحنفية – من المتصوفين الغلاة، ولد بمصر (٨٩٨هـ = ١٤٩٣م) ونشأ بساقية أبي شعرة (من قرى المنوفية) وإليه نسبته «الشعراني» و«الشعراوي»، مات في القاهرة سنة (٩٧٣هـ - ١٥٦٥م) له مؤلفات غالبها في التصوف منها: لواقح الأنوار في طبقات الأخبار، والقواعد الكشفية، وغيرهما كثير. انظر: الأعلام (٤/ ١٨٠- ١٨١).

(٣) الطبقات، (١/ ٧٨).

(٤) الرسالة، (ص: ٣٧٧).

أن هذا يكفي مقرباً إلى الله عزوجل[1].

وانتشر السماع في الموالد، وأصبح يحضر السماع عامة الناس رجالاً ونساءً ويرقصون سويّاً.

وقد أطال الغزالي في الإحياء الدفاع عنه لأنه قد استحكم في القرن السادس والسابع[2].

واستدلوا عليه بالأدلة التالية[3]:

١ - بقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴾[4]. قال القشيري: «ووجهه أن اللام في قوله: (القول) تقتضي التعميم والاستغراق»[5].

٢ - وبأن الأشعار قد أنشدت بين يدي رسول الله ﷺ، وأنه سمعها ولم ينكر عليهم في إنشادها، فإذا جاز استماعها بغير الألحان الطيبة فلا يتغيّر الحكم إذا سمعت بالألحان.

٣ - واستدلوا على ذلك بالقياس، قال الغزالي: «والجمل يقاسي تعب السير ومشقة الحمولة؛ فيهون عليه بالحداء[6]»[7].

٤ - كذلك استدل الغزالي بأن اللحن يجوز السرور به، وكل ما جاز السرور به جاز إثارة السرور فيه.

(١) السماع والذكر عند الصوفية (ص: ١٢٤).

(٢) الإحياء (٢/ ٢٦٨) وما بعدها.

(٣) المرجع السابق.

(٤) [الزمر:١٨].

(٥) الرسالة، (ص:٣٦٤).

(٦) الحداء: سوق الإبل والغناء لها. انظر: مختار الصحاح، مادة (حدو).

(٧) الإحياء، (٢/ ٣٠٢).

٥-واستدلوا على ذلك بإنشاد الأنصار طلع البدر علينا من ثنيات الوداع، فهذا فيه إظهار السرور لقدومه ﷺ، وهذا سرور محمود، فإظهاره بالنغمات والرقص أيضاً محمود[١].

٦-وكذلك بالمنامات حيث زعموا أن أحدهم رأى الرسول ﷺ في المنام فسأله عن سماع الصوفية، فقال له الرسول: ما أنكره، ولكن قل لهم: يفتتحون قبله بقراءة القرآن، ويختتمون بعده بالقرآن[٢].

ونرد عليهم بالتالي:

١- أمّا استدلالهم بعموم القول في الآية: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴾[٣]. فقد رد عليه شيخ الإسلام رحمه الله بقوله: «المراد بالقول في الآيةالقرآن، كما فسره بذلك سلف الأمة وأئمتها، كما قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾[٤]، واللام لتعريف القول المعهود؛ فإن السورة كلها إنما تضمنت مدح القرآن واستماعه... وتعميمها في كل قول باطل بإجماع المسلمين»[٥].

كما يلزم من قولهم بعموم القول جواز سماع كل قول مهما كان ماجناً وفاحشاً، وهذا باطل ومخالف لقوله تعالى في وصف المؤمنين: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ ﴾[٦].

---

(١) الإحياء، (٢/ ٣٠٢).

(٢) المرجع السابق.

(٣) [الزمر:١٨].

(٤) [المؤمنون:٦٨].

(٥) مجموع الفتاوى (١٦/ ٥).

(٦) [القصص:٥٥].

٢- أمّا استماع الرسول ﷺ للأشعار وهي تنشد عنده فلم يكن ﷺ يستمع لكل شعر، وما ذكروه من قصص فإنها مكذوبة على الرسول ﷺ[(١)].

ثم إن الإنشاد يختلف عن السماع، فالسماع يزيد عليه بأمور كثيرة، منها: الألحان وآلات الطرب والرقص وتلحين الأذكار واعتقاد أنه عبادة يحسن الاجتماع لها.

٣- أما استدلالهم بالقياس على الإبل فيكفيهم رد ابن الحاج[(٢)] عليهم بقوله: «انظروا يا ذوي الألباب! كيف قادهم ركوب الهوى وعشق الباطل، وقلة الحيلة إلى هذه السخافة! وحسبك من مذهب إمامهم فيه الأنعام... وهكذا يفضح الله تعالى من اتبع الباطل، وحسبك من عقول لا تقتدي بأحبار المسلمين وعلمائهم وتقتدي بالإبل، فلئن كان كل ما طربت به البهائم مندوباً أو مباحاً فإنا نرى البهيمة تدور على أمها وأختها، وتركب بنتها، فيلزم الاقتداء بالبهيمة في مثل هذا»[(٣)].

٤- أما استدلالهم بإنشاد الأنصار حين قدم الرسول ﷺ، فإن هذا الخبر ضعيف، فقد أخرجه البيهقي[(٤)] في دلائل النبوة من حديث ابن عائشة معضلاً[(٥)].

ثم على فرض ثبوته فإنه ليس لهم فيه دليل على جواز السماع؛ لأنه لم يذكر فيه

(١) انظر: السماع والذكر، محمد لوح (ص: ٤٨).

(٢) هو محمد بن محمد العبدري المالكي الفاسي، الشهير بابن الحاج، أبو عبد الله، فقيه عارف بمذهب مالك، له كتاب المدخل، توفي سنة ٧٣٧ هـ. انظر ترجمته في الديباج المذهب (٢/ ٣٢١-٣٢٢)، والدرر الكامنة (٤/ ٢٣٧).

(٣) المدخل، ابن الحاج، (٣/ ١١٠).

(٤) هو الإمام الحافظ العلامة، الثبت، الفقيه، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي ، له مؤلفات كثيرة منها: السنن الكبرى، الأسماء والصفات، البعث، دلائل النبوة، شعب الإيمان. توفي سنة: (٤٥٨ هـ) ودفن ببيهق. انظر: السير (١٨/ ١٦٣-١٧٠).

(٥) دلائل النبوة، البيهقي، (٥/ ٢٦٦).

الدف والألحان، ثم لو فرضنا ثبوته وثبوت الدف والألحان فيه فإنه لم يقع من الأنصار على وجه التعبد، وهذا هو الأهم.

٥- اشتمال السماع على أكثر المحرمات التي ذكرها الله ﷻ في قوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾(١)، ففيه الفواحش الظاهرة والباطنة والإعانة على أسبابها، ويكفي فيه مضرة أنه يطلق قيود المشاعر بدون ضابط، فالجاهل ومريض القلب عندما يسمع الحب وقصائد الهيام لا يفرق بين حب النبي ﷺ وحب النساء الجميلات فتثور مشاعره ثم شهواته للحرام، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ومعلوم أن النفوس فيها الشهوات كامنة، ولكنها مقهورة مقيدة بقيود الأوامر، فإذا صادفها السماع أحياها وأطلقتها من قيودها، وافتكها من أسرها»(٢).

وسبب تمكن السماع من قلوب الصوفية حتى آثروه على استماع القرآن هو تمكن الهوى من نفوسهم فتغطي شهواتها باسم الدين والذكر والحضرة، كما يقول ابن القيم رحمه الله(٣):

وأتى السماع موافقاً أغراضها ... فلأجل ذاك غدا عظيم الجاه

والحق الذي يجب أن يعود إليه الصوفية هو ترك سماع الألحان والرجوع إلى استماع القرآن، حيث أثنى الله ﷻ على أهله بقوله: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴾(٤).

---

(١) [الأعراف:٣٣].

(٢) الاستقامة، (١/ ٣٠٦).

(٣) مدارج السالكين، (١/ ٤٨٧).

(٤) [الزمر:١٧-١٨].

والله ﷻ وصف الذاكرين له بالاطمئنان والخشوع والإخبات، فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾[1]. وهذا عكس الطرب والرقص الذي يقوم السماع عليهما.

ولو كان السماع مما يصلح القلوب لأمر الله ﷻ به ولدل عليه الرسول ﷺ، بل هو مما يفسد القلوب ويقرب الشياطين إليها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «من أعظم ما يقوي الأحوال الشيطانية سماع الغناء والملاهي وهو سماع المشركين، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴾[2]. قال ابن عباس[3] وابن عمر[4] رضي الله عنهم وغيرهما من السلف: «التصدية: التصفيق باليد، والمكاء: مثل الصفير»[5]، فكان المشركون يتخذون هذا عبادة»[6].

---

(١) [الأنفال:٢].

(٢) [الأنفال:٣٥].

(٣) هو الصحابي الجليل، عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي أبو العباس، ابن عم رسول الله ﷺ، حبر الأمة وترجمان القرآن، أمه أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، من المكثرين من الرواية عن رسول الله ﷺ، ومن فقهاء الصحابة الكبار توفي سنة: ٦٨ هـ بالطائف. انظر: الاستيعاب (ص: ٤٦٥-٤٦٨). أسد الغابة (٣/ ١٨٦-١٩٠). الإصابة (٢/ ١٠٧٤-١٠٨٠).

(٤) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، أبو عبد الرحمن، كان من أهل الورع والعلم، وكان من أشد الناس اتباعا للأثر، ولد بعد المبعث بثلاث سنوات، وتوفي سنة ٧٣ هـ، وقيل غير ذلك. انظر ترجمته في الاستيعاب (ص: ٤١٩-٤٢١)، والإصابة (٤/ ١٠٧-١٠٩).

(٥) انظر: تفسير الطبري (٩/ ٢٤٠، ٢٤٣). وزاد المسير، ابن الجوزي، (٣/ ٣٥٣).

(٦) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ابن تيمية، (١/ ١٠٤).

وقد عده شيخ الإسلام رحمه الله مضاهاة للمشركين في عبادتهم يقول رحمه الله: «فإن طائفة من المتصوفة والمتفقرة تتخذ سماع الغناء ديناً.. فحالهم وعملهم هو استحسانها في قلوبهم ومحبتهم لها ديانة وتقرباً إلى الله... ثم قال: فمن اتخذ نظير هذا السماع عبادة وقربة يتقرب بها إلى الله فقد ضاهى هؤلاء في بعض أمورهم»[(١)].

وقد أنكر السماع الأئمة من أهل العلم، ومنهم: الشافعي رحمه الله، وأحمد رحمه الله، ولم يحضره الصالحون من العباد كالفضيل[(٢)] رحمه الله وغيره[(٣)].

وبيّن الشافعي رحمه الله أنه من إحداث الزنادقة[(٤)] ولم يتخذه من أهل الإسلام إلا الصوفية[(٥)].

وذكر ابن القيم رحمه الله في النونية أن الغناءومنه السماع من مصائد الشيطان قال رحمه الله[(٦)]:

نزه سماعك إن أردت سماع ذيـ ... ـاك الغناء عن هذه الألحان

لا تؤثر الأدنى على الأعلى فتحـ ... ـرم ذا وذا يا ذلة الحرمان

إن اختيارك للسماع النازل الـ ... أدنى على الأعلى من النقصان

---

(١) مجموع الفتاوى، (٣/ ٣٥٩).

(٢) هو الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي، من كبار المشايخ وصالحيهم، وأحد العلماء الأعلام، وُلد بسمرقند، وارتحل لطلب العلم، فأخذ عن الليث وعطاء وغيرهما، وأخذ عنه الشافعي وابن مهدي وغيرهما، توفي سنة (١٨٧هـ). انظر: حلية الأولياء (٨/ ٨٤). شذرات الذهب (١/ ٣١٦-٣١٨).

(٣) جهود علماء السلف في القرن السادس في الرد على الصوفية، محمد الجوير (ص: ٥٠٩).

(٤) الزندقة: في الأصل لفظ فارسي معرَّب، وهي إنكار أصل من أصول العقيدة، أو الإلحاد، أو سلوك طريق يؤدي إلى ذلك، وأطلقه الإمام أحمد على القائلين بتناقض القرآن، وأكثر المصنفين في الفرق لا يطلقون هذا اللفظ على طائفة معينة. انظر: لسان العرب (١٠/ ١٤٧) مادة زندق. الرد على الجهمية للإمام أحمد (ص: ٥٢).

(٥) المرجع السابق.

(٦) النونية لابن القيم (الكافية الشافية) (١/ ٣٢٥).

والله إن سماعهم في القلب والـ ... إيمان مثل السم في الأبدان
والله ما انفك الذي هو دأبه ... أبدا من الإشراك بالرحمن
فلقلب بيت الرب جل جلاله ... حبا وإخلاصا مع الإحسان
فإذا تعلق بالسماع أصاره ... عبدا لكل فلانة وفلان
حب الكتاب وحب ألحان الغنا ... في قلب عبد ليس يجتمعان
ثقل الكتاب عليهم لما رأوا ... تقييده بشرائع الإيمان
واللهو خف عليهم لما رأوا ... ما فيه من طرب ومن ألحان
قوت النفوس وإنما القرآن قو ... ت القلب أنى يستوي القوتان
ولذا تراه حظ ذي النقصان كالـ ... جهال والصبيان والنسوان
وألذهم فيه أقلهم من العقل ... الصحيح فسل أخا العرفان
يا لذة الفساق لست كلذة الـ ... أبرار في عقل ولا قرآن

وقال رحمه الله: «ومن مكايد عدو الله ومصايده، التي كاد بها من قل نصيبه من العلم والعقل والدين، وصاد بها قلوب الجاهلين والمبطلين، سماع المكاء، والتصدية، والغناء بالآلات المحرمة، الذى يصد القلوب عن القرآن، ويجعلها عاكفة على الفسوق والعصيان، فهو قرآن الشيطان، والحجاب الكثيف عن الرحمن، وهو رقية اللواط والزنا، وبه ينال العاشق الفاسق من معشوقة غاية المنى، كاد به الشيطان النفوس المبطلة، وحسنه لها مكراً منه وغروراً، وأوحى إليها الشبه الباطلة على حسنه فقبلت وحيه واتخذت لأجله القرآن مهجوراً، فلو رأيتهم عند ذياك السماع وقد خشعت منهم الأصوات، وهدأت منهم الحركات، وعكفت قلوبهم بكليتها عليه، وانصبت انصبابة واحدة إليه، فتمايلوا له ولا كتمايل النشوان، وتكسروا في حركاتهم ورقصهم، أرأيت تكسر المخانيث والنسوان؟ ويحق لهم ذلك، وقد خالط خمارة النفوس، ففعل فيها أعظم ما تفعله حُميه الكؤوس، فلغير الله، بل الشيطان، قلوب هناك تمزق، وأثواب

تشقق، وأموال في غير طاعة الله تنفق، حتى إذا عمل السكر فيهم عمله، وبلغ الشيطان منهم أمنيته وأمله، واستفزهم بصوته وحيله، وأجلب عليهم برجله وخيله، وخَزَ في صدورهم وخزاً. وأزهم إلى ضرب الأرض بالأقدام أزا، فطورا يجعلهم كالحمير حول المدار، وتارة كالذباب ترقص وسُيَطْ الديار. فيا رحمتا للسقوف والأرض من دك تلك الأقدام، و يا سوأتا من أشباه الحمير والأنعام، و يا شماتة أعداء الإسلام، بالذين يزعمون أنهم خواص الإسلام قضوا حياتهم لذة وطرباً، واتخذوا دينهم لهواً ولعباً، مزامير الشيطان أحب إليهم من استماع سور القرآن، لو سمع أحدهم القرآن من أوله إلى آخره لما حرك له ساكناً، ولا أزعج له قاطنا، ولا أثار فيه وجداً، ولا قدح فيه من لواعج الشوق[1] إلى الله زنداً، حتى إذا تلى عليه قرآن الشيطان، وولج مزمور سمعه، تفجرت ينابيع الوجد من قلبه على عينه فجرت، وعلى أقدامه فرقصت، وعلى يديه فصفقت، وعلى سائر أعضائه فاهتزت وطربت، وعلى أنفاسه فتصاعدت، وعلى زفراته فتزايدت، وعلى نيران أشواقه فاشتعلت، فيا أيها الفاتن المفتون، والبائع حظه من الله بنصيبه من الشيطان صفقة خاسر مغبون، هلا كانت هذه الأشجان، عند سماع القرآن؟ وهذه الأذواق والمواجيد، عند قراءة القرآن المجيد؟ وهذه الأحوال السنيات، عند تلاوة السور والآيات»[2].

(١) هو نزاع القلب إلى لقاء المحبوب. انظر : التعريفات (ص: ٦٨).

(٢) إغاثة اللهفان (١/ ٢٢٤).

وقال الإمام أبو بكر الطرطوشي [1] رحمه الله في خطبة كتابه، في تحريم السماع: «الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، ونسأله أن يرينا الحق حقاً فنتبعه، والباطل باطلاً فنجتنبه. وقد كان الناس فيما مضى يستتر أحدهم بالمعصية إذا واقعها، ثم يستغفر الله ويتوب إليه منها، ثم كثر الجهل، وقل العلم، وتناقص الأمر، حتى صار أحدهم يأتي المعصية جهاراً، ثم ازداد الأمر إدباراً، حتى بلغنا أن طائفة من إخواننا المسلمين - وفقنا الله وإياهم - استزلهم الشيطان، واستغوى عقولهم في حب الأغاني واللهو، وسماع الطقطقة والنقير، واعتقدته من الدين الذى يقربهم إلى الله وجاهرت به جماعة المسلمين وشاقت سبيل المؤمنين، وخالفت الفقهاء والعلماء وحملة الدين ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾[2]. فرأيت أن أوضح الحق، وأكشف عن شبه أهل الباطل، بالحجج التي تضمنها كتاب الله، وسنة رسوله، وأبدأ بذكر أقاويل العلماء الذين تدور الفتيا عليهم في أقاصي الأرض ودانيها، حتى تعلم هذه الطائفة أنها قد خالفت علماء المسلمين في بدعتها. والله ولي التوفيق»[3].

قوله: النّحب. النَّحْبُ والنّحيب: أَشَدُّ البُكاءِ[4].

وهو من أثر السماع، قال القشيري: «السماع فيه نصيب لكل عضو، فما يقع إلى

---

(1) هو محمد بن الوليد بن محمد الفهري، المعروف بالطرطوشي، أبو بكر، كان إماماً عالماً، عاملاً زاهداً، ورعاً ديناً متواضعاً، متقشفاً متقللاً من الدنيا، تقدم في الفقه مذهباً وخلافاً، له تآليف حسان، توفي سنة ٥٢٠ هـ. انظر ترجمته في الصلة (٣/ ٨٣٨-٨٣٩)، والديباج المذهب (٢/ ٢٤٤-٢٤٨).

(٢) [النساء: ١١٥].

(٣) نقلاً عن إغاثة اللهفان (١/ ٢٢٤).

(٤) المخصص لابن سيده (٤/ ٩٠). القاموس المحيط، الفيروز بادي، (١/ ١٧٤).

العين تبكي، وما يقع إلى اللسان يصيح، وما يقع إلى اليد تمزق الثياب وتلطم، وما يقع إلى الرجل ترقص» [(١)].

وسيأتي الرد عليه عند الرد على الوجد في البيت (رقم: ٢٦٥).

قوله: القصف. القصف: شدة الصوت، والقَصَفة هدير البعير وهو شدّة رُغائه، والقَصْفُ أيضاً: اللهو واللَعِبُ أو الجَلَبة والإعْلان باللهو[(٢)].

قوله: الصراخ. الصرخَةُ الصيحة الشديدة عند الفزع أَو المصيبة[(٣)].

قوله: عند الجذب. الجذب مصطلح صوفي يقصد به: ملاحظة العناية الإلهية للعبد باجتذابه إلى حضرة القُرب وذلك بأن يهيئ الله للمجذوب كل ما يحتاجه في طريقه لاجتياز المنازل والمقامات، دون كَلفة ولا مشقة، وهو يقابل «السالك» الذي يقطع الطريق بالمجاهدة والرياضة[(٤)].

فهي تعني أن الله يجذب الصوفي، ويكشف له الحجاب، ويطلعه على الغيب. ويرون أنها أفضل من كل عمل صالح . يقول الطوسي: «وصاحب الجذبة يرى في بدايته ما يكون له في نهايته، وإن جذبة من جذبات الحق تُربى على أعمال الثقلين»[(٥)].

ويجعلون مفتاحها الخلوة بالذكر البدعي، يقول الشعراني[(٦)]: «وأجمع القوم على أن

---

(١) الرسالة القشيرية، القشيري، (ص: ٣٧٤).

(٢) لسان العرب (٩/ ٢٨٣). الصحاح في اللغة، الجوهري، (٢/ ٨١).

(٣) فقه اللغة، الثعالبي، (١/ ٧٤٩). لسان العرب (٣/ ٣٣).

(٤) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي (١/ ٨٨٩).

(٥) اللمع للطوسي، (ص: ٤٤٥).

(٦) هو عبدالوهاب بن أحمد الحنفي – نسبة إلى محمد ابن الحنفية – من المتصوفين الغلاة، ولد بمصر (٨٩٨هـ = ١٤٩٣م) ونشأ بساقية أبي شعرة (من قرى المنوفية) وإليه نسبته «الشعراني» و«الشعراوي»، مات في القاهرة سنة (٩٧٣هـ - ١٥٦٥م) له مؤلفات غالبها في التصوف منها:

الذكر مفتاح الولاية، وجاذبُ الخير، وأنيس المستوحش، ومنشور الولاية...وما ثَم أسرع من فتح الذكر»[1].

وقد يبدّلون الخلوة في غرفة، بالسياحة في القفار، مع الجوع والسهر والمشاق، للوصول إلى الجذبة التي هي الهدف الأول، وتكون عادة سريعة الزوال في أول الأمر، عندئذ يسمونه: المجذوب أو الولي أو الواصل، وينصحونه ألا يغتر بالجذبات القليلة السريعة الزوال، بل عليه أن يستمر في الذكر، حتى يزداد عدد جذباته ويزداد طولها، ثم حتى يشاهد فيها وبها المشاهد.

فإذا بقي المريد (أو السالك) هكذا مستمرًااتصبح الجذبة طوع يديه، ففي أي وقت يريدها يبدأ بالذكر، وما هي إلا دقائق حتى يقع فيها، بل قد يقع فيها بمجرد التفكير بها، وقد يصل إلى مقام تتكرر عليه تلقائيًا دون ذكر، وهذا عندهم هو الأمل المنشود، ومن وصل إليه فهو البدل[2] أو الوتد[3] أو القطب أو الغوث[1].

لواقح الأنوار في طبقات الأخبار، والقواعد الكشفية، وغيرهما كثير. انظر: الأعلام (٤/ ١٨٠- ١٨١).

(١) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، (١/ ٣٥).

(٢) جمع بدل، وهو مأخوذ من التبديل، أي: التغيير، سُمُّوا بذلك؛ لأنهم كلما مات منهم واحد بُدِّل بآخر. وهم سبعة رجال يسافر أحدهم عن موضع ويترك جسداً على صورته، بحيث لا يعرف أحد أنه فقد، وهم على قلب إبراهيم ؟، قال ابن عربي: إن ثم رجالا سبعة يقال لهم: الأبدال، يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة، لكل بدل إقليم، وإليهم تنظر روحانيات السماوات والأرض. اهـ. انظر: الفتوحات المكية (٢/ ٣٧٦). معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني (ص: ٦٢). اصطلاحات الصوفية للسمرقندي (ص: ٨).

(٣) جمع وتد، وهو في اللغة: ما رزَّ في حائط أو أرض من خشب، ويقال: وتدته أي: أثبته. والأوتاد في اصطلاح الصوفية: عرفهم ابن عربي بقوله: الأوتاد عبارة عن أربعة رجال، منازلهم على منازل أربعة أركان من العالم: شرق وغرب وشمال وجنوب، مع كل واحد منهم مقام تلك الجهة. اهـ. وهؤلاء الأوتاد - في زعم الصوفية - بهم يحفظ الله تعالى تلك الجهات الأربع لكونهم محال نظر الله تعالى!. انظر: لسان العرب (٣/ ٤٤٤ مادة: وتد). رسالة اصطلاحات الصوفية لابن عربي (ص:

ويسمى المجذوب «مُراداً» كما يسمى السالك «مريداً»، والفرق بينهما أن المجذوب لا يعاني مشقات الطريق؛ لأنه مختطف بالجذب، بخلاف السالك السائر، فإن عليه أن يقطع كل عقبات الطريق(٢).

وتشير تعريفاتهم إلى أن المجذوب مأخوذ عن نفسه حتى أنه لا يرى ولا يسمع، وقد يهيم على وجهه، كما ورد ذلك عن سهل بن عبد الله(٣) أنه ظل مرة مستمراً في انجذابه خمسة وعشرين يوماً لا يطعم(٤).

ومن المجاذيب من يكون دجالاً متظاهراً بالجنون، والناس يعتقدون أنه جن عندما كشف له الحجاب، وجذبه الخالق، لأنه لم يحتمل عالم الغيب الرهيب ويدعونه «مجنون الله» لأن الله سلب منه عقله وجذبه، وقد كثر هؤلاء ممن يمشون في الطرقات مكشوفي العورات، ومرتكبين للمحرمات، ويمتلئ كتاب الطبقات للشعراني بقصص هؤلاء المجذوبين(٥).

وفي الجذبة تكشف لهم الكشوف ويتلقون العلوم اللدنية، ويرون المناظر الغيبية والمشاهدات الإلهية، إلى آخر الهلوسات الجذبية(٦).

---

٢٣٥). اصطلاحات الصوفية للسمرقندي (ص: ٧).

(١) انظر: الكشف عن حقيقة الصوفية، (٢/ ٢٧١).

(٢) المرجع السابق.

(٣) هو سهل بن عبدالله بن يونس التستري، من أئمة الصوفية، ولد بتستر سنة (٢٠٠هـ)، لقي ذا النون المصري، له مصنفات؛ منها: تفسير القرآن، ورقائق المحبين ومواعظ العارفين، توفي بالبصرة سنة (٢٨٣هـ)، وله من العمر ٨٠ سنة. انظر: سير الأعلام (١٣/ ٣٣٠). البداية والنهاية (٧/ ٤٥٢)، حوادث سنة (٢٨٣هـ). معجم المؤلفين (٤/ ٢٨٤). الأعلام (٣/ ١٤٣).

(٤) انظر: طبقات الصوفية: السلمي، (ص: ٢٩٥).

(٥) انظر: الطبقات الكبرى، الشعراني، (ص: ٤٧٨).

(٦) انظر: الكشف عن حقيقة الصوفية، (٢/ ٢٧٤).

ونجمل الرد عليهم بما يلي:

١- إن كون الجذبة ولاية وقربة يحتاج إلى دليل شرعي نص على ذلك، ولا وجود له.

٢- إن ادعاء الجذبة ادعاء للولاية وهو تزكية للنفس، وهو من كبائر الإثم، كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ ﴾[١].

وغضب رسول الله ﷺ عندما سمع صحابية جليلة تزكي صحابيًا جليلاً، فقال لها: {والله ما أدري ما يفعل بي وأنا رسول الله}[٢].

٣- أنها من الدعاوى التي يحتاج أصحابها إلى بيّنات.

٤- أنها نتيجة طبيعية لاستحواذ الشيطان ووساوسه.

فعندما يخاطب الله سبحانه وتعالى الإنسان، فإنما يخاطب فيه العقل والوعي والشعور، وعندما أرسل الرسل بالدين والتكاليف، فإنما أرسلهم يخاطبون العقل والوعي والشعور. والآيات المبينة الدالة على ذلك كثيرة، منها:

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ﴾[٣]، ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾[٤].

فالوعي في الإنسان هو الذي أعده الله تعالى لتلقي كلماته، وهو الذي أعده لفهم الحقائق وإدراكها، وخاطبه بالوحي، ليكون الوحي المرتكز الأساسي الذي ينطلق منه العقل الواعي في جميع ميادينه.

---

(١) [النساء:٤٩-٥٠].

(٢) صحيح البخاري (١/ ٤١٩، ح ١١٨٦). وصحيح مسلم (٤/ ٢١٢٩، ح٢٧٧٠).

(٣) [طه: ٥٤].

(٤) [الرعد: ٤].

وعندما يكون الخطاب الإلهي موجهًا إلى الوعي والشعور، فهذا يعني أن الطريق إلى رضوان الله لا يمكن أن تكون إلا عن طريق الوعي والشعور التامين.

أما الشيطان، فاللاشعور في الإنسان هو ميدانه الذي يصول فيه ويجول، والآيات الدالة على ذلك كثيرة، منها:

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا ﴾[1]. وعلى ذلك لا تكون الجذبة فتحًا إلهيًا، بل استحواذًا شيطانيًا، ولا تكون هلوساتها نور اليقين ولا عين اليقين ولا حق اليقين، وإنما وحي إبليس وجنوده، ولا تكون مناظرها إلا مسارح الشياطين[2].

<u>قوله: كأنهم سكرى</u>. يشبه الناظم هنا أفعال الصوفية بسبب الرقص والسماع والجذب بأفعال السكارى وتصرفاتهم من الهذيان والتمايل والصراخ، وينفي أن تكون تلك الأفعال والتصرفات أثرًا من آثار الذكر.

ومصطلح السكر وإن لم يقصده الناظم هنا إلا أنه قد يفهم من إشارته إلى لفظه، لذا أتطرق إليه باختصار.

قال ابن القيم ﷺ: «قال صاحب المنازل: السكر في هذا الباب اسم يشار به إلى سقوط التمالك في الطرب، وهذا من مقامات المحبين خاصة، فإن عيون الفناء[3] لا تقبله ومنازل العلم لا تبلغه»[4].

---

(١) [الأعراف: ٢٠].

(٢) الكشف عن حقيقة الصوفية (٢/ ٣٧).

(٣) عرفه الكلاباذي بقوله: "هو أن يفنى الشخص عن الحظوظ فلا يكون شيء من ذلك حظ و يسقط عنه التميز فناءً عن الاشياء كلها شغلا بما فنى به. انظر: التعرف لمذهب أهل التصوف (ص: ١٤٢)، و عند الطوسي "الفناء هو فناء رؤيا العبد في أفعاله لأفعاله بقيام الله له في ذلك". انظر: اللمع (ص: ٤١٧).

(٤) مدارج السالكين (٣/ ٣٠٤).

وقال الكلاباذي: «السكر حال تبدو للعبد لا يمكنه معها ملاحظة السبب ولا مراعاة الأدب»[1].

فإذا ازدادت غلبة الوجد على الصوفي وصل إلى حال السكر، وعكس السكر الصحو وهو رجوع العارف إلى الإحساس بعد غيبته وزوال إحساسه[2].

ويدعون أن السكر هو بسبب تمكن المحبة من قلوبهم، فقد كتب يحيى بن معاذ[3] إلى أبي اليزيد يقول: «سكرت من كثرة ما شربت من كأس محبته» فكتب أبو اليزيد في جوابه: «سكرت وما شربت من الدرر، وغيري قد شرب بحور السماوات والأرض وما روي بعد، ولسانه مطروح من العطش، ويقول: هل من مزيد»[4].

وردّ ابن القيم رحمه الله هذا السكر جملة وتفصيلاً، فقال: «وهذا المعنى لم يعبّر عنه في القرآن ولا في السنة ولا العارفون من السلف، وإنما ذلك من اصطلاح المتأخرين وهو بئس الاصطلاح، فإن لفظ السكر والمسكر من الألفاظ المذمومة شرعاً وعقلاً، وعامة ما يستعمل في السكر المذموم الذي يمقته الله ورسوله، قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ ﴾[5] وعبر به سبحانه عن الهول الشديد الذي يحصل للناس عند قيام الساعة، فقال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ

---

(١) العرف، الكلاباذي (ص: ١١٤).

(٢) التعريفات، الجرجاني، (ص: ١٣٢).

(٣) هو يحيى بن معاذ بن جعفر الراوي الواعظ، من خيار المتصوفة، له كلام حسن، توفي بنيسابور سنة (٢٥٨هـ). انظر: طبقات الصوفية (١٠٧-١١٤). حلية الأولياء (١/ ٥١-٧٠). الطبقات الكبرى (١/ ٩٤). صفة الصفوة (٤/ ٧١-٨٠).

(٤) حليه الأولياء، أبي نعيم الاصبهاني (١٠/ ٤٥٨).

(٥) [النساء:٤٣].

﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾(1) ويقال: فلان أسكره حب الدنيا، وكذلك يستعمل في سكر الهوى المذموم، فأين أطلق الله سبحانه أو رسوله أو الصحابة أو أئمة الطريق المتقدمون على هذا المعنى الشريف الذي هو من أشرف أحوال محبيه وعابديه اسم السكر المستعمل في سكر الخمر وسكر الفواحش، كما قال تعالى عن قوم لوط: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝٧٢﴾(2)فوصف بالسكر أرباب الفواحش وأرباب الشراب المسكر، فلا يليق استعماله في أشرف الأحوال والمقامات ولا سيما في قسم الحقائق، وأيضاً فمن المعلوم أن هذا الحال يحصل في الجنة عند رؤية الرب تعالى وسماع كلامه على أتم الوجوه ولا يسمى سكراً، ونحن لا ننكر المعنى المشار إليه بهذا الاسم وإنما المنكر تسميته بهذا الاسم، ولا سيما إذا انضاف إلى ذلك اسم الشراب أو تسمية المعارف بالخمر والواردات بالكئوس، والله جل جلاله بالساقي، فهذه الاستعارات والتسمية هي التي فتحت هذا الباب... ولهذا لم يكن في الصحابة من حاله السكر لا عند سماع القرآن ولا عند غيره ولا تكلم الأولون بالسكر وإنما تكلم به طائفة من متأخري الصوفية، صار يحصل لهم نوع سكر بما في قلوبهم من الذوق والوجد»(3).

وبيّن رحمه الله الأسباب الحقيقية وراء هذا السكر، وهي حب الصور وسماع الأصوات المطربة والعشق وطلب الوصال الذي أنزلوه على الخالق تبارك وتعالى، فقال رحمه الله: «فإن الحب إذا استحكم وقوي أسكر صاحبه، وهذا مشهور في أشعارهم وكلامهم، كما قال الشاعر:

سكران سكر هوى وسكر مدامة ومتى إفاقة من به سكران

(1) [الحج:2].

(2) [الحجر:72].

(3) مدارج السالكين (3/ 304-310).

فإذا انضم إلى سكر المحبة فرحة الوصال قوي السكر وتضاعف، فيخرج صاحبه عن حكم العقل وهو لا يشعر، وأكثر ما ترى من عربدة العاشق وتخليطه هو من هذا السكر، ولكن لما ألف الناس ذلك واشتركوا فيه لم ينكروه، وإنما ينكره من كان خارجاً عنه، فإذا أفاقوا بين الأموات علموا أنهم حينئذ كانوا في سكرتهم يعمهون... ومن أقوى أسباب السكر الموجبة له سماع الأصوات المطربة لا سيما إن كانت من صورة مستحسنة وصادفت محلاً قابلاً، فلا تسأل عن سكر السامع، وهذا السكر يحدث عندها من جهتين: إحداهما: أنها في نفسها توجب لذة قوية ينغمر معها العقل، والثانية: أنها تحرك النفس إلى نحو محبوبها وجهته كائناً ما كان، فيحصل بتلك الحركة والشوق والطلب مع التخيل للمحبوب وإحضاره في النفس وإدناء صورته إلى القلب واستيلائها على الفكر لذة عظيمة تقهر العقل، فتجتمع لذة الألحان ولذة الأشجان، فتسكر الروح سكراً عجيباً أقوى وألذ من سكر الشراب، وتحصل به نشوة ألذ من نشوة الشراب»[(١)].

معنى البيتين إجمالاً:

يمثّل الناظم رحمه الله ببعض المبتدعات الصوفية التي لا يعقل أن يرسل الله عز وجل نبيّه بها ولم يشرعها الله عز وجل ويرضاها لعباده، من رقص وسماع وأصوات منكرة يفعلونها بدعوى أنها تجذبهم إلى الله وتقربهم إليه، حتى إذا رأيتهم تحسبهم سكرى لكن سكرهم هذا بغير مسكر، بل بسبب غلبة السماع والرقص عليهم، أما ذكر الله المشروع فإنه لا يحدث مثل هذه التصرفات الشنيعة.

---

(١) المرجع السابق (٣/ ٣٠٨).

٢٦٤- إن شَبَّهوا سلمَى بغصنِ البانِ خَرُّوا بها وَجْدًا على الأذقانِ
٢٦٥- ثم ادَّعَوا وَجْدًا بذكر اللهِ وقلبُ كلٍ غافلٌ أو ساهِي
٢٦٦- وكلُّ ذكرٍ قد خلا عن معرفه فذاكَ بالجهلِ على هذي الصفَهْ

قوله: إن شبهوا سلمى. يتابع الناظم هنا ضرب الأمثلة لضلال الصوفية عن الشريعة، وذلك بإدخال التشبيب بالنساء وجمالهن في قصائد الذكر.

قال الشوكاني رحمه الله: "فلما أبطلوا علم الشريعة وأنكروا أحكامها أباحوا المحظورات، وخرجوا عن إلزام الواجبات؛ فأباحوا النظر إلى المردان، والخلوة بأجانب النسوان، والتلذذ بأسماع أصوات النساء والصبيان، وسماع المزامير والدفاف، والرقص والتصفيق في الشوارع والأسواق بقوة العزيمة، فتركوا الحشمة، وجعلوا ذلك عبادة يتدينون بها، ويجتمعون لها، ويؤثرونها على الصلوات، ويعتقدونها أفضل العبادات، ويحضرون لذلك المغاني من النساء والصبيان وغيرهم من أهل الأصوات الحسنة، للغناء بالشبابات والطار والنقر والأدفاف المجلجلة، وسائر الآلات المطربة، وأبيات الشعر الغزلية التي توصف فيها محاسن النسوان، ويذكر فيها ما تقدم من النساء التي كانت الشعراء تهواها وتشبب بها في أشعارها وتصف محاسنها، كليلي ولبنى وهند وسعاد وزينب وغيرهن". ويقولون: نحن نكني بذلك عن الله عز وجل!! ونَصرف المعنى إليه»[1].

قوله: بغصن البان. قال ابن منظور[2]: «والبانُ شجرٌ يسمو ويطول في استواء مثل

(١) انظر: الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (٥٩/ ٦٠).
(٢) هو محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري الأفريقي المصري، أبو الفضل، صاحب لسان العرب في اللغة، ولد سنة ٦٣٠ هـ، وتوفي سنة ٧١١ هـ. انظر ترجمته في بغية الوعاة (١/ ٢٤٨).

نبات الأثل...ولاستواء نباتها ونبات أَفنانها وطولها ونعمتها شَبَّه الشعراء الجارية الناعمة بها، فقيل: كأنها بانةٌ، وكأَنها غصن بانٍ، قال قيس بن الخطيم:

حَـــوْراءَ جَيـــداء يُسْتَضـــاءُ   بهـــا كأَنهـــا خُـــوطُ بانـــةٍ[١]

قوله: خرّوا. خَرَّ: أي: هَوَى من عُلْوٍ إِلى أَسفل[٢].

قوله: على الأذقان. الذَقَن: مجتمع اللحيين، والجمع أَذقان[٣].

قوله: وجدا. اختلفت تعريفات الصوفية للوجد.

يقول القشيري: «الوجد ما يصادف قلبك ويرد عليك بلا تعمد وتكلف»[٤].

وقال الكلاباذي: «معنى الوجد: هو ما صادف القلب من فزع أو غم أو رؤية معنى من أحوال الآخرة أو كشف حالة بين العبد وبين الله عز وجل»[٥].

وقال النوري: «الوجد لهيب ينشأ في الأسرار ويسنح عن الشوق فتضطرب الجوارح طرباً أو حزناً عند ذلك الوارد»[٦].

وقال عنه الغزالي: «إنه عبارة عن حالة يثمرها السماع، وذلك جزء من ستة وأربعون جزءاً من النبوة»[٧].

وقال الطوسي[٨]: «الوجد مكاشفات من الحق... وأول الوجد رفع الحجاب

---

(١) لسان العرب (١٣/ ٦٢).

(٢) المرجع السابق (٤/ ٢٣٤).

(٣) تهذيب اللغة (٣/ ٢٠٠). لسان العرب (١٣/ ١٧٢).

(٤) الرسالة، القشيري، (ص: ٩٧).

(٥) التعرف لمذهب التصوف (١/ ١١٢).

(٦) المرجع السابق.

(٧) إحياء علوم الدين للغزالي (٢/ ١٣٤).

(٨) هو محمد بن عبدالله الطوسي، الملقب بنصير الدين، ويقال: الخواجا نصير الدين، حصَّل بعض

ومشاهدة الرقيب وحضور الفهم، وملاحظة الغيب ومحادثة السر، وإيناس المفقود، وهو فناؤك أنت من حيث أنت»(١).

ويقول الهروي(٢): «الوجد لهب يتأجج من شهود عارض مقلق»(٣).

ويقول الهجويري: «وعندي أن الوجد ألم للقلب، إما من الفرح أو الترح أو الطرب أو التعب...وصفة الواجد إما حركة في غليان الشوق في حالة الحجاب، وإما سكون في حال المشاهدة في حال الكشف...إما زفير وإما نفير، إما أنين وإما حنين، إما عيش وإما طيش، إما كرب وإما طرب»(٤).

وعن سبب الوجد يقول القشيري: «والوجد والتواجد هو نتيجة سماع شيء مثير للوجدان كالقرآن والمدائح والغناء، فعند السماع يحصل لهم هيجان وثوران وتمايل ورقص وحركات حتى يفعل الواحد منهم أفعالاً لا يستطيعها في غير هيجانه...

العلم وصنف في علم الكلام، وشرح إشارات ابن سينا، ووزر للإسماعيلية، ثم وزر لهولاكو، وأعانه في واقعة بغداد، قال ابن كثير: «أصل اشتغاله على المعين سالم بن بدار بن علي المصري المعتزلي المتشيع، فنزع فيه عروق كثيرة منه، حتى أفسد اعتقاده» اهـ، وقال جلال الدين في تاريخ الخلفاء: «النصير الطوسي رأس الفلاسفة وخاصة التتار» اهـ، توفي سنة (٦٧٢هـ، وله من العمر: ٧٥ سنة. انظر: البداية والنهاية (٩/ ١٥١)، حوادث سنة (٦٧٢هـ). تاريخ الخلفاء (١/ ٤١٢). شذرات الذهب (٦/ ٦٠).

(١) اللمع، أبي سراج الطوسي، (ص: ٣٧٦).

(٢) هو عبدالله بن محمد بن علي الهروي الأنصاري، أبو إسماعيل، كان يُدعى شيخ الإسلام، وكان إمام أهل السنة في هراة، ويُسمى خطيب العجم لتبحّر علمه وفصاحته ونبله، له تصانيف؛ منها: ذم الكلام، وعلل المقامات، توفي سنة ٤٨١هـ. انظر: طبقات الحنابلة (٢/ ٢٤٧-٢٤٨). الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (١/ ٥٠-٦٨). الأعلام (٤/ ٢٦٧).

(٣) منازل السائرين، الهروي، (ص: ١٦٢).

(٤) كشف المحجوب، الهجويري، (ص: ٦٦١).

وسئل الجنيد: ما بال الإنسان يكون هادئاً، فإذا سمع السماع اضطرب؟ فقال: إن الله تعالى لما خاطب الذر في الميثاق الأول بقوله: ألست بربكم؟ قالوا: بلى..استفرغت عذوبة سماع الكلام الأرواح، فلما سمعوا السماع حرّكهم ذلك»[1].

وعن حال الواجدين يقال: إن جهم الدقي في حال هيجانه أخذ شجرة فاقتلعها من جذورها[2].

ولأهمية الوجد عند الصوفية ألف فيه أبوسعيد أحمد بن بشر بن زياد الأعرابي كتاباً سماه (الوجد) وقد لخصه الطوسي في كتابه (اللمع).

ومن أدلتهم على الوجد:

١- المنامات: فقد زعموا أن الخضر تواجد حتى سقط على جبهته وصار الدم يقطر منها ولا يقع على الأرض، حين سمع أبياتاً من الشعر قالها شخص بحضرته، ورأى بعض الصالحين النبي ﷺ وأبا بكر وهو يقول له كلاماً والنبي ﷺ قد وضع يده على صدره كالمتواجد بذلك[3].

٢-القصص المكذوبة، ومنها: أن أعرابياً أنشد رسول الله ﷺ:

لقد لسعت حية الهوى كبدي ... فلا طبيب لها ولا راقي
إلا الحبيب الذي شغفت به ... فعنده رقيتي وترياقي

فتواجد رسول الله ﷺ وتواجد الأصحاب معه حتى سقط رداؤه عن منكبيه، ثم قسم رداءه بينهم، حيث مزقه إلى أربعمائة قطعة[4].

---

(١) الرسالة(ص: ٣٧٩).

(٢) الرسالة(ص: ٩٩).

(٣) عوارف المعارف، السهروردي (ص: ١٢٤-١٤٧).

(٤) المرجع السابق.

كذلك احتجوا بصعق سلمان رضي الله عنه والربيع بن خثيم رحمه الله.

وقد عقد ابن الجوزي رحمه الله فصلاً نفيساً في كتابه «تلبيس إبليس» في الرد على الصوفية في الوجد، قال فيه: «وقد لبس عليهم إبليس في ذلك – أي الوجد – وبالغ وقد احتجوا بما رواه أبو نصر السراج الطوسي قال: لما نزلت: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾[1]. صاح سلمان الفارسي صيحة ووقع على رأسه ثم خرج هاربا ثلاثة أيام.

واحتجوا بصعق[2] الربيع عندما سمع هذه الآية: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ إلى قوله: ﴿ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ ﴾[3] واحتملوه إلى أهله ولم يفق إلا المغرب.

والجواب: أما ما ذكروه عن سلمان فمحال وكذب، ثم ليس له إسناد والآية نزلت بمكة وسلمان إنما أسلم بالمدينة ولم ينقل عن أحد من الصحابة مثل هذا أصلاً.

وأما حكاية الربيع بن خثيم[4] فإن راويها عيسى بن سليم... قال أحمد بن

---

(١) [الحجر:٤٣].

(٢) معناه في اللغة: مصدر صعِق الرجل يصعَق صَعْقاً وصَعَقاً، فهو صَعِق: غشي عليه وذهب عقله من صوت شمعه كالهدَّة الشديدة، ويقال: صَعِق فلان: مات. ومعنى الصعق عند الصوفية هو: الفناء في الله عند التجلي الذاتي الوارد بسبحات يحترق ما سوى الله فيها. انظر: لسان العرب (١٠/ ١٩٨)، مادة: صعق. تاج العروس (١٣/ ٢٦٩)، مادة: صعق. التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (ص: ٤٥٥). التعريفات للجرجاني (ص: ١٧٤).

(٣) [الفرقان:١٤].

(٤) هو الربيع بن خثيم الثوري الكوفي، أبو يزيد، من كبار التابعين وخيارهم، من عباد أهل الكوفة، توفي في خلافة يزيد بن معاوية. انظر ترجمته في مشاهير علماء الأنصار (ص:١٢٥). والوافي والوفيات (١٤/ ٥٦).

حنبل[1]: عيسى بن سليم عن أبي وائل لا أعرفه... وقال حمزة الزيات لسفيان: إنهم يروون عن الربيع بن خثيم أنه صعق قال: ومن يروي هذا إنما كان يرويه ذاك القاص يعني: عيسى بن سليم فلقيته فقلت: عمن تروي أنت ذا؟ منكراً عليه.

فهذا سفيان الثوري ينكر أن يكون الربيع بن خثيم جرى له هذا؛ لأن الرجل كان على السمت الأول وما كان في الصحابة من يجري له مثل هذا ولا التابعين.

ثم نقول على تقدير الصحة: إن الإنسان قد يخشى عليه من الخوف فيسكنه الخوف ويسكته فيبقى كالميت، وعلامة الصادق أنه لو كان على حائط لوقع لأنه غائب، فأما من يدعي الوجد ويتحفظ من أن تزل قدمه ثم يتعدى إلى تخريق الثياب وفعل المنكرات في الشرع فإنا نعلم قطعاً أن الشيطان يلعب به.

واعلم وفقك الله أن قلوب الصحابة كانت أصفى القلوب وما كانوا يزيدون عند الوجد على البكاء والخشوع، ... ذكر عند أنس بن مالك هؤلاء الذين يصعقون عند القراءة، فقال أنس: [[وعظنا رسول الله ﷺ ذات يوم حتى سمعنا للقوم خنيناً حين أخذتهم الموعظة وما سقط منهم أحد]][2] .

(١) هو الإمام حقاً وشيخ الإسلام صدقاً، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الذهلي الشيباني المروزي ثم البغدادي، إمام من أئمة السنة والحديث، أحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب الفقهية المشهورة، صاحب المسند المشهور، نصر الله به الدين في محنة القول بخلق القرآن، ولد سنة: ١٦٤ هـ، وتوفي سنة: ٢٤١ هـ رحمه الله. انظر: مناقب الإمام أحمد بن حنبل لابن الجوزي، السير (١١/ ١٧٧-٣٥٨).

(٢) أخرجه ابن شاهين في السنة١/ ٦٨، ولم أجد من حكم عليه.

وهذا حديث العرباض بن سارية[1] ﷺ يقول: {وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب}[2] قال أبو بكر الآجري[3]: ولم يقل: صرخنا ولا ضربنا صدورنا كما يفعل كثير من الجهال الذين يتلاعب بهم الشيطان.

وعن عامر بن عبد الله بن الزبير قال: جئت إلى أبي، فقال لي: أين كنت؟ فقلت: وجدت أقواماً ما رأيت خيراً منهم يذكرون الله ﷻ فيرعد أحدهم حتى يغشى عليه من خشية الله ﷻ فقعدت معهم. قال: لا تقعد معهم بعدها، فرآني كأني لم يأخذ ذلك في، فقال: [رأيت رسول الله ﷺ يتلو القرآن ورأيت أبا بكر وعمر يتلوان القرآن ولا يصيبهم هذا، أفتراهم أخشع لله من أبي بكر وعمر] فرأيت أن ذلك كذلك فتركتهم[4]»[5].

وقال ابن عقيل ﵀ في الرد عليهم: «إن حضروا هذه الأمكنة مع علمهم أن الطرب يغلب عليهم فيزيل عقولهم أثموا بما أدخلوه على أنفسهم من التخريق وغيره مما أفسدوا، ولا يسقط عنهم خطاب الشرع؛ لأنهم مخاطبون قبل الحضور بتجنب هذا

(١) هو العرباض بن سارية السلمي، أبو نجيح، صحابي مشهور، كان من أهل الصفة، وكان شيخا كبيرا من الصحابة، سكن الشام ومات بها سنة ٧٥ هـ. انظر ترجمته في الاستيعاب (ص:٥٩٠). والإصابة (٤/ ٢٣٤).

(٢) سنن الترمذي (٥/ ٤٤، ح٢٦٧٦). وسنن أبي داود (٤/ ٢٠٠، ح٤٦٠٧). وسنن ابن ماجه (١/ ١٦، ح ٤٣). وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (١/ ١١٥، ح٤٣) والصحيحة (ح٩٧٣).

(٣) هو محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري، أبو بكر، الفقيه الشافعي المحدث، وكان صالحا عابدا، له تصانيف كثيرة، توفي سنة ٣٦٠ هـ. انظر ترجمته في وفيات الأعيان (٤/ ٢٩٢-٢٩٣)، وطبقات الشافعية الكبرى (٣/ ١٤٩).

(٤) المعجم الكبير للطبراني (١٨/ ٣٦٥، ح٩). ومجمع الزوائد (١٠/ ٢٢٠)، وقال: "رواه الطبراني وفيه عبدالله بن مصعب بن ثابت وهو ضعيف".

(٥) تلبيس إبليس، ابن الجوزي (ص: ٣١٢).

الموضع الذي يفضي إلى ذلك. كما هم منهيون عن شرب المسكر، كذلك هذا الطرب الذي يسميه أهل التصوف وجدا إن صدقوا أن فيه سكر طبع، وإن كذبوا أفسدوا مع الصحو، فلا سلامة فيه مع الحالين، وتجنب مواضع الريب واجب»[1].

وقال القرطبي رحمه الله: «مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة وما الاسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار قاموا يرقصون حواليه ويتواجدون فهو دين الكفار وعباد العجل.

وأما القضيب فأول من اتخذه الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله تعالى وإنما كان يجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه كأنما على رؤوسهم الطير من الوقار فينبغي للسلطان ونوابه أن يمنعهم من الحضور في المساجد وغيرها ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ولا يعينهم على باطل هذا مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة المسلمين وبالله التوفيق»[2].

وقال الشاطبي رحمه الله: «...وأما المقلد فكذلك أيضا لأنه يقول فلان المقتدى به يعمل بهذا العمل، كاتخاذ الغناء جزءا من أجزاء طريقة التصوف بناء منهم على أن شيوخ التصوف قد سمعوه وتواجدوا عليه ومنهم من مات بسببه وكتمزيق الثياب عند التواجد بالرقص وسواه لأنهم قد فعلوه وأكثر ما يقع مثل هذا في هؤلاء المنتمين إلى التصوف وربما احتجوا على بدعتهم بالجنيد والبسطامي[3] والشبلي وغيرهم فيما صح

(١) تلبيس إبليس (١/ ٢٣٣).

(٢) تفسير القرطبي (١١/ ٢٣).

(٣) هو طيفور بن عيسى بن شروسان البسطامي، أبو يزيد، من مشاهير الصوفية، كان جده مجوسياً فأسلم، تُروى عنه شطحات كثيرة منكرة، ولد سنة ١٨٨هـ، وتوفي سنة ٢٦١هـ. انظر: طبقات

عندهم أو لم يصح ويتركون أن يحتجوا بسنة الله ورسوله وهي التي لا شائبة فيها إذا نقلها العدول وفسرها أهلها المكبون على فهمها وتعلمها، ولكنهم مع ذلك لا يقرون بالخلاف للسنة بحتا بل يدخلون تحت أذيال التأويل إذ لا يرضى منتم إلى الإسلام بإبداء صفحة الخلاف للسنة أصلا»[1].

قوله: ثم ادعوا وجدًا بذكر الله. يقصد: أنهم يدعون أن ذكر الله هو سبب وجدهم، وحقيقة الأمر أن ذكر الله المأثور المشروع لا يوصل إلى هذه الأحوال المزرية من الرقص والطرب والتمايل والصياح والصراخ وفقدان الشعور بل يوصل إلى الطمأنينة والخشوع، كما قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[2].

قوله: وقلب كل غافل أو ساهي.

الغفلة: فقد الشعور بما حقه أن يشعر به، وقيل: هي الذهول عن الشيء، وقيل: هو سهو يعتري من قلة التحفظ والتيقظ، وقيل: متابعة النفس على ماتشتهيه[3].

والسهو هو: الغَفْلة عن الشيء وذَهابُ القلب عنه[4].

والفرق بين الغفلة والسهو: أن السهو عدم التفطن للشيء مع بقاء صورته أو معناه في الخيال أو الذكر بسبب اشتغال النفس والتفاتها إلى بعض مهماتها.

والغفلة: عدم حضور الشيء في البال بالفعل، فهي أعم من السهو[5].

الصوفية (ص: ٦٧-٧٤). حلية الأولياء (١٠/ ٣٣-٤٢). سير الأعلام (١٣/ ٨٦).

(١) الاعتصام (ص ٤٠٥-٤٠٦).

(٢) [الرعد:٢٨].

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، (٣٠/ ١٠٩).

(٤) تهذيب اللغة، الأزهري (٦/ ١٩٤).

(٥) الفروق اللغوية، القرافي، (١/ ٣٨٨).

ويقصد الناظم أن قلوبهم في حقيقة الأمر مشتملة على الغفلة واللهو وأفعالهم بعيدة عن ذكر الله.

قوله:وكل ذكر قد خلا عن معرفة. يقصد الناظم رحمه الله بالمعرفة هنا معرفة المذكور عز وجل كذلك معرفة معاني الذكر واستشعارها.

وهنا يهدي الناظم ويؤكد على أهمية المعرفة في الذكر وخاصة معرفة المذكور جل شأنه امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾(1)، وقول الرسول ﷺ: {من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة}(2).

وسيأتي الحديث – إن شاء الله – عن أهمية المعرفة في الذكر في «فصل الذكر المطلوب» في البيت رقم: (٢٩٩) وما بعده.

قوله: فذاك بالجهل على هذي الصفة. أي: أن الذكر غير المشتمل على معرفة صفات المذكور عز وجل هوفي حقيقة الأمر جهل وليس علم؛ لأن المقصود الأعظم من الذكر هو حضور القلب الذي لا يحصل إلا بالمعرفة وهي منتفية هنا.

معنى الأبيات إجمالاً:

يتابع الناظم رحمه الله بيان حال الصوفية أثناء السماع، فيذكر أنهم أثناء سماعهم ينشدون الأبيات الغزلية التي تهيّج السامعين وتفقدهم صوابهم حتى يخر الواحد منهم على ذقنه طربًا وسكرة.

ويدعون أن حالهم هذه من الطرب والسكر والوجد هو ثمرة من ثمار ذكر الله عز وجل عندهم، وحقيقة قلوبهم بعيدة عن ذكر الله، بل هي أقرب إلى الغفلة واللهو.

---

(١) [محمد:١٩].

(٢) صحيح مسلم (١/ ٥٥، ح٢٦).

إذ أن الذكر الذي لم يخالطه معرفة قدر المذكور وإجلاله وتوقيره واتباع هدي نبيه في طريقة ذكره لله عز وجل يعد في حقيقة الأمر جهلاً.

٢٦٧- ويصـــرخون بـــدعا الأمـــواتِ كيـا دسـوقي يـا أبـا الخـيراتِ
٢٦٨- ويـا رفـاعِيْ الغـوثُ يـا عبـدَ الصـمد مَـدَدْ مَـدَدْ يـا سـادتي مـدد مـددْ

قوله: ويصرخون بدعاء الأموات.

الصراخ هو: الصيحة الشديدة عند الفزع، وقيل: الصوت الشديد(١).

ومما اشتهرت به الصوفية اللهج بدعاء الأموات حتى أصبح السمة البارزة لها.

جاء في أدعية الطريقة القادرية الدعاء والاستغاثة بعبد القادر الجيلاني وفيه: «يا سيدي جمال الله، يا نائب رسول الله، يا راحم الناس، يا مذهب الباس.... أغثني في كل أحوالي، وانصرني في كل آمالي»(٢).

ويقول أحدهم متوجهاً للبدوي(٣):

نحوتـك أرجـو منـك سـالف عـادتي فجـد لي وأسـعفني بـها أنـا طـامع
أغـيرك ينحـوه المؤمـل أو سـوى رحابـك أهـل تثنـى اليـد المطـامع

ومن أسباب دعائهم للأموات اعتقادهم أن لهؤلاء الأموات خصائص الربوبية، ومنها: أن الله قد أعطاهم الأمر بالتصرف في الكون من جلب الخير ودفع الضر، أو أن لهم جاهاً ومنزلة عند الله تجعلهم أهلاً للدعاء، كذلك تضليل مشايخ الطرق لهم أنكم أيها البسطاء مذنبون مسيئون فكيف تتوجهون إلى الله عز وجل بالدعاء وأنتم ملطخون بالذنوب والمعاصي، لذلك لابد لكم من واسطة توصل مطلوبكم، وخير

(١) المخصص، باب الفصاحة، (١/ ٢١٨). لسان العرب، مادة (صرخ)، (٣/ ٣٣).
(٢) الفيوضات الربانية،حمزة القادري، (ص: ١٩٤) وما بعدها.
(٣) السيد البدوي بين الحقيقة والخرافة، منصور علي (ص: ٢٨١).

من يوصلها هم أولياء الله من الأموات وغيرهم. وسأبيّن – بمشيئة الله – هذه الشبه وأفندها في فصل الغلو المذموم في الأبيات ٣٣٣-٣٦٠.

والدعاء عبادة من أعظم العبادات، وأجل الطاعات، يجب صرفها لله تعالى وحده لا شريك له، فإن من دعا أو استغاث أو استعان أو استعاذ بغير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل فقد كفر، سواء كان هذا الغير نبياً، أو ولياً، أو ملكاً، أو جنياً، أو غير ذلك من المخلوقات.

كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾[3].

وقال سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾[4].

وقد سمى الله تعالى دعاء غيره شركاً وكفراً، وقد جاء هذا في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[5].

---

(١) [يونس:١٠٦، ١٠٧].

(٢) [العنكبوت:١٧].

(٣) [الشعراء:٢١٣].

(٤) [الأحقاف:٥].

(٥) [الأنعام:٤٠-٤١].

وكما قال ﷺ: {من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار}[1].

وهو من أعظم الظلم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ومن أعظم الاعتداء والعدوان والذل والهوان، أن يدعى غير الله، فإن ذلك من الشرك، والله لا يغفر أن يشرك به»[2].

ويقرر هذا المعنى شيخ الإسلام رحمه الله فيقول: «كان من أتباع هؤلاء المشركين من يسجد للشمس والقمر والكواكب، ويدعوها كما يدعو الله تعالى، يصوم لها، وينسك لها، ويتقرب إليها، ثم يقول: إن هذا ليس بشرك، وإنما الشرك إذا اعتقدت أنها هي المدبرة لي، فإذا جعلتها سبباً وواسطة لم أكن مشركاً، ومن المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أن هذا شرك»[3].

ويبين ابن القيم رحمه الله شناعة هذا الشرك، فيقول: «ومن أنواعه (الشرك الأكبر) طلب الحوائج من الموتى، والاستغاثة بهم، والتوجه إليهم، وهذا أصل شرك العالم، فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، فضلاً عمن استغاث به، وسأله قضاء حاجته، أو سأله أن يشفع له إلى الله فيها، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع له عنده»[4].

ودعاء المخلوق وقصده فيه تشبيه للمخلوق الضعيف العاجز بالخالق القوي القادر، إذ الدعاء حق خالص لله وحده لا شريك له، فمن دعا غير الله فقد تنقّص الرب جل وعلا، ووقع في أعظم الظلم وأشنعه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ

---

(١) صحيح البخاري (٤/ ١٣٦٣، ح٤٢٢٧).

(٢) الرد على البكري، ابن تيمية، (ص:٩٥).

(٣) درء التعارض (١/ ٢٢٧، ٢٢٨).

(٤) مدارج السالكين، ابن القيم، (١/ ٣٤٦).

عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾[(١)].

ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن دعاء غير الله هو من جنس أفعال المشركين، فيقول: «وأما من يأتي إلى قبر نبي أو صالح، أو من يعتقد فيه أنه قبر نبي أو رجل صالح وليس كذلك، ويسأله حاجته مثل أن يسأله أن يزيل مرضه، أو مرض دوابه، أو يقضي دينه، أو ينتقم له من عدوه، أو يعافي نفسه وأهله ودوابه، ونحو ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل، فهذا شرك صريح، يجب أن يستتاب صاحبه، فإن تاب وإلا قتل»[(٢)].

ويوضح هذا المعنى ويؤكده بقوله: «فكل من غلا في حي، أو في رجل صالح... وجعل فيه نوعاً من الإلهية، مثل أن يقول: يا سيدي فلان اغفري لي، أو ارحمني، أو انصرني، أو ارزقني، أو أغثني، أو أجرني، أو توكلت عليك، أو أنت حسبي، أو أنا في حسبك، أو نحو هذه الأقوال والأفعال، التي هي من خصائص الربوبية التي لا تصلح إلا لله تعالى، فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه، فإن تاب وإلا قتل، فإن الله إنما أرسل الرسل، وأنزل الكتب لنعبد الله وحده لا شريك له، ولا نجعل مع الله إلهاً آخر»[(٣)].

---

(١) [لقمان:١٣].

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٧٥). وقاعدة جليلة في التوسل (ص: ٤٩)، والرد على البكري (ص:٥٥).

(٣) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٥٩) باختصار. وانظر قاعدة جليلة (ص ٢٤٣، ٣٠٠). والرد على الأخنائي (ص: ٦١). واقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٧٠٣).

وقال ابن النحاس[1] ﷺ: "ومنها[2] إيقادهم السرج عند الأحجار والأشجار والعيون والآبار، ويقولون إنها تقبل النذر، وهذه كلها بدع شنيعة ومنكرات قبيحة تجب إزالتها ومحو أثرها، فإن أكثر الجهال يعتقدون أنها تنفع وتضر، وتجلب وتدفع، وتشفي المريض وترد الغائب إذا نُـذِر لها، وهذا شرك ومحادة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم".[3]

وقد أجمع أهل العلم على أن من دعا غير الله أو استغاث به فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى فهو كافر خارج من الملة الإسلامية.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم، ويتوكل عليهم، ويسألهم جلب المنافع، ودفع المضار، مثل أن يسألهم غفران الذنوب، وهداية القلوب، وتفريج الكروب، وسد الفاقات، فهو كافر بإجماع المسلمين»[4].

ويقول الشيخ صنع الله بن صنع الله الحلبي الحنفي ﷺ: "هذا وإنه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدَّعون أن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد الممات، ويستغاث بهم في الشدائد والبليات، وبهم تنكشف الـمُهمات، فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات، مستدلين على أن ذلك منهم كرامات!

---

(1) أحمد بن إبراهيم محي الدين، الدمشقي، الشافعي، فقيه مجاهد، توفي في معركة ضد الفرنجة سنة ٨١٤ هـ، انظر ترجمته في « الضوء اللامع » للسخاوي (١/ ٢٠٣)، و « شذرات الذهب » (٧/ ١٠٥).

(2) أي ومن الكبائر.

(3) تنبيه الغافلين (ص ٣٢٣).

(4) مجموع الفتاوى (١/ ١٢٤).

وهذا كلام فيه تفريط وإفراط ، بل فيه الهلاك الأبدي والعذاب السرمدي ، لما فيه من روائح الشرك المحقق ، ومصادرة الكتاب العزيز المصدّق ، ومخالفة لعقائد الأئمة ، وما أجمعت عليه هذه الأمة".[1]

ويقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله:«ومن أنواع العبادة الدعاء، كما كان المؤمنون يدعون الله وحده ليلاً ونهاراً في الشدة والرخاء، ولا يشك أحد أن هذا من أنواع العبادة، فتفكر رحمك الله فيما حدث في الناس اليوم من دعاء غير الله. في الشدة والرخاء، فهذا تلحقه الشدة في البر أو البحر، فيستغيث بعبد القادر أو شمسان أو نبي من الأنبياء، أو ولي من الأولياء أن ينجيه من هذه الشدة، فيقال لهذا الجاهل: إن كنت تعرف أن الإله هو المعبود، وتعرف أن الدعاء من العبادة، فكيف تدعو مخلوقاً ميتاً، وتترك الحي القيوم الحاضر الرؤوف الرحيم القدير؟»[2].

وقال الشوكاني رحمه الله: «ويجب أن يعلم أن من قصد غير الله بدعاء أو استعاذة أو استعانة فهو كافر، وإن لم يعتقد فيمن قصده تدبيراً، أو تأثيراً، أو خلقاً، فمشركو العرب الذين قاتلهم رسول الله ﷺ لم يكونوا يقولون عن معبوداتهم: إنها تخلق، وترزق، وتدبر أمر من قصدها، بل كانوا يعلمون أن ذلك لله وحده كما حكاه عنهم في غير موضع من كتابه بل كانوا يدعونها، ويستغيثون بها مع إقرارهم بأن الله هو المدبر الخالق الرزاق»[3].

وقال أيضاً رحمه الله:«وإخلاص التوحيد لا يتم إلا بأن يكون الدعاء كله لله، والنداء والاستغاثة، والرجاء، واستجلاب الخير، واستدفاع الشر له ومنه، لا لغيره ولا من

(1) سيف الله على من كذب على أولياء الله ، (ص ١٥-١٦)

(٢) الدرر السنية (٢/ ٥٤).

(٣) انظر: الدر النضيد، الشوكاني، (ص:١٦- ١٩).

غيره ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾[1]، ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ﴾[2]»[3].

ويقول أيضاً رحمه الله: «فإن الشرك هو دعاء غير الله الأشياء التي تختص به، أو اعتقاد القدرة لغيره فيما لا يقدر عليه سواه، أو التقرب إلى غيره بشيء مما لا يتقرب به إلا إليه، ومجرد تسمية المشركين لما جعلوه شريكاً بالصنم والوثن والإله لغير الله زيادة على التسمية بالولي والقبر والمشهد كما يفعله كثير من المسلمين، بل الحكم واحد إذا حصل لمن يعتقد في الولي والقبر ما كان يحصل لمن كان يعتقد في الصنم والوثن، إذ ليس الشرك هو مجرد إطلاق بعض الأسماء على بعض المسميات، بل الشرك هو أن يفعل لغير الله شيئاً يختص به سبحانه، سواء أطلق على ذلك الغير ما كان تطلقه عليه الجاهلية، أو أطلق عليه اسماً آخر، فلا اعتبار بالاسم قط»[4].

ويقول الأمير الصنعاني رحمه الله:«من نادى الله ليلاً ونهاراً، سرا وجهاراً خوفاً وطمعاً، ثم نادى معه غيره، فقد أشرك في العبادة، فإن الدعاء من العبادة، وقد سماه الله تعالى عبادة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[5]، بعد قوله: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[6]»[7].

(١) [الجن: ١٨].

(٢) [الرعد: ١٤].

(٣) الدر النضيد (ص: ١٧).

(٤) المرجع السابق (ص: ١٨).

(٥) غافر، آية (٦٠).

(٦) غافر، آية (٦٠).

(٧) تطهير الاعتقاد (ص: ٢٤).

ويقول الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين ﷺ في هذا الشأن: «فمن صرف لغير الله شيئاً من أنواع العبادة، فقد عبد ذلك الغير واتخذه إلهاً، وأشركه مع الله في خالص حقه، وإن فر من تسمية فعله ذلك تألهاً وعبادة وشركاً، ومعلوم عند كل عاقل أن حقائق الأشياء لا تتغير بتغير أسمائها»[1].

ويقول حسين بن مهدي النعمي ﷺ:«هذه العبادة بكيفيتها موضوعة للرب الأحد الصمد، السميع القريب المجيب، مالك الملك، والدعاء هذا مجراه، وهذه منزلته، فدعاء غير الله تعالى إخراج للدعاء عن محله وموضوعه، كقيامه بتلك الصلاة على تلك الكيفية للمقبور والحجر، سواء بسواء، والفصل بين الصلاة والدعاء فصل بين متآخيين، وإلا فليجعلوا للمقبور صلاة وصياماً ونحوهما، يفارق الذم والتشريك، ويكون صالحاً خالياً عن الفساد والمنكر، سبحانك ربنا، هذا بهتان عظيم.

فما بال الدعاء الذي هو العلم المشهور في العبادة، وآيات التنزيل، بل هو في الحقيقة بداية الأمر ومشرعه، وقطب رحاه، سل من مركزه، واستنزل من شوامخ صياصيه، وهو أظهر وأشهر معنى من العبادة، وأكثر تنصيصاً وتعييناً!»[2].

ويقول الشيخ حمد بن ناصر بن معمر ﷺ:«لا نعلم نوعاً من أنواع الكفر والردة، ورد فيه من النصوص مثل ما ورد في دعاء غير الله بالنهي عنه والتحذير من فعله والوعيد عليه»[3].

---

(١) تأسيس التقديس،(ص:٤٢).

(٢) معارج الألباب (ص: ٢٢٥).

(٣) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٤/ ٦٠٢).

ويقول الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ﷀ في هذا المقام: «الأدلة والنصوص متواترة متظاهرة على أن طلب الحوائج من الموتى والتوجه إليهم شرك محرم، وأن فاعله من أسفه السفهاء، وأضل الخلق، وأنه ممن عدل بربه، وجعل له أنداداً وشركاء في العبادة التي لا تصلح لسواه، ولا تنبغي لغيره»(١).

قوله: كيا دسوقي. يضرب الناظم ﷀ أمثلةً لمن يتوجهون إليهم بالدعاء في بقاع مختلفة من بلاد الإسلام وأولهم إبراهيم الدسوقي المدفون في دسوق بمصر وهو: إبراهيم بن محمد بن عبدالرحمن الدسوقي الهاشمي الشافعي القرشي، ولد سنة (٦٣٣هـ) ونسبته إلى قرية دسوق بمصر، شيخ الخرقة البرهامية وصاحب المحاضرات القدسية والعلوم اللدنية والأسرار العرفانية، أحد الأئمة الذين -تزعم الصوفية- أن الله عزوجل قد أظهر لهم المغيبات، ووصل إلى القطبية، طريقته فيما بعد عرفت بالدسوقية أو بالبرهامية في مصر والبرهانية في السودان، نشرها تلميذه محمد عثمان عبده، كما تزعم الصوفية أنه يعلم لغات الطيور والوحوش ويتكلم بكل اللغات، وتدعي أنه أحد الأقطاب الأربعة الذين يرجع إليهم تدبير الأمور في هذا الكون(٢).

قوله: يا أبا الخيرات. اسمه حاتم، ويكنى بأبي الخيرات، وهو الحاكم في حراز باليمن، معقل المكارمة، يقولون: إنه من آل البيت، يتقرب الإسماعيلية المكارمة بالنذور إليه. ويسمون نذرهم له بنذر المقام(٣).

(١) مصباح الظلام على من كذب الشيخ الإمام(ص: ٢٥٢).

(٢) الطبقات الكبرى، الشعراني، (١/ ٦٣). طلائع الصوفية (١/ ٢٧). الكواكب السائرة، (١/ ؟؟). الأعلام (١/ ١٧٤).

(٣) موسوعة فرق الشيعة، ممدوح الحربي، (ص: ١٢٦).

قوله: ويا رفاعي الغوث. الرفاعي هو: أحمد بن علي بن أبي الحسين الرفاعي الحسيني، نسبة إلى بني رفاعة، قبيلة من العرب، ولد بالعراق سنة ٥١٢ هـ، سكن أم البطائح إلى أن مات، انتهت إليه الرياسة وإليه تنسب الطريقة الرفاعية، وتعتقد الرفاعية أن الرفاعي وصل إلى مرتبة الغوث لجميع المخلوقات، توفي سنة ٥٧٠ هـ[١].

قوله: الغوث. الاستغاثة لغة: مصدر استغاث طلب النّصرة عند الشّدّة[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «الاستغاثة: طلب الإغاثة والتخليص من الكربة والشدة»[٣].

والفرق بين الاستغاثة والدعاء: «أن الاستغاثة لا تكون إلا من المكروب، والدعاء أعم من الاستغاثة، لأنه يكون من المكروب وغيره، فالاستغاثة داخلة في الدعاء؛ لأن الاستغاثة فيها طلب وسؤال.

فإذا عُطِفَ على الدعاء الاستغاثة فهو من باب عطف العام على الخاص، فبينهما عموم وخصوص مطلق، يجتمعان في مادة، وينفرد الدعاء عنها في مادة، فكل استغاثة دعاء وليس كل دعاء استغاثة»[٤].

والرفاعية قد جعلوا لشيخهم رتبة «الغوثية» وذكروا أن المظلوم يستغيث به، بل إن النعجة تستغيث به إذا انقض عليها الذئب وتناديه بلغتها: «يا سيدي أحمد»[٥].

(١) الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ١٤٠). المعارف المحمدية، (ص:٧٢). الأعلام (١/ ١٧٤).

(٢) لسان العرب (٦/ ٣٣١٢). ومعجم مقاييس اللغة (٤/ ٤٠٠). والمفردات، الراغب (٣٦٧).

(٣) مجموع الفتاوى (١/ ١٠٥).

(٤) فتح المجيد، عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، (ص: ١٠٨).

(٥) المعارف المحمدية (ص: ٧٢-٧٣).

وأن الرفاعي ما زال يرتقي من مقام إلى آخر حتى ارتفعت رتبته عن مقام «الغوثية»(١).

قالوا: «ولهذا لما قال له أحد تلامذته: أنت القطب، قال له الرفاعي: نزه شيخك عن القطبية. فقال له حينئذ: أنت الغوث. قال له الرفاعي: نزه شيخك عن الغوثية». فهذا التنزيه عندهم إنما أراد به الرفاعي ترفعه عن هذين المقامين القاصرين الناقصين إلى ما هو أعلى منهما(٢).

ويؤكد الرفاعي إمكانية الوصول إلى مقام الغوث بقوله: « إن العبد ما يزال يرتقي من سماء إلى سماء حتى يصل إلى محل الغوث ثم ترتفع صفته إلى أن تصير صفة من صفات الحق، فيطلعه على غيبه حتى لا تنبت شجرة ولا تخضر ورقة إلا بنظره...»(٣)

ومما يدل على استغاثة الصوفية بغير الله: استغاثة الصيادي(٤) بالنبي ﷺ نافياً أن يجد العون والنصرة من غيره، قائلاً(٥):

غوثاه يا سيد السادات خذ بيدي   فلن أرى لي أعواناً وأنصارا

ويقول أيضاً(٦):

غوثاه يا مصطفاه انظر بمرحمة   عصابة قد أضرتها خطاياها

---

(١) قلادة الجواهر (ص: ١٢٨).

(٢) طبقات الصوفية للشعراني (١/ ٤٤١).

(٣) قلادة الجواهر (ص: ١٤٨).

(٤) هو محمد بن حسن وادي أبو الهدى الصيادي، صوفي طرقي، كان يحمل المسئولية في فساد الدين والدولة العثمانية، ولد سنة (١٨٤٩هـ)، وتوفي سنة (١٩٠٩م). انظر: غاية الأماني (١/ ١١، ١/ ٢٣٠-٢٣١، ٣٧٠). ومعجم المؤلفين (٩/ ٢٢٦).

(٥) ديوان أبو الهدى الصيادي (ص: ١٤).

(٦) المرجع السابق.

ويـا أبـا القاسـم الغـوث الغيـاث فقـد ضـاقت بنـا الأرض أقصـاها وأدناهـا

ومن أدلتهم على جواز الاستغاثة بالأموات:

استغاثة الصحابة بالنبي ﷺ في القحط ليدعو لهم، وكذلك الناس يستغيثون به ﷺ يوم القيامة ليشفع لهم(١).

والجواب على ذلك: أن النبي ﷺ في حياته يجوز أن يستغاث به، فيطلب منه أن ينصر المظلوم، ويطعم الجائع، ويسقي الظمآن، ويخلص الأسرى، ويقضي الدين عن المدين، ويبين الدين، ويزيح شبهات المعارضين، ويجيب السائلين ونحو ذلك(٢).

ولا يستطيع أحد أن ينقل عن أحد من الصحابة ولا من السلف أنه بعد موته طلبوا منه إغاثةً أونصراًأوإعانة أواستسقوا بقبره أواستنصروا به كما كانوا يطلبون ذلك منه في حياته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «سؤال الميت والغائب نبيًا كان أو غيره من المحرمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين، لم يأمر الله به ولا رسوله ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان، ولا استحبه أحد من أئمة المسلمين... ولا أحد من الصحابة رضي الله عنهم استغاث بالنبي ﷺ بعد موته ولا بغيره من الأنبياء، لا عند قبورهم، ولا إذا بعدوا عنها، وقد كانوا يقفون تلك المواقف العظام في مقابلة المشركين في القتال، ويشتد البأس بهم ويظنون الظنونا، ومع هذا لم يستغث أحد منهم بنبي ولا غيره من المخلوقين».

ولما أجدبوا في خلافة عمر رضي الله عنه استسقى بالعباس رضي الله عنه، وقال: [[اللهم إنا كنا

---

(١) شواهد الحق للنبهاني (ص: ١٢٦)، مفاهيم يجب أن تصحح، لمحمد علوي المالكي (ص:١٥٩).

(٢) مجموع الفتاوى (١/ ١٠٣).

إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا]][(١)].

فلم يذهبوا إلى القبور، ولا توسلوا بميت ولا غائب، بل توسلوا بالعباس كما كانوا يتوسلون بالنبي ﷺ، وكان توسلهم به بدعائه كالإمام مع المأموم، وهذا تعذر بموته»[(٢)].

أمّا الاستغاثة بالمخلوق ليدعو للعبد أو ليعينه بما يقدر عليه فإنها ليست بممنوعة، وإنما الممنوع أن يستغاث به فيما لا يقدر عليه، ولاسيما إذا كان المخلوق ميتًا أو غائبًا، فلا يجوز أن يستغاث به فيما يقدر عليه حيًا، ولا فيما لا يقدر عليه.

فالاستغاثة بالنبي ﷺ فيها تفصيل. فهناك استغاثة جائزة مشروعة، وهي:

١- إما بالطلب منه في حياته فيما يقدر عليه، وهذه لم ينازع فيها أحد.

٢- وإما بالطلب منه في عرصات يوم القيامة أن يشفع لهم، وهذه مما دلت عليه النصوص الثابتة.

وهناك استغاثة غير مشروعة بل هي شركية، وهي عائدة إلى شيئين:

١- الاستغاثة به بعد موته.

٢- أن يطلب منه ما لا يقدر عليه.

وكلا الأمرين يجتمعان فيمن استغاث به بعد موته.

أمّا ما ذكروه أنَّ الناسَ يوم القيامة يستغيثون بآدم ثم بنوح ثم بإبراهيم ثم بموسى ثم بعيسى فكلهم يعتذرون، حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ، قالوا: فهذا يدلُّ على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركًا.

(١) صحيح البخاري (١/ ٣٤٢، ح٩٦٤).

(٢) الرد على البكري (ص: ٣٣١-٣٣٦).

فالجواب: أن الناس حينما يستغيثون بالأنبياء يوم القيامة يكونون أحياء أمامهم حاضرين يقدرون على الشفاعة، فهناك فرق بين الحي القادر وبين الميت، كما أخبر الله عز وجل في قصة موسى عليه السلام أنه أغاث رجلاً من شيعته: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾[1] [2].

قوله: مدد مدد. قال الفيومي[3]: "أمددته بمدد: أعنته وقويته به... فإذا قال: مدد يا أولياء الله فمعناه: علمونا مما علمكم الله وأمدونا مما أمدكم الله سبحانه به من العلوم والعرفان وساعدونا..."[4].

قوله: يا سادتي. السادة جمع سيد، وأصله من ساد يسود فهو سَيْوِد؛ فقلبت الواو ياءً لأجل الياء الساكنة قبلها ثم أدغمت [5].

والسيد هو «المتولي للسّواد، أي: الجماعة الكثيرة، وينسب إلى ذلك فيقال: سيد القوم، ولا يقال: سيد الثوب، وسيد الفرس، ويقال: ساد القوم يسودهم، ولما كان من شرط المتولي للجماعة أن يكون مهذب النفس؛ قيل لكل من كان فاضلاً في نفسه: سيد»[6].

---

(١) [القصص:١٥].

(٢) تأسيس التقديس، عبد الرحمن بن عبد الله أبي بطين (ص:٤٤).

(٣) هو: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، لغوي، اشتهر بكتابه: "المصباح المنير" ولد ونشأ بالفيوم (بمصر) ورحل إلى حماة (بسورية) فقطنها. عاش إلى بعد ٧٧٠هـ. [" الأعلام للزركلي " ١/ ٢٢٤].

(٤) المصباح المنير (٢/ ٥٢٣).

(٥) النهاية (ص: ٤٥٢).

(٦) المفردات (ص: ٢٥٤). وانظر: لسان العرب (٧/ ٢٩٦-٢٩٧).

والسيد يطلق على الرب والمالك والشريف والفاضل والكريم والحليم ومتحمل أذى قومه، والزوج والرئيس والمقَدَّم [1].

قال ابن القيم رحمه الله: «اختلف الناس في جواز إطلاق (السيد) على البشر، فمنعه قوم، ونُقل عن مالك، واحتجوا بأنه ﷺ لما قيل له: يا سيدنا قال: {إنما السيد الله} [2]، وجوزه قوم، واحتجوا بقول النبي ﷺ للأنصار: {قوموا إلى سيدكم} [3]، وهذا أصح من الحديث الأول. قال هؤلاء: والسيد أحد ما يضاف إليه؛ فلا يقال لتميمي: إنه سيد كِنْدة، ولا يقال: لمَلَك: إنه سيد البشر، قال: وعلى هذا فلا يجوز أن يطلق على الله هذا الاسم. وفي هذا نظر؛ فإن السيد إذا أطلق عليه تعالى؛ فهو بمعنى المالك والمولى والرب، لا بالمعنى الذي يطلق على المخلوق"[4].

وطلب المدد من الأموات شرك.

يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: «إن الاستمداد بالأموات والغائبين هو الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله، فإن الاستمداد عبادة، والعبادة لا يجوز أن يصرف منها شيء لغير الله، وذلك أن الاستمداد نتيجته الاعتماد، والاعتماد هو معنى التوكل الذي هو من خصائص الإلهية وأجمعها لأعمال القلوب... كما أن مورد العبادة القلب واللسان والأركان، والمستمد لا يكون إلا داعياً وراغباً، وراهباً، وخاشعاً، ومتذللاً،

---

(١) النهاية (ص: ٤٥٢).

(٢) رواه أبو داود (٢/ ٣٨، ح٤٨٠٦)، قال ابن حجر: رجاله ثقات، وقد صححه غير واحد. الفتح (٥/ ٢٢١). وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ص: ١٧٢).

(٣) رواه البخاري (١١/ ٥٩، ح٦٢٦٢). ومسلم (١٢/ ٣١٣، ح٤٥٧١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) بدائع الفوائد (٣/ ١٧٥).

ومستعيناً، فإن الاستمداد طلب المدد بالقلب واللسان والأركان ولابد، وهذه الأعمال هي أنواع العبادة، فإذا كانت لله وحده، فقد آلهه العبد، فإذا صرف لغير الله تعالى، صار مألوهاً له»(١).

معنى البيتين إجمالاً:

ومن أفعالهم الشنيعة التي تخالف الشريعة التي ارتضاها الله عز وجل لنا دعاء الأموات جهارًا بصوت شديد كدعاء الدسوقي وأبي الخيرات.

والاستغاثة بهم كالاستغاثة بالرفاعي، وطلب المدد منهم أيضًا كطلبه من عبدالصمد؛ لأنهم من سادات آل البيت.

(١) الدرر السنية (١١/ ٤١٤-٤١٥).

٢٦٩- وصيغةُ الذكرِ على ما يهوَى　　شيخهمُ الذي يبثُّ الدعوَى
٢٧٠- وذا مُنافٍ ذكرُ أهل التقوى　　العارفين غيرِ أهلِ الأهوا

قوله: وصيغة الذكر على مايهوى.

هنا يعرض الناظم لبدع الصوفية في الذكر، حيث تختلف صيغ الذكر عند الصوفية من طريقة إلى طريقة، وفي داخل الطريقة أيضًا تختلف على حسب مراتب الذاكرين، فإن كان من عامة المريدين فيلزمونه بلا إله إلا الله كاملة. ثم إن ارتقى إلى درجة العارفين فيذكر الله بالاسم المفرد (الله)، ثم إن ارتقى إلى درجة المحققين فيقصر على (هو)(١).

وكذلك صيغة الذكر بالأسماء الحسنى يعطون بعض المريدين اسم ويمنعونه عن آخرين، ويزعمون أنه يضر النداء به لهم. كل ذلك على حسب حاله وحاجته.

يقول ابن عطاء الله السكندري: «اسمه تعالى – العفو – يليق بأذكار العوام لأنه يصلحهم، وأما من يصلح للحضرة فذكره مغفرة الذنب عندهم يورث الوحشة، واسمه تعالى – المتين – يضر أرباب الخلوة»(٢).

ومما ابتدعوه أيضاً أن لكل صيغة ذكر تأثير قلبي خاص ومفعول نفسي معين، لذلك يأذنون لمريديهم بأذكار معينة تتناسب مع أحوالهم وحاجاتهم وترقيهم في المسير، وبعد ذلك يعرض عليه المريض ما يجده تأثير الذكر عليه، فإذا لم يجد له أثراً غيره بذكر آخر، وكأنه طبيب يجرب مع مريضه عدة أدوية حتى يصل إلى الدواء

(١) رماح حزب الرحيم، للفوتي (٢/ ٣٩٨).
(٢) شرح حكم ابن عطاء الله السكندري، الشرنوبي، (ص: ٨٢).

الشافي، وفي هذا عدة محاذير شرعية.

وهذا مخالف لهدي الرسول ﷺ والسلف الصالح من بعده في الذكر.

قال شيخ الإسلام ﷺ في الرد عليهم: «قد دلَّ الكتاب والسنة وآثار سلف الأمة على جنس المشروع المستحب في ذكر الله ودعائه كسائر العبادات... أن الشرع لم يستحب من الذكر إلا ما كان كلاماً تاماً مفيداً، مثل: لا إله إلا الله، ومثل: الله أكبر، ومثل: سبحان الله والحمد لله... فأما الاسم المفرد مُظهَرًا، مثل: الله الله، أو مضمَرًا، مثل: هو هو، فهذا ليس بمشروع في كتاب ولا سنة، ولا هو مأثور أيضاً عن أحد من سلف الأمة، ولا عن أعيان الأمة المقتدى بهم، وإنما لهج به قوم من ضلال المتأخرين، وربما اتبعوا فيه حال شيخ مغلوب فيه، مثلما يروى عن الشبلي[1] أنه كان يقول: الله الله، فقيل له: لم لا تقول: لا إله إلا الله؟ فقال: أخاف أن أموت بين النفي والإثبات.... وله أشياء من هذا النمط التي لا يجوز الاقتداء به فيها.

وربما غلا بعضهم في ذلك حتى جعل ذكر الاسم المفرد للخاصة وذكرَ الكلمة التامة للعامة. وربما قال بعضهم: (لا إله إلا الله) للمؤمنين، و(الله) للعارفين، و(هو) للمحققين. وربما اقتصر أحدهم في خلوته أو في جماعته على (الله الله الله)، أو على (هو) أو (يا هو) أو (لا هو إلا هو). وربما ذكر بعض المصنفين في الطريق تعظيمَ ذلك، واستدلَّ عليه تارة بوجد، وتارة برأي، وتارة بنقل مكذوب.

وكذلك بالأدلة العقلية الذوقية، فإن الاسم وحده لا يعطي إيماناً ولا كفراً، ولا

---

(١) هو دلف بن جحدر، وقيل: ابن جعفر الشبلي، أصله من قرية شبلية وراء سمرقند، كنيته: أبو بكر، كان حاجباً للموفق، ثم عُزل، فصحِب الجُنيد وتصوف، وتفقه على مذهب مالك، كان له شطحات وتجاوزات، لا يُقتدى به فيها، توفي سنة (٣٣٤هـ). انظر: طبقات الأولياء (ص:٢٠٤). سير الأعلام (١٥/ ٣٦٧). شذرات الذهب (٢/ ٣٣٨).

هدى ولا ضلالاً، ولا علماً ولا جهلاً، وقد يذكر الذاكر اسم نبي من الأنبياء، أو فرعون من الفراعنة، أو صنم من الأصنام، ولا يتعلق بمجرد اسمه حكم إلا أن يقرن به ما يدل على نفي أو إثبات، أو حب أو بغض، وقد يذكر الموجود والمعدوم.

فثبت بما ذكرناه أن الاسم المجرد ليس مستحباً، فضلاً عن أن يكون هو ذكر الخاصة. وأبعد من ذلك ذكر الاسم المضمر، وهو: (هو)، فإن هذا بنفسه لا يدل على معين، وإنما هو بحسب ما يفسره من مذكور أو معلوم، فيبقى معناه بحسب قصد المتكلم»[1].

وقال المناوي:"أنكر عليه في حياته – أي كريم الدين الخلوتي- فقيه الشافعية الشيخ شمس الدين الخطيب الشربيني في الابتداء بالذكر بالجلالة وقال : هو مبتدأ ولا بد لكل مبتدأ من خبر" [2]

وقال الصنعاني رحمه الله :" أما المتسمون بالمجاذيب الذين يلوكون لفظ الجلالة بأفواههم ويقولونها بألسنتهم ويخرجونها عن لفظها العربي فهم من أجناد إبليس اللعين !!!، ومن أعظم حمر الكون !!! الذين ألبستهم الشياطين حلل التلبيس والتزيين .

ثم انظر هل أتى في لفظة من الكتاب والسنة ذكر الجلالة بانفرادها وتكريرها ؟ أو الذي في الكتاب والسنة هو طلب الذكر والتوحيد والتسبيح والتهليل، وهذه أذكار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدعيته وأدعية آله وأصحابه خالية عن هذا الشهيق والنهيق والنعيق !!! الذي اعتاده الذي من هو عن الله وعن هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمته ودله في مكان سحيق .

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٥٦١).

(٢)طبقات المناوي الكبرى ٤/ ١٢٩.

فإن إطلاق الجلالة منفردا عن إخبار عنها بقولهم (الله الله) ليس بكلام ولا توحيد، وإنما هو تلاعب بهذا اللفظ الشريف بإخراجه عن لفظه العربي ثم إخلاؤه عن معنى من المعاني ولو أن رجلا عظيما صالحا يسمى بزيد وصار جماعة يقولون (زيد زيد) لعد ذلك استهزاء وإهانة وسخرية، ولا سيما إذا زادوا إلى ذلك تحريف اللفظ)[1]

وقوله: على ما يهوى.

الهوى لغة: مصدر قولهم: هوى يهوي، وتدلّ المادّة الّتي اشتقّ منها على «الخلوّ والسّقوط..يقول ابن فارس[2]: «وهوى النّفس مأخوذ من المعنيين جميعاً(أي: من الخلوّ والسّقوط) لأنّه خال من كلّ شيء، ويهوي بصاحبه فيما لا ينبغي»[3].

وذهب الرّاغب إلى أنّه مأخوذ من معنى السّقوط فقط، فقال: «وقيل: سمّي بذلك لأنّه يهوي بصاحبه في الدّنيا إلى كلّ داهية وفي الآخرة إلى الهاوية»[4].

وقال ابن منظور[5]: «وهوى النّفس: إرادتها، وقيل: محبّة الإنسان الشّيء وغلبته على قلبه، قال تعالى: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾﴾[6]معناه: نهاها عن شهواتها وما تدعو إليه

---

(1) تطهير الاعتقاد (ص ٤٨.)

(٢) هو: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، الرازي، من أئمة اللغة والأدب، أصله من قزوين، وأقام مدة في همذان ثم انتقل إلى الري، توفي فيها سنة ٣٩٥هـ، له مؤلفات منها: "معجم مقاييس اللغة"، و"المجمل"، و"جامع التأويل في تفسير القرآن". انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٠٣).

(٣) مقاييس اللغة (٦/ ١٦).

(٤) المفردات (ص: ٥٤٨).

(٥) هو محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري الأفريقي المصري، أبو الفضل، صاحب لسان العرب في اللغة، ولد سنة ٦٣٠ هـ، وتوفي سنة ٧١١ هـ. انظر ترجمته في بغية الوعاة (١/ ٢٤٨).

(٦) [النازعات:٤٠].

من معاصي اللهّ عز وجل»[1].

والهوى اصطلاحاً:

قال الكفويّ: «الهوى: ميل النّفس إلى ما تستلذّه من الشّهوات من غير داعية الشرع»[2].

وقال المناويّ[3]: «وقيل: الهوى: نزوع النّفس لسفل شهواتها لباعث انبساطها»[4].

وقال ابن الجوزيّ رحمه الله: «الهوى هو ميل الطّبع إلى ما يلائمه»[5].

وفي الفرق بين الهوى والشهوة يقول الماورديّ[6]: «فرق ما بين الهوى والشّهوة، أنّ الهوى مختصّ بالآراء والاعتقادات، والشّهوة مختصّة بنيل المستلذّات، فصارت الشّهوة من نتائج الهوى، والهوى أصل وهو أعمّ»[7].

وقوله: شيخهم الذي يبث الدعوى. الشيخ عند الصوفية ليس هو ما يعنيه العلماء

---

(١) لسان العرب (هوى) (١٥/ ٣٧٤). وانظر الصحاح (٦/ ٥٣٧).

(٢) الكليات، الكفوي، (ص٩٦٢).

(٣) عبدالرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين المناوي، ولد سنة ٩٥٢هـ، من كبار العلماء انزوى للبحث والتصنيف، له نحو ثمانين مصنفاً، عاش في القاهرة وتوفي بها، من مؤلفاته: كنوز الحقائق فيض القدير شرح الجامع الصغير، توفي سنة ١٠٣١هـ، انظر: الأعلام، الزركلي، (٦/ ٢٠٤).

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف (ص:٣٤٤).

(٥) ذم الهوى لابن الجوزي (ص:١٢).

(٦) هو علي بن محمد بن حبيب البصري، الماوردي، الشافعي، أبو الحسن، صاحب التصانيف، الإمام العلامة، توفي سنة ٤٥٠ هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٨/ ٦٤-٦٨). وطبقات الشافعية الكبرى (٥/ ٢٦٧-٢٨٥).

(٧) أدب الدنيا والدين، الماوردي، (ص: ٣٨).

من اتخاذ المرشد والهادي والداعي إلى الله، وإنما هو التزام أبدي برجل خاص يقدسه حيًا وميتًا، فشتان بين اتخاذ شيخ وإمام في دين الإسلام الصحيح واتخاذ شيخ عند الصوفية.

ومثال الإلتزام بالشيخ ما ورد في بيعة إحدى الطرق الصوفية :"اللهم إني تبت إليك، ورضيت بسيدي السيد محمد عثمان الميرغني شيخاً لي في الدنيا و الآخرة"(١)

وبث الدعوى: هو نشرها بين الناس.

قوله: وذا مناف ذكر أهل التقوى.

قوله: ذا مناف أي: أن هذه الصيغ المبتدعة للذكر مخالفة ومضادة لذكر النبي ﷺ وذكر أتباعه.

قوله: أهل التقوى أي: الذين يتقون الله ﷻ فيمتثلون أوامره، ويجتنبون نواهيه ومن ذلك التقيّد بالأذكار المشروعة والابتعاد عن الأذكار المبتدعة.

قوله: العارفين غير أهل الأهوا.

أي: بما صحّ وثبت عن الرسول ﷺ من الأذكار، وبما يستحقه من التعظيم اتباع أوامره ومنها الذكر.

وأهل الأهواء: هم أهل القبلة الذين لا يكون معتقدهم معتقد أهل السّنّة(٢).

وهم أيضاً: كل من خرج عن موجب الكتاب والسنة من المنسوبين إلى العلماء والعبّاد، كما قال شيخ الإسلام رحمه الله: «ولهذا كل من خرج عن موجب الكتاب والسنة من المنسوبين إلى العلماء والعبّاد يُجعل من أهل الأهواء، كما كان السلف يسمونهم أهل

(١) الختمية، محمد حامد المكري،(ص:١٣٣)

(٢) كتاب التعريفات للجرجاني (ص: ٤١).

الأهواء، وذلك أن كل من لم يتبع العلم فقد اتبع هواه»[1].

وهم كل من خالف السنة والجماعة من أهل الكلام[2] والبدع والجدل والخصومات، ومنهم الصوفية[3].

والصوفية يعتقدون أن للذكر بهذه الطريقة وهذه الصيغة الخاصة فتح لا يماثله أي صيغة أخرى. وأن أذكارهم المبتدعة في نفسها وفي صيغها وطريقتها قد أخذت عن الرسول ﷺ وأن أجرها مضاعف.

جاء في صلاة الفاتح للتجاني[4] قوله: «سألت النبي ﷺ عن فضل صلاة الفاتح، فأخبرني أولاً بأن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ست مرات، ثم أخبرني ثانياً بأن المرة الواحدة منها تعدل من كل تسبيح وقع في الكون ومن كل ذكر ومن كل دعاء كبير أو صغير، ومن القرآن ستة آلاف مرة»[5].

وجاء في فضل جوهرة الكمال عند التيجانية :"وأما جوهرة الكمال فهي إملاء

---

(١) الاستقامة، (٢/ ٢٢٤).

(٢) أهل الكلام أو المتكلمون هم: الذين يعتمدون في إثبات عقائدهم أو نفيها على الطرق الفلسفية والنظريات التي يزعمون أنها عقلية. انظر: فتح رب البرية بتلخيص الحموية للعثيمين (ص:٨٣) .

(٣) انظر: دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها، ناصر العقل، (ص:٢٩).

(٤) هو: أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد الشريف التجاني، شيخ الطريقة التجانية ومؤسسها، ولد بعين ماضي بالجزائر سنة (١١٥٠هـ)، توفي سنة (١٢٣٠هـ-١٨١٥م)، وخلف بعض الآثار منها: «السر الأبهر في أوراد القطب الأكبر» و«جوهرة الحقائق في الصلاة على خير الخلائق» و«جوهرة الكمال في الصلاة على سيد الأرسال» وكلها أوراد وأحزاب مقررة على أتباع الطريقة، وأشهرها وأكبرها «جواهر المعاني» وهو عبارة عن سيرة للتجاني ومناقبه، وروايات عنه، جمعها صاحبه علي حرازم برادة.أنظر ترجمته في الدرر السنية في الطريقة التيجانية للرباطي ص ١٥. كذلك التيجانية لعلي الدخيل الله ص ٢١.

(٥) جواهر المعاني ، علي حرازم ، ١/ ٣٦.

رسول الله صلى الله عليه وسلم لسيدنا الشيخ رضي الله عنه يقظة لا مناماً فمن فضلها الذي ذكره الشيخ رضي الله عنه أن المرة منها تعدل تسبيح العالم ثلاث مرات بشرط الطهارة المائية وأن من لازمها كل يوم سبع مرات يحبه النبي صلى الله عليه وسلم وأن النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الأربعة يحضرون مع الذاكر عند السابعة منها ولا يفارقونه حتى يفرغ من ذكرها وهذا من باب خرق العادة ، ومنها أن من قرأها عشرة مرة وقال هذه هدية مني إليك يا رسول الله فكأنما زار النبي صلى الله عليه وسلم والأولياء والصالحين من أول الوجود إلى وقته ومنها أن من نزلت به شدة أو ضيق وقرأها خمساً وستين مرة فرج الله عنه في الحين وفضل الله أوسع ويختص به من يشاء والله ذو الفضل العظيم ومن أراد زيادة فعليه بكتب هذه الطريقة كجواهر المعاني والرماح وأما فضل الذكر به يوم الجمعة بعد صلاة العصر فيكفي في فضله حضور النبي صلى الله عليه وسلم من أول الذكر إلى آخره ، قال صاحب المنية :

يكفيك في الفضل حضور المصطفى صلى عليه ربنا وشرفا "[1]

ونقول لهم إن الله عز وجل حذرنا من اتباع الهوى عموماً ومنه اتباع الهوى في الذكر وطريقته، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ

(1). الدرر السنية في الطريقة التيجانية، للرباطي ص: ٦٠ ط مطبعة حجازي القاهرة ١٣٧٥ هـ.

(٢) [البقرة:١٤٥].

وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[1].

وكما حذرنا الله عز وجل من اتباع الهوى كذلك حذرنا من اتباع أهواء الذين لا يعلمون، كما في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[2].

وكذلك النبي ﷺ حذرنا من اتباع الهوى، ويتضح ذلك من تعوذه ﷺ من الهوى كما في حديث قطبة بن مالك رضي الله عنه كان النبي ﷺ، يقول: {اللّهمّ إنّي أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء}[3].

وخشيته ﷺ علينا منه كما في حديث أبي برزة الأسلميّ[4] رضي الله عنه أنّه قال: قال

(١) [المائدة:٤٨-٥٠].

(٢) [الجاثية:١٦-٢٠].

(٣) رواه الترمذي (٥/ ٥٧٥، ح٣٥٩١)، وقال: "حسن غريب". وابن أبي عاصم في السنة وقال الألباني: إسناده صحيح رواه أصحاب السنن وغيرهم. وذكره في المشكاة برقم (٢٤٧١) وقال: رواه الترمذي (٢/ ٧٦١- ٧٦٢).

(٤) هو بريدة بن الحصيب بن عبد الله الأسلمي، أبو عبد الله، شهد مع رسول الله ﷺ مشاهده بعد أحد، وشهد الحديبية وبيعة الرضوان تحت الشجرة، توفي سنة ٦٣ هـ. انظر ترجمته في أسد الغابة (١/ ٣٦٧-٣٧٠). والإصابة (١/ ١٥١).

رسول اللهّ ﷺ: {إنّ ممّا أخشى عليكم شهوات الغيّ في بطونكم وفروجكم ومضلّات الهوى}[1].

وعدّه ﷺ من المهلكات كما في حديث أنس رضي الله عنه أنّه قال: قال رسول اللهّ ﷺ: {ثلاث كفّارات، وثلاث درجات، وثلاث منجيات، وثلاث مهلكات}، أمّا الكفّارات: فإسباغ الوضوء في السّبرات[2]، وانتظار الصّلوات بعد الصّلوات، ونقل الأقدام إلى الجمعات، وأمّا الدّرجات: فإطعام الطّعام، وإفشاء السّلام، والصّلاة باللّيل والنّاس نيام، وأمّا المنجيات: فالعدل في الغضب والرّضا، والقصد في الفقر والغنى، وخشية اللهّ في السر والعلانية، وأمّا المهلكات: فشحّ مطاع، وهوى متّبع، وإعجاب المرء بنفسه}[3].

وكذلك السلف رحمهم الله حذروا من اتباع الهوى، فهذا عليّ رضي الله عنه يقول: [[إنّ أخوف ما أتخوّف عليكم اثنتان: طول الأمل واتّباع الهوى. فأمّا طول الأمل فينسي

---

(١) مسند أحمد (٤/ ٤٢٠، ح١٩٧٨٧) واللفظ له. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٨٨)، وقال: "رواه أحمد والبزار والطبراني في الثلاثة ورجاله رجال الصحيح". ومسند البزار (٩/ ٢٩٢، ح٣٧٤٤)، وهو في السنة لابن أبي عاصم بلفظ قريب. وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (ح٥٢، ٢١٤٣).

(٢) السبرات: جمع سبرة بفتح السين وسكون الباء وهي الغداة الباردة، والمراد شدة البرد في أوائل النهار أو غيرها. رواه البزار كما في كشف الأستار (١/ ٦٠٥٩) رقم (٨٠). ورواه أيضاً عن ابن عباس برقم (٨٢) وكذا ابن أبي أوفى برقم (٨٣). وذكر الألباني له طرقا أخرى في الصحيحة فانظره هناك (٤/ ٤١٢- ٤١٦) برقم (١٨٠٢)، وقال: الحديث بمجموع الطرق حسن على أقل الدرجات.

(٣) مسند البزار (٢/ ٢٩٠، ح٦٤٩١). والمعجم الأوسط للطبراني (٦/ ٤٧، ح٥٧٥٤). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٩١): "رواه البزار والطبراني في الأوسط ببعضه، وقال: إعجاب المرء بنفسه من الخيلاء، وفيه زائدة بن أبي الرقاد، وزياد النميري، وكلاهما مختلف في الاحتجاج به". وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (ح٤٥٣): "حسن لغيره".

الآخرة، وأمّا اتّباع الهوى فيصدّ عن الحقّ، ألا وإنّ الدّنيا قد ولّت مدبرة والآخرة مقبلة ولكلّ واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدّنيا، فإنّ اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل]](١).

ويقول ابن عبّاس رضي الله عنهما: [[ما ذكر اللهّ عزّ وجلّ الهوى في موضع من كتابه إلّا ذمّه]](٢).

كما حذروا من مجالسة أهل الأهواء.

قال الحسن البصريّ رحمه الله: «لا تجالسوا أصحاب الأهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم»(٣).

وقال أبو قلابة رحمه الله: «لا تجالسوا أصحاب الأهواء ولا تجادلوهم، فإنّي لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون»(٤).

وقال ابن بطّة(٥) رحمه الله: «فلا يحملنّ أحداً منكم حسن ظنّه بنفسه، وما عهده من معرفته بصحّة مذهبه على المخاطرة بدينه في مجالسة بعض أهل هذه الأهواء، فيقول:

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ١٠٠، ح٣٤٤٩٥). وشعب الإيمان للبيهقي (١٣/ ١٧٣، ح١٠١٣٠). وفي صحيح البخاري بنحوه معلقاً (٥/ ٢٣٥٨)، ولفظه: "ارتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون؛ فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا؛ فإن اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل".

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٨٦).

(٣) السنة لعبدالله بن أحمد (١/ ١٣٨، ح١٠٥).

(٤) السنة لعبدالله بن أحمد (١/ ١٣٧) رقم (٩٩). وسنن الدارمي (١/ ١٢١، ح٤٠١). وحلية الأولياء (٢/ ٢٨٧).

(٥) هو: عبيدالله بن محمد بن حمدان بن بطة، العكبري الحنبلي، عالم بالحديث، فقيه من كبار الحنابلة، من أهل عكبرا مولدا ووفاة، صنف كتبه كثيرة تزيد على مئة، منها: '(الإبانة الكبرى) و(الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة)، توفي سنة٣٨٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ٥٢٩). (الأعلام للزركلي (٤/ ١٩٧).

أداخله لأناظره أو لأستخرج منه مذهبه، فإنّهم أشدّ فتنة من الدّجّال، وكلامهم ألصق من الجرب، وأحرق للقلوب من اللّهب، ولقد رأيت جماعة من النّاس كانوا يلعنونهم ويسبّونهم، فجالسوهم على سبيل الإنكار والرّدّ عليهم، فما زالت بهم المباسطة، وخفيّ المكر، ودقيق الكفر، حتّى صبوا إليهم»(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيميّة ﷺ مبيّناً أثر الهوى على الإنسان: «بل إنّ أصحاب الهوى يغضبون على من خالفهم وإن كان مجتهداً معذوراً لا يغضب اللهّ عليه، ويرضون عمّن يوافقهم، وإن كان جاهلاً سيّء القصد، ليس له علم ولا حسن قصد، فيفضي هذا إلى أن يحمدوا من لم يحمده اللهّ ورسوله، ويذمّوا من لم يذمّه اللهّ ورسوله، وتصير موالاتهم ومعاداتهم على أهواء أنفسهم لا على دين اللهّ ورسوله ... وصاحب الهوى يعميه الهوى ويصمّه، فلا يستحضر ما للهّ ورسوله في الأمر ولا يطلبه أصلاً، ولا يرضى لرضا اللهّ ورسوله، ولا يغضب لغضب اللهّ ورسوله، بل يرضى إذا حصّل ما يرضاه بهواه، ويغضب إذا حصّل ما يغضب له بهواه، فليس قصده أن يكون الدّين كلّه للهّ، وأن تكون كلمة اللهّ هي العليا، بل قصده الحميّة لنفسه وطائفته أو الرّياء، ليعظّم هو ويثنى عليه، أو لغرض من الدّنيا، فلم يكن للهّ غضبه، ولم يكن مجاهداً في سبيل اللهّ»(٢).

وبيّن الإمام الشاطبي ﷺ أن اتباع الهوى هو سبب اختلاف الأمة وهو علامة من علامات أهل البدع، حيث يقول وهو يذكر علامات أهل البدع: «فكلّ مسألة حدثت في الإسلام فاختلف النّاس فيها ولم يورث ذلك الاختلاف بينهم عداوة ولا بغضاء ولا فرقة، علمنا أنّها من مسائل الإسلام.

(١) الإبانة، ابن بطة، (٢/ ٤٦٩).

(٢) منهاج السنة النبوية (٥/ ٢٥٥-٢٥٦).

وكل مسألة طرأت فأوجبت العداوة والتّنافر والتّنابز والقطيعة علمنا أنّها ليست من أمر الدّين في شيء... فيجب على كلّ ذي دين وعقل أن يجتنبها، فإذا اختلفوا وتقاطعوا كان ذلك لحدث أحدثوه من اتّباع الهوى... وذكر منها أيضاً اتّباع الهوى وهي الّتي نبّه عليها قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ﴾[1]. وهو الميل عن الحقّ اتّباعاً للهوى»[2].

معنى البيتين إجمالاً:

يعود الناظم رحمه الله إلى بيان أخطاء الصوفية في الذكر، ومنها: إحداثهم صيغ للذكر لم ترد عن النبي ﷺ بل هي بسبب أهواء مشايخ الطرق الذين يضفون على أذكارهم المبتدعة الدعاوى العريضة من جلب الخير ودفع الضر والوصول لأعلى المراتب فيصطادون بها الجهال.

وهذه الأذكار المبتدعة تتنافى مع الذكر المشروع.. ذكر الأتقياء الحريصين عن البعد عن كل ما يبغض الله عز وجل من أذكار مبتدعة وغيرها.

وهو كذلك ذكر العارفين بهدي النبي محمد ﷺ في الذكر وغيره، المجانبين لأهل الأهواء في أذكارهم المبتدعة.

(١) [آل عمران:٧].

(٢) بتصرف من الموافقات، الشاطبي، (٤/ ١٠٤ - ١٠٧).

٢٧١- أمـا الغلـوْ والشَّـطْحُ في المناقـبِ	فـذاك زورٌ مـن صـنيعِ الكاتـبِ
٢٧٢- فكـم بهـا يـا صـاحِ مـن مقـالِ	تصـديقُه ضـربٌ مـن المحـالِ
٢٧٣- كجعـلِ مـاءِ البحـر في إبريـقِ	فمالـه في الصِّـدقِ مـن طريـقِ
٢٧٤- فكيـف يخفَـى فقـدُ مـاءِ البحـرِ	والفُلـكُ بالنـاس عليـه يجـري
٢٧٥- ومـا لـدَى المـلاحِ علـمٌ أو خـبرْ	ولا لَـدَى الصـيادِ مِـنْ هـذا أثـرْ
٢٧٦- وكـلُّ مِصـر في شـواطي البحـرِ	لم يـدرِ أهلُهـا بهـذا الأمـرِ
٢٧٧- فليـت شـعري مـا بهـا مـن رتبـهْ	حتـى ادَّعـوا وقـوعَ هـذه الكذبَـهْ

قوله: الغلو.

الغلو في اللغة: قال ابن فارس: «الغين واللام والحرف المعتلّ أصل صحيح في الأمر يدلّ على ارتفاع ومجاوزة قدر. يقال: غلا السّعر يغلو غلاء، وذلك ارتفاعه، وغلا الرّجل في الأمر غلوّا إذا جاوز حدّه، وقيل: مجاوزة الحدّ إذا كانت في السّعر فهي غلاء، وإذا كانت في القدر والمنزلة فهي غلوّ». فالغلو هو مجاوزة الحد والارتفاع بالأمر عما هو عليه في الحقيقة، ويطلق أيضاً على التشدد والتصلب[1].

والغلو في الاصطلاح: قال المناويّ: «الغلوّ: مجاوزة الحدّ، والغلوّ في الدّين التّصلّب والتّشدّد فيه حتّى مجاوزة الحدّ»[2].

وقال القرطبيّ رحمه الله: «الغلوّ في الدّين: الإفراط فيه»[3].

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ٣٨٧). ولسان العرب (١٥/ ١٣٢). والقاموس المحيط (ص ١٧٠٠). وتاج العروس (١٠/ ٢٦٩).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ٢٥٣) بتصرف.

(٣) تفسير القرطبي (٦/ ٧٧).

وقال ابن عثيمين[1] رحمه الله: «الغلو هو: مجاوزة الحد في التعبد والعمل والثناء قدحاً أو مدحاً»[2].

ومن مظاهر الغلو عند الصوفية:

١- ادعاؤهم العصمة في المشايخ وتقديسهم.

روى أبو عبد الرحمن السلمي عن أبي بكر محمد الدينوري أنه سئل عن علامة الصوفي ما هي ؟ فقال: «أن يكون مشغولا بكل ما هو أولى به من غيره، ويكون معصوما عن المذمومات»[3].

٢- اعتقادهم أن من الأولياء من يدير الكون مع الله .

قال التيجاني[4] عن أولياء الصوفية : «ذلك أن الله ملكهم الخلافة العظمى واستخلفهم على مملكته تفويضًا عامًا أن يفعلوا في المملكة كل ما يريدون، ويملكهم

---

(١) هو العلامة الشيخ المحقق محمد بن صالح آل عثيمين من العلماء المعاصرين المشهورين، ولد عام: ١٣٤٧ هـ في مدينة عنيزة، له آثار علمية كثيرة، فقيه مجتهد ومن الراسخين في العلم، توفي سنة: ١٤٢١ هـ. انظر: مجموع فتاوى الشيخ (١/ ٩)، معجم المؤلفين المعاصرين (ص:٦١٨-٦٢١).

(٢) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٧/ ١٧).

(٣) طبقات الصوفية (ص: ١٠٩).

(٤) هو: أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد الشريف التجاني، شيخ الطريقة التجانية ومؤسسها، ولد بعين ماضي بالجزائر سنة (١١٥٠هـ)، توفي سنة (١٢٣٠هـ-١٨١٥م)، وخلف بعض الآثار منها: «السر الأبهر في أوراد القطب الأكبر» و«جوهرة الحقائق في الصلاة على خير الخلائق» و«جوهرة الكمال في الصلاة على سيد الأرسال» وكلها أوراد وأحزاب مقررة على أتباع الطريقة، وأشهرها وأكبرها «جواهر المعاني» وهو عبارة عن سيرة للتجاني ومناقبه، وروايات عنه، جمعها صاحبه علي حرازم برادة.

الله كلمة التكوين: «متى قالوا للشيء كن كان من حينه»[1].

وذكر الشعراني[2] في ترجمة سويد السخاوي قال: «وهو أحد من ملكه الله تعالى التصرف في العالم»[3].

٣- الإطراء وهو: مجاوزة الحد في المدح[4].

ومن الإطراء: المدائح النبوية التي ترفع النبي ﷺ فوق مقامه البشري، ومن ذلك ما قاله البوصيري[5] في بردته[6]:

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من … لولاه لم تُخرج الدنيا من العدم

حيث زعم البوصيري أن هذه الدنيا لم توجد إلا لأجله ﷺ، وهذا ينافي الحكمة التي ذكرها الله تعالى في كتابه حيث قال ﷻ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[7].

---

(١) جواهر المعاني في فيض التيجاني، علي حرازم براده، (٢/ ٧٦).

(٢) هو عبدالوهاب بن أحمد الحنفي – نسبة إلى محمد ابن الحنفية – من المتصوفين الغلاة، ولد بمصر (٨٩٨هـ = ١٤٩٣م) ونشأ بساقية أبي شعرة (من قرى المنوفية) وإليه نسبته «الشعراني» و«الشعراوي»، مات في القاهرة سنة (٩٧٣هـ - ١٥٦٥م) له مؤلفات غالبها في التصوف منها: لواقح الأنوار في طبقات الأخيار، والقواعد الكشفية، وغيرهما كثير. انظر: الأعلام (٤/ ١٨٠- ١٨١).

(٣) الطبقات الشعراني، (ص:١٧٧).

(٤) انظر: النهاية في غريب الأثر، ابن الأثير، (٣/ ٢٧١). لسان العرب (١٥/ ٦).

(٥) محمد بن سعيد البوصيري، صوفي طرقي ناظم، ولد بمصر سنة (٦٠٨هـ)، وأصله من المغرب، توفي بالإسكندرية سنة (٦٩٤هـ)، له «الكواكب الدرية في مدح خير البرية» المعروفة بالبردة. انظر: الأعلام (٦/ ١٣٩). «معجم المؤلفين» (١/ ٢٨).

(٦) البرده، البوصيري البيت: ٣٤ .

(٧) [الذاريات:٥٦].

وقال البوصيري أيضاً[1]:

لـو ناسـبت قـدره آياتـه عِظـماً أحيـا   اسـمه حـين يُـدعى دارس الـرمم

يقول الشيخ محمود شكري الآلوسي[2] رحمه الله منكراً هذا البيت: «ولا يخفى ما في هذا الكلام من الغلو؛ فإن من جملة آياته ﷺ القرآن العظيم الشأن؛ وكيف يحل لمسلم أن يقول: إن القرآن لا يناسب قدر النبي ﷺ، بل هو منحط عن قدره، ثم إن اسم الله الأعظم وسائر أسمائه الحسنى إذا ذكرها الذاكر لها تحيي دارس الرمم؟»[3].

وقال البوصيري أيضاً[4]:

فـإن مـن جـودك الـدنيا وضـرتها   ومـن علومـك علـم اللـوح والقلـم

فقد جعل الدنيا والآخرة من عطاء النبي ﷺ وإفضاله، والجود هو العطاء والإفضال؛ فمعنى الكلام: أن الدنيا والآخرة له ﷺ، والله ﷻ يقول: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾﴾[5].

وقوله: ومن علومك علم اللوح والقلم. فإن مضمون مقالته أن الرسول ﷺ يعلم الغيب، وقد قال سبحانه: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾[6].

وقال ﷿: ﴿۞ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا

(١) البرده، البوصيري البيت: ٤٧ .

(٢) هو محمود بن عبد الله أفندي الآلوسي البغدادي، أبو الثناء، مفسر، محدث، أديب، متمسك بالسنن ومجتنب عن الفتن، يعتبره البعض من المجددين، ولد سنة ١٢١٧ هـ، وتوفي سنة ١٢٧٠ هـ. انظر ترجمته في حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (٣/ ١٤٥٠-١٤٥٥).

(٣) غاية الأماني للآلوسي، (٢/ ٣٥٠)، باختصار.

(٤) البرده، البوصيري البيت: ١٥٦ .

(٥) [الليل:١٣].

(٦) [النمل:٦٥].

تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾ ﴾[1][2].

٤- الاعتقادات الباطلة الغالية في الرسول ﷺ ومنها أنهم زعموا أنه هو أول المخلوقات، وأنه خُلِق من نور الله ﷻ، وأن ليلة مولده هي أفضل من ليلة القدر، ويزعمون أن روحه تحضر الموالد والمحافل التي يقولونها، فيزعمون أنه ﷺ حي باستمرار حياة كاملة، وأنه يخاطب الأولياء، وأنه يكلمهم[3].

والغلو في مظاهره السابقة منهي عنه، والأدلة الناهية عنه جاءت كثيرة متنوعة وأساليب مختلفة منها[4]:

١- الدعاء المتضمن تجنب طريق الغلو وطريق الجفاء، والهداية إلى ما هو وسط بينهما، قال تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾[5].

٢-وصف أمة محمد ﷺ بالوسطية وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾[6].

والوسطية هي الاعتدال والتوسط بين الإفراط والتفريط وفي ثنايا الوصف نهي عن الغلو[7].

---

(١) [الأنعام:٥٩].

(٢) انظر: قوادح عقدية في بردة البوصيري د. عبدالعزيز محمد آل عبداللطيف، (ص: ١٠).

(٣) الفتوحات المكية، ابن عربي (٢/ ٢٢٦). الإنسان الكامل، الجيلي (٢/ ٢٩).

(٤) الغلو في الدين ، اللويحق (١/ ٦٣-٢١١) باختصار.

(٥) [الفاتحة:٦-٧].

(٦) [البقرة:١٤٣].

(٧) جامع البيان (٣/ ١٤٢).

٣- نهي أهل الكتاب عن الغلو الذي يتضمن نهينا عنه أيضاً؛ كون العلة فيه قائمة، والآثار المترتبة على غلوهم موجودة، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٧٧﴾(٢).

وكما نهى القرآن عن الغلو، نهى عنه الرسول ﷺ وبأساليب مختلفة كذلك منها:

١- تحذير الرسول ﷺ للصحابة عن الغلو في الدين. كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما في قصة لقط حصى الجمار، فعنه أنه قال: قال لي رسول الله ﷺ غداة جمع: {هلم القط لي الحصى}، فلقطت له حصيات من حصى الخذف، فلما وضعهن في يده، قال: {نعم، بأمثال هؤلاء، وإياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك الذين من قبلكم الغلو في الدين}(٣).

قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله معلقاً على الحديث السابق: «هذا عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال، وسبب هذا اللفظ العام رمي الجمار وهو

(١) [النساء: ١٧١].

(٢) [المائدة:٧٧].

(٣) رواه النسائي (٥/ ٢٦٨، ٣٠٥٧) واللفظ له. مسند أحمد (١/ ٢١٥، ح١٨٥١). وصحيح ابن حبان (٩/ ١٨٣، ح٣٨٧١). ومستدرك الحاكم (١/ ٦٣٧، ح١٧١١)، وقال: "صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه". وصحيح ابن خزيمة (٤/ ٢٧٤، ح٢٨٦٧). وصححه الألباني في صحيح وضعيف النسائي (٧/ ١٢٩، ح٣٠٥٧). وابن ماجه (٣٠٢٩). والصحيحة (٥/ ١٧٧، ح٢١٤٤)

داخل فيه مثل الرمي بالحجارة بناءً على أنها أبلغ من الصغار ثم علله بما يقتضي مجانبة هديهم -أي: هدي من كان قبلنا- إبعاداً عن الوقوع فيما هلكوا به، وأن المشارك لهم في بعض هديهم يخاف عليه من الهلاك»[1].

٢- بيان مصير الغالي وعاقبته، وأن مصيره الهلاك والخروج من الدين، كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {هلك المتنطعون} قالها ثلاثاً[2].

قال النووي رحمه الله: «أي: المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم»[3].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :((يخرج ناس من قبل المشرق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم إلى فوقه قيل ما سيماهم قال سيماهم التحليق)) [4]

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص[5] رضي الله عنهما - أنّه قال: {أقبل رجل من بني تميم يقال له: ذو الخويصرة، فوقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعطي النّاس، قال: يا محمّد! قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أجل، فكيف رأيت؟قال: لم أرك عدلت، قال: فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثمّ قال: ويحك إن لم يكن العدل عندي فعند من يكون؟ فقال عمر بن الخطّاب: يا رسول الله ألا نقتله؟ قال: لا. دعوه، فإنّه

(١) الدرر السنية، (٩/ ٥٠).

(٢) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٥٥، ح٢٦٧٠).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٦/ ٢٢٠).

(٤)صحيح البخاري (٦ / ٢٧٤٨ح ٧١٢٣).

(٥) هو عبد الله بن عمرو بن العاص القرشي السهمي، أبو محمد، أسلم قبل أبيه وكان فاضلاً حافظاً عالماً، قرأ الكتاب واستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في أن يكتب حديثه، توفي سنة ٦٥ هـ وقيل غير ذلك. انظر ترجمته في الاستيعاب (ص:٤٢١-٤٢٢). والإصابة (٤/ ١١١-١١٢).

سيكون له شيعة يتعمّقون في الدّين، حتّى يخرجوا منه كما يخرج السّهم من الرّميّة}[(١)].

٣- الإخبار عن طبيعة هذا الدين، وأنه يسر، وأنه لن يشاد الدين أحد إلا غلبه، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: {إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة}[(٢)].

قال الحافظ ابن حجر[(٣)] رحمه الله: «والمعنى: لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية، ويترك الرفق إلا عجز، وانقطع فيُغلب، قال ابن المنير: في هذا الحديث علم من أعلام النبوة، فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع في الدين ينقطع»[(٤)].

٤- تربيته ﷺ لأصحابه عند المناسبات، وعند ظهور الغلو، وإرشادهم إلى فساده، ومجانبته لمنهجه ﷺ، وعاقبته الوخيمة، ومن ذلك ما يخص غلو الإنسان في عبادته، ويتبيّن ذلك في موقفه ﷺ من الثلاثة النفر الذين تقالوا عبادته ﷺ؛ فآلوا على أنفسهم أن يجاوزوها، ويشددوا على أنفسهم في العبادة بما هو أبلغ من عبادة النبي ﷺ، كما في حديث أنس رضي الله عنه قال: {جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ

---

(١) هذا لفظ أحمد (٢/ ٢١٩، ح٧٠٣٨)، وأصله في الصحيحين من حديث أبي سعيد وقال شاكر: إسناده صحيح (١٢/ ٣) رقم (٧٠٣٨). وذكره الهيثمي في المجمع (٦/ ٢٢٧- ٢٢٨) وقال: "رواه أحمد والطبراني باختصار، ورجال أحمد ثقات".

(٢) صحيح البخاري (١/ ٢٣، ح٣٩).

(٣) هو أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، أبو الفضل، فريد زمانه، صاحب التصانيف الكثيرة، زاد على مائة وخمسين تصنيفا، ورزق فيها القبول، ولد سنة ٧٧٣ هـ، وتوفي سنة ٨٥٢هـ. انظر ترجمته في نظم العقيان للسيوطي (ص:٤٥-٥٣). والضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي (ص:٣٦-٤٠).

(٤) فتح الباري (١/ ٩٤).

يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أُخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال الآخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء.فمن رغب عن سنتي فليس مني}[(1)].

فهذه النصوص القرآنية والنبوية ظاهرة الدلالة على قبح الغلو وخطورته، وعظيم أثره على الأمة، وأن ذلك الأثر لا يقتصر على جانب من الجوانب، بل هو شامل لجوانب متعددة؛ فهو يفسد العقائد، وينحرف بالعبادات عن وضعها الصحيح.

وكذلك السلف رحمهم الله تعالى أنكروا ملامح الغلو في تصرفات بعض الصحابة في العبادة، فبادر من رآها منهم إلى إنكارها.

ومن ذلك:

١ - قصة سلمان الفارسي وأبي الدرداء[(2)] رضي الله عنهما حينما آخى بينهما النبي صلى عليه وسلم، فرأى سلمانأم الدرداء مبتذلة، فسألها عن ذلك، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء، فصنع له طعاماً، فقال له: كلْ، قال: إني صائم. قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، فأكل. فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم. فلما كان من آخر الليل قال

---

(١) صحيح البخاري (٥/ ١٩٤٩، ح٤٧٧٦) واللفظ له. وصحيح مسلم (٢/ ١٠٢٠، ح١٤٠١).

(٢) هو: عويمر أبو الدرداء مشهور بكنيته وباسمه جميعا، الأنصاري الخزرجي، أسلم يوم بدر وشهد أحدًا، حكيم هذه الأمة، كان عالم أهل الشام ومقرئ أهل دمشق وقاضيهم. توفي سنة ٣٢هـ. انظر: الإصابة (٤/ ٧٤٧).

سلمان: قم الآن، فصليا. فقال سلمان: إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه. فأتى النبي ﷺ، فذكر ذلك له، فقال له النبي ﷺ: {صدق سلمان}(١).

٢- إنكار عمر رضي الله عنه على من يتتبع آثار الرسول ﷺ، والمواضع التي تعبد فيها، فعن المعرور بن سويد رحمه الله قال: «خرجنا مع عمر بن الخطاب فعرض لنا في بعض الطريق مسجد فابتدره الناس يصلون فيه، فقال عمر: ما شأنهم؟فقالوا: هذا مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ، فقال عمر: [أيها الناس! إنما هلك من كان قبلكم باتباعهم مثل هذا، حتى أحدثوها بيعاً، فمن عرضت له فيه صلاة فليصل، ومن لم تعرض له فيه صلاة فليمض](٢).

٣- موقف علي رضي الله عنه من السبئية الغالية، وادَّعاؤهم فيه الألوهية، فحاورهم ونصحهم لعلهم يرجعون عن مقالتهم، فلما يئس من ذلك حرّقهم بالنار، وقال مقالته المشهورة: [لما رأيت الأمر أمراً منكراً أججت ناري ودعوت قنبراً](٣).

ولعل من أهم دواعي حرص السلف لمواجهة الغلو(٤) :

١- أنه السبب الرئيس للفرقة والنزاع، وظهور الفرق الضالة، إما في تضخيم شيء على حساب آخر، مثل الذين قدسوا العقل وحكّموه في الوحي، أو في المتبوعين كالذين غلوا في فلاسفة الشرق والغرب، وأقاموهم مقام النَّدْيّة للرسول ﷺ، وأئمة الدين، بل قدموهم عليهم، أو الغلو في أشخاص، كغلو فرق الشيعة و الصوفية، أو

(١) صحيح البخاري (٢/ ٦٩٤، ح١٨٦٧).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٢/ ١٥١، ح٧٥٥٠). ومصنف عبد الرزاق (٢/ ١١٨، ح٢٧٣٤).

(٣) أصل قصتهم في البخاري، انظر فتح الباري (١٢/ ٢٧٠)، فقد جمع الحافظ الكثير من رواياتها.

(٤) الغلو في الدين ، اللويحق (١/ ٣٢٥).

في التعبد بما لم يشرع الله، أو التنطع والتكلف في فهم النصوص كما هو شأن الخوارج ومن سار على شاكلتهم، أو في مواقفهم من الآخرين وفي الحكم عليهم.

٢- أنه الباب الذي دخل منه المغرضون والمتآمرون على هدم الإسلام من داخله، فعبد الله بن سبأ اليهودي دخل من باب الغلو، فأسس الرفض، وعبيد الله القداح دخل منه كذلك، وأسس الباطنية[(١)]، وكذلك قامت عليه الصوفية، وهذه الفرق غلوها في الرجال غالباً، ويتبعها الغلو في العقائد، والعبادات، ومن باب الغلو دخل الجعد بن درهم[(٢)]، والجهم بن صفوان[(٣)]، وهما غاليان في العقل، مقدمان له على نصوص الوحي، مقدسان لأقوال الفلاسفة، مقدمان لها على أقوال رسول الله ﷺ؛ وبسبب ذلك انتشرت بدع التعطيل في الأسماء والصفات وبدع الإرجاء[(٤)] والجبر[(١)].

---

(١) الباطنية: فرق شتى يزعمون أن لكل ظاهر باطناً، ولكل تنزيل تأويلاً، فيقولون: (الصلاة) معرفة أسرارهم، و (الصيام) كتمان أسرارهم، و(الحج) زيارة شيوخهم... ، وعقائدهم خليط من أديان شتى كالمجوسية وغيرها، وهم فرق شتى كالنصيرية والدروز والإسماعيلية. انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٢٨-٢٣٥)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص: ٧٦-٧٨)، الفتاوى (٣٥/ ١٤٥-١٦٢).

(٢) هو: الجعد بن درهم، مؤدب مروان الحمار آخر الأمويين، كان من أول من نفى الصفات وعنه انتشرت مقالة الجهمية فهو شيخ الجهم بن صفوان، قتله خالد القسري سنة ١٢٤هـ. انظر: شذرات الذهب (١/ ١٦٩).

(٣) هو: الجهم بن صفوان أبو محرز الراسبي مولاهم السمرقندي، رأس فرقه الجهمية، كان ينكر الصفات، ويقول بخلق القرآن، قتله سلم بن أحوز أمير خراسان بها سنة ١٢٨هـ. [" سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٦].

(٤) المرجئة: من الإرجاء، وهو التأخير، أو من إعطاء الرجاء، قال الشهرستاني: الإرجاء على معنيين: أحدهما بمعنى التأخير؛ كما في قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ ﴾ [الأعراف ١١١] أي: أمهله وأخره، والثاني: إعطاء الرجاء، أما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بمعنى الأول فصحيح؛ لأنهم كانوا يؤخرون العمل على النية والعقد، وأما بالمعنى الثاني فظاهر؛ فإنهم كانوا يقولون: لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة"، وهو لقب على كل من أخر العمل عن مسمى الإيمان، فيشمل الجهمية والأشاعرة والماتريدية والكرامية ومرجئة الفقهاء وغيرهم. انظر: الملل والنحل (١/ ١٦١- ١٦٢). السنة للخلال (٤/ ١٧ ـ ٥٩). الفرق بين الفرق (ص: ١٥١).

٣- أن تكفير الأمة واستحلال دمائها وأموالها جاء من طريق الغلو، كما هو الشأن في الخوارج.

٤- ما رأوه من احتقار الغالين لعبادات غيرهم كطلب العلم والاقتصاد في العبادة، ومن ذلك تعنيف أحد الغالين من الصوفية للإمام مالك أن أضاع وقته وجهده في حفظ الحديث ونشره، ولم يتفرغ لإصلاح نفسه وتزكيتها بالعبادة، ظاناً أن العبادة ما هي إلا قيام الليل، وصيام النهار، ومداومة الذكر، فرد عليه الإمام العالم المدرك لحقيقة العبادة وشموليتها بقوله: [إن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق، فرب رجل فتح له في الصلاة ولم يفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الصدقة ولم يفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الجهاد، ونشر العلم من أفضل أعمال البر، وقد رضيت بما فتح لي، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه](٢).

(١) الجبرية الذين غلوا في إثبات القدر فأنكروا أن يكون للعبد فعل حقيقة وإنما تسند إليه الأفعال على سبيل المجاز، وهو كالريشة في مهب الريح. انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٣٣٨). الفتاوى (٨/ ١٣١-١٣٢، ٣٩٣-٣٩٥، ٤٦٢-٤٦٣).

(٢) سير أعلام النبلاء (٨/ ١١٤).

قوله: الشطح في المناقب. عرف الطوسي[1] الشطح بقوله: «عبارة مستغربة في وصف وجدٍ فاض بقوته وهاج بشدة غليانه وغلبته»[2].

وفسرها بقوله: «الشطح لفظة مأخوذة من الحركة، لأنها حركة أسرار الواجدين إذا قوي وجدهم، فعبروا عن وجدهم ذلك بعبارة يستغرب سامعها... ألا ترى أن الماء الكثير إذا جرى في نهر ضيق فيفيض من حافتيه، يقال: شطح الماء في النهر، فكذلك المريد الواجد إذا قوي وجده ولم يطق حمل ما يرد على قلبه من سطوة أنوار حقائقه سطع ذلك على لسانه، فيترجم عنها بعبارة مستغربة مشكلة على فهوم سامعيها إلا من كان من أهلها، ويكون متبحراً في علمها، فسمي ذلك على لسان أهل الاصطلاح: شطحاً»[3].

وعرفه ابن عربي بقوله: «الشطح: هو كلمة دعوى بحق تفصح عن مرتبته التي أعطاه الله من المكانة عنده، أفصح بها عن غير أمر إلهي لكن على طريق الفخر...»[4].

---

(١) هو محمد بن عبدالله الطوسي، الملقب بنصير الدين، ويقال: الخواجا نصير الدين، حصَّل بعض العلم وصنف في علم الكلام، وشرح إشارات ابن سينا، ووزر للإسماعيلية، ثم وزر لهولاكو، وأعانه في واقعة بغداد، قال ابن كثير: «أصل اشتغاله على المعين سالم بن بدار بن علي المصري المعتزلي المتشيع، فنزع فيه عروق كثيرة منه، حتى أفسد اعتقاده» اهـ، وقال جلال الدين في تاريخ الخلفاء: «النصير الطوسي رأس الفلاسفة وخاصة التتار» اهـ، توفي سنة (٦٧٢هـ، وله من العمر: ٧٥ سنة. انظر: البداية والنهاية (٩/ ١٥١)، حوادث سنة (٦٧٢هـ). تاريخ الخلفاء (١/ ٤١٢). شذرات الذهب (٦/ ٦٠).

(٢) اللمع، الطوسي، (ص: ٤٥٣).

(٣) المرجع السابق(ص:٤٥٢).

(٤) الفتوحات المكية، (٢/ ٣٨٧).

والشطح عند الصوفية : هو الألفاظ المشكلة الصادرة عن المتصوفة في حالة الغيبة عن الحواس وعن عالم الحس. [1]

والشطح أنواع يقول أبو حامد الغزالي: «أحدهما: الدعاوي الطويلة العريضة في العشق مع الله تعالى والوصال المغني عن الأعمال الظاهرة حتى ينتهي قوم إلى دعوى الاتحاد[2] وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب، فيقولون: قيل لنا كذا، وقلنا كذا، ويتشبهون فيه بالحسين بن منصور الحلاج[3] الذي صلب لأجل إطلاقه كلمات من هذا الجنس، ويستشهدون بقوله: أنا الحق، وبما حكي عن أبي يزيد البسطامي[4] أنه قال: سبحاني سبحاني... الصنف الثاني من الشطح: كلمات غير مفهومة لها ظواهر رائقة وفيها عبارات هائلة وليس وراءها طائل، .. يصدرها عن خبط في عقله وتشويش في خياله لقلة إحاطته بمعنى كلام قرع سمعه، وهذا هو

(١) مقال بعنوان: الشطح مفهومه وتاريخه ، د. علي العناني، مجلة الصوفية ، العدد ٥١، الصفحة ١١٦ .

(٢) الاتحاد: هو شهود الوجود الحق المطلق الذي الكل به متحد، من حيث كون كل شيء موجوداً به معدوماً بنفسه، لامن حيث أن له وجوداً خاصاً اتحد به. انظر: اصطلاحات الصوفية للقاشاني (ص: ١٣). معجم الكلمات الصوفية للنقشبندي (ص: ٩٤٥) .

(٣) هو الحسين بن منصور الحلاج، أبو مغيث، كان جده مجوسياً من أهل بيضاء فارس، وقد نشأ بواسط، وقيل: بتستر، وقدم بغداد وخالط الصوفية، ظهر أمره سنة ٢٩٩هـ، وكان يُظهر مذهب الشيعة لخلفاء العباسيين، ومذهب الصوفية للعامة، وكان يرى مذهب الحلولية، له شطحات وتلبيسات على الناس كان يوهمهم بها أنه ربّهم، قتل وصلب سنة ٣٠٩هـ. انظر: شذرات الذهب: (٢/ ٢٥٣-٢٥٧). لسان الميزان (٢/ ٣١٤). الفرق بين الفرق (ص: ١٥٧-١٥٩). الأعلام (٢/ ٢٨٥-٢٨٦).

(٤) هو طيفور بن عيسى بن شروسان البسطامي، أبو يزيد، من مشاهير الصوفية، كان جده مجوسياً فأسلم، تُروى عنه شطحات كثيرة منكرة، ولد سنة ١٨٨هـ، وتوفي سنة ٢٦١هـ. انظر: طبقات الصوفية (ص: ٦٧-٧٤). حلية الأولياء (١٠/ ٣٣-٤٢). سير الأعلام (١٣/ ٨٦).

الأكثر»[1].

ونجد الشطح الحقيقي – التحدث بصيغة المتكلم – لأول مرة عند أبي يزيد البسطامي[2]، حيث نقل عنه أيضًا أنه قال: «سبحاني سبحاني»[3].

وقال أيضًا: «ضربت خيمتي بإزاء العرش»[4].

وقال كذلك: «إن جهنم إذا رأتني تخمد، فأكون رحمة للخلق»[5].

والشطحة نفسها تتميّز بعدة خصائص، منها: أنها بصيغة ضمير المتكلم، وإن كان هذا الشرط غير متحقق باستمرار، وظاهرها مستشنع، وباطنها صحيح مستقيم[6].

والشطح يحدث نتيجة مرور الصوفي بثلاث مراحل قبله، هي: الوجد، ثم الغلبة[7]، فالسكر، وينتهي بالشطح[8].

وقد لجأ المتصوفة إلى تبرير هذه الشطحات الكفرية التي فاضت بها كتب القوم

---

(١) إحياء علوم الدين (١/ ٣٦).

(٢) هو طيفور بن عيسى بن شروسان البسطامي، أبو يزيد، من مشاهير الصوفية، كان جده مجوسياً فأسلم، تُروى عنه شطحات كثيرة منكرة، ولد سنة ١٨٨هـ، وتوفي سنة ٢٦١هـ. انظر: طبقات الصوفية (ص: ٦٧-٧٤). حلية الأولياء (١٠/ ٣٣-٤٢). سير الأعلام (١٣/ ٨٦).

(٣) اللمع (٢/ ٤٦٤).

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

(٦) اللمع (٢/ ١٣٨).

(٧) حال تبدو للعبد لا يمكنه معها ملاحظة السبب، ولا مراعاة الأدب، ويكون مأخوذا عن تمييز ما يستقبله، فربما خرج إلى بعض ما يُنْكِر عليه من لم يعرف حاله، ويرجع على نفسه صاحبه إذا سكنت غلبات ما يجده. ويكون الذي غلب عليه: خوف، أو هيبة، أو إجلال، أو حياء، أو بعض هذه الأحوال. انظر : معجم ألفاظ الصوفية (٢/ ٤٢).

(٨) انظر: شطحات الصوفية، عبدالرحمن بدوي (ص: ٨٩).

وتواترت عنهم معتذرين أن ما قالوه كان في حالة سكر بما تجلى لهم من حقائق وبما عاينوا من علوم زعموا أنها أسكرتهم وأطارت صوابهم، وجعلتهم يتكلمون بمثل هذه العبارات.

فقد دافع الجنيد عن شطحات البسطامي[1] في الرواية التالية: (قيل لأبي القاسم الجنيد بن محمد: إنّ أبا يزيد يسرف في الكلام. فقال: وما بلغكم من إسرافه في كلامه؟ قالوا: سمعناه يقول: سبحاني سبحاني! أنا ربيّ الأعلى. فقال الجنيد: إنّ الرجل مُستهلكٌ في شهود الإجلال، فنطقَ بما استهلكه لذهوله عن الحق عن رؤيته إياه، فلم يشهد إلا الحق تعالى)[2].

واضطروا لتأويل[3] هذا الشطح لينسجم مع ظاهر الشرع، كما فعل عبدالوهاب الشعراني في كتابه «تأويل الشطح» حيث أوّل أكثر من ستين شطحة لمجموعة كبيرة من الصوفية، فعبارة الحلاّج مثلاً: «أنا الحق» يمكن أن تُؤوّل: (أنا صورة الحق

---

(١) هو طيفور بن عيسى بن شروسان البسطامي، أبو يزيد، من مشاهير الصوفية، كان جده مجوسياً فأسلم، تُروى عنه شطحات كثيرة منكرة، ولد سنة ١٨٨هـ، وتوفي سنة ٢٦١هـ. انظر: طبقات الصوفية (ص: ٦٧-٧٤). حلية الأولياء (١٠/ ٣٣-٤٢). سير الأعلام (١٣/ ٨٦).

(٢) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد الغزالي (١/ ١٢٨).

(٣) التأويل له ثلاثة معان: **الأول**: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به، كتأويل أهل البدع نصوص العلو، وصرفها عن معنى علو الذات إلى علو القهر والقدر فقط، وهذا هو الذي يقصده من تكلم في نصوص الصفات وترك تأوليها من المتأخرين، وهو الذي يعنيه المصنف هنا.

الثاني: التأويل بمعنى التفسير، كما يعبّر ابن جرير وغيره من المفسرين، فيقول: تأويل قوله تعالى كذا وكذا...

الثالث: هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، فتأويل الخبر هو عين المخبر عنه، كقول يوسف عليه السلام: ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف:١٠٠]. انظر: التدمرية (ص: ٩١-٩٣). الرسائل الكبرى لشيخ الإسلام (٢/ ١٧-٢١). شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٥٢-٢٥٦).

الخالق)[1].

وقد رد هذا الشطح الأئمة الأعلام ومنهم ابن القيم رحمه الله حيث قال: «فصل ومن كيده: ما ألقاه إلى جهال المتصوفة من الشطح والطامات وأبرزه لهم في قالب الكشف من الخيالات فأوقعهم في أنواع الأباطيل والترهات وفتح لهم أبواب الدعاوي الهائلات وأوحى إليهم: أن وراء العلم طريقا إن سلكوه أفضى بهم إلى كشف العيان وأغناهم عن التقيد بالسنة والقرآن فحسن لهم رياضة النفوس وتهذيبها وتصفية الأخلاق والتجافي عما عليه أهل الدنيا وأهل الرياسة والفقهاء وأرباب العلوم والعمل على تفريغ القلب وخلوه من كل شيء حتى ينتقش فيه الحق بلا واسطة تعلم فلما خلا من صورة العلم الذي جاء به الرسول نقش فيه الشيطان بحسب ما هو مستعد له من أنواع الباطل وخيله للنفس حتى جعله كالمشاهد كشفا وعيانا فإذا أنكره عليهم ورثة الرسل قالوا: لكم العلم الظاهر ولنا الكشف الباطن ولكم ظاهر الشريعة وعندنا باطن الحقيقة ولكم القشور ولنا اللباب فلما تمكن هذا من قلوبهم سلخها من الكتاب والسنة والآثار كما ينسلخ الليل من النهار ثم أحالهم في سلوكهم على تلك الخيالات وأوهمهم أنها من الآيات البينات وأنها من قبل الله سبحانه إلهامات وتعريفات فلا تعرض على السنة والقرآن ولا تعامل إلا بالقبول والإذعان.

فلغير الله لا له سبحانه ما يفتحه عليهم الشيطان من الخيالات والشطحات وأنواع الهذيان وكلما ازدادوا بعدا وإعراضا عن القرآن وما جاء به الرسول كان هذا الفتح على قلوبهم أعظم»[2].

---

(١) تأويل الشطح (ص: ٥٣). المقصد الأسنى (١/ ١٢٨).

(٢) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (١/ ١١٩).

وعقد ابن الجوزي فصلا رد فيه على الصوفية في الشطح قال ﷺ: «اعلم أن العلم يورث الخوف واحتقار النفس وطول الصمت وإذا اعتبرت علماء السلف رأيت الخوف غالبا عليهم والدعاوى بعيدة عنهم كما قال أبو بكر:[ليتني كنت شعره في صدر مؤمن] وقال عمر عند موته:[الويل لعمر إن لم يغفر له] وقال ابن مسعود :[ليتني إذا مت لا أبعث] وقالت عائشة[1] رضي الله عنها:[ليتني كنت نسيا منسيا]وقال سفيان الثوري لحماد بن سلمة عند الموت :[ترجو أن يغفر لمثلي].

وإنما صدر مثل هذا عن هؤلاء السادة لقوة علمهم بالله وقوة العلم به تورث الخوف والخشية قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ وقال ﷺ: " أنا أعرفكم بالله وأشدكم له خشية" ولما بعد عن العلم أقوام من الصوفية لاحظوا أعمالهم واتفق لبعضهم من اللطف ما يشبه الكرامات فانبسطوا بالدعاوى.... وقد كان ابن عقيل يقول قد حكى عن أبي يزيد أنه قال وما النار والله لئن رأيتها لأطفأنها بطرف مرقعتي أو نحو هذا قال ومن قال هذا كائن من كان فهو زنديق يجب قتله فإن الإهوان للشيء ثمرة الجحد"[2].

يقول الدينوري : "قد نقضوا أركان التصوف وهدموا سبيلها وغيروا معانيها بأسامي أحدثوها سموا الطبع زيادة وسوء الأدب إخلاصا والخروج عن الحق شطحا والتلذذ بالمذموم طيبة وسوء الخلق صولة والبخل جلادة واتباع الهوى ابتلاء والرجوع إلى الدنيا وصولا والسؤال عملا وبذأ اللسان ملامة وما هذا طريق القوم"[3].

---

(١) هي عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما، زوج النبي ﷺ، روت أحاديث كثيرة، ولها فضائل كثيرة، توفيت سنة ٥٨ هـ.انظر ترجمتها في الاستيعاب (ص:٩١٨-٩٢١). والإصابة (٨/ ١٣٩-١٤١).

(٢) تلبيس إبليس(ص: ٣٠١).

(٣) نقلاً عن الكشف عن حقيقة الصوفية (٢/ ١٢٨).

ونجمل القول في الرد على شطحهم هذا بما يلي[(١)]:

أولاً: أن هذا من الشرك؛ لأن من يدعي أنه يتصرف في الجنة والنار فقد اتخذ نفسه نداً لله وشريكاً، قال ابن عقيل ﷺ: «ومن قال هذا كائناً من كان فهو زنديق يجب قتله»[(٢)].

ثانياً: عدم إمكانية الاتصال المباشر بين الإنسان وبين الله ﷻ، فالأنبياء أنفسهم – أفضل الخلق– لم يدَّعوا ذلك.

ثالثاً: أننا نحكم بالظاهر كما دلت عليه جملة الأحكام الشرعية، فلا مجال لمدع أن يقول بأن باطن أقوالهم مخالف لظاهرها.

رابعاً: إن هذه الدعاوى والشطحات تفرح البطالين من عناء الاجتهاد في الطاعات، فالأمر لا يحتاج إلى علم أو عبادة أو جهاد، قال الغزالي: «وهذا فن من الكلام عظيم ضرره في العوام، حتى ترك جماعة من أهل الفلاحة فلاحتهم وأظهروا مثل هذه الدعاوي، فإن هذا الكلام يستلذه الطبع؛ إذ فيه البطالة من الأعمال مع تزكية النفس بدرك المقامات والأحوال»[(٣)].

خامساً: وأما قولهم: إن هذا غلبة حال وغلبة سكر، ونحو هذا من الأقوال، فلا يسلم لهم أن قائلي هذه العبارات قد قالوها كما زعموا وهم في حالة سكر وغيبة عقل، وذلك أن هذه العبارات لها معان محدودة، وهي نسيج مؤلف مركب قصد بها صاحبها أن يدل على عقيدة عنده، ولم يقلها كلامًا غير منضبط ككلام السكران والغائب عن

(١) انظر: الردود مجردة عن نقول العلماء في: الفكر الصوفي، عبدالرحمن عبدالخالق (ص: ١٢٥).

(٢) تلبيس إبليس(ص: ٣٤٣).

(٣) إحياء علوم الدين، (ص:١/ ٣٦).

الوعي[1].

سادساً: إن هذه العبارات قد تلقاها تلاميذ التصوف بالقبول واعتقدوا ما فيها، بل وشرحوا العقيدة التي تشير هذه العبارات إليها في كتب كاملة وعمدوا إلى تأويلها وتفسيرها، وإخراج درر معانيها، بل وجعلها من مناقب قائليها ووصولهم إلى الحقيقة؟ كما فعل الشعراني في" تأويل الشطح" ، والطوسي في "اللمع".

سابعاً: إن هذا الشطح لم يرق لبعض علماء الصوفية وبيّنوا ضرره، فقد قال عنه الغزالي: «ولا فائدة لهذا الجنس من الكلام إلا أنه يشوش القلوب ويدهش العقول ويحير الأذهان»[2].

قوله: فذاك زور من صنيع الكاتب. اسم الإشارة ذاك يعدد إلى الغلو والشطح في المناقب .

والزور هو: «الكذب الذي قد سوي وحسن في الظاهر ليحسب أنه صدق.وهو من قولك: زورت الشيء إذا سويته وحسنته»[3].

أي: أنه ليس ما يدعونه حقيقة إنما هي قصص مكذوبة تناقلها القوم وجمعها الكتاب ونشروها بين الناس.

قوله: فكم بها. يقصد كتب قصص ومناقب أولياء الصوفية.

قوله: يا صاح. أصله «يا صاحب» منادى مرخم على غير قياس، لكونه ليس علماً[4].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) إحياء علوم الدين (ص:١/ ٣٦).

(٣) الفروق اللغوية، (١/ ٢٦٨).

(٤) دليل السالك إلى ألفية ابن مالك (١/ ٣٦٩).

قوله: مقال المقالة قول يعتمد عليه قائله ويناظر فيه[1].

ويقصد بها هنا دعاوى الكرامات والمخاريق وشطحات الغلو التي ملأت بها تلك الكتب.

قوله: ضرب. الضرب اسم يقع على الجنس والصنف، ويقع الضرب أيضاً على الواحد الذي ليس بجنس ولا صنف. ويقصد به هنا أنه نوع من أنواع المستحيلات[2].

قوله: المحال. المحال ما لا يجوز كونه ولا تصوره، وقولنا: محال لا يدخل إلا في الكلام، ولكن المتكلمين يستعملونه في المعنى الذي لا يصح ثبوته[3].

قوله: كجعل ماء البحر في إبريق.

قوله: إبريق. فارسية معربة وهو إناء يتطهر به، له عروة وخرطوم[4].

قال الشعراني متحدثاً عن مناقب الشيخ محمد الشربيني[5]: «وكان إذا أراد أن يعدّي في البحر يقول له المعدّي: هات كراء: فقال الشيخ: «ها الله»، وطأطأ الإبريق، فأخذ ماء البحر فيه! ووقف المركب على الأرض، فاستغفر المعدّي وتاب، فصب الإبريق في البحر، ورجع الماء كما كان»[6].

---

(١) الفروق اللغوية، (١/ ٥٠٦).

(٢) الفروق اللغوية، (١/ ٣٢٧).

(٣) الفروق اللغوية، (١/ ٤٧٩).

(٤) المخصص لابن سيده (٣/ ١٩٩). المعجم الوسيط (٢/ ٥٦٩).

(٥) هو محمد الشربيني، صوفي ذكر الشعراني من خوارقه إتقان جميع اللغات، مات حوالى سنة (٩٢٠هـ). انظر: الطبقات الكبرى (٢/ ١١٨).

(٦) طبقات الأولياء، الشعراني، (٢/ ١٣٦). جامع كرامات الأولياء، النبهاني، (١/ ٢٩٦).

قوله: فما له في الصدق من طريق. أي: أنه يستحيل أن يصدقه العقل فلا طريق يقبل ذلك، ويجعلنا نصدق مثل هذه المقالات المستحيلات.

قوله: فكيف يخفى فقد ماء البحر.... والفلك....

قوله: الفلك. هي: السفن قال تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[1].

هنا الناظم يفنّد هذه المقالة المستحيلة، فيقول: إذا حصلت حقيقة فكيف خفي ماء البحر ولم يفقده أحد خاصة من الناس الذين على السفن وكانت تجري بهم في هذا البحر.

قوله: وما لدى الملاح علم أو خبر.

الملاح هو الذي يوجه السفينة. وهو مشتق من الملّاح وهي الريح التي تجري بها السفينة[2].

ويقصد بذلك هل يعقل أن يُفقد ماء البحر ولم يعلم به ملاحو السفن وصائدو الأسماك وهم أخص الناس وألصقهم به، ولم يصلهم خبره ولا أي أثر يدل على فقده.

قوله: وكل مصر في شواطي البحر ... لم يدر أهلها.

المصر هو البلد[3].

يتابع الناظم هنا تفنيده لهذه الكذبة، فيقول: كذلك لا يُعقل أن لا يدري أهل الأمصار الملاصقة للبحر بهذا الحدث العظيم.

---

(١) [العنكبوت: ٦٥].

(٢) انظر: معجم معاني الأسماء (ص: ٨٢).

(٣) انظر: الصحاح (٤/ ٢١١).

قوله: فليت شعري ما بها من رتبة ... حتى ادعوا.

(ليت شعري) أي: ليت علمي أو ليتني علمت[١].

والرتبة: هي المنزلة، وكذلك المرتبة[٢].

وهنا ينقل الناظم الرد إلى حقيقة هذا الولي المنسوب له هذه المستحيلات، فيقول على وجه التعجب والاستنكار: أي رتبة بلغها هذا الشخص تجعلنا نكذب له مثل هذه الكذبة العظيمة.

معنى الأبيات إجمالاً:

يتابع الناظم رحمه الله تفنيده لأعمال الصوفية المنافية للشريعة التي ارتضاها الله لنا، فيقف عند الغلو والشطح في مناقب الأولياء وقفة طويلة يؤكد في أولها أنها من الأساس هي مزورة مكذوبة على أصحابها وإنما هي من تلفيق الكتاب المغرضين الذين ينسجون القصص في مناقب الأولياء.

وكم في هذه المناقب المزعومة والشطحات المخذولة من أقوال لا يمكن تصديقها لأنها تعد نوعاً من أنواع المستحيلات.

ومن ذلك شطح من يقول: إن أحد الأولياء جمع ماء البحر في إبريق، فإن هذه الشطحة بيّن كذبها وليس لها وجه من الصحة لاستحالتها على قدرة البشر.

ومما يدل على كذبها وبطلانها أنه لو صح هذا الخبر لما خفي فقد ماء البحر خاصة وأن السفن كثيرة عليه وعليها الناس، فهل يعقل أن لا يشعر بذلك من أحد، وكيف تسير السفن وليس ثمت ماء.

(١) الصحاح، الجوهري (٣/ ٢٦٢). لسان العرب لابن منظور (٤/ ٤١٠).

(٢) الصحاح للجوهري (٢/ ١٥٠).

وإذا خفي هذا الأمر فلا يعقل أن يخفى على ملاّحي السفن والصيادين في البحر، فهم أولى الناس بالعلم في هذا الأمر، ومع ذلك لا علم لديهم بهذه الكرامة.

وكذلك الساكنين في الأمصار قرب البحر المفروض أن يعلموا بهذه الكرامة.

فأي رتبة ومنزلة وصلها الولي تجعل المريد يغلو فيه هذا الغلو، ويدعي له مثل هذه الأكاذيب التي يستحيل تصديقها.

٢٧٨- فكم وليٍّ كان أتقى وأبرْ ... لله كالصِّديقِ أيضًا وعمرْ
٢٧٩- كذاكَ ذو النورين والهمامُ ... صِنوُ الرسولِ البطلُ الضرغامُ
٢٨٠- والستةُ الباقون بعد الأربعهْ ... فهؤلاء خيرُ من كانوا مَعهْ
٢٨١- والتابعون من خيار الأمةِ ... والشافعي وسائرُ الأئمةِ
٢٨٢- ما قطُّ زكَّى نفسه منهم أحدْ ... ومن يُزكِّي نفسَه فما رشدَ

قوله: فكم ولي كان أتقى وأبر.

قوله: ولي. الولي: من الولاية بفتح الواو، التي هي ضد العداوة[١].

قال ابن حجر رحمه الله: «المراد بولي الله المواظب على طاعته، المخلص في عبادته»[٢]، وسيأتي الحديث عن الولي والولاية في فصل التكييف والتشبيه في البيت رقم (٣٩٠-٣٩٢).

قوله: أبرّ. أي أطوع لله وأكثر خيرًا وصلاحًا. قال الجوهري[٣]: «فلان يبر خالقه ويتبرره، أي: يطيعه»[٤].

وقال أيضا: «البِرّ: الخير والصلاح»[٥].

هنا يتابع الناظم رده على المقالة السابقة في الشطح في مناقب الأولياء، فيقول: إن

(١) لسان العرب (١٥/ ٤٠٧).

(٢) فتح الباري، (١١/ ٣٤٢).

(٣) عبدالرحمن بن إسحاق أبو علي الجوهري، كان قاضياً بمصر فترة ثم أقيل من منصبه سنة (٣١٤هـ). توفي بمصر (٣٢٠هـ). انظر: «الأعلام» (٣/ ٢٩٩).

(٤) الصحاح للجوهري (٣/ ١٥٠).

(٥) تهذيب اللغة، (٥/ ١٢٤)

هناك أولياء لله كثيرون قبل هذا الولي المزعوم كانوا أتقى لله وأطوع له وأكثر خيرًا وصلاحًا مثل صاحب رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعثمان بن عفان رضي الله عنه وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وباقي العشرة المبشرين بالجنة الذين كانوا خيار الصحابة، والتابعون بعدهم وأئمة العلم مثل الشافعي رحمه الله وغيره. كل هؤلاء الأخيار لم يزكوا أنفسهم ولم يدعوا أو يُدعى لهم مثل هذه المقالة العظيمة وهذه الكذبة الشنيعة.

قوله: كالصديق أيضاً وعمر.

قوله: كالصديق. يقصد أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكان اسمه في الجاهلية عبدالكعبة فسماه رسول الله ﷺ عبدالله. واسم أبيه أبي قحافة: عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر القرشي التيمي. وأمه أم الخير بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة واسمها: سلمى، شهد بدراً بعد مهاجرته مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة، ولم يكن رفيقه من أصحابه في هجرته غيره، وهو كان مؤنسه في الغار إلى أن خرج معه مهاجرون. وهو أول من أسلم من الرجال، وأول من صلى مع رسول الله ﷺ. وكان يقال له: عتيق، وسمي الصديق لبداره إلى تصديق رسول الله ﷺ في كل ما جاء به ﷺ. وقيل: بل قيل له الصديق لتصديقه له في خبر الإسراء. وكان في الجاهلية وجيهاً رئيساً من رؤساء قريش، وإليه كانت الأشناق في الجاهلية، والأشناق: الديات، كان إذا حمل شيئاً قالت فيه قريش: صدقوه وأمضوا حمالته، أسلم وله أربعون ألفاً أنفقها كلها على رسول الله ﷺ في سبيل الله، واستخلفه رسول الله ﷺ على أمته من بعده، بما أظهر من الدلائل البينة على محبته في ذلك، وبالتعريض الذي يقوم مقام التصريح، وكان أبو بكر رجلاً نحيفاً أبيض خفيف العارضين أجنأ لا تستمسك أزرته تسترخي عن حقوبه معروق

الوجه غائر العينين ناتئ الجبهة عاري الأشاجع [1] ، هكذا وصفته ابنته عائشة رضي الله عنها وبويع له بالخلافة في اليوم الذي مات فيه رسول الله ﷺ في سقيفة بني ساعدة، ومكث أبو بكر في خلافته سنتين وثلاثة أشهر إلا خمس ليالٍ. وقيل: سنتين وثلاثة أشهر وسبع ليال. قام بقتال أهل الردة وظهر من فضل رأيه في ذلك وشدته مع لينه ما لم يحتسب، فأظهر الله به دينه وقتل على يديه وببركته كل من ارتد عن دين الله حتى ظهر أمر الله وهم كارهون، وتوفي سنة ثلاث عشرة للهجرة[2].

وقوله: وعمر. يقصد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن قرط القرشي العدوي، كنيته أبو حفص، ولقبه الفاروق. ولد رضي الله عنه بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة. وكان من أشراف قريش في الجاهلية. لما بعث الله محمداً ﷺ كان عمر شديداً عليه وعلى المسلمين، ثم كتب الله له الهداية فأسلم على يد النبي ﷺ في دار الأرقم، في ذي الحجة سنة ست من البعثة، بعد إسلام حمزة رضي الله عنه بثلاثة أيام. وبعد أن أسلم عمر استشار النبي ﷺ في أن يخرج المسلمون ويعلنوا إسلامهم في المسجد الحرام فأذن له، وخرج المسلمون وهم يومئذ أربعون رجلاً في صفين، يتقدم أحدهما حمزة بن عبد المطلب ويتقدم الثاني عمر بن الخطاب، وسماه النبي ﷺ يومئذ بالفاروق. شهد عمر بن الخطاب جميع الغزوات مع النبي ﷺ، وكان من أقرب الناس إلى قلبه، وهو أبو حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها، اشتهر رضي الله عنه بالزهد، وسعة العلم، والجرأة في الحق، تولى خلافة المسلمين بعد وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه،

---

(1) هي مفاصل الأصابع واحدها أشجع أي كان اللحم عليها قليلا وقيل هو ظاهر عصبها وقيل الأشاجع رؤوس الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف وقيل الأشاجع عروق ظاهر الكف وهو مغرز الأصابع والجمع الأشاجع. لسان العرب(١/ ١٣٧٢)

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ٢٩٤). الإصابة (٧/ ٣٨).

وذلك في السنة الثالثة عشرة من الهجرة، ودامت خلافته عشر سنوات وستة أشهر وخمس ليال، وصارت خلافته مضرب المثل في العدل، وهو أول من سمي بأمير المؤمنين، استشهد رضي الله عنه سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، وهو ابن ثلاث وستين سنة، طعنه أبو لؤلؤة المجوسي وهو يصلي بالناس، ودفن بجوار قبري النبي ﷺ وصاحبه أبي بكر رضي الله عنه[1].

قوله: كذاك ذو النورين والهمام.

قوله: ذو النورين. هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي. ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة. أسلم في أول الإسلام على يد أبي بكر، تزوج ابنة الرسول ﷺ رقية، ثم لما ماتت زوجه رسول الله ﷺ بأختها أم كلثوم فسمي ذو النورين. هاجر هجرتي الحبشة، ثم هاجر إلى المدينة، وكان ثرياً كثير النفقات، فقد جهز وحده نصف جيش العسرة، واشترى بئر رومة التي في المدينة بماله وجعلها لابن السبيل، وكان حيياً تستحي منه الملائكة، بشره النبي ﷺ بالجنة وببيت في الجنة. ولي الخلافة بعد مقتل عمر سنة أربع وعشرين للهجرة، وخرج عليه في آخر حياته بعض أهل مصر والبصرة والكوفة و المدينة، فحاصروه، وأبى أن يقاتلهم – مع قدرته على ذلك – حقناً لدماء المسلمين، حتى تسور عليه بعضهم البيت فقتلوه وهو يقرأ القرآن، سنة خمس وثلاثين للهجرة، وكان عمره آنئذ بضعاً وثمانين سنة[2].

قوله: الهمام. الهمام: الملك العظيم الهمة[3]، وهو أيضاً الذي يمضي همه في

(١) انظر: أسد الغابة (٤/ ١٥٦). والإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٥٨٨).

(٢) انظر: أسد الغابة (٣/ ٦٠٦). والإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٤٥٦).

(٣) الصحاح للجوهري (٦/ ٣٤٠).

الأمور[1]. ويقصد به علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

قوله: صنو الرسول. فيه إشارة إلى حديث: {عم الرجل صنو أبيه} [2].

الصنو بالكسر والضم، والجمع صنوان، الخارج من أصل شجرة[3].

لأن النبي صلى الله عليه وسلم وعلي رضي الله عنه متفرعان من أصل واحد وهو جده عبدالمطلب كما يتفرع من النخلة أكثر من صنو .

قوله: البطل. البطل: الشجاع[4].

وسُمّيَ البَطَلُ بطلاً لأنه يُبطل العظائم بسيفه. وقيل: سُميَ بطلاً لأن الأشداء يبطلون عنده[5]. ولقب علي رضي الله عنه بذلك لأنه قتل عمرو بن عبدود فارس العرب.

قوله: الضرغام. الأسد الضاري الشديدُ المِقْدام من الأُسود، ورجل ضرغامةٌ شُجاعٌ، فإما أَن يكون شُبِّه بالأَسد وإِما أَن يكون ذلك أَصلاً فيه، والأَسْبَقُ أَنه على التشبيه[6].

وهو علي بن أبي طالب، وأبو طالب هو عبد مناف بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي. ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته فاطمة، وأبو السبطين الحسن[7] والحسين[1] سيدي شباب أهل الجنة. وهو أول من أسلم من الصبيان، أسلم

---

(١) الفروق اللغوية (١/ ٥٥٨).

(٢) صحيح مسلم (٢/ ٦٧٦، ح٩٨٣).

(٣) الصحاح، الجوهري، (٧/ ٢٥٤).

(٤) الصحاح للجوهري (٥/ ٣٢١).

(٥) تهذيب اللغة (٤/ ٤٠٨).

(٦) لسان العرب (١٢/ ٣٥٧). الصحاح للجوهري (٦/ ٢٥٠).

(٧) هو الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وريحانته أمير المؤمنين، أبو محمد. ولد في نصف شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة، روى عن

بعد خديجة[٢] وأبي بكر، وعمره عشر سنين أو خمس عشرة سنة، وهو من العشرة المبشرين بالجنة، وتأخر في الهجرة حيث أمره النبي ﷺ أن يؤدي ما كان عنده من الأمانات إلى أهلها. ثم هاجر متخفياً ماشياً، وشهد بدراً وأبلى فيها بلاءً حسناً، وشهد أحداً وأصيب فيها بست عشرة إصابة، وكان حامل اللواء بعد استشهاد مصعب بن عمير، وشهد المشاهد كلها إلا يوم تبوك، فإن النبي ﷺ رده إلى المدينة واستخلفه على أهله وفي يوم خيبر أعطى الراية علياً، وفتح الله على يديه. وكان علي عالماً يسأله الناس، وقد ولاه النبي ﷺ قضاء اليمن، بايع أبا بكر بعد وفاة النبي ﷺ وعاونه، وبايع عمر من بعده وعاونه، وبايع عثمان وعاونه، وآزره في فتنته مؤازرة شديدة، فقد عرض عليه أن يأتيه بأبنائه فيقاتلوا دونه، ويفكوا حصاره، ولكن عثمان رفض حقناً للدماء، فلما قتل عثمان أجمع الناس على مبايعة علي بالخلافة، فبايعوه واختلف عليه بعض الناس، فتخلف معاوية في أهل الشام، مطالبا بدم عثمان، وقعت في خلافته موقعتان شهيرتان هما: الجمل[٣] وصفين[١]، وبعدهما اتفق علي ومعاوية على التحكيم

النبي ﷺ أحاديث حفظها عنه، ولي الخلافة بعد استشهاد أبيه رضي الله عنه، ثم تنازل عنها لمعاوية رضي الله عنه قيل: مات سنة: (٤٩هـ) وقيل: (٥٠) وقيل :(٥١) وقيل: (٤٩)، وقيل: (٥٨) ويقال: إنه مات مسموماً . انظر: الإصابة (١/ ٣٧٤-٣٧٧).

(١) هو الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي، سبط رسول الله ﷺ وريحانته، أبو عبد الله، ولد في شعبان سنة أربع، وقيل: ست، حفظ عن النبي ﷺ، أخرج له أصحاب السنن أحاديث يسيرة، لما سلَّم أخوه الحسن رضي الله عنه الأمر إلى معاوية رضي الله عنه تحول مع أخيه إلى المدينة واستمر بها إلى أن مات معاوية فخرج إلى مكة، ثم أتته كتب أهل العراق بأنهم بايعوه بعد موت معاوية؛ فأرسل إليهم فأخذ بيعتهم، فتوجه إلى هناك وكان من قصة قتله رضي الله عنه ما كان، وقتل في يوم عاشوراء في كربلاء سنة: (٦١ هـ). انظر: الإصابة (١/ ٣٧٨-٣٨١).

(٢) هي خديجة بنت خويلد بن أسد، زوج النبي ﷺ، وأول من صدقت ببعثته مطلقا، توفيت سنة عشر من البعثة. انظر ترجمتها في الاستيعاب (ص: ٨٨٨-٨٩٢). والإصابة (٨/ ٦٠-٦٢).

(٣) معركة الجمل وقَعَتْ بين جيش أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من جهة وبين جيش أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم من جهة، وقد كانت هذه الوقعة لخمس ليال بقين من ربيع الآخر سنة ست وثلاثين في

حقناً لدماء المسلمين، فخرج على عليّ فريق من أصحابه رفض لقبوله التحكيم بينه وبين معاوية، وهؤلاء الذين خرجوا على علي هم الخوارج، وقد قاتلهم علي رضي الله عنه، وقتل كثيراً منهم، محققاً بذلك نبوءة رسول الله ﷺ له. وقرر ثلاثة من الخوارج قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص، وتوجه كل واحد إلى الرجل الذي اختار أن يقتله، فلم يفلح منهم في هدفه غير قاتل علي وهو عبدالرحمن بن ملجم، ضربه غيلة وغدراً بسيف مسموم وهو في طريقه لصلاة الصبح في رمضان سنة أربعين للهجرة(٢).

قوله: السته الباقون. أي: من العشرة المبشرين بالجنة.

قوله: بعد الأربعة. أي: بعد الخلفاء الراشدين الأربعة.

قوله: فهؤلاء خير من كانوا معه. لشهادة الرسول ﷺ لهم بالجنة كما في حديث العشرة المبشرين بالجنة المشهور فعن عبد الرحمن بن عوف قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وسعد بن أبي وقاص في الجنة وسعيد بن زيد في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة} (٣).

مكان بين الكوفة والبصرة. انظر: البداية والنهاية (١ / ٢٥٠ ـ ٢٥٤).

(١) صِفِّين بكسرتين وتشديد الفاء موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي بين (الرَقة) و (بالس)، وكانت فيه وقعة صفين بين علي ومعاوية رضي الله عنهما في سنة: (٣٧ هـ) في غرة صفر. انظر: معجم البلدان (٣/ ١٩٥).

(٢) أسد الغابة (٤/ ٨٧). الإصابة (٤/ ٤٦٤).

(٣) سنن الترمذي (٥/ ٦٤٧، ح٣٧٤٧). وسنن أبي داود (٤/ ٢١٢، ح٤٦٥٠). وسنن ابن ماجه (١/ ٤٨، ح١٣٣). ومسند أحمد (١/ ١٨٧، ح١٦٢٩). وصحيح ابن حبان (١٥/ ٤٦٣، ح٧٠٠٢)، وقال الأرنؤوط: "إسناده صحيح على شرط مسلم". وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه.

وبناءً على أن فيهم الخلفاء الراشدين الأربعة وفيهم الستة أصحاب الشورى الذين ارتضاهم عمر رضي الله عنه للخلافة من بعده.

قوله: **التابعون**. الذين تبعوا الصحابة، أي: أتوا بعدهم واقتفوا أثرهم.

قيل في تعريف التابعي اصطلاحًا أقوال نذكر منها:

القول الأول: هو من صحب صحابيًا، وهو ما ذهب إليه الخطيب البغدادي(1).(2)

القول الثاني: التابعي من لقي صحابيًا وإن لم يصحبه كما قيل في الصحابي، وهذا مذهب الحاكم، قال العراقي(3):«وعليه عمل الأكثرين من أهل الحديث: مسلم بن الحجاج، وأبي حاتم بن حبان، وغيرهم»(4).

إلا أن ابن حبان اشترط في ذلك أن تكون رؤيته له في سن من يحفظ عنه، فإن كان صغيرًا لم يحفظ عنه فلا عبرة برؤيته(5).

قوله: من خيار الأمة. إشارة إلى حديث النبي ﷺ: {خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم } (6).

---

(١) عبدالقاهر بن طاهر أبو منصور البغدادي الشافعي، كان إماما بديع الترتيب، غريب التأليف، من أهم مصنفاته: الفرق بين الفرق وأصول الدين، توفي سنة ٤٢٩هـ.أنظر :"سير أعلام النبلاء ١٧" \ ٥٧٢.

(٢) الكفاية، للبغدادي (ص: ٥٩) .

(٣) هو عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن المهراني العراقي، الشافعي، أبو الفضل، المحدث، صاحب التصانيف الكثيرة، ولي قضاء المدينة المنورة، ولد سنة ٧٢٥ هـ، توفي سنة ٨٠٦ هـ. انظر ترجمته في إنباء الغمر بأبناء العمر لابن حجر العسقلاني (٢/ ٢٧٥-٢٨٠). والمنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي لأبي المحاسن الأتابكي (٧/ ٢٤٥-٢٥٠).

(٤) انظر "التقييد" (٣١٧ – ٣١٨)، و " شرح الألفية " (٣ / ٤٥).

(٥) انظر: شرح النخبة للقاري (ص ١٨٤). وعلوم الحديث (ص ٢٧١). والمعرفة للحاكم (٤٢).

وفتح المغيث (١/ ١٠٤).

(٦) صحيح البخاري (٢/ ٩٣٨، ح٢٥٠٨). وصحيح مسلم (٤/ ١٩٦٤، ح٢٥٣٥).

قوله: الأمة.أي: الجماعة، وهو في اللفظ واحد وفي المعنى جمع[(١)].

والأمة من الناس، يقال: قد مضت أُمم، أي: قرون[(٢)].

والأُمة أَتْباعُ الأنبياء[(٣)].

قوله: الشافعي. هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هشام بن المطلب، الإمام، عالم العصر، ناصر الحديث، فقيه، اتفق مولد الإمام بغزة، ومات أبوه إدريس شاباً، فنشأ محمد يتيماً في حجر أمه، ثم تحولت به إلى مكة، فنشأ بها، وأقبل على الرمي، ثم أقبل على العربية والشرع، فبرع في ذلك، وتقدم، ثم حبب إليه الفقه، فساد أهل زمانه، صنف التصانيف، ودون العلم، ورد على الأئمة متبعاً الأثر، وصنف في أصول الفقه وفروعه، توفي ﷺ عام ٢٠٤هـ عن أربع وخمسين سنة[(٤)].

قوله: وسائر الأئمة. السائر أي الباقي، قال ابن الأَثير[(٥)] ﷺ: والناس يستعملونه في معنى الجميع وليس بصحيح وتكررت هذه اللفظة في الحديث وكله بمعنى: باقي الشيء والباقي الفاضِلُ[(٦)].

---

(١) الصحاح للجوهري (٦/ ١٤٢).

(٢) تهذيب اللغة (٥/ ٢٦٣).

(٣) لسان العرب (١٢/ ٢٢).

(٤) باختصار من سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥- ٩٨).

(٥) هو المبارك بن محمد بن محمد الشيباني الجزري، المعروف بابن الأثير، أبو السعادات، العلامة، الفقيه، المحدث، اللغوي البارع، سمع من يحيى بن سعدون القرطبي، وخطيب الموصل الطوسي، وابن كليب، وروى عنه ولده والشِّهاب القوصي وجماعة، توفي سنة ٦٠٦ هـ. انظر ترجمته في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٨/ ٣٦٦-٣٦٧). وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢/ ٧٦-٧٨).

(٦) لسان العرب (٤/ ٣٣٩).

ويقصد بهم هنا باقي الأئمة الأربعة: مالك وأبي حنيفة[1] وأحمد، وغيرهم من الأئمة.

قوله: ما قط زكّى نفسه منهم أحد.

قوله: قطُّ معناها الزمان، يقال: ما رأيته قطّ[2].

قوله: زكّى. حقيقة الزّكاة الزّيادة، يقال: زَكا يَزْكو زَكاءً وزكى وتَزَكَّى وزَكَّاه. والفعل منه زكَّى، والزكاة زكاة الصلاح، تقول: رجل تقيٌّ زَكيّ، ورجال أتقياء أزْكياء، والزرع يزكو زَكاءً وكل شيء يزيد وينمى[3].

والتزكية هي تنمية القلوب وإصلاحها وتطهيرها، ويقصد بها هنا ادعاء الولاية والوصول لهذه المرتبة.

قوله: ومن يزكي نفسه فما رشد. الرشد: الصلاح، قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾[4]. والاستقامة في الدين، ومنه قوله تعالى: ﴿أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ۝٦٦﴾[5].

والرشاد: خلاف الغي[6]، وهو نقيض الضلال إذا أصاب وجه الأَمر والطريق،

(١) هو: النعمان بن ثابت التيمي أبو حنيفة الكوفي، أحد الأئمة الأربعة، كان فقيهاً مجتهداً إمام الحنفية، توفي سنة ١٥٠هـ. انظر: تهذيب التهذيب (١٠/ ٤٠١). سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٠٩).

(٢) الصحاح للجوهري (٤/ ٢٩٠).

(٣) المخصص لابن سيده (٤/ ٥٨).

(٤) [النساء:٦].

(٥) [الكهف:٦٦].

(٦) الصحاح للجوهري (٣/ ٣٦). الفروق اللغوية (١/ ٢٥٦).

وفي الحديث: {عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي...}[1][2].

ويقصد بهم هنا الصوفية فهم مولعون بتزكية مشايخهم، بل والغلو فيهم، وسنذكر طرفاً من ذلك إن شاء الله في فصل الغلو.

وصفاء القلوب ونقاؤها ومعرفة الباطن لا يعلمه إلا الله عز وجل، وادعاء الصوفية ذلك تزكية لأنفسهم، والله عز وجل قد نهانا عن مثل هذه التزكية، فقال سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢﴾[3].

والرسول ﷺ لم يزك نفسه، قال تعالى: ﴿قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾[4].

وفي حديث موت عثمان بن مظعون رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: {أما هو فقد جاءه والله اليقين، والله إني لأرجو له الخير، وما أدري والله – وأنا رسول الله – ما يفعل بي...}[5] الحديث.

ونهى عن إطرائه وتزكيته، فقال ﷺ: {لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله}[6].

---

(١) سنن الترمذي (٥/ ٤٤، ح٢٦٧٦)، وقال: "حسن صحيح". وسنن أبي داود (٤/ ٢٠٠، ح٤٦٠٧). ومسند أحمد (٤/ ١٢٦، ح١٧١٨٢)، وقال الحاكم في المستدرك: "لا أعلم له علة". وصححه الألباني في ظلال الجنة (١/ ١٤، ح٣٣)، وفي السنن المذكورة.

(٢) لسان العرب (٣/ ١٧٥).

(٣) [النجم:٣٢].

(٤) [الأحقاف:٩].

(٥) صحيح البخاري (٣/ ١٤٢٩، ح٣٧١٤).

(٦) صحيح البخاري (٣/ ١٢٧١، ح٣٢٦١).

وخيار الناس من أصحاب رسول الله ﷺ و ﷺ لم يكن أحدهم ليزكي نفسه بل كان يعمل العمل ويسأل الله القبول ويخشى عدم القبول.

فإذا ادعى أنه من أولياء الله فقد زكى نفسه وحينئذ يكون واقعًا في معصية الله وفيما نهاه الله عنه، وهذا ينافي التقوى، فأولياء الله لا يزكون أنفسهم بمثل هذه الشهادة، وإنما هم يؤمنون بالله ويتقونه، ويقومون بطاعته ﷻ على الوجه الأكمل، ولا يغرون الناس ويخدعونهم بهذه الدعوى حتى يضلوهم عن سبيل الله تعالى، فهؤلاء الذين يدعون أنفسهم أو غيرهم أولياء لو تأمل الإنسان ما هم عليه لوجدهم أبعد ما يكونون عن الولاية والتقوى.

معنى الأبيات إجمالاً:

يفنّد الناظم ؒ دعاوى الصوفية التي جعلتهم يغلون ويشطحون في أوليائهم، فيقول: فإن كانت رتبة الولاية هي التي جعلتكم تشطحون في أوليائكم فإن هناك أولياء لله أتقى وأبر من أوليائكم مثل الصحابة وعلى رأسهم أبو بكر الصديق، وعمر الفاروق، وذو النورين عثمان، والهمام البطل الضرغام في الحروب علي بن أبي طالب والستة بعدهم الذين بشرهم رسول الله ﷺ بالجنة، ومن التابعين الذين هم خير الأمة بعد الصحابة وعلى رأسهم الشافعي وبقية الأئمة.

فإن كل هؤلاء صفوة الأتقياء البررة، ما ذكر أن أحدًا منهم يومًا زكى نفسه وادعى الولاية أو ذكر لنفسه منقبة؛ لعلمهم أن تزكية النفس تخالف أمر الله، ومن يزكي نفسه فقد جانب طريق الرشد.

٢٨٣- ولا ادَّعَى إِحياءَ من قد ماتا	أو ردَّ شيئًا بعد ما قد فاتا
٢٨٤- ولم يقلْ صليتُ فوق الماءِ	أو امتطيتُ الريحَ في الفضاءَ
٢٨٥- أو طلعتْ بغلتُه إلى السَّما	والعرشِ فَخرًا أو أنا بانيهما

قوله: ولا ادّعى إحياء من قد ماتا.

يتابع الناظم رحمه الله تفنيده للغلو والشطح في المناقب، بأن خير الخلق صحب الرسول ﷺ وأتباعه من الأئمة لم يدعوا كذلك مثل هذه المستحيلات.

وقد اشتهرت الصوفية بدعوى الكرامات وخوارق العادات[(١)] لأوليائها، وغلوهم في ذلك حتى أنزلوهم بهذه الكرامات والخوارق منزلة الربوبية، ومن ذلك:

دعوى كرامة إحياء الموتى: فقد نقل القشيري[(٢)] عن سهل بن عبدالله[(٣)] قوله: «إن الذاكر لله حقيقة لو هم أن يحيي الموتى لفعل»[(٤)].

---

(١) الخرق للعادات. الخرق هو الشق، والخارق للعادة هو ما خالف العادة المطردة. بمعنى أن لا يكون ذلك الشيء معتاداً للناس، بل يقطع العادة ويخالفها. انظر: النهاية (ص: ٢٦١). النبوات (١/ ١٦٤).

(٢) هو عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك بن طلحة بن محمد القشيري الشافعي، الصوفي المفسر، ولد سنة ٣٧٥هـ، سمع الحديث وتفقه، وهو من رؤوس المتصوفة، وله فيهم تصانيف؛ منها: الرسالة في التصوف تكلم فيها عن رجال التصوف وأخرقهم وترجم لكثير منهم، ولطائف الإشارات، توفي سنة ٤٦٥هـ. انظر: تاريخ بغداد (١١/ ٨٣). وفيات الأعيان (٣/ ٢٠٥). سير الأعلام (١٨/ ٢٢٧-٢٣٣).

(٣) هو سهل بن عبدالله بن يونس التستري، من أئمة الصوفية، ولد بتستر سنة (٢٠٠هـ)، لقي ذا النون المصري، له مصنفات؛ منها: تفسير القرآن، ورقائق المحبين ومواعظ العارفين، توفي بالبصرة سنة (٢٨٣هـ)، وله من العمر ٨٠ سنة. انظر: سير الأعلام (١٣/ ٣٣٠). البداية والنهاية (٧/ ٤٥٢)، حوادث سنة (٢٨٣هـ). معجم المؤلفين (٤/ ٢٨٤). الأعلام (٣/ ١٤٣).

(٤) الرسالة، القشيري، (ص: ٢٥٦).

وذكر من كرامات الشيخ إبراهيم المتبولي[1]: (أنه سأل رجلاً: مالي أراك كثير العبادة ناقص الدرجة؟ لعل والدك غير راض عنك؟ فقال: نعم. فقال: اذهب بنا إلى قبره لعله يرضى. قال الشيخ الراوي: فو الله لقد رأيت والده خرج من القبر ينفض التراب عن رأسه حين ناداه الشيخ، فلمّا استوى قائمًا قال الشيخ: الفقراء جاءوا شافعين تطيب خاطرك على ولدك هذا. فقال: أشهدكم أني قد رضيت عنه..)[2].

وقوله: أو طلعت بغلته إلى السما.

رُوي هذا عن الفقيه المقدم قالت زوجته: «إن الفقيه كان يركب بغلته كل يوم ويطلع للسماء يأتي بالأخبار فلما مات لم يعد يأتينا شيء من أخبار السماء»[3].

وقوله: والعرش فخراً أو أنا بانيهما.

قال هذا أبو بكر بن سالم العلوي:

وإذا أفلت شموس الكل أنا شمسها ضاحيها
أنا عرشها والكرسي وأنا للسماء بانيها[4]

ويحسن هنا توضيح ما يتعلّق بالكرامات وموقف الصوفية وغيرهم منها مع بيان المعتقد الصحيح فيها.

فالكرامة لغة: مصدر (كَرُم)، أو اسم مصدر من (كرّم) أو (أكرم).

قال ابن فارس: «الكاف والراء والميم: أصل صحيح، له بابان؛ أحدهما: شرف

(١) هو إبراهيم بن علي برهان الدين المتبولي، مصري كان صوفي وقته، للعامة فيه اعتقاد وغلو حتى إن شفاعته عند السلطان والأمراء لا ترد، توفي بالمنوفية (٨٧٧هـ)، له كتاب: الأخلاق المتبولية. انظر: الأعلام (١/ ٥٢).

(٢) الطبقات الكبرى، (٢/ ٧٦).

(٣) المشروع الروي نقلاً عن الصوفية في حضرموت (ص: ٧٠٣).

(٤) المولد الشريف للديبعي (ص: ٩٣) نقلاً عن الصوفية في حضرموت (ص: ٣٧٦).

الشيء في نفسه، أو شرف في خلق من الأخلاق»(١).

ويظهرأن الكرامة من الباب الأول لشرفها في ذاتها، وصاحبها كريم من الباب الثاني لشرفه في خلُقه مع الخالق – تعالى – ومع الخلق أيضاً.

والكرامة اصطلاحاً: قال شيخ الإسلام رحمه الله عنها: «هي أمر خارق للعادة يظهره الله عز وجل على أيدي أوليائه»(٢).

وقال السفاريني(٣) رحمه الله: «الكرامة هي أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة، يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح علم بها ذلك العبد الصالح أم لم يعلم»(٤).

ولم يرد لفظ الكرامة في الكتاب ولا السنة ولا كلام الصحابة، وقد سماها الله عز وجل آية، فقال بعد ذكر كرامة أهل الكهف في ازورار الشمس عن كهفهم المفتوح جهتها: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾(٥). فهي آيات وبراهين على قدرة الله، ودالة على كرامة صاحبها، وإنما سميت بهذا تمييزاً لها عن المعجزة، وهذا التفريق في اللفظ إنما قال به كثير من المتأخرين(٦) ثم شاع، وصار هو المقول به في عامة أقوال العلماء(٧).

وتعد الكرامة نوعاً من خوارق العادات.

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (كرم) (٥/ ١٧١).

(٢) النبوات (١/ ١٣٣، ٥٢٨). وانظر الفتاوى (١١/ ٣١١).

(٣) هو محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الشهرة والمولد النابلسي، الحنبلي، الشيخ الإمام والحبر البحر النحرير، ولد سنة ١١١٤ هـ، وتوفي سنة ١١٨٨ هـ. انظر ترجمته في سلك الدرر (٤/ ٣١-٣٢).

(٤) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٣٩٢).

(٥) [الكهف:١٧].

(٦) مثل أبو إسحاق الأسفراييني و القاضي أبو بكر الباقلاني . أنظر : بستان العارفين للنووي ، باب في كرامات الأولياء ومواهبهم. ص: ٧٨.

(٧) انظر: النبوات، ابن تيمية، (ص: ١٥). وقاعدة في المعجزات والكرامات، ابن تيمية، (ص: ٧).

وخرق العادة إنما يكون بوقوعها على خلاف الحال المعهودة المألوفة التي استقر وقوعها عليه[1].

وخوارق العادات قد تكون باستغناء الإنسان عن الحاجات البشرية كالطعام والشراب بأن تحصل له بسبب غير معتاد، أو تكون بأن يعلم شيئاً فيراه أو يسمعه، وليس في إمكان البشر سماعه أو رؤيته عادة، وهذا المسمى عند الصوفية بالكشف أو المكاشفة، وقد تكون بحصول الأثر في الأشياء مما ليس في قدرة البشر فعله في العادة، كوجود ضوء من غير مصدره، ومن هذا إجابة الدعوة[2].

والله ﷻ خلق هذا الكون وسيره على سنن محكمة مطردة لا تتعارض ولا تتخلف، وربط المسببات بأسبابها والنتائج بمقدماتها وأودع في الأشياء خواصها، فالنار للإحراق، والماء للإرواء، والطعام للجائع، ثم هذا النظام الكوني البديع المتناسق الشمس والقمر والنجوم، وتعاقب الليل والنهار.. كل بنظام محكم، فإذا لم ترتبط الأسباب بنتائجها وخرقت هذه العادة المألوفة بإذن الله لمصلحة دينية أو دعاء رجل صالح، فهذا الخرق إذا كان لنبي فهو معجزة، وإذا كان لأناس صالحين فهو كرامة[3].

و الفرق بين الكرامة والمعجزة :أن المعجزة للنبي والكرامة للولي.

يقول ابن أبي العز الحنفي[4] ؒ: «المعجزة في اللغة تعمُّ كلَّ خارق للعادة، وفي عُرف أئمة أهل العلم المتقدمين كالإمام أحمد وغيره يسمونها الآيات، ولكن كثير من

---

(١) النبوات، لابن تيمية، (ص: ٣٤، ٣٥).

(٢) المرجع السابق (ص: ٢٢٧).

(٣) المرجع السابق.

(٤) هو: أبو الحسن علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي الدمشقي، عالم فقيه، تولى القضاء بدمشق ثم بالديار المصرية، استفاد كثيرا من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم، من مؤلفاته: شرح العقيدة الطحاوية، توفي سنة ٧٩٢هـ. انظر: شذرات الذهب (٦/ ٣٢٦).

المتأخرين يُفرِّقون في اللفظ بينهما، فيجعلون المعجزة للنبي والكرامة للولي، وجماعهما الأمرُ الخارق للعادة»(١).

كذلك الكرامات لا تصل إلى درجة معجزات الأنبياء، كما أن أصحابها - الأولياء - لا يصلون في الفضيلة والثواب درجات الأنبياء؛ فللأنبياء معجزاتهم الكبرى التي لا يظهر مثلها على يد أحد من الأولياء أو الشياطين، وهي من الأدلة على صدقهم، فلا يمكن أن تختلط بأحوال غيرهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:|"فلا تبلغ كرامات أحد قط إلى مثل معجزات المرسلين"(٢)

ولكن هناك خوارق أقل درجة تسمى صغرى، وهي من التوابع والنوافل، ولا يعتمد عليها استقلالاً في صدق الأنبياء، وهي التي يجوز أن يظهر مثلها على يد الأولياء كرامة لهم، ودلالة على صدق النبي الذي تبعوه؛ فهذه الدرجة من المعجزات التي يحصل مثلها للإنس أو الجن لا تكون وحدها آية للنبي؛ فإن الله أيد نبوتهم بتلك المعجزات الكبرى التي لا يقدر عليها إنس ولا جن. (٣)

أيضاً المعجزة تقع للنبي مقترنة بدعوى النبوة، وليست كذلك كرامة الولي.

كذلك المعجزات من الدلائل على صدق النبي وتأييد الله له، وتأتي لحاجة الخلق وهدايتهم، وتحصل للأنبياء وهم عالمون بوقوعها، كما يجب عليهم إظهارها، خاصة إذا توقف إيمان الناس عليها، ولا يشترط كل ذلك في الكرامة. (٤)

---

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٧٤٦).

(٢)النبوات، (ص:٤)

(٣) انظر: النبوات، ص ٣٣٣، ٣٣٥، والموافقات للشاطبي: ٢/ ٢٥٩، ٢٦٢.

(٤) الرسل والرسالات؛ عمر الأشقر،(ص:١٢١)

أمّا الفرق بين الكرامات والأحوال الشيطانية فيتضح من خلال الآتي:

١- أن الكرامات سببها الولاية الحقة لله وهي الإيمان والتقوى، فلا عبرة بالخوارق بدون ذلك، إنما هي من الشيطان(١).

قال الشافعي رحمه الله: «إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء، أو يطير في الهواء، فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة»(٢).

٢- أن الكرامات قائمة على الصدق، بخلاف تلك المخاريق المبنية على الكذب، كما قال تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ ﴾(٣)، وحيث وجد الخارق للعادة نظرنا فيمن وقع له؛ فإن كان مؤمناً تقياً، وكان هذا الفعل الخارق مما يصلح ظهوره على يد الولي عددنا ذلك كرامة.

٣- أن الكرامات هبة من الله، أما الخوارق والأحوال الشيطانية فتحصل بالتعلم والرياضة ودعاء الجن والشياطين والتقرب إليهم(٤).

٤- أن أولياء الله يحاولون إخفاء الكرامة، ولا يلتفتون إليها، ويعلمون أنها نعمة يجب شكرها، ويخشون أن تكون ابتلاء لا يثبتون فيه، ومن كان هذا حاله فلا يتصور منه أن يجعل الكرامات ميدان منافسة، فيسعى إلى إبراز كراماته، وإبطال كرامات غيره.. وأصحاب الأحوال الشيطانية على خلاف هذا تماماً، بل لا يظهرونها غالباً إلا في حضرة الناس، ويتحدى بعضهم بعضاً فيها(٥).

---

(١) الموافقات، (٢/ ٢٧٢). والنبوات، (ص: ٢٠).

(٢) لم أجد الأثر إلا عند الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٨٨).

(٣) [الشعراء:٢٢١، ٢٢٢].

(٤) تقديس الأشخاص، (٢/ ٢٨٣).

(٥) الفتاوى، (١١/ ٢٩٥).

٥- أن كرامات الأولياء ثابتة في النصوص الشرعية وواقع الصالحين، بخلاف الخوارق الشيطانية فإن مصادرها كتب الدجل والشعوذة والضلال.

ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن الآيات تنقسم إلى قسمين:

فأما انشقاق القمر، والإتيان بالقرآن، وانقلاب العصا حية.. لم يكن مثله للأولياء، وكذلك خلق الطير من الطين، ولكن آياتهم- أي الأنبياء - صغارٌ وكبار؛ كما قال الله تعالى: ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝٢٠﴾[1]، وقال عن نبيه محمد: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾[2]، فالآيات الكبرى مختصة بهم.

وأما الآيات الصغرى: فقد تكون للصالحين؛ مثل: تكثير الطعام، فهذا قد وجد لغير واحدٍ من الصالحين[3].

ومن المقرر عند أهل السنة والجماعة أن الكرامة للأولياء ثابتة، لاينكرها إلا من انحرف عن الصراط السوي، ولكن الذي حدث أن هناك من أخذ يبالغ في هذه الكرامات وأخذ يستخدمها كقاعدة تسهل قبول شطحه عند الناس، حيث يورد الغرائب والعجائب، واشتهر قولهم: «ما كان معجزة لنبيٍّ جاز أن يكون كرامة لولي[4].

ويشترط في الكرامة[5]:

١- وجود أمر خارق للعادة.

(١) [النازعات:٢٠].

(٢) [النجم:١٨].

(٣) النبوات، (٢/ ٨٠٢-٨٠٣).

(٤) عمدة القاري، للعيني (٧/ ٢٨٣).

(٥) الموافقات للشاطبي، (٢/ ٢٧٨).

٢- ظهورها على يد ولي، وإلا لم تكن كرامة، بل استدراجاً.

٣- كون هذا الولي ليس نبياً.

٤- كون هذا الخارق مما يصلح أن يكون كرامة لولي، فلا يشتمل على معصية، أو باطل.

ولا يشترط في الكرامة عدم التحدي، ولا كونها لحجة أو حاجة، ولا علم صاحبها بها[١].

فقول أهل السنة والجماعة في باب الكرامات هو جواز وقوعها على أيدي الصالحين، وأنها أمر خارق للعادة غير مقرونة بدعوى النبوة، وأنها لا تصل إلى الخوارق التي أظهرها الله ﷻ على أيدي أنبيائه ورسله.

وهناك بعض الفرق المخالفة لمعتقد أهل السنة في هذا الباب، ومن هذه الفرق الأشاعرة[٢] والمعتزلة[٣]، وكل فرقة من هاتين الفرقتين غلت في جانب كما سيظهر بعد قليل من عرض آرائهم ثم الرد عليها.

مذهب الأشاعرة:

تعتقد الأشاعرة جواز الكرامات بدون حد، وما جاز وقوعه لنبي جاز وقوعه لولي، بل الخارق للعادة يقع من النبي والولي والساحر، ولا فرق إلا دعوى النبوة من

---

(١) النبوات، (ص ١٨، ١٩)، والفتاوى، (١١/ ٢٧٤).

(٢) الأشاعرة فرقة كلامية ينتسبون لأبي الحسن الأشعري، خالفوا السلف في الصفات والإيمان وأبواب أخرى من الاعتقاد. انظر في مذهبهم: التسعينية، النبوات، كلاهما لشيخ الإسلام ابن تيمية، موقف ابن تيمية من الأشاعرة للمحمود، الفصل لابن حزم (٣/ ١٤٤-١٦٥).

(٣) المعتزلة: هم أتباع واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد وغيرهم من رؤوس الضلال، وقد بنوا مذهبهم على أصول خمسة: التوحيد، والعدل، وإنفاذ الوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لبسوا فيها الحق بالباطل، شأن أهل البدع. انظر: الفتاوى (٧/ ٥٥-٥٦، ٢٠٩). اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٣٨-٣٩).

النبي والصلاح من الولي.

يقول الجويني[1]: «فإن قيل: فما الفرق بين الكرامة والمعجزة؟ قلنا: لا يفترقان في جواز العقل إلا بوقوع المعجزة على حسب دعوى النبوة»[2].

وكما نلاحظ من هذا المذهب أنه لا يخص الأنبياء بمعجزات زائدة على ما يحدث على أيدي الأولياء.

ويرد عليهم: بأن الخوارق التي تقع على أيدي الأنبياء أظهرها الله عز وجل لتأييد دعوى النبوة لإقناع جماعات كافرة جاحدة، أما ما يظهر على أيدي الأولياء فإنه خاص بالولي نفسه؛ جزاء له على عبادته أو لتقوية إيمانه أو نحو ذلك. ولا يستوي ما كان الغرض منه الإقناع لجماعات متعددة متنوعة الثقافة ومختلفة العقول تعاند الحق وتحاربه، وما كان الغرض منه فردياً لشخص مؤمن في الأصل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ثم هؤلاء جوزوا كرامات الصالحين ولم يذكروا بين جنسها وجنس كرامات الأنبياء فرقاً، بل صرح أئمتهم أن كل ما خرق لنبي يجوز أن يخرق للأولياء حتى معراج محمد ﷺ وفرق البحر لموسى عليه السلام وناقة صالح عليه السلام وغير ذلك، ولم يذكروا بين المعجزة والسحر فرقاً معقولاً، بل قد يجوزون أن يأتي الساحر بمثل ذلك لكن بينهما فرق دعوى النبوة وبين الصالح والساحر والبر والفجور... إلى أن قال رحمه الله: ومع هذا فالأولياء دون الأنبياء والمرسلين فلا تبلغ كرامات أحد قط إلى مثل معجزات المرسلين، كما أنهم لا يبلغون في

(١) هو إمام الحرمين، عبدالملك بن عبدالله بن يوسف، الجويني أبو المعالي، فقيه، شافعي، مشهور، ولد سنة (٤١٩هـ)، وتوفي سنة (٤٧٨هـ). انظر: سير النبلاء (١٨/ ٤٦٨). وطبقات السبكي (٥/ ١٦٥).

(٢) كتاب الإرشاد، (ص:٢٦٩).

الفضيلة والثواب إلى درجاتهم، ولكن قد يشاركونهم في بعضها كما قد يشاركونهم في بعض أعمالهم»[1].

مذهب المعتزلة:

يرى المعتزلة أن خوارق العادات لا يمكن أن تقع لغير الأنبياء، ولذا فقد ذهبوا إلى منع وقوع الكرامات للأولياء والصالحين .

يقول القاضي عبد الجبار :"إنّ العادة لا تُخرق إلا عند إرسال الرسل. ولا تنخرق لغير هذا الوجه؛ لأنّ خرقها لغير هذا الوجه يكون بمنزلة العبث".[2]

ويقول الزمخشري[3] قوله تعالى:﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [4]: "يعني: أنه لا يطلع على الغيب إلا المرتضى الذي هو مصطفى للنبوة خاصة لا كل مرتضى.، وفي هذا إبطال للكرامات لأن الذين تضاف إليهم وإن كانوا أولياء مرتضين فليسوا برسل. "[5]

---

(١) النبوات، (ص:٣).

(٢)انظر: المغني في أبواب العدل والتوحيد، للقاضي عبد الجبار ١٥/ ١٨٩ .

(٣) هو: أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، الخوارزمي، الإمام الحنفي المعتزلي الملقب بجار الله، وهو إمام في التفسير والحديث والنحو والبلاغة والأدب، وقد ألف في شتى العلوم، ومن أشهر كتبه: "الكشاف في التفسير"، "الفائق في غريب الحديث"، "أساس البلاغة"، مات سنة ٥٣٨هـ. أنظر :" سير أعلام النبلاء " ٢٠/ ١٥٢، " وفيات الأعيان" ٥/ ١٦٨ .

(٤)[الجن:٢٦].

(٥)الكشاف، الزمخشري(٤/ ٣٩٥).

قال شيخ الإسلام ﵀: «فقالت طائفة: لا تخرق العادة إلا لنبي، وكذبوا بما يذكر من خوارق السحرة والكهان وبكرامات الصالحين، وهذه طريقة أكثر المعتزلة وغيرهم كأبي محمد ابن حزم[1] وغيره»[2].

وحجة المعتزلة فيما ذهبوا إليه أنه بالقول بالكرامات يشتبه النبي بالولي والنبي بالسحر وغيره.

ولا شك بأن هذه الحجة عقلية، فالمعتزلة كعادتهم يردون مسائل الاعتقاد إلى عقولهم فما وافقهما آخذوا به، وما خالفها ردوه.

الرد عليهم:

يكفي في نقض كلام المعتزلة النصوص الصحيحة الواردة في الكتاب والسنة التي تثبت الكرامة لأولياء الله ﷿، والعقل يجب أن يضرب به عرض الحائط إذا خالف نصاً من كتاب أو سنة.

وقد أورد شيخ الإسلام ﵀ قول المعتزلة ثم رد عليهم بأن هذه الخوارق قد تواترت وشاهدها الناس وهذا كاف في الرد عليهم، فقال: «والمنازع لهم - أي للمعتزلة - يقول هي - أي الخوارق - موجودة مشهودة لمن شهدها متواترة عند كثير من الناس أعظم مما تواترت عندهم بعض معجزات الأنبياء، وقد شهدها خلق كثير لم يشهدوا معجزات الأنبياء، فكيف يكذبون بما شهدوه ويصدقون بما غاب عنهم

---

(1) هو علي بن أحمد بن سعيد الفارسي، أبو محمد، أجمع أهل الأندلس لعلوم الإسلام، مع توسعه في علم اللسان ووفور حظه من البلاغة، والشعر والمعرفة بالسير والأخبار، توفي سنة ٤٥٦ هـ. انظر ترجمته في الصلة (٢/ ٦٠٥-٦٠٦)، وسير أعلام النبلاء (١٨/ ١٨٤-٢١٢).

(٢) النبوات، (ص:٢).

ويكذبون بها تواتر عندهم أعظم مما تواتر غيره»[1].

أمّا مذهب الصوفية فقد اشتهرت في المبالغة في الكرامات، حتى أتوا فيها بما ينافي الشرع والعقل؛ ويظهر هذا جلياً لمن نظر في كتبهم، مثل: (الطبقات الكبرى) للشعراني، و(جامع كرامات الأولياء) لابن الملقّن، و(كرامات الأولياء) للنبهاني[2] ونحوها، فهم يوردونها دون أي تعليق عليها، لاعتقادهم بصحتها؛ بل إنهم يترضون على أصحابها، ويسوقونها على أنها كرامات اختص الله تعالى بها الأولياء، ويعتقدون أن من اتصل بالله وبلغ الغاية في الفناء خضع لهُ الكون وقوانينه، وجرى على يديه خَرْق العادات بما يسمى الكرامات، مقابل ما كان للأنبياء من معجزات.

يقول الكلاباذي: «أجمعوا على إثبات كرامات الأولياء، وإن كانت تدخل في باب المعجزات كالمشي على الماء، أو كلام البهائم..»[3].

ويبقى أهل السنة بوسطيتهم يقفون في أمر الكرامات موقفاً وسطاً يتميزون به إثباتاً من غير مبالغة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ومن أصول أهل السنة التصديق بكرامات الأولياء،وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات، وأنواع القدرة والتأثيرات، والمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها، وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر فرق الأمة وهي موجودة فيها إلى يوم

---

(١) النبوات، (ص:٢).

(٢) هو يوسف بن إسماعيل النبهاني، صوفي غال، ولد بفلسطين سنة (١٢٦٥هـ)، ثم رحل إلى مصر وانتسب إلى الأزهر، تولى القضاء في عدة أقاليم، مات سنة (١٣٥٠هـ)، له مؤلفات كثيرة أخطرها: (جامع كرامات الأولياء). انظر: معجم المؤلفين (١٣/ ٢٧٥).

(٣) التعرف، (ص:٨٧-٨٨).

القيامة»[1].

وقال الطحاوي[2] رحمه الله: «ونؤمن بما جاء من كراماتهم، وصح عن الثقات من رواياتهم»[3].

وعقد الإمام اللالكائي[4] رحمه الله فصلاً في إثبات «كرامات الأولياء»[5].

وقال السفاريني رحمه الله[6]:

وكل خارق أتى عند صالح ... من تابع لشرعنا وناصح
فإنها من الكرامات التي ... بها نقول فأقف للأدلة
ومن نفاها من ذوي الضلال ... فقد أتى في ذاك بالمحال
فإنها شهيرة ولم تزل في ... كل عصر يا شقا أهل الزلل

ومن ذلك ما أكرم الله سبحانه أم أيمن[7] رضي الله عنها عندما هاجرت وليس معها زاد

(١) الفتاوى (١/ ١٥٦).

(٢) هو الإمام العلامة الحافظ الكبير، محدث الديار المصرية وفقيهها، أبو جعفر، أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الحَجْري المصري الطحاوي الحنفي، صاحب التصانيف كشرح معاني الآثار، وشرح مشكل الآثار، وهو من أهل قرية (طحا) من أعمال مصر، مولده في سنة: ٢٣٩ هـ، ومات سنة: ٣٢١ هـ. انظر: السير (١٥/ ٢٧-٣٣).

(٣) الطحاوية، (١/ ٨٤).

(٤) هو الإمام الحافظ المجود، المفتي، أبو القاسم، هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي، الشافعي، اللالكائي، مفيد بغداد في وقته، من أئمة الحديث والسنة، له مؤلفات منها: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، توفي سنة:٤١٨ هـ انظر: السير (١٧/ ٤١٩-٤٢٠).

(٥)أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي، (٢/ ١٢٨٨).

(٦) السفارينية، (١/ ٨٩).

(٧) هي بركة بنت ثعلبة بن عمرو، مولاة رسول الله ﷺوحاضنته، أم أيمن، أسلمت قديما أول الإسلام وبايعت رسول الله ﷺ، تزوجها زيد بن حارثة، توفيت بعد ما توفي رسول الله ﷺ بخمسة أشهر، وقيل : بستة أشهر . انظر ترجمته في أسد الغابة (٧/ ٣٥). والإصابة (٨/ ٢١٢-٢١٤).

ولا ماء، فكادت تموت من العطش وكانت صائمة، فلما كان وقت الفطر سمعت حساً على رأسها، فإذا دلو معلق فشربت منه، وكان البراء بن مالك إذا أقسم على الله أبّر قسمه، وكان سعد بن أبي وقاص مستجاب الدعوة، ومشى أمير الجيوش الإسلامية في البحرين العلاء بن الحضرمي وجنوده فوق الماء لما اعترضهم البحر ولم يكن معهم سفن تحملهم، وأُلقي أبو مسلم الخولاني[1] في النار فلم تحرقه[2].

ومع أن ظهور الكرامات على أيدي الصالحين ثبت بالكتاب والسنة وأيده الواقع، فإن هذا لا يجعل المرء يصدّق بكل ما سمع وُحدّث به، فقد يعتري الخبر المبالغة والكذب، وليس من شرط ولي الله أن يكون معصومًا لا يغلط ولا يخطئ، بل يجوز أن يخفى عليه بعض علم الشريعة، ويجوز أن يشتبه عليه بعض أمور الدين... ويجوز أن يظن في بعض الخوارق أنها من كرامات أولياء الله تعالى وتكون من الشيطان لبّسها عليه لنقص درجته ولا يعرف أنها من الشيطان، و الصوفية جعلوا مجرد وقوعها دليلاً على فضل صاحبها حتى ولو وقعت من فاجر.

ومن تظهر على أيديهم الخوارق على قسمين:

١ - أناس صالحون ملتزمون بالشريعة ظاهرًا وباطنًا، قد آمنوا بالله ﷻوعملوا بما أمروا به... واتخذوا رسول الله ﷺ قدوة يسيرون على هديه ولا يدعون لأنفسهم مكانة زائدة على أفراد الأمة ولا يزكون أنفسهم، فهؤلاء هم أهل كرامة الله، فهذا القسم من الناس إذا ظهر على يديه أمر خارق للعادة فإنه يكون كرامة ويستحق الوصف بالولاية.

---

(١) هو عبد الله بن ثُوب، أبو مسلم الخولاني، من خولان ببلاد اليمن، تابعي فقيه ثقة أدرك الجاهلية وقدم المدينة وقد توفي رسول الله ﷺ، وحدث عن بعض الصحابة، وتوفي سنة: ٦٢هـ، انظر: السير (٤/ ٧-١٤) الأعلام (٤/ ٧٥).

(٢) ابن تيمية: الفتاوى (١١/ ٢٧٩)، وفي هذا الجزء بحث قيم حول المعجزات والكرامات.

٢- قسم فاسق استخدموا الشياطين، واستخدمتهم الشياطين.. إما عن طريق السحر أو ما شابه ذلك من الوسائل المحرمة، فهؤلاء قد اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله، وباعوا دينهم بما تقدمه لهم الشياطين من مخاريق.. فهذا الصنف ليس أهلاً للكرامة ولا للولاية؛ لمخالفة سلوكه أولياء الله ﷻ، فكل عبد لا يظهر الإيمان على جوارحه وسلوكه ولا يتقي الله ﷻ في أعماله وأقواله فليس وليًا لله ﷻ[(١)].

وقد نبه الشاطبي رحمه الله على عدة أمور في باب الكرامات، منها[(٢)]:

أولاً: أن هذه الكرامات كانت تقع للصحابة دون تكلف منهم أو تطلب لها، أو رياضات روحية يستجلبون بها هذه الخوارق، بل تقع إكراماً من الله لهم أو دعاء يرون فيه مصلحة دينية إما لحجة أو لحاجة للمسلمين كما كانت معجزات نبيهم ﷺ، أما المتأخرون فيطلبونها ويتكلفون لها الرياضات الروحية، وربما أفسد جسمه ونفسيته بسبب هذا، مع أن «طلب الكرامات ليس عليه دليل، بل الدليل على خلاف.

ثانياً: إن كرامات أولياء الله لا بد أن يكون سببها الإيمان والتقوى والولي لله هو المحافظ على الفرائض والسنن والنوافل، عالماً بأمر الله عاملاً بما يعلم، فمن صفت عقيدته وصح عمله كان ولياً لله يستحق إكرام الله له إن شاء، فهذا إذا خرقت له العادة لا تضر ولا يغتر بذلك ولا تصيبه رعونة، وقد لا تحصل لمن هو أفضل منه، فليست هي بحد ذاتها دليلاً على الأفضلية، فالصديق رضي الله عنه لم يحتج إليها، وحصلت لغيره من الصحابة، كما أنه ليس كل من خرقت له العادة يكون ولياً لله، كما أنه ليس كل من حصل له نِعَمٌ دنيوية تعد كرامة له، بل قد تخرق العادة لمن يكون تاركاً للفرائض مباشراً للفواحش، فهذه لا تعدوا أن تكون إما مساعدة من شياطين الجن

(١) كرامات الأولياء، اللالكائي (١/ ٢٢-٢٤).

(٢) الموافقات، الشاطبي (٢/ ٢٨٣).

ليضلوا الناس عن سبيل الله، أو استدراج من الله ومكر به، أو رياضة مثل الرياضات التي يمارسها الهنود والبوذيون الكفرة ثم يضربون أنفسهم بآلات حادة ولا تؤثر فيهم، أو يتركون الطعام أياماً عديدة إلى غير ذلك، ويظن الفسقة أن هذه كرامة لهم.

ثالثاً: قد أنكر القرآن الكريم طلب الكفار للخوارق، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾[1]

وأخيراً: فقد أُمر الرسول ﷺ أن يبرأ من دعوى الغنى والقدرة وعلم الغيب إلا ما علمه الله ﷻ: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[2]، ولذلك كانت حياته وسيرته تجري كبقية عادات البشر ومألوفاتهم مع ما أعطي من شرف المنزلة، وعندما هاجر ﷺ إلى المدينة لم يطر في الهواء ولم تطو له الأرض، وإنما سار كما يسير أي راكب ويقطع المسافة في تسعة أيام، لماذا؟ لأن هذا هو الأصل، الأصل أن يسير الناس على السنن الكونية التي أودعها الله في الخلق، ولكن كثيراً من الناس يؤذيها أن يكون الكون سائراً على قانون محكم ويسعدها أن يكون هذا القانون بيد المجاذيب والدراويش يتصرفون به.

ثمّ إن الاستقامة على طريق الهدى، طريق السنة والاتباع، طريق الصحابة ومن

(١) [الإسراء:٩٠-٩٣].

(٢) [الأنعام:٥٠]

تبعهم بإحسان، هي عين الكرامة، فإن حصل بعدئذ خرق العادة إكراماً من الله ﷻ لمؤمن فهو إكرام من الله له ويجب عليه شكر الله ﷻ على ذلك، وإن لم يحصل فلا ينقص ذلك من مكانته شيئاً"[(١)].

وقد لخص العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي فوائد الكرامات في ثلاث قضايا، فقال ﵀: «أعظمها الدلالة على كمال قدرة الله ونفوذ مشيئته، وكما أن لله سنناً وأسباباً تقتضي مسبباتها الموضوعة لها شرعاً وقدراً، فإن لله أيضاً سنناً أخرى لا يقع عليها علم البشر ولا تدركها أعمالهم وأسبابهم. فمعجزات الأنبياء وكرامات الأوليات بل وأيام الله وعقوباته في أعدائه الخارقة للعادة كلها تدل دلالة واضحة أن الأمر كله لله، والتقدير والتدبير كله لله، وأن لله سنناً لا يعلمها بشر ولا ملك.

الثانية: أن وقوع الكرامات للأولياء في الحقيقة معجزات للأنبياء؛ لأن تلك الكرامات لم تحصل لهم إلا ببركة متابعة نبيهم الذي نالوا به خيراً كثيراً من جملتها الكرامات.

الثالثة: أن كرامات الأولياء هي من البشرى المعجلة في الحياة الدنيا، كما قال تعالى: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[(٢)]. وهي على قول بعض المفسرين: كل أمر يدل على ولايتهم وحسن عاقبتهم، ومن ذلك الكرامات، ولم تزل الكرامات موجودة لم تنقطع في أي وقت وفي أي زمن وقد رأى الناس منها العجائب والأمور الكثيرة»[(٣)].

---

(١) الموافقات، الشاطبي (٢/ ٢٨٣).

(٢) [يونس:٦٤].

(٣) التنبيهات اللطيفة، السعدي، (ص:٩٩).

معنى الأبيات إجمالاً:

يهدي الناظم رحمه الله المريد إلى أن كل أولئك السابق ذكرهم من صفوة الأتقياء البررة ما ذكر أن أحدًا منهم يومًا ادعى أو ذكر أنه يحيي الموتى أو يرد الفائت الذي ذهب، أو زعم أنه صلى فوق الماء أو ركب الريح يسير به في الفضاء أو طلعت دابته إلى السماء لمعرفة الغيب، أو وصل إلى عرش الرحمن مفتخرًا بذلك، أو ادعى أنه بنى السماء كما ادعاه الشاطحون في الكرامات والمناقب لأوليائهم.

٢٨٦- فهل أولاء الشاطِحون أفضلُ	من صحب خيرِ الخَلقِ أم هم أكملُ
٢٨٧- أو هل لهذا الشَّطحِ من مزيَّةِ	إلا انحطاطَ الرتبةِ العليةِ
٢٨٨- بل كل هذا من سماتِ الكِبْرِ	والعجبِ قد أبداه حبُّ الفَخْرِ
٢٨٩- والمخلصونَ من عبادِ اللهِ	يرونه من أقبحِ المناهِي

قوله: فهل أولاء الشاطحون أفضل من صحب خير الخلق ....

الاستفهام هنا للتعجب وأولاء: اسم إشارة أي من العجب أن يكون هؤلاء الشاطحون - الذين يدّعون أو يدّعى لهم أنهم يحييون الموتى ويردون الغائب وأنهم يصلون فوق الماء ويطيرون في الهواء ويصلون إلى السماء مع دوابهم - أفضل وأكمل من صحابة رسول الله ﷺ.

قال الغزالي(١): (... بل ذلك نوع يقين، وهو ثمرة نور يقذفه الله تعالى في قلب عبد طهّر بالمجاهدة باطنه عن الخبائث، حتى ينتهي إلى رتبة إيمان أبي بكر رضي الله عنه الذي لو وزن بإيمانه العالمين لرجح كما شهد له به سيد البشر ﷺ... وكان يعجز عنه عمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة رضي الله عنهم)(٢).

ومفهوم كلام الغزالي أن الولي قد ينتهي إلى رتبة إيمان أبي بكر التي عجز عن

---

(١) هو أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي، الفيلسوف، المتكلم، الصوفي، ولد سنة (٤٥٠هـ) في الطابران بطوس ورحل إلى نيسابور، ثم إلى بغداد، فالحجاز، فبلاد الشام فمصر، ثم عاد إلى بلدته، ففي نيسابور لازم إمام الحرمين فبرع في الفقه في مدة يسيرة، كما أخذ عن أبي علي الفارمذي مبادئ الطريقة الصوفية. انظر ترجمته في: السير (١٩/ ٣٢٢). وطبقات الشافعية، لابن السبكي (٦/ ١٩١). وشذرات الذهب (٤/ ١٠). ومعجم المؤلفين (١١/ ٢٦٦). والأعلام (٧/ ٢٢) وغيرها.

(٢) الإحياء، (١/ ٥٢).

بلوغها عمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة فيصبح هذا الولي أفضل وأكمل من صحابة رسول الله ﷺ كلهم ما عدا أبي بكر رضي الله عنه.

ويكفي في فضل الصحابة رضي الله عنهم: رضوان الله وثناؤه عليهم كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾(٣).

وشهادة النبي ﷺ لهم بأنهم خير الناس في قوله: {خير الناس قرْني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم... }(٤).

---

(١) [التوبة: ١٠٠].

(٢) [الفتح: ٢٩].

(٣) [الحشر: ٨-٩].

(٤) صحيح البخاري (٢/ ٩٣٨، ح٢٥٠٩). وصحيح مسلم (٤/ ١٩٦٣، ح٢٥٣٣).

وأن أعمالهم تفضل أعمال غيرهم قال ﷺ: {لا تسبوا أحداً من أصحابي؛ فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مدّ أحدهم ولا نصيفه}(١).

وقوله : خير الخلق . فإنّ الله ﷻ يصطفي لرسالته من كان خيار قومه في النسب.

قال رسول الله ﷺ: {أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، إنّ الله تعالى خلق الخلق فجعلني في خيرهم، ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم فرقة، ثمّ جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة، ثمّ جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً، فأنا خيركم بيتاً، وخيركم نفساً}(٢).

وفي صحيح مسلم عن واثلة بن الأسقع قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: {إنّ الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم}(٣) (٤).

قوله: أو هل لهذا الشطح من مزية. إلا انحطاط.....

الشطح. سبق بيانه في البيت (رقم: ٢٧١).

والمزية في كل شيء: التمام والكمال. وتمازى القوم: تفاضلوا. وأمزيته عليه: فضلته؛ والمزية: الفضيلة(٥).

والرتبة هي المنزلة(٦).

وسبب انحطاط قائله أن الشطح يوقع الشاطح في المتناقضات وادعاء

(١) رواه البخاري (٧/ ٢٧ح٣٦٧٣). ومسلم (١٦/ ٣٠٩ ح٦٤٣٥ من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٢) رواه الترمذي (٢/ ٢٢، ح٣٦٠٧)، وقال حديث حسن صحيح.

(٣) صحيح مسلم (٣/ ٥١٦، ح٣٥٥٧).

(٤) انظر: الرسل والرسالات (ص: ٨٢).

(٥) لسان العرب (١٥/ ٢٧٩).

(٦) المرجع السابق (٧/ ٢٤١).

المستحيلات مما يجعل الناس ينظرون إليه نظرة تكذيب وازدراء فتنحط منزلته عندهم.

قوله: بل كل هذا من سمات الكبر والعجب....

قوله: سمات. السمة ضرب من العلامات[١].

قوله: الكبر. (الكِبَرْ) بالكسر: العظمة و(التَكَبُرْ) و(الاسْتِكبار) التَعَظُم[٢].

(والكِبْر بالكسر: اسم من التكبر، والكِبْر العظمة والكِبْرياء مثله)[٣].

والكِبْر جاء تعريفه في الحديث فقال صلى الله عليه وسلم: {الكِبْر بطر الحق وغمط الناس}[٤].

وقال الفيروزبادي: "الكِبْر: حالةٌ يتخصَّص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وأن يرى نفسَه أَكْبَرَ من غيره"[٥].

وقيل الكِبْر هو: «استعظام الإنسان نفسه، واستحسان ما فيه من الفضائل، والاستهانة بالناس، واستصغارهم، والترفع على من يجب التواضع له»[٦].

أمّا العُجْب بالضم: فهو الزَّهْوُ والكِبْرُ، ورجلٌ مُعْجَبٌ: مَزْهُوٌّ بِمَا يكون منه حسنًا أَو قبيحًا[٧].

---

(١) الفروق اللغوية للعسكري (١/ ٧١).

(٢) مختار الصحاح، (ص: ٣٠٨).

(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٢/ ٥٢٣).

(٤) مسلم (١/ ٩٣، ح٩١).

(٥) تاج العروس من جواهر القاموس (١٤/ ٨).

(٦) تهذيب الأخلاق للجاحظ (ص: ٣٢).

(٧) لسان العرب (١/ ٥٨٢).

ومعنى العُجْب اصطلاحًا: قال الجرجاني[1]: «العُجْب: هو عبارة عن تصور استحقاق الشخص رتبة لا يكون مستحقا لها»[2].

وقال الغزالي: «العُجْب: هو استعظام النعمة، والركون إليها، مع نسيان إضافتها إلى المنعم»[3].

وقال القرطبي: «إعجاب الرجل بنفسه هو ملاحظته لها بعين الكمال، والاستحسان، مع نسيان منة الله تعالى»[4].

وأبداه: أي أظهره.

والفخر - بسكون الخاء -:" عد القديم من المحاسن"[5].

أي: كل هذه الادعاءات والشطحات هي من علامات الكبر والتكبر. كذلك هي من علامات الإعجاب بالنفس المنهي عنه الذي منشؤه حب الفخر والثناء.

ويكفي في الكبر شؤماً أنه سبب للصرف عن الحق كما قال تعالى:

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾[6].

قوله: والمخلصون من عباد الله ... يرونه من.

---

(1) هو علي بن محمد بن علي الجرجاني، عالم نحرير قد حاز قصبات السبق في التحرير، فصيح العبارة، دقيق الإشارة، ولد سنة ٧٤٠ هـ، وتوفي سنة ٨١٦ هـ . انظر ترجمته في الفوائد البهية (ص:١٢٥-١٣٤)، والضوء اللامع (٥/ ٣٢٨).

(٢) التعريفات (ص: ١٤٧).

(٣) إحياء علوم الدين (٣/ ٣٧١).

(٤) طرح التثريب لأبي الفضل العراقي (٨/ ١٦٨).

(٥) مختار الصحاح (١ / ٢٣٥).

(٦) [الأعراف:١٤٦].

المخلصون - بفتح اللام - أي: الذين أخلصهم الله لطاعته ودينه وولايته. وبكسر اللام؛ أي: الذين أخلصوا لله العبادة[1].

والضمير في (يرونه) يعود إلى الشطح في المناقب وتزكية النفس.

قوله: من أقبح المناهي. وذلك لاشتماله على الشرك وكثير من المحرمات القلبية مثل: التكبّر والتعاظم.

معنى الأبيات إجمالاً:

يتساءل الناظم رحمه الله على سبيل الاستنكار: هل يعقل أن يكون هؤلاء الكذابون المدعون للولاية والكرامات الشاطحون في المناقب المدعون خصائص الربوبية أن يكونوا أفضل من صحابة رسول الله ﷺ وقد شرفهم الله بذلك أو يكونوا أكمل منهم وقد زكاهم رسول الله ﷺ.

بل إن الشطح في المناقب إن كان له ميزة تميّزه فهي أنه ينقص من منزلة المؤمن الرفيعة، فالله عز وجل قد أعطى الناس عقولاً يميزون بها بين الممكن والمحال والشطح كلّه من باب المحال. لذلك يسقط الشاطح من عين السامع بعدما كان في نظره في منزلة رفيعة.

وشطحاتهم هذه وغيرها هي دليل على اتصاف قائلها بأقبح الصفات، ومنها الكبر والتعالي على الخلق والعجب بالنفس الذي أظهره الافتخار بالمناقب.

ثم يتوجه الناظم رحمه الله إلى بيان موقف المؤمنين المخلصين في إيمانهم من هذا الشطح المقيت، حيث يعدونه من المحرمات القبيحة بل من أقبحها؛ لأنه مشتمل على الشرك في الربوبية.

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٥/ ٧٦).

٢٩٠- لأنَّ دعوى الكاملِ الكمالا نقصٌ سوى ربِّ السَّما تعالى

قوله: لأن دعوى الكامل الكمالا. هنا يعلل الناظم ما ذكره من أن هذه الشطحات وهذه الادعاءات وهذه التزكيات هي من أقبح المناهي، وذلك لأن فيها دعوى الكمال وهو مالا يكون إلا لله عز وجل.

وتعتقد الصوفية في أوليائها الكمال، وبعض أوليائها يعتقد في نفسه الكمال، لذلك وقعوا في هذه الشطحات.

وممن صرح بعقيدة الإنسان الكامل عبدالكريم الجيلي(١)، وذلك في قوله: «وقد خلقك الله على صورته وجلاّك بأوصافه، وسمّاك بأسمائه، فهو الحي وأنتَ الحي، وهو العليم وأنت العليم، وهو المريد وأنتَ المريد، وهو القادر وأنت القادر، وهو السميع وأنت السميع، وهو البصير وأنتَ البصير، وهو المتكلم وأنتَ المتكلم، وهو الذات وأنتَ الذات، وهو الجامع وأنتَ الجامع، وهو الموجود وأنتَ الموجود، فللّه الربوبية ولك الربوبية، بِحُكمِ كُلكّم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، وله القدم ولك القدم، باعتبار أنكَ موجودٌ في علمهِ، وعلمُه ما فارقه مذ كان، فانضاف إليك جميعُ ماله، وانضاف إليه جميعُ مالَكَ»(٢).

والإنسان الكامل: «هو الجامع لجميع العوالم الإلهية والكونية الكلّية والجزئية»(٣).

فالوصول إلى مرتبة الربوبية عندهم ممكنة غير محالة، في قدرة الإنسان بلوغها، فإذا

---

(١) عبدالكريم بن إبراهيم الجيلي القادري صوفي كبير مقدس فكره وآراؤه عند الصوفية. مات سنة (٨٣٢هـ) له تصانيف أشهرها «الإنسان الكامل». انظر: «معجم المؤلفين» (٥/ ٣١٣).

(٢) الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، عبدالكريم الجيلي، (ص:٩٠).

(٣) التعريفات، (ص: ٥٦).

وصل إليها وحلّ واتحد بها، صارت له كل مزايا وخصائص تلك المرتبة، والكمال عندهم طموح إنساني مشروع، والإنسان الكامل هو أكمل مظهر لتجلي الذات الإلهية[1].

ويعبرون عنه أحياناً بالحقيقة المحمدية، حيث تعتقد الصوفية أن الحقيقة المحمدية هي أول موجود، وفيها تمثلت الصفات الإلهية كاملة، وهي تتمثل في الأولياء، فتعطيهم الصفات الإلهية كاملة، فتكون لهم الخصائص نفسها، لكن بدرجة ثانية، ولذا يسمون بالأقطاب الصغرى، كما يسمى أحدهم بالإنسان الكامل، فهو اعتقاد في كل ولي أن الحقيقة المحمدية متمثلة فيه بكل الأسماء والصفات الإلهية، وهو بذلك يمارس القيومية على السموات والأرض، في كل زمان ومكان، وهذا تعليل توجه هؤلاء إليهم بالسؤال والدعاء والعبادة[2].

ومن هنا بدأت وظيفة الإنسان، فلا مدد ولا فيض إلهي ولا وصول ولا خلاص إلا من خلاله، فنادى الصوفية بتعظيم الإنسان، وسموه: كاملاً، ووليـاً، وقطباً، وعارفاً. واستبد هذا الاعتقاد - الإنسان الكامل - بعقول الصوفية، حتى أيقنوا تماماً ألا طريق إلى الله إلا من خلاله، وأن من لم يسلك الطريق من خلاله فهو محجوب ومطرود، تجلى ذلك في أقوالهم في منزلة الشيخ، فإن تعظيم الشيخ بلغ مرتبة غير مقبولة في الشريعة، فكل من أراد توبة، أو طلب حظاً، أو رغب في خير، أو دفع شر، فلا بد من الشيخ، فإن كان حياً فيأتيه ويتوسل إليه - إن قدر - وإلا فيدعوه دعاء الغائب، وكذا بعد موته يأتي قبره، فيطوف به، ويدعوه، وينذر له، ويذبح له، فإن لم

---

(١) الإنسان الكامل، خوجه، (ص: ١٧٣).

(٢) المرجع السابق.

يقدر دعاه من مكانه، فلا تجد عبادة إلا وللشيخ فيها حظ ونصيب(١).

والكمال الإنساني يعني أنّ النبيّ محمداً ﷺ شخصية محورية، تدور في فلكها ذوات الصوفيين من طالبي الكمال، فمرتبة الإنسان الكامل لا تنحصر في سلالة، أو جنس من البشر، بل ينالها الجميع، الرجل والمرأة.

وهذه النظرية تقوم على أن صفات الكمال الموجودة في شخص النبي ﷺ يجوز أن تنتقل إلى البشر.

وتعتقد الصوفية أن الإنسان الكامل أحد تجليات الله، وخليفته في الأرض، وهو وإن كان اسماً خاصّاً للحقيقة المحمدية، وللأنبياء وللأولياء من بعد، فهو أيضاً اسمٌ عام للأناس الكاملين.

والدافع الأساس لهذا الاعتقاد هو محاولة الإنسان الترقّي إلى مرتبة النُّبّوة والألوهية.

ويستدلون على عقيدتهم هذه بما يلي(٢):

١- حديث: {إنّ الله خلق آدم على صورته}(٣)، فأكمل نشأة ظهرت في الموجودات هي الإنسان لأنه خلق على صورة الرحمن.

٢- كذلك ما جاء في حديث الولي: {فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها}(٤)، حيث

---

(١) المرجع السابق، (ص: ١٧٥).

(٢) انظر الإحياء، (١/ ١٨٤)، محمد ﷺ الإنسان الكامل، محمد علوي المالكي (ص:١٤).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠١٧، ح٢٦١٢).

(٤) صحيح البخاري (٥/ ٢٣٨٤، ح٦١٣٧).

جعلوا هذا المعنى دالاً على إلهية الإنسان، وتطابق أوصاف الإلهية عليه.

٣- كذلك استخلاف الإنسان في الأرض وتسخيرها له، وتكريمه على جميع الخلق.

٤- إضافة إلى أنهم اتخذوا من كل فضائل النبي ﷺ طريقاً، لتعظيم كل من سموه ولياً، فاحتجوا بما ثبت له من فضل وجاه، فأثبتوها للأولياء، ونسبوا إليه أشياء لم تثبت، لينسبوها بعد ذلك إلى الأولياء.

بمثل هذه الطرق أوّلت النصوص في تفضيل الإنسان وحرفت معانيها، فبدل أن يوضع في أعلى مكان يليق به مخلوقاً وهو مقام العبودية، رفع إلى مقام الربوبية.

يضاف إلى ذلك حظوظ النفس، والرغبة في الدنيا، في رئاستها وجاهها ومالها، وهي أمور مستقرة في النفس البشرية، لا تمتنع منها متى ما تيسر طريقها، ما لم يكن لها زاجر.

ونرد عليهم بالآتي:

أمّا استدلالهم بحديث: {إنّ الله خلق آدم على صورته}[(١)] واستنباطهم منه أن أكمل نشأة ظهرت في الموجودات هي الإنسان لأنه خلق على صورة الرحمن، فالجواب عليه من وجوه:

١- إن في هذا الإعتقاد - أن الإنسان صورة الله تعالى مثلاً بمثل- محذور مناقض لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[(٢)].

٢- كذلك يلزم منه تقديس جميع البشر.

---

(١) تقدم تخريجه (ص:٣٠٧).

(٢) [الشورى:١١].

٣-ثم إن مرجع الضمير في قوله: (صورته) يعود عند أكثر شراح الحديث إلى المضروب، فيكون معنى الحديث: إن الله تعالى خلق آدم على صورة هذا المضروب، وعليه يجب تكريم الوجه، والمناسبة هنا ظاهرة، فوجه المضروب على صورة الأب الأول آدم[١].

قال ابن حجر: «الأكثر على أنه يعود على المضروب، لما تقدم من الأمر بإكرام الوجه، ولولا أن المراد التعليل بذلك، لم يكن لهذه الجملة ارتباط بما قبلها»[٢].

٤- مذهب السلف في الحديث إمراره كما جاء من غير تفسير، ولا يلزم من إثبات عود الضمير إلى الله تعالى كما هو مذهب أكثر السلف التشبيه والتمثيل[٣] وتطابق الصورة كما تزعمه الصوفية.

قال الآجُريُّ رحمه الله بعدَ رِوايته لحديثِ الصورة:" هذه مِن السُّنن التي يجِب على المسلمين الإيمانُ بها، ولا يُقال: كيف؟ ولِمَ؟ بل تُستقبل بالتسليمِ والتَّصديق، وترْك النظر، كما قال مَن تَقدَّم مِن أئمَّة المسلمين؛ "[٤]

وقال ابنُ قتيبة: "والذي عِندي - والله تعالى أعلم - أنَّ الصورة ليستْ بأعجبَ مِن اليَدين، والأصابع والعين، وإنما وقَع الإلْف لتلك لمجيئها في القُرآن، ووقعتِ الوحشة مِن هذه؛ لأنَّها لم تأتِ في القُرآن، ونحن نؤمِن بالجميع، ولا نقول في شيءٍ منه بكيفيةٍ ولا حدٍّ" [٥]

---

(١)فتح الباري، (٥/ ١٨٣).

(٢) المرجع السابق .

(٣) التمثيل اصطلاحاً: هو اعتقاد المثبت أن ما أثبته من صفات الله تعالى مماثل لصفات المخلوقين. انظر: القواعد المثلى (ص:٦٤).

(٤) الشريعة للآجُريِّ"(٢/ ١٠٦).

(٥) تأويل مختلف الحديث (ص: ٢٦١).

وقال ابن بطَّة ﷺ:"وكل ما جاء مِن هذه الأحاديث، وصحَّتْ عن رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – ففرْضٌ على المسلمين قَبولُها، والتصديقُ بها، والتسليمُ لها، وترْك الاعتراض عليها، وواجِب على مَن قَبِلها، وصدَّق بها ألاَّ يضربَ لها المقاييس، ولا يتحمَّل لها المعاني والتفاسير، لكن تمرُّ على ما جاءتْ ولا يُقال فيها: لِمَ؟ ولا كَيف؟ إيمانًا بها وتصديقًا، ونقِف مِن لفظها ورِوايتها حيث وقَف أئمَّتنا وشيوخنا، ونَنتهي منها حيث انتهى بنا، كما قال المصطفى نبيُّنا – صلَّى الله عليه وسلَّم – بلا معارَضة، ولا تَكذيب، ولا تَنقير، ولا تفتيش، والله الموفِّق وهو حسبنا ونعمَ الوكيل"[1]

وقال الشيخ ابن عثيمين ﷺ :" قلت: والحاصل مِن حديثِ الصورة أنَّ الله تعالى خلَق آدم على صورتِه هو – جل شأنه – كما وضَّحْنا مِن أقوال العلماء الثِّقات، وهو الرأي الذي نؤيِّده، وهو الأسلمُ والأقوَى دليلاً وبرهانًا، وهي طريقة السلف بإمرار الصفات على مرادها بلا تأويل أو تمثيل أوتكييف أوتعطيل لها، ونعذر العلماء الأفاضلَ مِن أهل السُّنة والجماعة الذين قالوا: إنَّ الله خَلَق آدَمَ على صورتِه هو – أي آدم – مع تنزيه الله تعالى حسب فهمهم واجتهادهم في صحة أو ضعف حديث الصورة، وما ذكَرْناه هو ما نَستريح إليه، واللهُ مِن وراءِ القصد، وهو يَهدي السبيل"[2]

---

(١) الإبانة الكبرى ، ابن بطه العكبري ، باب الإيمان بأنَّ الله – عزَّ وجلَّ – خَلَق آدَمَ على صورتِه بلا كيف،(٢/ ٢١١).

(٢) شرح الواسطية ١٠٧/١.

أما استدلالهم بحديث الولي: {فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها}[١] فليس معنى الحديث يدل على تطابق أوصاف الإلهية عليه. إنما يدل كما ذكر العلماء على التسديد.

قال ابن رجب[٢] رحمه الله:"وليس معنى ذلك أن يكون جوارح للعبد؛ تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا، وغنما المراد: أن من اجتهد بالتقرب إلى الله عز وجل بالفرائض ثم بالنوافل قربة إليه؛ ورقّاه من درجة الإيمان إلى درجة الإحسان؛ فيصير يعبد الله على الحضور والمراقبة كأنه يراه، فيمتلئ قلبه بمعرفة الله تعالى ومحبته وعظمته وخوفه ومهابته وإجلاله والأنس به والشوق إليه؛ حتى يصير هذا الذي في قلبه من المعرفة مشاهداً له بعين البصيرة؛ فحينئذ لا ينطق العبد إلا بذكره، ولا يتحرك إلا بأمره؛ فإن نطق نطق بالله، وإن سمع سمع به، وإن نظر نظر به، وإن بطش بطش به". [٣]

وقال أيضاً رحمه الله:"وقد قيل: إن في بعض الروايات: "فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي" والمعنى: أن محبة الله إذا استغرق بها القلب واستولت عليه لم تنبعث الجوارح إلا إلى مراضي الرب، وصارت النفس حينئذٍ مطمئنة بإرادة مولاها عن مرادها وهواها" [٤]

---

(١) تقدم تخريجه (ص:٣٠٧).

(٢) هو: زين الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي، من علماء القرن الثامن الهجري، له مؤلفات من أشهرها "لطائف المعارف"، و"جامع العلوم والحكم"، ولد عام ٧٣٦هـ، ببغداد، ونشأ وتوفي في دمشق سنة ٧٩٥هـ. ["شذرات الذهب" ٦/ ٣٢٩ و"الأعلام للزركلي" ٣/ ٢٩٥].

(٣) جامع العلوم والحكم ج٢/ ٥٨٠.

(٤) المرجع السابق.

وقال أيضاً رحمه الله:"فمعنى الحديث: أن العبد إذا أخلص الطاعة صارت أفعاله كلها لله عز وجل؛ فلا يسمع إلا لله، ولا يبصر إلا لله؛ أي: ما شرعه الله له، ولا يبطش ولا يمشي إلا في طاعة الله عز وجل، مستعيناً بالله في ذلك كله.

ولهذا جاء في بعض رواية الحديث في غير الصحيح بعد قوله:"ورجله التي يمشي بها" فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي""[1]

وقال البيهقي رحمه الله بعد روايته للحديث:"كنت سمعه الذي يسمع به؛ معناه: حفظ جوارحه عليه عن مواقعة ما يكره.وقد يكون معناه والله أعلم كنت أسرع إلى قضاء حوائجه من سمعه في الاستماع، وبصره في النظر، ويده في اللمس، ورجله في المشي" [2]

وقال شيخ الإسلام رحمه الله :"وهذا الحديث يحتج به أهل الوحدة، وهو حجة عليهم من وجوه كثيرة:

منها: أنه قال: "من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة" فأثبت نفسه ووليه ومعادي وليه؛ وهؤلاء ثلاثة، ثم قال: "وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه" فأثبت عبدا يتقرب إليه بالفرائض ثم بالنوافل، وأنه لا يزال يتقرب بالنوافل حتى يحبه، فإذا أحبه كان العبد يسمع به، ويبصر به، ويبطش به، ويمشي به.

وهؤلاء هو عندهم قبل أن يتقرب بالنوافل وبعده: هو عين العبد وعين غيره من المخلوقات؛ فهو بطنه وفخذه، لا يخصون ذلك بالأعضاء الأربعة المذكورة في

---

(1)كلمة الإخلاص (ص٣٤).

(2) الأربعون الصغرى ٢/ ٨٦.

الحديث. فالحديث مخصوص بحال مقيد؛ وهم يقولون بالإطلاق والتعميم، فأين هذا من هذا". [1]

وقال العطار ﷺ:"والمراد: أن الله تعالى يتولى محبوبه في جميع أحواله، فحركاته وسكناته به تعالى، كما أن أبوي الطفل لمحبتهما له التي أسكنها الله في قلوبهما يتوليان جميع أحواله؛ فلا يأكل إلا بيد أحدهما، ولا يمشي إلا برجله، إلى غير ذلك". [2]

وقال الشيخ ابن عثيمين ﷺ: « وقد أخذ السلف أهل السنة والجماعة بظاهر الحديث، وأجروه على حقيقته. ولكن ما ظاهر هذا الحديث؟.

هل يقال: إن ظاهره أن الله تعالى يكون سَمْعَ الوَلِيّ وبصره ويده ورجله؟.

أو يقال: إن ظاهره أن الله تعالى يسدد الولي في سمعه وبصره ويده ورجله، بحيث يكون إدراكه وعمله لله وبالله وفي الله؟.

ولا ريب أن القول الأول ليس ظاهر الكلام، بل ولا يقتضيه الكلام لمن تدبر الحديث، فإن في الحديث ما يمنعه من وجهين:

الأول: أن الله تعالى قال: " وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه"، وقال: "لئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه ". فأثبت عبدًا ومعبودًا، ومتقربا ومتقربا إليه، ومحبا ومحبوبا، وسائلاً ومسئولاً، ومعطيا ومعطى، ومستعيذًا ومستعاذًا به، ومعيذًا ومعاذًا. فسياق الحديث يدل على اثنين متباينين، كل واحد منهما غير الآخر. وهذا يمنع أن يكون أحدهما وصفا في الآخر أو جزءًا من أجزائه.

---

(1) مجموع الفتاوى ٢/ ٣٤١.

(2)حاشية جمع الجوامع ج٢/ ٥١٧.

الوجه الثاني: أن سمع الولي وبصره ويده ورجله كلها أوصاف أو أجزاء في مخلوق حادث بعد أن لم يكن، ولا يمكن لأي عاقل أن يفهم أن الخالق الأول الذي ليس قبله شيء يكون سمعا وبصرًا ويدًا ورجلاً لمخلوق، بل إن هذا المعنى تشمئز منه النفس أن تتصوره، ويحسر اللسان أن ينطق به ولو على سبيل الفرض والتقدير، فكيف يسوغ أن يقال إنه ظاهر الحديث القدسي، وأنه قد صرف عن هذا الظاهر؟. سبحانك اللهم وبحمدك، لا نحصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك.

وإذا تبين بطلان القول الأول وامتناعه، تعين القول الثاني، وهو: أن الله تعالى يسدد هذا الولي في سمعه وبصره وعمله، بحيث يكون إدراكه بسمعه وبصره وعمله بيده ورجله كله لله تعالى إخلاصا، وبالله تعالى استعانةً، وفي الله تعالى شرعا واتباعا، فيتم له بذلك كمال الإخلاص والاستعانة والمتابعة، وهذا غاية التوفيق، وهذا ما فسره به السلف، وهو تفسير مطابق لظاهر اللفظ، موافق لحقيقته، متعين بسياقه، وليس فيه تأويل، ولا صرف للكلام عن ظاهره. ولله الحمد والمنة»(١).

أما احتجاجهم باستخلاف الإنسان في الأرض فإن استخلاف الإنسان في الأرض وتسخيرها له كان لأجل عمارة الأرض والقيام بالشريعة، كما قال تعالى: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦ ﴾(٢)هذا هو معناه الشرعي، لكن الصوفية جعلوا للخلافة معنى زائداً، هو

---

(١) القواعد المثلى (ص: ٦٧).

(٢) [ص:٢٦].

ممارسة القيومية على السموات والأرض، والقيام بما ليس في قدرة أحد إلا الله تعالى تصريفاً وتدبيراً[1].

أمّا الاحتجاج بفضائل النبي ﷺ وتنزيلها على الأولياء، فإن النهي متواصل من النبي ﷺ ألا يبالغ في مدحه، وأن يكف عن نسبة المشيئة إليه، ويمنع من أن يسجد له أحد، وأن يعتاد أحد زيارة قبره، ولن يجد حثاً على التوسل به، أو الاحتفال بمولده، أو شد الرحل إلى قبره، فضلاً عن دعائه وسؤاله بعد موته. فالإسلام بكل أحكامه وقواعده وأصوله يرسخ عبودية الإنسان وبشريته وضعفه، وأنه مخلوق من تراب، وأنه لا يملك من أمره شيئاً، وأن النبي ﷺ إن أشرك فلن ينفعه قربه واصطفاؤه واجتباؤه، وأنه إن ركن إلى الباطل عذبه مرتين، وأنه لن ينجيه إلا عمله الصالح، وأنه لا يعلم الغيب، وأنه فقير إلى عفو ربه، وأنه يخاف على نفسه من تقلب القلوب.

قوله: نقص سوى رب السماء تعالى. لأن هذه الصفات منتفية عن جميع الخلق، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[2]. وادعاؤها لأي مخلوق ظلم وشرك.

والذي يستحق الكمال المطلق وحده من يملك القدرة على كل شيءٍ، والإحاطة بكل شيءٍ، وكمال السلطان والغلبة والقهر والهيمنة على كل شيء، والعلم بكل شيء، ويملك الدنيا والآخرة، والنفع والضر، والعطاء والمنع بيده وحده.

وصفات الكمال المطلق لله تعالى، لا يحيط بها أحد، فمنها على سبيل المثال:

---

(١) الاستقامة (١/ ٩٣).

(٢) [الشورى:١١].

التفرّد بالألوهية: فهو ﷻ الحي الذي لا يموت أبداً، القيُّوم الذي قام بنفسه وقام به غيره، واستغنى عن جميع المخلوقات، وهي مفتقرة إليه في كل شيء، ومن كمال حياته وقيُّوميّته: أنه لا تأخذه سنة ولا نوم، وجميع ما في السموات والأرض عبيده، وتحت قهره وسلطانه: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ﴿٩٤﴾ ﴾(١).

ومن تمام ملكه وعظمته وكبريائه: أنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، فكل الوجهاء والشفعاء عبيد له، لا يُقْدِمون على شفاعة حتى يأذن لهم، ولا يأذن إلا لمن ارتضى، وعلمه تعالى محيط بجميع الكائنات، ولا يطلع أحد على شيء من علمه إلا ما أطلعهم عليه، ومن عظمته أن كرسيه وسع السّموات والأرض، وأنه قد حفظهما وما فيهما من مخلوقات، ولا يثقله حفظهما، بل ذلك سهل عليه يسير لديه، وهو القاهر لكل شيء، العليُّ بذاته على جميع مخلوقاته، والعليُّ بعظمته وصفاته، العليُّ الذي قهر المخلوقات ودانت له الموجودات، العظيم الجامع لصفات العظمة والكبرياء، وقد دلّ على هذه الصفات العظيمة قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾(٢).

وهو الإله الذي خضع كل شيء لسلطانه، فانقادت له المخلوقات بأسرها: جماداتها وحيواناتها، وإنسها وجنّها وملائكتها: ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ

(١) [مريم:٩٣-٩٤].

(٢) [البقرة:٢٥٥].

﴿طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾[1].

وهو الإله الذي بيده النفع والضر، فلو اجتمع الخلق على أن ينفعوا مخلوقاً لم ينفعوه إلا بما كتبه الله له، ولو اجتمعوا على أن يضروه بشيء لم يضروه إذا لم يرد الله ذلك: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾[2].

وهو القادر على كل شيء، ولا يعجزه شيء: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾[3].

كذلك إحاطة علمه بكل شيء، شامل للغيوب كلها، يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾﴾[4]، ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾[5]، ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾[6]، ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾[7].[8]

ولا شك أن من عرف هذه الصفات وغيرها من صفات الكمال والعظمة، فإنه

---

(١) [آل عمران:٨٣].

(٢) [يونس:١٠٧].

(٣) [يس:٨٢].

(٤) [آل عمران:٥].

(٥) [يونس:٦١].

(٦) [الأنعام:٥٩].

(٧) [البقرة: ٢٣١].

(٨) انظر: تفسير ابن كثير، (١/ ٣٤٤، ٢/ ١٣٨). والسعدي، (٢/ ٣٥٦، ٢/ ٣٧٢).

سيصل إلى أنه ﷻ ليس كمثله شيء.

معنى البيت إجمالاً:

يبيّن الناظم رحمه الله السبب الذي جعل المخلصون من عباد الله تعالى يرون الشطح من أقبح المناهي؛ لأن فيه ادعاء للكمال، ومن ادعى ذلك فقد عرّض نفسه للنقص والانحطاط، إلا الرب ﷻ فإن له الكمال المطلق الذي يليق بعظمته.

فصل في الذكر المطلوب

(مجمل ما عرضه الفصل)

عقد الناظم ﷺ هذا الفصل لأهميته فالذكر شعيرة مهمة من شعائر الدين وخالفت الصوفية فيه السنة؛ بل التوحيد .

كذلك اتخذته الصوفية شعارًا ودثارًا يتسترون خلفه للوصول إلى مراميهم البعيدة.لذلك حرص الناظم ﷺ على أن يعطيه حقه من البيان .

فبيّن فيه الناظم ﷺ أن الذكر المطلوب هو ما كان بالمأثور، وبيّن فضله، وأفضله. وأنه لابد من حضور القلب عند الذكر. وحثّ على الأذكار المشروعة في أوقاتها ،والتقيّد بصفتها ، وكيفيتها، وبيّن بعض آدابه وضرب أمثلة له .

٢٩١ - الذكرُ بالمأثورِ نعمَ القُربةْ ورتبةُ الذاكر أعلى رتبةْ
٢٩٢ - لأنه من أعظم الرغائبِ كما علمتَ بعد فعلِ الواجبِ

قوله: الذكر بالمأثور نعم القربة.

الذكر لغة: مصدر ذَكر الشيء يذكره ذِكراً وذُكراً، وأصل الذكر في اللغة: التنبيه على الشيء، ومن ذكَّرك شيئاً فقد نبَّهك عليه، وإذا ذكَّرته فقد نبَّهته عليه(١).

ويأتي لمعان:

أ- الشيء يجري على اللسان، أي: ما ينطق به، يقال: ذكرت الشيء أذكره ذِكرا وذُكرًا إذا نطقت باسمه أو تحدَّثت عنه، ومنه قوله تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢﴾(٢).

ب- استحضار الشيء في القلب، ضد النسيان، قال تعالى حكاية عن فتى موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾(٣).

قال الراغب الأصفهاني: «الذكر: تارة يقال ويراد به هيئة للنفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة، وهو كالحفظ إلا أن الحفظ يقال اعتباراً بإحرازه، والذكر يقال اعتباراً باستحضاره، وتارة يقال لحضور الشيء القلب أو القول، ولذلك قيل: الذكر ذكران: ذكر بالقلب، وذكر باللسان. وكل واحد منهما

(١) تهذيب الأسماء واللغات (٣/ ١١١).
(٢) [مريم:٢].
(٣) [الكهف:٦٣].

ضربان: ذكر عن نسيان، وذكر لا عن نسيان بل عن إدامة الحفظ»(١).

وأما شرعاً فله معنيان:

أ- معنى عام: ويشمل كل أنواع العبادات من صلاة وصيام وحج وقراءة قرآن وثناء ودعاء وتسبيح وتحميد وتمجيد وغير ذلك من أنواع الطاعات؛ لأنها إنما تقام لذكر الله وطاعته وعبادته.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «كل ما تكلم به اللسان وتصوره القلب مما يقرِّب إلى الله من تعلّم علم وتعليمه وأمر بمعروف ونهي عن منكر، فهو من ذكر الله»(٢).

وقال عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله: «وإذا أطلق ذكر الله شمل كل ما يقرِّب العبدَ إلى الله من عقيدة أو فكر أو عمل قلبي أو عمل بدني أو ثناء على الله أو تعلم علم نافع وتعليمه ونحو ذلك، فكله ذكر لله تعالى»(٣).

ب- معنى خاص: وهو ذكر الله بالألفاظ التي وردت عن الله تبارك وتعالى من تلاوة كتابه أو إجراء أسمائه أو صفاته العليا على لسان العبد أو قلبه مما ورد في كتاب الله سبحانه، أو الألفاظ التي وردت على لسان رسوله ﷺ، وفيها تمجيد وتنزيه وتقديس وتوحيد لله سبحانه وتعالى(٤).

قال ابن علان: «أصل وضع الذكر هو ما تعبَّدنا الشارعُ بلفظه مما يتعلق بتعظيم الحق والثناء عليه»(٥).

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن (ص: ٣٢٨-٣٢٩).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ٦٦١).

(٣) الرياض النضرة، السعدي، (ص: ٢٤٥).

(٤) الذكر وأثره في دنيا المسلم وآخرته، القحطاني، (ص: ١٧-٢٠).

(٥) الفتوحات الربانية شرح الأذكار النووية (١/ ٣٩٦).

وقال النووي: «والمراد من الذكر: حضور القلب، فينبغي أن يكون هو مقصود الذاكر فيحرص على تحصيله ويتدبر ما يذكر، ويتعقَّل معناه»(١).

وقوله المأثور: المأْثُورُ: ما وَرِثَ الخلفُ عن السلف. والمأْثُورُ الحديث المرويّ(٢).

والمقصود به هنا ما أثر وصح عن النبي ﷺ من الأذكار، سواءً كانت مقيدة أو مطلقة، وسواءً كانت من آيات القرآن أو من الأذكار النبوية.

وقد عني علماء الإسلام بجمعها وتصنيفها والتحقق من صحتها، ومن ذلك إفرادها بتصانيف مثل كتاب «عمل اليوم والليلة» لابن السنيّ، وكتاب «الأذكار» للنووي. «والوابل الصيّب» لابن القيم، أو تخصيصها بكتب أو أبواب ضمن الصحاح والسنن والمسانيد، مثل كتاب «الذكر والدعاء» في صحيح مسلم وباب «ماجاء في فضل الذكر» في سنن الترمذي.

وقصده من تقييد الذكر بأن يكون مأثوراً عن النبي ﷺ إفهام المريد أنه ليس كل ذكر يقرّب إلى الله ﷻ وإن علت رتبة قائله من ولي وغيره، فذلك لا يكون إلا للذكر المأثور.

ومما يبيّن أهمية الذكر بالمأثور عدة أمور(٣):

١- أن الرسول ﷺ قد أوتي جوامع الكلم، ولا يكون ذلك لغيره من البشر.

٢- أن الرسول ﷺ أعلم الناس بالله ﷻ وبما يستحقه من ثناء.

٣- أن الرسول ﷺ أنصح الخلق، ومن كمال نصحه ﷺ أنه دلنا على أكمل

(١) الأذكار (ص: ٣١).

(٢) المعجم الوسيط (١/ ٦).

(٣) المباحث العقدية المتعلقة بالأذكار (٢/ ٢١٤).

الأذكار وأفضلها وأعظمها ثواباً.

٤- أن الأجور العظيمة قد رتبت على الأذكار المأثورة دون غيرها.

٥- أن في الإتيان بها اقتداء بالرسول ﷺ، وهذه ثمرة لازمة لكل ذكر مأثور.

قال القاضي عياض رحمه الله: «واجتمعت فيه - أي: الرسول ﷺ - ثلاثة أشياء: العلم بالتوحيد، والعلم باللغة، والنصيحة للأمة، فلا ينبغي لأحد أن يعدل عن دعائه ﷺ»(١).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «ومن أشد الناس عيباً من يتخذ حزباً ليس بمأثور عن النبي ﷺ وإن كان حزبا لبعض المشايخ، ويدع الأحزاب النبوية التي كان يقولها سيد بني آدم وإمام الخلق وحجة الله على عباده، والله أعلم»(٢).

قوله: نعم القربة.

أي: أن الذكر بالمأثور من أفضل القُرب والطاعات التي يتقرب بها إلى الله عز وجل، ومما يدل على ذلك قول رسول الله ﷺ: {ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم، قالوا: بلى، قال: ذكر الله تعالى}(٣).

---

(١) الفتوحات الربانية لابن علان (١/ ١٧)

(٢) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٥٢٥).

(٣) سنن الترمذي (٥/ ٤٥٩، ح٣٣٧٧). وسنن ابن ماجه (٢/ ١٢٤٥، ح٣٧٩٠). ومسند أحمد (٥/ ١٩٥، ح٢١٧٥٠). والحاكم في المستدرك (١/ ٦٧٣، ح١٨٢٥)، وقال: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه". وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (١٠/ ٣٤١، ح٤٣٩٤).

ومما يدل على فضل الذكر أيضًا:

١- أنه سبب لذكر الله عزوجل للعبد: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾[١]، وكما جاء في الحديث القدسي: {أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني....} الحديث [٢].

٢- وصفه بأنه أكبر الأعمال، كما قال تعالى: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾[٣].

قال ابن القيم رحمه الله في الآية: «... ذكر الله أكبر من كل شيء، فهو أفضل الطاعات؛ لأن المقصود بالطاعات كلها إقامة ذكره، فهو سر الطاعات وروحها... »[٤].

٣- ترتيب الأمور العظيمة عليه مع غيره من الأعمال الصالحة، قال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥﴾[٥]، وكما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥﴾[٦].

وكما قال ﷺ: {طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارًا كثيرًا}[٧].

٤- أنه سبب لطمأنينة القلب ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ

---

(١) [البقرة:١٥٢].

(٢) صحيح البخاري (٦/ ٢٦٩٤، ح٦٩٧٠). وصحيح مسلم (٤/ ٢٠٦١، ح٢٦٧٥).

(٣) [العنكبوت:٤٥].

(٤) الوابل الصيب، ابن القيم، (ص: ١٠٣) .

(٥) [الأحزاب:٣٥].

(٦) [الأنفال:٤٥].

(٧) سنن ابن ماجه (٢/ ١٢٥٤، ح٣٨١٨). ومسند البزار (٨/ ٤٣٣، ح٣٥٠٨). والنسائي في عمل اليوم (٤٥٥). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٩٣٠).

ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[1].

٥- بيان سوء مآل تاركه في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ﴿٣٦﴾ ﴾[2].

٦- تفضيله على أعمال عظيمة، كما في الحديث المتقدم: {ألا أنبئكم بخير أعمالكم}[3].

قوله: ورتبة الذاكر أعلى رتبة.

قوله: رتبة. الرتبة هي: المنزلة[4].

ومما يدل على علو رتبة الذاكرين:

١- سبقهم جميع الطائعين، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة، فمر على جبل يُقال له: جُمدان، فقال: {سيروا هذا جمدان، سبق المفردون. قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: والذاكرون الله كثيراً والذاكرات}[5].

٢- مباهاة الله عز وجل بالذاكرين الملائكة، كما جاء في صحيح مسلم، أن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه، فقال: {ما أجلسكم قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنّ به علينا. قال: آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله ما

(١) [الرعد:٢٨].
(٢) [الزخرف:٣٦].
(٣) تقدم تخريجه (ص:٣٢٣).
(٤) انظر: الصحاح (رتب) (١/ ١٣٣).
(٥) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٦٢، ح٢٦٧٦).

أجلسنا إلا ذاك قال: أما إنّي لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله عزوجل يباهي بكم الملائكة}[1].

٣- وصف الذاكرين بأحسن الأوصاف، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾[2]، وقال تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾[3].

قوله: لأنه من أعظم الرغائب.

الرغائب في اللغة: العطايا الكثيرة[4]، ويقصد بها الناظم هنا النوافل.

فيعلل الناظم رحمه الله سبب وصول الذكر بالمأثور إلى هذه الدرجة الرفيعة عند الله عزوجل؛ وذلك لأنه من أعظم النوافل التي رغب إليها الله عزوجل بعد فعل الواجبات، ويكفي في ذلك بيان لمنزلة هذه الرغائب حديث الولي المشهور، وفيه: {... ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه...}[5]. فالذكر من الرغائب التي توصل إلى محبة الله عزوجل.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وأما ما سألت عنه من أفضل الأعمال بعد الفرائض،

(١) صحيح مسلم (٤/ ٢٧٥، ح٢٧٠١).

(٢) [آل عمران:١٩٠-١٩١]

(٣) [النور:٣٦-٣٧]

(٤) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة رغب (٢/ ٤١٦).

(٥) تقدم تخريجه (ص: ٨٦).

فإنه يختلف باختلاف الناس فيما يقدرون عليه وما يناسب أوقاتهم، فلا يمكن فيه جواب جامع مفصَّل لكلِّ أحد، لكن مما هو كالإجماع بين العلماء بالله وأمره أن ملازمة ذكر الله دائماً هو أفضل ما شَغل العبد به نفسَه في الجملة»[1].

قوله: كما علمت بعد فعل الواجب.

في الأبيات إشارة إلى مسألة قد اختلف فيها أهل العلم، وهي: حكم الذكر؟ فقد قال بعض العلماء بوجوبه، وقال آخرون باستحبابه.

فالقائلون بالوجوب: ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة رحمه الله ومحمد بن كعب القرضي رحمه الله والجصاص[2] رحمه الله والصنعاني رحمه الله.

قال قتادة رحمه الله: «افترض الله جل وعز ذكره على عباده أشغل ما يكونون عند الضراب بالسيوف»[3].

وقال محمد بن كعب القرضي رحمه الله: «لو رخص لأحد في ترك الذكر لرخص لزكريا يقول الله عز وجل: ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾[4] ولرخص للرجل يكون في الحرب يقول الله عز وجل:

---

(١) الفتاوى (١٠/ ٦٦٠). وانظر أيضاً (١٠/ ٤٢٧- ٤٢٩).

(٢) هو أحمد بن علي الرازي، الحنفي، المعروف بالجصاص، أبو بكر، سكن بغداد وانتهت إليه رياسة الحنفية وسئل العمل في القضاء فامتنع، تفقه على أبي الحسن الكرخي وتخرج به وكان على طريقة من الزهد والورع، وتوفي ببغداد سنة ٣٧٠ وله ٦٥ سنة. انظر ترجمته في الفوائد البهية في تراجم الحنفية لأبي الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي (ص:٢٧).

(٣) تفسير القرطبي (٨/ ٢٤).

(٤) [آل عمران:٤١].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[1] [2].

وعقد الجصاص رحمه الله في كتابه أحكام القرآن باباً سماه: «باب وجوب ذكر الله تعالى»[3].

وقال الصنعاني رحمه الله في حديث {ما قعد قوم مقعداً لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على النبي ﷺ إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة}[4]: «الحديث دليل على وجوب الذكر والصلاة على النبي ﷺ»[5].

وقد استدلوا بعدة أدلة، منها:

١- قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾[6]، فالأمر فيه للوجوب.

٢- وقوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾[7]، فإن الله عز وجل لم يعذر أحداً بتركه، بل طلب القيام به على كل حال.

٣- وقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ

---

(١) [الأنفال:٤٥].

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٨٢).

(٣) أحكام القرآن للجصاص (١/ ١١٤).

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ٣٨٩، ٥١٥). وأبو داود (٤/ ٢٦٤، ح٤٨٥٥). وصححه الألباني انظر: السلسلة الصحيحة (١/ ١١٧، ح٧٧).

(٥) سبل السلام (٤/ ٢١٤).

(٦) [الأحزاب:٤١-٤٢].

(٧) [النساء:١٠٣].

كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[1].

وقال النووي بالاستحباب ،يقول ؒ: «يستحب الإكثار من الذكر في كل وقت وحضور مجالس الذكر»[2].

ومن قال باستحبابه فقد استدل أيضاً بالأدلة السابقة للقائلين بالوجوب، لكنهم حملوا الأمر على الاستحباب وليس على الوجوب.

أما حكم الذكرعند ابن عربي وأمثاله من الصوفيين الإشراقيين القائلين بوحدة الوجود، وسقوط التكاليف ، ولزوم الصمت وإحلاله محل الذكربسبب حصول الجذبة ، يعتبر الذكر محرم لأن شمس الذات الإلهية لا تغيب عن أعين الناظرين فلا داعي للذكر أبداً،وفي ذلك يقول[3]:

وترك الذكر أفضل كل شيء فشمس الذات ليس لها غروب

ويقول أيضاً[4]:

إذا كان من تهواه في القلب حاضراً وأنت تديم الذكر فأنت منافق

وبالنظر للأدلة يتبيّن قوة قول القائلين بالوجوب وإن كان الناظم ؒ على خلاف ذلك، فهو ممن يرى استحباب الذكر وأنه من أعظم المستحبات بعد فعل الواجبات.

وهذا الحكم ليس صحيحا على إطلاقه، ففي بعض الأحوال يكون الذكر جائزاً فقط كما هو الحال بالنسبة للمحدث والجنب والحائض والنفساء، ويكون بالتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير والصلاة على رسول الله ﷺ والدعاء وغير ذلك، ولا

(١) [الأنفال:٤٥].

(٢) المجموع (٤/ ٥١٩).

(٣) ديوان ابن عربي الطائي (ص: ٨٣).

(٤) المرجع السابق

يكون بقراءة القرآن[1].

وفي بعضها الآخر يكون مكروهاً: كما في حالة الجلوس لقضاء الحاجة، وفي حالة الجماع، وفي حالة الخطبة لمن يسمع صوت الخطيب، وفي القيام في الصلاة بل يشتغل بالقراءة، وفي حالة النعاس[2].

وفي بعض الأحوال يستحب قطع الذكر بسبب عارض ثم العودة إليه بعد زواله، كمن سُلِّم عليه فإنه يردَّ السلام ثم يعود إلى الذكر، وكذا إذا عطس عنده عاطس شمته ثم عاد إلى الذكر، وكذا إذا سمع المؤذن، وكذا إذا رأى منكراً أزاله أو معروفاً أرشده إليه، وكذا إذا غلبه النعاس ونحوه.

وكل محرم أو مكروه من قول أو عمل لا يجوز افتتاحه بشيء من ذكر الله تعالى، لما فيه من الامتهان، وافتتاح المعصية بالطاعة[3].

معنى البيتين إجمالاً:

يهدي الناظم ﵀ المريد إلى أهمية الذكر بما أثر عن النبي ﷺ وكونه من أفضل الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى الله ﷿، ومنزلة الذاكر عند الله ﷿ تعتبر أعلى المنازل.

ويعلل وصول الذكر بالمأثور إلى هذه الدرجة الرفيعة عند الله ﷿ بأنه قد اشتهر العلم من خلال الدليل أن الذكر أعظم النوافل التي رغب الله ﷿فيها بعد الواجبات.

---

(١) انظر: الأذكار (ص: ٢٨-٢٩).

(٢) المرجع السابق (ص: ٣١).

(٣) انظر: تصحيح الدعاء (ص: ٤٧-٤٨).

٢٩٣ – وأفضلُ الذكر كلامُ اللهِ كما أتانا عن رسولِ اللهْ
٢٩٤ – وبعد هذا الذكرِ بالمأثورِ عن النبيِّ المصطفى البشيرِ
٢٩٥ – كالحمدِ والتسبيحِ والتكبيرِ كما أَتَى في الخبرِ المشهورِ
٢٩٦ – أمَّا لدى الإِطلاقِ فالتهليلُ أفضلُ ما قد قلتُ أو تقولُ
٢٩٧ – كذاك الاستغفارُ ثم الحوقلهْ كما روته السنةُ المفضلهْ

قوله: وأفضل الذكر كلام الله.

يقصد القرآن الكريم كلام الله عز وجل.

ووجه كونه أفضل الذكر لأنه كلام الله، ولكونه مشتملاً على جميع الذكر من تهليل، وتكبير، وتحميد، وتسبيح، وتمجيد، وكذلك لكونه مشتملاً على الخوف، والرجاء، والدعاء، والسؤال، والأمر بالتفكر في آياته...[1].

يقول ابن القيم رحمه الله: «قراءة القرآن أفضل من الذكر، والذكر أفضل من الدعاء»[2].

وقراءة القرآن أفضل من الأذكار المطلقة، قال النووي رحمه الله: «وكذا قراءة القرآن أفضل من التسبيح والتهليل المطلق»[3].

قوله: كما أتانا عن رسول الله.

يشير إلى حديث أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعًا: {...ما تقرّب العباد إلى الله بمثل ما

(١) التذكار في أفضل الأذكار للقرطبي، (ص: ٥٥).
(٢) الوابل الصيب (ص: ١٧٨).
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٧/ ١٨).

خرج منه}[١].

قوله: وبعد هذا الذكر بالمأثور. أي: في الأفضلية بعد قراءة القرآن تأتي الأذكار المأثورة عن رسول الله ﷺ.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فإن الذكر بعد القرآن ثلاثة أنواع: فأفضله ما كان ثناء على الله، وهو مثل: سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك. ثم ما كان إنشاءً من العبد، مثل قوله: {ووجهت وجهي إليك}[٢]. ثم ما كان دعاءً من العبد، مثل قوله: {اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب}[٣]»[٤].

قوله: عن النبي المصطفى. من الاصطفاء بمعنى الاختيار والتقريب[٥].

قال رسول الله ﷺ: {إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم}[٦].

قوله البشير. يشير إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ

---

(١) سنن الترمذي (٥/ ١٧٦، ح٢٩١١) و قال: "حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وبكر بن خنيس قد تكلم فيه ابن المبارك وتركه في آخر أمره، وقد روي هذا الحديث عن زيد بن أرطاة عن جبير بن نفير عن النبي ﷺ مرسل". ومسند أحمد (٥/ ٢٦٨، ح٢٢٣٦٠). وضعفه الألباني: المشكاة (١٣٣٢). والضعيفة (١٩٥٧). وضعيف الجامع الصغير (٤٩٩٣).

(٢) صحيح البخاري (٥/ ٢٣٢٦، ح٥٩٥٤). وصحيح مسلم (٤/ ٢٠٨٢، ح٢٧١٠).

(٣) صحيح البخاري (١/ ٢٥٩، ح٧١١). وصحيح مسلم (١/ ٤١٩، ح٥٩٨).

(٤) الفتاوى (٢٢/ ٣٤٢-٣٤٣).

(٥) تهذيب اللغة (١٢/ ١٧٤).

(٦) تقدم تخريجه (ص:٣٠١).

﴿أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾﴾[1]. أي: المبشر العاملين بالأعمال الصالحة، ومن أكثرها بشارة الذكر، فثوابه عظيم من الله عز وجل كما وضحنا في بداية الفصل.

قوله: كالحمد. هنا يضرب الناظم أمثلة للأذكار المأثورة، ويبدؤها بحمد الله عز وجل.

قال ابن القيم رحمه الله: «الحمد لله: الإخبار عنه بصفات كماله سبحانه وتعالى ومحبته والرضا به»[2].

وهو أيضًا يستلزم مع إثبات الكمال التنزيه عن كل نقص.

قال أيضاً رحمه الله: «وإذا قال العبد: (الحمد لله) استلزم ذلك إثبات كل كمال يحمد عليه الرب تعالى، فعلاً ووصفًا واسمًا، واستلزم تنزيهه عن كل سوء وعيب، فعلاً ووصفًا واسمًا»[3].

قوله: والتسبيح. قال ابن رجب رحمه الله: «التسبيح هو تنزيه الله عن النقائص والعيوب والآفات»[4].

قوله: والتكبير. قال شيخ الإسلام رحمه الله: «التكبير يراد به أن يكون الله عند العبد أكبر من كل شيء»[5].

ويراد به التعظيم. قال القرطبي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾[6] «أي: عظمه عظمة تامة»[7].

---

(١) [البقرة: ١١٩].

(٢) الوابل الصيب (ص: ١١٩).

(٣) بدائع الفوائد (٢/ ٩٣)

(٤) جامع العلوم والحكم (ص:٢٧٦).

(٥) مجموع الفتاوى (٥/ ٢٣٩)

(٦) [الإسراء:١١١].

(٧) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٣٥٢)

قوله: الخبر المشهور. يقصد حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: {أَحبُّ الكلام إلى الله تعالى أربع، لا يضرك بأيِّهنَّ بدأت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر}(١).

كذلك ورد أنَّهنَّ أحبُّ إليه مِمَّا طلعت عليه الشمس، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: {لأن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحبُّ إلي ممّا طلعت عليه الشمس}(٢).

كذلك ما ورد أنَّه ليس أحد أفضل عند الله من مؤمن يعمر في الإسلام يكثر تكبيره وتسبيحه وتهليله وتحميده، فعن عبد الله بن شداد رضي الله عنه: {أنَّ نفرًا من بني عُذْرَة ثلاثةً أتوا النبيَّ ﷺ فأسلموا، قال: فقال النبي ﷺ: من يكفينيهم؛ قال طلحةُ: أنا، قال: فكانوا عند طلحة، فبعث النبي ﷺ بعثاً فخرج فيه أحدُهم فاستشهدَ، قال: ثم بَعَثَ بعثاً آخر، فخرج فيهم آخر فاستشهد، قال: ثم مات الثالثُ على فراشه، قال طلحة: فرأيت هؤلاء الثلاثة الذين كانوا عندي في الجنة، فرأيت الميت على فراشه أمامهم، ورأيت الذي استُشهد أخيرًا يليه، ورأيت الذي استُشهد أولَهم آخرَهم، قال: فدخلني من ذلك، قال: فأتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له، قال: فقال رسول الله ﷺ: ما أنكرتَ من ذلك، ليس أحدٌ أفضل عند الله من مؤمن يُعمّرُ في الإسلام يَكثُر تكبيرُه وتسبيحُه وتهليله وتحميده}(٣).

كذلك ما ورد أنَّ الله اختار هؤلاء الكلمات واصطفاهنَّ لعِباده، ورتّب على ذِكر

---

(١) صحيح مسلم (٣/ ١٦٨٥، ح٢١٣٧).

(٢) صحيح مسلم (٤/ ١٠٧٢، ح٢٦٩٥).

(٣)مسند أحمد (١/ ١٦٣، ح١٤٠١). وسنن النسائي الكبرى (٦/ ٢٠٩، ح١٠٦٧٤). وحسنه العلامة الألباني في الصحيحة (٢/ ٢٥٤، ح ٦٥٤).

الله بهنّ أجورًا عظيمةً، وثواباً جزيلاً، فعن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ قال: {إنَّ الله اصطفى من الكلام أربعاً: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فمن قال: سبحان الله كُتب له عشرون حسنة، وحُطّت عنه عشرون سيّئة، ومن قال: الله أكبر فمثل ذلك، ومن قال: لا إله إلا الله فمثل ذلك، ومن قال: الحمد لله رب العالمين مِن قِبَل نفسِهِ كُتبت له ثلاثون حسنة، وحُطّ عنه ثلاثون خطيئة}(١).

كذلك ما ورد أنَّهنّ ثقيلاتٌ في الميزان، فعن أبي سلمة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: {بَخٍ بَخٍ، -وأشار بيده بخمس- ما أثقلهنّ في الميزان: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، والولدُ الصالح يُتوفى للمرء المسلم فيحتسبُه}(٢).

قوله: أما لدى الإطلاق فالتهليل أفضل...

يقصد بالإطلاق: الأذكار المطلقة غير المقيدة بزمان أو مكان أو حال، وأن أفضلها على الإطلاق التهليل، وذلك لأن التهليل صريح في التوحيد، أما التسبيح وغيره فهو متضمن له دال عليه.

والتهليل: هو قول: لا إله إلا الله.

ودليل تفضيل التهليل أنَّ النبي ﷺ أخبر أنَّها أفضلُ الذِّكر، فعن جابر بن عبد

(١) مسند أحمد (٢/ ٣١٠، ح٨٠٧٩). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٨٧): "رجاله رجال الصحيح". وسنن النسائي الكبرى (٦/ ١٠٤، ح٢٩٨٢٧). وصححه الألباني في صحيح الجامع (ح١٧١٨).

(٢) مسند أحمد (٣/ ٤٤٣، ح١٥٧٠٠). وسنن النسائي الكبرى (٦/ ٥٠، ح٩٩٩٥). صحيح ابن حبان (٣/ ١١٤، ح٨٣٣). وصححه الأرنؤوط، والمستدرك (١/ ٦٩٢، ح١٨٨٥)، وقال: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه". وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٤٩): "رواه أحمد ورجاله ثقات". وصححه الألباني في الصحيحة (ح١٢٠٤).

الله(١) رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: {أفضل الذِّكر: لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء: الحمد لله}(٢).

كذلك لأنها أفضلُ الأعمال وأكثرُها تضعيفاً، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: {من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملكُ وله الحمدُ وهو على كلِّ شيء قديرٌ في يوم مائة مرّة كانت له عِدْل عشر رقاب، وكُتب له مائة حسنة، ومُحي عنه مائة سيّئة، ولم يأت أحدٌ بأفضل مما جاء به، إلا أحدٌ عملَ أكثرَ من ذلك}(٣).

كذلك لأنها أفضل ما قاله النبيّون، فقد قال رسول الله ﷺ: {أفضل ما قلتُ أنا والنبيّون عشيةَ عَرَفَةَ: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملكُ وله الحمدُ وهو على كلِّ شيء قدير}(٤).

كذلك لأنها ترجحُ بصحائف الذنوبِ يوم القيامة، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنَّه قال: {يُصاح برجل من أمّتي على رؤوس الخلائق يوم القيامةِ، فيُنشر له تسعةٌ وتسعون سِجلاً، كلُّ سِجِلٍّ منها مدّ البصر، ثم يقول الله

---

(١) هو الصحابي الجليل، جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب الأنصاري السلمي يكنى أبا عبد الله وأبا عبد الرحمن وأبا محمد على أقوال. أحد المكثرين عن النبي ﷺ، وروى عنه جماعة من الصحابة، وله ولأبيه صحبة. وكان قد شهد العقبة، قيل مات سنة:(٧٨هـ)، وقيل مات جابر بعد أن عُمِّر فأوصى ألا يصلي عليه الحجاج. وقيل مات سنة :٧٤ ، ويقال مات سنة :٧٣ ، ويقال إنه عاش أربعاً وتسعين سنة. انظر: الإصابة (١/ ٢٤٣-٢٤٤).

(٢) سنن الترمذي (٥/ ٤٦٢، ح٣٣٨٣)، وقال: "هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث موسى بن إبراهيم وقد روى علي بن المديني وغير واحد عن موسى بن إبراهيم هذا الحديث". ومستدرك الحاكم (١/ ٦٨١، ح١٨٥٢)، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه". وحسنه العلامة الألباني في صحيح الجامع (ح١٤٩٧).

(٣) صحيح البخاري (٣/ ١١٩٨، ح٣١١٩). وصحيح مسلم (٤/ ٢٠٧١، ح٢٦٩١).

(٤) أخرجه الطبراني في فضل عشر ذي الحجة (١/ ٥٥، ح٥١). وحسنه الألباني في الصحيحة (ح١٥٠٣).

تبارك وتعالى له: أَتُنكر من هذا شيئاً؟ فيقول: لا يا ربّ. فيقول ﷻ: أَلَكَ عُذر أو حسنة؟ فيهاب الرجل، فيقول: لا يا رب. فيقول ﷻ: بلى إنَّ لك عندنا حسنة، وإنَّه لا ظلم عليك، فتُخرجُ له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا عبده ورسوله، فيقول: يا رب! ما هذه البطاقة مع هذه السِجلاَّت؟ فيقول ﷻ: إنَّك لا تُظلم، قال: فتُوضَع السجلات في كِفَّة والبطاقة في كِفَّة، فطاشت السِجلاَّت وثقُلت البطاقة}[(١)].

كذلك لأنها لو وُزِنت بالسموات والأرض رجحت بهنّ، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: {إنَّ نوحاً قال لابنه عند موته: آمُرُك بلا إله إلا الله، فإنَّ السموات السبع والأرضين السبع لو وُضعت في كفة، ووُضعت لا إله إلا الله في كفة رجحت بهنّ لا إله إلا الله، ولو أنَّ السموات السبع في حلقة مبهمة لقصمتهنّ لا إله إلا الله}[(٢)].

كذلك لأنها نجاةٌ لقائلها من النار، فعن عِتبان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنَّه قال: {إنَّ الله حرّم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله}[(٣)].

كذلك لأن النبي ﷺ جعلها أفضل شُعب الإيمان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: {الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة

(١) سنن الترمذي (٥/ ٢٤، ح٢٦٣٩)، وقال: "حسن غريب". وسنن ابن ماجه (٢/ ١٤٣٧، ح٤٣٠٠). ومسند أحمد (٢/ ٢١٣، ح٦٩٩٤). والحاكم في المستدرك (١/ ٤٦، ح٩)، وقال: " هذا حديث صحيح لم يخرج في الصحيحين وهو صحيح على شرط مسلم ". وصححه الألباني في الصحيحة (١/ ١٣٤، ح١٣٥).

(٢) مسند أحمد (٢/ ١٦٩، ح٦٥٨٣). وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ١٣٣، ح١٣٤).

(٣) صحيح البخاري (٦/ ٢٥٤٢، ح٦٥٣٩). وصحيح مسلم (١/ ٤٥٤، ح٢٦٣).

الأذى عن الطريق}[1].

كذلك لأن من قالها خالصاً من قلبه يكون أسعد الناس بشفاعة الرسول الكريم ﷺ يوم القيامة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّه قال: {قيل: يا رسول الله! من أَسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أول منك، لما رأيت من حِرصك على الحديث، أَسعدُ الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه}[2].

قوله: كذاك الاستغفار. أصل الغفر التغطية والستر... غفر الله ذنوبه، أي: سترها، والغفر والمغفرة التغطية على الذنوب والعفو عنها[3]، ومعناه: طلب مغفرة الذنوب من الله عز وجل.

وإذا جاء مفردًا فله معنى، وإذا قرن بالتوبة له معنى آخر.

قال ابن القيم رحمه الله: «وأما الاستغفار فهو نوعان: مفرد، ومقرون بالتوبة.

فالمفرد: كقول نوح عليه السلام لقومه: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾[4]، وكقول صالح لقومه: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾[5]، وكقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ

(١)صحيح مسلم (١/ ١٢، ح٣٥).

(٢) صحيح البخاري (١/ ٤٩، ح٩٩).

(٣) لسان العرب (٦/ ٢٣٧٣). النهاية في غريب الحديث (٣/ ٣٧٣)

(٤) [نوح:١٠-١١]

(٥) [النمل:٤٦]

(٦) [البقرة:١٩٩]

يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[١].

والمقرون: كقوله تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ ﴾[٢]، وقول هود لقومه: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ ﴾[٣]، وقول صالح لقومه: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ﴿٦١﴾ ﴾[٤]، وقول شعيب لقومه: ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴿٩٠﴾ ﴾[٥].

فالاستغفار المفرد كالتوبة، بل هو التوبة بعينها، مع تضمنه طلب المغفرة من الله، وهو محو الذنب، وإزالة أثره، ووقاية شره، لا كما ظنه بعض الناس: أنه الستر. فإن الله يستر على من يغفر له ومن لا يغفر له، ولكن الستر لازم مسمَّاه أو جزؤه. فدلالتها عليه إما بالتضمن وإما باللزوم. وحقيقته: وقاية شر الذنب، فهو الذي يمنع العذاب، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[٦].

وأما عند اقتران إحدى اللفظتين بالأخرى؛ فالاستغفار: طلب وقاية شر ما مضى. والتوبة: الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله. فها هنا ذنبان: ذنب قد مضى؛ فالاستغفار منه: طلب وقاية شره. وذنب يخاف وقوعه؛ فالتوبة: العزم على ألا يفعله. والرجوع إلى الله يتناول النوعين: رجوع إليه ليقيه شر ما

(١) [الأنفال:٣٣]

(٢) [هود:٣]

(٣) [هود:٥٢]

(٤) [هود:٦١]

(٥) [هود:٩٠]

(٦) [الأنفال:٣٣]

مضى، ورجوع إليه ليقيه شر ما يستقبل من شر نفسه وسيئات أعماله.

وأيضًا فإن المذنب بمنزلة من ركب طريقًا تؤديه إلى هلاكه، ولا توصله إلى المقصود، فهو مأمور أن يوليها ظهره، ويرجع إلى الطريق التي فيها نجاته، والتي توصله إلى مقصوده وفيها فلاحه.

فهاهنا أمران لا بد منهما: مفارقة شيء، والرجوع إلى غيره، فخصت (التوبة) بالرجوع، و(الاستغفار) بالمفارقة، وعند إفراد أحدهما يتناول الأمرين؛ ولهذا جاء – والله أعلم – الأمر بهما مرتبًا بقوله: ﴿ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾، فإنه الرجوع إلى طريق الحق بعد مفارقة الباطل.

وأيضًا: فالاستغفار من باب إزالة الضرر، والتوبة طلب جلب المنفعة.

فالمغفرة: أن يقيه شر الذنب. والتوبة: أن يحصل له بعد هذه الوقاية لما يحبه، وكل منهما يستلزم الآخر عند إفراده والله أعلم»[(١)].

ويقصد الناظم رحمه الله بقوله: (كذا الاستغفار) أي: كذلك الاستغفار فضله عظيم، وفوائده لا تحصى، لذلك هو من أفضل الذكر.

ومن فضائله وفوائده[(٢)]:

١- أنه سبب لمغفرة الذنوب ومحوها وتكفير السيئات.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ١١٠﴾[(٣)].

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٣٤-٣٣٦).

(٢) الإستغفار صفته وأحكامه وآثاره دراسة عقدية، أحمد القصير(١/ ٤٣-٦٨) باختصار.

(٣) [النساء:١١٠].

وقـال تعـالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾(١).

وجاء في الحديث القدسي: {يا عبادي! إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا، فاستغفروني أغفر لكم}(٢).

وعن النبي ﷺ فيما يروى عن ربه عز وجل أنه قال: { يا ابن آدم! إنك ما دعوتني ورجوتني فإني سأغفر لك على ما كان فيك، ولو لقيتني بقراب(٣) الأرض خطايا للقيتك بقرابها مغفرةً، ولو عملت من الخطايا حتى تبلغ عنان السماء ما لم تشرك بي شيئاً ثم استغفرتني لغفرت لك ثم لا أبالي}(٤).

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ فيما يحكي عن ربه عز وجل قال: {أذنب عبد ذنبًا فقال: اللهم اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبًا فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب. ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب! اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنبًا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب. ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبًا فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، واعمل ما شئت فقد غفرت لك. قال: لا أدري أقال في الثالثة أو الرابعة: اعمل ما شئت}(٥).

---

(١) [آل عمران:١٣٥].

(٢) صحيح مسلم (٤/ ١٩٩٤، ح٢٥٧٧)

(٣) القراب: قراب الأرض أي بما يقارب ملأها.

(٤) سنن الترمذي (٥/ ٥٥٤٨، ح٣٥٤٠)، وقال: "غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه". ومسند أحمد(٥/ ١٦٧، ح٢١٥١٠). وصححه الألباني في الصحيحة (١٢٧-١٢٨).

(٥) صحيح البخاري (٦/ ٢٧٢٥، ح٧٠٦٨). وصحيح مسلم (٤/ ٢١١٢، ح٢٧٥٨) واللفظ له.

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: {إن لله عز وجل ملائكةً فضلاً يتبعون مجالس الذكر يجتمعون عند الذكر، فإذا مروا بمجلسٍ علا بعضهم على بعضٍ حتى يبلغوا العرش، فيقول الله عز وجل لهم وهو أعلم: من أين جئتم؟ فيقولون: من عند عبيدٍ لك، يسألونك الجنة، ويتعوذون بك من النار، ويستغفرونك، فيقول عز وجل: يسألوني جنتي، هل رأوها؟ فكيف لو رأوها؟ ويتعوذون من ناري، فكيف لو رأوها؟ فإني قد غفرت لهم، فيقولون: ربنا إن فيهم عبدك الخطاء فلانًا، مر بهم لحاجةٍ له فجلس إليهم، فقال الله عز وجل: أولئك الجلساء لا يشقى بهم جليسهم}(1).

وعنه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: {ما من رجلٍ يذنب ذنبًا، ثم يقوم فيتطهر، ثم يصلي، ثم يستغفر الله، إلا غفر له، ثم قرأ هذه الآية: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾(2)}(3).

٢- **الاستغفار سبب للمتاع الحسن في الدنيا،** قال تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ ﴾(4).

٣- **الاستغفار سبب لإنزال الخيرات وإعطاء القوة،** قال تعالى: ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ

(١) صحيح البخاري (٥/ ٢٣٥٣، ح٦٠٤٥). وصحيح مسلم (٤/ ٢٠٦٩، ح٢٦٨٩) واللفظ له.

(٢) [آل عمران:١٣٥].

(٣) سنن الترمذي (٢/ ٢٥٨، ح٤٠٦). وسنن النسائي الكبرى (٦/ ١١٠، ح١٠٢٥٠). وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١/ ٤٠٦، ح٤٠٦).

(٤) [هود:٣].

وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ ﴾[2].

٤- **الاستغفار أمان من الهلاك والعقوبة**، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[3].

٥- **الاستغفار سبب للمغفرة ولدخول الجنة**، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾[4].

٦- **الاستغفار سبب لإجابة الدعاء**، قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾[5].

٧- **الاستغفار سرور لصاحبه يوم القيامة**، يوم يجد صحيفته مملوءة بالاستغفار، فعن الزبير: أن رسول الله ﷺ قال: {من أحب أن تسره صحيفته؛ فليكثر فيها من

---

(١) [هود: ٥٢].

(٢) [نوح: ١٠-١٢].

(٣) [الأنفال: ٣٣]

(٤) [آل عمران: ١٣٥-١٣٦]

(٥) [هود:٦١].

الاستغفار}[1].

٨- **الاستغفار سبب لانشراح الصدر**، قال ﷺ: {إنه ليغان[2] على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرةٍ}[3].

٩- **الاستغفار سبب رفع البلاء عن المستغفرين**. قال الله سبحانه في شأن نبيه يونس عليه السلام: ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[4].

١٠- الاستغفار سبب لصفاء القلب ونقائه:

فالذنوب تترك أثراً سيئاً وسواداً على القلب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: {إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه، وإن زاد زادت حتى يعلو قلبه ذاك الران[5] الذى ذكر الله عز وجل في القرآن ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[6]}[7].

١١- الاستغفار سبب لزوال الهم والغم وتفريج الكرب:

قال رسول الله ﷺ: {من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل

(١) المعجم الأوسط للطبراني (١/ ٢٥٦، ح٨٣٩). وشعب الإيمان للبيهقي(١/ ٤٤١، ح٦٤٨). وقال في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٠٨): "ورجاله ثقات". والألباني في الصحيحة (٥/ ٣٧٧، ح٢٢٩٩).

(٢) يغان: يغطى، الصحاح (٦/ ٢١٧٥).

(٣) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٧٥، ح٢٧٠٢).

(٤) [الصافات:١٤٣-١٤٤].

(٥) الران: الغطاء، صقل: جلى، النكتة: الأثر القليل كالنقطة، تهذيب اللغة (١٥/ ١٦٢).

(٦) [المطففين:١٤].

(٧) سنن ابن ماجه (٢/ ١٤١٨، ح٤٢٤٤). ومسند أحمد (٢/ ٢٩٧، ح٧٩٣٩). وشعب الإيمان للبيهقي (٥/ ٤٤٠، ح٧٢٠٣). وحسنه الألباني في صحيح وضعيف ابن ماجه (٩/ ٢٤٤ح٤٢٤٤).

ضيق مخرجاً، ومن كل بلاء عافية}[(١)].

قوله: الحوقله. أي: قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، وهذا اختصار عند العرب نظرًا لكثرة استعمالها، فتضم بعض حروف الكلمات إلى بعض حروف الأخرى[(٢)].

وورد في بيان معناها عدة آثار، منها: قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: [[أي: لا حول بنا على العمل بالطاعة إلاّ بالله، ولا قوة لنا على ترك المعصية إلاّ بالله]][(٣)].

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: [[أي لا حول عن معصية الله إلاّ بعصمته، ولا قوة على طاعته إلاّ بمعونته]][(٤)].

وقيل معناها: «لا حول في دفع شر، ولا قوة في تحصيل خير إلاّ بالله»[(٥)].

وورد في فضلها:

١- أنَّها مع الكلمات الأربع تكفر الذنوب، قال رسول الله ﷺ: {ما على الأرض رجل يقول: لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، إلا كفرت عنه ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر}[(٦)].

---

(١) سنن أبي داود (٢/ ٨٥، ح١٥١٨). وسنن ابن ماجه (٢/ ١٢٥٤، ح٣٨١٩). والمعجم الكبير للطبراني (١٠/ ٢٨١، ح١٠٦٦٥). وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٢/ ١٤٢، ح٧٠٥).

(٢) تهذيب اللغة (٥/ ٣٧٠). لسان العرب (١٥/ ١٢٣)

(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٩٣)، ونسبه لابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٤) ذكره النووي في شرحه لصحيح مسلم(٤/ ٨٧).

(٥) سنن البيهقي (١/ ٢٧)، ومسند البزار (٥/ ٣٧٤، ح٢٠٠٤)، وقال: "وهذا الحديث لم نسمعه موصلاً عن القاسم عن أبيه عن عبد الله إلا من هذا الوجه". وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٩٩): "رواه البزار بإسنادين أحدهما منقطع، وفيه عبدالله بن خراش، والغالب عليه الضعف، والآخر متصل حسن".

(٦) مسند أحمد (٢/ ١٥٨، ح٦٤٧٩). وسنن النسائي الكبرى (٦/ ٢٠٦، ح١٠٦٥٨). وصححه

٢- أنَّها مع الكلمات الأربع أحبّ الكلام إلى الله، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: {ما على الأرض رجلٌ يقول: لا إله إلاّ الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله، إلاّ كُفِّرت عنه ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر}(١).

وقال رسول الله ﷺ: {أحب الكلام إلى الله: سبحان الله لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله، سبحان الله وبحمده}(٢).

٣- أنها من الباقيات الصالحات التي قال الله عنها: ﴿وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ٤٦﴾(٣).

فعن أبي سعيد الخدري(٤) رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: {استكثروا من الباقيات الصالحات، قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: التكبير والتهليل والتسبيح والحمد ولا حول ولا قوة إلاّ بالله}(٥).

الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٤٨، ح٦٠٧).

(١) تقدم تخريجه (ص:٣٤٥).

(٢) البخاري في "الأدب المفرد" (٦٣٨).

(٣) [الكهف:٤٦].

(٤) هو سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخزرجي الخدري، أبو سعيد، غزا مع رسول الله ﷺ اثنتي عشرة غزوة، وكان ممن حفظ عن رسول الله ﷺ سننا كثيرة، توفي سنة ٧٤ هـ. انظر: ترجمته في الاستيعاب (ص:٢٨٦). والإصابة (٣/ ٨٥-٨٦).

(٥) مسند أحمد (٣/ ٧٥، ح١١٧٣١). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٨٧): "رواه أحمد وأبو يعلى، إلا أنه قال: وما هن؟ بدل: وما هي؟ وإسنادهما حسن". وصحيح ابن حبان(٣/ ٢١، ح٨٤٠). والمستدرك للحاكم (١/ ٦٩٤، ح١٨٨٩). وضعف إسناده الأرنؤوط في تعليقه على ابن حبان (٣/ ١٢١، ح٨٤٠). والألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (١/ ٢٣٧، ح٩٤٦).

٤- أنَّها كنزٌ من كنوز الجنة، فعن أبي موسى الأشعري[١] رضي الله عنه قال: {كنا مع النبي ﷺ في سفر، فكنا إذا علونا كبّرنا، وفي رواية: فجعلنا لا نعلو شرفاً ولا نهبط في واد إلاّ رفعنا أصواتنا بالتكبير، فقال النبي ﷺ: أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنّكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً، ولكن تدعون سميعاً بصيراً، ثم أتى عليّ وأنا أقول في نفسي: لا حول ولا قوة إلاّ بالله، فقال: يا عبد الله بن قيس، قل: لا حول ولا قوة إلاّ بالله فإنَّها كنزٌ من كنوز الجنة، أو قال: ألا أدلك على كلمة هي كنزٌ من كنوز الجنة؟ لا حول ولا قوة إلاّ بالله}[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: {أكثروا من قول: لا حول ولا قوة إلاّ بالله، فإنَّها كنزٌ من كنوز الجنة}[٣].

قال النووي رحمه الله: «ومعنى الكنز هنا أنَّه ثواب مدخرٌ في الجنة، وهو ثوابٌ نفيسٌ كما أنَّ الكنز أنفس أموالكم»[٤].

وقال ابن حجر رحمه الله: «كنزٌ من كنوز الجنة من حيث أنَّه يدخر لصاحبها من الثواب ما يقع له في الجنة موقع الكنز في الدنيا؛ لأنَّ من شأن الكانز أن يعد كنزه لخلاصه مما ينوبه والتمتع به فيما يلائمه»[٥].

٥- أنَّها من غراس الجنة، فعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ ليلة

---

(١) هو عبد الله بن قيس بن سليم الأشعري، أبو موسى، صاحب رسول الله ﷺ، حسن الصوت بالقرآن، قيل إنه توفي سنة ٤٢ هـ، وقيل غير ذلك. انظر ترجمته في الاستيعاب (ص:٤٣٢-٤٣٣). والإصابة (٤/ ١١٩-١٢٠).

(٢) صحيح البخاري (٥/ ٢٣٤٦، ح٦٠٢١). وصحيح مسلم(٤/ ٢٠٧٦، ح٢٧٠٤).

(٣) مسند أحمد (٢/ ٣٣٣، ح٨٣٨٧). وصححه الألباني في الصحيحة (٤/ ١٠٢، ح١٥٢٨).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (١٧/ ٢٦).

(٥) نقله ابن علان في الفتوحات الربانية (١/ ٢٣٨).

أسري به مرَّ إبراهيم على نبينا ﷺ فقال: {يا محمد! مُرْ أمَّتَك أن يكثروا من غراس الجنة، قال: وما غراس الجنة؟ قال: لا حول ولا قوة إلاّ بالله}(١).

٦- أنَّها بابٌ من أبواب الجنة، فعن قيس بن سعد بن عبادة أنَّ أباه دفعه إلى النبي ﷺ يخدمه، قال: فمرّ بي النبي ﷺ وقد صليت فضربني برجله، وقال: {ألا أدلك على باب من أبواب الجنة؟ قلت: بلى، قال: لا حول ولا قوة إلاّ بالله}(٢).

٧- تصديق الله لمن قالها، وكذلك لا تمسه النار، فعن الأغر أبي مسلم، أنَّه شهد على أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أنَّهما شهدا على رسول الله ﷺ أنَّه قال: {إذا قال العبد: لا إله إلاّ الله والله أكبر، قال: يقول الله تبارك وتعالى: صدق عبدي، لا إله إلاّ أنا وأنا أكبر، وإذا قال: لا إله إلاّ الله وحده، قال: صدق عبدي لا إله إلاّ أنا وحدي، وإذا قال: لا إله إلاّ الله لا شريك له، قال: صدق عبدي لا إله إلاّ أنا لا شريك لي، وإذا قال: لا إله إلاّ الله، له الملك وله الحمد، قال: صدق عبدي، لا إله إلاّ أنا لي الملك ولي الحمد، وإذا قال: لا إله إلاّ الله ولا حول ولا قوة إلاّ بالله، قال: صدق عبدي لا إله إلاّ أنا ولا حول ولا قوة إلاّ بي. ثم قال الأغر شيئاً لم أفهمه، قلتُ لأبي جعفر: ما قال؟ قال: «من رُزِقهنّ عند موته لم تمسّه النار}(٣).

---

(١) مسند أحمد (٥/ ٤١٨، ح٢٣٥٩٨). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٩٧): "رواه أحمد والطبراني ... ورجال أحمد رجال الصحيح غير عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله بن عمر بن الخطاب، وهو ثقة لم يتكلم فيه أحد، ووثقه ابن حبان". وشعب الإيمان للبيهقي (٢/ ١٥٨، ح٦٤٨). وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ١١٦): "صحيح لغيره".

(٢) سنن الترمذي (٥/ ٥٧٠، ح٣٥٨١). ومسند أحمد (٣/ ٤٢٢، ح١٥٥١٨). والمستدرك للحاكم (٤/ ٣٢٣، ح٧٧٨٧)، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه". وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٩٧): "رواه أحمد والطبراني ... ورجالهما رجال الصحيح غير عطاء بن السائب، وقد حدث عنه حماد بن سلمة قبل الاختلاط". وانظر: الصحيحة (٤/ ٣٥- ٣٧).

(١) سنن ابن ماجه (٢/ ١٢٤٦، ح٣٧٩٤). صحيح ابن حبان (٣/ ١٣١، ح٨٥١)، قال شعيب الأرنؤوط:

قوله: كما روته السنة المفضلة. وقد ذكرت أفضليته الاستغفار والحوقلة وفضائلهن من السنة في صدر البيت: (كذاك الاستغفار ثم الحوقلة) دمجتها مع آيات القرآن.

معنى الأبيات إجمالاً:

يوضح الناظم ﵀ هنا أن أفضل الذكر هو القرآن كلام الله كما صح الخبر في ذلك عن رسول الله ﷺ، وأفضل الذكر بعد القرآن الأذكار التي صحت وثبتت عن رسول الله ﷺ الذي اصطفاه الله ﷻ من بين الخلق فجعله رسولاً، والمبشر العاملين بالأعمال الصالحة الثواب العظيم من الله ﷻ.

ومن الأذكار المأثورة التي ورد فضلها على غيرها من الأذكار الحمد والتسبيح والتكبير كما ورد في الحديث الذي اشتهر ذكره.

ثم يشير الناظم ﵀ إلى أن هذا الحكم ليس على عمومه، فقول: لا إله إلا الله أفضل الذكر على الإطلاق، ويلحق به الاستغفار، وقول: لاحول ولا قوة إلا بالله، فإن إطلاق فضلهما روي في السنة في أحاديث الفضائل.

"إسناده صحيح على شرط مسلم". وصححه الألباني في الصحيحة (٣/ ٣٧٨، ح١٣٩٠).

٢٩٨ - فــاذكرْ إلــه العــالمين دائــما ودُمْ عــلى أذكــاره مُلازمــا
٢٩٩ - مستحضـرا يا صاحِ معنى الـذكرِ لأنــه مفتــاحُ بــابِ الســر
٣٠٠ - فالــذكرُ إن لم تــدرِ مــا معنــاهُ فحظُّــه اللســانُ لا ســواهُ
٣٠١ - ولــيس يُجــدي الــذكر باللســانِ شــيئًا إذا لم يــكُ في الجَنَــانِ
٣٠٢ - لأن ذكـــرَ الجاهـــلِ المغـــرورِ ضــربٌ مــن التمويــهِ والتزويــرِ
٣٠٣ - وغايــةُ الــذكر الــذي لا يفهــمُ معنــىً كــدعوى حُــبٍّ مــن لا يعلــمُ

قوله: فاذكر إله العالمين دائمًا. الذكر هنا أعم من الأذكار، وهو ضد الغفلة.

قال الهروي: «الذكر هو التخلص من الغفلة والنسيان»(١).

وقال الأشرفي: «الذكر نوعان: قلبي ولساني والأول أعلاهما... وهو أن لا ينسى الله على كل حال»(٢).

ومما ورد في الحث على الذكر: قوله تعالى: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾(٣).

ومما ورد في النهي عن الغفلة عنه: قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩ ﴾(٤).

قوله: ودم على أذكاره ملازمًا. أي: داوم على الأذكار المطلقة والمقيّدة ولازمها في كل وقت.

(١) الأذكار، النووي، (١/ ٦٠).

(٢) فيض القدير للمناوي (٥/ ٢١٤).

(٣) [البقرة:١٥٢]

(٤) [الحشر:١٩]

فقد أمر الله عز وجل بالمداومة على ذكره في آيات كثيرة، منها:

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾[1].

والشاهد من الآية قوله: ﴿كَثِيرًا﴾ وقوله في التسبيح وهو من الذكر ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أي: أول النهار وآخره من كل يوم.

ومنها: قوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾[4].

ووعد الله عز وجل الذاكرين كثيرًا الأجر العظيم، كما قال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾[5]. وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾[6].

كما حذر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين من الغفلة عن ذكر الله وبيّن عقوبة الغافلين في آيات كثيرة، منها:

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ

(١) [الأحزاب:٤١-٤٢]

(٢) [النساء:١٠٣]

(٣) [ق:٤٠]

(٤) [البقرة:٢٠٠]

(٥) [الأحزاب:٣٥]

(٦) [الجمعة:١٠]

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾﴾[(١)]. وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾[(٢)]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾[(٣)].

وكذلك رسول الله ﷺ وصف المداومين والملازمين على ذكره بأنهم مفرّدون سابقون لجميع العاملين، فقال ﷺ: {سيروا هذا جمدان سبق المفرّدون. قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيراً والذاكرات}[(٤)].

وأوصى ﷺ الأعرابي الذي طلب شيئًا يتشبّث به. فقال له: {لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله}[(٥)].

وتوّعد الغافلين عن ذكر الله في مجلس واحد بأنه سيكون عليهم ذلك المجلس حسرة يوم القيامة، فقال ﷺ: {ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان لهم حسرة}[(٦)].

قوله: مستحضراً يا صاح معنى الذكر.

الاستحضار لمعنى الذكر هو: حضور القلب لمعناه.

---

(١) [المنافقون:٩]

(٢) [طه:١٢٤]

(٣) [الزخرف:٣٦]

(٤) تقدم تخريجه (ص:٣٢٥).

(٥) سنن الترمذي (٥/ ٤٥٨، ح٣٣٧٥). وسنن ابن ماجه (٢/ ١٢٤٦، ح٣٧٩٣). ومسند أحمد (٤/ ١٨٨، ح١٧٧١٦). والمستدرك للحاكم (١/ ٦٧٢، ح١٨٢٢)، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه". وصححه في الجامع (ح١٣٦٥٨).

(٦) سنن أبي داود (٤/ ٢٦٤، ح٤٨٥٥). وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/ ٢، ح٤٨٥٥).

وقد جعله النووي رحمه الله المراد والغاية من الذكر، فقال: «..المراد من الذكر حضور القلب، فينبغي أن يكون هو مقصود الذاكر فيحرص على تحصيله»(١).

وجعله ابن العربي(٢) رحمه الله لازمًا لابد منه، فقال: «وحضور قلب الذاكر عند نطقه بشيء من الأسماء الإلهية لابد منه»(٣).

وعلى الذاكر أن يحرص على تحصيل حضور القلب لمعنى الذكر، وذلك من خلال الآتي(٤):

١- طلب العون من الله على الذكر، وهو من أعظمها أثرًا.

٢- تدبر معاني ما يذكره.

٣- مجاهدة القلب على ذلك.

٤- الابتعاد عن الشواغل الصارفة عن الاستحضار.

٥- تحيّن الأوقات والأحوال المناسبة.

٦- تعلم أسماء الله عز وجل وصفاته.

٧- استحضار واستشعار عظم صفات الخالق سبحانه وتعالى عند البدء في الذكر.

٨- مد الذكر عند وجود سبب المد؛ لما له من أثر في حضور القلب.

كما قال النووي رحمه الله: (استحباب مد الذاكر قول: لا حول ولا قوة إلا بالله لما فيه

---

(١) الأذكار (ص: ١٢).

(٢) هو القاضي أبو بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي، إمام من أئمة الفقه والتاريخ، ولد بأشبيلية سنة (٤٦٨هـ)، وتوفي سنة (٥٤٣هـ). انظر: طبقات المالكية (ص: ١٣٦).

(٣) فيض القدير للمناوي (٤/ ٥٢٢).

(٤) المباحث العقدية المتعلقة بالأذكار، (١/ ٢٣٦).

من التدبر)[1].

٩- الطهارة الحسّية.

١٠- ذكر الله عزّ وجل بما شرعه وبما ذكره به رسوله محمد ﷺ.

١١- السكينة والوقار أثناء ترديد الذكر، أما ما تفعله الصوفية من الميلان والرقص والدوران وضرب الجسد والصراخ أثناء الذكر، فكل هذا يقضي على حضور القلب حتى ولو ذكروا الله بالقرآن وصحيح الأذكار.

وقوله: يا صاح. سبق بيان معناها في البيت رقم (٢٧٢).

قوله: لأنه مفتاح باب السر. يقصد الناظم رحمه الله بذلك أن حضور القلب أثناء الذكر واستحضار معاني الأذكار واستشعارها هو المفتاح الموصل إلى الجنة.

قال رسول الله ﷺ: {من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه دخل الجنة}[2].

قوله: فحظّه اللسان لا سواه. أي: لا يتجاوزه فيصبح ضعيف الأثر لفقده المؤثر، وهو المعرفة بمعاني الأذكار.

قوله: وليس يجدي الذكر باللسان... في الجَنان.

قوله: يجدي. من الجدوى وهي الأثر والفائدة.

وقوله: في الجنان. أي: في القلب؛ وسمي بذلك لاجتنانه، أي: استتاره داخل الصدر.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «فإن الناس في الذكر أربع طبقات:

(١) الأذكار (ص: ١٢).

(٢) تقدم تخريجه ص:٣٣٨.

إحداها: الذكر بالقلب واللسان وهو المأمور به.

الثاني: الذكر بالقلب فقط، فإن كان مع عجز اللسان فحسن، وإن كان مع قدرته فترك للأفضل.

الثالث: الذكر باللسان فقط، وهو كون لسانه رطبا بذكر الله.

الرابع: عدم الأمرين، وهو حال الخاسرين»[١].

وقال ابن القيم رحمه الله: «وإنما كان ذكر القلب أفضل من ذكر اللسان وحده لأن ذكر القلب يثمر المعرفة ويهيج المحبة ويثير الحياء ويبعث على المخافة ويدعو إلى المراقبة، ويزع عن التقصير في الطاعات والتهاون في المعاصي والسيئات، وذكر اللسان وحده لا يوجب شيئًا منها فثمرته ضعيفة»[٢].

وقال أيضاً رحمه الله: «وأفضل الذكر وأنفعه ما واطأ فيه القلب اللسان، وكان من الأذكار النبوية وشهد الذاكر معانيه ومقاصده»[٣].

وقال الحليمي[٤] رحمه الله: «والذكر بالقلب أفضل؛ لأن الذكر باللسان لا يردع عن شيء، والذكر بالقلب يردع عن التقصير في الطاعات والتهافت في المعاصي والسيئات»[٥].

وسبب عدم الجدوى لأن ترديد الأذكار بطريقة مبتدعة يدل على الجهل والغفلة

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٥٦٦).

(٢) الوابل الصيب (ص: ١٢٠).

(٣) الفوائد (ص: ١٩٢).

(٤) هو القاضي العلامة، رئيس المحدثين والمتكلمين بما وراء النهر، أبو عبد الله، الحسين بن الحسن ابن محمد بن حليم الشهير بالحليمي البخاري الشافعي، أحد الأذكياء الموصوفين، ومن أصحاب الوجوه في المذهب وكان متفنناً، سيال الذهن، مناظراً، طويل الباع في الأدب والبيان وله مصنفات. توفي سنة: ٤٠٣ هـ. انظر: السير (١٧/ ٢٣١-٢٣٤).

(٥) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (١/ ٣٩٥).

التي لا يؤجر صاحبها عليها.

كما في حديث: {واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه}(١).

قوله: لأن ذكر الجاهل المغرور. هنا يبين الناظم سبب عدم جدوى مثل هذا الذكر اللساني.

ويقصد بالجاهل: الجاهل بالذكر الشرعي، وبمعناه، وعظيم المذكور سبحانه وتعالى.

والمغرور: المغتر بما معه من ذكر مبتدع يحسبه أفضل الذكر وأجره أعظم الأجر.

قوله: ضرب من التمويه والتزوير.

أي: أن ذكر مشايخ الطرق الجاهلين بالأذكار المأثورة المغرورين بأذكارهم المبتدعة لا يجدي لأنه لا يتعدى ألسنتهم أولاً ثم هو في حقيقته نوع من التمويه والتدليس على العامة لكي يستجلبوهم إلى طريقتهم. وهو كذلك نوع من الكذب والتزوير، فإنهم يتسترون بالذكر للوصول إلى غاياتهم الدنيئة.

قال القاضي عياض رحمه الله: «وقد احتال الشيطان للناس فقيَّض لهم قومَ سوء، يخترعون لهم أدعية يشتغلون بها عن الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم»(٢).

قوله: وغاية الذكر الذي لا يفهم .. كدعوى حب من لا يعلم.

هنا يشبه الناظم رحمه الله حال من يذكر الله بالأذكار المبتدعة التي لا يفهم معناها بحال من يدعي حب شخصٍ وهو لا يعلم عنه شيئًا.

والجامع بينهما عدم الأثر وعدم الصدق في كل منهما، فلا يجدي ولا يصدق ذكر

---

(١) سنن الترمذي (٥/ ٥١٧، ح٣٤٧٩). مسند أحمد (٢/ ١٧٧، ح٦٦٥٥). حسن إسناده الهيثمي (١٠/ ١٤٨). والمستدرك للحاكم (١/ ٦٧٠، ح١٨١٧)، وقال: "هذا حديث مستقيم الإسناد تفرد به صالح المري وهو أحد زهاد أهل البصرة ولم يخرجاه". وصححه الألباني في الصحيحة (٥٩٦).

(١) صحيح البخاري (٤/ ١٨٨٢). وصحيح مسلم (١/ ٥٤٩، ح٧٨٩)، واللفظ له.

(٢) انظر: الفتوحات الربانية (١/ ١٧).

الجاهل كما لا يجدي ولا يصدق حب الجاهل.

معنى الأبيات إجمالاً:

يهدي الناظم رحمه الله المريد إلى وجوب ذكر الله عز وجل دائماً وعدم الغفلة عنه، كذلك وجوب المداومة على الأذكار التي شرعها لنا ووجوب ملازمتها.

وينبهه إلى أمر مهم وهو أن يحرص على استحضار معاني الأذكار؛ لأن ذلك الاستحضار له أعظم الأثر في حصول فتوحات الذكر التي جاء الوعد بها.

أما إذا لم تعرف معنى الذكر أو لم تستحضر معناه ولم يتجاوز اللسان، فإن نصيبك منه لا يتجاوز الألفاظ، أما أثره وثمراته فمعدومة إذا لم تخالط معاني الذكر قلبك، فيستشعرها ويتأثر بها قبل لسانك.

ثم يبيّن الناظم رحمه الله سبب هذا الحكم الذي ذكره، وهو أن الأدعياء من الصوفية الجهلاء بالذكر المثمر المغترين بأذكارهم المبتدعة لا يتجاوز ذكرهم حناجرهم، وحقيقة الأمر أن مقصودهم من الذكر هو التستر به والتضليل على المريدين والجهلاء، لذلك لم يثمر ذكرهم لهم إلا التعب والنصب.

ثم يضرب الناظم رحمه الله مثالاً لأثر ذكر من يردد الأذكار بدون حضور قلب ولا استشعار لعظيم معناها، وإنما هدفه الكثرة وطاعة مشايخ الطرق بأثر حب شيء لم تسمع به ولم تعلم عنه شيئاً، فإن كلا الحالين عديم الثمرة والأثر في القلب.

٣٠٤ وليس يُرضي اللهَ حمدَ الجاهلِ	ولا يحب الله ذكر الغافل
٣٠٥ وكل من يجهلُ معنى الذكرِ	فما لَه في ذكره من أجْرْ
٣٠٦ إلا على تلاوةِ القرآنِ	فلا تُمارِ واحفظنْ بياني
٣٠٧ فاذكرْ بما تفهمُ ربًّا تعبدُهْ	واعرفْ إذا هلَّلت مَنْ توحدُهْ

قوله: وليس يرضي الله حمد الجاهل.

يقصد الناظم رحمه الله الجاهل الذي يذكر الله ويحمده بأذكار مبتدعة لا يرضاها الله عز وجل؛ لأن المقصود الأعظم من الذكر هو حضور القلب الذي لا يحصل إلا بالمعرفة وهي منتفية هنا.

قوله: ولا يحب الله ذكر الغافل.

يقصد الناظم رحمه الله بالغافل هنا الذي يردد الأذكار المبتدعة وقلبه مشتمل على الغفلة منشغل بالرقص والتمايل والطرب من السماع.

قال تعالى متوعدًا الساهين عن صلاتهم: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝٥﴾(1).

وقال عن عبادة المشركين: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا مُكَآءٗ وَتَصۡدِيَةٗۚ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ۝٣٥﴾(2).

---

(1) [الماعون:٤-٥].

(2) [الأنفال:٣٥].

قوله: وكل من يجهل معنى الذكر فما له في ذكره من أجر.

هذا الحكم من الناظم رحمه الله مبني كما ذكرنا سابقًا على القياس على عدم استجابة الدعاء من الغافل اللاهي، كما قال الرسول ﷺ: {ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه}(١).

قوله: إلا على تلاوة القرآن.

هذا استثناء من الحكم السابق، وذلك لورود الدليل بإثبات الأجر لتالي القرآن مع المشقة في التلاوة، وفهم المعنى من باب أولى أصعب من التلاوة نفسها.

كما قال الرسول ﷺ: {ومن يقرؤه وهو عليه شاق له أجران}(٢).

وكما جاء في قول الناظم(٣):

ثلاثة مقبولة من العمل إن حضر القلب لديها أو غفل
قراءة القرآن والصلاة على النبي كذا روى الثقات

ولأن القرآن الكريم متعبد بتلاوته، فمجرد تلاوته عبادة يثاب عليها، وفهم المعاني والتدبر أمر آخر يثاب عليه ثواباً زائداً على ثواب التلاوة(٤).

قوله: فلا تمار واحفظن بياني. يؤكد الناظم على المسألة التي بيّنها وهي: أن من يجهل معنى الذكر ليس له أجر عليه.

ويدعو المريد أن لا يجادل في هذه المسألة، ويعتقد أن الذكر مع الجهل يؤجر عليه

---

(١) تقدم تخريجه (ص:٣٥٦).

(٢) صحيح البخاري (٤/ ١٨٨٢). وصحيح مسلم (١/ ٥٤٩، ح٧٨٩)، واللفظ له.

(٣) ذكره البيحاني في تعليقه على المنظومة (ص:٢١)، ولم أعثر عليه فيما عدا ذلك.

(٤) القول المنير في علم أصول التفسير، إسماعيل المكي (ص: ٥٨).

صاحبه في غير ما ذكر.

والمراء في اللغة: الجدال، والتماري والمماراة: المجادَلة على مذهب الشك والريبة، ويقال للمناظرة مماراة؛ لأن كل واحد منهما يستخرج ما عند صاحبه ويمتريه كما يمتري الحالبُ اللبنَ من الضرع[1].

والمراء اصطلاحاً: طعن في كلام الغير لإظهار خللٍ فيه من غير أن يرتبط به غرضٌ سوى تحقير الغير[2].

وهو منهي عنه، قال ﷺ: {أنا زعيم[3] ببيت في رَبَض[4] الجنة لمن ترك المراء وإن كان **محقاً...**}[5].

وزيادة النون في «واحفظن» للوزن الشعري.

قوله: واعرف إذا هللّت من توحده. سبق بيان التهليل في البيت (رقم: ٢٩٦).

وقوله: من توحده. أي: تجعله واحدًا لاشريك له في العبادة، والتوحيد هو إفراد الله وحده بالعبادة[6].

وهنا يهدي الناظم ويؤكد على أهمية المعرفة في الذكر وخاصة معرفة المذكور جل

---

(١) النهاية (ص: ٨٦٧).

(٢) التعريفات (ص: ٢٩٣).

(٣) زعيم أي: كفيل. النهاية (ص: ٣٩٨).

(٤) رَبَض الجنة أي: ما حولها خارجا عنها، تشبيهاً بالأبنية التي تكون حول المدن وتحت القلاع. أنظر: النهاية (ص: ٣٤١).

(٥) رواه أبو داود (٢/ ٧٢١) (٤٨٠٠). وصححه الألباني، صحيح سنن أبي داود (٢/ ٢١١).

(٦) شرح كتاب التوحيد، صالح الفوزان (ص: ٨).

شأنه، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[1]، وقول الرسول ﷺ: {من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة}[2].

يقول ابن القيم رحمه الله مبيناً أهمية هذا العلم وهذه المعرفة: «ولا ريب أن العلم بالله وبأسمائه وصفاته وأفعاله أجل العلوم وأفضلها. ونسبته إلى سائر العلوم كنسبة معلومه إلى سائر المعلومات. وكما أن العلم به أجل العلوم وأشرفها فهو أصلها كلها... والمقصود أن العلم بالله أصل كل علم، وهو أصل علم العبد بسعادته وكماله، ومصالح دنياه وآخرته. والجهل به مستلزم للجهل بنفسه، ومصالحها وكمالها، وما تزكو به وتفلح به، فالعلم به سعادة العبد، والجهل به أصل شقاوته»[3].

ويقول أيضاً رحمه الله: «أفضل العلم: العلم بالله وهو العلم بأسمائه وصفاته وأفعاله، التي توجب لصاحبها معرفة الله وخشيته ومحبته وهيبته وإجلاله وعظمته والتبتل إليه والتوكل عليه والصبر عليه والرضا عنه والانشغال به دون خلقه»[4].

معنى الأبيات إجمالاً:

يهدي الناظم رحمه الله المريد إلى أمر مهم وهو أنه إضافة إلى عديم ثمرة ذلك الذكر المشتمل على الجهل والغفلة، فإن هذا الذكر لا يُرضي الله عزوجل ولا يحب أهله.

ويصدر الناظم رحمه الله الحكم على الذاكرين الذين يرددون الأذكار بطريقة مبتدعة بدون استشعار لمعناها ولا علم بمقتضاها بأنهم غير مأجورين على أذكارهم وحالهم تلك.

(١) [محمد:١٩].

(٢) تقدم تخريجه (ص:٢١٤).

(٣) مفتاح دار السعادة (١/ ٨٦).

(٤) المرجع السابق (١/ ٦٩).

ويستثنى من هذا الحكم تالي القرآن، ويؤكد على المريد أن ينتبه لهذا الأمر ولا يشك فيه أو يجادل ويحفظ عنه هذا الحكم.

ثم يوجه الناظم رحمه الله المريد إلى أن يذكر الله عز وجل بما شرعه من الألفاظ المفهومة، ويترك الأذكار المبتدعة التي لايفهم معناها أو بعضها، وأن يعتني بمعرفة المذكور الموحَّد سبحانه وتعالى من خلال الأذكار المشروعة الدالة على توحيده.

٣٠٨ - واحرصْ على الأذكارِ والكيفيَّهْ كما أَتَى عن سيِّد البريّهْ
٣٠٩ - فأفضلُ الأذكارِ ما قد شرعَهْ واختارَه السُّنيَّةُ المتبِعَهْ
٣١٠ - فالذكرُ معدود من العبادَهْ إن وافقَ الكيفيَّةَ المرادَهْ

قوله: واحرص على الأذكار والكيفية.

يقصد الناظم رحمه الله الحرص على الأذكار المأثورة والأخذ بها وترك الأذكار المبتدعة، ثم مع الأخذ بالأذكار المأثورة إيقاعها على الكيفية التي كان يذكر بها الرسول ﷺ صفة وحالاً وعددًا ووقتًا وغير ذلك.

ومما يدل على أهمية الحرص على الذكر أمر الله عز وجل به، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢)﴾[(١)]، وكذلك النهي عن ضده، كما قال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ (٢٠٥)﴾[(٢)]، وكذلك جعله المقصود الأهم من أعظم العبادات ألا وهي الصلاة، كما قال تعالى: ﴿فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (١٤)﴾[(٣)]. أي: أقم الصلاة لأجل ذكري.

ومما يجعلنا كذلك نحرص على الأذكار: عظيم الفوائد والثمرات التي يثمرها الذكر ويستفيدها الذاكر، ومنها على سبيل المثال: طمأنينة القلب، كما قال تعالى: ﴿أَلَا

(١) [الأحزاب:٤١-٤٢]

(٢) [الأعراف:٢٠٥]

(٣) [طه:١٤]

بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾[1].

وكذلك عظيم المصائب والحسرات التي تثمرها الغفلة عن ذكر الله ويجنيها الغافل، ومنها على سبيل المثال: ضنك المعيشة وشدتها، كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾[2].

والحرص على الكيفية يكون من خلال عدة أمور، منها:

١- الحال والصفة: فأذكار الكرب مثلاً تكون في حال الكرب وأذكار السرور تكون في حال السرور، وأذكار ركوب الدابة يكون حال ركوبها، والرسول ﷺ عقد التسبيح بأصابع يده فلا يتجاوز ذلك، ويعدل عنه بحصى أو مسبحة أو عداد آلي أو غيره.

٢- الزمان والمكان: فالأذكار التي قيّدت بزمن معيّن كأذكار الصباح والمساء لا تقال في الظهيرة أو آخر الليل، والأذكار التي تقال بعد الصلوات لا تقال قبل الصلوات، والأذكار المطلقة لا يقيدها بزمن معين.

والأذكار التي قيدت بمكان معين كالأذكار التي تقال عند الصفا والمروة أو عند رؤية الكعبةكذلك لا تقال في غير مكانها.

٣- العدد: فالأذكار التي حددت بعدد معين كمرة أو ثلاث أو سبع أو مائة مرة لا يتجاوزه ولا ينقص عنه[3].

---

(١) [الرعد:٢٨]

(٢) [طه:١٢٤].

(٣) انظر: المباحث العقدية المتعلقة بالأذكار (١/ ١٣١).

قوله: كما أتى عن سيد البريّة. فيه إشارة إلى قول الرسول ﷺ: {أنا سيّد ولد آدم ولا فخر}[(١)]، وقوله أيضاً ﷺ: {أنا سيد الناس يوم القيامة}[(٢)].

قوله: فأفضل الأذكار ما قد شرعه. يعود تفضيل الذكر الشرعي على الذكر البدعي إلى عدة أمور، منها[(٣)]:

١– تحقيق الاتباع الذي هو شرط لصحة العمل وقبوله عند الله عز وجل، كما قال ﷺ: {من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد}[(٤)] أي: مردود على صاحبه.

٢– إدراك الأجر المترتب على الذكر، وهذا لا يكون إلا على الذكر الشرعي الثابت أجره. أما الذكر البدعي وإن وضعت له الأجور المكذوبة فإن صاحبه محروم من الأجر.

٣– إدراك الفوائد الدنيوية المترتبة على الذكر، من طمأنينة القلب وانشراح الصدر وسعة الرزق وغير ذلك، وهذا لا يكون إلا للأذكار الشرعية التي جعلها الله عز وجل كذلك، ولم يجعل لغيرها من الأذكار المبتدعة.

٤– أن في الذكر الشرعي تتحقق العبودية والتعلق بالله عز وجل، بخلاف الذكر البدعي فإن فيها تعلقاً بالمخلوقين.

٥– اشتماله على التوحيد والوضوح والقوة والفصاحة وعدم التكلّف، بخلاف الذكر البدعي المشتمل على الشرك والغموض والسجع.

قال القاضي عياض رحمه الله: (واجتمعت فيه – أي: الرسول ﷺ – ثلاثة أشياء: العلم بالتوحيد، والعلم باللغة، والنصيحة للأمة، فلا ينبغي لأحد أن يعدل عن دعائه

---

(١) صحيح مسلم (٤/ ١٧٨٢، ح٢٢٧٨).

(٢) صحيح البخاري (٤/ ١٧٤٥، ح٤٤٣٥). وصحيح مسلم (١/ ١٨٤، ح١٩٤).

(٣) انظر: المباحث العقدية المتعلقة بالأذكار (١/ ٢٧٧).

(٤)صحيح البخاري (٢/ ٩٥٩، ح٢٥٥٠). وصحيح مسلم (٣/ ١٣٤٣، ح١٧١٨).

ﷺ)[(١)].

قوله: واختاره السنّية المتبعة.

يقصد الاختيار المبني على الأثر، فما صح من الأذكار اختاروه، وما لم يصح تركوه، وهذا مقتضى الاتباع الذي هو من صفات أهل السنة والجماعة.

والسنّية: نسبة إلى السنة وأهل السنة يقال هو سني وهي سنية[(٢)].

وفيه ما يَدُلُّ على العلو والارتفاع. يقال سنت النَّاقَةُ، إذا سقت الأرض، تَسْنُو وَهِيَ السَّانِيَةُ[(٣)].

والسنّية المتبعة هم أهل السنة والجماعة، الموصوفون بالاتباع وعلى رأسهم الصحابة رضي الله عنهم، فعندما سمعوا عظيم أجر الذكر سألوا الرسول ﷺ أن يعلمهم الأذكار، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها:

حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: {يا رسول الله! علمني شيئًا أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت. قال: قل: اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السموات والأرض رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه وأن أقترف على نفسي سوءًا أو أجره إلى مسلم، قله إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك}[(٤)].

ثم تعلمه التابعون من الصحابة إلى أن دونه علماء الإسلام في كتب الحديث ثم

(١) الفتوحات الربانية لابن علان (١/ ١٧).

(٢) المعجم الوسيط (١/ ٤٥٦).

(٣) مقاييس اللغة (٣/ ١٠٣).

(٤) سنن الترمذي (٥/ ٤٦٧، ح٣٣٩٢)، وقال: "هذا حديث حسن صحيح". ومسند أحمد (١/ ٩، ح٥١). وصحيح ابن حبان (٣/ ٢٤٢، ح٩٦٢). وصحح إسناده الأرنؤوط، ومصنف ابن أبي شيبة (٥/ ٣٢٢، ح٢٦٥٢٣). والألباني في الصحيحة (٢٧٥٣).

أفرد في كتب خاصة في الأذكار، كما فعل النسائي وابن السني في عمل اليوم والليلة.

قوله: الذكر معدود من العبادة. يشير الناظم ﷺ إلى قول الرسول ﷺ: {ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم. قالوا: بلى، قال: ذكر الله تعالى}[1]. فهو ليس معدوداً من العبادات والطاعات فقط بل هو خيرها، وأزكاها عند الله، وأرفعها في الدرجات.

وسبق أن بيّنت في أول الفصل فضل الذكر وأنه من أفضل القرب والطاعات.عند قول الناظم: الذكر بالمأثور نعم القربة. في البيت (رقم: ٢٩١).

قوله: إن وافق الكيفيةالمراده.

يقصد الناظم أنه إن وافق الكيفية التي أرادها الله ﷻ ورسوله ﷺ من الذكر زمانًا ومكانًا وصفة وعددًا وغير ذلك. فإنه يعد من العبادة، أما إذا لم يتقيّد بذلك فإنه يلحق بالذكر المبتدع الذي لا يقبله الله ﷻ ولا يريده، وسبق أن وضحت هذا في البيت (رقم ٣٠٨)، عند قوله: واحرص على الأذكار والكيفية.

معنى الأبيات إجمالاً:

يهدي الناظم ﷺ المريد إلى الحرص على الأذكار المأثورة من الكتاب والسنة، وكذلك الحرص على إيقاعها على الكيفية والصفة التي جاءت عن سيد الخلق محمد ﷺ.

فإن أفضل الأذكار ما جاء في الشرع المحمدي وتلقاه بالقبول والاختيار أهل السنة المتبعون لسنة الرسول ﷺ.

وذلك أن الذكر بالمأثور معدود من أنواع العبادة بشرط أن يوافق الكيفية والصفة والمقدار الذي أراده الشارع للذكر.

---

(١) تقدم تخريجه (ص:٣٢٣).

٣١١ - ولازمُ الـــذاكرِ في الــذكر الأدبْ	وعن دواعي السوء في الذكر اجتنِبْ
٣١٢ - وكــونُ هــذا الــذكرِ في اللســانِ	مطابقًــا للـــذكرِ في الجَنَـــانِ
٣١٣ - فالــذكرُ باللســانِ دونَ القلــبِ	زورٌ وتــدليسٌ وشــؤمٌ ذنــبُ
٣١٤ - ومثــلُ هــذا لم يجُــزْ بحــالِ	لعــدمِ التعظــيمِ والإجــلالِ

قوله: ولازم الذاكر في الذكر الأدب.

يقصد الناظم رحمه الله تنبيه المريد إلى أهمية آداب الذكر، وذلك أن الصوفية لهم في ذلك مخالفات عديدة وأحوال عجيبة من الرقص والطرب والتمايل والصياح وغير ذلك مما ينافي الأدب مع الله.

ومن الآداب التي ينبغي للذاكر مراعاتها والاتصاف بها عند ذكر الله تعالى:[١]

١ - **طلب الإعانة على الذكر،** فعن معاذ[٢] رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: {والله يا معاذ إني لأحبك، فلا تنس أن تقول دبر كل صلاة: اللهم أعني على ذكرك وشكرك، وحسن عبادتك}[٣].

---

(١) انظر: شأن الدعاء (١/ ٢٨). تحفة الذاكرين (ص: ٥٦).

(٢) هو معاذ بن جبل بن عمرو الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الرحمن، الإمام المقدم في علم الحلال والحرام، وهو أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار، وشهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، توفي سنة ١٨ هـ، وقيل غير ذلك. انظر ترجمته في أسد الغابة (٥/ ١٨٧-١٩٠). والإصابة (٦/ ١٠٦-١٠٧).

(٣) سنن أبي داود (٢/ ٨٦، ح١٥٢٢). وسنن النسائي (٣/ ٥٣، ح١٣٠٣). وصحيح ابن حبان (٥/ ٣٦٤، ح٢٠٢٠). ومسند أحمد (٥/ ٢٤٤، ح٢٢١٧٢). وقال الهيثمي (١٠/ ١٧٢): "رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، غير موسى بن طارق وهو ثقة". وصحح إسناده النووي في خلاصة الأحكام (١/ ٤٦٨). والمستدرك للحاكم (١/ ٤٠٧، ح١٠١٠)، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه". وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٣٦٢).

٢- **الطهارة**: أن يكون الذاكر في حال طهارة من الأحداث والأخباث، وكذلك أن يكون فمه نظيفاً، مزيلاً تغيره بالسواك - ولا يشترط ذلك بالإجماع - ويلحق بذلك أيضاً أن يكون المكان طاهراً؛ لعموم الأمر بالبعد عن النجاسة.

٣- **استقبال القبلة.**

قال النووي: «ينبغي أن يكون الذاكرُ على أكمل الصفات، فإن كان جالساً في موضع استقبال القبلة، وجلس مُتذلّلاً مُتخشعاً بسكينة ووقارٍ، مُطرقًا رأسه، ولو ذَكَرَ على غير هذه الأحوال جاز ولا كراهةَ في حقه، لكن إن كان بغير عذر كان تاركاً للأفضل»[(١)].

٤- **الإخلاص والمتابعة**: وذلك أنهما ركنا قبول جميع الأعمال، فلا يقبل الله عملاً فيه حظ لكائن من كان، كما قال تعالى: ﴿وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[(٢)]، وكذلك يجب المتابعة للرسول ﷺ.

٥- **خفض الصوت**: وهو من آكد آداب الذكر والدعاء؛ لذا ينبغي أن يكون الذكر في نفس الذاكر، لأن الإخفاء أدخل في الإخلاص، وأن يكون على سبيل التضرع والخشوع والتذلل والخضوع والاعتراف بالتقصير ليتحقق ذِلَّة العبودية والانكسار لعظمة الربوبية، قال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾[(٣)]

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنهم كانوا مع رسول الله ﷺ في سفر، فجعل الناس يجهرون بالتكبير، فقال النبي صلى الله عليه عنه: {أيها الناس، ارْبَعوا عن

(١) الأذكار للنووي (ص: ٤٤).

(٢) [الأعراف:٢٩].

(٣) [الأعراف:٢٠٥].

أنفسكم، إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً، إنكم تدعون سميعاً قريباًوهو معكم}[(١)].

وذلك أن الذاكر يناجي ربه، والله تعالى قد وسع سمعه الأصوات، ولأن ذلك أقرب للخشوع وأبعد للرياء.

قال الشيخ بكر أبو زيد[(٢)] رحمه الله: «مما تقدم يتبين أن الأصل في الذكر والدعاء هو الإسرار، وحدُّه: التلفظ بتحرك اللسان بالحروف من مخارجها بصوت أقلّه أن يسمع نفسه. والجهر: هو التلفظ بتحريك اللسان بالحروف من مخارجها بصوت يسمعه غيره ممن يليه، ولا حدَّ لأعلاه.

والجهر في الذكر والدعاء استثناء لا يكون إلا بما ورد به الشرع، وهو دائر بين الوجوب والاستحباب، وأكثره في الذكر، أو في الذكر المشوب بالدعاء.

فمن الذكر الذي يجب الجهر به بقدر يحصل منه المقصود: الأذان والإقامة وتكبيرات الإمام وتسميعه وقراءته في الصلاة الجهرية وتكبيرات التبليغ عند الحاجة وإلقاء السلام للخروج من الصلاة والسلام وجوابه والحمد عند العطاس وتشميته والدعاء بقوم والتأمين عليه.

ومن الذي يسن الجهر به بقدر يحصل به المقصود: التأمين في الصلاة وعلى الدعاء والتكبير في العيدين والذكر بعد الصلاة والتلبية والتكبير في الحج وقراءة القرآن والتسمية على الذبيحة»[(٣)].

٦- **الحرص على جوامع الذكر**: والمراد بجوامع الذكر مايقيِّد فيه الذاكرُ لفظَ

---

(١) تقدم تخريجه ص: ٣٤٧

(٢) هو بكر بن عبد الله أبو زيد من علماء المملكة المعاصرين، له مؤلفات كثيرة مفيدة، مثل: حلية طالب العلم، معجم المناهي اللفظية، توفي سنة: ١٤٢٩ هـ. انظر: معجم المؤلفين المعاصرين (ص: ٣٦٨).

(٣) تصحيح الدعاء (ص:٩٠-٩٢).

الذكر بعدد كبير أو مقدار عظيم، وقد ورد في الإرشاد إلى ذلك أحاديث كثيرة، منها: حديث جويرية أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها، ثم رجع بعدما أضحى وهي جالسة، فقال: {ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟! قالت: نعم، قال: لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات، لو وُزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته}(1).

وكان النبي ﷺ يستحب الجوامع من الدعاء ويدَع ما سوى ذلك(2).

قوله: وعن دواعي السوء في الذكر اجتنب.

ودواعي السوء التي يقصدها الناظم ﵀ كثيرة، منها على سبيل المثال:

١- أن يكون مقصده من الذكر الرياء والسمعة.

ويكفي في التحذير منها حديث الثلاثة الذين هم أول من تسعر بهم النار، ومنهم قارئ القرآن ليقال قارئ.

فعن سليمان بن يسار، قال: تفرق الناس عن أبي هريرة، فقال له قائل أهل الشام: أيها الشيخ، حدثنا حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: نعم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: {إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء، فقد قيل، ثم

(١) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٩٠، ح٢٧٢٦).

(٢) سنن أبي داود (٢/ ٧٧، ح١٤٨٢). وجوَّد إسناده النووي في الأذكار. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٨٢٥).

أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم، وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم، وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه، ثم ألقي في النار}[1].

٢- أن يكون مقصده من الذكر الحصول على جاه أو مال.

٣- أن يكون مقصده من حضور مجالس الذكر رؤية النساء والمردان.

قوله: وكون هذا الذكر في اللسان مطابقًا ... المطابقة هي مواطأة القلب اللسان.

كما قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥﴾[2]. فقد قرن ﷻ في الآية بين ذكر القلب وذكر اللسان. قال السعدي رحمه الله: «أمر الله عبده ورسوله محمداً ﷺ أصلاً وغيره تبعًا بذكر ربه في نفسه أي مخلصًا خاليًا (تضرعًا) بلسانك مكررًا لأنواع الذكر (وخيفة) في قلبك بأن تكون خائفًا من الله، وجل القلب منه خوفًا من أن يكون عملك غير مقبول...»[3].

وقال ابن القيم رحمه الله: «وأفضل الذكر وأنفعه ما واطأ فيه القلب اللسان وكان من

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٥١٣، ح١٩٠٥).

(٢) [الأعراف:٢٠٥]

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٧٦).

الأذكار النبوية، وشهد الذاكر معانيه ومقاصده»(١).

قوله: فالذكر في اللسان دون القلب زور.....

وهذا حال أدعياء الذكر من الصوفية وغيرهم، فإن ذكرهم هو لون من ألوان الكذب والزور، أما الذكر الحقيقي الذي أمرنا الله عز وجل به فلابد أن يحدث في القلب تعظيمًا لله عز وجل وخوفًا منه ومحبة ورجاءً، كما تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾(٢).

ووجه كون هذا الذكر من الزور والتدليس أنه لم يحدث أثر في القلب يوجب تعظيم الله عز وجل لأنه الهدف منه أصلاً مراءاة الناس وبغية سمعتهم وادعاء الصلاح.

وأما وجه كونه شؤم ذنب؛ فإن من أعظم عقوبات المعاصي والذنوب ومنهاالبدعة في الأذكار أن يحرم العبد لذة الطاعة فيحال بين قلبه ولسانه فلا يتواطأ على الذكر.

قال ابن القيم رحمه الله: «فلو لم يكن للذنب عقوبة إلا أن يصد عن طاعة تكون بدله، ويقطع طريق طاعة أخرى، لكان كافيا في ضرره، فالمعاصي تحرم الطاعات، وتقطع طرق الأعمال الصالحة»(٣).

وقال أيضاً رحمه الله: «واعلم أن العقوبات تختلف فتارة تعجل وتارة تؤخر وتارة يجمع الله على العاصي بينهما وأشد العقوبات العقوبة بسلب الإيمان ودونها العقوبة بموت القلب ومحو لذة الذكر والقراءة والدعاء والمناجاة منه وربما دبت عقوبة القلب فيه

(١) الفوائد (ص: ١٩٢).

(٢) [الأنفال:٢]

(٣) الداء والدواء (ص: ٥٣).

دبيب الظلمة إلى أن يمتلئ القلب بها فتعمى البصيرة وأهون العقوبة ما كان واقعا بالبدن في الدنيا وأهون منها ما وقع بالمال وربما كانت عقوبة النظر في البصيرة أو في البصر أو فيهما»[1].

وقال الفضيل رحمه الله: «يقول الله تعالى ابن آدم إذا كنت أقلبك في نعمتي وأنت تتقلب في معصيتي فاحذر لئلا أصرعك بين معاصيك ابن آدم اتقني ونم حيث شئت إنك إن ذكرتني ذكرتك وإن نسيتني نسيتك والساعة التي لا تذكرني فيها عليك لا لك»[2].

قوله: ومثل هذا لم يجز بحال.

أي: الذكر باللسان مع عدم تعظيم الله عز وجل، وحالهم قرينة على ذلك، فإن الرقص والطرب والصياح وغير ذلك دليل على عدم تجاوز الذكر تراقيهم، لذلك حكم على هذا الذكر بعدم الجواز، كما قال تعالى: ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ ... الآية ﴾.

قوله: لعدم التعظيم والإجلال.

هذا بيان للسبب الذي أقام عليه الحكم السابق من عدم جدوى الذكر اللساني، وذلك لأن هذا الذكر البدعي لا يؤدي إلى تعظيم الله عز وجل وإجلاله، ولا يدل حال صاحبه على ذلك، بل حاله يدل على اللهو واللعب، وغير ذلك من السمعة والرياء.

معنى الأبيات إجمالاً:

يهدي الناظم رحمه الله المريد إلى مسألة مهمة وهي ضرورة التأدب مع الذكر، وصونه

(١) المرجع السابق.

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ٤٤٠).

عن الأغراض السيئة، فلا يتستر به لأغراض دنيوية.

كذلك مطابقة اللسان وموافقته لما في القلب، فإن الذكر باللسان والقلب غافل دليل على عدم صدق قائله، وتدليسه على الناس وعقوبة من عقوبات المعاصي والذنوب.

وهذا الذكر الدال على غفلة صاحبه الذي لا يجدي لا يجوز بأي حال؛ لأنه مشتمل على الغفلة واللهو، ولا يدل على تعظيم الله ﷻ وإجلاله.

٣١٥ - فقدّمِ العلمَ على فعلِ القُربْ ... من واجبٍ وسنةٍ ومستحبْ

٣١٦ - لأنها بدونِ علمٍ لم تصحْ ... ولن ترى بالجهل ساع قد ربحْ

٣١٧ - فالذكرُ يبديهِ عظيمُ الحبِّ ... إذِ اللسانُ ترجمانُ القلبِ

٣١٨ - والعلمُ بالمذكورِ للحبِّ سببْ ... والمرءُ مشغوفٌ بذكرِ من أحبْ

٣١٩ - وذا مثالٌ شاع في الأنامِ ... لدى خواصِ الناسِ والعوامِ

قوله: فقدم العلم على فعل القرب.

هذا هدي القرآن تقديم العلم على العمل كما أمر الله ﷻ بذلك في كتابه في قوله تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾[1].

وقد بوب البخاري في صحيحه (باب العلم قبل القول والعمل) وصدره بالآية السابقة[2].

وطلب العلم عبادة سابقة على الصلاة والصيام وسائر العبادات، لأنه لا يمكن للمسلم أن يصلي ويصوم ويتعبد حتى يتعلم هذه العبادات، لذلك بعث الله رسله لتعليم الناس قال تعالى: ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١ ﴾[3].

والجاهل بأحكام عبادته لن يؤديها على الوجه الذي شرعها الله عليه، فلن تكون سبيل قرب وتزكية له، فكانت فريضة طلب العلم مقدمةً على باقي الفرائض من هذا الوجه.

---

(١) [محمد:١٩]

(٢) البخاري (١/ ٢٤٤).

(٣) [البقرة:١٥١].

فلا بد أن يتعلم الحد الأدنى من العلم في عقيدته وفقهه وتزكيته، وإلا فكيف يعرف ما ينبغي عليه أن يطهِّر نفسه منه، وما ينبغي أن يرقيها به.

قوله: لأنها بدون علم لم تصح.

هذا بيان للسبب الذي بنى عليه القاعدة السابقة؛ لأن العبادات والقربات مبناها على الاتباع، والاتباع يستلزم العلم، أما من يتعبد الله ﷿ على جهل فهو إلى البدعة لا محالة. كما قال تعالى عن النصارى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾[1].

قوله: ولن ترى بالجهل ساع قد ربح.

كما وصف الله تعالى أمثال هؤلاء العاملين بقوله: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾﴾[2]

وقال ابن الجوزي ؒ: «الباب الأعظم الذي يدخل منه إبليس على الناس هو الجهل، فهو يدخل منه على الجهال بأمان، وأما العالم فلا يدخل إلا مسارقة»[3].

ويقول ابن القيم ؒ: «قد غلب الشرك على أكثر النفوس لظهور الجهل، وخفاء العلم، فصار المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، والسنة بدعة، والبدعة سنة، ونشأ في ذلك الصغير وهرم عليه الكبير، وطمست الأعلام، واشتدت غربة الإسلام، وقلّ

(١) [الحديد:٢٧].

(٢) [الغاشية:٣-٤].

(٣) تلبيس إبليس (ص: ١٣٠).

العلماء، وغلب السفهاء، ولكن مع هذا لا تزال طائفة من العصابة المحمدية بالحق قائمين، ولأهل الشرك والبدع مجاهدين، إلى أن يرث الله سبحانه الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين»(١).

وقال القرافي(٢): «..أصل كل فساد في الدنيا والآخرة إنما هو الجهل، فاجتهد في إزالته عنك ما استطعت، كما أن أصل كل خير في الدنيا والآخرة إنما هو العلم، فاجتهد في تحصيله ما استطعت، والله تعالى هو المعين على الخير كله»(٣).

وقال ابن القيم ؒ مبيناً أسباب هذا الجهل: «وأسباب هذا الجهل أمرين:

الأول: الإعراض عن الكتاب والسنة تعلماً وتعليماً وتدبراً وتفهماً لما فيهما.

فالمعرض عن التوحيد مشرك، شاء أم أبى، والمعرض عن السنة مبتدع ضال، شاء أمأبى.

الثاني: أنهم حملوا نصوص الكتاب والسنة على أناس قد مضوا، وأما هم فغير مخاطبين بهما وهذا ما يتصوره أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته، وتضمنه له، ويظنونه في نوع وفي قوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثاً، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن، ولعمر الله إن كان أولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم أو شر منهم أو دونهم، وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك، ولكن الأمر كما قال عمر بن الخطاب ؓ : [[إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا

---

(١) زاد المعاد (٣/ ٥٠٧).

(٢) هو: أحمد بن إدريس بن عبدالرحمن، أبو العباس، شهاب الدين القرافي، فقيه مالكي. مصري المولد والمنشأ والوفاة. انتهت إليه رياسة الفقه على مذهب مالك ، له مصنفات جليلة في الفقه والأصول، توفي سنة ٦٨٤هـ. انظر: الأعلام للزركلي (١/ ٩٤).

(٣) الفروق (٤/ ٢٦٥).

يعرف الجاهلية]] [(١)] وهذا لأنه إذا لم يعرف الجاهلية والشرك، وما عابه القرآن وذمه وقع فيه وأقره، ودعا إليه وصوبه وحسنه وهو لا يعرف أنه هو الذي كان عليه أهل الجاهلية أو نظيره أو شر منه أو دونه، فينقض بذلك عرى الإسلام عن قلبه.. »[(٢)].

قوله: فالذكر يبديه عظيم الحب.

يقول ابن رجب ﵀: «فكلما تمكنت محبة الله ﷿ في القلب أصبح العبد دائم اللهج بذكر ربه ﷿، حامدًا شاكرًا، مهللاً مكبرًا، مثنياً عليه سبحانه بما هو أهله، حتى يجري الذكر على لسانه من غير كلفة»[(٣)].

قوله: إذ اللسان ترجمان القلب.

أي: أن اللسان هو الذي يُفصح عما في القلب.

قال يحي بن معاذ : " القلوب كالقدور تغلي بما فيها وألسنتها مغارفها فانظر إلى الرجل حين يتكلم فان لسانه يغترف لك مما في قلبه حلو وحامض وعذب وأجاج وغير ذلك ويبين لك طعم قلبه اغتراف لسانه" [(٤)]

قوله: والعلم بالمذكور للحب سبب.

يقصد الناظم أن العلم بأسماء الله ﷿ وصفاته من أسباب محبته.

قال ابن القيم﵀: «الأسباب الجالبة للمحبة، والموجبة لها عشرة- فذكر قراءة القرآن بالتدبر، والتقرب إلى الله تعالى بالنوافل بعد الفرائض ، ودوام ذكره على كل حال ،

---

(١) تقدم تخريجه ص: ١٣٣

(٢) إغاثة اللهفان (١/ ٢١٤) بتصرف يسير. مدارج السالكين (١/ ٣٤٣-٣٤٤).

(٣) انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب (ص: ٤٤٤).

(٤) الجواب الكافي ص:١٧٠.

وإيثار محابه على محاب الإنسان عند غلبة الهوى، ثم قال :

الخامس: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته، ومشاهدتها ومعرفتها، فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة»[١].

وقال أيضًا رحمه الله: «باب الأسماء والصفات هو باب المحبين حقًا لا يدخل منه غيرهم، ولا يشبع من معرفته أحد منهم، بل كلما بدا له منه علم ازداد شوقاً ومحبة وظمأ، وإنما تفاوتت منازلهم ومراتبهم في محبته على حسب تفاوت مراتبهم في معرفته والعلم به. فأعرفهم لله أشدهم حباً له، كلما بدالهم منه علم ازدادوا شوقًا ومحبة»[٢].

قوله: والمرء مشغوف بذكر من أحب.

يقصد الناظم أن دليل المحبة الشغف بذكر المحبوب.

والشغف: أن يبلغ الحب شغاف القلب، وهو جلدة دونه[٣].

قال ابن القيم رحمه الله: «ومحك هذا الحال – أي: المحبة – يظهر في مواطن أربعة:

أحدها: عند أخذ مضجعه.... فإنه لا ينام إلا على ذكر من يحبه وشغل قلبه فيه.

الموطن الثاني: عند انتباهه من النوم، فأول شيء يسبق إلى قلبه ذكر محبوبه.

الموطن الثالث: عند دخوله في الصلاة... فإذا قام إلى الصلاة هرب من سوى الله إليه، وآوى عنده، واطمأن بذكره.

الموطن الرابع: عند الشدائد والأهوال»[٤].

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ١٧)

(٢) طريق الهجرتين (ص: ٤١٠).

(٣) لسان العرب (٩/ ١٧٩) . تهذيب اللغة (٨/ ٤٤).

(٤) طريق الهجرتين (ص: ٥٥١).

ومن شغف الأبطال في الجاهلية بمن يحبون يذكرونهم عند الحرب واللقاء، ومن ذلك قول عنترة:

ولقد ذكرتك والرماح كأنها ... أشطان بئر في لبان الأدهم[1]

ويقول جميل بثينة:

أصلي فأبكي في الصلاة لذكرها ... لي الويل مما يكتب الملكان[2]

وفائدة الشغف والشغل بذكر الله حميدة كما قال ابن القيم ﷺ: «فمن كان مشغولاً بالله وبذكره ومحبته في حال حياته وجد ذلك أحوج ما هو إليه عند خروج روحه إلى الله...»[3].

قوله: وذا مثال شاع في الأنام.

ذا : إشارة إلى قوله: والمرء مشغوف بذكر من أحب.

ومثال: أي أصبح مثلاً يتداوله الناس.

وشاع: انتشر.

والأنام: الخليقة.

ويقصد أن هذا المعنى – المرء مشغوف بذكر من أحب – انتشر بين الخلق وأصبح مثلاً لدى العامة والخاصة يتداولونه كما بيّنّا في الأبيات السابقة.

معنى الأبيات إجمالاً:

يهدي الناظم ﷺ المريد إلى أن يهتم بالعلم الشرعي لكل ما يريد فعله من

(١) ديوان عنترة بن شداد (٢١٦).

(٢) تزيين الأسواق في أخبار العشاق (١/ ٣٣).

(٣) طريق الهجرتين (١/ ٣٠٨).

القربات، سواءً كانت واجبة أم مستحبة.

ومن القربات الأذكار المأثورة فيجب أن يقدم العلم بها على النطق بها.

ثم يبين السبب في وجوب تقديم العلم بالأذكار على النطق بهاأن نطقها بدون علم لمعناها لا يصح مثل ما أنك لا تجد أي ساع في أمر من الأمور وهو جاهل به أنه يُفلح به.

ثم يبيّن الناظم ﷺ أن الذكر أثر من آثار تمكن الحب في قلب العبد وهو الذي يظهره. حيث أن اللسان حقيقة ما هو إلا مظهر لما في القلب من أمور.

ثم يذكر الناظم ﷺ أن العلم بصفات المذكور وأفعاله سبب لحبّه، وحقيقة العباد أنهم مشغوفون بذكر من أحبوا، حتى أصبحت هذه الحقيقة مثالاً شائعاً بين كل الناس.

فصل في الغلو المذموم

(مجمل ما عرضه الفصل)

بيّن فيه الناظم رحمه الله أن الغلو مذموم في الشرع وضرب أمثلة على ذلك الغلو في المشايخ ، وفي ذكر مناقبهم، ثم بيّن أنهم عبيد مثلنا، والله تعالى هو الذي له الملك والأمر، ولا يكون ضر ولا نفع إلا بمشيئته وتقديره.

ثمّ بيّن أن من الغلو دعاء الأموات والاستغاثة بهم في الملمات.

ثمّ رد الناظم رحمه الله رداً كافياً وشافياً على من يجعل بينه وبين الله وسائط بحجة أنه كثير الذنوب، ثم دعا إلى عدم الانخداع بتلك الأوهام.

ثمّ وجّه نظر المريد إلى اعتقاد قرب الله من عبده وقبوله توبة التائبين ،وكفايته لهم ، وأن الدعاء عبادة فلا يجوز صرفها لغير الله تعالى.

فصل في الغلو المذموم

٣٢٠ - فقــلْ لمـــن بشـــيخِهِ يُغـــالي　وغـــيرهِ مـــن ســـائرِ الرجـــالِ
٣٢١ - في العلـم بالغيـبِ وجلـبِ النفـعِ　ومـــا اســـتحالَ حكمُــه في الشـــرعِ
٣٢٢ - إن الغلـــوَّ لم يجـــزْ في الـــدينِ　فكيـــفَ تغلـــو بـــامرئ مســـكينِ

قوله: فقل: الخطاب موجه للمريد بأن يعلم أولاً ثم ينصح ثانيًا من وقع في الغلو.

ويقصد بالشيخ شيخ الطريقة، وقد سبق بيانه في البيت رقم (٢٦٩).

وقوله: يغالي. أي: يغلو بشيخه كثيراً.

والغلو لغة: أصل الغلاء الارتفاع ومجاوزة القدر في كل شيء[١].

وغلا الرجل في الدين يغلو غلواً، إذا جاوز فيه الحد كغلو اليهود والنصارى في دينهما[٢].

والغلو: التشدد والتصلب، ومجاوزة الحد.[٣]

والغلو في الاصطلاح: قال القرطبي: «الغلو: التجاوز في الحد»[٤].

وقال شيخ الإسلام ﷺ: «الغلو مجاوزة الحد؛ بأن يزاد في حمد الشيء أو ذمه على ما يستحق، ونحو ذلك»[٥].

(١) لسان العرب مادة (غلا) (١٠/ ١١٢). القاموس المحيط (٤/ ٣٧٣).

(٢) العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، (٤/ ٤٤٦).

(٣) المصباح المنير، مادة (الغلوة) (٢/ ٤٥٢).

(٤) تفسير القرطبي (٦/ ٢١).

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٩٣).

وقال ابن حجر رحمه الله: «الغلو: المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد»[1].

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله: «هو الإفراط في التعظيم بالقول والاعتقاد»[2].

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله: «وضابط الغلو تعدي ما أمر الله به»[3].

والغلو في المخلوقين سبب الشرك. قال ابن القيم رحمه الله: «ومن أسباب عبادة الأصنام الغلو في المخلوق، وإعطاؤه فوق منزلته، حتى جعل فيه حظ من الألوهية»[4].

وهو أكبر سبب لضلال الفرق التي تنتسب إلى الإسلام من رافضة[5] وصوفية وغيرها، وهو سير على سنن اليهود والنصارى في غلوهم في عزير عليه السلام وعيسى عليه السلام كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِ ﴾[6]. وتعظيم الأشخاص أيّاً كانوا ملائكة أم أنبياء أم أولياء من أكبر قوادح توحيد الألوهية.

---

(٦) فتح الباري، (١٣/ ٢٧٨).

(٧) فتح المجيد (ص: ٢١٨).

(٨) تيسير العزيز الحميد (ص: ٣٠٥).

(٩) إغاثة اللهفان (٢/ ٢٢٢).

(٥) الروافض لقب يطلق على كل من فضل علياً على الخلفاء الثلاثة قبله- رضي الله عنهم جميعا- ورأى أن أهل البيت أحق بالخلافة بنص من النبي صلى الله عليه وسلم فيهم، وأن خلافة غيرهم باطلة، مع سب الصحابة والبراءة منهم سوى نفر قليل. انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٦٥-١٥٠). الفرق بين الفرق (ص: ٣١-٥٤). الفصل لابن حزم (٣/ ١١١- ١٢٣).

(٦) [التوبة:٣٠].

واشتهرت الصوفية بالغلو في الأولياء حتى أوصلوهم لمقام الربوبية.

يقول ابن عربي:

فإن بدا منهم حال تولّهم عن الشريعة فاتركهم مع الله[(١)]

ويقول عبدالقادر الجيلاني[(٢)]: «من لم يعتقد في شيخه الكمال لا يفلح أبداً»[(٣)].

ويقول الشعراني: «سمعت أخي أفضل الدين رحمه الله يقول: حقيقة حب الشيخ أن يحب الأشياء من أجله ويكرهها من أجله كما هو الشأن في محبة ربنا عز وجل»[(٤)].

ومظاهر الغلو عندهم كثيرة جداً، منها: اعتقادهم أن هؤلاء الأولياء والمشايخ يتصرفون في الكون، ويعطون الجنة لمن يريدون، ويسلبون الإيمان أو يعطونه من يريدون، ويحيون الموتى، ويشفون المرضى، ويعلمون الغيب، ويرزقون، وغير ذلك كثير، وكتبهم مليئة بالشواهد وذكرنا كثيراً منهافي فصل «الطريقة والشريعة» وفصل «الذكر» وسنذكر كذلك أمثلة له في هذا الفصل والفصلين اللذين بعده.

قوله: وغيره من سائر الرجال.

أي: غير شيخ الطريقة من الرجال الذين يصفونهم بالولاية، وهذا لا يعني أن الغلو محصور فقط في الرجال ولكنه الأعم الأغلب ، فقد غلت الصوفية كذلك في

(١) الفتوحات المكية، ابن عربي، (ص: ١٨١).

(٢) هو محيي الدين أبو محمد، عبدالقادر بن أبي صالح عبدالله بن جنكي دوست الجيلي أو الجيلاني أو الكيلاني، ولد بجيلان سنة (٤٧١هـ)، نسبه بعض أتباعه للحسن بن علي بن أبي طالب، وقيل: يُنسب إلى قبيلة من العجم، كان كبير الشأن، وعليه مأخذ في بعض أقواله ودعاواه بعضها مكذوب عليه، إليه تنتسب الطائفة القادرية، له مصنفات منها: الغنية لطالب الحق، الفيوضات الربانية، توفي ببغداد سنة (٥٦١هـ). انظر: سير الأعلام (٢٠/ ٤٣٩). الأعلام (٤/ ٤٧).

(٣) الأنوار القدسية (١/ ١٧٤).

(٤) المرجع السابق (١/ ١٦٩).

النساء.

ومن ذلك ما ذكروا عن إبراهيم بن أدهم أنه ذهب للحج ماشياً فلما وصل إلى مكة بعد أربعين عاماً - لأنه كان يصلي ركعتين بعد كل خطوة - لم يجد الكعبة فحزن حزناً شديداً فسمع صوتاً يقول: يا إبراهيم إن الكعبة ذهبت للقاء رابعة وستعود فذهب عنه حزنه ؟[1].

قوله: في العلم بالغيب.

يوجه الناظم رحمه الله الخطاب للمريد الذي يغلو في شيخه أو في أي شخص آخر ممن تنسب لهم الولاية والكرامات، بأن الغلو بجميع صوره لا يجوز في الدين، وضرب ثلاثة أمثلة على ذلك:

الأول: اعتقاد أن الأولياء يعلمون الغيب.

والغيب في اللغة: يطلق على كل ما غاب واستتر عن العيون أو عن العقول[2].

والغيب في الشرع: اختلف المفسرون في المراد بقوله تعالى: ﴿**ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣**﴾[3] على خمسة أقوال[4]:

١- أنه كل ما غاب عن الحواس مما لا يوصل إليه إلا بالخبر دون النظر؛ كوجوب البعث ووجود الجنة ونعيمها والنار وعذابها والحساب.

---

(١) انظر: تذكرة الأولياء (١/ ١٢١).

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ٤٠٣). ولسان العرب، مادة غيب (١/ ٦٥٤). وتهذيب اللغة مادة غيب (٤/ ٤٠٣).

(٣) [البقرة: ٣].

(٤) المحرر الوجيز، ابن عطيه، (١/ ٨٤).

٢- أنه القدر.

٣- أنه الله تعالى.

٤- أنه القرآن.

٥- أنهم يؤمنون بقلوبهم الغائبة عن الخلق لا بألسنتهم التي يشاهدها الناس، أي: ليسوا منافقين بل آمنوا إيماناً صادقاً لا يشوبه نفاق.

قال ابن عطية[١] رحمه الله: «هذه الأقوال لا تتعارض بل يقع الغيب على جميعها»[٢].

و الصوفية يغالون في أوليائهم ومشايخهم في العلم بالغيب.

قال الشعراني عن شيخه علي الخواص[٣]: «وكان محل كشفه اللوح المحفوظ عن المحو والإثبات»[٤].

ويقول أحمد الرفاعي: «إن العبد ما يزال يرتقي من سماء إلى سماء حتى يصل إلى محل الغوث ثم ترتفع صفته إلى أن تصير صفة من صفات الحق، فيطلعه على غيبه حتى لا تنبت شجرة ولا تخضر ورقة إلا بنظره... »[٥].

---

(١) ابن عطية هو: الإمام العلامة، أبو محمد، عبد الحق بن الحافظ أبي بكر غالب ابن عطية المحاربي الغرناطي، كان إماماً في الفقه، وفي التفسير، والعربية، قوي المشاركة، ذكياً فطناً، مولده سنة: ثمانين وأربع مائة، اعتنى به والده، ولحق به الكبار، وطلب العلم وهو مراهق، ولي قضاء المريّة، توفي سنة: (٥٤١ هـ) رحمه الله تعالى. انظر: السير (١٩/ ٥٨٧-٥٨٨).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطيه، (١/ ١٠٠).

(٣) هو علي الخواص البرسلي، كان أميًّا لا يقرأ ولا يكتب، ومع ذلك كان يتكلم على معاني القرآن والسنة، وكان في أول أمره بائعاً يتجول، ثم فتح دكاناً، ثم تركه واشتغل بصناعة الخوص فسمي الخواص، صحبه الشعراني عشر سنين. انظر: «الطبقات الطبرى» للشعراني (٢/ ١٣٠-١٤٦).

(٤) الطبقات الكبرى، الشعراني، (٢/ ١٥٠).

(٥) قلادة الجواهر، أبو الهدى الصيادي، (ص: ١٤٨).

بل وصل تجرؤهم إلى دعوى العلم بمفاتيح الغيب الخمسة التي لا يعلمها أحد إلا الله.

يقول التيجاني عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ ﴾[1]: «وأما من وهبه الله العلم اللدني فإنه يعلم بعض الغيب، كهذه المذكورات أو غيرها»[2].

ونقلوا عن سهل بن عبدالله أنه قال: «أعرف تلامذتي من يوم (ألست بربكم...) لم يحجبوا عني إلى وقتي هذا»[3].

ويقول الشعراني عن الأولياء: «يعلمون أخبار السماوات والأرض، ويعلمون ما في القلوب، وما يقع في المستقبل، بل وما في اللوح المحفوظ، فهم يعلمون العوالم كلها، كل ذلك عن طريق الكشف، فلا يخفى عليهم شيء في الأرض ولا في السماء»[4].

واليقين الذي لا شك فيه أن علم الغيب مما استأثره الله عز وجل واختص به، وقد يطلع الله عز وجل بعض الرسل على شيء من ذلك، لكن الغيب المطلق لا يكون إلا لله عز وجل.

وقد دلّ الكتاب والسنة على هذه العقيدة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا

---

(١) [لقمان:٣٤].

(٢) جواهر المعاني، علي حرازم، (١/ ٢١٨).

(٣) الغنية لطالبي طريق الحق، عبدالقادر الجيلاني، (٢/ ١٣).

(٤) الطبقات الكبرى للشعراني (٢/ ١٤٠-١٥٢).

تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴿٣٤﴾ وقوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾(1)، وقوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾(2).

وقال رسول الله ﷺ: {مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غدٍ إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله}(3).

وفي حديث جبريل المشهور عندما جاء على هيئة رجل، قال فيه: {يا رسول الله! متى تقوم الساعة؟ قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل، ولكن سأحدثك عن أشراطها...}(4) الحديث.

وفي حديث موت عثمان بن مظعون رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: {أما هو فقد جاءه والله اليقين، والله إني لأرجو له الخير، وما أدري والله وأنا رسول الله مايفعل بي...}(5) الحديث.

<u>قوله: وجلب النفع.</u>

هذا هو المثال الثاني من الأمثلة على الغلو في الأولياء، فإذا كان أولياؤهم يتصرفون في الكون، ويعلمون الغيب، فمن باب أولى أنهم يستطيعون جلب النفع ودفع الضر.

---

(1) [النمل:٦٥].

(2) [الجن: ٢٦].

(3) صحيح البخاري (٤/ ١٧٣٣، ح٤٤٢٠).

(4) صحيح مسلم (١/ ٤٠، ح١٠).

(5) تقدم تخريجه (ص:٢٧٩).

وجلب النفع يقصد به: إيصال الخير وكل ما ينفع الإنسان في دنياه وأخراه.

وقد زعم المتصوفة ذلك لأوليائهم ومشايخهم:

فقد ذكر الشعراني عن أحد شيوخه أنه إذا ناداه مريده من مسيرة سنة أو أكثر أجابه بسرعة(١).

وقال أحمد الرفاعي: «لا يكون الشيخ شيخًا كاملاً في سائر أموره وأحواله وأقواله وأفعاله، ولا يصح له الجلوس في المخدة حتى يحضر عند تلميذه في أربعة مواضع: عند خروج روحه من جسده، وعند مسألة منكر ونكير له، وعند جوازه على الصراط، وعند الميزان»(٢).

وكل ذلك مخالف للتوحيد من أساسه، فالنفع والضر من خصائص الرب عز وجل، قال تعالى: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾﴾(٣).

ونفى الله عز وجل النفع والضر عن جميع المعبودات من دونه، فقال عزوجل: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾﴾(٤).

وقال تعالى لرسوله محمد ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ﴾(٥).

وخير الأولياء محمد ﷺ نفى النفع عن نفسه فغيره من باب أولى.

---

(١) الطبقات الكبرى (٢/ ١٩).

(٢) قلادة الجواهر (ص: ١٩٣).

(٣) [الفتح:١١].

(٤) [الفرقان:٥٥].

(٥) [الأعراف:١٨٨].

قال رسول الله ﷺ: {يا فاطمة بنت محمد! لا أغني عنك من الله شيئاً...}[١] الحديث.

وقال أيضاً ﷺ: {لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة وعلى رقبته بعير له رغاء فيقول: يا رسول الله، أغثني فأقول: لا أغني عنك من الله شيئاً قد بلغتك}[٢].

قوله: وما استحال حكمه في الشرع.

هذا هوالمثال الثالث من الأمثلة على الغلو في الأولياء، ويقصد به الأمور التي أخبرنا الشرع أنها من خصائص الرب سبحانه ويستحيل أن تكون للمخلوق، مثل: إحياء الموتى والرزق والخلق، وغير ذلك من خصائص الربوبية.

إلا أن الصوفية وبكل جرأة على الله ادعت هذه الخصائص المستحيلة على المخلوق لأوليائها وأقطابها، والأمثلة على ذلك قولاً وحكاية تعج بها كتب القوم، ومن ذلك:

يقول الشعراني عن الشيخ محمد الحضري[٣]: (وكان يقول: الأرض بين يدي كالإناء الذي آكل منه)[٤].

وذكر الشعراني عن السيد علي بن وفاء أنه كان في وليمة مع الشيخ محمد الحنفي فقال له سيدي علي: ما تقول في رجل رحى الوجود بيده يدورها كيف شاء؟ فقاله له سيدي محمد رضي الله عنه: فما تقول فيمن يضع عليها يده فيمنعها أن تدور؟[٥].

---

(١) صحيح البخاري (٣/ ١٠١٢، ح٢٦٠٢). وصحيح مسلم (١/ ١٩٢، ح٢٠٦).

(٢) صحيح البخاري (٣/ ١١١٨، ح٢٩٠٨). وصحيح مسلم (٣/ ١٤٦١، ١٨٣١).

(٣) صوفي مصري مجذوب كان يتكلم بالعظائم في ذات الله وأنبيائه، مات (٨٩٧هـ). الطبقات الكبرى (١/ ٩٤).

(٤) الطبقات الكبرى (٢/ ١٠٧).

(٥) المرجع السابق (٢/ ٨٧).

ومما ورد عن السيد محمد الشويمي[1] أنه قال في جنازة الأشموني[2] وهم يغسلونها: (كيف مت وعزة ربي لو كنت حاضراً ما خليتك تموت)[3].

وقال التيجاني عن الأولياء أمثال عبدالقادر الجيلاني: (ذلك أن الله ملكهم الخلافة العظمى واستخلفهم على مملكته تفويضًا عامًا أن يفعلوا في المملكة كل ما يريدون، ويملكهم الله كلمة التكوين: متى قالوا للشيء كن كان من حينه)[4].

وذكر الشعراني في ترجمة سويد السخاوي، قال: «وهو أحد من ملكه الله تعالى التصرف في العالم»[5].

والله عز وجل قد أخبرنا أن الخلق والأمر والملك لله عز وجل وحده لا شريك له ولا معين، كما قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ①﴾[7].

وسيأتي الرد عليهم عند قوله: فالملك والأمر له تعالى في البيت رقم: ٣٢٨.

قوله: إن الغلو لم يجز في الدين.

يقصد رحمه الله بذلك التحريم الموصل إلى الشرك، فإن الغلو في رفع هؤلاء المشايخ

(١) هو الشيخ محمد الشويمي المجذوب، صوفي من أصحاب أبي مدين، كان حياً سنة (٥٩٤هـ). انظر: الطبقات الكبرى (٢/ ٩١).

(٢) هو مدين بن أحمد الأشموني، أحد أصحاب الشيخ أحمد الزاهد، من ذرية أبي مدين المغربي، انتهت إليه تربية المريدين في مصر. انظر: الطبقات الكبرى (٢/ ٨٨).

(٣) الطبقات (٢/ ١٠٣).

(٤) جواهر المعاني، (٢/ ٧٦).

(٥) طبقات الشعراني، (ص: ١٧٧).

(٦) [الأعراف: ٥٤].

(٧) [الملك: ١].

إلى مقام الربوبية في الثلاثة الأمثلة المذكورة شرك في الربوبية لا يماري فيه عاقل.

وقد قال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾(1).

وقال الرسول ﷺ: {لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا: عبدالله ورسوله}(2).

قوله: فكيف تغلو بامرئ مسكين.

إشارة إلى قول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾(3).

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ٧٣﴾(4).

معاني الأبيات إجمالاً:

ينبه الناظم رحمه الله المريد على أهم سبب أوقعهم في حبال الشرك وهو الغلو في الصالحين، سواءً كانوا أولياء أم مشايخ للطرق أم غيرهم من الرجال.

ثم يذكر لهم بعض الجوانب التي قادتهم إلى الغلو، ومنها: ادعاؤهم أن هؤلاء المشايخ يعلمون الغيب، ويجلبون النفع ويتصرفون في الكون، وهذا محال في الشرع؛

(1) [النساء:171].

(2) تقدم تخريجه (ص:279).

(3) [فاطر:15].

(4) [الحج:73].

لأن التصرف في الكون من خصائص الربوبية لله تعالى.

ثم بيّن له حكم الغلو وأنه غير جائز في دين الإسلام وبيّن له وجهاً من أوجه نقض ذلك، وهو أن هؤلاء المشايخ الذين غلوا فيهم هم مساكين فقراء إلى الله لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضراً، فضلاً عن جلب النفع لغيرهم.

٣٢٣ - فكلُّنـا لربنـا عبيـدُ يفعـلُ فينا كـلَّ مـا يريـدُ
٣٢٤ - فالملـكُ والأمـرُ لـه تعـالى فـافهمْ ولا تعتقـدِ المُحـالا
٣٢٥ - واعلـمْ بـأن غيرَ مَنْ قد أوجدكْ مِـنْ مرسَـلٍ أو مـن نبـيٍّ أو مَلَـكْ
٣٢٦ - والصـالحين وجميـعِ العـالمِ لم ينفعـوا ولم يَضـروا آدَمـي
٣٢٧ - إلا بـما قـدّره تعـالى عليـه فاسـمعْ واتـركِ الجِـدالا
٣٢٨ - بمثـلِ هـذا المصطفَى قـد أخـبرا ذاكَ ابـنَ عبـاسٍ فـدعْ عنـك المِـرا

قوله: فكلنا لربنا عبيد. يتابع الناظم رحمه الله رده على الغلو في المشايخ وغيرهم، فيقرر أن جميع الخلق عبيد لله وليس لهم خصوصية تجعلهم يخرجون عن هذه العبودية.

قال ابن القيم: «العبودية نوعان: عبودية خاصة، وعبودية عامة».

فالعبودية الخاصة هي:

عبودية المحبة والانقياد والطاعة التي يشرف بها العبد ويعظم، وهي التي وردت في مثل قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾(١)، وقوله: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنًا﴾(٢)، وهذه العبودية خاصة بالمؤمنين الذين يطيعون الله تعالى، لا يشاركهم فيها الكفار الذين خرجوا عن شرع الله تعالى وأمره ونهيه، والناس يتفاوتون في هذه العبودية تفاوتاً عظيما؛ فكلما كان العبد محباً لله متبعاً لأوامره منقاداً لشرعه كان أكثر عبودية.

وأعظم الناس تحقيقاً لهذا المقام هم الأنبياء والرسل، وأعظمهم على الإطلاق نبينا محمد ﷺ، ولهذا لم يرد ذكر أحد بوصف العبودية المجردة في القرآن إلا هو عليه

(١) [الشورى:١٩].
(٢) [الفرقان:٦٣].

الصلاة والسلام، فذكره الله بوصف العبودية في أشرف المقامات كمقام الوحي، فقال سبحانه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾﴾[(١)]، وفي مقام الإسراء، فقال جل شأنه: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾[(٢)]، وفي مقام الدعوة، فقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾[(٣)]، إلى غير ذلك من الآيات.

فالشرف كل الشرف في استكمال هذه العبودية وتحقيقها، ولا يكون ذلك إلا بتمام الافتقار إلى الله تعالى، وتمام الاستغناء عن الخلق، وذلك لا يتأتى إلا بأن يجمع الإنسان بين محبة الله تعالى والخوف منه ورجاءِ فضله وثوابه.

وأما العبودية العامة:

فهذه لا يخرج عنها مخلوق وتسمى عبودية القهر، فالخلق كلهم بهذا المعنى عبيد لله يجري فيهم حكمه، وينفذ فيهم قضاؤه، لا يملك أحد لنفسه ضراً ولا نفعاً إلا بإذن ربه ومالكه المتصرف فيه. وهذه العبودية هي التي جاءت في مثل قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾[(٤)]، وهذه العبودية لا تقتضي فضلاً ولا تشريفاً، فمن أعرض عن العبودية الخاصة فهو مأسور مقهور بالعبودية العامة، فلا يخرج عنها بحال من الأحوال. فالخلق كلهم عبيد لله، فمن لم يعبد الله باختياره فهو عبد له بالقهر والتذليل والغلبة»[(٥)].

---

(١) [الكهف:١].

(٢) [الإسراء:١].

(٣) [الجن:١٩].

(٤) [مريم:٩٣].

(٥) مدارج السالكين (١/ ١٢٥).

قوله: يفعل فينا مايريد. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ١٦﴾[1]. فهو وحده سبحانه وتعالى الذي يحيينا ويميتنا ويرزقنا ويمنع ذلك عنّا ويمرضنا ويشفينا، وغير ذلك من أفعاله سبحانه وتعالى.

قوله: فالملك والأمر له تعالى.

يشير الناظم ﷺ إلى آيات عديدة تثبت الملك المطلق لله تعالى في الدنيا والآخرة، منها قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[2].

وقوله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ١﴾[3].

وقوله في فاتحة الكتاب: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ٤﴾[4].

وكذلك تثبت التصرف المطلق لله تعالى في هذا الكون في الدنيا والآخرة، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[5].

قوله: فافهم ولا تعتقد المحالا.

يقصد الناظم ﷺ بالمحال هنا زعمهم تصرف الصالحين في الكون، والقدرة على الإحياء، والإماتة، وقلب الحقائق من شيء إلى آخر، وأن لهم قدرة على دفع الضر عمن يستغيث بهم، وجلب النفع لمن يستمد بهم. كما بيّنا سابقاً عنهم.

والذي يجب أن نعتقده أن الأنبياء والأولياء لا يعلمون الغيب ولا يسمعون نداء

(١) [البروج:١٦].

(٢) [المائدة:١٧، ١٨، ١٢٠]. [النور:٤٢]. [الشورى:٤٩]. [الجاثية:٣٧].

(٣) [الملك:١].

(٤) [الفاتحة:٤].

(٥) [الأعراف:٥٤].

المستغيثين بهم، وليس لهم اطلاع على أحوالهم، وهم عن ندائهم غافلون؛ ولا يملكون لهم نفعاً ولا ضراً، ولا يسمعون لهم صوتاً ولا نداءً ولا صراخاًولا دعاء، لا سراً، ولا جهراً، ولا يعلمون الغيب، ولا يطلعون على أحوالهم وما في ضمائرهم.وهم عبادٌ لله محتاجون، فقراء إليه، خاشعون لله، خائفون من الله، وأنهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، فضلاً عن أن يملكوا لغيرهم من الأقارب والأجانب وأنهم بحاجة إلى أن يدعوا الله تعالى عند الكربات لدفع المضرات وجلب الخيرات.

كما قال تعالى: ﴿قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗا﴾[1]، وكما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ۝١٤﴾[2].

قوله: واعلم بأن غير من أوجدك.

أوجد بمعنى خلق من العدم[3]، أي: غير من خلقك لا يستطيع النفع والضر إلا بما قدره الله تعالى عليك.

هنا يؤكد الناظم رحمه الله على ما ذكره آنفاً من أن الملك والأمر بيد الله عز وجل يملكه الموجد الخالق وحده، ولا يملكه غيره، لا نبي مرسل ولا ملك مقرب.

قوله: من مرسل أو نبي أو ملك.

قيل: إن الرسول والنبي واحد، وقيل: إنهما يختلفان، وأظهر الأقوال في اختلافهما

---

(١) [الرعد:١٦].

(٢) [فاطر:١٣-١٤].

(٣) لسان العرب (١٠/ ٨٥).

أن الرسول: من أرسل بشرع جديد. والنبي: يسير على رسالة الرسول الذي قبله، وعلى هذا كل رسول نبي، وليس كل نبي رسول(1).

والملك بفتح اللام يقصد به الواحد من الملائكة(2).

قوله: والصالحين وجميع العالم. إشارة إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما: {واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك}(3).

قوله: لم ينفعوا ولم يضروا آدمي. وقد دلّت آيات عديدة على هذا المعنى.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾(4)، وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ﴾(5)، وقال تعالى أيضاً: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾(6).

وغير ذلك من الآيات.

والعلة من ذكر تفرده بالضر والنفع أن انتفاء ذلك عن هذه المعبودات دليل على عجزها في نفسها، فضلاً عن أن تملك لغيرها شيئاً، وأن الذي يستحق أن يعبد رغبة

---

(1) انظر الأقوال والترجيح في مناهل العرفان للزرقاني (٣/ ١١٣). الرسل والرسالات (ص:٨٢).

(2) الصحاح (٤/ ١١١٦).

(3) سنن الترمذي (٤/ ٦٦٧، ح٢٥١٦)، وقال: "هذا حديث حسن صحيح". ومسند أحمد (١/ ٢٩٣، ح٢٦٦٩)، وقوى إسناد الأرنؤوط. وصححه الألباني في المشكاة (٥٣٠٢). وظلال الجنة (٣١٦-٣١٨).

(4) [يونس:١٠٦].

(5) [الأنعام:٧١].

(6) [فاطر:١٣-١٤].

ورهبة هو الله لأنه مالك ذلك كله.

سئل فضيلة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: عمن يدعي أنه ينفع ويضر وحكم تصديقه؟

فأجاب رحمه الله: «لا أحد يملك النفع والضر إلا الله وحده لا شريك له، حتى النبي ﷺ، قال الله له: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾[1].

وأمره أن يقول: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾[2]، ومن زعم أن أحداً يملك الضر، أو النفع بغيرأسباب حسية معلومة، فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل؛ لأنه مكذب لله تعالى ولرسوله ﷺ.

وإني أقول لهؤلاء الذين يتوهمون صدق ما قاله هؤلاء الدجاجلة أقول لهم: اعلموا أنه لا يملك أحد الضر والنفع إلاالله وحده لا شريك له، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال لابن عباس رضي الله عنهما: {واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك}[3]. وفي القرآن الكريم لما ذكر الله السحرة قال: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[4]. فالمهم أن هؤلاء كذبة فيما ادعوه من كونهم يملكون النفع والضر، فإن ذلك إلى الله وحده لا شريك له، وعليهم أن يتوبوا إلى الله من هذا العمل، وأن يعترفوا بقصورهم وتقصيرهم، وأنهم ضعفاء أمام قدرة الله، وأنهم لايملكون دفع الضر عن أنفسهم فضلاً عن غيرهم، كما لا يملكون

---

(١) [الجن:٢١-٢٢].

(٢) [الأعراف:١٨٨].

(٣) تقدم تخريجه (ص:٤٠٠).

(٤) [البقرة:١٠٢].

لأنفسهم جلب نفع فضلاًعن جلبه لغيرهم إلا ما شاء الله ﷻ وعلى من يتوهم صدقهم أن يتوب إلياالله من تصديقهم وأن يعلم أنهم كذبة، ولا حق لهم ولا حظ لهم في مثل هذه الأمور»(١).

قوله: إلا بما قدره تعالى عليه...

يشير إلى قول الرسول ﷺ: {واعلم أن الأُمة لو اجتمعوا على أَن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك}(٢).

قوله: فاسمع واترك الجدالا. لأنه يجب على المسلم أن يقف عند نصوص الكتاب والسنة ويترك الجدال بغير علم في أن أحداً يملك الضر والنفع غير الله.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾(٣).

وقد نهانا الله ﷻ عن الجدال في هؤلاء الشفعاء أنهم ينفعون أو يضرون، قال تعالى عن هود عليه السلام: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾﴾(٤).

وكذلك رغبنا رسول الله ﷺ في ترك الجدال ورتب على ذلك الأجر العظيم، حيث قال: {أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك الجدال وإن كان محقاً}(٥).

---

(١) فتاوى ابن عثيمين (٢/ ٢٦٩).

(٢) تقدم تخريجه (ص:٤٠٠).

(٣) [الرعد: ١٦].

(٤) [الأعراف: ٧١].

(٥) سنن أبي داود (٤/ ٢٥٣، ح٤٨٠٠). ونحوه عن معاذ في المعجم الأوسط للطبراني (١/ ٢٦٩، ح٨٧٨). وقواه الحافظ في الفتح (١٣/ ١٨١). وصححه الألباني في الصحيحة (٢٧٣).

قوله: بمثل هذا المصطفى قد أخبرا. يشير الناظم رحمه الله هنا إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما السابق: {واعلم أن الأُمة لو اجتمعوا على أَن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف}[1].

قوله: ذاك ابن عباس. ذاك: إشارة إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما السابق.

وابن عباس هو: عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم القرشي، أبو العباس، ابن عم رسول الله ﷺ، ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات، دعا له رسول الله ﷺ بالفقه بالدين والعلم بالتأويل، فكان من أعلم الأمة بتفسير كتاب الله وأحكام الدين، توفي سنة ٦٨هـ بـ الطائف[2].

قوله: فدع عنك المرا. المراء هو: الجدل والافتراء والشك[3].

يهدي الناظم رحمه الله المريد إلى أن الواجب عليك ترك المراء والجدال في هذا المعتقد الباطل من أن أحدًا من الخلق يملك الضر أو النفع بعد أن عرفت الحق بدليله.

معنى الأبيات إجمالاً:

يردّ الناظم رحمه الله المريد إلى نقطة جامعة وهي: أن جميع الخلق بلا استثناء بما فيهم الأنبياء والأولياء والمشايخ هم عبيد لله داخلون تحت قهره ومشيئته يفعل فيهم ما يريد.

ثم يوجّه فهمه إلى مسألة مهمة، وهي: أن الملك المطلق والأمر المطلق في التصرف

(١) تقدم تخريجه (ص:٤٠٠).

(٢) انظر: الإصابة (٤/ ١٤١).

(٣) تهذيب اللغة (١٥/ ٢٠٤).

في الكون هو لله وحده تعالى، وأن كل اعتقاد غير ذلك من إعطاء هؤلاء المشايخ ملكاً أو أمرًا في الكون هو من المحال في الشرع.

ثم أفاد الناظم رحمه الله المريد علمًا بما أفاد به النبي ﷺ أمته جميعها في حديث ابن عباس رضي الله عنه المشهور بأن كل الخلق بلا استثناء وفي مقدمتهم الرسل والأنبياء والملائكة والصالحين لا يستطيعون أن يجلبوا النفع لغيرهم أو يدفعوا الضر عنهم إلا بما قدره الله تعالى على الإنسان، وعليه أن يسمع لكلام الرسول ﷺ ويترك الجدال في دعوى أن للأولياء قدرة على النفع والضر المطلق.

٣٢٩ - فكيف تدعو غائبًا لن يَسمعكْ أو مَيِّتًا في قبرِه لن ينفعَكْ
٣٣٠ - لا تستغثْ بغير من لم يستجِبْ وإن دُعي لكشفِ ضر لم يُجِبْ
٣٣١ - ولا تنادِ كلَّ من لا يسمعُ وتستعنْ جهلاً بمن لا ينفعُ
٣٣٢ - إذ لا يجيبَ الداعي غيرُ السامعِ أعني القريبَ الحيَّ فاحفظه وعِ

قوله: فكيف تدعوا غائبا لن يسمعك.

هنا يبين الناظم رحمه الله شروط جواز والاستغاثة بالمخلوق، وهي: [١]

١ - أن يكون حياً: فإذا كان ميّتا فإنه لا يجوز الاستغاثة به.

٢- أن يكون حاضراً: فإذا كان غائباً فإنه لا يجوز الاستغاثة به.

٣- أن يكون قادرًا: فإذا كان عاجزاً فإنه لا يجوز الاستغاثة به.

والاستفهام بكيف هنا على سبيل التعجب والإنكار، أي: كيف بعدما قدمت لك من بيان يسوغ لك أن تدعو أي مخلوق غائب يستحيل أن يسمع دعاءك.

والله عز وجل يقول: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «سؤال الميت والغائب نبيًا كان أو غيره من المحرمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين لم يأمر الله به ولا رسوله ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان»[٣].

---

(١) الرد على البكري (ص:٣٣١-٣٣٦).

(٢) [الأحقاف:٥].

(٣) الرد على البكري (ص: ٢٢١).

وسبق أن بينّت وفصلت هذه المسألة عند الحديث عن دعاء الأموات في البيت رقم (٢٦٧).

قوله: أو ميتاً في قبره لن ينفعك. أي: كذلك كيف يسوغ لك أن تدعو أي ميت مقبور تحت الأرض يقينًا لن يقدم لك النفع.

كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾[١].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «وأما من يأتي إلى قبر نبي أو صالح، أو من يعتقد فيه أنه قبر نبي أو رجل صالح وليس كذلك، ويسأله حاجته مثل أن يسأله أن يزيل مرضه، أو مرض دوابه، أو يقضي دينه، أو ينتقم له من عدوه، أو يعافي نفسه وأهله ودوابه، ونحو ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ، فهذا شرك صريح، يجب أن يستتاب صاحبه، فإن تاب وإلا قتل»[٢].

قوله: لا تستغث بغير من لا يستجب. هنا يشير الناظم ﷺ إلى شرط من شروط جواز الاستغاثة بالمخلوق وهو القدرة على الإجابة.

وسبق أن بينّت وفصلت هذه المسألة عند الحديث عن الاستغاثة بالأموات في البيت رقم (٢٦٨).

قوله: وإن دعي لكشف ضر لم يجب. كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ

---

(١) [يونس:١٠٦].

(٢) الفتاوى (٣/ ٢٧٥). وقاعدة جليلة في التوسل (ص: ٤٩). والرد على البكري (ص: ٥٥).

﴿١٤﴾[1].

قوله: وتستعن جهلاً بمن لا يسمع. هنا يشير إلى شرط آخر من شروط الاستغاثة والاستعانة بالمخلوق وهو الحضور والسماع، أما الغائب فلا يجوز الاستغاثة به.

والاستعانة: لغة مصدر استعان مأخوذة من الإعانة، وقد تعاونّا: أي أعان بعضنا بعضًا[2].

قال الألوسي: «الاستعانة الاعتماد على الله تعالى في جلب المنافع ودفع المضار مع الثقة به في تحصيل ذلك والقيام بعبادته أو هي: طلب ما يتمكن به العبد من الفعل، ويوجب اليسر عليه»[3].

قال تعالى موجهًا عباده إلى إخلاص العبادة لله وإخلاص الاستعانة له سبحانه وتعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾[4].

وقال موسى لقومه موجهًا له إلى أهمية الاستعانة بالله والصبر للنصر على الأعداء: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾[5].

وبين ابن القيم رحمه الله أن الاستعانة هي المتضمنة أصلين:

«الثقة بالله، والاعتماد عليه، فإن العبد قد يثق بالواحد من الناس، ولا يعتمد عليه

---

(١) [فاطر:١٣-١٤].

(٢) تهذيب اللغة (٣/ ٢٠٢).

(٣) روح المعاني للألوسي (١/ ٨٧).

(٤) [الفاتحة:٥].

(٥) [الأعراف:١٢٨].

في أموره – مع ثقته به – لاستغنائه عنه، وقد يعتمد عليه – مع عدم ثقته به – لحاجته إليه ولعدم من يقوم مقامه، فيحتاج إلى اعتماده عليه مع أنه غير واثق به»[١].

وقد حصرها الله عزوجل فيه سبحانه قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾[٢].

وقد أمر الرسول ﷺ بها حيث قال ﷺ: {احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز}[٣].

وقال الرسول ﷺ لمعاذ مبينًا أهمية الاستعانة لأداء العبادة: {يا معاذ! والله إني لأحبك فلا تدع أن تقول في دبر كل صلاة: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك}[٤].

وقال ابن رجب رحمه الله مبينًا حاجة العبد إلى الاستعانة: «وأما الاستعانة بالله عزوجل دون غيره، فلأن العبد عاجز عن الاستقلال بجلب مصالحه، ودفع مضاره، ولا معين له على مصالح دينه ودنياه إلا الله عزوجل، فمن أعانه فهو المعان، ومن خذله فهو المخذول»[٥].

قوله: إذ لا يجيب الداعي غير السامع   أعني القريب....

قوله: وع. من الوعي وهو إدراك المقصود وفهمه.

وقد أخبر الله عزوجل مقررا أنه لايجيب غير السامع بقوله: ﴿إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ

(١) مدارج السالكين (١/ ٧٥).

(٢) [الفاتحة:٥].

(٣) تقدم قريباً.

(٤) تقدم تخريجه (ص:٣٦٨).

(٥) جامع العلوم والحكم (١/ ٤٨١).

﴿يَسْمَعُونَ﴾[1]. وقد بيّنت ذلك سابقاً عند ذكر شروط جواز الاستعانة في البيت رقم: ٣٢٩.

معنى الأبيات إجمالاً:

بعد أن بيّن الناظم ﷺ للمريد في الأبيات السابقة من الفصل حكم الغلو في الصالحين. وبعض صور ذلك، وبيان حالهم أنهم لا يملكون النفع والضر إلا بما قدره الله تعالى، وأن عليه أن يسمع وينقاد لكلام الله ﷻ وكلام رسوله ﷺ ويترك الجدال والمراء.

استفهم منه على سبيل التعجب والإنكار كيف بعدما قدمت لك من بيان يسوغ لك أن تدعو أي مخلوق غائب يستحيل أن يسمع دعاءك أو ميت مقبور تحت الأرض يقينًا لن يقدم لك النفع.

ثم نهاه عن ثلاثة أفعال شركية، وهي: الاستغاثة والدعاء والاستعانة بغير الله تعالى، وبيّن أنها محالة لمن فقد أدوات القدرة على الاستجابة وهي سماع المستغاث به، وأهم من ذلك القدرة على إغاثته بكونه قريب منه حي قادر على إغاثته.

---

(١) [الأنعام: ٣٦].

٣٣٣ - فـــإِن تقـــلْ إنِّي مســـيءٌ مـــذنِبُ ودعـــوةُ المســـيء مـــثلي تُحجَـــبُ
٣٣٤ - والشـيخُ للعاصـي المسـيء واسـطَهْ ومـــن دعـــاه دام تلـــك الرابطَـــهْ
٣٣٥ - أقـــولُ مـــا المـــانعُ أن تتوبـــا ويغفـــرُ الله لـــك الـــذنوبا
٣٣٦ - والشـيخُ في التعلـيم يـدعي واسـطَهْ لا في ســـواه فـــاتركِ المغالطَـــهْ

قوله: فإن تقل إني مسيء مذنب.

انتقل الناظم ﵀ في هذه الأبيات إلى عرض الشبهات التي علقها مشايخ الطرق بقصد استعباد المريدين وهي:

الشبهة الأولى: متعلقة بالمريد وإساءته وضعف إيمانه، وبالشيخ وطهارته وقوة إيمانه.

والشبهة الثانية: قياسهم الواسطة في تبليغ الرسالة على الواسطة بالدعاء.

ففي الشبهة الأولى يقولون: إنهم مذنبون بعيدون عن الله غير مهيأون لدعاء الله ورجائه، بل يظنون أن دعوتهم محجوبة أبدًا، والأولياء طائعون قريبون من الله، وأنهم ليس لهم مكانة عند الله، والأولياء لهم جاه ومكانة عند الله، واعتقادهم أن هؤلاء الأولياء والمشايخ الميتين قد انكشف لهم عالم الغيب وقربت نفوسهم أكثر من الله تعالى وفيهم سر لا يوجد في بقية الخلق.

يقول النبهاني: «وقد عظم الله أنبياءه وأصفياءه، فعظمناهم لأجله، فالتعظيم في الحقيقة راجع إليه ﷻ وقد جعلهم ﷻ وسائط لنا في تبليغ شرائع دينه، فوسطناهم له ﷿ لقضاء حوائجنا واحتقارًا لأنفسنا عن أن نكون أهلاً لطلب حوائجنا منه ﷻ بلا

واسطة؛ لكثرة ذنوبنا، ووفرة عيوبنا»[١].

ويقول أحدهم في السيد أحمد البدوي[٢]: «نعم سنقول له ذلك اعترافًا لله بعجزنا، واعترافًا بخطيئاتنا، وإقرارًا بتقصيرنا، وقصورنا عن طلب السؤال منه... وما بقي لنا إلا الشفاعة عنده وبأخص أحبابه، وأخلص المقربين له... »[٣].

قوله: والشيخ للعاصي المسيء واسطة ومن دعاه دام.......

قوله: دام. الصحيح ما أثبت في طبعة السلفية (رام) [٤] أي نال مقصده وقد أجاب الناظم بما يوضح اللفظ في البيت (٤٠١) بقوله:

بل ربُّنا إن شاءَ أعطَى السائلا   ما رامَه منه سريعًا عاجلا

وهنا يعرض الناظم للشبهة الثانية:

حيث قالوا: إن الله ما اختارهم واصطفاهم واسطة في تبليغ رسالاته وكلامه، إلا ليتخذهم الخلائق واسطة بينهم وبين الله تعالى في سائر أنواع العبادة.

يقول النبهاني: «وجعل رسله المكرمين وسائط بينه وبين خلقه لتبليغهم أحكام دينه المبين، فاتخذوهم وسائط إليه في قضاء المرام، كما جعلهم تعالى وسائط إليهم في

---

(١) شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق، النبهاني (ص: ١٤٢). الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية، النبهاني (ص:٦٠٤).

(٢) أحمد بن علي بن إبراهيم أبو العباس البدوي المتصوف، صاحب الشهرة في الديار المصرية، ولد سنة ٥٩٦هـ، أصله من المغرب، ودخل مصر في أيام الملك الظاهر بيبرس، عظم شأنه في بلاد مصر، فانتسب إلى طريقته جمهور كبير، بينهم الملك الظاهر، توفي ودفن في طنطا سنة ٦٧٥هـ، حيث تقام في كل عام سوق عظيمة، يفد إليها الناس من جميع أنحاء القطر المصري؛ احتفاءً بمولده. انظر: الأعلام، للزركلي، (١/ ١٧٥).

(٣) الصوفية بين الوهم والحقيقة، أحمد عمران الزاوي (ص: ٩٣).

(٤) في ط السلفية (رام) وهو الصواب.

تبليغ الأحكام، فلم يأتوا بتوسيطهم إياهم في قضاء حوائجهم لديه تعالى شيئًا بدعًا، ولكنهم وسطوا إليه من وسطهم إليهم فلم يخالفوا بذلك عادة، ولا شرعًا»(١).

وأدلتهم في ذلك ما يلي(٢):

١- أنهم قاسوا وساطة الأنبياء عليهم السلام في الدعاء على وساطتهم في تبليغ الرسالة.

٢- اعتقادهم أن الأولياء الميتين قد انكشف لهم عالم الغيب وقربت نفوسهم أكثر من الله تعالى وفيهم.

٣- قياسهم ذلك على المخلوقين من السلاطين ووزرائهم، وأن الله لعظمته لا نسأله إلا بالوسائط والشفعاء كحال الملوك.

٤- ظنهم أن في ذلك تعظيم للأنبياء والأولياء، وأن تعظيمهم والتعلق بهم والالتجاء إليهم من تعظيم الله عز وجل.

٥- استدلالهم بأحاديث موضوعة، مثل حديث: {إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور}(٣).

---

(١) شواهد الحق (ص: ٢٦).

(٢) أنظر : شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق، النبهاني (ص: ١٤٢). الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية، النبهاني (ص:٦٠٤).شفاء السقام ، عبدالوهاب السبكي(ص:١٧٢)، لمع البوارق، البكري(ص:٢٦٥). جواهر المعاني ، علي حرازم (١/ ٩٦). مفاهيم يجب أن تصحح ، المالكي (ص: ٤٣)

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١١/ ٢٩٣): "فهذا الحديث كذب مفترى على النبي صلى الله عليه وسلم بإجماع العارفين بحديثه، لم يروه أحد من العلماء بذلك، ولا يوجد في شيء من كتب الحديث المعتمدة" اهـ.

وقال الإمام ابن القيم في إغاثة اللهفان (١/ ٢٤٣): " ومنها أحاديث مكذوبة مختلقة، وضعها أشباه عباد الأصنام من المقابرية على رسول الله صلى الله عليه وسلم تناقض دينه وما جاء به، كحديث: {إذا أعيتكم الأمور،

٦- كذلك يستدلون بقصص الأولياء وأنهم يشفعون ويقضون الحاجات.

٧- وبالمنامات المكذوبة أن فلانًا رأى رسول الله ﷺ وقال له: عليك بفلان أو فلان من الأولياء.

٨- أن كل ما أحبه الله صح التوّسل به مثل الأعمال الصالحة، ويقاس عليه كل من أحبه الله من نبي أو ولي يصح التوسل به وجعله واسطة. وقد رد عليهم الناظم في البيتين التاليين.

قوله: أقول ما المانع أن تتوبا ويغفر الله لك الذنوبا.

هنا يرد الناظم رحمه الله على شبهة الإساءة بأسهل رد وأقربه وأنجعه وهو التوبة من الذنوب والإساءة، وسيغفر الله لمن تاب بصدق.

فقد أخبر سبحانه وتعالى بأن التوبة تكفر السيئات، فإذا تاب العبد توبة نصوحاً كفَّر الله بها جميع ذنوبه وخطاياه.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[1].

وقال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[2].

فعليكم بأصحاب القبور}، وحديث: {لو أحسن أحدكم ظنه بحجر نفعه}، وأمثال هذه الأحاديث التي هي مناقضة لدين الإسلام، وضعها المشركون، وراجت على أشباههم من الجهال والضلال" اهـ.

(١) [الزمر: ٥٣].

(٢) [التحريم:٨].

كما أخبر أن التوبة تبدل السيئات حسنات، فإذا حسنت التوبة بدَّل الله سيئات صاحبها حسنات، وذلك فضل من الله، وتكرم.

قال تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾(١).

قال ابن القيم رحمه الله في هذه الآية: «وهذا من أعظم البشارة للتائبين إذا اقترن بتوبتهم إيمان وعمل صالح، وهو حقيقة التوبة.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: {ما رأيت النبي فرح بشيء قط فرحه بهذه الآية لما أنزلت، وفرحه بنزول: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ﴿١﴾ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾(٢)}»(٣).

<u>قوله: والشيخ في التعليم يدعى واسطة.</u> هنا يرد الناظم رحمه الله على شبهة الواسطة. فيذكر أن الذي يعرفه أن واسطة الشيخ هي في التعليم والبلاغ أما ما عدى ذلك من دعاوى فهي مغالطات يجب تركها.

كذلك نرد على هذه الشبهة بالردود التالية(٤):

١- أن الله عز وجل في قوله: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾(٥). أثبت القرب

(١) [الفرقان:٧٠].

(٢) [الفتح:١-٢]

(٣) مدارج السالكين (١/ ٣٠١).

(٤) انظر: الواسطة بين الله وخلقه عند أهل السنة ومخالفيهم، (ص: ٥٤٨-٥٥٧) بتصرف.

(٥) [البقرة:١٨٦]

وعمم الإجابة لعباده، ولم يفرق بين المحسن والمسيء والولي والمريد.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «بل كان المشركون في جاهليتهم يدعونه بلا واسطة فيجيبهم الله، أفتراهم بعد التوحيد والإسلام لا يجيب دعاءهم إلا بهذه الواسطة التي ما أنزل الله بها من سلطان»(١).

٢- كذلك لم يذكر واسطة بينه وبين خلقه ولم يعلق الاستجابة عليها، بل نفى الواسطة بينه وبين خلقه.

قال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ ﴾(٢).

٣- أنهم في ذلك يسيرون على خطا المشركين، فقد لبّس عليهم الشيطان وزيّن لهم هذه الشبهة - الواسطة أو الشفاعة - كما لبّس على المشركين إذ قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾(٣). وقالوا أيضاً: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾(٤)، وقال تعالى مخبرًا عنهم: ﴿ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾(٥).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «ومن أثبتهم وسائط بين الله وبين خلقه كالحُجَّاب الذين يكونون بين الملك ورعيته بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه، فالخلق

(١) زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور، ابن تيمية، (ص: ٦٦).

(٢) [الأنعام:٥١]

(٣) [الزمر:٣]

(٤) [يونس:١٨]

(٥) [الأحقاف:٢٨]

يسألونهم وهم يسألون الله، كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك الحوائج لقربهم منهم، والناس يسألونهم أدبًا منهم أن يباشروا سؤال الملك أو لأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب للحوائج، فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، وهؤلاء مشبهون لله، شبهوا المخلوق بالخالق، وجعلوا لله أنداداً»[(١)].

٤- أن فيها انتقاصاً لكمال ربوبية الله ﷻ، حيث يشعر هذا الفعل بأن هؤلاء الشفعاء ضروريون لإيصال حوائج العباد وأحوالهم وبدونهم قد لا تصلهم إغاثة الله.

٥- أن فيها انتقاص لكمال أسماء الله ﷻ وصفاته، حيث يشعر هذا الفعل أن الله عزوجل يزيد رحمته وعطفه على عباده إذا جاءوه عن طريق هؤلاء الشفعاء.

قال ابن القيم ؒ: «فمن اتخذ واسطة بينه وبين الله تعالى فقد ظن به أقبح الظن، ومستحيل أن يشرعه لعباده بل ذلك يمتنع في العقول والفطر»[(٢)].

ويقول الألوسي ؒ: «وأن من أعرض عن الله، وقصد غيره، وأعد ذلك الغير لحاجته وفاقته واستغاث به ونذر له ولاذ به؛ فقد أساء الظن بربه، وأعظم الذنوب – عند الله – إساءة الظن به، فإن المسيء به الظن قد ظن خلاف كماله المقدس ... »[(٣)].

٦- أن فيه تذلل للمخلوق – الواسطة والشافع – وهذاواضح من خلال دعائهم واستجدائهم لهم أن يوصلوا حوائجهم إلى الله تعالى.

٧- هذا الاعتقاد يستلزم القدح في الشفعاء من أنبياء وأولياء وصالحين، حيث إن

(١) الفتاوى (١/ ١٢١)

(٢) إغاثة اللهفان (١/ ٥٠).

(٣) فتح المنان (ص: ٥٤).

استجابتهم لدعاء الداعين مخالفة لصريح القرآن، وهم أعلم الناس بأوامر الله عز وجل.

٨- ترتب على قولهم هذا الكفر الصريح وهو دعاء الواسطة نفسها وطلب غوثهم وقضاء الحوائج منهم مباشرة.

٩- ويكفي فيه المفاسد التي ترتبت عليه أنه سبب لانقطاعهم عن الخالق والغلو في المخلوق.

١٠- أنه يلزم منه لوازم باطلة، يقول شيخ الإسلام رحمه الله: «ويلزم منه – أي: القول بالواسطة – أن يرزق الله تبارك وتعالى الكفار وينصرهم على عدوهم بالذات – بلا واسطة – ويرزق المؤمنين وينصرهم بواسطة المخلوقات»(١).

١١-أن فيه ضرراً وخطراً على معتقده، يقول شيخ الإسلام رحمه الله: «فاعتماد الإنسان على الوسائط المخلوقة، وتوكله عليهم يوجب الضرر من جهتهم، وما علق عبد رجاءه بغير الله إلا خاب من تلك الجهة»(٢).

١٢-أنه لا تدخل الواسطة في مثل هذه الأمور.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: «ومن الإيمان به – أي: الرسول ﷺ - الإيمان بأنه الواسطة بين الله وبين خلقه في تبليغ أمره ونهيه، ووعده ووعيده، وحلاله وحرامه... وأما خلق الله تعالى للخلق، ورزقه إياهم، وإجابته لدعائهم وهدايته لقلوبهم، ونصرهم على أعدائهم، وغير ذلك من جلب المنافع ودفع المضار، فهذا لله وحده يفعله بما يشاء من الأسباب، لا يدخل في مثل هذا وساطة الرسل»(٣).

---

(١) الفتاوى (١١/ ٤٣٧).

(٢) الفتاوى (١/ ٢٩).

(٣) الفتاوى (١١/ ١٣٤).

١٣- أن فيه خلطاً بين الحق والباطل، فالإقرار بواسطة التبليغ حق، أما جعلها واسطة دعاء واستغاثة فباطل حكمه.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: «وإن أراد بالواسطة أنه لابد من واسطة في جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يكون واسطة في رزق العباد، ونصرهم، وهداهم، يسألونه ذلك، ويرجعون إليه فيه، فهذا من أعظم الشرك.. »[(١)].

١٤-أما قولهم: إن كل ما أحبه الله صح التوّسل به مثل الأعمال الصالحة ويقاس عليه كل من أحبه الله من نبي أو ولي يصح التوسل به وجعله واسطة، فهذا القياس فاسد، فإنه لو كان صحيحًا لأرشدنا إليه الرسول ﷺ فكيف يعلم أن التوسل به بعد مماته خير لأمته ولا يأمرهم به، ولكان بيانه أولى من بيان منزلة الأعمال الصالحة في إجابة الدعوة، أو دعوة المسلم لأخيه المسلم في ظهر الغيب. وكما أنه مخالف لصحيح المنقول كذلك هو مخالف لصريح المعقول ولفطرة المسلم في توجهها مباشرة إلى خالقها.

١٥-أن الحقيقة واحدة والاختلاف في المسميات.

قال الشيخ عبداللطيف آل الشيخ رحمه الله: «فحاصل ما ذكر من جواز الاستغاثة والدعاء و.... هو عين دعوى المشركين، وتعليلهم، وشبههم، لم يزيدوا عليه حرفًا واحدًا؛ إلا أنهم قالوا: قربان، وشفعاء، والغلاة سموا ذلك توسلاً، فالعلّة واحدة، والحقيقة متحدة»[(٢)].

١٦-أنها هدم لعقيدة التوحيد.

---

(١) الفتاوى (١/ ١٢١).

(٢) منهاج التأسيس مناقض لأساس الدين (ص: ٢٤٣).

يقول الشيخ عبداللطيف آل الشيخ رحمه الله: «وعلى القول بجعل الوسائط بين العباد وبين الله تقطع أصول هذا الأصل العظيم الذي هو قطب رحى الإيمان، وينهدم أساسه الذي ركب عليه البنيان»[1].

١٧-أن الرسول ﷺ قد بيّن لأمته الواسطة المقبولة والوسيلة المشروعة ولم يذكر التوسط والتوسل بذاته ﷺ ومن ذلك:

١ - حديث الأعمال الصالحة.

٢ - حديث دعوة المسلم لأخيه في ظهر الغيب.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «...والتوسل إليه تعالى بما شرع من الأعمال الصالحة، وبأسمائه الحسنى، وصفاته العليا، وبدعوة أخ صالح في ظهر الغيب، فهذه هي الوساطة المقبولة، والوسيلة المشروعة»[2].

١٨-ختامه أن الرسل قد أكدوا أن وساطتهم في التبليغ وليست في العبادة. قال تعالى: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[5].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «إن الحنفاء لا يثبتون بين الله وخلقه واسطة في عبادته،

(١) المرجع السابق (ص: ٢٤٥).

(٢) الواسطة بين الحق والخلق، ابن تيمية، (ص: ٢٠).

(٣) [الأعراف: ٦٢].

(٤) [الأعراف: ٦٨].

(٥) [الأحقاف: ٢٣].

ودعائه، وإنما يثبتون الواسطة في تبليغ الرسالة»[1].

معنى الأبيات إجمالاً:

انتقل الناظم رحمه الله إلى خطوة مهمة وضرورية وهي إزالة الشبهات التي قد علقت بذهن المريد أو علقها مشايخ الطرق بقصد استعباد المريدين.

وبدأها بشبهة حجب الذنب والإساءة لدعائهم وأنه لا بد للعاصي من واسطة نقيّة مهيئة يربط دعاءه بها.

ثم انتقل لتفنيد هذه الشبه بجواب لطيف قريب، حيث دعا المريد العاصي إلى التوبة وبيّن أنه لا مانع منها فباب التوبة مفتوح لجميع العباد، وثمرات التوبة عظيمة ويكفي منها أن الله يغفر لك جميع الذنوب السابقة، أما كون الشيخ واسطة في الدعاء والعبادة فهذا مغالطة للحق حيث لا يعرف أن للشيخ واسطة سوى واسطة التعليم وبلاغ الدين فهي سلسلة من جبريل عليه السلام ثم - محمد صلى الله عليه وسلم - ومنه تعلم الصحابة رضي الله عنهم ومنهم تعلم التابعون وهكذا استمرت واسطة التعليم وبلاغ الرسالة بواسطة مشايخ العلم، أما ما سواه من دعاوى أنهم يتوسطون في مغفرة الذنوب، وجلب النفع ودفع الضر، وغير ذلك فهو من المغالطة التي يجب تركها.

(١) الرد على المنطقيين (ص: ١٠٥).

٣٣٧ - وهل يردُّ الشيخُ يا صاحِ القَدَرْ بل لا يحبُّ من على الذنب أصر
٣٣٨ - ومن يقلْ إن رجال الله يساعدون فاعلَ المناهي
٣٣٩ - أعظِمْ بها من فريةٍ وكِذْبَهْ في حقِّهم وشَتمهٍ وسُبَّهْ
٣٤٠ - وأبغضُ الناس أُهيلُ الفِسْقِ عند ذوي الأيمانِ أهلِ الحقَّ
٣٤١ - وكلُّ محرومٍ بشؤم ذنبِهِ فماله من عاصمٍ من ربِّهِ

قوله: وهل يرد الشيخ يا صاح القدر.

الاستفهام على وجه الإنكار أي لا يمكن أن يرد مشايخ الصوفية القدر متى ما أرادوا كما يزعمون.

يا صاح: أصله «ياصاحب» منادى مرخم على غير قياس، لكونه ليس علماً[١].

والقصص المذكورة عن أولياء الصوفية تدل على أن للولي قدرة تجعله متصرفًا في الكون تصرفًا مطلقًا، ومن ذلك رد القدر ولم يقتصر الأمر على دعاء الولي فقط.

فقد ذكر الشعراني في طبقات الأولياء أن السيد محمد الشويمي قال في جنازة السيد مدين: «كيف مت، وعزة ربي لو كنت حاضراً ما خليتك تموت»[٢].

ولا ريب أن أهذا مخالف لنصوص الكتاب والسنة.

فالله ﷻ يقول لأعظم أوليائه محمد ﷺ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ

(١) انظر: شرح ألفية ابن مالك (١/ ٨٣).
(٢) الطبقات (٢/ ٩١).

﴿١٠٧﴾(١).

قال الشوكاني رحمه الله: «والمعنى أن الله سبحانه هو النافع الضار، فإن أنزل بعبده ضراً لم يستطع أحد أن يكشفه كائنًا من كان، بل هو المختص بكشفه كما اختص بإنزاله»(٢).

ويقول تعالى نافياً أن يستطيع أحد أن يستأخر ساعة أو يتقدم فأجله مكتوب محدد: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾(٣).

ورسول الله ﷺ نفى أن يرد القدر غير الدعاء كما ورد في حديث: {لا يرد القدر إلا الدعاء}(٤).

قوله: بل لا يحب من على الذنب أصر.

لأن من شأن المؤمن ولي الله عز وجل أن يحب في الله ويبغض في الله، كما قال رسول الله ﷺ: {أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله}(٥).

والمصر على المعاصي يُبغض في الله من هذا الجانب، وعلى قدر معصيته، ولا يُحب بل إذا اقتضت المصلحة هجره كأن يؤدي الهجر إلى إقلاعه عن المعصية، فإن السنة

---

(١) [يونس:١٠٧].

(٢) فتح القدير (٢/ ٤٧٨).

(٣) [الأعراف:٣٤].

(٤) مسند أحمد (٥/ ٢٨٠، ح٢٢٤٦٦). ومصنف ابن أبي شيبة (٦/ ١٠٩، ح٢٩٨٦٧). وسنن ابن ماجه (١/ ٣٥، ح٩٠). وحسن الألباني أوله في تعليقه على السنن. والحاكم في المستدرك (١/ ٦٧٠) وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه". وبوب به الترمذي (٤/ ٤٤٨).

(٥) مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ١٧٠، ح٣٠٤٢٠). وبنحوه المعجم الكبير للطبراني (١٠/ ٢٢٠، ح١٠٥٣١). وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (ح٩٩٨).

هجره وقد هجر النبي ﷺ بعض أصحابه وهم من خير الناس بسبب معصية تخلفهم عن غزوة تبوك ولم يكونوا مصرين على التخلف، وأمر أصحابه أن يهجروا الثلاثة بسبب معصيتهم(١).

كذلك أخبر الله عز و جل أن من صفات المؤمنين الذين يغفر الله لهم أنهم لا يصرون على الذنب قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾(٢).

ولأن الولي يعلم أن المصر على الذنب متوعد بالويل، فكيف يحب من توعده الله بالويل والعذاب كما في المسند من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا: {ويل للذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون}(٣).

قوله: ومن يقل: إن رجال الله. استفهام على سبيل الاستنكار والتعجّب.

وقد قال هذا الشعراني والنبهاني في كرامات الشيخ علي وحيش أنه «كان يقيم في المحلة في خان بنات الخطأ، وكان كل من خرج يقول له: قف حتى أشفع فيك عند الله

(١) انظر رسالة المحبة لشيخ الإسلام (ص: ٨٩). الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للفوزان (ص:٢٩٠).

(٢) آل عمران: ٣٥.

(٣) مسند أحمد (٢/ ١٦٥، ح٦٥٤١). وحسنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١/ ١١٢). وصحح الألباني في الأدب المفرد (١/ ١٣٨، ح٣٨٠). والسلسلة الصحيحة (ح٤٨٢). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٩١): "رواه، أحمد ورجاله رجال الصحيح غير حبان بن يزيد الشرعبي، ووثقه ابن حبان". قلت : إسناده صحيح فرجاله كلهم ثقات ، و ليس فيه ما ينافي الصحة ، وحبان بن زيد ، وثقه أبو داود أيضاً بقوله :" شيوخ حريز كلهم ثقات " .وقال عنه الحافظ في " التقريب " : " ثقة من الثالثة ٢/ ٤٥٥.

قبل أن تخرج، فيشفع فيه»[١].

وقوله: رجال الله.هنا يحكي الناظم قولهم و الأولى لهم الاكتفاء بوصف الله ﷻ وترك ما عداه، حيث قال: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢﴾[٢].

قوله: يساعدون فاعل المناهي. بأن يتكفلوا بمحو ذنوبه أو الشفاعة فيه – كما ذكرنا في كرامات علي وحيش – أو نصرته في الدنيا وهو على معصيته، فإن هذا الفعل يجعل العاصي يتمادى في معصيته ويعتمد على وعد الولي له بتكفير معصيته.

قوله: أعظم بها من فرية. أي: ما أعظمها من فرية وكذبة أن أولياء الله يساعدون العصاة على معاصيهم.

والفرية هي: اختلاق الكذب. قال القرافي عند الفرق بين الافتراء والكذب: «الكذب: هو عدم مطابقة الخبر للواقع، والافتراء أخص منه لأنه في حق الغير بما لا يرتضيه، بخلاف الكذب فإنه قد يكون في حق المتكلم نفسه»[٣].

وقال الكفوي: «الافتراء هو العظيم من الكذب... ومعنى افترى افتعل واختلق ما لا يصح أن يكون، والافتراء أخص من الكذب[٤]».

قوله: في حقهم وشتمة وسُبَّة. أي: في حق أولياء الله، فإن من حقهم علينا أن نتحرى الصدق من أقوالهم وأفعالهم، وأن لا نفتري عليهم الكذب بأنهم خالفوا

(١) الطبقات الكبرى (٢/ ١٥٠). جامع كرامات الأولياء (٢/ ٥١٥).

(٢) [يونس:٦٢].

(٣) الفروق (١/ ٤٤٩).

(٤) الكليات للكفوي (١/ ٢٢٠).

أوامر الله فساعدوا العاصين على معاصيهم.

وفي الفرق بين الشتم والسب يقول القرافي: «الفرق بين الشتم والسب: أن الشتم تقبيح أمر المشتوم بالقول... والسب هو الإطناب في الشتم»(١).

وقصد الناظم أن اختلاق مثل هذه القصص لهم هو في حقيقة الأمر يعتبر تنقصًا لهم مثل سبّهم وشتمهم.

قوله: وأبغض الناس أهيل الفسق.

الفسق هو: الخروج عن الطاعة بارتكاب الذنب وإن قل، لكن تعورف فيها إذا كان كبيرة، وأكثر ما يقال: الفاسق لمن التزم حكم الشرع وأخل بأحكامه، والفاسق أعم من الكافر، والظالم أعم من الفاسق(٢).

وقال القرافي: «الخروج من طاعة الله بكبيرة فسقاً»(٣).

وبغض المؤمن للفسّاق وخاصة المبتدعين منهم المبتغين سنة الجاهلية لأن الله عز وجل يبغضهم، كما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومطلب دم امرئ بغير حق ليريق دمه}(٤).

قوله: عند ذوي الإيمان أهل الحق. أي: المتصفين بالإيمان حتى صاروا من أهله وذويه.

---

(١) الفروق اللغوية (١/ ٥٢).

(٢) التوقيف: (ص: ٥٥٧).

(٣) الفروق اللغوية للقرافي (١/ ٤٠٥).

(٤) صحيح البخاري (٦/ ٢٥٢٣، ح٦٤٨٨).

ومع إيمانهم هم على الحق، كما جاء في الحديث: { لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين...}[(١)].

قوله: وكل محروم بشؤم ذنبه.

ذكر ابن القيم رحمه الله عقوبات كثيرة للمعاصي والذنوب كلها تؤدي إلى حرمان العاصي من الخيرات، ومنها: حرمان العلم، وحرمان الرزق، وحرمان الطاعة[(٢)].

قال رحمه الله : "ومن آثارها على القلب: حرمان العلم؛ فإن العلم نور يقذفه الله في القلب، والمعصية تطفئ ذلك النور، وتعمي بصيرة القلب، وتسد طرق العلم"[(٣)].

وقال أيضاً رحمه الله: «وإذا هان العبد على الله لم يكرمه أحد، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾[(٤)] وإن عظمهم الناس في الظاهر لحاجتهم إليهم أو خوفًا من شرهم؛ فهم في قلوبهم أحقر شيء وأهونه»[(٥)].

وقال كذلك رحمه الله: «ومن عقوبات الذنوب: أنها تزيل النعم وتحل النقم. فما زالت عن العبد نعمة إلا بذنب، ولا حلت به نقمة إلا بذنب... قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾[(٦)]»[(٧)].

قوله: فما له من عاصم من ربه.

---

(١) صحيح البخاري (٦/ ٢٦٦٧، ح٦٨٨١). وصحيح مسلم (٣/ ١٥٢٣، ح١٩٢٠)، واللفظ له.

(٢) انظر: الداء والدواء (ص: ٩٤).

(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم، (ص: ١٠٤).

(٤) [الحج:١٨].

(٥) الداء والدواء (ص: ٩٣).

(٦) [الرعد:١١].

(٧) الداء والدواء (ص: ٩٣).

قال ابن القيم رحمه الله: «ومنها – أي: من عقوبات المعاصي وآثارها القبيحة المذمومة في الدنيا والآخرة – أن المعصية سبب لهوان العبد على ربه وسقوطه من عينه... قال الحسن البصري:[هانوا عليه فعصوه، ولو عزّوا عليه لعصمهم][1].

معنى الأبيات إجمالاً:

يستمر الناظم رحمه الله في الرد على شبهة الواسطة مستفهمًا على وجه الإنكار ومقررًا في نفس الوقت أنه لا يستطيع أحد أن يرد قدر الله عز وجل.

وما دام الأمر كذلك فلا فائدة من واسطته؛ لأن كل الأمور مقدرة، بل إن دعواكم تلك فيها مخالفة لحال الأولياء الصادقين، فإنهم لا يحبون المصرين على الذنوب، وقولكم: إنهم يساعدون العاصين وهم على معاصيهم مصرون، من أعظم الافتراء عليهم والكذب في حقهم، بل دعوى ذلك يعتبر شتم وسبّ للأولياء، بل هؤلاء المصرون على معاصيهم الفسقة هم أبغض الناس عند الأولياء المؤمنين السائرين على الحق.

وكذلك المحرمون عن كل خير بسبب ذنوبهم وشؤمها عليهم، فإن هؤلاء لن تنفعهم واسطة الأولياء ولا أحد يعصمهم من أمر الله إذا قضاه وقدره.

---

(١) المرجع السابق.

٣٤٢ - فإن يتبْ من ذنبِه واستغفرا فقد غَدا من رجْسِه مُطهَّرا
٣٤٣ - ممتثلاً لكل ما به أَمرْ منتهيًا لكل ما عنه زَجَرْ
٣٤٤ - رقَّاهُ مولاهُ إلى أعلى الرُّتَبْ وإن دعا أجابه بما طَلَبْ
٣٤٥ - فاعملْ وحاذرْ أن تَرى منخدِعا فليس للإنسان إلا ما سَعَى
٣٤٦ - وسَيَرى الله تعالى عملكْ لا غيرُه فقوِّ في ذا أملكْ

قوله: فإن يتب من ذنبه واستغفرا.

يعود الناظم رحمه الله في هذا البيت إلى ما قرره سابقاً بقوله:

أقول ما المانع أن تتوبا ويغفر الله لك الذنوبا

من أن الطريق الصحيح هو لزوم التوبة وليس دعاء الأولياء.

فيبيّن رحمه الله للمريد بعض فوائد التوبة ومنها: طهارة الباطن من الذنوب والمعاصي، وزوال الحائل الذي كان عائقًا عن دعاء الله عز وجل مباشرة.

والفرق بين التوبة والاستغفار: أن الاستغفار طلب المغفرة بالدعاء والتوبة أو غيرهما من الطاعة، والتوبة الندم على الخطيئة مع العزم على ترك المعاودة[1].

قوله: فقد غدا من رجسه مطهرًا. الرجس: في اللغة اسم لكل ما استقذر من عمل[2].

فالتوبة تكفر السيئات، فإذا تاب العبد توبة نصوحاً كفَّر الله بها جميع ذنوبه وخطاياه.

(١) الفروق اللغوية للقرافي (١/ ٤٨).

(٢) تهذيب اللغة (٣/ ٤٥٩).

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾(٢).

بل فضل الله عز وجل وكرمه أعظم من تكفير السيئات، فإن من ثمار التوبة وعمل الصالحات تبديل السيئات حسنات، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾(٣).

قال ابن القيم رحمه الله في هذه الآية: «وهذا من أعظم البشارة للتائبين إذا اقترن بتوبتهم إيمان وعمل صالح، وهو حقيقة التوبة...قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فرح بشيء قط فرحه بهذه الآية لما أنزلت، وفرحه بنزول: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾﴾(٤)»(٥).

قوله: ممتثلاً لكل ما به أمر منتهياً ....

يهدي الناظم رحمه الله المريد إلى السبب الثاني بعد التوبة الذي يوصل المريد إلى أعلى

(١) [التحريم:٨].
(٢) [الزمر:٥٣].
(٣) [الفرقان:٧٠].
(٤) [الفتح:١].
(٥) مدارج السالكين (١/ ٣١٠).

المراتب، فيستجاب دعاؤه إن دعا، فلا يبقى له حاجة عند ولي تستدعي أن يدعوه أو يطلب منه الدعاء.

وهذا السبب هو امتثال أوامر الله عزّ وجلّ واجتناب نواهيه.

ومن الأدلة على أن فعل الأوامر وترك النواهي طريق لتزكية النفس وبلوغها أعلى الرتب.

قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾(٢).

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: {أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمساً ما تقول ذلك يبقى من درنه؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيئاً. قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله به الخطايا}(٣).

قال ابن العربي: «وجه التمثيل، أن المرء كما يتدنس بالأقذار المحسوسة في بدنه وثيابه، ويطهره الماء الكثير، فكذلك الصلوات، تطهر العبد من أقذار الذنوب، حتى لا يبقي له ذنباً إلا أسقطته»(٤).

قوله: رقاه مولاه إلى أعلى الرتب.

يتابع الناظم رحمه الله بيان الثمار اليانعة للتوبة والعمل الصالح، ومنها وصول العبد

---

(١) [النور:٣٠].

(٢) [التوبة:١٠٣].

(٣) صحيح البخاري (١/ ١٩٧، ح٥٠٥). وصحيح مسلم (١/ ٤٦٢، ح٦٦٧).

(٤) فتح الباري (٢/ ١١).

إلى المراتب العالية في الدنيا والآخرة.

كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾﴾[2]؛ أي: وصل إلى أعلى الدرجات من زكى نفسه بفعل الطاعات.

وقول الله تعالى في الحديث القدسي: (وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه، ولا يزال يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه...)[3]، فإن الوصول إلى محبة الله عز وجل هي أعلى الرتب.

ويقول ابن القيم رحمه الله: «وأما الأبدان الزاكية فهي التي زكت بطاعة الله، ونبتت على أكل الحلال، فمتى خلصت الأبدان من الحرام وأدناس البشرية التي ينهى عنها العقل والدين والمروءة، وطهرت الأنفس من علائق الدنيا، زكت أرض القلب»[4].

قوله: وإن دعا أجابه بما طلب.

كذلك من الثمار اليانعة للتوبة والعمل الصالح استجابة الدعاء.

ففي التوبة قال هود عليه السلام: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾[5].

وفي عمل الصالحات جاء في حديث الولي المشهور: (... فإذا أحببته كنت سمعه

---

(١) [طه:٧٥-٧٦].

(٢) [الشمس:٩].

(٣) صحيح البخاري (٥/ ٢٣٨٤، ح٦١٣٧).

(٤) مدارج السالكين (٢/ ٤٧٤).

(٥) [هود:٥٢].

الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه)[1].

وحديث الثلاثة نفر المشهور الذين دخلوا الغار دليل على ذلك أيضاً.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، قال: {خرج ثلاثة نفر يمشون فأصابهم المطر، فدخلوا في غار في جبل، فانحطت عليهم صخرةٌ، قال: فقال بعضهم لبعض: ادعوا الله بأفضل عمل عملتموه، فقال أحدهم: اللهم إني كان لي أبوان شيخان كبيران، فكنت أخرج فأرعى، ثم أجيء فأحلب فأجيء بالحلاب، فآتي به أبوي فيشربان، ثم أسقي الصبية وأهلي وامرأتي، فاحتبست ليلة، فجئت فإذا هما نائمان، قال: فكرهت أن أوقظهما، والصبية يتضاغون عند رجلي، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهما، حتى طلع الفجر، اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا فرجة نرى منها السماء، قال: ففرج عنهم، وقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أني كنت أحب امرأة من بنات عمي كأشد ما يحب الرجل النساء، فقالت: لا تنال ذلك منها حتى تعطيها مائة دينار، فسعيت فيها حتى جمعتها، فلما قعدت بين رجليها قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقمت وتركتها، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا فرجة، قال: ففرج عنهم الثلثين، وقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أني استأجرت أجيرا بفرق من ذرة فأعطيته، وأبى ذاك أن يأخذ، فعمدت إلى ذلك الفرق فزرعته، حتى اشتريت منه بقرا وراعيها، ثم جاء فقال: يا عبد الله أعطني حقي، فقلت: انطلق إلى تلك البقر وراعيها فإنها لك، فقال: أتستهزئ بي؟ قال:

---

(١) تقدم تخريجه (ص:٣٠٧).

فقلت: ما أستهزئ بك ولكنها لك، اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا فكشف عنهم}[(١)].

قوله: فاعمل وحاذر أن ترى منخدعاً.

قوله: فاعمل. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾[(٢)] وإلى حديث الرسول ﷺ: {اعملوا فكل ميسر لما خلق له}[(٣)].

وحديث ربيعة بن كعب الأسلمي، قال: {كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي: «سل» فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة. قال: «أو غير ذلك» قلت: هو ذاك. قال: «فأعني على نفسك بكثرة السجود»[(٤)].

قوله: حاذرأن تُرى منخدعاً. الحاذر المستعد المتأهب[(٥)].

يهدي الناظم رحمه الله المريد إلى عدم الركون إلى الأولياء والانخداع بما سُطّرعنهم من أنهم يوصلون المطلوب ويتوسطون للشافع، بل يجب عليه أن يسعى إلى أن يرتقي بنفسه إلى أعلى المقامات من خلال التوبة وعمل الصالحات واجتناب المحرمات مما يجعلها عند ذلك زكيّة مهيأة لقبول دعائها.

فالله عز وجل قد طلب من جميع العباد أن يدعوه مباشرة ولم يأمرهم أن يتوجهوا إلى الأولياء، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٧٩) حديث (٢٢١٥). ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٩٩) حديث (٢٧٤٣).

(٢) [سبأ: ١٣].

(٣) صحيح البخاري (٤/ ١٨٩٠، ح٤٦٦١). وصحيح مسلم (٤/ ٢٠٤٠، ح٢٦٤٧).

(٤) أخرجه مسلم (١/ ٣٥٣) حديث (٤٨٩).

(٥) تهذيب اللغة (٢/ ٨٦). المخصص لابن سيده (٣/ ٣٥٦).

عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[1].

وكذلك وعد من تاب وآمن وعمل صالحًا أن يبدل سيئاته حسنات، قال تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾[2].

قوله: فليس للإنسان إلا ما سعى.

إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾﴾[3].

ويقصد الناظم رحمه الله الرد على ضلالات الصوفية التي يدعونها كرامات ويسطرونها في كتبهم ليخدعوا بها العامة، فيأخذوا أموالهم وأعراضهم وغير ذلك.

ومن ذلك: ما ورد في كرامات الشيخ مدين بن أحمد الأشموني أنه جاءته امرأة فقالت: هذه ثلاثون دينارًا وتضمن لي على الله الجنة! فقال لها الشيخ رضي الله عنه مباسطًا لها: ما يكفي، فقالت: لا أملك غيرها، فضمن لها على الله دخول الجنة! فماتت، فبلغ ورثتها ذلك فجاءوا يطلبون الثلاثين دينارًا من الشيخ، وقالوا: هذا الضمان لا يصح، فجاءتهم في المنام وقالت لهم: اشكروا لي فضل الشيخ، فإني دخلت الجنة! فرجعوا عن الشيخ[4].

---

(١) [غافر: ٦٠].

(٢) [الفرقان: ٧٠].

(٣) [النجم: ٣٩-٤١].

(٤) طبقات الشعراني (٢/ ١٠٢). جامع النبهاني (٢/ ٤٦٣).

قوله: وسيرى الله تعالى عملك.

في البدء بـ «وسيرى» خلل في النظم والأولى أن يعطف الناظم على قوله :فاعمل بفعل أمر آخر لكي يستقيم النظم، كقوله مثلا : وراقب الله ، أو قدّم الفعل : فقوّ وأخّر وسيرى ليستقيم النظم كذلك.

وفي البيت إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾[١]. وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾[٢].

قالت عائشة رضي الله عنها : «إذا أعجبك حسن عمل امرئ، فقل: ﴿ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ ﴾»[٣].

قوله: فقوّ في ذا أملك.

اسم الإشارة «ذا» يعود إلى العمل الصالح، وتقوية الأمل بالعمل الصالح بناءً على أنه سبب شرعي في إجابةالدعاء، كما في الحديث المشهور حديث الثلاثة نفر الذين انطبق عليهم الغار، ففرج عنهم بأعمالهم الصالحة فلم يلتفتوا لدعاء ولي[٤].

وهذا الحديث لا يتعارض مع حديث: {اعلموا أنه لا يدخل أحد الجنة بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله، قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته}[٥].

---

(١) [التوبة:١٠٥].

(٢) [النجم:٤٠-٤١].

(٣) صحيح البخاري معلقاً (٦/ ٢٧٣٨).

(٤) تقدم ذكره وتخريجه ص: ٤٣٣

(٥) صحيح البخاري (٥/ ٢١٤٧، ح٥٣٤٩). وصحيح مسلم (٤/ ٢١٦٩، ح٢٨١٦).

فإن حديث الثلاثة نفر في إجابة الدعاء فقط، فالله عز وجل جعل العمل الصالح سببًا لإجابة الدعاء.

أما هذا الحديث ففي دخول الجنة، والله عز وجل جعل رحمته هي سبب دخول الجنة مع العمل الصالح(١).

معنى الأبيات إجمالاً:

يوضح الناظم رحمه الله السبيل الأمثل للوصول إلى المبتغى إجابة الدعاء وهو التوبة، فإن من يتوب من ذنوبه ويستغفر منها فإنه يصبح مطهر القلب من وسخ الذنوب والمعاصي.

وبعد ذلك لا يقتصر على التوبة فقط، بل لابد من أداء جميع الأوامر التي أمر الله بها من الواجبات يتمثل لذلك بالمستحبات، والانتهاء عن جميع النواهي التي نهى الله عنها من المحرمات، وينتهي كذلك عن المكروهات.

فإذا قام العبد بذلك على خير وجه تولاه الله عز وجل ثم رفعه إلى أعلى المراتب التي يمكن أن يصل إليها العبد وهي مرتبة الولاية، ثم يكون أهلاً لإجابة الدعاء بما يطلبه من أمور الدنيا والآخرة.

ثم يهدي الناظم رحمه الله المريدإلى وجوب العمل بالصالحات ومنها دعاء الله عز وجل والحذر من خديعة مشايخ الطرق بأن الأولياء يهبون الحسنات ويكفرون السيئات، فإن هذا مخالف للشريعة المتفق عليها بين الشرائع السماوية ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾(٢).

(١) قاعدة جليلة في التوسل (ص: ٣٥).

(٢) [النجم:٣٩].

كذلك يوجه علمه وجه علمه إلى أن الله عزوجل وحده فقط المطّلع على جميع أعمالك لا يعلم عنها لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا ولي محبوب. ولهذا أصلح أعمالك وقوّي فيها آمالك، فإن الله عزوجل قد رتب عليها الثواب والعقاب.

٣٤٧ - فقُمْ وناج اللهَ إن خطبٌ نزلْ ولا تناجِ غيرَه عزَّوجَلّ
٣٤٨ - فما سواهُ بالعبادِ أعلمُ كلاًّ ولا للخلق منه أرحمُ
٣٤٩ - فإنه أقربُ من حبل الوريدْ وعالمٌ بكل أحوال العبيدْ
٣٥٠ - ولا سواهُ للدعاةِ أقربُ وغافرٌ ذنوبَهمْ إن أذنبُوا
٣٥١ - أليس يكفي اللهُ جل عبدَه إذا دعاه وارتجاه وحدَه

قوله: فقم وناج الله إن خطب نزل.

يتابع الناظم رحمه الله هدايته للمريد في أمر الدعاء، فبعد ما بيّن له في الأبيات السابقة أهمية التوبة وعمل الطاعات، يوجهه هنا إلى أهمية التوجه إلى الله عز وجل ومناجاته.

قوله: فقم. أي: قم بين يدي الله عز وجل وادعوه فإنه خير لك من دعاء المخلوقين الذين لا ينفعوك بشيء.

وقد وصف الله عباده المتقين بأنهم يستغفرون بالأسحار قال تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ١٧﴾[١].

وقد رغبنا الله عز وجل على قيام الليل وبيّن أنه وقت وسبب لقبول الدعاء.

كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: {ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له...}[٢].

(١) [آل عمران:١٧].

(٢) صحيح البخاري (١/ ٣٨٤، ح١٠٩٤). وصحيح مسلم (١/ ٥٢١، ح٧٥٨).

قوله: وناج الله. المناجاة هي: الكلام الخفي[1].

وهي من آداب الدعاء، كما قال تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥﴾[2].

والله عز وجل وصف نبيه زكريا عليه السلام بقوله: ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ٣﴾[3].

فهي صفة دعاء الأنبياء في الأسحار، وهي أبلغ في التضرع والخشوع، ودالة على استشعار قرب الله عز وجل[4].

قوله: خطب نزل. الخطب: هو الشأن أو الأمر صغر أو عظم، وقيل: هو سبب الأمر[5]، وهذا شأن أنبياء الله عز وجل، فيجب الاقتداء بهم في ذلك، قال تعالى عن يونس عليه السلام: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾[6].

قال الشنقيطي رحمه الله: «﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ يدل على أنه ما من مؤمن يصيبه الكرب والغم، فيبتهل إلى الله داعيًا بإخلاص، إلا نجاه الله من ذلك الغم، ولاسيما إذا دعا بدعاء (يونس) هذا»[7].

---

(١) الفروق اللغوية للقرافي (١/ ٥٣٣).

(٢) [الأعراف:٥٥].

(٣) [مريم:٣].

(٤) الفتاوى (١٥/ ١٧). بدائع الفوائد (٣/ ٦).

(٥) لسان العرب (١/ ٣٦٠).

(٦) [الأنبياء:٨٧-٨٨].

(٧) أضواء البيان للشنقيطي (٤/ ٦٨٦).

قوله: فما سواه بالعباد أعلم.

يقصد الناظم رحمه الله هنا أن يبيّن للمريد أن الخالق سبحانه وتعالى متصف بصفات عظيمة تجعل الإنسان يلتجئ إلى ربه ويطمئن إلى كفايته في إجابة الدعاء، ومن هذه الصفات: علم الله عز وجل المحيط بكل شيء، ومنه أحوال العباد وحاجاتهم.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾[1].

وقال تعالى: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٦٠﴾﴾[3].

وقد ضرب لنا سبحانه وتعالى مثلاً لسعة علمه، فقال سبحانه: ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٧﴾﴾[4]أي: لو تحولت جميع أشجار الأرض فصنع خشبها كله أقلاماً وتحولت البحار كلهاالمحيطة بها مداداً، وجلس كاتبون يكتبون علم الله بهذه الأقلام، وبهذا المداد لنفذالمداد كله، ولم تنفد كلمات الله سبحانه وتعالى.

---

(١) [المائدة:٩٧].

(٢) [الملك:١٤].

(٣) [الأنعام:٥٩-٦٠].

(٤) [لقمان:٢٧].

وقال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾(١)، وجاء في حديث الاستخارة: {اللهم إني أستخيرك بعلمك...}(٢).

قال الإمام أحمد: «وهو يعلم ما في السماوات السبع.... وأعمال العباد وآثارهم، وكلامهم، وأنفاسهم، ويعلم كل شيء، لا يخفى عليه من ذلك شيء، وهو على العرش فوق السماء السابعة»(٣).

قوله: ولا للخلق منه أرحم. يهدي الناظم رحمه الله المريد إلى أن كذلك من صفاته سبحانه وتعالى الداعية إلى الالتجاء إليه وترك الوسطاء الرحمة بالخلق.

قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾(٥).

وفي الصحيحين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: {قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبي، فإذا امرأة من السبي تبتغي، إذ وجدت صبيًّا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟ قلنا: لا والله وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لله أرحم بعباده من هذه بولدها}(٦).

ومن رحمته تعالى أنه فتح باب التوبة للتائبين، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ

---

(١) [البقرة:٢٥٥].

(٢) صحيح البخاري (١/ ٣٩١، ح١١٠٩).

(٣) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة (١/ ٢٨٣).

(٤) [الفاتحة:٣].

(٥) [الأحزاب:٤٣].

(٦) صحيح البخاري (٥/ ٢٢٣٥، ح٥٦٥٣). وصحيح مسلم (٤/ ٢١٠٩، ح٢٧٥٤)، واللفظ له.

عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾[(١)]، وينزل كل ليلة يستجيب دعاء الداعين، فلم يجعل لبابه حجاب لا يدخل إليه العباد إلا عن طريقهم، بل قال سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[(٢)]، بل ودعا جميع المسرفين على أنفسهم بالمعاصي أن لا يقنطوا من رحمته، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[(٣)].

قوله: فإنه أقرب من حبل الوريد. كذلك يهدي الناظم المريد إلى أن من صفاته سبحانه الداعية إلى الالتجاء إليه القرب من العباد.

وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾[(٤)]، وقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾[(٥)].

وقد جمع الله عز وجل بين القرب والإجابة في قوله: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾[(٦)].

وقد أخبر الله عز وجل أنه قريب من الداعين، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[(٧)].

---

(١) [الشورى:٢٥].

(٢) [غافر:٦٠].

(٣) [الزمر:٥٣].

(٤) [ق:١٦].

(٥) [الواقعة:٨٥].

(٦) [هود:٦١].

(٧) [البقرة:١٨٦].

قال ابن القيم رحمه الله: «إن هذا القرب المذكور في القرآن والسنة قرب خاص وهو غير قرب الإحاطة»(١).

ويفهم من كلام شيخ الإسلام أن القرب في الآية خاص بحالة الدعاء وليس قربًا عامًا في جميع الأحوال(٢).

وكذلك أخبر رسوله ﷺ فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: {كنا مع النبي ﷺ في سفر، فجعل الناس يجهرون بالتكبير، فقال النبي ﷺ: اربعوا على أنفسكم، إنكم ليس تدعون أصمّ ولا غائبًا، إنكم تدعون سميعًا قريبًا، وهو معكم}(٣).

وأخبر أنه يتقرب إلى عباده، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: {قال الله عزوجل: من تقرّب إلي شبرًا تقربت إليه ذراعًا، ومن تقرب إلي ذراعًا تقربت إليه باعًا، وإذا أقبل إليّ يمشي أقبلت إليه أهرول}(٤).

قوله: وعالم بكل أحوال العبيد.

يؤكد الناظم رحمه الله ما ذكره في البيت السابق على أن اتصاف الله عز وجل بالعلم داع إلى الالتجاء ليه وحده.

إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾(٥)، وقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ

---

(١) طريق الهجرتين (١/ ٢٢).

(٢) انظر: الفتاوى (٥/ ١٢٩-١٣٠)، (٢٤٠-٢٤١).

(٣) تقدم تخريجه(ص:٣٤٧).

(٤) صحيح البخاري (٦/ ٢٦٩٤، ح٦٩٧٠). وصحيح مسلم (٤/ ٢٠٦١، ح٢٦٧٥).

(٥) [يونس:٦١].

عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾[1].

وغيرها مما سبق بيانه في البيت السابق.

قوله: ولا سواه للدعاة أقرب.

قال تعالى واصفًا حال المدعوين بالغفلة عن الداعين مما يدل على بعدهم: ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾[2].

قوله: وغافر ذنوبهم إن أذنبوا.

إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾[3]، وقوله: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾[4]، وأصل الغفر التغطية والستر، والغفر والمغفرة التغطية على الذنوب والعفو عنها[5]. وفصلنا القول في ذلك في البيت (رقم ٢٩٧).

قوله: أليس يكفي الله جل عبده.

الاستفهام في أليس: للتقرير.

وقوله: جل.. سبق بيانه في البيت رقم (٢٦٠).

---

(١) [الرعد:٨-٩].

(٢) [الأحقاف:٥].

(٣) [غافر:٣].

(٤) [طه:٨٢].

(٥) لسان العرب (٦/ ٢٣٧٣).

وقوله: يكفي: قال الراغب: «الكفاية ما فيه سد الخلّة وبلوغ المراد في الأمر»(1).

والبيت فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾(2)، وقوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾(3).

قال السعدي رحمه الله: «الكافي عبده جميع ما يحتاجون ويضطرون إليه، الكافي كفاية خاصة من آمن به وتوكل عليه واستمد منه حوائج دينه ودنياه»(4).

وكذلك دلت السنة على كفاية الله لعبده، ومن ذلك حديث أنس رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه قال: {الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي}(5).

من الأدلة على كفاية الله عز وجل لعباده في الرزق إذا دعوه في الوقاية من شر الأعداء من شياطين وغيرهم، حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: {إذا خرج الرجل من بيته، فقال: بسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، قال: يقال حينئذ: هديت وكفيت ووقيت، فيتنحى عنه الشيطان، فيقول شيطان آخر: كيف لك برجل قد هُدي وكفي ووقي}(6).

---

(1) المفردات (ص: 719).

(2) [الزمر:36]

(3) [البقرة:137]

(4) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (5/ 304)

(5) صحيح مسلم (4/ 2085، ح2715).

(6) سنن أبي داود (4/ 325، ح5095) واللفظ له. وسنن الترمذي (5/ 490، ح3426). والنسائي في ((عمل اليوم والليلة)) (89). ومسند أحمد (6/ 306، ح26658). وصحيح ابن حبان (3/ 104، ح822)، وحسنه الترمذي. وصححه الألباني في صحيح الجامع (513).

ومن الأدلة على كفاية الله عز وجل لعباده إذا ارتجوه وحده: قول الرسول ﷺ: {لو أنكم تتوكلون حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوخماصًا وتعود بطانًا}(١).

معنى الأبيات إجمالاً:

يهدي الناظم رحمه الله المريد هنا إلى أهمية التوجه إلى الله عز وجل ومناجاته.

فهي من الأمور المهمة بعد التوبة والقيام بالأعمال الصالحة وخاصة قيام الليل لمناجاة الله عز وجل ودعائه وخاصة عندما تنزل الخطوب والمصائب بالعبد، ويحذره من أن يدعو ويناجي غير الله عز وجل مهما كانت منزلته.

ثم يبين له السبب في التوجه بالدعاء إلى الله عز وجل وحده؛ لأنه لا أحد أعلم بحال العباد منه ولا أحد أرحم بالخلق منه سبحانه وتعالى.

كذلك هو سبحانه وتعالى متصف بالقرب مع علوه سبحانه وتعالى، فإنه أقرب حتى من أعضاء الإنسان بالإنسان كحبل الوريد، وعالم بكل حال يتقلب فيها عباده من عسر ويسر.

وليس أحد سواه سبحانه وتعالى أقرب من الداعي إذا دعاه، وليس لذلك أحد سواه يغفر ذنوب العباد إن هم أذنبوا.

فبعد كل هذا البيان عن صفات الخالق سبحانه وتعالى الدالة على عظيم شأنه أيعجز الله عز وجل عن كفاية عبده في جميع حاجاته، وذلك إذا توجه العبد إليه وحده سبحانه بالدعاء والرجاء.

---

(١) سنن الترمذي (٤/ ٥٧٣، ح٢٣٤٤)، وقال: "حسن صحيح". وسنن ابن ماجه (٢/ ١٣٩٤، ح٤١٦٤). وصحيح ابن حبان (٢/ ٥٠٩، ح٧٣٠). والمستدرك للحاكم (٤/ ٣٥٤، ح٧٨٩٤)، وقال: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه". والألباني في الصحيحة (ح٣١٠).

٣٥٢ - فـما لكـمْ يـا معشـر الجُهـالِ	تـدعون غـيرَ الله ذي الجـلالِ
٣٥٣ - في جلـب النفـع أو لـدفع ضـر	أو بُـرءِ سُـقمِ وارتفـاعِ شـر
٣٥٤ - من ليس يُغني نفسَه من ضـرها	ولم يُطـقْ إنقاذهـا مـن فقرِهـا
٣٥٥ - وتسـألون العـون والإمـداد	والهَـدْيَ والإسـعاد والإرشـاد
٣٥٦ - وتسـتمدون مـن الأمـواتِ	تيسـير عسـر وقضـا الحاجـاتِ

قوله: فما لكم. استفهام على وجه التعجب والاستنكار.

قوله: يا معشر الجهال. المعشر، قال الأزهري: «المعشر والنفر والقوم والرهط هؤلاء معناهم الجمع.... وقال الليث[1]: المعشر كل جماعة أمرهم واحد نحو معشر المسلمين ومعشر المشركين»[2].

قوله: تدعون غير الله. سبق أن بيّنت مسألة دعاء غير الله عز وجل في البيت رقم (٢٦٧).

قوله: ذي الجلال. سبق بيانه في البيت رقم (٢٦٠).

يتعجب الناظم رحمه الله من حال هؤلاء الجهال، فيقول: قد بينت لكم عظيم قدرة الله عز وجل وعظيم صفاته الدالة على أنه سبحانه هو المغيث وحده، ثم أنتم تدعون غيره من الأولياء.

قوله: في جلب نفع. سواء كان في الدنيا أو في الآخرة، أما في الدنيا كرد مسروق

---

(١) هو الإمام الحافظ الفقيه، عالم الديار المصرية ومحدثها وفقيهها، أبو الحارث، الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي مولاهم، قرين الإمام مالك، وكان جواداً متصدقاً . توفي سنة: ١٧٥ هـ. انظر: السير (٨/ ١٣٦-١٦٣).

(٢) تهذيب اللغة للأزهري باب عشر (١/ ١٢٥).

أو قضاء دين أو طلب الولد أو هداية القلوب، وأما في الآخرة كغفران الذنوب، وتسهيل الخاتمة، والنفع في القبر، وأخذ اليد على الصراط، ثم إدخاله الجنة، كل هذه الأمور وغيرها أكثر قد دُعي الأولياء بها من دون الله ﷻ، وذكرنا في الفصل الأول وفي هذا الفصل نماذج من دعائهم مع الرد عليهم في ذلك كما في البيت رقم (٣٢١).

قوله: <u>أو لدفع ضر</u>. فقد دُعي الأولياء لدفع الكروب والملمات ومن ذلك ما ذكر النبهاني في كرامات مسلمة بن نعمة السروجي أنه «لما قصد الكفرة من الفرنج الأرمن مدينة سروج، وقتلوا وأسروا، ثم قصدوا زاويته، وصل الخبر إلى مريديه، فقالوا: يا سيدي جاءنا العدو، فقال: اصبروا، ثم كرروا القول إلى أن قالوا: بيننا وبينهم قدر رشقة حجر، فخرج وأشار بيده الكريمة برجوعهم فرجعت بهم الخيل قهرًا لا يستطيعون ردّها بوجه، فقتل منهم خلق عظيم، وكذلك من الخيل، وتكسرت العدد، وصاروا بأسوأ حال»[١].

وقد أخبرنا الله ﷻ أنه لا أحد يكشف السوء غيره سبحانه وتعالى، حيث قال سبحانه: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[٢]. أي: لا أحد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلاً عن غيرهم.

وقال تعالى عن هؤلاء المدعوين: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ ﴾[٣].

---

(١) جامع كرامات الأولياء للنبهاني (٢/ ٤٧٠).

(٢) [النمل:٦٢].

(٣) [الإسراء:٥٦].

وقال تعالى مخاطبًا رسوله محمد ﷺ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾[1].

أما في الآخرة فقال الله ﷻ نافيًا قدرة أحد في كشف ضرها: ﴿أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾﴾[2].

قوله: أو برء سقم. البرء: هو الشفاء، والسقم: المرض.

يقول ابن عجيبة داعياً إلى دعاء غير الله وطلب الشفاء منهم: «فإن تعذّر عليه – أي على المريد – الوصول إلى الشيخ وقد عرض له مرض أو أمر فليشخص شيخه بين عينيه بصفته وهيئته ويشكو له فإنه يبرأ بإذن الله، وإن كان مع جماعة واستحيا فليشتك إليه في قلبه»[3].

ومما جاء في أدعية الطريقة القادرية الدعاء والاستغاثة بعبد القادر الجيلاني وفيه: «يا سيدي جمال الله، يا نائب رسول الله، يا راحم الناس، يا مذهب الباس.... أغثني في كل أحوالي، وانصرني في كل آمالي»[4].

وبرء الأسقام وشفاؤها لا يأتي به إلا الله ﷻ، فهو الشافي وحده ولا يطلب من غيره كائنًا من كان؛ قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾[5]،

---

(١) [الأنعام:١٧].

(٢) [النجم:٥٧-٥٨].

(٣) الفتوحات الإلهية، ابن عجيبه الحسني، (ص: ٣٠٨).

(٤) الفيوضات الربانية، القادري، (ص: ١٩٤) وما بعدها.

(٥) [يونس:١٠٧].

وقال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾[(١)].

قال الشوكاني رحمه الله: «وأسند المرض إلى نفسه دون غيره رعاية للأدب مع الرب، وإلا فالمرض وغيره من الله سبحانه»[(٢)].

والسنة تؤكد ذلك، فقد جاء في رقية الرسول ﷺ: {اللهم رب الناس مذهب البأس اشف أنت الشافي، لا شافي إلا أنت، شفاء لا يغادر سقمًا}[(٣)].

قوله: وارتفاع شر. أي: رفع الشرور بأنواعها.

و الصوفية يدعون أولياءهم لرفع الشر، ومن ذلك ما ذُكر عن عبيد أحد أصحاب الشيخ حسين أبي علي[(٤)] أنه وجد سفينة واقعة في الوحل فلجأوا إليه، فقال: اربطوها بحبل في بيضتيّ ففعلوا، فجرها حتى خلصها من الوحل[(٥)].

وإذا توقع المؤمن حصول الشر فالواجب عليه أن يدعو الله عز وجل لرفعه، فلا رافع له إلا الله، قال تعالى في شر الأحزاب ومن ظاهرهم: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا

---

(١) [الشعراء:٨٠].

(٢) فتح القدير (٤/ ١٠٥).

(٣) صحيح البخاري (٥/ ٢١٦٧، ح٥٤١٠). وصحيح مسلم (٤/ ١٧٢١، ح٢١٩١).

(٤) شيخ صوفي غارق في التصوف لا يكاد يخرج من خلوته، اتهم بالشعوذة والكيماء، ربَّى أصحابه على الشطح والنطق بالكلمات التي لا تأويل لها. مات بعد (٨٩٠هـ). انظر: «الطبقات الكبرى» للشعراني (٢/ ٧٨ ترجمة ٣٢٣).

(٥) جامع كرامات الأولياء، النبهاني، (٢/ ٢٨٦).

﴿٢٧﴾[1].

قوله: من ليس يُغني نفسه من ضـرها. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ١٩٧﴾[2]، فالآية تدل على أن المدعوين من دون الله لا يستطيعون أن ينصروا أنفسهم ويغنون عنهم من الله شيئًا.

قوله: ولم يطق إنقاذها من فقرها. أي: لم يقدر مع بذل الجهد.

إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ٧٣﴾[3]، وفيها دلالةعلى عجز المدعوين عن دفع الضرر عن أنفسهم فضلاً عن غيرهم، وفي المثل المذكور أبلغ رادع لمن يطلب منهم دفع الضر أو إيصال النفع.

قوله: وتسألون العون والإمدادا. يتابع الناظم رحمه الله تعجبه من حال المريدين الجهلاء، ويقول لهم كذلك: ما لكم أيها الجهال تسألونهم العون على حوائجكم من دون الله، وتطلبون مددهم.

والمدد بيّنته وفصّلته في الفصل الأول في البيت رقم (٢٦٨).

والهَدْي يقصد به الهداية، أي: تسألونهم الهداية.

وسؤالهم هذا مبني على ما سمعوه وقرءوه من كرامات الأولياء أنهم يملكون العون والمدد والهداية والإسعاد والإرشاد، ومن ذلك:

(١) [الأحزاب:٢٥-٢٧].

(٢) [الأعراف:١٩٧].

(٣) [الحج:٧٣].

قول الفوتي[1]: «ومنهم من إذا نظر إليك نظرة تسعد سعادة لا شقاوة بعدها أبدًا»[2].

وأشعار الصوفية أكثرها من هذا القبيل وزيادة، ومن أمثلة هذه الأشعار ما نقله النبهاني عن محمد الجمال الحلبي وقد توجه إلى رسول الله ﷺ بقوله:

يا ملاذي يا منجدي يا منائي ... يا معاذي يا مقصدي يا رجائي

يا نصيري يا عمدتي يا مجيري ... يا خفيري يا عدتي يا شفائي

أنت عوني وملجأي وغياثي ... وجلا كربتي وأنت غنائي[3]

وهذه السؤالات والاستعانات والاستمدادات يجب أن تصرف لله عز وجل وحده وتطلب منه وحده، فلا يقدر عليها أحد إلا الله.

ففي وجوب الاستعانة بالله يقول تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾[4]، وقال موسى لقومه: ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟﴾[5].

(١) هو عمر بن سعيد تال التكلوري الفوتي، ولد (١٢١١هـ = ١٧٩٧م) بقرية (هلوار) بالسنغال الشرقية، وأخذ العلم عن عدد من علماء الشنقيط ثم لحق بجامعة (بير) الإسلامية بالسنغال، وأخذ الطريقة التجانية عن عبدالكريم الفوتا جلني، حج سنة (١٨٢٧م) بقي في الحجاز نحو عشر سنين حيث لقي محمداً الغالي خليفة التجاني في المشرق وأخذ عليه عهداً بنشر هذه الطريقة في بلاد السودان الغربية، وقد فعل، مات سنة (١٨٦٤م) أثناء معركة دامية خاضها في سبيل تحقيق هدفه، له: الرماح، وسيوف السعيد، وغيرهما. انظر: الأدب السنغالي العربي (١/ ٤٥). السنغال والثقافة الإسلامية (ص: ٥١).

(٢) حزب رماح للفوتي (١/ ١٩).

(٣) شواهد الحق للنبهاني (ص: ٣٥٥).

(٤) [الفاتحة:٥].

(٥) [الأعراف:١٢٨].

وفي المدد يقول تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾﴾(1)، وقال تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾(2).

والله وحده هو المستجيب لمدد المستمدين، حيث قال: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾(3).

وفي الهداية يقول الحق تبارك وتعالى لرسوله محمد ﷺ: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾(4)، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾(5)، وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾(6).

وفي الإسعاد يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾(7). فالذي أسعدهم هو الله عزوجل.

وفي الإرشاد يقول الله عزوجل عن سؤال أصحاب الكهف الرشد من الله عزوجل: ﴿وَهَيِّئْ

(1) [الشعراء:١٣٢-١٣٣].

(2) [الإسراء:٢٠].

(3) [الأنفال:٩].

(4) [البقرة:٢٧٢].

(5) [السجدة:١٣].

(6) [الأعراف:٤٣].

(7) [هود:١٠٨].

﴿لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾[1].

والله عز وجل هو المعطي له، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾[2].

قوله: وتستمدون من الأموات. أي: كذلك طلب المدد يجب أن يطلب من الله وحده، كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾﴾[3]، وقال تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾[4].

قوله: تيسير عسر وقضاء الحاجات. يقول أحدهم منادياً السيد البدوي:

من لي سواك أرومه في كشفه ... أو ارتجي إن خفت من وثباته
عار عليك إذا رددت خويدماً ... قصر الفؤاد عليك في حاجاته[5]

وذكرنا أمثلة من ذلك في فصل الغلو في قوله: (وجلب النفع) في البيت رقم: ٣٢١.

أي: كذلك تيسير العسر وقضاء الحاجات يجب أن يطلب من الله وحده لأن الله عزوجل هو من يملك ذلك وحده.

فقد قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾[6]

---

(١) [الكهف:١٠].

(٢) [الأنبياء:٥١].

(٣) [الشعراء:١٣٢-١٣٣].

(٤) [الإسراء:٢٠].

(٥) الجواهر (ص: ١٣٢).

(٦) [الطلاق:٧].

وقال تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ [2].

معنى الأبيات إجمالاً:

يتابع الناظم ﵀ تعجبه واستنكاره من حال هؤلاء الجهال الذين يتوجهون للمخلوقين بالدعاء، فيقول لهم: العجب كل العجب من حالكم أيها الجهّال تتوجهون لهؤلاء المخلوقين الضعفاء بالدعاء ولا تدعون الله ﷿ وحده وهو المتصف بجليل الصفات الدالة على عظيم قدرته وجلالة قدره.

تتوجهون إليهم في كل حاجاتكم من طلب كل ماهو نافع لكم، ودفع ما يضر بكم، ومن ذلك طلبكم منهم الشفاء من الأسقام والأمراض، ورفع الشرور المحدقة بكم.

وحقيقة حال هؤلاء الذين تتوجهون إليهم بالدعاء والرجاء أنهم لا يملكون لأنفسهم شيئًا من جلب نفع، ولا يغنون عنها شيئًا من دفع ضر، ولا يستطيعون إنقاذ أنفسهم من الفقر النازل بهم.

وكذلك من أجهل الجهل أن تتجهون لهؤلاء المخلوقين الضعفاء وتسألونهم الإعانة على قضاء الحوائج ودفع المضار، وتطلبون مددهم، وتسألونهم الهداية والسعادة والرشاد.

ثم تتوجهون للأموات منهم تطلبون مددهم أن ينزلوا بكم اليسر إذا تعسرت أموركم، وأن يقضوا حاجاتكم.

---

(١) [الشرح:٥-٦].

(٢) [النمل:٦٢].

٣٥٧ - ألم تـــروا أن الـــدعا عبـــادَهْ لا يمـــتري فيـــه ذوو الشـــهادَهْ
٣٥٨ - فمــن دعــا غــيرَ الإلــهِ أحــدا يمنحُــه الخــيرَ ويكفيــه الــرَّدَى
٣٥٩ - فإنـــه لِمَـــنْ دعـــاه عابـــدُ ســـواءً الجاهـــلُ والمعانـــدُ

قوله: ألم تروا أن الدعاء عبادة. إشارة إلى قوله تعالى: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[(1)]. قال الإمام الشوكاني في الآية السابقة: «الآية الكريمة دلت على أن الدعاء من العبادة؛ فإنه ﷻ أمر عباده أن يدعوه، ثم قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ﴾. فأفاد ذلك أن الدعاء عبادة، وأن ترك دعاء الرب سبحانه استكبار»[(2)].

وإلى قول الرسول ﷺ : {الدعاء هو العبادة}[(3)].

قوله: لا يمتري فيه. الامتراء هو الشك، أي: لا يشك مؤمن في كون الدعاء عبادة من أعظم العبادات.

قوله: ذوو الشهادة. أي: الذين حققوا شهادة أن لا إله إلا الله حتى أصبحوا من أهلها وذويها.

قوله: يمنحه الخير. المنح هو: العطاء.

ويقصد بالخير هنا: جلب النفع وغيره، وقد وضحت ذلك في البيت: (٣٥٣) عند قوله: (في جلب نفع).

---

(١) [غافر: ٦٠].

(٢) تحفة الذاكرين للشوكاني (ص: ٢٨).

(٣) تقدم تخريجه (ص:١٧٠).

قوله: ويكفيه الردى. الردى هو: كل ما يردي الإنسان ويوقعه في المهالك.

وقد وضحت في البيت: (٣٥٣) عند قوله: (دفع ضر).

قوله: فإنه لمن دعاه عابد. لأن الله عز وجل قد سمَّى الدعاء عبادة؛ كما ذكرناه في البيت السابق، ولأنه صرف له نوعاً من أنواع العبادة فيعد عابدًا له، كما قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا﴾[1]. فعن عدي بن حاتم: {أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ الآية، فقلت له: إنا لسنا نعبدهم. قال: أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟فقلت: بلى. قال: فتلك عبادتهم}[2].

قال شيخ الإسلام: «فأحد الاسمين – يقصد الدعاء والعبادة – يتناول الآخر عند تجرده عنه، ولكن إذا جمع بينهما فإنه يراد بالسائل الذي يطلب جلب المنفعة ودفع المضرة، بصيغ السؤال والطلب، ويراد بالعابد من يطلب ذلك بامتثال الأمر، وإن لم يكن في ذلك صيغ سؤال»[3].

قوله: سواء الجاهل والمعاند. أي: يستوي في هذا الوصف و الحكم – أن دعاء غير الله شرك – الجاهل لأنه لا يعذر بجهله وهو في بلاد الإسلام، ولا يعذر بهذه المسألة لأنها من أصول الإيمان، والمعاند الذي يعلم أن دعاء غير الله عبادة لهم من دون الله، ومع ذلك هو يجادل ويعاند ويراوغ باسم التوسل وغيره.

---

(١) [التوبة:٣١].

(٢) سنن الترمذي (٥/ ٢٧٨، ح٣٠٩٥). وفتح الباري (٦/ ١١٢). ومصنف ابن أبي شيبة (٧/ ١٥٦، ح٣٤٩٣٥). وصححه الألباني في الصحيحة (ح٣٢٩٣).

(٣) الفتاوى (١٠/ ٢٤٠).

وقد ضبط أهل العلم المسائل التي يعذر فيها الجاهل، والمسائل التي لا يعذر فيها الجاهل بضوابط أهمها ضوابط المسائل الظاهرة التي لا يعد فيها الجهل عذراً وهي كالتالي[1]:

١- إنها مسائل معلومة من الدين بالضرورة، لا يسع المكلف العاقل جهلها.

٢- إنها مسائل الدليل فيها محكم، لا تدخل فيها الشبهة لا التأويل.

٣- إنها مسائل إجماعية موجودة نصاً في كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم يتناقلها أهل الإسلام عوامهم عن خواصهم، ولا يدخل فيها الغلط أو الخلط أو التأويل.

٤- إنها مسائل لا يتعذر على المكلف رفع الجهل عن نفسه فيها؛ لأن الله بعث بها رسله إلى خلقه، ولأنها من دعائم الدين، وأصوله التي تعلم العامة والخاصة من المسلمين، أنها من دينهم، فهي ظاهرة جلية.

يقول الإمام الشافعي رحمه الله:"العلم علمان: علم عامة لا يسع أحداً غير مغلوب على عقله جهلُه وقال: "ومثل ماذا؟ قلت مثل: الصلوات الخمس، وأن لله على الناس صوم شهر رمضان، وحج البيت إذا استطاعوه، وزكاة في أموالهم، وأنه حرم عليهم الزنا والقتل والسرقة والخمر، وما كان في معنى هذا مما كُلِّف العباد أن يعقلوه ويعملوه ويعطوه من أنفسهم وأموالهم، وأن يكفوا عنه مما حُرِّم عليهم منه، وهذا الصنف كله من العلم موجود نصاً في كتاب الله، وموجود عاماً عند أهل الإسلام، ينقله عوامهم عمن مضى من عوامهم، يحكونه عن رسول الله ولا يتنازعون في حكايته

(١) أنظر : عارض الجهل وأثره على الأحكام عند أهل السنة والجماعة، أبي العلاء الراشد ،ص:٢٥-٣٧. باختصار

ولا وجوبه عليهم، وهذا العلم الذي لا يمكن فيه الغلط من الخبر، ولا التأويل، ولا يجوز فيه التنازع، قال: فما الوجه الثاني؟ قلت له: ما ينوب العباد من فروع الفرائض، وما يخص به من الأحكام، وغيرها مما ليس فيه نص كتاب، ولا في أكثره نص سنة، إن كانت في شيء منه، فإنما هي من أخبار الخاصة لا أخبار العامة"(١)

ويقول القرافي رحمه الله عن أدعية الصوفية، التي يقع فيها من الكلام ما يكون شركاً وكفراً يخرج عن ملة الإسلام: "واعلم أن الجهل بما تؤدي إليه هذه الأدعية، ليس عذراً عند الله؛ لأن القاعدة الشرعية دلت على أن كل ما يمكن المكلف دفعه، لا يكون حجة للجاهل عند الله"، ثم قال: "نعم الجهل الذي لا يمكن دفعه بمقتضى العادة يكون عذراً، كما لو تزوج أخته يظنها أجنبية.. وأصل الفساد الداخل على الإنسان في هذه الأدعية هو الجهل، فاحذر منه، واحرص على العلم؛ فهو النجاة، واحذر الجهل فهو الضلال.."(٢)

ويقول بن رجب الحنبلي رحمه الله: "وفي الجملة فما ترك الله ورسول الله صلى الله عليه وسلم حلالاً إلا مبيناً ولا حراماً إلا مبيناً لكن بعضه كان أظهر من بعض، فما ظهر بيانه واشتهر، وعُلم من الدين بالضرورة من ذلك، ولم يبق فيه شك ولا يعذر أحد فيه بجهله في بلد يظهر فيها الإسلام، وما كان بيانه دون ذلك، فمنه ما يشتهر بين حملة الشريعة خاصة، فأجمع العلماء على حِلّه أو حرمته، وقد يخفى على بعض من ليس منهم، ومنه ما لم يشتهر بين حملة الشريعة أيضاً، فاختلفوا في تحليله وتحريمه" (٣)

---

(١)الرسالة للإمام الشافعي: (ص٣٥٧-٣٦٠)

(٢)الإعلام بقواطع الإسلام المطبوع مع الزواجر لابن حجر الهيتمي: (ص٧٦

(٣)جامع العلوم والحكم لابن رجب: (ص٨٣)

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كلام واضح يفرق فيه بين المسائل الظاهرة التي لا يعذر فيها بالجهل، وبين غيرها من المسائل الخفية، فيقول رحمه الله في أثناء كلام له في ذم أصحاب الكلام –قال: "وهذا إذا كان في المقالات الخفية فقد يقال: إنه فيها مخطئ ضال، لم تقم عليه الحجة التي يكفر صاحبها، لكن ذلك يقع في طوائف منهم في الأمور الظاهرة التي تعلم العامة والخاصة من المسلمين أنها من دين المسلمين، بل اليهود والنصارى يعلمون أن محمداً صلى الله عليه وسلم بُعث بها وكفّر مخالفها مثل: أمره بعبادة الله وحده لا شريك له، ونهيه عن عبادة أحد سوى الله، من الملائكة، والنبيين، والشمس، والقمر، والكواكب، والأصنام، وغير ذلك؛ فإن هذا أظهر شعائر الإسلام، ومثل أمره بالصلوات الخمس، ومثل معاداته لليهود، والنصارى، والمشركين، والصابئين، والمجوس؛ ومثل تحريم الفواحش، والربا، والخمر، والميسر، ونحو ذلك؛ ثم نجد كثيراً من رؤسائهم وقعوا في هذه الأمور فكانوا مرتدين" (١)

ويقول الإمام بهاء الدين المقدسي رحمه الله: "مسألة: إلا أن يكون ممن تخفى عليه الواجبات والمحرمات؛ فيُعرّف ذلك، فإن لم يقبل ذلك كفر، والذي يخفى عليه ذلك ممن يكون قد نشأ في بلاد بعيدة عن المسلمين؛ فهذا يُعرّف، فإن رجع وإلا قتل، وأما من كان ناشئاً بين المسلمين فهو كافر يستتاب، فإن تاب وإلا قُتِل؛ وذلك لأن إقرار هذه الأشياء ظاهر في الكتاب والسنة فالمخل بها يكذب الله ورسوله؛ فيكفر بذلك كما قلنا في جاحد أركان الإسلام" (٢)

---

(١)مجموع الفتاوى: (٤/ ٥٤).

(٢)العدة في شرح العمدة: (٢/ ٣١٧) ط/ دار حراء للنشر والتوزيع.

فيتبين من كلام الشيخين عدم عذر الجاهل في المسائل الظاهرة؛ لأن هذه المسائل ظهرت أدلتها من الكتاب والسنة؛ فلا يجحدها إلا مكذّب، أما استثناؤهما لمن نشأ في بلاد بعيدة عن المسلمين فهذا لعدم بلوغ النص وعدم إمكانية التعلم، وهذه الحالة مستثناه باتفاق العلماء.

كذلك ذكر العلماء قاعدة استثناء حديث العهد بالإسلام ومن نشأ ببادية بعيدة من عموم عدم الإعذار بالجهالة.

فالعلماء الأعلام عندما كانوا يتحدثون في مسألة الإعذار بالجهالة كانوا يستثنون صنفين من الناس من عموم عدم الإعذار بالجهالة في المسائل الظاهرة.

الأول: حديث العهد بالإسلام.

والثاني: من نشأ ببادية بعيدة.

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن غير هذين الصنفين ممن يتلبس بالشرك الأكبر، أو الكفر غير معذور بالجهالة؛ لأننا لو قلنا بخلاف ذلك لما كان لهذا الاستثناء فائدة.

نصوص العلماء الأعلام في بيان هذه القاعدة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في معرض حديثه عن جحود الفرائض واستحلال الحرمات "وأما الفرائض الأربع فإذا جحد وجوب شيء منها بعد بلوغ الحجة فهو كافر، وكذلك من جحد تحريم شيء من المحرمات الظاهرة المتواتر تحريمها كالفواحش والظلم والكذب، أما من لم تقم عليه الحجة مثل أن يكون حديث عهد بالإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة لم تبلغه فيها شرائع الإسلام ونحو ذلك، أو غلط فظن أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يستثنون من تحريم الخمر، كما غلط في ذلك الذين

استتابهم عمر وأمثال ذلك، فإنهم يستتابون وتقام الحجة عليهم، فإن أصروا كفروا حينئذ، ولا يحكم بكفرهم قبل ذلك. "[1]

ويقول النووي رحمه الله: "وكذلك الأمر في كل من أنكر شيئاً مما أجمعت الأمة عليه من أمور الدين، إذا كان علمه منتشراً كالصلوات الخمس، وصوم شهر رمضان، والاغتسال من الجنابة، وتحريم الزنا، والخمر، ونكاح ذوات المحارم، ونحوها من الأحكام، إلا أن يكون رجلاً حديث عهد بالإسلام، ولا يعرف حدوده، فإنه إذا أنكر شيئاً منها جهلاً به لم يكفر"[2]

ويقول ابن قدامة المقدسي في المغني عند الحديث عن كفر جاحد الصلاة:" ولا خلاف بين أهل العلم في كفر من تركها جاحداً لوجوبها إذا كان ممن لا يجهل مثله ذلك، فإن كان ممن لا يعرف الوجوب كحديث الإسلام، والناشئ بغير دار الإسلام، أو بادية بعيدة عن الأمصار، فأهل العلم لم يحكموا بكفره، إلا إذا عُرِّف ذلك، وثبتت له أدلة وجوبها، فإن جحدها بعد ذلك كفر، وأما إذا كان الجاحد لها ناشئاً في الأمصار بين أهل العلم؛ فإنه يكفر بمجرد جحدها، وكذلك الحكم في مباني الإسلام كلها، وهي الزكاة والصيام والحج، لأنها مباني الإسلام، وأدلة وجوبها لا تكاد تخفى؛ إذ كان الكتاب والسنة مشحونين بأدلتها، والإجماع منعقد عليها، فلا يجحدها إلا معاند للإسلام، يمتنع من التزام الأحكام، غير قابل لكتاب الله ولا سنة رسوله ولا إجماع أمته" [3]

ويقول السيوطي رحمه الله مقرراً نفس هذه القاعدة:"كل من جهل تحريم شيء مما يشترك فيه غالب الناس لم يقبل إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة

---

(١)الفتاوى (٧/ ٦١٠).

(٢)شرح صحيح مسلم، ١/ ٢٠٥.

(٣)المغني لابن قدامة: (٨/ ١٣١).

عن العلماء، ويخفي فيها مثل ذلك، كتحريم الزنا والقتل والسرقة والخمر، والكلام في الصلاة، والأكل في الصوم، وقتل من شهد على غيره بارتكاب جريمة القتل، فقُتِل، إذا رجع الشاهد عن شهادته"[١]

وقال الشيخ محمد بن عبدالوهاب ﷺ: «الذي لم تقم عليه الحجة هو الذي حديث عهد بالإسلام، والذي نشأ ببادية، أو يكون ذلك في مسألة خفية، مثل الصرف والعطف؛ فلا يكفر حتى يعرّف. وأما أصول الدين التي أوضحها الله في كتابه، فإن حجة الله هي القرآن؛ فمن بلغه فقد بلغته الحجة»[٢].

ومما يبين أن الجهل ليس بعذر في الجملة؛ قوله تعالى: ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[٣]؛ قال ابن جرير - عند تفسير هذه الآية -: «وهذا يدل على أن الجاهل غير معذور، ومن المعلوم: أن أهل البدع الذين كفرهم السلف والعلماء بعدهم؛ أهل علم وعبادة وفهم وزهد، ولم يوقعهم فيما ارتكبوه إلا الجهل. والذين حرقهم علي بن أبي طالب بالنار؛ هل آفتهم إلا الجهل؟ ولو قال إنسان: أنا أشك في البعث بعد الموت؛ لم يتوقف من له أدنى معرفة في كفره، والشاك جاهل؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾[٤]، وقد قال الله تعالى عن النصارى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن

(١)الأشباه والنظائر للسيوطي : (ص٢٢٠)

(٢) مجموع فتاوى الشيخ (١/ ١٢).

(٣) [الأعراف: ٣٠].

(٤) [الجاثية: ٣٢].

دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ ... ﴾[1] الآية. قال عدي بن حاتم للنبي صلى الله عليه وسلم: ما عبدناهم؛ قال: {أليس يحلون ما حرم الله فتحلونه؟ ويحرمون ما أحل الله فتحرمونه؟ قال: بلى؛ قال: فتلك عبادتهم}[2]؛ فذمهم الله سبحانه، وسماهم مشركين؛ مع كونهم لم يعلموا أن فعلهم معهم هذا عبادة لهم؛ فلم يعذروا بالجهل.

ولو قال إنسان عن الرافضة في هذا الزمان: إنهم معذورون في سبهم الشيخين وعائشة، لأنهم جهال مقلدون؛ لأنكر عليهم الخاص والعام»[3].

وقال الشيخ ابن باز[4] رحمه الله: «لكن لو كان في بعض البلاد البعيدة عن الإسلام، أو في مجاهل أفريقيا التي لا يوجد حولها مسلمون؛ قد يقبل منه دعوى الجهل»[5].

ومن بلغته دعوة الرسل؛ فقد قامت عليه الحجة إذا كان على وجه يمكن معه العلم، ولا يشترط في قيام الحجة أن يفهم عن الله ورسوله؛ ما يفهمه أهل الإيمان والقبول[6].

والجاهل والمتأول لا يعذر إلا مع العجز، ولذلك قيده ابن القيم بقوله: تأويلاً يعذر صاحبه؛ فليس كل تأويل، وكل جهل يعذر صاحبه. وليس كل ذنب يجرى

---

(١) [التوبة: ٣١].

(٢) تقدم تخريجه ص: ٤٥٧

(٣) الدرر السنية (١٠/ ٣٩٠-٣٩٣).

(٤) هو عبد العزيز بن عبد الله بن باز، العالم السلفي الجليل، مفتي السعودية، وكبير علمائهم، ولد سنة ١٣٣٠ هـ، وتوفي سنة ١٤٢٠ هـ. انظر ترجمته في معجم المؤلفين المعاصرين (ص: ٣٥٧-٣٥٨). ومجموع فتاوى ومقالات متنوعة (١/ ٩-١٢).

(٥) فتاوى ابن باز (٧/ ١٣٦).

(٦) انظر: منهاج التأسيس (ص: ٢٥١).

التأويل فيه ويعذر الجاهل به، وقد تقدم أن عامة الكفار والمشركين من عهد نوح إلى وقتنا هذا جهلوا، وتأولوا.

ولأن الجهل؛ إما أن يكون عن عجز، وإما أن يكون عن إعراض؛ فليس كل جهل يكون عذراً(١).

معنى الأبيات إجمالاً:

يتابع الناظم رحمه الله هدايته للمريد في وجوب صرف عبادة الدعاء لله عز وجل وحده، فيقول لهم: ألم تعلموا أن الدعاء عبادة لا يجوز صرفها لغير الله لا يشك في ذلك ولا يجادل فيه الذين حققوا الشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدًا رسول الله وامتثلوا لشروطها.

ثم يقرر لهم أن من دعا غير الله كائنًا من كان بأن يعطيه الخير ويجلبه له ويكفيه الشر ويمنعه عنه؛ فإن من فعل ذلك فإنه يعتبر عابداً له من دون الله، يستوي في هذا الحكم الجاهل له والمعاند المكابر الذي يجادل في هذه المسألة.

(١) انظر: منهاج التأسيس (ص: ٢٦٢).

٣٦٠ - وفي ثبـوتِ النَّهـي في الكتـابِ	دلائـــلٌ لمبتغـــي الصـــوابِ
٣٦١ - يكفيــكَ أن الله قـــال ادعـــوني	كمثــلِ مــا قــد قــال فاعبــدوني
٣٦٢ - وفي الحـــديث عـــن رســول الله	إذا اســــتعنتَ فاســــتعِن بــــالله
٣٦٣ - وإن ســــألتَ فاســــألِ الله ولا	تســـألْ ســـواهُ أحـــدًا مـــن المَـــلا
٣٦٤ - لأن مـــن تـــدعوه غـــيرُ قـــادرِ	مـــن غائـــبٍ أو ســـاكني المقـــابرِ
٣٦٥ - وقـــال طـــه خـــيرُ كـــلِّ العـــالَمِ	مُـــخُّ العبـــاداتِ الـــدعاءُ فـــاعلمِ

قوله: وفي ثبوت النهي في الكتاب. أي: أن دعاء غير الله ثبت النهي عنه في كتاب الله، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۚ قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾[(١)].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾﴾[(٢)].

قال تعالى في قصة إبراهيم مع أبيه: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾[(٣)].

قوله: دلائل لمبتغي الصواب. الدلائل جمع دليل وهي الآيات التي تدل الذين يريدون الحق والتوحيد، كذلك الأدلة التي ورد فيها أن دعاء غير الله لا يجوز والأدلة التي بينت ضعف المدعوين من دون الله، وهي آيات تكفي مريد الحق.

(١) [الأنعام:٥٦].

(٢) [الأحقاف:٥-٦].

(٣) [مريم:٤٨-٤٩].

قوله: يكفيك أن الله قال ادعوني.

أي: يكفيك من الأدلة على ما ذكرت قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾(١).

قوله: وفي الحديث عن رسول الله.

يشير إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: {كنت خلف رسول الله ﷺ فقال: يا غلام! إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف}(٢).

قوله: إذا استعنت فاستعن بالله.

سبق بيان معنى الاستعانة وأدلتها في البيت رقم (٣٣١).

قوله: وإن سألت فاسأل الله.

السؤال هوما يسأله الإنسان، وهوطلبته وأمنيته التي يسألها(٣).

ويأتي السؤال بمعنى الدعاء، كما قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١﴾(٤). أي: دعا داع،إلا أنه أخص من الدعاء؛ لأنه مختص بجلب المسار، أما

---

(١) [غافر:٦٠].

(٢) تقدم تخريجه (ص:٤٠٠).

(٣) تهذيب اللغة (١٣/ ٦٧). ولسان العرب (٣/ ١٩٠٦)

(٤) [المعارج:١].

الدعاء فهو في جلب المسار ودفع المضار.[1]

وقد أمر الله عز وجل بسؤاله، كما في قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾[2]، وأخبر سبحانه أن من في السموات والأرض يسألونه، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾[3]، وأخبر سبحانه أنه يجيب السائلين مهما كثر سؤالهم، قال تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ﴾[4].

قوله: ولا تسأل سواه أحدًا من الملأ.

الملأ هم: جميع الخلق.

وقد أخبر الله عز وجل عن رسله أنهم لا يسألون الناس أجراً إنما يطلبون من الله قال تعالى مخبراً عنهم: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾[5].

وفي حديث عوف بن مالك الأشجعي مرفوعًا في البيعة: {ولا تسألوا الناس شيئًا}[6] نهي عن السؤال مطلقًا.

فإذا كان هذا في سؤال الأحياء القادرين بل وسؤال خير الناس أمثالهم من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، فإن سؤال غيرهم من الأموات أو مدعي الولاية داخل في

(١) جامع البيان، ابن جرير (٢٩/ ٦٩).

(٢) [النساء:٣٢].

(٣) [الرحمن:٢٩].

(٤) [إبراهيم:٣٤].

(٥) [الشعراء:١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠].

(٦) تقدم تخريجه قريبا.

النهي من باب أولى.

قوله: لأن من تدعوه غير قادر. أي: غير قادرين على الإجابة.

كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾﴾(١).

وكما قال تعالى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾(٢)، ومثله قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾﴾(٣).

قوله: من غائب وساكني المقابر.

فالعلماء قد اشترطوا شروطًا ثلاثة لجواز الاستغاثة بالمخلوق والتي هي نوع من أنواع الدعاء وهذه الشروط هي:

١- أن يكون المستغاث به حياً، فلا يجوز الاستغاثة بالأموات.

٢- أن يكون المستغاث به حاضراً، فلا يجوز الاستغاثة بالغائب.

٣- أن يكون المستغاث به قادراً على الإغاثة، فلا يجوز الاستغاثة بما لا يقدر عليه المخلوق، مثل إعطاء الولد أو رد ملك الموت عن قبض روح المستغيث وغير ذلك(٤).

---

(١) [الرعد:١٤].

(٢) [فاطر:١٤].

(٣) [الأحقاف:٥].

(٤) الرد على البكري (٢/ ٦٨٠).

قوله: وقال طه.

لم يثبت تسمية النبي ﷺ بـ (طه)، حتى في الحديث الضعيف حديث أبي الطفيل[1] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: {إن لي عند ربي عشرة أسماء} قال أبو الطفيل: قد حفظت منها ثمانية: (محمد، وأحمد، وأبو القاسم، والفاتح، والخاتم، والماحي، والعاقب، والحاشر)[2].

ووجه الدلالة من الحديث:

١- أن الراوي لم يذكر هذا الاسم (طه) منها.

٢- أن الاسمين الباقين اللذين لم يحفظهما الراوي لابد أن تكون مثل الأسماء الباقية ذات المعاني السامية أما طه فلا معنى سامي له.

٣- ثم حتى لو كان له معنى سامي مثل الأسماء الباقية، فإنه لابد أن يُنص عليه في رواية صحيحة.

٤- والقول بعدم صحة تسمية الرسول ﷺ بـ(طه) كذلك مبني على اتفاق جلّ المفسرين على أن (طه) في قوله تعالى: ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾﴾[3] من الحروف المقطعة التي لا يعلمها إلا الله عز وجل[4].

٥- كذلك تحقيق المحققين من أهل العلم على أن (طه) ليس من أسماء النبي ﷺ.

(١) هو الصحابي عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمرو الكناني ثم الليثي ، رأى النبي ﷺ وهو شاب ، وروى عنه أحاديث ، كما روى عن بعض الصحابة ، قيل: مات سنة:١٠٠ هـ، وقيل: واثنتين، وقيل: وسبع ، وقيل: وعشر. انظر: الإصابة (٤/ ٢٢٧٧-٢٢٧٨) .

(٢) المغني عن حمل الأسفار، الحافظ العراقي، (١/ ٦٨٨). والكامل في الضعفاء (٣/ ٤٣٦).

(٣) [طه:١-٢].

(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٨).

قال ابن القيم رحمه الله: «وأمّا ما يذكره العوام أن (يس) و(طه) من أسماء النبي ﷺ فغير صحيح، ليس ذلك في حديث صحيح ولا حسن ولا مرسل ولا أثر عن صاحب»(١).

قوله: خير كل العالم.

فإنّ الله سبحانه وتعالى يصطفي لرسالته من كان خيار قومه في النسب.

قال رسول الله ﷺ: {أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، إنّ الله تعالى خلق الخلق فجعلني في خيرهم، ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم فرقة، ثمّ جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة، ثمّ جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً، فأنا خيركم بيتاً، وخيركم نفساً}(٢).

وفي صحيح مسلم عن واثلة بن الأسقع قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: {إنّ الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم}(٣) (٤).

قوله: مخ العبادات الدعاء فاعلم.

إشارة إلى حديث أنس رضي الله عنه: {الدعاء مخ العبادة}(٥). وهو حديث ضعيف

---

(١) تحفة المودود، ابن القيم، (ص: ٨٠).

(٢) رواه الترمذي (٢/ ٢٢، ح٣٦٠٧)، وقال حديث حسن صحيح.

(٣) تقدم تخريجه (ص:٣٠١).

(٤) انظر: الرسل والرسالات (ص: ٨٢).

(٥) سنن الترمذي (٥/ ٤٥٦، ح٣٣٧١)، وقال: "حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة". والمعجم الأسط للطبراني (٣/ ٢٩٣، ح٣١٩٦) وقال: "لم يرو هذا الحديث عن أبان إلا عبيد الله، تفرد به ابن لهيعة".

وأشمل منه وأصح حديث: {الدعاء هو العبادة}[1].

قال الشوكاني رحمه الله: «قوله: «الدعاء هو العبادة» هذه الصفة المقتضية للحصر من جهة تعريف المسند إليه، ومن جهة تعريف المسند، ومن جهة ضمير الفصل تقتضي أن الدعاء هو أعلى أنواع العبادة وأرفعها وأشرفها»[2].

معنى الأبيات إجمالاً:

يتابع الناظم رحمه الله هدايته للمريد، فيقول له: إن هذا الحكم الذي ذكرناه — أن دعاء غير الله شرك — ثبت النهي عنه في كتاب الله عز وجل في أدلة كثيرة متنوعة فيها لمريد الحق والهداية الكفاية.

ويكفيك منها أن الله عز وجل قد جعل الدعاء عبادةكما بيّنا، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم كما في الحديث المشهور عن ابن عباس وجه المسلم إذا أرد أن يستعين على أمر من الأمور أن يستعين بالله وحده، وإذا أراد أن يسأل حاجة من الحاجات أن يسألها من الله وحده ولا يسألها من أي أحد سواه، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا ولي محبب فضلاً عن غيرهم.

والسبب في ذلك لأن كل من تدعوهم من غير الله غير قادرين على جلب النفع ودفع الضر؛ لأنهم إما غائبين غير حاضرين أو ميتين ساكنين المقابر، وقد انتفت شروط جواز الاستعانة فيما يقدر عليه المخلوق كما بيّنا. وتصرفها لغير الله عز وجل.

وكذلك الرسول صلى الله عليه وسلم خير الخلق أجمعين قد بيّن في حديث آخر أن منزلة الدعاء من العبادات منزلة المخ من الجسد، فاعلم واحذر أن تَصرف شيئاً من ذلك لغير الله عز وجل.

---

(١) تقدم تخريجه (ص:١٧٠).

(٢) تحفة الذاكرين، الشوكاني، (ص: ٢٥).

فصل في التكييف والتشبيه

(مجمل ما عرضه الفصل)

بيّن فيه الناظم رحمه الله أن أهل التكييف والتشبيه قد شبهوا الرحمن بالإنسان، وقاسوا الخلاّق بالمخلوق، وبين وجه الشبه في القياس والتشبيه ، ثم بين أن هذا القياس والتشبيه شرك باتفاق الأمة؛ لأن فيه قياس لله القوي القادر بالمخلوق الضعيف العاجز ،والله منزه عن ذلك.

وردّ على الذين يدّعون أنهم حُجّاب بين الله وبين عبيده لا يوصل إليه إلا عن طريقهم ،ثم نزّه الله تعالى عما يقول هؤلاء الظالمون .

ثم بين صفات أولياء الله الحقيقين الصادقين.

فصل في التكييف والتشبيه

٣٦٦ - فيا أُولي التكييفِ والتشبيهِ ويا أولي التضليلِ والتمويهِ
٣٦٧ - شبهتمُ الرحمنَ بالإنسانِ ساويتمُ الوجوبَ بالإمكانِ
٣٦٨ - وقِسْتمُ الخلاَّقَ بالمخلوقِ فحُدتمُ عن مستوى الطَّريقِ

قوله: فيا أولي التكييف والتشبيه. أي: يا أصحاب التكييف والتشبيه.

التكييف هو: اعتقاد المثبت أن كيفية صفات الله كذا وكذا من غير أن يقيدها بمماثل[(١)].

أما التشبيه فهو: وصف الله بشيء من خصائص المخلوقين وصفاتهم[(٢)]. كتشبيه يد الله بيد البشر. فقد سئل الإمام أحمد رحمه الله عن المشبهة ما يقولون، فقال: «من قال: بصر كبصري، ويد كيدي، وقدم كقدمي؛ فقد شبه الله»[(٣)].

والتكييف مستلزم للتشبيه ومفض إليه، فكل من مثّل صفات الله بصفات المخلوق فقد كيّف تلك الصفة، أي: جعل لها كيفية وحقيقة معينة، وهو مختص بالصفات، أما التمثيل فيكون في الذات والصفات والقدر.

وهما متلازمان، فحيث يكون التشبيه يكون التكييف؛ لذا كان السلف يقرنونهما في بيان عقيدتهم بقولهم: (بلا تكييف ولا تمثيل)[(٤)].

ووجه وصف الناظم لهؤلاء بالمشبهة هنا من طريقين:

---

(١) القواعد المثلى، ابن عثيمين، (ص: ٣٦).
(٢) الفتاوى (٦/ ٣٥). فتح رب البرية بتلخيص الحموية، ابن عثيمين، (ص: ٥٥).
(٣) نقض التأسيس، ابن تيمية (١/ ٤٧٦). مختصر الصواعق، ابن القيم (١/ ٣٧).
(٤) انظر: شرح الطحاوية (١/ ١٥٢).

الأول: إعطائهم المدعوين بعض خصائص الربوبية وصرف نوع من أنواع العبادة لهم كالدعاء.

الثاني: زعمهم أنه لا يتوصل إلى الله في قضاء الحوائج إلا عن طريق هؤلاء الأولياء والوسطاء، مثل أنه لا يتوصل إلى ملوك الدنيا في قضاء حوائج الرعية إلا بواسطة من لهم جاه عندهم من الوزراء والحجاب ونحوهم.

ومن الأمثلة على أقوالهم ما قاله البكري[1]: «... فإذا أراد قضاء حاجته من السلطان اتخذ له واسطة توصله للوزير، ثم يوصل الوزير إلى السلطان... فمن هذا القبيل زيارة عباد الله والتوسل بهم وتقربهم لرب العالمين»[2].

قوله: ويا أولي التضليل والتمويه.

التضليل: من الإضلال. وهو صرف الخلق عن الحق[3].

والتمويه: التلبيس والتحسين لما باطنه قبيح[4].

أو هو تغطية الصواب وتصوير الخطأ بغير صورته... ويكون التمويه في الكلام وغيره، تقول: كلام مموه إذا لم تبين حقائقه[5].

ووجه وصفهم بالتضليل والتمويه لأنهم بشبهاتهم السابقة الإساءة والواسطة قد لبسوا على العامة وخلطوا الحق بالباطل.

---

(١) أبو العباس أحمد بن محمد بن خلف البكري الصوفي، ولد بسلا بالمغرب سنة (٥٨١هـ)، ونشأ بمراكش، واستوطن الفيوم من مصر، وبها توفي سنة (٦٤١هـ). انظر: «الإبريز» (ص:٢٤١).

(٢) لمع البوارق، مصطفى البكري، (ص: ٤٤٦).

(٣) المخصص، (٤/ ٥٠).

(٤) الصحاح (٧/ ١٠١).

(٥) الفروق اللغوية، القرافي، (١/ ١٤٤).

ومن تضليلهم وتمويههم:

١- تبرير ضلالهم بالشبهات كالشفاعة والتوسل.

فقد قاس البكري الواسطة في قضاء الحاجات عند الله تعالى على الواسطة في الرسالة فيقول: «... لو وصل واصل من غير واسطة لوصل رسول الله ﷺ، ولكن واسطته أولاً جبريل»(١).

ومثله النبهاني حيث قال: (قد جعلهم الله سبحانه وتعالى وسائط لنا في تبليغ شرائع دينه، فوسطناهم له عز وجل لقضاء حوائجنا تبعًا له في توسيطهم لنا في تبليغ شرائعه، والاحتفاظ لأنفسنا عن أن نكون أهلاً لطلب حوائجنا منه سبحانه وتعالى بلا واسطة، لكثرة ذنوبنا ووفرة عيوبنا)(٢).

٢- الاستدلال على شبهاتهم بآيات من الكتاب وتأويلها تأويلاً باطلاً يوافق أهواءهم، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣٥ ﴾(٣).

حيث فسروا الوسيلة هنا بذوات الأنبياء والصالحين، وجاههم وحقوقهم عند الله تعالى. (٤).

٣- الاستدلال على شبهاتهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة.

---

(١) لمع البوارق (ص: ٤٤٨).

(٢) شواهد الحق، النبهاني، (ص: ٦٦).

(٣) [المائدة:٣٥].

(٤) شواهد الحق، النبهاني، (ص: ٦٦).

٤- الاستدلال على شبهاتهم بالحجج الفلسفية الرنانة.

ونجمل الرد عليهم بالآتي:

أولاً: إن ادعاء الواسطة فيه خلط للحق بالباطل، وتعبير بالمباح وإرادة المحرم، وذلك أن كون الأنبياء عليهم السلام واسطة بين الله وخلقه فهو يحتمل معنى حقاً ومعنى باطلاً.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وإن أراد بالواسطة أنه لابد من واسطة في جلب المنافع، ودفع المضار مثل أن يكون واسطة في رزق العباد، ونصرهم، وهداهم يسألونه ذلك، ويرجعون إليه فيه، فهذا من أعظم الشرك»(١).

وقال أيضًا رحمه الله: «ومن أثبتهم وسائط بين الله وبين خلقه كالحجاب الذين يكونون بين الملك ورعيته بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه... فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا قتل»(٢).

ثانياً: إن المعتمد في فهم كلام الله عز وجل هم أهل الذكرالذين أمرنا الله عز وجل أن نسألهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧﴾(٣)، لا دعاة الهوى والضلال.

وفي ذلك يقول الألوسي رحمه الله: «واستدل بعض الناس بهذه الآية - يقصد قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ

(١) الواسطة بين الحق والخلق (ص: ٢٠). مجموع الفتاوى (١/ ١٢١).

(٢) المرجع السابق.

(٣) [الأنبياء:٧].

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾﴾[1].- على مشروعية الاستغاثة بالصالحين، وجعلهم وسيلة بين الله تعالى وبين العباد، والقسم على الله تعالى بهم بأن يقال: اللهم إنا نقسم عليك بفلان أن تعطينا كذا، ومنهم من يقول للغائب أو الميت من عباد الله الصالحين: يا فلان! ادع الله تعالى ليرزقني كذا وكذا، ويزعمون أن ذلك من باب ابتغاء الوسيلة، وكل ذلك بعيد عن الحق بمراحل»[2].

ويقول الشنقيطي رحمه الله أيضًا: «وبهذا التحقيق تعلم أن ما يزعمه كثير من ملاحدة أتباع الجهال المدعين للتصوف من أن المراد بالوسيلة في الآية الشيخ الذي يكون له واسطة بينه وبين ربه أنه تخبط في الجهل والعمى، وضلال مبين، وتلاعب بكتاب الله تعالى، واتخاذ الوسائط من دون الله من أصول كفر الكفار»[3].

قوله: شبهتهم الرحمن بالإنسان.

التشبيه بيّنت معناه في البيت السابق.

والرحمن: اسم من أسماء الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾[5].

ومما يدل على منزلته وشأنه: أنه أول أسماء الله ورودًا في القرآن بعد الألوهية والربوبية، وذلك في سورة الفاتحة.

ومعنى ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي: من صفته الرحمة، وهو دال على كمال الرحمة.

---

(١) [المائدة:٣٥].

(٢) تفسير الألوسي (٦/ ١٢٤).

(٣) أضواء البيان (٢/ ٧٧).

(٤) [الفاتحة:٣].

(٥) [طه:٥].

قال ابن القيم رحمه الله: «وأما الجمع بين الرحمن والرحيم ففيه معنى هو أحسن من المعنيين اللذين ذكرهما – يقصد السهيلي[١]– وهوأن الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم، فكان الأول للوصف والثاني للفعل، فالأول دالّ على أن الرحمة صفته، والثاني دالّ على أنه يرحم خلقه برحمته»[٢].

والرحمن يدل على سعة رحمة الله، والرحيم يدل على إيصالها لخلقه، فالرحمن: ذو الرحمة الواسعة، والرحيم: ذو الرحمة الواصلة .

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «الرحمن: هو ذو الرحمة الواسعة؛ لأن فَعْلان في اللغة العربية تدل على السعة والامتلاء، كما يقال: رجل غضبان، إذا امتلأ غضبا.

الرحيم : اسم يدل على الفعل؛ لأنه فعيل بمعنى فاعل، فهو دال على الفعل، فيجتمع من (الرحمن الرحيم) أن رحمة الله واسعة، وتؤخذ من (الرحمن)، وأنها واصلة إلى الخلق، وتؤخذ من (الرحيم)، وهذا ما رمى إليه بعضهم بقوله: (الرحمن) رحمة عامة، و(الرحيم) رحمة خاصة بالمؤمنين. ولكن ما ذكرناه أولى»[٣].

ووجه تشبيه المخلوق بالخالق هنا أنهم رفعوا هذا المخلوق الذي يدعونه«واسطة» فوق منزلته، وأعطوه بعض خصائص الخالق سبحانه وتعالى، من العلم بالغيب، والقدرة المطلقة، والإغاثة ونحوها؛ حتى عُبدت الواسطة من دون الله تعالى[٤].

كما قال التيجاني: «وهكذا العارف إذا رفعه إلى محل القرب يصير يسمع كسماع

---

(١) هو: عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد الخثعمي السهيلي، الإمام المشهور صاحب كتاب "الروض الآنف" في شرح سيرة رسول الله ﷺ، عالم حافظ ضرير، توفي سنة ٥٨١هـ. انظر: وفيات الأعيان (٣/ ١٤٣). الأعلام للزركلي (٣/ ٣١٣).

(٢) بدائع الفوائد (١/ ٢٣).

(٣) شرح العقيدة الواسطية (١/ ٢٢).

(٤) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٢٣٧).

الحق، باتساع دائرته... فلا تختلط عليه أصوات الوجود في الآن الواحد، ولا تختلط عليه ذوات الوجود في الآن الواحد سمعًا وبصراً»[(١)].

بل ادعوا المطابقة التامة بين المخلوق والخالق تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا كما قال الجيلي: «وقد خلقك الله ﷻ على صورته وجلاّك بأوصافه، وسمّاك بأسمائه فهو الحي، وأنتَ الحي، وهو العليم وأنت العليم، وهو المريد وأنتَ المريد، وهو القادر وأنت القادر، وهو السميع وأنت السميع، وهو البصير، وأنتَ البصير، وهو المتكلم وأنتَ المتكلم، وهو الذات وأنتَ الذات، وهو الجامع وأنتَ الجامع، وهو الموجود وأنتَ الموجود، فللّه الربوبية، ولك الربوبية بِحُكمِ كُلكّم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، وله القدم ولك القدم، باعتبار أنكَ موجودٌ في علمهِ، وعلمُه ما فارقه مذ كان، فانضاف إليك جميعُ ماله، وانضاف إليه جميعُ مالَكَ»[(٢)].

وكذلك شبهوا الخالق بالمخلوق في صفات النقص، حيث قاسوا الوصول إلى رب العالمين بالوصول إلى الملوك الذين لا يتوصل إليهم غالبًا إلا بالوزراء والمقربين وباتخاذهم للخالق وسائط لقضاء الحاجات كما يُتخذ لملوك الدنيا وسائط من الوزراء وغيرهم لقضاء الحاجات.

وقد بيّنت ذلك في البيت السابق.

وممن عدّ اتخاذ الواسطة بين الله وخلقه في قضاء الحاجات تشبيهًا شيخ الإسلام ﵀، حيث قال: «وإن أثبتم وسائط بين الله وبين خلقه كالحجاب الذين بين الملك ورعيته بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه؛ .... وهؤلاء مشبهون لله، شبهوا المخلوق بالخالق، وجعلوا لله أندادًا، وفي القرآن من الرد على هؤلاء ما لم تتسع

---

(١) جواهر المعاني (٢/ ٩٤).

(٢) الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، عبدالكريم الجيلي، (ص: ٩٠).

له هذه الفتوى»[1].

وقال أيضاً ﵀ : «من أنواع التشبيه تشبيه المخلوق بالخالق، وذلك بإعطائه بعض خصائص الرب ﷻ التي لا يشابهه فيها أحد»[2].

وكذلك المقريزي[3] ﵀ حيث قال: «من علق ملك الضر والنفع، والعطاء والمنع بمخلوق، وأعطاه شيئًا من خصائص الإلهية، وصرف له نوعًا من أنواع العبادة، كالتوكل عليه، والذل له، والسجود له، ودعائه من دون الله، فقد شبهه بالخالق جل وعلا»[4].

وكذلك الشيخ ابن عثيمين ﵀ حيث قال: «فمن أثبت للمخلوق ما يختص به الخالق من الصفات والأفعال كاتخاذ شريك مع الرب تعالى في الربوبية، أو إعطاء المخلوق بعض حقوق الله تعالى بصرف بعض أنواع العبادة له، أو وصفه ببعض الصفات الخاصة بالله تعالى، فقد شبهه بالله تعالى»[5].

وسيأتي مزيد إيضاح لذلك أيضًا في الأبيات القادمة.

---

(١) انظر: الواسطة بين الحق والخلق ضمن مجموع الفتاوى (١/ ١٢٦).

(٢) منهاج السنة، ابن تيمية (٢/ ٥٩٥). كذلك انظر: إغاثة اللهفان، ابن القيم (٢/ ٢٢٦-٢٢٧). الدين الخالص، القنوجي (١/ ٣١٥).

(٣) هو: أحمد بن علي بن عبدالقادر تقي الدين المقريزي، مؤرخ الديار المصرية ولد ونشأ ومات في القاهرة، له مؤلفات عدة منها: تجريد التوحيد، توفي سنة ٨٤٥هـ. انظر: البدر الطالع (١/ ٧٩). الأعلام للزركلي (١/ ١٧٧).

(٤) تجريد التوحيد المفيد، المقريزي، (ص: ٢٧).

(٥) فتح رب البرية بتلخيص الحموية ضمن رسائل في العقيدة، ابن عثيمين، (ص: ٥٥).

قوله: ساويتم الوجوب بالإمكان.

التسوية: رفع أحد الطرفين حتى يصير مساوياً للآخر[1].

وقوله: (الوجوب بالإمكان). هذا المصطلح من مصطلحات أهل الكلام والفلاسفة.

يقول الفارابي[2]: " إن الله تبارك وتعالى هو واجب الوجود، وهو قائم بذاته منذ الأزل "[3]

ويقول ابن سينا: [4] " إن الله تبارك وتعالى واجب الوجود، ووجوده عين ماهيته " [5]

ويقصد بالواجب – عند الفلاسفة -: الله عز وجل، وبالإمكان: الإنسان.

---

(١) تاج العروس (٣٨/ ٣٢٥).

(٢)هو محمد بن محمد بن طرخان أبو نصر الفارابي من أهل فارس درس ببغداد واتصل بسيف الدولة الحمداني أمير حلب وأخذ الفلسفة عن رجل نصراني يسمى يوحنا بن حيلان، وقد اعتنى الفارابي بكتب أرسطو عناية خاصة حتى قال: ((قرأت السماع لأرسطو أربعين مرة وأرى أني محتاج إلى معاودته)). توفي في دمشق سنة ٣٢٩هـ وهو في الثمانين من عمره. انظر: تاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب(ص ١٣-١٧).

(٣)تاريخ الفلسفة في الإسلام ص ٢٠٩.

(٤)هو أبو علي بن الحسين بن عبدالله بن سينا الملقب بالشيخ الرئيس، فارسي الأصل، نشأ في بلاد ما وراء النهر، وكان ذكياً حاز كثيراً من العلوم في وقت مبكر من عمره، وبرز في مجال الطب ووضع كتاب ((القانون في الطب)) وهو من أشهر كتبه،وكان أبوه وأخوه اسماعيليين، وقد تتلمذ على كتب أرسطو،واستفاد من الفارابي كثيراً في فهمها ومعرفتها. توفي سنة ٤٢٨هـ. انظر: فلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب (ص ٥٣).

(٥)الشفا (١/ ٣٥٤)، الرسالة العرشية ص ١٦، ٢٢، موسوعة الفلسفة (١/ ٤٨-٤٩).

قال شيخ الإسلام رحمه الله:"فالله تعالى - عند المتفلسفة[1] - واجب الوجود[2]، وأخص وصف له تعالى: وجوب وجوده بنفسه، وإمكان ما سواه[3].

ويقول كذلك رحمه الله : «فالوجود ينقسم عند ابن سينا[4] وأتباعه إلى واجب وممكن... والممكن في عرف سائر العقلاء ما وجد بعد عدمه، أو عدم بعد وجوده، فهو الذي يمكن أن يكون موجودًا، وأن يكون معدومًا»[5].

ومن أطلق هذا الوصف من أهل العلم على الله سبحانه وتعالى فهو من باب الخبر، لا من باب التسمية؛ فإن أسماء الله توقيفية، لا يعدى ما ورد به السمع. أو يذكرونه في مقابل إطلاق المتكلمين له.

كذلك كلمة الوجود لم تذكر في القرآن الكريم مطلقاً، الأمر الذي يدل دلالة قاطعة على انحراف الفلاسفة لما لم يلتزموا بكلمات القرآن ودلالاته. [6]

قوله: وقستم الخلّاق بالمخلوق.

القياس: يشمل عدة معان، منها: التقدير كقولنا: قست الحبل بالذراع، والمساواة، كقولنا: زيد لا يقاس بعمرو، والمشابهة: كقولنا: قسنا الشيء بالشيء. إذاشبَّهناه به.،

---

(١) المتفلسفة أو الفلاسفة نسبة للفلسفة، وهي باليونانية محبة الحكمة، واصطلاحاً عرفت بتعريفات منها: دراسة المبادئ الأولى، وتفسير المعرفة تفسيراً عقلياً. المعجم الوسيط (٢/ ٧٠٠). والمتفلسفة هم الذين سلكوا هذا المسلك في النظر للأشياء.

(٢) المراد به: "هو الذي يكون وجوده من ذاته، ولا يحتاج إلى شيء أصلاً.

ويقابله: ممكن الوجود وهو: ما يقتضي لذاته أن لا يقتضي شيئاً من الوجود والعدم. انظر: التعريفات للجرجاني (ص: ٣٤٣، ٣١٩).

(٣) الفتاوى (٦/ ٣٤٤).

(٤) سبق ترجمته ص:٤٣٣.

(٥) الفتاوى (٩/ ٢٧٧). درء التعارض (٣/ ٢٦٨).

(٦)انظر: الاعتقاد للبيهقي (ص: ٨٤). بيان تلبيس الجهمية (٦/ ٥٢٣). شرح الطحاوية لابن أبي العز (١/ ١٧٠).

والمماثلة، كقولنا: هذا قياس هذا، أي: مثله[1].

ووجه القياس هنا: أنهم قاسوا الخالق ﷻ على ملوك الدنيا في قضاء الحاجات.كما بّيناه سابقاً في التشبيه والتسوية.

وهذا القياس باطل من أساسه فإن القياس في التوحيد لا يجوز.

قال أبو يوسف القاضي: "لا يجوز القياس في التوحيد، ولا يُعرف إلا بأسمائه، ولا يُوصف إلا بصفاته – أي الله عز وجل - .... وليس التوحيد بالقياس؛ لأن القياس يكون في شيءٍ له شبه ومِثْل، والله تعالى وتقدَّسَ لا شبه له، ولا مِثْل له، تبارك الله أحسن الخالقين»[2].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله في إبطال هذا القياس: «فإن الوسائط التي بين الملوك وبين الناس: يكونون على أحد وجوه ثلاثة: إما لإخبارهم من أحوال الناس بما لا يعرفونه، ومن قال: إن الله لا يعلم أحوال عباده حتى يخبره بتلك بعض الملائكة أو الأنبياء أو غيرهم: فهو كافر....

الوجه الثاني: أن يكون الملك عاجزًا عن تدبير رعيته، ودفع أعدائه – إلا بأعوان يعينونه – فلابد له من أنصار وأعوان، لذله وعجزه، والله سبحانه ليس له ظهير ولا ولي من الذل.

والوجه الثالث: أن يكون الملك ليس مريدًا لنفع رعيته، والإحسان إليهم ورحمتهم، إلا بمحرك يحركه من خارج. فإذا خاطب الملك من ينصحه ويعظه، أو من يدل عليه؛ تحركت إرادة الملك وهمته، في قضاء حوائج رعيته... والملك يقبل

(١) القاموس المحيط (٢/ ٢٥٣).

(٢) التوحيد، لابن منده (١/ ٢٢٨).

شفاعتهم: تارة بحاجته إليهم، وتارة لخوفه منهم، وتارة بجزاء إحسانهم إليه ومكافأتهم، ولإنعامهم عليه؛ حتى إنه يقبل شفاعة ولده وزوجته لذلك... والله تعالى لا يرجو أحدًا، ولا يخافه، ولا يحتاج إلى أحد بل هو الغني، قال تعالى: ﴿ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾[1][2].

وقال المقريزي رحمه الله: «... فإنه إن ظن أنه لا يعلم أو لا يسمع إلا بإعلام غيره له، أو إسماعه فذلك نفي لعلم الله وسمعه وكمال إدراكه وكفى بذلك ذنبًا. وإن ظن أنه يسمع ويرى ولكن يحتاج إلى من يلينه ويعطفه عليه أساء الظن بأفضال ربه وبره وإحسانه وسعة جوده... »[3].

قوله: فحدتم عن مستوى الطريق. الحيد بمعنى الميلان[4].

والطريق الذي حادوا عنه هو إثبات الكمال لله وتنزيهه عن الشبيه والمثيل، وذلك بالتوجه إلى الله تعالى مباشرة بالدعاء والرجاء.

والطريق الذي حادوا إليه هو تشبيه المخلوق به ومساواته بخلقه، وذلك باتخاذهم وسائط في الدعاء من أنبياء وأولياء.

معنى الأبيات إجمالاً:

ينتقل الناظم رحمه الله إلى كشف شبهات الأئمة المضلين من مشايخ الطرق، وأرباب

---

(١) [يونس:٦٨].

(٢) مجموع الفتاوى (١/ ١٢٦-١٢٩) باختصار.

(٣) تجريد التوحيد المفيد للمقريزي (ص: ٣١-٣٢) باختصار.

(٤) لسان العرب (٦/ ٤٥٢).

المقاصد الدنيئة، والمستخدمين أساليب التضليل والتمويه، ومن ذلك حثهم المريدين على دعاء الأموات الأولياء على اعتبار أنهم خير واسطة بين هذا المريد المذنب المسيء وبين الله ﷻ، كما أن الشخص إذا أراد أمراً من أمور الدنيا من سلطان أو ملك فإنه يتقرَّب إليه من خلال وزيره أو أميره أو حاجبه، فكذلك العبد المسيء المذنب، فإن عليه أن يتقرَّب إلي من خلال هؤلاء الأولياء الأموات فينزل بهم حاجاته وهم يرفعونها إلى الله ﷻ.

وهذا التضليل فيه تشبيه للخالق ﷻ المتصف بالرحمة الكاملة الشاملة لجميع عباده في الدنيا محسنهم ومسيئهم بالمخلوق من سلاطين الدنيا وملوكها وتسوية بين الخالق والمخلوق.

كذلك فيه قياس باطل لقيامه على متناقضات لا يجمع بينها وجه شبه، فأين الخالق من المخلوق وأين ملك الله ﷻ من ملك المخلوق وإنكم في تشبيهكم وقياسكم الباطل، هذا قد ملتم عن الطريق الحق الذي أمرنا الله ﷻ به وهو أن نتوجه إليه بالدعاء مباشرة من دون واسطة.

٣٦٩ - وذاك شـــركٌ باتفـــاق الأمَّـــهْ قـــد صـــرحت بقبحِـــه الأئمـــهْ
٣٧٠ - إذْ كـــلُّ ســـلطانٍ مـــن البريَّـــةِ مفتقـــرٌ للجنـــد والرعيَّـــةِ
٣٧١ - لعجْـــزِهِ عـــن حفـــظِ مـــا استرعاهُ إن كـــان لا يعضُـــده سُـــواهُ
٣٧٢ - وجهلـــهُ عـــمَّا بهـــا مـــن مفســـدَهْ مضـــرةٌ ومـــا بهـــا مـــن فائـــدهْ

قوله: وذاك شرك باتفاق الأمة.

ذاك: إشارة إلى تشبيه المخلوق بالخالق وقياسه عليه وفي اتخاذهم الوسائط.

وقد أجمع علماء الأمة على شرك فاعله وكفره، وممن نقل الإجماع شيخ الإسلام ﷺ، حيث قال: «ومن اتخذ واسطة بين الله وخلقه يدعوهم ويتوكل عليهم، ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار، مثل أن يسألهم غفران الذنوب وهداية القلوب وتفريج الكروب وسد الفاقات فهو: كافر بإجماع المسلمين»(١).

وقال أيضاً ﷺ: «والمقصود هنا أن من أثبت وسائط بين الله وبين خلقه كالوسائط التي تكون بين الملوك والرعية فهو مشرك، بل هذا دين المشركين»(٢).

ومن الأدلة على أن المشابهة والقياس شرك. قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾(٣). فإن الند بمعنى الشبيه والمثيل.

وقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ

(١) مجموع الفتاوى (١/ ١٢٦).

(٢) المرجع السابق.

(٣) [البقرة:٢٢].

ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ١﴾[2]. أي: يعدلون به غيره له من خلقه عدلاً وشبيهًا.

وهذا الحكم مبني على ما ترتب على التشبيه والقياس من تسوية المخلوق بالخالق، فإن التشبيه والقياس أقل أحواله أنه يوهم تساوي المشبه والمشبه به، وهذا ما نطق به الكفار المتخذين وسطاء في العبادة، قال تعالى في وصف تخاصم المعبودين والعابدين في النار: ﴿ قَالُواْ وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ ٩٦ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩٨ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٩٩ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ ١٠١﴾[3].

ولما فيه من قدح في كمال صفات الله عزوجل وتشبيهها بصفات المخلوق. فأين علم الله عز وجل وإحاطته بدقائق الأمور من علم ملوك الدنيا القاصر الذي جعلهم يتخذون حجاب ووزراء ليعينوهم في معرفة أحوال العبادة.

وأين قدرة الله الكاملة من قدرة ملوك الدنيا التي جعلتهم يبحثون عن الظهير والنصير في دفع شر الأشرار.

وأين رحمة الله وإحسانه وكرمه من رحمة ملوك الدنيا وإحسانهم وكرمهم، فلولا المحرك لهم من وزراء وحجاب لما تحركوا في نفع العباد والبلاد، إضافة إلى ما فيه من إساءة الظن بالله عز وجل، أن الله لا يرحم ولا يشفي ولا يرزق إلا من استعطف له الوسطاء، أما غيرهم ممن لم يتخذوا وسطاء فإن الله يتركهم ولا يرحمهم ولا يعطف

(١) [البقرة:١٦٥].

(٢) [الأنعام:١].

(٣) [الشعراء:٦٩-١٠١].

عليهم.

قوله: قد صرحت بقبحه الأئمة.

وممن صرح بذلك وبيّن أنه شرك ودعا إلى إخلاص العبادة لله تعالى، وتنزيهه عن الشبيه واستنكر هذه الواسطة الشركية: شيخ الإسلام حيث قال: «وإن أراد بالواسطة أنه لابد من واسطة في جلب المنافع، ودفع المضار مثل أن يكون واسطة في رزق العباد، ونصرهم، وهداهم يسألونه ذلك، ويرجعون إليه فيه، فهذا من أعظم الشرك»(١).

وقال أيضًا ﵀: «ومن أثبتهم وسائط بين الله وبين خلقه كالحجاب الذين يكونون بين الملك ورعيته بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه... فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا قتل»(٢).

وابن القيم ﵀ حيث قال: «حقيقة الشرك هو التشبيه بالخالق والتشبيه للمخلوق به، وأن المشرك مشبه للمخلوق بالخالق في خصائص الإلهية، فمن خصائص الإلهية التفرد بملك الضر والنفع والعطاء والمنع، وذلك يوجب تعليق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل به وحده ﷿، فمن علق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق وجعل ما لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعًا شبيهًا لمن له الأمر كله ومن أقبح التشبيه تشبيه العاجز الفقير بالذات، بالقادر الغني بالذات»(٣).

والمقريزي ﵀ حيث قال: «... فإنه إن ظن أنه لا يعلم أو لا يسمع إلا بإعلام

(١) الواسطة بين الحق والخلق (ص: ٢٠). مجموع الفتاوى (١/ ١٢١).

(٢) المرجع السابق.

(٣) الجواب الكافي، ابن القيم (ص: ٢٠٢).

غيره له، أو إسماعه فذلك نفي لعلم الله وسمعه وكمال إدراكه وكفى بذلك ذنبًا. وإن ظن أنه يسمع ويرى ولكن يحتاج إلى من يلينه ويعطفه عليه أساء الظن بأفضال ربه وبره وإحسانه وسعة جوده... »[١].

والصنعاني رحمه الله حيث قال: «ومن فعل شيئًا من أنواع العبادات لمخلوق حي أو ميت أو جماد أو غيره، فدعاه من دون الله أو التجأ إليه أو استغاث به فيما لا يقدر عليه إلا الله فقد أشرك في العبادة»[٢].

قوله: إذ كل سلطان من البرية مفتقر........

السلطان: من له سلطة على الناس.

ومفتقر: أي محتاج.

والبريَّة: هي الخليقة.

ويعضده: أي يساعده ويعاونه.

من هنا يبدأ الناظم رحمه الله بيان أوجه دخول هذا التشبيه والقياس في الشرك، فيبيّن أن قياسهم ضرورة الواسطة للخالق على واسطة الوزراء والحجاب لملوك الدنيا في قضاء الحاجات فيها تشبيه لله تعالى الغني بذاته بملوك الدنيا العاجزين عن تدبير رعيتهم ونفعهم ودفع الضر عنهم إلا بأعوان يعينونهم، فلابد لهم في ذلك من أنصار، ومن وصف الله بذلك فقد شبهه بخلقه

والله جل وعلا منزه عن ذلك ليس له ظهير ولا ولي من الذل ولا مثيل، قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

(١) تجريد التوحيد المفيد للمقريزي (ص: ٣١-٣٢) باختصار.

(٢) تطهير الاعتقاد، الصنعاني، (ص: ٥٢).

وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾[2].فالله عز وجل هو الغني وكل ما سواه فقير إليه، بخلاف ملوك الدنيا فإنهم محتاجون إلى ظهرائهم، وهم في الحقيقة شركاؤهم في الملك.

قوله: وجهله عما بها من مفسدة. هذا هو الوجه الثاني الذي به أدخل الناظم رحمه الله تشبيه المخلوق بالخالق وقياسه عليه في الشرك بالعبادة، وهو تشبيه الله تعالى العليم بملوك الدنيا الجاهلين بمصالح رعيتهم وما يفسدهم، ولولا هؤلاء الأعوان من وزراء وحجّاب وغيرهم لما علم من أحوال العباد شيء.

معنى الأبيات إجمالاً:

في هذه الأبيات ينقض الناظم رحمه الله شبهة الواسطة، فقد اتفق علماء أمة محمد صلى الله عليه وسلم على أنها شرك، وصرح الأئمة الأعلام بذلك وكونه من أقبح القول؛ لأن فيه مساواة للخالق بالمخلوق، وهذا شرك صريح وقياس قبيح.

ثم يتابع الناظم رحمه الله سوق الردود العقلية القوية الدالة على فساد شبهة الواسطة هذه وبطلان قياسهم في ذلك، فيقول: إن سلاطين الدنيا وملوكها مفتقرون محتاجون لمن يساعدهم من جند ووزراء وأمراء، فهم عاجزون عن حفظ دولتهم ورعيتهم بدون هؤلاء المساعدين.

إضافة إلى كونهم بدون هؤلاء الأعوان والمساعدين يجهلون أحوال رعيتهم ويجهلون المفاسد التي تضر بالبلاد والمصالح التي تعود عليها بالفائدة.

(١) [سبأ:٢٢].

(٢) [الإسراء:١١١].

٣٧٣ - هـل يستوي القـديمُ ربُّ النـاسِ   وغـيره مـن عـاجزٍ ونـاسي
٣٧٤ - لم يـدر شخصًـا واقفًـا ببابـهِ   إلا بـما يعلـمُ مـن حُجَّابـهِ
٣٧٥ - فكـلٌّ سـلطانٍ مـن الأنـامِ   قِوامُـه بالجنـدِ والخُـدَّامِ
٣٧٦ - جُباتُـه في ملكـهِ عـلى خَطَـرْ   ولم يـزلْ مـن قومـه عـلى حَـذَرْ
٣٧٧ - ولـيس يـدري مـن هـو الظلـومُ   في ملكـهِ ومَـنْ هـو المظلـومُ
٣٧٨ - مـن غـير برهـانٍ عـلى دعـواهُ   مـن واقـفٍ مطلـع رآهُ

قوله: هل يستوي القديم رب الناس. يستنكر الناظم هنا مساواة الرب القادر الحفيظ بهؤلاء المخلوقين العاجزين الناسين.

والقديم: هو من باب الإخبار عن الله تعالى، وليس اسم من أسمائه، وإنما اسمه الثابت (الأول).

قال ابن أبي العز رحمه الله: «وقد أدخل المتكلمون في أسماء الله تعالى (القديم) وليس هو من الأسماء الحسنى... وجاء الشرع باسمه الأول وهو أحسن من القديم؛ لأنه يشعر بأن ما بعده آيل إليه وتابع له، بخلاف القديم، والله تعالى له الأسماء الحسنى الحسنة»(١).

وقد ورد ذكر إطلاق (القديم) على الله تعالى في كلام بعض السلف(٢).

قال شيخ الإسلام: «وعامة النظار يطلقون ما لا نص في إطلاقه ولا إجماع كلفظ القديم والذات ونحو ذلك»(٣).

(١) شرح الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي (١/ ١٧١-١٧٢).
(٢) انظر: التوحيد لابن منده (٣/ ٧).
(٣) الفتاوى (٩/ ٣٠٠).

وبعض السلف قد كره وصف الله ﷻ بالقِدَمْ، لأنه قد يطلق مع سبق العدم ونحوه (كالعرجون القديم)[١].

قال الحافظ البيهقي رحمه الله في بيان معناه عند المتكلمين: هو «عبارة عن سلب العدم السابق، وهو عندهم أخص من الأزل؛ لأن الأزل عبارة عما لا افتتاح له، سواء كان وجودياً كذات الله وصفاته، أو عدمياً. والقِدَم عندهم: عبارة عما لا أول له، بشرط أن يكون وجودياً؛ كذات الله متصفةً بصفات الكمال والجلال، ونحن الآن نتكلم على ما وصفوا به الله جل وعلا من القدم والبقاء، وإن كان بعض العلماء كره وصفه ـ جل وعلا ـ بالقِدَم ... ، فالله ﷻ وَصَف المخلوقين بالقِدَم، قال: ﴿كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ﴾[٢]، ولا شك أن ما وصفوا به الله من هذه الصفات مخالف لما وصف به الخلق... أما الله ﷻ فلم يصف في كتابه نفسَه بالقِدَم، وبعض السلف كره وصفَه بالقِدَم؛ لأنه قد يطلق مع سبق العدم»[٣].

وقوله: رب الناس. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾[٤].

ويقصد الناظم: هل يستوي الله ﷻ في قدرته الكاملة مع هؤلاء المخلوقين العاجزين، فقد أخبر الله ﷻ عن المشركين أنهم يعدلون به غيره قال تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ۝١﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ

(١) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، للشنقيطي، (ص: ٩).
(٢) [يس: ٣٩].
(٣) انظر: الاعتقاد للبيهقي (ص: ٦٧). منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات (ص: ٨-٩).
(٤) [الناس:١].
(٥) [الأنعام:١].

فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾[2].

قوله: وغيره من عاجز وناس.

فقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة على عجز المخلوق عن نفع نفسه فضلاً عن غيره، ومن هذه الأدلة:

قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾﴾[5].

وقوله تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ

---

(١) [لقمان:١١].

(٢) [الروم:٤٠].

(٣) [الرعد:١٦].

(٤) [الحج:١٢].

(٥) [الرعد:١٤].

ﭐلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾[1]. أي: لا أحد يجيب المضطر ويكشف السوء غير الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾[4].

قوله: لم يدر شخصاً واقفاً ببابه.... إلا بما يعلم من حجابه.

قوله: لم يدر. أي لم يعلم.

وقوله: حجّابه. هم الذين أوكلهم السلطان بحجب الناس عنه وإدخال من أذن لهم.

قوله: الأنام. أي: الخلق.

---

(١) [النمل:٦٢].

(٢) [يونس:٣٥].

(٣) [الحج:٧٣-٧٤].

(٤) [النحل:٢٠-٢١].

وقوله: جباته. أي: عمّاله الذين يجبون الزكاة ويحصلون الضرائب وغيرها.

وقوله: الظلوم. أي: كثير الظلم للعباد.

وقوله: البرهان. هو البينة الواضحة.

وهذه الأوصاف تابعة للوجه الثاني من أوجه إدخال تشبيه المخلوق بالخالق وقياسه عليه، وهو الجهل وعدم الدراية إلا بمساعدة المعين للخالق ﷻ كما بيناه سابقاً. فيصف هؤلاء الملوك بأنهم لا يعلمون عن حال رعيتهم وهم وقوف ليس بينهم وبينه إلا الأبواب، ولولا حجابه لما علموا من حاجاتهم شيئاً.

قوله: فكل سلطان من الأنام قوامه...

يتابع الناظم دحض شبهة الواسطة من خلال وصف هؤلاء الملوك بالضعف والعجز فيقول هم عاجزين عن حماية أنفسهم أو إيصال النفع لهم إلا من خلال الجند والخدم. وهذا حال الضعفاء العاجزين فكيف يشبهون بالخالق سبحانه وتعالى.

قوله: جباته في ملكه على خطر...

أي كذلك من صفات هؤلاء الملوك العاجزين الضعف حيث يتعرض أتباعهم ومعاونيهم للخطر والاعتداء، ثم هؤلاء الملوك أيضاً على حذر من معاونيهم أن ينقلبوا عليهم، فحالهم من ضعف إلى ضعف.

قوله: وليس يدري من هو الظلوم...

أي كذلك من صفات هؤلاء الملوك العاجزين الضعفاء الدالة على جهلهم برعيتهم ونقص علمهم وعدم عدلهم أنه يستشري الفساد في مملكتهم ولا يعرفون الظالم من المظلوم بل ولا يفسح المجال للمظلومين أن يقفوا أمامهم ليوصلوا شكايتهم. إنما يسمعون كلام الظالمين من غير برهان على دعواهم وظلمهم.

معنى الأبيات إجمالاً:

يقول الناظم ﷺ: مع ما قدمت من بيان فلا يصح بعد ذلك أن يسوّى الخلاّق القديم رب الناس بغيره من المخلوقين من سلاطين وملوك، وحالهم كما بيّنت العجز والنسيان والجهل.

بل بلغ من جهلهم بأحوال أفراد رعيتهم أن يقف الفرد ببابهم ليس بينه وبينهم إلا ساتر من خشب ويطلب مقابلتهم فلا يعلم بهم، ولولا الحجاب على الباب أعلموهم بذلك لما دروا عنهم وعلموا بهم، وقد لا يسمح الحجاب لأفراد الرعية بالدخول فيعود أحدهم منكسراً وقد ضرب إليهم المسافات الطويلة، هذا نقص كبير متصف به المخلوق مع ملكه.

وحقيقة الأمر أن كل سلطان وملك لا يستطيع أن يقوم أمره بدون المساعد والمعين من جند وخدم وغيرهم يعلمونه بما ظهر لهم من حال البلاد والعباد، ثم يساعدونه في جلب المصالح لهم ودرء المفاسد عنهم.

وهو مع جهله وعجزه كذلك هو متصف بالخوف، سواءً على مساعديه الذين يساعدونه من جبات للزكاة وغيرهم أن يسرقوهم اللصوص وقطاع الطرق وإن سلم من ذلك، لم يسلم من الخوف من مساعديه أنفسهم الذين تقوم الأمور على أيديهم أن ينقلبوا عليه فيأخذوا ملكه أو من قومه أن يخلعوا ملكه.

ثم يعود إلى ضرب مثال آخر لجهل هذا المخلوق أنه ينتشر الظلم في مملكته ويستشري الفساد ولا يستطيع أن يوقف الظالم أو يرد الحق للمظلوم لجهله بهم، والمعلوم من أحوال أعوان الملوك أن الغالب عليهم إخفاء الأمور عن الملك لمصالحهم الشخصية، فلا يقتص من الظالم ولا ينتصف للمظلوم.

فالجهل قد يكون طبيعيًا نظرًا لانشغال الملك بالأمور العامة والمصالح العظمى عن أحوال الأفراد وما يتعرضون له من ظلم وغيره، وقد يكون متعمدًا من قبل المقربين من الملك بسبب المصالح الشخصية.

وأحيانًا قد يرفع أمر الظالم والمظلوم إلى الملك مباشرة فلا يستطيع أن يفصل بينهم وهم أمامه يراهم ويسمع شكاية المظلوم؛ لأنه لم يظهر البيّنة على دعواه، وهذا أيضًا من الجهل، فكيف يسوّى بعد ذلك بالعليم سبحانه.

٣٧٩ - وخلــتمُ العبــادَ لم يقرِّبــوا إلى الــذي مــنكمْ إليــه أقــربُ
٣٨٠ - إلا بكــمْ لأنكــم حُجَّــابُ وفــيكمُ تفــتَّحُ الأبــوابُ
٣٨١ - تبلِّغــون الله مــن أحببــتمُ وتمنعــون كــلَّ مــن أبغضــتمُ
٣٨٢ - ألــيس يــدري اللهُ مــن يتــوبُ ومــن لِبــابِ فضــلهِ يــؤوبُ
٣٨٣ - ومــن يناديــهِ بصــدقِ لهجتِــهْ مستمســكًا بحبلِــهِ وعروتِــهْ
٣٨٤ - ســبحانَهُ مــن صــمدٍ قريــبِ عــدلٍ علــيمٍ ســامعٍ مجيــبِ

قوله: وخلتم العباد لم يقرّبوا. خلتم : أي ظننتم

هذا الوجه الثالث الذي به أدخل الناظم تشبيه المخلوق بالخالق وقياسه عليه في الشرك، حيث يلزم من تشبيههم أن الله ﷻ لا ينفع عباده إلا بمحرك يليّنه ويعطفه على خلقه كما يحرك الوسطاء ملوك الدنيا وسلاطينها لنفع العباد، وكذلك هو يحابي بين خلقه بحسب مشيئة الوسطاء، وذلك لما فيه من سوء الظن بالله تعالى ووصفه بقصور الإرادة، واتهام له سبحانه بالمحاباة بين خلقه، فلا يصل إليه إلا من شاء منهم.

قوله: إلا الذي منكم إليه أقرب.

ويقصد به أقرب إلى الملوك والسلاطين من الوزراء والحجاب وغيرهم؛ فإنه لا يُقرّب أحد من العباد إلى الله إلا بكم، ومن كان قريبًا منكم لأنكم أقرب الخلق إلى الله فأنتم مثل الحجاب للملوك.

قوله: إلا بكم لأنكم حجاب.

أي: لأن منزلتكم بالنسبة إلى الله مثل منزلة الحجاب للملوك، فلا يمكن الدخول عليهم إلا عن طريقهم، كذلك أنتم تقولون: إنه لا يقبل دعاء العباد إلا إذا كان من طريقكم.

وقوله: وفيكم تفتح الأبواب.

هذا هو تفصيل وجه التشبيه بين طرفي واسطة النفع، فكل من الولي والحاجب يفتح به. فالولي يُفتح به أبواب رحمة الله، والحاجب يفتح به أبواب عطايا ملوك الدنيا.

والأبواب: هي أبواب الرزق والشفاء ومغفرة الذنوب والفلاح والهداية وغيرها.

قوله: تبلغون الله من أحببتم.

تُبلّغون الله: أي توصلون إلى الله.

وهذا قصور في واسطة العباد المدعاة للأولياء، فهي مقصورة على من يحبون ويريدون ومن ينذر النذور للولي ويأتي بالمقربات من مال ونحوه، أما رحمة الله وكرمه فهي واسعة شاملة لجميع العباد الكفار والمؤمنين، العصاة والطائعين إن هم أتوا تائبين ورفعوا أيديهم بالدعاء طالبين.

قوله: أليس يدري الله من يتوب.

يتعجب الناظم من مقالتهم وشبهتهم الشنيعة تلك، فإنها تصف الله تعالى بالنقص ومنه الغفلة عن التائبين والواقفين عند بابه رجاء فضله وهم آئبون راجعون إلى ربهم.

وكذلك الصادقين في دعائهم وتوبتهم وحالهم أنهم مستمسكين بحبل الله المتين وبعروته الوثقى. فكيف وهذا حالهم يغفل الله ﷻ عنهم ولا يدري بهم.

وهذا يخالف قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾(1).

(1) [البقرة: 186].

قال ابن القيم : «إن توبة العبد إلى ربه محفوفة بتوبة من الله عليه قبلها وتوبة منه بعدها، فتوبته بين توبتين من الله سابقة ولاحقة، فإنه تاب عليه أولا إذنا وتوفيقا وإلهاما، فتاب العبد فتاب الله عليه ثانيا قبولا وإثابة، قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١١٨﴾[(١)]، فأخبر سبحانه أن توبته عليهم سبقت توبتهم، وأنها هي التي جعلتهم تائبين، فكانت سببا ومقتضيا لتوبتهم، فدل على أنهم ما تابوا حتى تاب الله عليهم، فالعبد تواب والله تواب، فتوبة العبد رجوعه إلى سيده بعد الإباق، وتوبة الله نوعان: إذن وتوفيق، وقبول وإمداد»[(٢)].

وقال في النونية[(٣)]:

وكذلك التواب من أوصافه ... والتوب في أوصافه نوعان

إذن بتوبة عبده وقبولها ... بعد المتاب بمنة المنان

وباب فضل الله واسع كما جاء في حديث: {يا بن آدم! لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة}[(٤)].

<u>قوله: ومن يناديه بصدق لهجته</u>. هنا يهدي الناظم المريد إلى أثر صدق اللجأ

---

(١) [التوبة: ١١٨].

(٢) مدارج السالكين (١/ ٣١٢).

(٣) النونية مع شرحها (٢/ ٢٣١).

(٤) سنن الترمذي (٥/ ٥٤٨، ح٣٥٤٠)، وقال: "هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه". ومسند أحمد (٥/ ١٦٧، ح٢١٥١٠). والمعجم الأوسط للطبراني (٤/ ٣١٥، ح٤٣٠٥). وحسنه الألباني في الصحيحة (ح١٢٧).

والتضرع إلى الله وإظهار الافتقار إلى الله تعالى، والشكوى إليه في استجابة الدعاء.

كما أخبر الله تعالى عن أيوب عليه السلام: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾(١).

وكما أخبر عن يونس عليه السلام: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾(٢).

وكما أخبر عن زكريا عليه السلام: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾(٣).

من شروط إجابة الدعاء صدق اللجأ والتضرع.

فصدق اللجأ إلى الله هو لب الإخلاص لله، وقمة حسن الالتجاء إليه وهو أقصر الطرق للحصول على إجابة الدعاء(٤).

قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾(٥).

---

(١) [الأنبياء:٨٣-٨٤].

(٢) [الأنبياء:٨٧-٨٨].

(٣) [الأنبياء:٨٩-٩٠].

(٤) صدق اللجأ إلى الله وأثره في إجابة الدعاء: سيد ساداتي الشنقيطي (ص: ١٩).

(٥) [الأنعام: ٦٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾(١).

قوله: مستمسكاً بحبله وعروته.

كذلك يهدي الناظم رحمه الله المريد هنا إلى أثر التمسك بالكتاب والسنة في إجابة الدعاء. فقد قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾(٢).

قال السدي في قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾(٣): "أما حبل الله: فكتاب الله"، وكذا قال الضحاك(٤).

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾(٥).

قال ابن كثير: «قال مجاهد: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ يعني: الإيمان. وقال السدي: هو الإسلام وقال سعيد بن جبير والضحاك: يعني لا إله إلا الله. وعن أنس بن مالك: ﴿بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾: القرآن.

وكل هذه الأقوال صحيحة ولا تنافي بينها»(٦).

---

(١) [الأنعام: ٤٢-٤٣].

(٢) [آل عمران:١٠٣].

(٣) [آل عمران: ١٠٣].

(٤) تفسير الطبري (٥/ ٦٤٥).

(٥) [لقمان:٢٢].

(٦) تفسير ابن كثير (١/ ٦٨٤).

فإسلامُ الوجه: إخلاصُ القصد والدعاء والعمل لله وحده، والإحسانُ فيه: متابعة رسول الله ﷺ وسنته[1].

وخير المستمسكين رسل الله، وقد أجاب الله عز وجل دعاءهم كما قدمنا.

قوله: سبحانه من صمد قريب.

هنا ينزه الناظم رحمه الله الله عز وجل عن مثل تلك المقالات وتلك الشبهات ولوازمها الفاسدة التي تجعل الخالق كالمخلوق متصفاً بالنقص، ويثبت لله عز وجل صفات الكمال، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾.

كذلك هو سبحانه الذي تصمد إليه الخلائق بفطرتها في الدعاء، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾[2].

الصمد اسم من أسماء الله عز وجل؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾[3]، وقال رسول الله ﷺ: {قال الله تعالى: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني؛ وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي: فقوله: اتخذ الله ولدا، وأنا الأحد الصمد، لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفوا أحد}[4].

والصمد: هو السيد الذي يصمد إليه في الأمر، وصمد صمده: قصد معتمدا عليه قصده، وقيل: الصمد الذي ليس بأجوف[5].

(١) انظر: مدارج السالكين (٢/ ٩٠).
(٢) [الإخلاص:١-٢].
(٣) [الإخلاص: ١-٢].
(٤) رواه البخاري (٨/ ٩٤٤) (٤٩٧٤).
(٥) المفردات (ص: ٢٨٩).

والصمد: السيد المطاع الذي لا يقضى أمر دونه... وقيل: الصمد: الباقي بعد فناء خلقه... وقيل: الصمد: هو الذي انتهى في سؤدده... والصمد: الرفيع من كل شيء، والعرب تسمي أشرافها الصمد[١].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "الصمد الذي قد كمل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والغني الذي قد كمل في غناه، والجبار الذي قد كمل في جبروته، والعالم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه، هذه صفته لا تنبغي إلا له"[٢].

قال شيخ الإسلام: "والاسم (الصمد) فيه للسلف أقوال متعددة، قد يظن أنها مختلفة، وليست كذلك، بل كلها صواب، والمشهور منها قولان:

أحدهما: أن الصمد هو الذي لا جوف له.

والثاني: أنه السيد الذي يصمد إليه في قضاء الحوائج "[٣].

كذلك هو سبحانه قريب كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[٤]، فرؤية التائبين وهم يدعونه أولى.

وسبق أن وضحت ذلك عند قول الناظم: (فإنه أقرب من حبل الوريد)

---

(١) لسان العرب (٨/ ٢٨٠ -٢٨١). وانظر: معجم المقاييس (ص: ٥٧٦). القاموس المحيط (ص:٢٩٤).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٣٠/ ٤٢٣). وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٤٧٤).

(٣) الفتاوى (١٧/ ٢١٤-٢١٥). وانظر: شرح حديث النزول (ص: ١١٥-١١٧).

(٤) [البقرة:١٨٦].

في البيت رقم: ٣٤٩.

قوله: عدل عليم سامع مجيب.

أي كذلك من صفاته سبحانه العدل كما قال تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١١٥) ﴾(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: {إن لله تسعة وتسعين اسما، مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر، وهو الله الذي لا إله إلا هو.... العدل ...}(٢).

ومن عدله عز وجل أن لا يترك حاجات عباده إلى أحد من خلقه، فينساهم أو يحابي بعض الخلق فيقدمهم ويؤخر حاجات آخرين.

قال ابن القيم رحمه الله: «من أسمائه الحسنى (العدل) الذي كل أفعاله وأحكامه سداد وصواب وحق، فهو العدل الذي لا يجور ولا يظلم، ولا يخاف عباده منه ظلما. وهذا مما اتفقت عليه جميع الكتب والرسل، وهو من المحكم الذي لا يجوز أن تأتي شريعة بخلافه، ولا يخبر نبي بخلافه أصلا»(٣).

وقال أيضاً حول قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾(٤): «والقسط: هو العدل، فشهد الله سبحانه: أنه قائم بالعدل في توحيده بالوحدانية في عدله. والتوحيد والعدل هما جماع صفات الكمال: فإن

---

(١) [الأنعام:١١٥].

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٥٣٠، ٥٣١). وابن ماجه (٢/ ١٢٦٩، ١٢٧٠).

(٣) الفوائد (ص: ٤٧) . هداية الحَيارَى (ص: ٥٢٥).

(٤) [آل عمران: ١٨].

"التوحيد" يتضمن تفرده سبحانه بالكمال والجلال والمجد والتعظيم الذي لا ينبغي لأحد سواه.

والعدل يتضمن وقوع أفعاله كلها على السداد والصواب وموافقة الحكمة....

والعدل يتضمن وضعه الأشياء موضعها، وتنزيلها منازلها، وأنه لم يخص شيئا منها إلا بمخصص اقتضى ذلك، وأنه لا يعاقب من لا يستحق العقوبة، ولا يمنع من يستحق العطاء، وإن كان هو الذي جعله مستحقا»[1].

وقوله: عليم. أي: كذلك هو سبحانه عليم وسع علمه كل شيء قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ فلا يعقل أن يخفى عليه دعاء التائبين.

وسبق بيان علمه سبحانه وتعالى عند قول الناظم: وعالم بكل أحوال العبيد في البيت رقم: ٣٤٩.

وقوله: سميع. أي: كذلك هو سبحانه سميع كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ يسمع دبيب النملة على الصفاة، فسماع دعاء التائبين من باب أولى.

وقوله: مجيب. أي: كذلك هو سبحانه مجيب كما قال تعالى: ﴿۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ يجيب دعوة الداع إذا دعاه، والعصاة التائبين منهم.

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٤٢٧).

والمجيب اسم فاعل من أجاب يجيب فهو مجيب. فالله عز وجل مجيب دعاء عباده إذا دعوه كما قال ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[1].

فهو سبحانه وتعالى: المجيب الذي يجيب المضطر إذا دعاه، ويغيث الملهوف إذا ناداه، ويقابل مسألة السائلين بالإسعاف، ودعاء الداعين بالإجابة، وضرورة المضطرين بالكفاية، بل ينعم قبل النداء، ويتفضل قبل الدعاء.

قال ابن القيم[2]:

وهو المجيب يقول من يدعو أجيبـــ ـــه أنا المجيب لكل من ناداني
وهو المجيب لدعوة المضطر إذ يدعوه في سر وفي إعلان

وإجابة الله عزوجل لعباده نوعان:

١ – إجابة عامة لكل من دعاه دعاء عبادة أو دعاء مسألة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[3]، فدعاء المسألة أن يقول العبد اللهم أعطني كذا أو اللهم ادفع عني كذا، وهذا يقع من البر والفاجر، ويستجيب الله فيه لكل من دعاه بحسب الحال المقتضية وبحسب ما تقتضيه حكمته.

وهذا يستدل به على كرم المولى وشمول إحسانه للبر والفاجر، ولا يدل بمجرده على حسن حال الداعي الذي أجيبت دعوته إن لم يقترن بذلك ما يدل عليه وعلى

(١) [البقرة: ١٨٦].
(٢) النونية (٢/ ٢١٦).
(٣) [غافر: ٦٠].

صدقه وتعين الحق معه، كسؤال الأنبياء ودعائهم لقومهم وعلى قومهم فيجيبهم الله، فإنه يدل على صدقهم فيما أخبروا به وكرامتهم على ربهم.

٢- إجابة خاصة ولها أسباب عديدة، منها دعوة المضطر الذي وقع في شدة وكربة عظيمة، فإن الله يجيب دعوته، قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾[١]. [٢]

معنى الأبيات إجمالاً:

يعود الناظم رحمه الله إلى ذكر مقالتهم التي بنيت عليها الواسطة في الدعاء وكانت سببًا لتشبيه المخلوق بالخالق.

ومقالتهم تتلخص في كونهم أوحوا إلى الأتباع إضلالاً وتمويهاً أنه لا يُقرّب أحد من العباد إلى الله إلا بكم، ومن كان قريبًا منكم لأنكم أقرب الخلق إلى الله فأنتم مثل الحجاب للملوك، وفيكم فقط تفتح الأبواب أبواب: الرزق والشفاء والفلاح والنجاح وغيرها من أمور الدنيا والدين، ومن خصائصكم أنكم تبلغون الله حاجات من أحببتم وتمنعون عن تبليغ الله حاجات من أبغضتم.

وهذا الذي زعمتم هو تنقّص لكمال علم الله عز وجل، فإن لازم زعمكم هذا أن الله عز وجل لا يدري من يتوب من عباده ولا من يرجع ويؤوب راجيًا باب فضله وكرمه واقفًا به، ولا من يناديه صادقًا بالتوبة وطلب الإعانة معتمدًا عليه في كشف كربه.

ثم ينزه الناظم الرب سبحانه وتعالى عما زعموا وقالوا، فإنه سبحانه وتعالى متصف بصفات الكمال الدالة على عظيم ملكه، وأنه غير محتاج إلى مخلوق لا حاجب يُبلّغه حاجات عباده، فهو سبحانه الصمد الذي تصمد الخلائق إليه بفطرتهم في طلب حوائجهم ودفع كرباتهم،

(١) [النمل: ٦٢].

(٢) المنهاج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (٢/ ٦٦٣).

وهو ﷻ قريب من عباده أقرب إلى أحدنا من شراك نعله، وهو ﷻ عدل لا يظلم عنده أحد، ومن عدله أن لا يترك حاجات عباده إلى أحد من خلقه، قد ينسى أو يحابي فيقدم ويؤخر. وهو سبحانه عليم بأحوال عباده من يتوب ومن يؤوب ومن يتوجه إليه بصدق في الدعاء، وهو سبحانه سميع للدعاء عباده لا تختلط عليه الأصوات ولا يخف عليه صوت وإن دق، وهو سبحانه مجيب لدعوة الداع إذا دعاه.

٣٨٥ - هـا أخبرونـا مَـنْ لـه وزيـرُ   مـن خلقِـهِ معـينٌ مـذكورُ؟
٣٨٦ - أو حاجـبٌ ببابـه قـد وُكِّـلا   يبلِّـغُ الـرحمنَ حاجـاتِ المَـلا؟
٣٨٧ - وهـل لـهُ بـين الـورَى علامَـهْ   فـيما سـوى السُّـبحةِ والعمامَـهْ؟
٣٨٨ - أم تلكـما والشـهرةُ المزيَّفَـهْ   بـين أنـاسٍ مـا لهـمْ مـن معرفَـهْ
٣٨٩ - يخـتصُّ بـين النـاس بالوِسـامِ   بالرتبـةِ العليـا عـلى الأنـامِ

قوله: ها أخبرونا من له وزير...

يتوجه الناظم رحمه الله بالنقيض إلى الطرف المقابل مدعي الولاية الذين أوهموا الأتباع أنهم بهم تفتح الأبواب، فيقول لهم بعدما سمعتم من عظيم صفات الله عز وجل التي تدل على قربه من عباده واطلاعه على أحوالهم: فأخبرونا من الذي بعد ذلك حقيقة محتاج إلى المعين من وزير يعينه في قضاء حاجات العباد، الجواب محذوف تقديره: هو هؤلاء الأدعياء وحالهم أكبر دليل على ذلك.

قوله: أو حاجب ببابه قد وكلا.

الحاجب: من يمنع الناس ويحجبهم عن دخول ذي السلطان إلا بإذنه.

ويقصد الناظم رحمه الله كذلك من يحتاج إلى حاجب هو هؤلاء الأدعياء وليس الخالق سبحانه وتعالى المتصف بأكمل الصفات الدالة على تفرده بالنفع والضر.

قوله: وهل له بين الورى علامة...

الورى: المقصود بهم الخلق(١).

والعلامة: هي الميّزة التي تدل على صدق ولايته ووصوله إلى هذه المنزلة.

---

(١) انظر: المفردات (ص: ٥٣٥). لسان العرب (١٥/ ٢٠١).

هنا ينتقل الناظم ﵀ إلى بيان بعض صفات هؤلاء الوسطاء الذين يُدعون من دون الله ﷻ، فهم لا يوجد لهم علامة تميّزهم وتدل على صدق ولايتهم، فليس لهم شغل إلا بالمظاهر من السبحة والعمامة، فهم يعتنون باللباس الظاهر أيّما اعتناء بينما قلوبهم بعيدة عن الله، هذا حال أكثر مشايخ الطرق مدعي الولاية، وما هذه المظاهر والعلامات إلا شباك صيد يصطادون بها البسطاء والجهال.

قوله: أم تلكما والشهرة المزيفة...

(أم) هنا بمعنى بل.. واسم الإشارة (تلكما) يعود إلى السبحة والعمامة.

الشهرة: الظهور بين الناس.

المزيفة: أي التي لا تطابق الحقيقة، فهم يفتعلونها لجلب الأتباع.

ويقصد أن من أبرز علامات هؤلاء المشايخ المدعين للواسطة مع المظاهر الكذابة هو الاهتمام بالشهرة وجمع الأتباع الجهال الذين لا يعرفون مآرب هؤلاء المشايخ الطرقيين.

قوله: يختص بين الناس بالوسام بالرتبة ....

الوسام: قال الجوهري: «اتسم الرجل إذا جعل لنفسه سمة يعرف بها»[1].

الرتبة: هي المنزلة.

الأنام: هم الخلق.

أي: لا يوجد ما يختص به عن باقي الخلق ويرفعه منزلة عنهم سوى ما ذكرت سابقًا من المظاهر الكذابة وحب الشهرة والترفع عن باقي الناس.

---

(١) الصحاح (٦/ ٣٣٠).

المعنى الإجمالي للأبيات:

يتوجه الناظم رحمه الله بالنقيض إلى الطرف المقابل مدعي الولاية الذين أوهموا الأتباع أنهم بهم تفتح الأبواب، فيقول لهم بعدما سمعتم من عظيم صفات الله عز وجل التي تدل على قربه من عباده واطلاعه على أحوالهم. فأخبرونا من الذي بعد ذلك حقيقة له معين من وزير وحاجب، إنه أنتم التي علامتكم البارزة السبحة والعمامة التي حرصتم عليها مع الشهرة المبنية على الباطل تجعلون هذه المظاهر الكذابة وسيلة للاستعلاء على الأتباع الجهلاء الذين تغرهم تلك المظاهر الكذابة والشهرة الزائفة، بل وتجعلون لكم منزلة لا يبلغها أحد خاصة بكم من بين الناس ينادونكم بها، حتى إذا أطلقت – الولاية – لا تتوجه القلوب والأنظار إلا إليكم من بين جميع الخلق.

٣٩٠ - فـإن تقولـوا إنهـا الولايَـهْ   وسـامُ أهـلِ الفضـل والعنايَـهْ
٣٩١ - نقـولُ هـذا وصفُ أربـاب التُّقَى   مـن كـلِّ عبـدٍ مـؤمنٍ قـد اتَّقَـى
٣٩٢ - إذ جـاء في القـرآن أن الأوليـا   المؤمنـونَ العـارفونَ الأتقيـا

قوله: فإن تقولوا: إنها الولاية.

الولاية لغة: مصدر ولي يليه ولاية، إذا دنا منه وقرب أو قام به وملك أمره أو نصره وأحبه، والولي: من الولاية بفتح الواو، التي هي ضد العداوة(١).

واصطلاحاً: قد تولى الله ﷻ بنفسه تعريف أولياءه، فقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣﴾(٢)، فقد وصف أولياءه بوصفين اثنين: الإيمان والتقوى فالولي هو الذي يؤمن بالله حقيقة الإيمان وهو الذي يخاف الله ويراقبه ويعظم الله ويعظم تعاليمه وشرعه ويعظم رسوله ويوقره ويتبع سنته ويقف عند حدوده، هذا هو الولي. فكل مؤمن تقي هو ولي لله تعالى بالمعنى الشرعي، ويدخل في ذلك الأنبياء، فهم سادة الأولياء.

قال الشوكاني رحمه الله: «والمراد بأولياء الله خلقه المؤمنين كأنهم قربوا من الله سبحانه بطاعته واجتناب معصيته، وقد فسر سبحانه هؤلاء الأولياء بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ ﴾(٣)». (٤)

---

(١) لسان العرب (١٥/ ٤٠٧).

(٢) [يونس:٦٢-٦٣].

(٣) [يونس:٦٣].

(٤) فتح القدير (٢/ ٤٥٧).

وقال ابن حجر رحمه الله: «المراد بولي الله المواظب على طاعته، المخلص في عبادته»(١).

وولاية الله لعبده هدايته إلى طاعته ومحبته ونصرة دينه، وولاية العبد لله تقتضي الإيمان به سبحانه، والتقرب إليه بطاعته، وترك مساخطه... قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥٧﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾(٣).

فهذه النصوص كلها ثَبَت فيها موالاة المؤمنين بعضهم لبعض، وأنهم أولياء الله، وأن الله وليهم ومولاهم، وهذه الولاية من رحمته وإحسانه، ليست كولاية المخلوق للمخلوق لحاجته إليه.

والولايةُ الكاملة تكون للمؤمنين المتقين، كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِۚ﴾(٤).

والطريق الموصل إلى الولاية هو طاعة الله عز وجل والسير على سنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

قال ابن رجب رحمه الله: «فظهر بذلك أنه لا طريق توصل إلى التقرب إلى الله تعالى وولايته ومحبته سوى طاعته التي شرعها على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم؛ فمن ادعى ولايته والتقرب إليه ومحبته بغير هذه الطريق تبين أنه كاذب في دعواه، كما كان المشركون

---

(١) فتح الباري، (١١/ ٣٤٢).

(٢) [البقرة:٢٥٧].

(٣) [التوبة:٧١].

(٤) شرح الطحاوية، (٢/ ٥٠٥-٥٠٨).

يتقربون إلى الله تعالى بعبادة من يعبدون من دونه»(١).

وعن مرتبة الولاية والأولياء وكيف تُنال. يقول شيخ الإسلام ﷺ: «وأولياء الله على مرتبتين: إحداهما: مرتبة من تقرب إلى الله بأداء الفرائض، وهذه درجة المقتصدين أصحاب اليمين.

وثانيتهما: من تقرب إليه بعد الفرائض بالنوافل، وهذه درجة السابقين المقربين، وقد ذكر الله تلكما الدرجتين ودليل الصنفين في سورة الواقعة والرحمن والإنسان والمطففين وفاطر.

فقال سبحانه: ﴿ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ ﴾(٢). ثم قال: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ ﴾(٣).

والحاصل أن الولاية مرتبة في الدين عظيمة لا يبلغها إلا من قام بالدين ظاهراً وباطناً، بفعل المأمورات وترك المنهيات؛ فهي درجة عالية لا يُصعد إليها إلا بسلّم الشريعة؛ بل من اعتقد ولاية من يترك الواجبات ويفعل المحرمات فهو كافر مرتد؛ لتكذيبه الآية»(٤).

والولاية لها جانبان: جانب يتعلق بالعبد: وهو القيام بالأوامر، واجتناب النواهي، ثم التدرج في مراقي العبودية بالنوافل، وجانب يتعلق بالرب تعالى وهو محبة هذا العبد ونصرته وتثبيته على الاستقامة، أما الكرامات فهي أمر إضافي وليست

---

(١) جامع العلوم والحكم، (٢/ ٣٣٦).

(٢) [الواقعة:٨].

(٣) [الواقعة: ١٠-١١].

(٤) انظر: أولياء الرحمن، لابن تيمية (ص: ٢١، ٢٢).

شرطاً في الولاية[1].

أما عن فضل الولاية والأولياء فيكفي الأولياء ما جاء في الآية السابقة من تولي الله لهم، ونصرتهم وتأييدهم ومعونتهم وإصلاح أحوالهم، وأنه لا خوف عليهم مما أمامهم في الآخرة، ولا هم يحزنون على ما خلفهم من الدنيا، وأن لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة هنيئاً لهم، يوفقهم الله بهدايته وتسديده، ويحوطهم بحمايته ونصرته.

كذلك ما جاء في الحديث القدسي عن الولي: {إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيءٍ أحب إليّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه، وما ترددت عن شيءٍ أنا فاعله ترددي عن نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته}[2].

والولاية لا تستلزم العصمة، فالولي بشر يجوز عليه ما يجوز على الناس من الغلط والسهو والظن الخاطئ ونحو ذلك، ولا يقدح ذلك في ولايته خلاف ما زعمت الصوفية من أن القلب إذا كان محفوظاً كانت خواطره معصومة من الخطأ! فإنه ليس في النصوص ما يدل أو يشير إلى ذلك، بل نصوص الشريعة وإجماع العلماء على خلاف ذلك، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ

(١) انظر: مقدمة تحقيق كرامات أولياء الله للالكائي، لأحمد سعد حمدان، (ص: ٧).

(٢) تقدم تخريجه (ص:٣٠٧).

ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾(١)، فأثبت لهؤلاء المتقين المحسنين ذنوباً، وأنه يغفرها لهم، ولم تكن تقواهم مستلزمة لعصمتهم من الذنوب(٢).

وقد انحرفت الصوفية في مفهوم الولي، ويمكن تلخيص انحرافهم في نقاط عدة(٣):

١- نسبتهم إلى الأولياء صفات الربوبية من علم الغيب، والتصرف في الكون.

فقد حكى الشعراني عن إبراهيم الجعبري(٤) اطلاعه على خفايا من أحوال الناس(٥).

ونقل عن محمد الحضري أنه يقول: «الأرض بين يدي كالإناء الذي آكل منه، وأجساد الخلائق كالقوارير أرى ما في بواطنهم»(٦).

ونقل عن الشربيني أنه كان يقول للعصا التي كانت معه: «كوني إنساناً فتكون إنساناً، ويرسلها تقضي الحوائج ثم تعود كما كانت»(٧).

٢- دعواهم عصمة الولي.

---

(١) [الزمر:٣٣-٣٥].

(٢) انظر: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي، محمد أحمد لوح (١/ ٥٥ ٩٣).

(٣) مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية، إدريس محمود (٢/ ٥٤٧ وما بعدها).

(٤) هو إبراهيم بن معضاد بن شداد بن ماجد الجعبري، تقي الدين أبو إسحاق، تفقه على مذهب الشافعي، وسمع الحديث وحدّث، وكان يعظ الناس وينتفعون بكلامه كثيراً، وله نظم حسن، توفي سنة ٦٨٧هـ. انظر: البداية والنهاية (٩/ ١٩٩)، حوادث سنة ٦٨٧هـ. شذرات الذهب (٥/ ٣٩٩).

(٥) الطبقات، (١/ ٢٠٣).

(٦) الطبقات الكبرى، (٢/ ١٠٧).

(٧) المرجع السابق، (٢/ ١٣٦).

قال القشيري في تعريف الولي: «وهو الذي يتولى عبادة الله وطاعته، فعبادته تجري على التوالي من غير أن يتخللها عصيان، وكلا الوصفين واجب حتى يكون الولي ولياً»[1].

فقوله: «من غير أن يتخللها عصيان» فيه اشتراط لعصمة الولي من المعاصي ودعوى تحقيقها.

٣- أنه لا يجوز الإنكار على الولي ولو خالف الشريعة.

فقد نقل الشعراني عن علي الخواص قوله: «إياك أن تصغي لقول منكر على أحد من الفقراء، فتسقط من عين رعاية الله عزّ وجلّ»[2].

٤- زعمهم أن الولي يتطور ويتشكل ويتواجد في أماكن مختلفة في آن واحد.

قال الشعراني في ترجمة الشيخ حسين أبي علي: «كان هذا الشيخ من كُمّل العارفين وأصحاب الدوائر الكبرى، وكان كثير التطورات: تدخل عليه الأوقات تجده جندياً، ثم تدخل عليه فتجده سبعاً، ثم تدخل فتجده فيلاً، ثم تدخل عليه فتجده صبياً، وهكذا»[3].

٥- أن ما يتخيله الولي ويتصوره في خياله فإنه يقع كما تخيّل.

كما حكى الشعراني عما حصل للجوهري، حين غطس في البحر وتخيل أنه تزوج عراقية فأنجبت له أولاداً، فأتته بعد مدة بأولادها منه[4].

---

(١) الرسالة القشيرية (٥٢٠- ٥٢١).

(٢) الطبقات الكبرى، (١/ ١٠).

(٣) الطبقات الكبرى، (٢/ ٨٧).

(٤) الطبقات الكبرى، (٢/ ٨٧).

٦- أن الولاية تكون بأيدي الأولياء الكبار يهبونها لمن شاءوا.

يقول الدباغ[(١)]: «يقدر الولي على أن يكلم أحداً في أذنه، ولا يقوم عنه حتى يكون هو والولي في المعارف على حد سواء»[(٢)].

٧- زعمهم أنهم يقابلون النبي ﷺ يقظة، ويتلقون عنه التشريع، ويسألونه عن الحلال والحرام، وصحة الحديث وضعفه[(٣)].

٨- ادعاؤهم أن للولاية خاتماً كما للنبوة خاتم، وهي فكرة صوفية اخترعها الحكيم الترمذي[(٤)]، وطورها الصوفية بعده حتى جعلوا لكل زمان خاتماً، ومنهم من جعل لولاية الخصوص خاتماً، وخاتماً لولاية العموم، فلا ولي بعده![(٥)].

وسيأتي الرد عليهم في البيتين القادمين.

قوله: وسام أهل الفضل والعناية.

الوسام: بينته في البيت السابق.

وأهل الفضل والعناية: هم الذين تفضل الله عز وجل عليهم بالولاية؛ لأنهم مجمع

---

(١) هو عبدالعزيز بن مسعود الدباغ، متصوف من الأشراف الحسنيين، ولد بفاس سنة (١٠٩٥هـ)، وكان أميًّا لا يقرأ ولا يكتب، ولأتباعه مبالغات في الثناء عليه، ونقل الخوارق عنه، توفي بفاس سنة (١١٣٢هـ). الأعلام (٤/ ٢٨).

(٢) الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز، لأحمد بن المبارك، (١٧٥).

(٣) انظر: الطبقات الكبرى في ترجمة أبو المواهب الشاذلي؛ حيث ذكر له لقاءات كثيرة، (٢/ ٦٧ ٨١، ٧٥).

(٤) هو محمد بن علي الترمذي، من أهل ترمذ، منها بسبب تأليفه كتاب «ختم الولاية» وحكموا عليه بالكفر، باحث صوفي، له مشاركة في الحديث من أشهر كتبه «نوادر الأصول في أحاديث الرسول»، اختلف في تاريخ موته. انظر: «طبقات الأولياء» (ص: ٣٦٢)، و«الأعلام» (٦/ ٢٧٢).

(٥) انظر: تقديس الأشخاص، (١/ ٧٩)، وما بعدها.

الفضائل وهم محل عناية الله عزوجل ونظره.

وهنا الناظم رحمه الله يذكر دعواهم في أن الذي أوصلهم إلى هذه المرتبة وجعلهم وسطاء بين الله عزوجل وخلقه في الدعاء هو وصولهم إلى مرتبة الولاية.

قوله: نقول هذا وصف أرباب التقى.

هنا يرد الناظم رحمه الله على دعواهم السابقة، فيقول لهم: إن وصف الولاية لا ينطبق عليكم، فأنتم أدعياء والولاية الحقيقية هي للمتقين من كل عباد الله وليست حكرًا على أحد أو لها زيّ معين، إنما هي لمن عُرف بتقوى الله عزوجل وصح أن يطلق عليه من الأتقياء.

وأرباب التقى: هم أهل التقوى المتصفين به. وهم كل من فعل ما أمر الله به ورسوله، وترك ما نهى عنه[1].

قوله: من كل عبد مؤمن قد اتقى. أي: أنها ليست حكراً على أحد إنما هي صفة لكل عبد مؤمن بالله قد اتقاه في السر والعلن.

قوله: إذ جاء في القرآن أن الأولياء... المؤمنون العارفون.

هنا يذكر الناظم الأدلة على إبطال دعواهم أن الولاية عناية وفضل ينالها الإنسان وما أكثر أدعياؤها. فقد قطع القران قول كل أحد في وصف وحدّ الأولياء.

ويقصد قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣﴾[2].

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ١٢٠).

(٢) [يونس:٦٢-٦٣].

وقوله العارفون: أي: العارفون بالله ﷻ وما يستحقه من تعظيم وخشية وتقوى، لا من يدعون ذلك.

وكذلك العارفون بالتوحيد فلا يناقضونه بشرك من واسطة ونحوها. إلا أنه لم يرد في الآية وصف الأولياء بالمعرفة مستقلاً إلا أن المعرفة تدخل في الإيمان.

معنى الأبيات إجمالاً:

يتابع الناظم ؒ نقضه لمدعي الشهرة من مشايخ الطرق الزاعمين أنهم الأولياء الذين تفتح بهم أبواب الدعاء.

فيقول لهم: إن تزعمون أن الذي أوصلكم إلى هذه المرتبة العالية وجعلكم علامة بارزة بين الخلق هي دعوى الولاية لأنكم أولى بها فأنتم مجمع الفضائل والسجايا الكريمة حتى صرتم أهلها، ومحل لعناية الله ونظره نظرًا لما تتمتعون به من خصائص ومميزات.

فإن هذا الوصف – الولاية – لا ينطبق عليكم وقد تركتم تقوى الله وراء ظهوركم، إنما الأحق به هم الأتقياء من المؤمنين الملازمين لهذه العبادة الجليلة أيًّا كانت منزلتهم عند الناس، وهذا ما جاء به القرآن الكريم، فقد وصف الله ﷻ الأولياء بأنهم ملازمون للتقوى.

٣٩٣ - فإن تكنْ في الاعتقادِ أشعريْ فإنه مما اعتقدتَه بريْ
٣٩٤ - فلم يقل كلاًّ بهذا الزعمِ ومن عَزاهُ ما له من عِلْمِ
٣٩٥ - فعنده جميع أفعال الإلَهْ ليس لأغراضٍ ولا معلّلَهْ
٣٩٦ - هذا الذي قد صحَّ عنه واشتهرْ كما روت عنه الجحاجيحُ الغُرَرْ
٣٩٧ - والله فاعلٌ لكل ما يشا يُضلُّ من شاء ويهدي من يشا
٣٩٨ - لكنَّما الإرشادُ للعصاةِ وسيلةُ النجاحِ والنجاةِ

قوله: فإن تكن في الاعتقاد أشعري.

الاعتقاد في اللغة: مصدر اعتقد كذا، أي اتخذه عقيدة، بمعنى أنه عقد عليه الضمير والقلب ودان به، ثم استعمل في التصميم والاعتقاد الجازم. ومادة "عقد" تدل على الشد وشدة الثقة. والاعتقاد في الاصطلاح: الحكم الذي لا يُقبل فيه الشك لدى معتقِدِه. واليقين الجازم الذي يعتقده القلب(١).

قوله: أشعري: هو من ينتسب إلى أبي الحسن الأشعري.

وهو: أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، إليه ينتسب الأشاعرة، ولد سنة ٢٦٦ هـ، إمام المتكلمين، كان معتزليا ثم تاب إلى الله من الاعتزال، وكان ذا ذكاء مفرط، صنف "مقالات الإسلاميين" و"الإبانة" وغيرها، مات سنة ٣٢٤هـ. (٢).

يقول الناظم للمريد: إذا كنت أيها المريد تعتقد في مسألة القدر والهداية مذهب الأشاعرة المنسوب كذبًا إلى أبي الحسن الأشعري وهو بريء منه أنه يقول بأن أفعال

(١) انظر: شرح الواسطية للهراس (ص: ١٥). معجم المقاييس (ص: ٦٧٩). شرح لمعة الاعتقاد للفوزان (ص:٢٣). التنبيهات السنية (ص: ١٦). وانظر: شرح السفارينية (ص: ٧٤).
(٢) انظر ترجمته في طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٣٤٧-٤٤٤). ووفيات الأعيان (٣/ ٢٨٤-٢٨٦). سير أعلام النبلاء ١٥/ ٨٥].

الله عزّ وجلّ لا تعلل بالأغراض والغايات.

قوله: فلم يقل كلاً بهذ الزعم ومن عزاه...

أي: فاعلم أنه لم يقل هذا القول، ولم يعتقد هذا الاعتقاد المزعوم.

والعزو هو إضافة القول إلى قائله.

ويقصد أن الأشاعرة يعزون هذا الاعتقاد للأشعري رحمه الله وليس لهم علم بمذهبه الصحيح.

قوله: فعنده جميع أفعال الإله ليس لأغراض .....

الإله اسم من أسماء الله جل جلاله، لكنه لم يرد إطلاق الاسم منه في النصوص؛ وإنما أخذ بطريق الاشتقاق قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١﴾[1].

ومعناه: المألوه المعبود؛ قال ابن عباس رضي الله عنهما: (الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين). وفي قراءته: (ويذرك وإلاهتك) أي: عبادتك. قال ابن فارس: " الهمزة واللام والهاء أصل واحد، وهو التعبد، فالإله الله تعالى، لأنه معبود، ويقال: تأله الرجل، إذا تعبد، قال الشاعر:

لله در الغانيات المُدَّهِ   سبحن واسترجعن من تألهي

وقد خالف المتكلمون في معنى (إله) متغافلين عما عليه أهل الشرع وأهل اللغة، فقالوا: إن إله اسم فاعل أي: آله، وهو بمعنى القادر على الاختراع، ففسروا الألوهية بالربوبية، وقد حصل لهم بذلك انحرافات عظيمة ترتبت على ذلك كما سيأتي ـ إن شاء الله ـ، ومن المعلوم أن بين الألوهية والربوبية فروقاً؛ منها: أن المشركين الذين بعث

(١) [النساء: ١٧١].

فيهم رسول الله ﷺ أقروا بالربوبية دون الألوهية كما سيأتي- إن شاء الله -.

قال في تيسير العزيز الحميد في الرد على المتكلمين في هذا: " فإن قيل: قد تبين مَعْنَي (الإله) و(الإلهية) فما الجواب عن قول من قال بأن معنى (الإله): القادر على الاختراع ونحو هذه العبارة؟ قيل: الجواب من وجهين:

أحدهما: أن هذا قول مبتدَع، لا يعرف أحد قاله من العلماء ولا من أئمة اللغة، وكلام العلماء وأئمة اللغة هو معنى ما ذكرنا كما تقدم. فيكون هذا القول باطلاً.

الثاني: على تقدير تسليمه فهو تفسير باللازم للإله الحق؛ فإن اللازم له أن يكون خالقاً قادراً على الاختراع، ومتى لم يكن كذلك فليس بإله حق وإن سمي إلها، وليس مراده أن من عرف أن الإله هو القادر على الاختراع فقد دخل في الإسلام، وأتى بتحقيق المرام من مفتاح دار السلام؛ فإن هذا لا يقوله أحد؛ لأنه يستلزم أن يكون كفار العرب مسلمين، ولو قدر أن بعض المتأخرين أراد ذلك فهو مخطئ يرد عليه بالدلائل السمعية والعقلية "(١).

وهنا الناظم ؒ يبيّن مذهب الأشعري في المسألة، ويظهر أن في عجز البيت خطأ واضح عند قوله: ليس لأغراض ولا معلله.

فإنه على هذا اللفظ لا فرق بين قول الأشعري ومذهب الأشاعرة في المسألة.

فمذهب الأشاعرة هو نفي التعليل والأغراض والغايات عن أفعال الله ومخلوقاته وأوامره، وأنه يفعل ويأمر ويخلق لمحض المشيئة(٢).

(١) انظر: معتقد أهل السنة في أسماء الله، للتميمي (ص: ١٧٣). تفسير الطبري (١/ ٤٥، ٩/ ٣٢-٣٣، ١/ ٩، ٥٤). معجم المقاييس (ص: ٨٤). بتصرف. الصحاح للجوهري (٥/ ١٧٨٠-١٧٨١). مدارج السالكين (١/ ٣٢). والبيت لرؤبة بن العجاج كما في معجم المقاييس (ص: ٨٤). أصول الدين للبغدادي (ص: ١٢٣). شرح الأسماء الحسنى للرازي (ص:١٢٤). نهاية الأقدام (ص: ٩١). انظر (ص: ١٨٨-١٨٩، ١٩٢-١٩٤). تيسير العزيز الحميد (١/ ١٨٧).

(٢) للتوسع في المسألة انظر: الحكمة والتعليل في أفعال الله (ص: ٦٧). - منهاج السنة(١/ ٩٧)

قال الآمدي[(١)]: «مذهب أهل الحق أن الباري تعالى خلق العالم وأبدعه لا لغاية يستند الإبداع إليها، ولا لحكمة يتوقف الخلق عليها، بل كل ما أبدعه من خير وشر ونفع وضر لم يكن لغرض قاده إليه، ولا لمقصد أوجب الفعل عليه»[(٢)].

وقال الإيجي: «المقصد الثامن: في أن أفعاله تعالى ليست معللة بالأغراض، إليه ذهبت الأشاعرة، وقالوا: لا يجوز تعليل أغراضه تعالى بشيء من الأغراض والعلل الغائية»[(٣)].

وقال الرازي: «لا يجوز أن تكون أفعاله تعالى معللة بعلة ألبتة»[(٤)].

أما شبهاتهم في نفي التعليل فمنها:

الشبهة الأولى:

قولهم: إن اللام في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾[(٥)]. وما شابهها من الآيات هي للعاقبة وليست للتعليل، فإن ما بعد اللام في هذا ليس هو الغاية المطلوبة، ولكن لما كان الفعل منتهياً إليه وكان عاقبة الفعل دخلت عليه لام

(١/ ٣٩٨) -. نقض التأسيس (١/ ١٩٩). الجواب الصحيح (٤/ ٢٥٧). موقف ابن تيمية من الأشاعرة ١٣١٠).

(١) هو علي بن أبي علي بن محمد الثعلبي، الآمدي، الحنبلي ثم الشافعي، أبو الحسن، شيخ المتكلمين في زمانه، الأصولي. ولد بعد سنة ٥٥٠ هـ، وتوفي سنة ٦٣١ هـ.انظر ترجمته في وفيات الأعيان (٣/ ٢٩٣-٢٩٤). وطبقات الشافعية الكبرى (٨/ ٣٠٦-٣٠٧).

(٢) غاية المرام في علم الكلام، للآمدي (٢٢٤).

(٣) المواقف للإيجي (٨/ ٢٠٢).

(٤) الأربعين في أصول الدين (ص: ٢٤٩).

(٥) [الطلاق:١٢].

التعليل وهي في الحقيقة لام العاقبة.

قال الشهرستاني[(١)]: «وأما الآيات في مثل قوله تعالى: ﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾[(٢)]. فهي لام المآل والصيرورة لا لام التعليل، كما قال تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾[(٣)][(٤)].

ويحسن أن نجيب عليهم بأجوبة إجمالية قبل التفصيلية كما هو منهج السلف، فنقول[(٥)]:

أولاً: أنه لا تعارض أصلاً بين أدلة النقل - القائلة بالتعليل والغرض والحكمة وهي متواترة وصريحة - وبين العقل، وما يتوهم من التعارض فهو إما لضعف النقل - وهذا غير وارد هنا - أو لفساد في العقل، من مثل شبهات الأشاعرة التي أوردناها سابقاً.

ثانياً: لو فرض التعارض فإننا نقدم النقل قطعاً، لأن الله أمرنا عند التنازع أن نرد إلى الله ورسوله، لا إلى العقل.

ثالثاً: لو سلمنا بما ذكرتم من الشبه العقلية، فإن هذه الشبه ليست من الأمور المحكمة بل من المشتبهات، وأما ما ورد في إثبات الحكمة من نصوص فهو كثير جداً،

---

(١) هو محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، أبو الفتح، ولد سنة (٤٦٧هـ)، ورحل من شهرستان إلى بغداد وتعلم بها وعلّم، ثم عاد إلى شهرستان وتوفي بها سنة (٥٤٨هـ). انظر: شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (٤/ ١٤٩هـ). معجم المؤلفين (٥/ ٣٠٩).

(٢) [الجاثية:٢٢].

(٣) [القصص:٨].

(٤) نهاية الإقدام في علم الكلام (ص: ٤٠٢).

(٥) انظر: الحكمة والتعليل في أفعال الله (ص: ٦٣).

والله سبحانه وتعالى قد ذم الذين يتبعون المتشابه ويتركون المحكم، فقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾[1].

فتبين أنه يجب عليكم رد المتشابه من الأمور إلى المحكم.

رابعاً: إن هذا القول مبتدع لم يقله أحد من الصحابة ولا التابعين ولا تابعيهم من أهل القرون المفضلة، بل كلهم كانوا يقرءون القرآن بما فيه من وصف لله بالحكمة وأنه حكيم، ولم ينقل عن أحد منهم أنه عارض ذلك بعقله ونفى حكمة الله. بل سلموا بها وأذعنوا لما جاء فيها، وحسبك بمن خالف هديهم ضلالاً.

أما الجواب التفصيلي على شبه نفي التعليل فقد أجاب ابن القيم رحمه الله على الشبهة الأولى من وجهين: مجمل ومفصل قال رحمه الله:

«أما الجواب المجمل، فيقال فيه: إن لام العاقبة إنما تكون في حق من هو جاهل أو هو عاجز عن دفعها، فالأول [مثالها في حق الجاهل]، كقوله: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ﴾[2].

والثاني: [مثالها في حق العاجز] كقول الشاعر:

لدوا للموت وابنوا للخراب   فكلكم يصير إلى ذهاب[3]

وأما من هو بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير فيستحيل في حقه دخول هذه

---

(١) [آل عمران:٧].

(٢) [القصص:٨].

(٣) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب (٩/ ٥٣١).

اللام، وإنما اللام الواردة في أفعاله وأحكامه لام الحكمة والغاية المطلوبة.

وأما الجواب المفصل: فذلك بأن يجاب على كل مثال ذكروه فيما ادعوا أنه لام العاقبة على حدة، وبيان أنها على بابها للتعليل فلتراجع هناك[١].

ثم يقال: إنه لا وجه لإنكار ورود تعليل أفعال الله في القرآن، وصرف اللام عن كونها للتعليل إلى العاقبة، وذلك لأن التعليل قد ورد بأدوات أخرى غير اللام، وردت أداة (كي) الصريحة في التعليل، و (من أجل) وغير ذلك مما يفيد التعليل كما سبق ذكره»[٢].

أما الجواب على الشبهة الثانية:

وهي قولهم: إن الله لا يسأل عما يفعله لقهره وسلطانه، وأنه رد الأمر إلى محض مشيئته[٣] في قول الله تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ٢٣﴾[٤].

فنقول: إن هذه الآية إنما وردت في سياق إثبات عزة الله تعالى، وهي كلمة إجماع بين المسلمين، والله أعز من أن يسأل، وليس ذلك يقتضي أنه غير حكيم، فقد تمدح بالحكمة كما تمدح بالعزة.[٥].

بل إن ابن القيم رحمه الله قد قلب هذا الدليل عليهم وجعله دليلاً على إثبات الحكمة، فقال رحمه الله : «ولم تكن الآية مسوقة لبيان أنه لا يفعل لحكمة ولا لغاية محمودة مطلوبة بالفعل، وأنه يفعل ما يفعله بلا حكمة ولا سبب ولاغاية، بل الآية دلت على نقيض

(١) شفاء العليل (٢/ ٥٣٩-٥٤٥).

(٢) الحكمة والتعليل في أفعال الله (ص: ٦٧)

(٣) [الأنبياء:٢٣].

(٤) [الأنبياء:٢٣].

(٥) إيثار الحق على الخلق (ص: ٢٣١)

ذلك، وأنه لا يسأل عما يفعل لكمال حكمته وحمده، وأن أفعاله صادرة عن تمام الحكمة والرحمة والمصلحة، فكمال علمه وحكمته وربوبيته ينافي اعتراض المعترضين عليه، وسؤال السائلين له»(١).

وقال كذلك: «قوله: إنه سبحانه رد الأمر إلى محض مشيئة بقوله: ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ ٢١ ﴾(٢).

وقوله: ﴿فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ ﴾(٣).

وقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ ﴾(٤).

وقوله: ﴿ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ٢٣ ﴾(٥).

فهذا كله حق، ولكن أين فيه إبطال حكمته وحمده والغايات المحمودة المطلوبة بفعله وأنه لا يفعل شيئاً لشيء ولا يأمر بشيء لأجل شيء ولا سبب لفعله ولا غاية، أفترى أصحاب الحكمة والتعليل يقولون: إنه لا يفعل بمشيئة، أو أنه يُسأل عما يفعل، بل يقولون: إنه يفعل بمشيئته مقارناً للحكمة والمصلحة ووضع الأشياء مواضعها، وأنه يفعل ما يشاء بأسباب وحكم ولغايات مطلوبة وعواقب حميدة، فهم مثبتون لملكه وحمده، وغيرهم يثبت ملكاً بلا حمد، أو نوعاًمن الحمد ومع هضم الملك، إذ الرب تعالى له كمال الملك وكمال الحمد، فكونه يفعل ما يشاء لا يمنع من أن يشاء

(١) مختصر الصواعق (١/ ٢٠٣)

(٢) [العنكبوت:٢١].

(٣) [البقرة:٢٨٤]

(٤) [فاطر:٨].

(٥) [الأنبياء:٢٣].

بأسباب وحكم وغايات وأنه لا يشاء إلا ذلك، وأما قوله: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[1].

فهذا لكمال علمه وحكمته لا لعدم ذلك، وأيضاً فسياق الآية في معنى آخر، وهو إبطال إلهية من سواه وإثبات الألوهية له وحده، فإنه سبحانه قال: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[2].

فأين في هذا ما يدل على إبطال التعليل بوجه من الوجوه، ولكن أهل الباطل يتعلقون بألفاظ نزلوها على باطلهم لا تنزل عليه وبمعان متشابهة يشتبه فيها الحق بالباطل، فعمدتهم المتشابهة من الألفاظ والمعاني، فإذا فصلت وبينت يتبين أنها لا دلالة فيها، وأنها مع ذلك قد تدل على نقيض مطلوبهم»[3].

أما الشبهة الثالثة:

فهي قولهم: أن كل من فعل فعلاً لأجل تحصيل مصلحة أو دفع مفسدة، كان ناقصاً بذاته مستكملاً بذلك الفعل، وذلك محال في حق الله تعالى.

كما قال الرازي: «كل من فعل فعلاً لأجل تحصيل منفعة أو لدفع مفسدة، فإن كان تحصيل تلك المنفعة أولى من عدم تحصيلها كان ذلك الفاعل قد استفاد بذلك الفعل تحصيل تلك الأولوية، وكل من كان كذلك كان ناقصاً بذاته، مستكملاً بغيره، وهو في حق الله محال، وإن كان تحصيلها له وعدم تحصيلها بالنسبة إليه سيان، فمع الاستواء لا

---

(١) [الأنبياء:٢٣].

(٢) [الأنبياء:٢١-٢٣].

(٣) شفاء العليل(٢/ ٧٣١-٧٣٢).

يحصل الرجحان، فامتنع الترجيح»[1].

وكما في قولهم: «لو خلق الخلق لعلة كان ناقصاً بدونها، مستكملاً بها، فإنه إما أن يكون وجود تلك العلة وعدمها بالنسبة إليه سواء، أو يكون وجودها أولى به، فإن كان الأول امتنع أن يفعل لأجلها، وإن كان الثاني ثبت أن وجودها أولى به، فيكون مستكملاً بها فيكون قبلها نقصاً»[2].

والجواب عن هذه الشبهة من وجوه:

أحدها: أن هذا منقوض بنفس ما يفعله من المفعولات، فما كان جواباً في المفعولات كان جواباً عن هذا، ونحن لا نعقل في الشاهد فاعلاً إلا مستكملاً بفعله.[3].

الثاني: «أن العقل الصريح يعلم أن من فعل فعلاً لا لحكمة، فهو أولى بالنقص ممن فعل لحكمة كانت معدومة، ثم صارت موجودة في الوقت الذي أحب كونها فيه، فكيف يجوز أن يقال: فعله لحكمة يستلزم النقص وفعله لا لحكمة لا نقص فيه»[4].

الثالث: أن فعل الحي العالم الاختياري لا لغاية ولا لغرض يدعوه إلى فعله لا يعقل، بل هو من الممتنعات، لهذا لا يصدر إلا من مجنون أو نائم أو زائل العقل، فإن الحكمة والعلة الغائية هي التي تجعل المريد مريداً، فإنه إذا علم بمصلحة الفعل ونفعه وغايته انبعثت إرادته إليه، فإذا لم يعلم في الفعل مصلحة، ولا كان له فيه غرض صحيح، ولا داع يدعوه إليه، فلا يقع منه إلا على سبيل العبث، هذا الذي لا يعقل

---

(١) الأربعين للرازي(٢٤٩).وانظر: منهاج السنة(١/ ١٤٥) -وشرح الكوكب المنير(١/ ٣١٤)

(٢) مجموع الفتاوى(٨/ ١٨٣).

(٣) مجموع الفتاوى (٨/ ١٤٦).

(٤) شرح الأصبهانية (٢/ ٣٦٢).

العقلاء سواه، وحينئذ فنفي الحكمة والعلة والغاية عن فعل أحكم الحاكمين نفي لفعله الاختياري في الحقيقة وذلك أنقص النقص[(١)].

وبهذا تبين أنه «ما من محذور يلزم بتجويز أن يفعل لحكمة إلا والمحاذير التي تلزم بكونه يفعل لا لحكمة أعظم وأعظم، وحينئذ فإن كان هذا ممتنعاً فالفعل لا لحكمة أعظم امتناعاً، وإن كان غير ممتنع صح الفعل لحكمة، مع أن الفعل لحكمة أعظم من الفعل لا لحكمة، فعلم أن ما يستدل به على امتناع فعله لحكمة فهو حجة باطلة، وأن الفعل بحكمة أولى بكونه صفة كمال، وأصح في الأدلة العقلية والنقلية، وأبعد عن التناقض سمعاً وعقلاً، هذه لو كان الفعل لا لحكمة ممكناً، فكيف إذا كان ممتنعاً»[(٢)].

الشبهة الرابعة:

قال الرازي: «جميع الأغراض يرجع حاصلها إلى شيئين: تحصيل اللذة والسرور، ودفع الألم والحزن والغم، والله سبحانه قادر على تحصيل هذين المطلوبين ابتداء من غير شيء من الوسائط، ومن كان قادراً على تحصيل المطلوب ابتداء بغير واسطة كان توسله إلى تحصيله بالوسائط عبثاً، وهو على الله محال، فثبت أنه لا يمكن تعليل أحكامه وأفعاله بشيء من العلل والأغراض»[(٣)].

الجواب على هذه الشبهة:

أولاً: إن حكمة الرب تعالى فوق تحصيل اللذة ودفع الغم والحزن، فإنه يتعالى عن ذلك، بل ليس كمثل حكمته شيء، كما أنه موصوف بالإرادة وليست كإرادة الحيوان، فإن الحيوان يريد ما يريده ليجلب له منفعة، أو يدفع به عنه مضرة، وكذلك غضبه

(١) شفاء العليل (٢/ ٥٨٤).

(٢) شرح الأصبهانية (٢/ ٣٦٣).

(٣) الأربعين (ص: ٢٥٠).

ليس مشابهاً لغضب خلقه، فإن غضب المخلوق هو غليان دم قلبه طلباً للانتقام، والله يتعالى عن ذلك، وكذلك سائر صفاته، فكما أنه ليس كمثله شيء في إرادته ورضاه وغضبه ورحمته وسائر صفاته فهكذا حكمته سبحانه لا تماثل حكمة المخلوقين بل هي أجل وأعلى من أن يقال: إنها تحصيل لذة أو دفع حزن، فالمخلوق لنقصه يحتاج أن يفعل ذلك، لأن مصالحه لا تتم إلا به، والله سبحانه غني بذاته عن كل ما سواه، لا يستفيد من خلقه كمالاً، بل خلقه يستفيدون كمالهم منه.

ونقول لهم ثانياً: إن الرب سبحانه كامل في أوصافه وأسمائه وأفعاله، فلا بد من ظهور آثارها في العالم، فإنه محسن، ويستحيل وجود الإحسان بدون من يحسن إليه، ورازق، فلا بد من وجود من يرزقه، وغفار وحليم وجواد ولطيف بعباده ومنان ووهاب وقابض وباسط وخافض ورافع ومعز ومذل، وهذه الأسماء تقتضي متعلقات تتعلق بها، وآثارها تتحقق بها، فلم يكن بد من وجود متعلقاتها، وإلا تعطلت تلك الأوصاف وبطلت تلك الأسماء، فتوسط تلك الآثار لا بد منه في تحقق معاني تلك الأسماء والصفات، فكيف يقال: إنه عبث لا فائدة فيه[(١)].

قوله: والله فاعل لكل ما يشاء يضل من شاء........

يشير الناظم رحمه الله هنا إلى قوله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾[(٢)]. وإلى قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾[(٣)].

وقصده من البيت أن هداية التوفيق لا يملكها أحد إلا الله عز وجل وحده، كما قال

(١) شفاء العليل (٢/ ٥٩٣-٥٩٨).

(٢) [البروج:١٦].

(٣) [المدثر:٣١].

تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾(1).

قوله: لكنما الإرشاد للعصاة...

يرد الناظم رحمه الله هنا على شبهة الاستسلام للقدر في الهداية والضلال وما ترتب عليها من ترك طلب أسباب الهداية، كذلك ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومنه إرشاد العصاة والإنكار على العاصين.

ويبيّن أهمية الإرشاد للعاصين ليصلوا إلى الهداية المرجوة، فالإرشاد هو المركب الموصل إلى النجاح في الدنيا والنجاة في الاخرة.

فإن من البدع التي وقع فيها الصوفية تبعاً للأشاعرة كأثر لقولهم بنفي الحكمة والتعليل عن أفعال الله: القول بنفي الأسباب.

قال ابن القيم رحمه الله بعدما أورد الأدلة على الحكمة: «فإن قيل: هذا إنما يفيد كون تلك الأفعال أسباباً لما رتب عليها، لا تقتضي إثبات التعليل في فعل الرب وأمره، فأين هذا من هذا؟

قيل: لما جعل الرب سبحانه هذه الأوصاف عللاً لهذه الأحكام، وأسباباً لها، دل ذلك على أنه يحكم بها شرعاً وقدراً لأجل تلك الأوصاف، وأنه لم يحكم بها لغير علة ولا حكمة؟ ولهذا كان كل من نفى التعليل والحكم نفى الأسباب، ولم يجعل لحكم الرب الكوني والديني سبباً ولا حكمة هي العلة الغائية، فهؤلاء ينفون الأسباب

---

(1) [البقرة: ٢٧٢]

والحكم»[(١)].

فالصوفية يعتقدون أن الهداية والضلال هي بإرادة الله ومشيئته وأنها كلها حق يجب التسليم له وعدم مقاومته، فلا يدري الإنسان أين الخير في النهاية.

وهذا المعتقد أدخلته الباطنية الماكرة على الصوفية لإضلال المسلمين وتحويلهم إلى قطعان غنم لا تقاوم الذئاب، ولأجل مثل هذا المعتقد تركوا الجهاد ومقاومة الأعداء، وكذلك لتحويلهم إلى بهائم لا تعرف معروفًا ولا تنكر منكرًا.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: «أهل الفناء في توحيد الربوبية.... المقدور عندهم هو محبوب الحق... لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر ولا يجاهدون في سبيل الله ولا يدعون الله بنصر المؤمنين على الكفار، بل إذا رأى أحدهم من يدعو قال الفقير والمحق أو العارف ماله ولهذا يفعل الله ما يشاء وينصر من يريد.... بل كثير منهم تكون حظوظهم الدنيوية مع استيلاء الكفار والمنافقين والظلمة أعظم، وعامة من معهم من الفقراء هم من هذا الضرب»[(٢)].

وقد تركت الصوفية الأسباب التي جاءت الأدلة بها كطلب الرزق والتداوي ونفت أسبابها.

يقول شيخ الإسلام: «وكثير من المشايخ المعظمين يسترسل أحدهم مع القدر غير محقق لما أمر به ونهى عنه، ويجعل ذلك من باب التفويض[(٣)] والتوكل ويجري مع

(١) شفاء العليل (٢/ ٥٥١-٥٥٢).

(٢) مجموعة الرسائل الكبرى (٢/ ١٣٦).

(٣) أصله لغة: رد الأمر إلى الغير لينظر فيه، ومعناه شرعاً: رد الأمر إلى الله والتبرؤ من الحول والقوة. والتفويض في صفات الله تعالى: إثباتها، مع تفويض معانيها إلى الله تعالى، فيقولون: نثبت لله تعالى العلم ولا ندري ما معناه، ونثبت لله تعالى يداً، ولكننا لا نعقل معناها. انظر: الفتاوى (٣/ ٣٢٦). بيان تلبيس الجهمية (١/ ٧٧). التعاريف للمناوي (ص: ١٩٥). تبيين كذب المفتري لابن عساكر

الحقيقة القدرية، ويحسب أن قول القائل ينبغي للعبد أن يكون مع الله كالميت بين يدي المغسّل، يتضمن ترك العمل بالأمر والنهي حتى يترك ما أمر به ويفعل ما نهي عنه»[1].

ويقول ابن القيم رحمه الله مبينًا فساد هذا المعتقد: «وقد أخبر سبحانه بأنه لا يرضى المعاصي والفساد بكل أنواعها وإن قدرها في الأزل، فقال سبحانه: ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾[2]، فهذا قول واقع بمشيئته وتقديره، وقد أخبر سبحانه أنه لا يرضاه، وكذلك قوله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾[3]. فهو سبحانه لا يحبه كونًا ولا دينًا وإن وقع بتقديره»[4].

وقال أيضًا رحمه الله: «ويقال لمورد هذا السؤال: هذا يوجب عليك أن لا تباشر سببًا من الأسباب التي تجلب بها منفعة أو تدفع بها مضرة؛ لأن المنفعة والمضرة إن قدرتا لم يكن بد من وقوعها، وإن لم تقدرا لم يكن سبيل إلى وقوعها وفي ذلك خراب الدين والدنيا وفساد العالم، وهذا لا يقوله إلا دافع للحق معاند له فيذكر القدر ليدفع حجة المحق عليه كالمشركين الذين قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾[5]»[6].

(ص: ٣٦٦).

(١) التحفة العراقية، (ص: ٧٩).

(٢) [النساء:١٠٨].

(٣) [البقرة:٢٠٥].

(٤) شفاء العليل، (ص: ٥٨٠).

(٥) [الأنعام:١٤٨].

(٦) الطب النبوي (ص: ١٦).

معنى الأبيات إجمالاً:

يتابع الناظم رحمه الله نقض شبه المضلّين من مشايخ الطرق التي تناسب أهواءهم المبنية على العقائد الباطلة للمتكلمين وغيرهم، ومن ذلك أنهم قالوا: وكما أن أفعال الله عز وجل لا تعلل بالحكم والغايات، فكذلك أفعال الولي وإن رأيتها في ظاهرها منكرة إلا أنها عين الحكمة، وقصدهم أن لا تنكر أيها المريد على معصية الولي.

كذلك يتابع الناظم رحمه الله نقض شبه المضلين من مشايخ الطرق في طلب الدعاء من الأولياء، فيبين أن هداية التوفيق والإلهام التي زعمتموها للأولياء داخلة مع الإضلال في أفعال الله عز وجل، فهي من خصائص أفعاله سبحانه وتعالى لا يملكها الأولياء وغيرهم، فمن شاء سبحانه أضله ومن شاء هداه، وإنما عليكم هداية الإرشاد والدلالة للعاصين، وهي كفيلة بإذن الله أن توصل الداعين لمرادهم من النجاح في الدنيا والنجاة في الآخرة.

٣٩٩ - ثــــم الـــــدعاءُ مـــــن وليِّ الله   أقـــربُ مـــن دعـــاء عبـــدٍ لاهِ
٤٠٠ - ولم نقــلْ بــالقطعِ أنَّ مَــنْ دعــا   يُجَــابُ فــورًا بالـــذي بــه دَعــا
٤٠١ - بــل ربُّنــا إن شــاءَ أعطَى السـائلا   مــا رامَــه منــه ســريعًا عــاجلا
٤٠٢ - أو يــدّخرْه أو يكــفْ عنــه الــبلا   أَغْنـــي الـــذي لـــولاه كـــان نـــازلاً

قوله: ثم الدعاء من ولي الله.

يهدي الناظم رحمه الله المريد إلى أن المشروع هو أن يدعو الولي للمريد المذنب لا أن يدعوه هو أو يطلب منه أن يوصل دعاءه إلى الله.

فقد ثبت في الحديث أن من الدعاء المستجاب دعوة المسلم لأخيه المسلم في ظهر الغيب، قال النبي ﷺ: {ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك: ولك بمثل»، وفي لفظ: «دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل، كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به: آمين، ولك بمثل}[(١)].

قال النووي رحمه الله: «بظهر الغيب»أي: في غيبته المدعو له وفي سره، لأنه أبلغ في الإخلاص، ولو دعا لجماعة من المسلمين حصلت هذه الفضيلة ولو دعا لجملة المسلمين فالظاهر حصولها أيضاً، وكان بعض السلف إذا أراد أن يدعو لنفسه يدعو لأخيه المسلم بتلك الدعوة، لأنها تُستجاب ويحصل له مثلها»[(٢)].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: «... فالملك يؤمّن على دعائك إذا دعوت لأخيك بظهر الغيب، ويقول: لك بمثله، وهذا يدل على فضيلة هذا، لكن هذا فيمن لم يطلب منك أن تدعو له، أما من طلب منك أن تدعو له فدعوت له، فهذا كأنك شاهد، لأنه يسمع

(١) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٩٤، ح٢٧٣٣).
(٢) شرح صحيح مسلم للنووي، (١٧/ ٤٩).

كلامك؛ لأنه هو الذي طلب منك، لكن إذا دعوت له بظهر الغيب بدون أن يخبرك ويطلب منك، فهذا هو الذي فيه الأجر، وفيه الفضل والله الموفق»(١).

وقال أيضًا رحمه الله: «والصالحون إجابة دعائهم أقرب من غيرهم من العباد اللاهين»(٢).

قوله: أقرب من دعاء عبد لاه.

فقد بيّن الرسول ﷺ خطورة الغفلة، وعدم يقظة القلب حال الدعاء، وأنه من موانع الإجابة، قال ﷺ: {فإذا سألتم الله أيها الناس، فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة، فإن الله لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب غافل}(٣).

وفي لفظ: {ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه}(٤).

أي: والحال أنكم موقنون بها، أي: كونوا عند الدعاء على حالة تستحقون بها الإجابة، أو أراد: وأنتم معتقدون أن الله تعالى لا يخيبكم لسعة كرمه، وكمال قدرته، وإحاطة علمه(٥).

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: [إن الله لا يقبل من مسمِّعٍ، ولا مراء، ولا لاعب، إلا

(١) شرح رياض الصالحين، (٤/ ٧٣).

(٢) المرجع السابق (٤/ ٧٥).

(٣) مسند أحمد (٢/ ١٧٧، ح٦٦٥٥). وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم (١٦٥٢).

(٤) تقدم تخريجه (ص:٣٥٦).

(٥) تحفة الأحوذي، (٩/ ٣١٦).

داعٍ دعا يثبت من قلبه][(١)].

فغفلة القلب حال الدعاء تبطل قوته، وتضعف أثره، فيصبح بمنزلة القوس الرخو جداً، فإن السهم يخرج منه خروجاً ضعيفاً، ولا يبلغ الهدف المقصود، «هذا إذا كان يمكن للداعي إحضار قلبه، فأما إذا كان لا يمكنه، وليس في وسعه إلا الدعاء، فالدعاء أفضل من تركه»[(٢)].

قوله: ولم نقل بالقطع أن من دعا يجاب فورًا...

قوله: بالقطع. أي: بالجزم واليقين.

قوله: فوراً. أي: في الحال فلا يتأخر.

قوله: رامه. أي: طلبه.

قوله: يدخره. أي: يؤخر له الأجر في آخرته.

وقصد الناظم رحمه الله من الأبيات – هداية المريد إلى أن لا يترك دعاء الله عز وجل وحده إذا رأى أنه يدعو ولا يستجاب له.

فقد تتأخر الإجابة لحكم وأسرار يعلمها الله عز وجل، منها:

١- أن يدخر له دعوته فيأجره عليها في الآخرة، أو أن يكف عنه من الشر مثلها.

---

(١) الأدب المفرد للبخاري (ح٦٠٦). وصححه الألباني. وحلية الأولياء (٢/ ١١٨). وقال الدارقطني في العلل (٥/ ٥١): "يرويه سعيد بن سنان أبو مهدي حمصي، قال الشيخ: وسعيد بن سنان أصله كوفي سكن الري من ثقات المسلمين يروي عن عمرو بن مرة وأبي إسحاق وغيرهما، وكان يتهم بوضع الحديث عن أبي الزاهرية عن كثير بن مرة عن الربيع بن خثيم عن ابن مسعود مرفوعاً، ولا يصح رفعه، وهو محفوظ من كلام ابن مسعود".

(٢) الفتاوى البزازية، (٤/ ٤٢). نقلاً عن الدعاء ومنزلته، (١/ ١٨٩).

ودليله: حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: {ما من مسلم يدعو دعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يكف عنه من الشر مثلها...}(1).

قال الباجي(2) رحمه الله: «أو يدخر له أجراً بدعائه وإخلاصه وذكره لله وإقراره له بالربوبية»(3).

وقال ابن عبدالبر(4) رحمه الله: «هذا الحديث - يقصد حديث أبي سعيد الخدري السابق - يخرج في التفسير المسند؛ لقول الله عز وجل: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ فهذا كلّه من الاستجابة، وقد قالوا: كرم الله لا تنقضي حكمته، ولذلك لا تقع الإجابة في كل دعوة، قال الله عز وجل: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ ٧١﴾(5)»(6).

٢- أن تأخر الإجابة قد تكون لكرامة الداعي عند الله عز وجل ومحبته له، فيمنعه

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ٢٢، ح٢٩١٧٠). ومسند أبي يعلى (٢/ ٢٩٦، ح١٠١٩). وفتح الباري (١١/ ٩٦). والأدب المفرد للبخاري (١/ ٢٤٨، ح٧١٠). وصححه الألباني، وشعب الإيمان للبيهقي (٢/ ٤٨، ح١١٢٩).

(٢) هو سليمان بن خلف الباجي، أبو الوليد، الإمام العلامة، الحافظ، ذو الفنون، القاضي، ولد سنة ٤٠٣ هـ، وتوفي سنة ٤٧٤ هـ. انظر ترجمته في تاريخ دمشق (٢٢/ ٢٢٤-٢٢٩)، وسير أعلام النبلاء (١٨/ ٥٣٥-٥٤٥).

(٣) المنتقى، الباجي، (١/ ٣٦٠).

(٤) هو يوسف بن عبد الله بن عبد البر النَمَرِيُّ الاندلسي، القرطبي، المالكي، أبو عمر، الإمام العلامة، حافظ المغرب، شيخ الاسلام، ، صاحب التصانيف الفائقة. ولد بقرطبة سنة ٣٦٨ هـ، وتوفي بشَاطِبَة - وهي مدينة في شرقي الأندلس- سنة ٤٦٣هـ. انظر ترجمته في وفيات الأعيان (٧/ ٦٦-٧٢). وسير أعلام النبلاء (١٨/ ١٥٣).

(٥) [المؤمنون:٧١].

(٦) التمهيد، ابن عبد البر،(٥/ ٣٤٥).

حماية وصيانة وحفظًا لا بخلاً، كما أن إجابة السائل لا تدل على كرامته عند الله، فقد يسأل العبد الحاجة فيقضيها له الله وفيها هلاكه وشقوته[1].

قال الحليمي رحمه الله: «إن معنى قوله جل ثناؤه: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾[2]. أي: بحسب نظري لكم ورحمتي لكم لا بحسب أهوائكم وأمانيكم صحت أو فسدت... فدل هذا على أن الله تعالى إنما يستجيب الدعاء المستجمع شرائطه إذا علم للداعي فيما سأل خيرًا، فأما إذا علم أن له فسادًا أو شراً فإنه لا يستجيب له دعاءه إكرامًا وثوابًا له بدعائه»[3].

معنى الأبيات إجمالاً:

يقول الناظم رحمه الله: إن من الإرشاد والدلالة طلب الدعاء من الصالحين من أولياء وغيرهم وليس دعاؤهم من دون الله، فدعاؤهم بسبب إيمانهم وأعمالهم الصالحة أقرب للإجابة من دعاء المسلم الغافل العاصي اللاهي وراء شهواته.

ومع ذلك لا نستطيع الجزم أن دعاء الأولياء لغيرهم ودعاء الإنسان لنفسه سيستجاب فوراً لمسألته فإنه قد يشاء الله أن لا يستجب لمسألته بل يدخر له الأجر في الآخرة. وإن شاء دفع عنه بلاء آخر لا يعلمه لولا هذا الدعاء لنزل به، فكان جزاء هذا الدعاء رفع البلاء البعيد وليس القريب.

(١) انظر: مدارج السالكين (١/ ٧٩). الآداب الشرعية (٢/ ٢٩٢). صيد الخاطر، ابن الجوزي، (ص: ٨٥).

(٢) [غافر:٦٠].

(٣) المنهاج، الحليمي، (١/ ٥٤١).

فصل في حكم رفع القبور وبناء القباب عليها

(مجمل ما عرضه الفصل)

بيّن فيه الناظم رحمه الله أن الإسلام جاء بتحريم رفع القبور والبناء عليها وجَعْلِ الأستار والرايات عليها ومَنَعَ زيارة النساء لها وإيقاد السرج عليها، وأشار إلى بعض أدلة ذلك.

وذكر بعض المفاسد التي تحدث عند ما يسمى بالمشاهد من اجتماع الفساق، واختلاط النساء بالرجال ، وذكر بعضاً من الشركيات التي تحدث عندها: من الطواف بها، واستلامها وتقبيلها، وردّ على من فعل ذلك، وذكر أن حال بعض الناس مع المقبورين الخوف منهم

وبيّن أن هذه الشركيات والمنكرات هي من أعظم أسباب تخلف المسلمين، ثم بيّن أن ذلك بسبب علماء السوء من الصوفية. وأنه على ولاة الأمر من العلماء والأمراء القيام بواجبهم تجاه رعيتهم الجهلاء ، وتجاه هؤلاء المفسدين .

٤٠٣ - ثـم اسـمعُوا يـا أمَّـةَ الإسـلامِ معنـــى حـــديثِ ســـيِّدِ الأنـــامِ
٤٠٤ - فعـــن أبي الهيَّـــاج عـــن عـــليِّ يـــروي بإســـنادٍ عـــن النبـــيِّ
٤٠٥ - في طَمْـس تمثـالٍ خبيـث ثـمَّ في تســـويةٍ لكـــلِّ قـــبرٍ مشـــرفِ

قوله: ثم اسمعوا. العطف بثم يعود إلى قوله في بداية فصل الطريقة والشريعة: وبعد فاعلم أنها الطريقة.

قوله: معنى حديث. ذكر المعنى لأنه لا يمكن أن يروي نص الحديث في المنظومة.

والحديث المقصود به حديث أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: {ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته}(١).

قوله: سيد الأنام.

التعبير بالسيد مأخوذ من قول الرسول صلى الله عليه وسلم: {أنا سيّد ولد آدم ولا فخر}(٢).

وقوله أيضاً صلى الله عليه وسلم: {أنا سيد الناس يوم القيامة}(٣).

والأنام هم الخلق.

وقوله: أبي الهيّاج. هو حيان بن حصين أبو الهياج الأسدي، الكوفي، التابعي. روى عن علي وعمار رضي الله عنهما. وعنه ابناه جرير ومنصور وأبو وائل والشعبي. وقال ابن

(١) صحيح مسلم (٢/ ٦٦٦، ح٩٦٩).
(٢) تقدم تخريجه (ص:٣٦٥).
(٣) تقدم تخريجه (ص: ٢٩٨).

عبد البر: كان كاتب عمار رضي الله عنه. ذكره ابن حبان(1) في الثقات. وقال العجلي(2): تابعي ثقة(3).

وقوله: عن علي. سبق التعريف به في البيت (رقم: ٢٧٩).

وقوله: يروي بإسناد عن النبي. يقصد بإسناد صحيح، فالحديث في صحيح مسلم كما بيّنّا ذلك.

قوله: طمس تمثال خبيث. الطمس هو: ذهاب صورة الشيء(4).

والتمثال هو: «الشيء المصنوع مشبهاً بخلق من خلق الله تعالى»(5).

وقد ورد الأمر بطمس التماثيل في حديث أبي الهياج الأسدي السابق: «...أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته...» الحديث.(6)

---

(١) هو محمد بن حبان بن أحمد البستي، أبو حاتم، الحافظ الجليل الإمام، صاحب التصانيف الأنواع والتقاسيم والجرح والتعديل والثقات وغير ذلك توفي سنة ٣٥٤ هـ. انظر ترجمته في تاريخ دمشق (٥٢/ ٢٤٩-٢٥٤). وطبقات الشافعية الكبرى (٣/ ١٣١-١٣٥).

(٢) هو الإمام العلامة ، مفتي العجم ، منتخب الدين أبو الفتوح ، أسعد بن أبي الفضائل محمود بن خلف بن أحمد العجلي الأصبهاني الفقيه الشافعي الواعظ . ولد سنة خمس عشرة وخمسمائة . وكان من أئمة الشافعية . له تصانيف . قال ابن الدبيثي كان زاهدا ، له معرفة تامة بالمذهب ، وكان يأكل من النسخ ، وعليه كان المعتمد في الفتوى بأصبهان . وقال القاضي ابن خلكان هو أحد الفقهاء الأعيان ، له كتاب في شرح مشكلات " الوجيز " و " الوسيط " للغزالي ، وكتاب " تتمة التتمة " . توفي بأصبهان في الثاني والعشرين من صفر سنة ستمائة . سير أعلام النبلاء ،٢١/ ٤٠٢ .

(٣) انظر: تهذيب التهذيب (٣/ ٦٧).

(٤) لسان العرب مادة طمس (٦/ ١٢٦).

(٥) تفسير القرطبي (١١/ ٢٩٦).

(٦) تقدم قريباً.

وقد سبق أمره فعله ﷺ فقد هدم أصنام الكعبة بيده، ومزّق قرام عائشة لما فيه من تصاوير.[1]

وقصد النبي ﷺ من هذا الطمس إزالة ما يفتتن به الناس وحسم مادته من أصلها حماية للتوحيد وسداً لذرائع ووسائل وأسباب الشرك، وإذلال هذه التماثيل وإظهار أنها لا تنفع ولا تضر ولا تدفع عن نفسها شيئًا[2].

قوله: تسويةٍ لكل قبر مشرف. التسوية هي: مساواة القبر بالأرض فلا يرفع عن المشروع وهو قدرشبر.

وورد الأمر بها في حديث علي رضي الله عنه المتقدم: {ولا قبراً مشرفاً إلا سويته}[3].

وفعل ذلك الصحابة رضي الله عنهم قال عبدالله بن شرحبيل بن حسنة رحمه الله: [رأيت عثمان رضي الله عنه يأمر بتسوية القبور، فقيل له: هذا قبر أم عمرو بنت عثمان! فأمر به فسوِّي][4].

وعن ثمامة بن شُفي رحمه الله قال: {كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم برودس[5]، فتوفي صاحب لنا فأمر فضالة بن عبيد بقبره فسوي، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها}[6].

---

(١) صحيح البخاري (١/ ١٤٧، ح٣٦٧).

(٢) انظر: فتح المجيد (ص: ٢١٥).

(٣) تقدم تخريجه (ص:٥٤٥).

(٤) أخبار المدينة (٢/ ١٣٢، ح١٧٧٩). وجامع الأحاديث للسيوطي (٢٩/ ١٠٨، ح٣١٨١٥).

(٥) هي جزيرة من جزر البحر الأبيض المتوسط افتتحها معاوية رضي الله عنه ودانت بالإسلام زمناً ثم طرد منها المسلمون وعادت إلى النصرانية. انظر: معجم البلدان لياقوت بن عبد الله الحموي (٣/ ٧٨).

(٦) صحيح مسلم (٢/ ٦٦٦، ح٩٦٨).

وكذلك تسوية أبي موسى الأشعري قبر دانيال(١).

قال ابن حزم: «ولا يحل أن يبنى القبر، ولاأن يجصص، ولا أن يزاد على ترابه شيء ويهدم كل ذلك»(٢).

وقال أبو داود: سمعت أحمد يقول: «لا يزاد على القبر من تراب غيره»(٣).

وقال محمد بن الحسن رحمه الله: «أخبرنا أبو حنيفة عن حماد عن إبراهيم قال: كان يقال: ارفعوا القبر حتى يعرف أنه قبر فلا يوطأ. قال محمد: وبه نأخذ، ولا نرى أن يزاد على ما خرج منه، ... وهو قول أبي حنيفة(٤).

قال الشوكاني رحمه الله: «قوله ولا قبراً مشرفاً إلا سويته... الظاهر أن رفع القبور زيادة على القدر المأذون فيه محرم. وقد صرح بذلك أصحاب أحمد وجماعة من أصحاب الشافعي ومالك. ومن رفع القبور الداخل تحت الحديث دخولاً أولياً: القبب والمشاهد المعمورة على القبور، وأيضاً هو من اتخاذ القبور مساجد، وقد لعن النبي صلى الله عليه وسلم فاعل ذلك»(٥).

---

(١) دانيال عليه السلام نبي من أنبياء بني إسرائيل ممن لا يُعلم وقته على اليقين، إلا أنه كان في الزمن الذي بعد داود ، وقبل زكريا و يحيى عليهم السلام، وكان في الوقت الذي قدم فيه بختنصر إلى بيت المقدس وخربه، وقتل فيه من قتل من بني إسرائيل وسبى من سبى وأحرق التوراة. وقيل: وجدوه ميتاً عندما دخل بختنصر بيت المقدس، واشتهر أن الصحابة رضي الله عنهم عثروا على قبره عندما فتحوا (تستر) ثم أمرهم عمر بن الخطاب أن يغيبوا قبره خشية أن يتخذه الناس معبداً أو يشرك بالله عنده. وقيل إن الذي وجدوه رجلاً صالحاً. والأول أشهر. انظر البداية والنهاية، ابن كثير، (٢/ ٤٠).

(٢) المحلى (٥/ ٣٣).

(٣) المسائل (ص:١٥٨).

(٤) الآثار (ص: ٤٥).

(٥) الدر النضيد (ص: ١٣٧).

وقال صديق حسن خان ﷺ: «الأحاديث الصحيحة وردت بالنهي عن رفع القبور، وقد ثبت من حديث أبي الهياج ما تقدم، فما صدق عليه أنه قبر مرفوع أو مشرف لغة فهو من منكرات الشريعة التي يجب على المسلمين إنكارها وتسويتها، من غير فرق بين نبي وغير نبي، وصالح وطالح، فقد مات جماعة من أكابر الصحابة في عصره ﷺ ولم يرفع قبورهم، بل أمر علياً بتسوية المشرف منها، ومات ﷺ ولم يرفع قبرَه أصحابُه»[1].

المعنى الإجمالي للأبيات:

يوجه الناظم ﷺ مسامع المسلمين إلى حديث سيد الخلق محمد ﷺ الذي رواه أبو الهيَاج الأسدي عن علي ﷺ عن النبي ﷺ أنه بعث عليًا ﷺ وأمره بطمس التماثيل وتسوية كل القبور المرتفعة عن الأرض.

(١) الروضة الندية شرح الدر البهية للسيد صديق حسن خان (١٧٥-١٧٦).

٤٠٦ - وغـيرُ هــذا مــن طريــق آخــر	يُــروَى بإســنادٍ قــويٍّ بــاهرِ
٤٠٧ - في لعــنِ بــاني قبَّــةٍ أو مســجدِ	لأيِّ قــبرٍ مطلقًــا أو مَشْــهَدِ
٤٠٨ - وكــلِّ مــن قــد أوقــد الســراجا	عــلى القبــورِ فاحــذرِ اللجاجــا
٤٠٩ - وخَــصَّ مَعْــهُ زائــرتِ القَــبْرِ	أبعــدَ هــذا هــل تَــرى عُــذْرِ؟
٤١٠ - مجــوِّزًا لهــذه الأمــورِ	وفِعْلِهــا أيضًــا عــلى القبــورِ

قوله: وغير هذا من طريق آخر.

يقصد كذلك هناك أحاديث تنكر الأفعال الشركية والبدعية عند القبور غير حديث أبي الهياج السابق سندها يختلف عن سند هذا الحديث وهي أسانيد قوية تبهر المطلع عليها لقوتها.

قوله: في لعن باني قبة أو مسجد لأي قبر...

القبة من البناء: معروفة، وقيل هي البناء من الأدم خاصة، مشتق من ذلك، والجمع قبب وقباب. والقبة من الخيام: بيت صغير مستدير، وهو من بيوت العرب(١).

والمشهد: المجمع من الناس. والمشهد: محضر الناس والمكان الذي يجتمعون عنده(٢).

فقد دلت السنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ على أنه لا يجوز البناء على القبور من قباب وغيرها من أي بناء، وعلى لعن الله عزوجل ورسوله ﷺ للمتخذين عليها مساجد.

كما في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: {لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. قالت: فلولا ذلك أبرز قبره

(١) لسان العرب مادة: (قبب) (٣/ ١١٢).

(٢) لسان العرب (٣/ ٢٤١).

غير أنه خشـي أن يتخذ مسجداً}[1].

وكذلك ما روت رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ لما حضـرته الوفاة جعل يلقي على وجهه طرف خميصة[2] له فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه، وهو يقول: {لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد} تقول عائشة رضي الله عنها: «يحذّر ما صنعوا»[3].

وبنيان المساجد على القبور من اتخاذ القبور مساجد، كما يوضحه حديث عائشة رضي الله عنها قالت: {لما كان مرض رسول الله ﷺ تذاكر بعض نسائه كنيسة بأرض الحبشة يقال لها: مارية وقد كانت أم سلمة[4] وأم حبيبة[5] قد أتتا أرض الحبشة، فذكرتا من

---

(١) صحيح البخاري (٤/ ١٦١٤، ح٤١٧٧). وصحيح مسلم (١/ ٣٧٦، ح٥٢٩).

(٢) الخميصة كساء أسود مربع له علمان، القاموس المحيط (ص: ٧٩٧).

(٣) صحيح البخاري (١/ ١٦٨، ح٤٢٥).

(٤) أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشية المخزومية أم المؤمنين اسمها اسمها هند، واسم أبيها حذيفة، وقيل: سهيل، ويلقب زاد الركب لأنه كان أحد الأجواد، وكانت زوج ابن عمها أبي سلمة ابن عبد الأسد فمات عنها فتزوجها النبي ﷺ في سنة: أربع، وقيل: سنة: ثلاث، وكانت ممن أسلم قديماً هي وزوجها وهاجرا إلى الحبشة فولدت له سلمة، ثم قدما مكة وهاجرا إلى المدينة قيل: إنها أول امرأة خرجت مهاجرةً إلى الحبشة وأول ظعينة دخلت المدينة، وكانت أم سلمة موصوفة بالعقل البالغ والرأي الصائب وإشارتها على النبي ﷺ يوم الحديبية تدل على وفور عقلها. روت عن النبي ﷺ وعن أبي سلمة وفاطمة بنت رسول الله ﷺ، ماتت في شوال سنة: (٥٩ هـ). وقيل: في آخر سنة: (٦١) وقيل: سنة: (٦٢) وهي من آخر أمهات المؤمنين موتاً. انظر: الإصابة (٤/ ٢٦٥٤-٢٦٥٦).

(٥) أم حبيبة هي رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس الأموية، أم المؤمنين زوج النبي ﷺ، تكنى أم حبيبة وهي بها أشهر من اسمها، وقيل: بل اسمها هند ورملة أصح. تزوجها عبيد الله بن جحش الأسدي، فأسلما ثم هاجرا إلى الحبشة فولدت له حبيبة، ولما تنصر زوجها فارقها، فطلب النبي ﷺ أن يتزوجها وهي في الحبشة، فزوجه النجاشي إياها، وأصدقها عنه، وجهزها، فقدمت على رسول الله ﷺ. قيل: سنة سبع، وقيل: سنة ست والأول أشهر. روت أحاديث. وعن زينب بنت جحش أم المؤمنين، وماتت بالمدينة سنة: (٤٤)، وقيل: سنة: (٤٢هـ).انظر: الاستيعاب (ص: ٨٨٦-٨٨٧). الإصابة (٤/ ٢٥٠٨-٢٥١٠).

حسنها وتصاويرها، قالت: فرفع النبي ﷺ رأسه، فقال: أولئكِ إذاكان فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً، ثم صوَّروا فيه تلك الصور، أولئكِ شرار الخلق عند الله يوم القيامة}[(١)].

قال ابن دقيق العيد[(٢)] رحمه الله: «وقوله ﷺ: {بنوا على قبره مسجداً} إشارة الى المنع من ذلك وقد صرح به الحديث الآخر: {لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد}[(٣)] [(٤)].

وقد ورد النهي عن البناء على القبر عموماً سواءً كان مسجداً أو قبة أو غيرها كما في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: {نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يقعد عليه ويبنى عليه}[(٥)]. لكن بناء المساجد عليها أعظم؛ خشية التعظيم المفضي إلى عبادتها كما حصل للأمم السابقة.

واتفق الأئمة على تحريمه قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «اتفق الأئمةأنه لا يُبنى مسجد على قبر»[(٦)].

وقال في موضع آخر: «ليس لأحد أن يصلي في المساجد التي بنيت على القبور،

---

(١) صحيح البخاري (١/ ١٦٧، ح٤٢٤). وصحيح مسلم (١/ ٣٧٥، ح٥٢٨).

(٢) الإمام المجتهد المحدث محمد بن علي بن وهب المصري الدار، والشافعي ثم المالكي المذهب، أحد من قيل إنهم من المجددين لهذا الدين، وصاحب المصنفات المستعذبة المفيدة، ولد في البحر قرب ينبع سنة (٦٢٥هـ) وتوفي سنة (٧٠٢هـ). انظر البداية والنهاية (١٤/ ٢٧). والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة للحافظ بن حجر (٤/ ٩١-٩٦).

(٣) تقدم تخريجه (ص: ٤٧٨).

(٤) الإحكام للإمام ابن دقيق العيد، (ص: ٢٣٨).

(٥) صحيح مسلم (٢/ ٦٦٧، ح٩٧٠).

(٦) مجموع الفتاوى (٢٢/ ١٩٤٥).

ولو لم يقصد الصلاة عندها، فلا يفعل ذلك لا اتفاقاً ولا ابتغاء؛ لما في ذلك من التشبه بالمشركين، والذريعة إلى الشرك، ووجوب التنبيه عليه وعلى غيره، كما قد نص على ذلك أئمة الإسلام من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم»(١).

وقال ﷺ: «إن بناء المساجد على القبور ليس من دين المسلمين، بل هو منهي عنه بالنصوص الثابتة عن النبي ﷺ واتفاق أئمة الدين، بل لا يجوز اتخاذ القبور مساجد، سواء أكان ذلك ببناء المسجد عليها، أو بقصد الصلاة عندها، بل أئمة الدين متفقون على النهي عن ذلك، وأنه ليس لأحد أن يقصد الصلاة عند قبر أحد لا نبي ولا غير نبي... وكل من قال: إن قصد الصلاة عند قبر أحد، أو عند مسجد بني على قبر، أو مشهد، أوغير ذلك: أمر مشروع، بحيث يستحب ذلك، ويكون أفضل من الصلاة في المسجد الذي لا قبرفيه «فقد مرق من الدين وخالف إجماع المسلمين. والواجب أن يستتاب قائل هذا ومعتقده فإن تاب وإلا قتل»(٢).

وقال القرطبي ﷺ: «اتخاذالمساجد على القبور والصلاة فيها والبناء عليها إلى غير ذلك مما تضمنته السنة عن النهي عنه ممنوع لا يجوز»(٣).

وقال أيضاً مبيناً العلة من النهي عن هذه الأفعال: «وكل ذلك لقطع الذريعة المؤدية إلى عبادة من فيها، كما كان السبب في عبادة الأصنام»(٤).

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤٨٨– ٤٨٩).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٧/ ٤٨٨).

(٣) تفسير القرطبي، (١/ ٣٧٩).

(٤) المرجع السابق.

وقال النووي رحمه الله: «اتفقت نصوص الشافعي والأصحاب على كراهة[1] بناء مسجد على القبر، سواء كان الميت مشهوراً بالصلاح أوغيره»[2].

وإباحة بناءالمساجد على القبور والصلاة فيها إنما هو رأي أهل الضلال والبدع المخالفين لطريقةأهل السنة والجماعة، ومن أدلتهم على ذلك:

١- استدلالهم بقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ٢١﴾[3].

قالوا: الآية تدل على جواز بناء المساجد على القبور[4].

ونقل الحافظ ابن حجر عن ابن رجب رحمه الله في رد الاستدلال بالآية: «وقد دل القرآن على مثل ما دل عليه هذا الحديث، وهو قول الله عز وجل في قصة أصحاب الكهف: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ٢١﴾[5]، فجعل اتخاذ القبور

---

(1)وقصده بالكراهة هنا التحريم ، قال الغزالي :" فكثيرا ما يقول الشافعي رحمه الله: وأكره كذا، وهو يريد التحريم "المستصفى ص: ٥٣. ويؤيده أنه قال عقب ذلك : " وإن صلى إليه أجزأه وقد أساء " فإن قوله " أساء " معناه ارتكب سيئة أي حراما فإنه هو المراد بالسيئة في أسلوب القرآن فقد قال تعالى بعد أن نهى عن قتل الأولاد وقربان الزنى وقتل النفس وغير ذلك : ﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا ٣٨ ﴾ الإسراء الآية ٣٨ . أي محرما، وكان الشافعي يستخدم أسلوب القرآن . كذلك تصريح الحافظ العراقي وهو شافعي المذهب بتحريم بناء المسجد على القبر ، مما يدل على مذهب الشافعي في ذلك . انظر الاحكام للآمدي ١/ ١٧٤.

(٢) المجموع (٥/ ٢٧٠).

(٣) [الكهف:٢١].

(٤) انظر: إحياء المقبور من أدلة جواز البناء على القبور، للغماري (ص: ٢٣).

(٥) [الكهف:٢١].

على المساجد من فعل أهل الغلبة على الأمور، وذلك يشعر بأن مستنده القهر والغلبة واتباع الهوى، وأنه ليس من فعل أهل العلم والفضل المنتصر لما أنزل الله على رسله من الهدى»[(١)].

وقال الشيخ الشنقيطي رحمه الله رداً على من استدل بهذا الدليل: «إن ما يزعمه بعض من لا علم عنده من أن الكتاب والسنة دلّا على اتخاذ القبور مساجد في غاية السقوط. وقائله أجهل خلق الله ... أما الجواب عن الاستدلال بهذه الآية فهو أن نقول: من هؤلاء القوم الذين قالوا: لنتخذن عليهم مسجداً؟ أهم من يقتدى بهم! أم هم كفرة لا يجوز الاقتداء بهم؟

وهذا مما اختلف في قائلي هذه المقالة: هل هم الذين على دين الفتية أم هم طائفة كافرة؟ فعلى القول بأنهم كفار فلا إشكال في أن فعلهم ليس بحجة. وعلى القول بأنهم مسلمون.. فلا يخفى على أدنى عاقل أن قول قوم من المسلمين في القرون الماضية: إنهم سيفعلون كذا لا يعارض به النصوص الصحيحة الصريحةعن النبي ﷺ إلا من طمس الله بصيرته، فقابل قولهم: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾[(٢)]. بقوله ﷺ في مرض موته قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى بخمس: {لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد}[(٣)] يظهر لك أن من اتبع هؤلاءالقوم في اتخاذهم المسجد على القبور ملعون على لسان الصادق المصدوق ﷺ»[(٤)].

٢- ومن أدلتهم أيضاً أن مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة يوجد فيه قبر

(١) فتح الباري (٣/ ١٩٤).

(٢) [الكهف:٢١].

(٣) تقدم تخريجه (ص: ٤٧٨).

(٤) أضواء البيان (٣/ ١٥٩).

الرسول ﷺ وقبرا صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما[1].

ونقول جواباً على ذلك: إن النبي ﷺ وصاحبيه لم يُدفنوا في المسجد بل دفن ﷺ في بيته في حجرة عائشة رضي الله عنها، فدفن معه صاحباه ولم تكن حجرة عائشة داخل المسجد، بل كانت حجرتها وسائر حجر أزواجه ﷺ من جهة شرقي المسجد وقبلته لم تكن داخلة في مسجده، وإنما كان يخرج من الحجرة إلى المسجد، ولكن في خلافة الوليد بن عبدالملك وسع المسجد وكان يحب عمارة المساجد وعمّر المسجد الحرام، ومسجد دمشق وغيرهما، فأمر نائبه عمر بن عبدالعزيز أن يشتري الحجر من أصحابها الذين ورثوا أزواج النبي ﷺ ويزيدها في المسجد، فمن حينئذ دخلت الحجر في المسجد، وذلك بعد موت عامة الصحابة، ولم يكن بقي في المدينة منهم أحد، فلهذا لم يتكلم فيما فعله الوليد هل هو جائز أومكروه إلا التابعون كسعيد بن المسيب[2] وأمثاله، الذين كرهوا فعل الوليد، وعلى كل حال فلا يجوز أن يظن أنه صار بدخول الحجرة فيه أفضل مما كان، مع أن الوليد رحمه الله لم يقصد دخول الحجرة فيه وإنما قصد توسيعه بإدخال حجر أزواج النبي ﷺ فدخلت فيه الحجرة ضرورة مع كراهة من كره ذلك من السلف[3].

قال الحافظ محمد بن عبد الهادي رحمه الله : "يتبين لنا مما أوردناه أن القبر الشريف إنما دخل إلى المسجد النبوي حين لم يكن في المدينة أحد من الصحابة وأن ذلك كان على خلاف

---

(١) انظر: إحياء المقبور (ص: ٢٦).

(٢) هو: سعيد بن المسيب بن حزن بن أبى وهب بن عمرو بن عائذ القرشي المخزومي، أحد العلماء الأثبات، الفقهاء الكبار، قال ابن المديني: لا أعلم في التابعين أوسع علما منه، اتفقوا على أن مرسلاته أصح المراسيل، مات بعد التسعين، وقد ناهز الثمانين. جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع. [" تهذيب التهذيب " ٤/ ٧٤].

(٣) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٧/ ٤١٨- ٤٢٤).

غرضهم الذي رموا إليه حين دفنوه في حجرته صلى الله عليه وسلم فلا يجوز لمسلم بعد أن يعرف هذه الحقيقة أن يحتج بما وقع بعد الصحابة لأنه مخالف للأحاديث الصحيحة وما فهم الصحابة والأئمة منها كما سبق بيانه وهو مخالف لصنيع عمر وعثمان حين وسعا المسجد ولم يدخلا القبر فيه ولهذا نقطع بخطأ ما فعله الوليد بن عبد الملك عفا الله عنه ولئن كان مضطراً إلى توسيع المسجد فإنه كان باستطاعته أن يوسعه من الجهات الأخرى دون أن يتعرض للحجرة الشريفة وقد أشار عمر بن الخطاب إلى هذا النوع من الخطأ حين قام هو رضي الله عنه بتوسيع المسجد من الجهات ولم يتعرض للحجرة بل قال: ((إنه لا سبيل إليها))[1].

فأشار إلى المحذور الذي يترقب من جراء هدمها وضمها إلى المسجد . ومع هذه المخالفة الصريحة للأحاديث المتقدمة وسنة الخلفاء الراشدين فإن المخالفين لما أدخلوا القبر النبوي في المسجد الشريف احتاطوا للأمر شيئاً ما فحاولوا تقليل المخالفة ما أمكنهم "[2].

وقال النووي رحمه الله: " ولما احتاجت الصحابة و التابعون إلى الزيادة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كثر المسلمون وامتدت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه ، ومنها حجرة عائشة رضي الله عنها مدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما بنوا على القبر حيطاناً مرتفعة مستديرة حوله لئلا يظهر في المسجد فيصلي العوام ويودي إلى المحذور ثم بنوا

---

(١)طبقات ابن سعد » (٤ / ٢١) و « تاريخ دمشق » لابن عساكر (٨ / ٤٧٨ / ٢) .

(٢)الصارم المنكي [ص ١٣٦-١٣٧]

جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا حتى لا يتمكن أحد من استقبال القبر "(١).

وذكر ابن تيمية رحمه الله: " أن الحجرة لما أدخلت إلى المسجد سُد بابها ، وبني عليها حائط آخر صيانة له صلى الله عليه وسلم أن يتخذ بيته عبداً وقبره وثناً " (٢).

وقال الألباني رحمه الله:" وأما الشبهة الثانية : وهى أن قبر النبي صلى الله عليه وسلم في مسجده كما هو مشاهد اليوم ولو كان حراماً لم يدفن فيه ! والجواب : أن هذا وأن كان هو المشاهد اليوم فأنه لم يكن كذلك في عهد الصحابة رضي الله عنهم فإنهم لما مات الرسول صلى الله عليه وسلم دفنوه في حجرته التي كانت بجانب مسجده وكان يفصل بينهما جدار فيه باب ، كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج منه إلى المسجد وهذا أمر معروف مقطوع به عند العلماء ولا خلاف في ذلك بينهم والصحابة رضي الله عنهم حينما دفنوه صلى الله عليه وسلم في الحجرة إنما فعلوا ذلك كي لا يتمكن أحد بعدهم من اتخاذ قبره مسجداً كما سبق بيانه في حديث عائشة وغيرة (٣)، ولكن وقع بعدهم مالم يكن في حسبانهم ! ذلك أن الوليد بن عبد الملك أمر سنة ثمان وثمانين بهدم المسجد النبوي وإضافة حُجر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه فأدخل فيه الحجرة النبوية حجرة عائشة فصار القبر بذلك في المسجد ولم يكن في المدينة المنورة أحد من الصحابة حينذاك خلافاً من توهم بعضهم"(٤).

---

(١)شرح مسلم (٥ / ١٤)

(٢)الجواب الباهر ،٢/ ٩ ، وانظر: تحذير الساجد ص:٨٦-٨٧

(٣) أنظر(ص١١-١٢) من تحذير الساجد.

(٤) تحذير الساجد (ص:٨٦-٨٧). وأنظر:تاريخ ابن جرير (٥ / ٢٢٢٢٣) وتاريخ ابن كثير (٩ / ٧٤٧٥) .

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: " إذا قال قائل نحن الآن واقعون في مشكلة بالنسبة لقبر الرسول صلى الله عليه وسلم، فإنه في وسط المسجد، فما هو جوابه؟ قلنا: الجواب على ذلك من وجوه:

الوجه الأول: أن المسجد لم يبن على القبر، بل بني المسجد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم.

الوجه الثاني: أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يدفن في المسجد حتى يقال: إن هذا من دفن الصالحين في المسجد، بل دفن في بيته.

والوجه الثالث: أن إدخال بيوت النبي صلى الله عليه وسلم ومنها بيت عائشة مع المسجد ليس باتفاق من الصحابة، بل بعد أن انقرض أكثرهم، ولم يبق منهم إلا القليل، وذلك عام ٩٤هـ تقريباً، فليس مما أجازه الصحابة وأجمعوا عليه مع أن بعضهم خالف في ذلك، وممن خالف أيضا سعيد بن المسيب من التابعين فلم يرض بهذا العمل.

والوجه الرابع: أن القبر ليس في المسجد حتى بعد إدخاله، لأنه في حجرة مستقلة عن المسجد، فليس المسجد مبنيا عليه، ولهذا جعل هذا المكان محفوظاً محوطا بثلاثة جدران، وجعل الجدار في زاوية منحرفة عن القبلة أي مثلثا، والركن في الزاوية الشمالية، بحيث لا يستقبله الإنسان إذا صلى لأنه منحرف.

فبهذا كله يزول الإشكال الذي يحتج به أهل القبور ويقولون هذا من عهد التابعين إلى اليوم، والمسلمون قد أقروه ولم ينكروه، فنقول: إن الإنكار قد وجد حتى في زمن

التابعين، وليس محل إجماع، وعلى فرض أنه إجماع فقد تبين الفرق من الوجوه الأربعة التي ذكرناها"[1].

قوله: وكل من أوقد السراجا...

يشير الناظم رحمه الله إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: {لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج}[2].

والسُرُج: جمع سراج، وهو المصباح[3].

ولعن النبي ﷺ فاعل ذلك دليل على أنه كبيرة من الكبائر.

ثم إن في إسراج المقابر تعظيمًا لها، بل إفراط في التعظيم، يشبه تعظيم الأصنام[4].

وقرنه في الحديث مع المتخذين مساجد على القبور؛ لأن في كل منهما تعظيمًا للقبور.

وذكر الهيثمي[5] أن العلة في النهي عن ذلك أن فيها تشبيهًا بالمجوس الذين يعبدون النار[6].

ومن تلبيساتهم لتجويز إنارة القبور أن الناس يأتون دائمًا إلى مكان الضوء فيزورون المقابر.

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد(ص: ٥٢).

(٢) سنن الترمذي (٢/ ١٣٦، ح٣٢٠)، وقال: "حديث حسن". وسنن أبي داود (٣/ ٢١٨، ح٣٢٣٦). وسنن النسائي (٤/ ٩٤، ح٢٠٤٣). ومسند أحمد (١/ ٢٢٩، ح٢٠٣٠). والمستدرك للحاكم (١/ ٥٣٠، ح١٣٨٤).

(٣) المصباح المنير (١/ ٢٧٢).

(٤) انظر: المغني (٣/ ٤٤١).

(٥) هو علي بن أبي بكر الهيثمي، محدث حافظ رافق العراقي في سماع الحديث ولازمه، ولد سنة (٧٣٥هـ)، وتوفي بالقاهرة (٨٠٧هـ). انظر: شذرات الذهب (٧/ ٧٠).

(٦) الزواجر عن اقتراف الكبائر، الهيثمي، (١/ ١٣٤).

ونقول لهم: إن الغاية لا تبرر الوسيلة، فإن الوسيلة هنا محرمة.

وكذلك هي دليل إلى المحرم فتحرّم من هذا الوجه أيضًا.

ويدخل في ذلك إنارة المقابر بوسائل الإنارة المتعددة، سواء كانت بالسرج، أو بالشموع، أو بالكهرباء، فكلها حكمها واحد، وتحريمها واضح جلي، فالحديث صريح بتحريم إنارة القبور، بل فيه اللعن لمن فعل ذلك.

قال شيخ الإسلام ﷺ: «إيقاد المصابيح في هذه المشاهد مطلقاً لا يجوز بلا خلاف أعلمه للنهي الوارد»(١).

وقال الشوكاني ﷺ: «قوله: (والسرج) فيه دليل على تحريم اتخاذ السرج على المقابر لما يفضي إليه من الاعتقادات الفاسدة»(٢).

وقال الشيخ ابن عثيمين ﷺ: إن اتخاذ المساجد عليها وإسراجها غلو فيها، فيؤدي بعد ذلك إلى عبادتها...وهل يدخل في اتخاذ السرج على المقابر مالو وضع فيها مصابيح كهرباء لإنارتها؟

الجواب: أما في المواطن التي لا يحتاج الناس إليها، كما لو كانت المقبرة واسعةوفيها موضع قد انتهى الناس من الدفن فيه، فلا حاجة إلى إسراجه، فلا يسرج، أماالموضع الذي يقبر فيه فيسرج ما حوله، فقد يقال بجوازه، لأنها لا تسرج إلا بالليل، فليس في ذلك ما يدل على تعظيم القبر، بل اتخذ الإسراج للحاجة.

ولكن الذي نرى أنه ينبغي المنع مطلقًا للأسباب الآتية:

١- أنه ليس هنا كضرورة.

---

(١) اقتضاء الصراط (١/ ٣٣٢).

(٢) نيل الأوطار (٤/ ١٤٠).

٢- أن الناس إذا وجدوا ضرورة لذلك، فعندهم سيارات يمكن أن يوقدوا الأنوار التي فيها ويتبين لهم الأمر، ويمكنهم أن يحملوا سراجًا معهم.

٣- أنه إذا فتح هذا الباب، فإن الشر سيتسع في قلوب الناس ولا يمكن ضبطه فيما بعد.

والمهم أن وسائل الشرك يجب على الإنسان أن يبتعد عنها ابتعادًا عظيمًا، ولا يقدر للزمن الذي هو فيه الآن، بل يقدرللأزمان البعيدة، فالمسألة ليست هينة.

قال الشيخ محمد بن ابراهيم ﷺ: «وأما إضاءة المقبرة فيخشى أن يجر ذلك إلى إسراج القبور الذي لعن رسول الله ﷺ فاعله، ولا سيما نفوس الجهال تتعلق كثيراً بالخرافات، فتزال هذه الأنوار سداً للذريعة»(١).

مما سبق يتبين حرمة إنارة المقابر، بل لعن من فعل ذلك، ولما فيه من مشابهة المجوس. فالواجب الحذر والقضاء على هذا المنكر، الذي يفضي إلى تعظيم من في القبور »(٢).

قوله: فاحذر اللجاجا.

اللجاجة: هي الاستمرار على المعارضة في الخصام، وقيل: هي التمادي في الأمر ولو تبين الخطأ(٣)، وقيل: هي التمادي في العناد في تعاطي الفعل المزجور عنه(٤).

---

(١) خطاب رقم ٢١٤٧ في ١٩/ ٦/ ١٣٨٤هـ الصادر من مكتب المفتي إلى أمير مكه حول قيام أمانة مكة بتشجير مقبرة المعلاة وإنارتها.

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٣١٥).

(٣) انظر: تاج العروس (٦/ ١٧٩).

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ٦١٧).

واللجاج، واللجاجة: التمادي في الخصومة(١).

وعن معاوية بن أبي سفيان(٢)، يحدث عن رسول الله ﷺ أنه قال: {الخير عادة، والشر لجاجة، ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين}(٣).

وروي أن الخضر قال لموسى عليه السلام حين لقيه : «يا موسى بن عمران ، انزع عن اللجاجة، ولا تمش في غير حاجة، ولا تضحك من غير عجب، والزم بيتك، وابك على خطيئتك»(٤).

ويقصد الناظم احذر أيها المريد من اللجاجة لتجويزهذه الأفعال المنكرة، والذب عنها.

قوله: وخصّ معه زائرات القبر.

أي: في اللعن الوارد في حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: {لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج}(٥).

وعليه حمل أكثر أهل العلم قولهم بالتحريم، وهو قول عند الأحناف(٦) والمالكية(٧).

وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم(٨).

---

(١) الصحاح، مادة: لجج (١/ ٣٣٧).

(٢) هو معاوية بن صخر بن حرب القرشي الأموي، أبو عبد الرحمن، أمير المؤمنين، ولد قبل البعثة بخمس سنين، وتوفي سنة ٦٠ هـ. انظر ترجمته في الاستيعاب (ص:٦٦٨-٦٧١). والإصابة (٦/ ١١٢-١١٤).

(٣) سنن ابن ماجه (١/ ٨٠، ح٢٢١). وحسنه الألباني في صحيح السنة (١/ ١١٨).

(٤) الزهد للإمام أحمد بن حنبل (١/ ١٤٦).

(٥) تقدم تخريجه (ص: ٤٨٣).

(٦) رد المحتار (٢/ ٢٤٢).

(٧) المدخل (١/ ٢٥١).

(٨) الفتاوى (٢٤/ ٣٤٤). تهذيب السنن، (٩/ ٥٩).

واللعن على الفعل من أدل الدلائل على تحريمه، لاسيما وقد قرنه في اللعن بالمتخذين عليها المساجد والسرج، وهذا غير منسوخ بل لعن ﷺ في مرض موته من فعل ذلك[1].

وقال شيخ الإسلام ﵀ مبيّناً علة النهي: «ومعلوم أن المرأة إذا فتح لها هذا الباب أخرجها إلى الجزع والندب والنياحة، لما فيها من الضعف، وكثرة الجزع وقلة الصبر، وأيضًا فإن ذلك سبب لتأذي الميت ببكائها، ولافتتان الرجال بصوتها وصورتها»[2].

وقال ابن الحاج ﵀: «واعلم أن الخلاف المذكور بين العلماء إنما هو في نساء ذلك الزمان، ... وأما خروجهن في هذا الزمان، فمعاذ الله أن يقول أحد من العلماء أو من له مروءة أو غيرة في الدين بجواز ذلك»[3].

وقال آخرون بالكراهة، وقصدهم كراهة التنزيه. وهو قول عند الأحناف[4] والمالكية[5] وهو قول جمهور الشافعية[6] وهو رواية عند الحنابلة[7] وهو المذهب.

واستدلوا بحديث أم عطية ﵂ أنها قالت: {نُهينا عن اتباع الجنائز ولم يُعزم علينا}[8].

ورد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: «قد يكون مرادها لم يؤكد النهي، وهذا لا ينفي التحريم، وقد تكون هي ظنت أنه ليس بنهي تحريم، والحجة في قول النبي ﷺ

(١) انظر: تهذيب السنن (٩/ ٦٠).
(٢) الفتاوى (٢٤/ ٣٥٥).
(٣) المدخل، (١/ ٢٥١).
(٤) رد المحتار (٢/ ٢٤٢).
(٥) الكافي في فقه أهل المدينة (ص: ٨٧).
(٦) المجموع (٥/ ٥٨٥).
(٧) الانصاف (٢/ ٥٦١).
(٨) صحيح البخاري (١/ ٤٢٩، ح١٢١٩). وصحيح مسلم (٢/ ٦٤٦، ح٩٣٨).

لا في ظن غيره»(١).

وقال بعضهم بالإباحة، وهو مذهب الأحناف(٢) والمالكية(٣) إذا كانت المرأة من القواعد أو متغطية، وبعض الشافعية(٤) إذا أُمن الفتنة، وهو رواية في مذهب الحنابلة(٥).

واستدلوا بعموم قول النبي ﷺ: {كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها}(٦) فهو للرجال والنساء على السواء.

وبزيارة عائشة رضي الله عنها قبر أخيها عبدالرحمن ، قال عبد الله بن أبي مليكة : أقبلت عائشة رضي الله عنها ذات يوم من المقابر فقلت لها : يا أم المؤمنين من أين أقبلت قالت من قبر أخي عبد الرحمن بن أبي بكر فقلت لها : أليس كان رسول الله ﷺ نهى عن زيارة القبور ؟ قالت : نعم كان نهى ثم أمر بزيارتها . (٧)

ورد على هذا القول شيخ الإسلام أيضاً بقوله: «إن قوله ﷺ: «فزوروها» صيغة تذكير، وصيغة التذكير إنما تتناول الرجال بالوضع، وقد تتناول النساء على سبيل التغليب، لكن فيه قولان: قيل إنه يحتاج إلى دليل مفصل، وحينئذ فيحتاج تناول ذلك النساء إلى دليل مفصل. وقيل: إنه يحمل ذلك عند الإطلاق، وعلى هذا فيكون دخول النساء بطريق العموم الضعيف، والعام لا يعارض الأدلة الخاصة المستفيضة في نهي

(١) الفتاوى، (٢٤/ ٣٥٥).

(٢) رد المحتار (٢/ ٢٤٢).

(٣) الكافي في فقه أهل المدينة (ص: ٧٧).

(٤) المجموع (٥/ ٢٨٥).

(٥) المغني (٣/ ٥٢٣).

(٦) صحيح مسلم (٢/ ٦٧٢ ح٩٧٧).

(٧)أخرجه البيهقي في السنن الكبرى رقم (٦٩٩٩) ٤ / ٧٨ .

النساء. وأيضاً لو كان النساء داخلات في الخطاب لاستحب لهن زيارة القبور»[1].

قوله: أبعد هذا هل ترى عذر. يستنكر الناظم هنا ويقصد أنه لا يُعقل أن يتعذر أحد بأعذار واهية فيجوّز فعل هذه الأمور المنكرة بعد ورود اللعن الصريح لفاعلها.

المعنى الإجمالي للأبيات:

كذلك يوجه الناظم ﵀ مسامع المسلمين إلى حديث الرسول ﷺ الذي ورد عنه بسند قوي مثل الأول، لكنه من طريق آخر أنه ﷺ لعن الذين يبنون القباب أو المساجد على القبور عامة أو المشاهد.

وكذلك لعن رسول الله ﷺ كل من اتخذ السرج على القبور وزائرات القبور من النساء على وجه الخصوص. فالحذر من المجادلة بالباطل في هذه الأمور المنكرة.

ولا لأحد بعد هذه الأحاديث القويّة الصريحة في اللعن من عذر في فعلها أو تجاوزها.

(١) الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢٤/ ٣٤٤).

٤١١ - وجعـلِ أسـتارٍ عـلى القبـورِ كالصُّـوفِ والـديباجِ والحريـرِ
٤١٢ - كـما تَـرى الأعـلام والرايـاتِ يخفقـن في مقـابر الأمـواتِ
٤١٣ - فليـتَ شـعري مـن لهـم أباحـا وصَـيّر الحظْـرَ لهـم مُباحـا
٤١٤ - وقـد نَهَـى عنـه الرسـولُ المصطفَى وقُبْحُـه مـن لَعنـه قـد عُرِفـا

قوله: وجعل أستار على القبور. الواو عاطفة. أي: كذلك جعل أستار على القبور محرم مثله مثل سابقه.

وهذه الأستار مصنوعة من شتى الأصناف، فمنها الحرير ومنها الصوف ومنها الديباج، ومكتوب عليها شتى الكتابات، وكتابة الآيات والأحاديث من باب التضليل، وأكثر الكتابات الهدف منها هو الاستغاثة بصاحب القبر إما من الشعر وإما من النثر، وكذلك كتابة شيء من كراماته لتضليل العامة، وتبدل هذه الأستار في المناسبات.

واتفق العلماء على تحريم جعل الأستار على القبور؛ لأنه علامة من علامات تعظيم هذه القبور.

قال شيخ الإسلام: «وقد اتفق أئمة الدين على أنه لا يشرع بناء المساجد على القبور، ولا أن تعلق عليها الستور»[(١)].

قال الشوكاني رحمه الله مبيّنًا أثر مثل هذه الأستار في نفوس العامة: «فشأن الجاهل إذا وقعت عينه على قبر من القبور قد بنيت عليه قبة ونظر إلى تلك السُتُر والسرج وقد سطعت حوله المجامر، فلا شك ولا ريب أنه يمتلئ قلبه تعظيمًا لذلك القبر»[(٢)].

(١) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية، رشيد رضا (١/ ٥٤).
(٢) شرح الصدور في تحريم رفع القبور، الشوكاني، (ص: ٣٢).

قوله: كما ترى الأعلام والرايات.

الراية علم الجيش وتكنى أم الحرب وهي فوق اللواء[١].

والعلم: الراية، إليها مجمع الجند. والعلم: علم الثوب ورقمه. والعلم: ما ينصب في الطريق، ليكون علامة يهتدى بها، شبه الميل والعلامة والمعلم. والعلم: ما جعلته علما للشيء[٢].

والأعلام والرايات أيضًا من علامات تعظيم القبور وأصحابها.

قال الشيخ حافظ الحكمي[٣] ممثلاً لبعض مظاهر البدع عند القبور: «فإذا أتيت قباب المقابر والمساجد المبنية عليها رأيت بها من الزينة والزخارف والأعطاروالزبرقة والستور المنقشة المعلمة المرصعة والأبواب المفصصة المحكمة ولها من السدنة والخدام ما لم تجده في بيت الله الحرام الداخل إليها والخارج منها من الزوار ما لا تحصيهم الأقلام وعليها من الأكسية والرايات والأعلام ما لو قسم لاستغنى به كثير من الفقراء والأرامل والأيتام، فما ظنك بالوقوف المحبسة عليها والأموال المجبية إليها من الثمار والنقود والأنعام، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»[٤].

---

(١) المغرب في ترتيب المعرب (١ / ٢٠٤).

(٢) العين (٢ / ١٥٣). تهذيب اللغة (٢ / ٢٥٤).

(٣) هو حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، فقيه أديب، من علماء جيزان، من شيوخه: الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي، وألف مؤلفات عديدة في علوم مختلفة، منها: سلم الوصول إلى علم الأصول، ومعارج القبول، وأعلام السنة المنشورة، وغيرها، ولد سنة ١٣٤٢ هـ، وتوفي سنة ١٣٧٧ هـ. انظر ترجمته في مشاهير علماء نجد وغيرهم (ص:٤٤١-٤٤٥)، ونثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر للدكتور يوسف المرعشلي (ص: ٣١٨).

(٤) معارج القبول، (٢/ ٥٣٦).

قوله: فليت شعري من لهم أباحا...

وليت شعري أي ليت علمي أو ليتني علمت، وليت شعري من ذلك أي ليتني شعرت، قال سيبويه: قالوا ليت شعرتي فحذفوا التاء مع الإضافة للكثرة.

وقوله: ليت شعري ما صنع فلان. أي ليت علمي حاضر أو محيط بما صنع، فحذف الخبر، وهو كثير في كلامهم[1].

ويقصد بالذي أباحوه هو ما ذكره سابقًا من رفع القبور وبناء القباب واتخاذ المساجد عليها وإيقاد السرج وزيارة القبور للنساء وجعل الأستار والرايات عليها.

وقد أجاب عن المبيح لذلك كله في البيت (رقم: ٤٣٧) عند قوله: إنما مضرة الإسلام.ويقصد بهم علماء الضلال فهم سبب انتشار البدع والمنكرات عند القبور.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وهذا – يقصد بناء المشاهد على القبور – إنما ابتدعه وافتراه في الأصل قوم من المنافقين والزنادقة ليصدوا به الناس عن سبيل الله، ويفسدوا عليهم دين الإسلام، وابتدعوا لهم أصل الشرك المضاد لإخلاص الدين لله".[2]

وقال أيضاً رحمه الله :" ولهذا صنف طائفة من الفلاسفة الصابئين[3] المشركين في تقرير

(١) انظر: كتاب العين (١/ ٢٥١). جمهرة اللغة (١/ ٤١٠). الصحاح (٢/ ٩٦٦).

(٢)مجموع الفتاوى (٤/ ٥١٧).

(٣) قال الطبري: "والصابئون جمع صابىء وهو المستحدث سوى دينه دينا كالمرتدّ من أهل الإسلام عن دينه، وكل خارج من دين كان عليه إلى آخر غيره تسميه العرب صابئا، يقال منه: صَبَأَ فلان يَصْبَأُ صَبْأً، ويقال: صبأت النجوم: إذا طلعت، وصبأ علينا فلان موضع كذا وكذا يعني به طلع."تفسير الطبري ٣/ ٤٦. وقد قدم الفارابي حران في اثناء المائة الرابعة ودخل عليهم وتعلم منهم وأخذ عنهم ما أخذ من المتفلسفة وكان ثابت بن قرة قد شرح كلام ارسطو في الالهيات .أنظر : الصابئون المندائيون ، فاروق سلوم ،ص ٥١.

هذا الشرك ما صنفوه، واتفقوا هم والقرامطة[1] الباطنية على المحادة لله ورسوله حتى فتنوا أمماً كثيرة وصدوهم عن دين الله. وأقل ما صار شعاراً لهم تعطيل المساجد وتعظيم المشاهد فإنهم يأتون من تعظيم المشاهد، وحجها والإشراك بها ما لم يأمر الله به ولا رسوله، بل نهى الله عنه ورسوله عباده المؤمنين»[2].

وكانت بداية ظهورها في بداية القرن الرابع الهجري، بعد تمكن الدول الباطنية التي كان من أهم أهدافها تبديل دين الإسلام بخرافات وشركيات ما أنزل الله بها من سلطان

ومنها الضريح المزعوم للإمام علي رضي الله عنه في النجف الذي بناه الحمدانيون سنة (٣١٧ هـ)

وهذا يؤكد أن بدايات تعظيم القبور واتخاذها مشاهد وأضرحة ارتبطت تاريخياً بأسماء: القرامطة، وبني بويه، والعبيديين "الفاطميين"، والحمدانيين وجميعهم شيعة وإن تفاوتوا في درجة الغلو. [3]

ويقول أيضاً الشيخ حافظ الحكمي مبيناً أن الذين يقفون وراء هذه الأفعال المنكرة هم علماء الضلالة: «فأي فاقرة على الدين أصعب من هذه الأفعال، وهل جنى الأخابث على الدين أعظم من هذا الضلال، وهل استطاع الأعداء من هدم قواعد الدين ما

---

(١) هم: أتباع حمدان قرمط، فرقة زنادقة ملاحدة، كفار في الباطن، يخفون كفرهم ويظهرون التشيع، وربما أوصلوا النسب إلى أهل البيت، وربما أظهروا كفرهم وإلحادهم، كما حصل لما صارت لهم دولة، واستولوا على البحرين وهجر فتعرضوا للحجيج، وأغاروا على البيت الحرام سنة: ٣١٧ هـ وانتهبوا الأموال، وقتلوا من قدروا عليه من الحجيج، وتفوهوا بالكفر الصريح علناً، وقلعوا بابَ الكعبةِ والحجرَ الأسودَ وأخذوه معهم فبقي عندهم ٢٢ عاماً. انظر: البداية والنهاية (١١/ ١٧٦-١١، ١٧٧/ ١٨٠). اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص: ٧٩)، الفتاوى (٣٥/ ١٣٩-١٤٤، ٣٥/ ١٥٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٥١٧).

(٣) قصة الأضرحة والقبور ودورها في تخلف الأمة ، ماجد آل عبدالجبار ص : ١٦.

هدمه هؤلاء الضلال، وهل تلاعب الشيطان بأحد ما تلاعب بهؤلاء الجهال، فأي منافٍ للتوحيد وأي مناقض له أقبح من هذا الشرك والتنديد»[١].

قوله: وصيّر الحضر لهم مباحًا. أي: حوّل المحظور في الشرع من هذه الأفعال المحرمة إلى مباح، وذلك بأن أفتى للعوام باستحبابها.

ومن ذلك ما قاله النابلسي: «وأما قول بعض المغرورين: إن هذه الأمور كلها حرام؛ لأنها وسيلة إلى الشرك بالله فهذا إهانة للأولياء....»[٢].

قوله: وقد نهى عنه الرسول المصطفى. فقد ذكرت الأدلة الدالة على النهي في مضانها في الأبيات: ٤٠٥، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١١.

قوله: وقبحه من لعنه قد عُرفا. أي: أن بعض هذه الأفعال المذكورة المنهي عنها قد ورد تقبيحها في الشرع والنهي عنها فقط والبعض الآخر قد ورد لعن صاحبه، ويعرف الفرق بينهما من له اهتمام بسنة الرسول ﷺ وطلب لها. وقد ذكرت الأدلة المصرحة بالتقبيح والأدلة المصرحة باللعن عند كل فعل منهي عنه ذكره الناظم.

المعنى الإجمالي للأبيات:

يتابع الناظم رحمه الله بيان الأمور المنكرة عند القبور، فيذكر منها جعل أستار عليها مصنوعة من شتى المنسوجات الفاخرة من صوف وديباج وحرير.

كذلك تشاهد الأعلام والرايات التي تحمل العبارات المنكرة ترفرف على القبور.

ثم يتساءل الناظم رحمه الله على وجه الإنكار من هذا الذي أباح لهم فعل هذه الأمور

(١) معارج القبول (٢/ ٥٣٦).

(٢) جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية (٢/ ٦٢٥).

المنكرة وقلبها وجعلها مباحة وهي محظورة قد نهى عنها الرسول المصطفى ﷺ، ولا أدلّ على قبحها من لعنه ﷺ لفاعلها كما هو معروف من سنته.

٤١٥ - كـم دنَّسُـوا قبـورَ أهـلِ الله	بـما حَكَـتْ عـن قبحِـهِ المناهي
٤١٦ - وزَعَمـوا تعظـيمهمْ للأوليـا	بـه وأهـلُ الله منـه أبْرِيَـا
٤١٧ - لأن أهـل الله مـن سـارُوا عـلى	سـبيلِ طـهَ المصـطفَى خَـيرِ المَـلاَ
٤١٨ - بسـيرةٍ محمـودةٍ مرضـيَّهْ	علـيهمُ الرضـوانُ والتحيَّـهْ
٤١٩ - قد أحسنوا في شرعةِ الدينِ الأدبْ	فحُـبُّهم لله دينًـا قـد وجـبْ

قوله: كم دنسوا قبور أهل الله.

يقصد التدنيس المعنوي بالشرك والبدع والمنكرات، والتدنيس الحسي بالذبح عندها وإقامة الموائد والأسواق، واختلاط الرجال بالنساء. ويبين أنه قد وقع التدنيس بنوعيه عند قبور الصالحين كثيرًا.

يقول مرعي بن يوسف[1] رحمه الله: «هذا وقد أفضى الحال إلى أن بعض القبور ربما اجتمع الناس عندها اجتماعات كثيرة... يقع في تلك الاجتماعات من المفاسد واللغط ورفع الأصوات والإنشاد والغناء والرقص والتصفيق واختلاط الرجال بالنساء والمردان، مع مهملات قبيحة لا ينبغي ذكرها، وكأن النبي ﷺ بهذا كلّه باطلاع الله له

(١)هو الإمام العلامة مرعي بن يوسف بن أبي بكر الكرمي المقدسي المصري الأزهري الحنبلي، ولد رحمه الله تعالى في بلدة طور كرم في فلسطين، ولم تشر كتب التراجم التي ترجمت له إلى تاريخ ولادته ولم تحدد عدد سني عمره عند وفاته حتى يتسنى معرفة تاريخ ولادته. رحل بعد ذلك إلى القاهرة التي كانت مركزا للعلم والعلماء يفد إليها طلاب العلم من كل حدب وصوب، فأخذ العلم عن كثير من علمائها ومشايخها في الفقه والحديث والتفسير حتى أصبح يشار إليه بالبنان في مكانته العلمية فتصدر للتدريس والإفتاء، وقد أخذ العلم عنه منصور البهوتي وغيره، توفي بالقاهرة .أنظر العلامة مرعي الحنبلي وآثاره العلمية، عبدالله الغفيلي، مجاة البحوث العلمية ٥٢/ ٣٣٧.

على ذلك؛ فننهى عن ذلك خوف المفسدة والفتنة»[1].

قوله: بما حكت عن قبحه المناهي.

فقد ذكر الجبرتي[2] كثيرًا من ذلك في تاريخه، منها قوله عن أحد هذه الموالد: «ينصبون خيامًا كثيرة وصواوين ومطابخ وقهاوي ويجتمع العالم من أخلاط الناس خواصهم وعوامهم وفلاحي الأرياف وأرباب الملاهي والملاعيب والغواني والبغايا... فيملئون الصحراء والبساتين فيطئون القبور ويتغوطون ويزنون ويلوطون ويلعبون ويرقصون ويضربون بالطبول والزمور ليلاً ونهارًا، ويجتمع لذلك الفقهاء والعلماء ويقتدي بهم الأكابر من الأمراء والتجار والعامة من غير إنكار، بل يعتقدون أن ذلك قربة وعبادة»[3].

قوله: وزعموا تعظيمهم للأولياء. يقصد أنهم يزعمون بتلك الأفعال عند القبور تعظيم أصحابها من الأولياء.

---

(١) شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور، مرعي بن يوسف الحنبلي، (ص: ١٠٣-١٠٤).

(٢)هو عبد الرحمن بن حسن الجبرتي: مؤرخ مصر، ومدون وقائعها وسير رجالها، في عصره.ولد في القاهرة وتعلم في الأزهر، وجعله (نابليون) حين احتلاله مصر من كتبة الديوان.وولي إفتاء الحنفية في عهد محمد علي.وقتل له ولد فبكاه كثيرا حتى ذهب بصره، ولم يطل عماه فقد عاجلته وفاته، مخنوقا.وهو مؤلف (عجائب الآثار في التراجم والأخبار - ط) أربعة أجزاء، ويعرف بتاريخ الجبرتي، ابتدأه بحوادث سنة ١١٠٠ هـ وانتهى سنة ١٢٣٦ هـ، وله (مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس - ط) الأعلام للزركلي ٨/ ٣٢٦.

(٣) تاريخ الجبرتي (١/ ٣٠٤).

ومن الأمثلة على زعمهم ما قاله النابلسي[(١)]: «ومن تعظيم الأولياء بناء القبب على قبورهم، والستور والثياب عليها؛ لأنهم أفضل من الكعبة، وكسوة الكعبة أمر مشروع، ومن تعظيم الأولياء إيقاد القناديل والشموع عند قبورهم، وكذا وضع اليدين على القبور والتماس البركة من مواضع روحانيات الأولياء؛ ومن تعظيمهم نذر الزيت والشمع للأولياء لتوقد عند قبورهم وكذا نذر الدراهم والدنانير للأولياء»[(٢)].

ويزعمون أيضاً أن محبة المسلمين واجبة وكذا احترامهم وخاصة إذا كانوا أنبياء وأولياء، وهذا يدعو إلى بناء القباب على قبورهم والمشاهد[(٣)].

الرد عليهم:

قال البركوي رحمه الله مبيناً مفاسد هذه الذريعة ومحققاً أن هذه الذريعة أعظم سبب للوثنيين وأصل عبادة الأصنام: «وأعظم الفتنة بهذه الأنصاب فتنة أصحاب القبور، وهي أصل فتنة عباد الأصنام كما قال السلف من الصحابة والتابعين؛ فإن الشيطان ينصب لهم قبر رجل معظم يعظمه الناس، ثم يجعله وثناً يعبد من دون الله؛ ثم يوحي إلى أوليائه: أن من نهى عن عبادته واتخاذه عيداً وجعله وثناً قد تنقصه وهضم حقه؛

---

(١) هو: عبدالغني بن إسماعيل بن عبدالغني الدمشقي النابلسي- الحنفي النقشبندي القادري، أديب صوفي له مشاركة في أنواع العلوم، ولد بدمشق سنة (١٠٥٠هـ)، وتوفي بها سنة (١١٤٣هـ)، وخلف مصنفات كثيرة جداً منها: «الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية»، و«جواهر النصوص في حل كلمات الفصوص» شرح لفصوص الحكم لابن عربي في جزئين، و«ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الحديث» فهرس لكتب الحديث الستة، و«جواب عبدالغني النابلسي في حكم شطح الولي». انظر: جامع كرامات الأولياء (٢/ ١٩٤). والأعلام (٤/ ٣٢). ومعجم المؤلفين (٥/ ٢٧١).

(٢) جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية (٢/ ٦٢٥).

(٣) شفاء الصدور (ص: ١١٧).

فيسعى الجاهلون في قتله وعقوبته، ويكفرونه؛ وما ذنبه إلا أنه أمر بما أمر به الله تعالى ورسوله ﷺ، ونهى عما نهى الله ورسوله»(١).

ويقول المعلمي(٢) رحمه الله في الرد عليهم: «إن هذا الإطلاق – محبة المسلمين واجبة علينا وكذا احترامهم – مقيّد بما أذن به الشرع، فلا يقول قائل مسلم: إنه يستحب حبهم واحترامهم في معصية الله تعالى»(٣).

والثابت أن السلف كانوا أشد الناس تعظيمًا وحبًا لرسول الله ﷺ وكانوا ينهون عن ذلك وينكرون على الفاعل بما يستطيعون. كما أنكر سعيد بن المسيّب رحمه الله على الوليد بن عبدالملك إدخال قبر النبي ﷺ في المسجد(٤).

قوله: وأهل الله منه أبريا.

فإنهم يكرهون ذلك التعظيم ويحذرون منه، وعلى رأسهم سيد الأولياء محمد ﷺ فإنه في آخر حياته كما بيّنا(٥) حذر من اتخاذ القبور مساجد، ودعا الله عز وجل أن لا يجعل قبره وثنًا يعبد.

وهذا أبو هريرة رضي الله عنه أوصى أن لا يضربوا على قبره فسطاطًا، وكذلك ورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مثله(٦).

---

(١) زيارة القبور (ص: ٧٩).

(٢) هو عبد الرحمن بن يحيى المعلمي العتمي، فقيه من العلماء، نسبته إلى (بني المعلم) من بلاد عتمة، باليمن، ولد سنة ١٣١٣ هـ، وتوفي سنة ١٣٨٦ هـ. انظر ترجمته في الأعلام للزركلي (٣/ ٣٤٢). ومعجم المؤلفين المعاصرين (ص:٣٣٨-٣٣٩).

(٣) نقلاً عن القبورية (ص: ١١٨).

(٤) تحذير الساجد عن اتخاذ القبور مساجد (ص: ٧٤).

(٥) في البيت رقم :٤٠٧.

(٦) مصنف ابن أبي شيبة (٣/ ٢٣، ح١١٧٤٨). ومصنف عبد الرزاق (٣/ ٤١٨، ح٦١٥٤).

قوله: لأن أهل الله من ساروا على.

قوله: أهل الله. لم يرد وصف الأولياء بهذا الوصف، ولكن وردوصف أهل القرآن بأنهم (أهل الله وخاصته) كما في حديث: {أهل القرآن هم أهل الله وخاصته}(١).

ودخول ذلك وارد؛ لأن من مقتضيات وأسباب محبة الله الموصلة إلى الولاية الإكثار من تلاوة القرآن وتدبره، كما في حديث الولي المتقدم: {ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه......} (٢) الحديث.

وهنا يعلل الناظم سبب براءة الأولياء – أهل الله – من هذا التعظيم، ذلك لأنهم يسيرون في كل أمورهم على درب الرسول ﷺ خير الأولياء وخير الناس، وسيرتهم التي نقلها الثقات لنا سيرة يحمدهم الله ﷻ ورسوله والناس عليها ويرضاها كذلك الله عنهم، ومن سيرتهم المحمودة المرضية الأدب مع الله ﷻ ومع شرعه، فلا يعظمون غير الله ﷻ ولا يدعون لأنفسهم العظمة.

قوله: سبيل طه المصطفى خير الملا.

السبيل: هو الطريق، ويقصد به هنا سنة الرسول ﷺ.

وطه: يقصد به النبي ﷺ ولم يرد تسميته (بطه) كما بيّنت ذلك في البيت (رقم: ٣٦٥).

والمصطفى: الذي اصطفاه الله برسالته من بين الناس بمعنى اختاره.

---

(١) مسند أحمد (٣/ ١٢٧، ح١٢٣٠١). وسنن النسائي الكبرى (٥/ ١٧، ح٨٠٣١). والمستدرك للحاكم (١/ ٧٤٣، ح٢٠٤٦). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢١٦٥).

(٢) تقدم تخريجه (ص: ٨٦).

فإنّ الله ﷻ يصطفي لرسالته من كان خيار قومه في النسب. [1]

قال رسول الله ﷺ: {أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، إنّ الله تعالى خلق الخلق فجعلني في خيرهم، ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم فرقة، ثمّ جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة، ثمّ جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً، فأنا خيركم بيتاً، وخيركم نفساً} [2].

وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: {إنّ الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم} [3].

قوله: بسيرة محمودة مرضية.

يقصد أنهم مع اقتفائهم لسنة النبي ﷺ كذلك هم محمودي السيرة مرضي عنهم. كما قال تعالى عنهم: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ [4].

قوله: قد أحسنوا في شرعة الدين الأدب.

أي: من صفات هؤلاء الأولياء أيضًا الأدب مع أحكام الشريعة فلا يتجاوزونها أبدًا، بل يقفون عندها. وسأبيّن ذلك في نهاية فصل التصوف المحمود في البيت رقم: ٤٩٨ عند قوله: مؤدباً بأدب الشريعة، والبيت رقم ٥٢٨ عند قوله: وسر على نهج النبي وسيره.

قوله: فحبهم لله دينا قد وجب.

---

(١) انظر: الرسل والرسالات (ص: ٨٢).

(٢) رواه الترمذي (٢/ ٢٢، ح٣٦٠٧)، وقال حديث حسن صحيح.

(٣) تقدم تخريجه (ص:٣٠١).

(٤) [البينة:٨].

وذلك لأنهم قد اتصفوا بالصفات التي يحبها الله عز وجل ومنها حسن الاتباع لشرع الله، فلم يعظموا غير الله ولا طلبوا ذلك لأنفسهم ولا رضوا به.

ولأن الحبّ في الله تعالى متفرع عن حب الله تعالى، فهو من لوازمه ومقتضياته.

قال الرسول ﷺ: {أوثق عرى الإيمان: الحب في الله والبغض في الله}[1]، وفي حديث آخر قال ﷺ: {من أحب في الله وأبغض في الله وأعطى لله ومنع لله؛ فقد استكمل الإيمان}[2].

وقال الشيخ صالح الفوزان[3] حفظه الله: «فإنه بعد محبة الله ورسوله تجب محبة أولياء الله ومعاداة أعدائه فمن أصول العقيدة الإسلامية أنه يجب على كل مسلم يدين بهذه العقيدة أن يوالي أهلها ويعادي أعداءها، فيحب أهل التوحيد والإخلاص ويواليهم، ويبغض أهل الإشراك ويعاديهم، ... فقد أوجب سبحانه موالاة المؤمنين ومحبتهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾[4]»[5].

(١) تقدم تخريجه (ص: ٣٥٥).

(٢) سنن أبي داود (٤/ ٢٢٠، ح٤٦٨١). والمستدرك للحاكم (٢/ ١٧٨، ح٢٦٩٤)، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه". والمعجم الأوسط للطبراني (٩/ ٤١، ح٩٠٨٣). وصححه الألباني في الصحيحة (ح٣٨٠).

(٣) هو: الشيخ صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان، عضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء وعضو هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، له مناشط علمية ودعوية بارزة، وصنف مؤلفات كثيرة، أنظر: مجلة الإفتاء التابعة للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية (١٤/ ١١٢)..

(٤) [المائدة:٥٥-٥٦].

(٥) الولاء والبراء في الإسلام.. للفوزان (١/ ١٢).

وقال أيضاً - وفقه الله - : «الناس في الولاء والبراء على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من يحب محبة خالصة لا معاداة معها، وهم المؤمنون الخلّص من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين.

وفي مقدمتهم رسول الله ﷺ فإنه تجب محبته أعظم من محبة النفس والولد والوالد والناس أجمعين.

ثم زوجاته أمهات المؤمنين وأهل بيته الطيبين وصحابته الكرام — خصوصًا الخلفاء الراشدين وبقية العشرة والمهاجرين والأنصار وأهل بدر وأهل بيعة الرضوان ثم بقية الصحابة رضي الله عنهم.

ثم التابعون والقرون المفضلة وسلف هذه الأمة وأئمتها.... »[(١)].

المعنى الإجمالي للأبيات:

يبيّن الناظم رحمه الله للمريد الأسباب التي تجعل هذه الأفعال منكرة، غير نهيه ولعنه ﷺ لفاعلها.

فيذكر منها: تدنيس قبور المؤمنين أولياء الله، وكم حُكي من هذا التدنيس الشيء الكثير، وهم يزعمون بأفعالهم هذه تعظيم الأولياء، ولاشك أن أولياء الله وعباده المؤمنين من أهل القبور أبرياء من هذه الأفعال الشنيعة المنكرة ولا حيلة لهم في دفعها؛ لأن من أبرز صفات أولياء الله الاتباع لسبيل وسنة خير خلق الله محمد ﷺ والسير على نهجه سيرًا محمودًا يحمده الناس عليهم ويرضاه الله عز وجل عنهم، وعليهم منّا الترخّي وأطيب التحايا. وهم في جميع عباداتهم قد أحسنوا الأدب مع الشرع، لذلك نحن

---

(١) الولاء والبراء، (١/ ١٢، ١٥).

نحبهم ونجلّهم ونرى ذلك واجباً علينا.

٤٢٠ - ومـن أحـبَّ أولياءَ الله أجلَّهـمْ عـن هـذهِ المنـاهي
٤٢١ - ولم يصـدِّقْ كاذِبًا مـزوِّرا علـيهمُ مـا لـيسَ مَرضـيًّا يُـرى
٤٢٢ - أو كاسـبًا رزقًـا مـن الزيـارهْ لأنهـا في سُـوقِهِ تجـارَهْ
٤٢٣ - ولا يبـالي بـالأمورِ المنكـرَهْ وفاعليهـا عنـدَه في المقـبرَهْ

قوله: أجلّهم عن هذه المناهي. فإن الإجلال من مقتضيات الحب،ومن إجلالهم أن يظن بهم خيرًا وأنهم لا يرضون بهذه المنكرات وهذه البدع على رؤوسهم، ولو كان لهم قدرة لأنكروها كما أنكروها في حياتهم؛ لأنه يعلم أن أولياء الله عزَّ وجلَّ حقيقة هم المتبعون لشرعه الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر.

ومن إجلالهم أيضًا أن ينزه قبورهم عن المنكرات الظاهرة فينكرها ويرفعها عنهم، يقول ابن القيم رحمه الله: «واحترام الميت في قبره بمنزلة احترامه في داره التي كان يسكنها في الدنيا. فإكرام هذه المنازل واحترامها من تمام محاسن الشريعة كما هو ظاهر»(١).

ويقول أيضاً رحمه الله: «ولا تحسب آية المنعم عليه باتباع صراط الله المستقيم أن النهي عن اتخاذ القبور أوثانًا.... غض من أصحابها، ولا تنقيص لهم، ولا تنقص، كما يحسبه أهل الإشراك والضلال، بل ذلك من إكرامهم، وتعظيمهم، واحترامهم، ومتابعتهم فيما يحبونه، وتجنب ما يكرهونه، فأنت والله وليّهم ومحبهم، وناصر طريقتهم وسنتهم، وعلى هديهم ومنهاجهم»(٢).

قوله: ولم يصدق كاذبًا مزورًا. يقصد بهم ما ذكرهم سابقًا من الكتاب الذين

(١) تهذيب السنن، ابن القيم، (٢/ ١٦٨).
(٢) إغاثة اللهفان (١/ ٢١٣).

تصدّوا لجمع خوارق الأولياء وكراماتهم، ولم يهتموا بجمعهم تحري الصحيح، بل إن كثيراً منهم قد تعمد التلفيق والتزوير في القصص على أولئك الأولياء مما أوقعهم في نسبة الباطل إليهم، وقد ذكرنا من هذه التلفيقات وهذا الزور الشيء الكثير في فصل الغلو.

قوله: أو كاسبًا رزقًا من الزيارة. يشير هنا إلى الصنف الثاني من المفترين على الأولياء القصص الباطلة من الخوارق والكرامات الساعين على إقامة البدع المنكرة على القبور؛ لأنهم جعلوا هذا الأمر مصدر رزق لهم، فإنهم يحرصون على صناديق النذور، وعلى كثرة الحاضرين لهذه البدع، فتقام الأسواق لصالح أولئك الطرقيين فيكسبون من وراء هذه الاجتماعات المكاسب المالية الكبيرة.

قوله: ولا يبالي بالأمور المنكرة. لأن همه الدنيا وجمع المال والأتباع وتتبع الشهوات، لذلك هو لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا، وهذه هي صفة أهل الأهواء والشهوات من مشايخ الطرق.

المعنى الإجمالي للأبيات:

يهدي الناظم رحمه الله المريد إلى أن من مقتضيات حب أولياء الله أن نجلّهم ونرفع قدرهم عن تجويز مثل هذه القبائح المنكرة أو الرضا بها، ولا نصدق في ذلك الكذابين المزورين على أولياء الله الجواز والرضا عن هذه القبائح غير المرضية. وكذلك لا نصدّق المتكسبين من الزيارات المنكرة المتخذينها سوقًا وتجارة، غير مبالين بما يحدث في هذه الاجتماعات من أمور منكرة وما جمعته من فاعلين للمناكر.

٤٢٤ - ولـو يَـرَى هـذا الـوليْ الـزُّوَّارا	لانفـضَّ مـن فسـادِهمْ فِـرارا
٤٢٥ - فكـم حـوتْ مـن فاسقٍ وفـاجرِ	ومـاردٍ غـاوٍ خبيـثٍ مـاكرِ
٤٢٦ - وجمعـتْ خبائـثَ النسـاءِ	يسـلبن بـين الجمـع قلـبَ الرَّائـي
٤٢٧ - وكَـمْ وكَـمْ فيهـا مـن المنـاكرِ	كشـربِ خمـرٍ وقِمـارٍ ظـاهرِ
٤٢٨ - وضـربِ عـودٍ ثـم رقصِ الأَمْـردِ	وقـبحِ فعـلٍ حـول ذاك المشـهدِ
٤٢٩ - وفي اخـتلاطِ الجمـعِ عنـد القـبرِ	يـذوبُ منـه قلـبُ كـلِّ حـرِّ
٤٣٠ - تـرى الرجـالَ والنسـا مُردحمَـهْ	مصـيبةٌ ي الـدين أضـحتْ مؤلمـهْ

قوله: لانفض من فسادهم فرارا.

فإن من صفات الأولياء البعد عن المنكرات والفرار من مواطن الفتن، كما أخبر تعالى عن صفات المؤمنين: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾(١).

وصور الفساد عند القبور لا تنحصر، يقول ابن القيم رحمه الله: «ثم إن في اتخاذ القبور أعيادًا من المفاسد العظيمة التي لا يعلمها إلا الله تعالى ما يغضب لأجله كل من في قلبه وقار لله تعالى وغيرة على التوحيد.

فمن مفاسدها.... هذا ولم نتجاوز فيما حكيناه عنهم ولا استقصينا جميع بدعهم وضلالهم؛ إذ هي فوق ما يخطر بالبال أو يدور في الخيال»(٢).

وذكرنا أمثلة أخرى على هذا الفساد عند قوله: كم دنسوا قبور أهل الله في البيت (رقم: ٤١٥).

---

(١) [القصص:٥٥].

(٢) إغاثة اللهفان (١/ ١٩٣-١٩٥).

قوله: فكم حوت من فاسق وفاجر ومارد ....

الفاسق معناه في كلام العرب الخارج عن الإيمان إلى الكفر، وعن الطاعة إلى المعصية. أخذ من قولهم: قد فسقت الرطبة: إذا خرجت من قشرها(١).

أما الفاجر: فهو المائل والفجور الميل ولذلك قيل للكاذب فاجر لأنه مال عن الصدق(٢).

والمارد: هو المتطاول بالكبر والمعاصي؛ ومنه قوله: مردوا على النفاق أي: تطاولوا. ومرد على الشر وتمرد أي عتا وطغى(٣).

والخبيث: ضد الطّيب من الرزق وَالْولد. ورجل خَبِيث: رَدِيء الْمَذْهَب(٤).

والخبيث: ذو الخبث في نفسه، والمخبث: الذي أصحابه وأعوانه خبثاء(٥).

والماكر: من المكر وهي الاحتيال والخديعة(٦).

والغي: الضلال والانهماك في الباطل(٧).

ويقصد الناظم ﷺ بالفاجر هنا: الذي يبحث عن الفجور سواء بالنساء أو بالمردان.

وبالمارد: الذي تمرد على الشرع وبعد عنه(٨).

---

(١) معاني القرآن (٢ / ١٤٧).

(٢) غريب الحديث لابن قتيبة (١/ ٢٥٠).

(٣) لسان العرب (٣/ ٤٠٠).

(٤) جمهرة اللغة (١/ ٢٥٨).

(٥) الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ١٣٩).

(٦) الصحاح تاج اللغة (٢/ ٨١٩).

(٧) تاج العروس (٣٩/ ٢٠٣). النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٣٩٧).

(٨) انظر: النهاية في غريب الأثر (٤/ ٦٦٨).

وبالغاوي: الذي يغوي الجهال والنساء والمردان ويستغل ضعفهم.

والخبيث: الذي أصبح مجمعًا لكل خبث.

وبالماكر: الذي يتصيّد هؤلاء الضعفة ويمكر بهم لأغراضه الدنيئة من شهوات أو تنفيق سلعة.

فقد أصبحت منكرات الأخلاق عنوان الاجتماع عند القبور سواء في الموالد أو في غيرها من المناسبات، يقول الجبرتي عن أحد هذه الموالد: «ويجتمع العالم من أخلاط الناس خواصهم وعوامهم وفلاحي الأرياف وأرباب الملاهي والملاعيب والغواني والبغايا... فيملئون الصحراء والبساتين فيطئون القبور ويتغوطون ويزنون ويلوطون ويلعبون ويرقصون ويضربون بالطبول والزمور ليلاً ونهارًا»(١).

قوله: يسلبن بين الجمع قلب الرائي.

السلب: هو الأخذ بخفة وخلسة.

والجمع: أي جموع الناس.

وكل ذلك بسبب التبرّج والسفور وإظهار الزينة وارتفاع أصواتهن بالغناء والنياح.

قوله: وضرب عود.

العود آلة مصنوعة من خشب لها أوتار يضرب عليها المغني بقضيب صغير من ريش ونحوه. وضرب العود هو المشتهر قديمًا من آلات الطرب، وخاصة في القطر اليماني وهناك أدوات أخرى تستعمل كالطبل والمزمار وغيره.

---

(١) تاريخ الجبرتي (١/ ٣٠٤).

قوله: ورقص الأمرد.

الأمرد: الصبي الذي لم ينبت شعر وجهه أو خلا من الشعر.

واتخاذ المردان للغناء والرقص من أقبح ما تميزت به الصوفية.

قوله: وقبح فعل حول ذاك المشهد.

كما ذكر الجبرتي سابقاً: «فيزنون ويلوطون» ودواعيهما من الضم واللمس.

قوله: يذوب منه قلب كل حر.

لما اشتملت عليه هذه الاجتماعات من منكرات تثير غيرة المؤمن على دينه وعلى سنة نبيه ﷺ، وتجعله يحزن ويذوب قلبه كمداً[(١)].

قوله: مصيبة في الدين أضحت مؤلمة. يقول الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله: «فأي فاقرة على الدين أصعب من هذه الأفعال، وهل جنى الأخابث على الدين أعظم من هذا الضلال، وهل استطاع الأعداء من هدم قواعد الدين ما هدمه هؤلاء الضلال، وهل تلاعب الشيطان بأحد ما تلاعب بهؤلاء الجهال، فأي مناف للتوحيد وأي مناقض له أقبح من هذا الشرك والتنديد»[(٢)].

المعنى الإجمالي للأبيات:

يتوقع الناظم رحمه الله أنه لو قُدّر أن يقوم صاحب القبر من قبره ويرى الزوار حوله وهم مجتمعون على الفساد والإفساد والبدع والمنكرات لفرّ من قبره من هول ما يرى من فساد ومنكرات وشرك وبدع.

---

(١) الكمد: لغة: يطلق على: تغير اللون وذهاب صفائه، والحزن الشديد، ومرض القلب منه. انظر: القاموس المحيط (ص: ٣١٥). الصحاح للجوهري (٢/ ٤٦٤).

(٢) معارج القبول (٢/ ٥٣٦).

فكم حوت هذه الاجتماعات من مناكر كثيرة، منها: شرب الخمر والقمار الواضح البيّن والغناء المحرم بآلات الموسيقى كالضرب بالعود، وكذلك رقص المردان وأفعال قبيحة تتصل بهم وبالنساء حول المكان. وكذلك اختلاط الرجال بالنساء وتلاصق أجسادهم من شدة الزحام.

ولا يسع كل حرّ غيور على دينه إلا أن يذوب قلبه من هذه المناكر، وقد أضحت هذه الاجتماعات والمنكرات مصيبة على كل مسلم في دينه.

٤٣١ - فليتَ شعري من أباحَ المنكرا — حولَ القبورِ ظاهراً كما تَرَى
٤٣٢ - فنزِّهوا القبور من السَّفَهْ — ولا تَزُوروها على هذي الصِّفهْ
٤٣٣ - ولا تزوروا قبرَ كلِّ مسلمِ — بفعل شيءٍ منكر محرَّمِ
٤٣٤ - وإنما الزيارةُ المرضيَّهْ — ما بيَّنتها السُنةُ السَّنيَّهْ
٤٣٥ - من السلام ودعاءِ الزائرِ — للمؤمنين من ذوي المقابرِ
٤٣٦ - وازداد فيها الزائرُ اعتبارا — بساكني الأجداثِ حين زارا

قوله: فليت شعري من لهم أباح المنكرا.

سبق بيان معنى ليت شعري والمبيح لهذه المنكرات والمستفيد منها في البيت (رقم: ٤١٣).

وهم دعاة الضلالة وعلماء السوء من مشايخ الطرق وغيرهم.

قوله: فنزهوا القبور من السفه.

سواء كان هذا السفه من البدع أو من المنكرات أو غيرها.

فعن بشير بن الخصاصية ﵁ قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ فمر على قبور المسلمين فقال: «لقد سبق هؤلاء شرًا كثيرًا» ثم مر على قبور المشركين فقال: «لقد سبق هؤلاء خيرًا كثيرًا» فحانت منه التفاتة فرأى رجلاً يمشي بين القبور في نعليه، فقال: «يا صاحب السبتيتين ألقهما»[(١)].

---

(١) «سنن النسائي» (٤/ ٩٦) واللفظ له. ورواه أيضًا ابن ماجه (١٥٦٨) وأحمد (٥/ ٨٣ و ٨٤ و ٢٢٤) وابن حبان (٧/ ٤٤٢) والحاكم (١/ ٥٢٩) والبيهقي (٤/ ٨٠) وأبو داود الطيالسي في «مسنده» (٢/ ١٥٣) رقم (١١٢٤). وحسنه الألباني رحمه الله. ومن عجائب ابن حزم رحمه الله أنه قال: إن ذلك يحرم إذا كانت النعال سبتية ويجوز بغيرها!!، قال الحافظ ابن حجر: وهذا جمود منه. ينظر «الفتح» (٣/ ٢٠٦).

ويقول شيخ الإسلام رحمه الله: «فإن القبر يحترم عند جمهور العلماء، ولا يجاور بما يؤذي الأموات من الأقوال والأفعال الخبيثة[1]».

قوله: ولا تزوروها على هذي الصفه. يقصد الزيارة الشركية البدعية، وما يتبعها من أعمال مشينة.

قال شيخ الإسلام رحمه الله عن تلك الزيارة:"الزيارة الممنوعة، وهي أيضاً نوعان:

١- منها ما هو بدعة فقط: ولم تصل إلى حد الشرك كزيارة القبور لدعاء الله تعالى عندها، أو الطواف عليها، وسؤال الله عندها من باب التبرك بهذا القبر لا من جهة سؤال صاحب القبر من دون الله، أو قراءة القرآن عندها لإيصال ثواب القراءة للميت، فهذه من البدع التي قد تكون من كبائر الذنوب التي يخشى على صاحبها أن يقع في الشرك.

٢- زيارة بدعية شركية: وهي زيارة القبور من أجل دعاء أصحابها من دون الله تعالى، والاستغاثة والاستعانة بهم، وسؤالهم النصر والمدد، والعافية، وشفاء المرض، وتفريج الكربات. فهذا ليس بمشروع باتفاق المسلمين، وهي زيارة مأخوذة من عبادة الأصنام[2].

وقال أيضاً رحمه الله «فالزيارة البدعية مثل قصد قبر بعض الأنبياء والصالحين للصلاة عنده أو الدعاء عنده، أو به، أو طلب الحوائج منه، أو من الله تعالى عند قبره، أو الاستغاثة به، أو الإقسام على الله تعالى به، ونحو ذلك هو من البدع التي لم يفعلها أحد من الصحابة، ولا التابعين لهم بإحسان، ولا سن ذلك رسول الله ﷺ ولا أحد

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦٦٥).

(٢) مجموع الفتاوى (١/ ١٦٥).

من خلفائه الراشدين، بل قد نهى عن ذلك أئمة المسلمين الكبار»[1].

قوله: وإنما الزيارة المرضية.

ينتقل الناظم هنا إلى بيان الزيارة المشروعة التي رضيها الشرع لما تحققه من مصالح، وقد بينها شيخ الإسلام ﵀ بقوله: « فالزيارة الشرعية: السلام على الميت، والدعاء له »[2].

وقال أيضًا موضحًا زيارة السلف لقبر النبي ﷺ: «كانوا يأتون فيصلون في مسجده ويسلمون عليه في الصلاة ويسلم من يسلم عند دخول المسجد والخروج منه، وهو ﷺ مدفون في حجرة عائشة ﵂ فلا يدخلون الحجرة ولا يقفون خارجاً عنها في المسجد عند السور»[3].

وسيأتي مزيد توضيح لها في البيت (رقم: ٤٥٨) من هذا الفصل.

قوله: ما بينتها السنة السنيّة من السلام.........

ودليله ما ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ كان يعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقولوا: {السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية}[4].

قوله: وازداد فيها الزائر اعتبارا... بساكني الأجداث.

وهو أعظم مقاصد زيارة القبور. والأجداث هي: القبور.

(١) الفتاوى الكبرى (٣/ ٤٢ وما بعدها).

(٢) مجموع الفتاوى (١/ ١٦٥).

(٣) الجواب الباهر في زوار المقابر ضمن مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (٣٥/ ١٨).

(٤) صحيح مسلم (٢/ ٦٧٠، ح٩٧٥).

والناظم يشير إلى حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: {إني كنت نهيتكم عن زيارةالقبور فزوروها فإنها تذكر الآخرة}[(1)].

وحديث بريدة بن الحصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ{إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكر الموت}[(2)].

المعنى الإجمالي للأبيات:

يتساءل الناظم رحمه الله مرة أخرى على وجه الإنكار عن الذي أباح لهم هذه المنهيات وهذه المنكرات التي قد ظهر فسادها؟

ثم يوجه المريدين إلى أن ينزهوا القبور من هذه السفاهات والمنكرات، ولا يزوروها على هذه الصفة من الزيارة الشركية أو البدعية، وكذلك نهاهم عن فعل أي شيء منكر محرم عند قبر أي مسلم، سواء كان وليًا أو لم يكن.

ثم وجه أنظارهم إلى الزيارة المرضية عند الله وعند أولياء الله، وهي ما بينتها السنة المشرقة الواضحة من السلام على أصحاب القبور والدعاء لهم، وزادته هذه الزيارة اعتبارًا بحال هؤلاء الموتى المقبورين ومآلهم.

(١) تقدم تخريجه (ص: ٤٨٨).

(٢) تقدم تخريجه (ص: ٤٨٨).

٤٣٧ - وإنـــما مَضــــرةُ الإســـلامِ ممـــن يَغـــرُّ النـــاسَ بالأوهـــامِ
٤٣٨ - كعـــاكفٍ في مشـــهدِ المـــزورِ يغـــرُّ أهـــلَ الجهـــلِ بـــالتزويرِ
٤٣٩ - يزخـــرفُ المقـــالَ زورًا وافـــترا ومثبتًـــا مـــا كـــان منهيًـــا يُـــرَى
٤٤٠ - حتَّـــى يـــراه النـــاسُ ذا مقـــامِ قـــد فـــاقَ فضـــلاً ســـائرَ الأنـــامِ

قوله: وإنما مضرة الإسلام.

يوضح الناظم هنا أن أشد الناس ضرراً على الإسلام هم أئمة الضلال، فهم سبب انتشار الفتنة بأصحاب القبور.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وهذا - يقصد تعظيم المشاهد - إنما ابتدعه وافتراه في الأصل قوم من المنافقين والزنادقة ليصدوا به الناس عن سبيل الله، ويفسدوا عليهم دين الإسلام، وابتدعوا لهم أصل الشرك المضاد لإخلاص الدين لله..ولهذا صنف طائفة من الفلاسفة الصابئين المشركين في تقرير هذا الشرك ما صنفوه، واتفقوا هم والقرامطة الباطنية على المحادة لله ورسوله حتى فتنوا أمماً كثيرة وصدوهم عن دين الله. وأقل ما صار شعاراً لهم تعطيل المساجد وتعظيم المشاهد، فإنهم يأتون من تعظيم المشاهد وحجها والإشراك بها ما لم يأمر الله به ولا رسوله، بل نهى الله عنه ورسوله عباده المؤمنين»[(١)].

قوله: ممن يغر الناس بالأوهام.

يقصد الناظم هنا بالأوهام أن الولي صاحب القبر يتصرف في الكون، ويشفي الأمراض، ويرزق الولد، وغير ذلك مما هو وهم مستحيل لا يقدر عليه إلا الله عز وجل وحده، كما بيّنته سابقًا في فصل الغلو المذموم، في الأبيات رقم:٣٥٢-٣٥٦

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٥١٧).

قال الشيخ سليمان بن عبدالله آل الشيخ(١) رحمه الله: «فمن كان على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه فهو من الأئمة المهديين ومن خالفهم فهو من الضالين، كالذي يقول لأصحابه: من كانت له حاجة فليأت إلى قبري فإني أقضيها له، ولا خير في رجل يحجبه عن أصحابه ذراع من تراب أو نحو هذا»(٢).

ويقول أيضًا رحمه الله: «والضابط في الفرق بين أئمة المتقين وبين الأئمة المضلين قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾(٣)، فافهم عن ربك وكن على بصيرة ولا يغرك جلالة شخص أو عظمته في النفوس، فربك أعظم، واتباعك لكلامه وكلام رسوله ﷺ هوالفرض، والعصمة منتفية عن غير الرسول، وربك أدرى بما في الضمائر، فرب من تعتقده إمام هدى ليس كذلك، وقد قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾(٤)، فكل من أتى بشيء يخالف ما جاء عن الله وعن رسوله فهو من أهواء الذين لا يعلمون، ومن لم يستجب للرسول ﷺ فإنما يتبع هواه، قال الله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾(٥)، وقال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا

---

(١) سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب آل الشيخ، فقيه سلفي من أهل نجد، من حفدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ولد بالدرعية عام ١٢٠٠هـ. كان بارعا في التفسير والحديث والفقه، من كتبه "تيسير العزيز الحميد"، "أوثق عرى الإيمان". أنظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون ٢/ ٣٤١.

(٢) تيسير العزيز الحميد (١/ ٣٢٦).

(٣) [آل عمران: ٣١-٣٢].

(٤) [الجاثية: ١٨].

(٥) [القصص: ٥٠].

تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾[١][٢].

قوله: كعاكف في مشهد المزور.

هذه صفة هؤلاء المضلّين من مشايخ الطرق وغيرهم، فإنه لا شغل لهم سوى هذه المشاهد، والعكوف عندها لأنها تُدِر عليهم أموالاً طائلة وجاهًا وشهرة، وعمله هو تضليل الزائرين بالكرامات المزعومة، أو المختلقة لوليهم.

يقولون في فضل الطواف حول قبر أبي الحسن الشاذلي : "من طاف بقبرأبي الحسن الشاذلي سبع مرات كانت له عمرة، ومن طاف به عشر مرات كانت له حجة، ولا يلزمه الذهاب إلى مكة " [٣]

كل هذه الفضائل ليكثر الزائرون وتلقى الأموال والنذور على القبر ثم يجمعها مشايخ الطرق

قوله: يغر أهل الجهل بالتزوير.

قال الأصمعي[٤]: التزوير إصلاح الكلام وتهيئته.

والتزوير: فعل الكذب والباطل. والتزوير: التحسين، والمزور من الكلام والخط: المحسن[١].

---

(١) [الأعراف:٣].

(٢) تيسير العزيز الحميد (١/ ٣٢٧).

(٣)أولياء الشاذلية، مسرور الشذلي ، ص١٢

(٤) هو عبد الملك بن قُرَيب بن عبد الملك الأصمعي، أبو سعيد، صاحب اللغة والنحو والغريب والأخبار والملح، ولد سنة ١٢٢ أو ١٢٣ هـ، وقيل إنه توفي سنة ٢١٤هـ. انظر ترجمته في وفيات الأعيان (٣/ ١٧٠-١٧٦).

أي: عمله تضليل الزائرين الجهلاء والتغرير بهم بالكرامات المزعومة واختلاقها لأوليائهم والاجتهاد في زخرفة القول لإثبات بدعه.

وفي البيت كسر واضح بين صدره (المزوّر) وعجزه (التزوير).

قوله: حتى يراه الناس ذا مقام. أي: هدفه من زخرفة القول التفاخر أمام هؤلاء الجهال ليعظم في عيونهم فيتبعونه في باطله.

المعنى الإجمالي للأبيات:

يهدي الناظم ﷺ المريد إلى خطر هؤلاء المشايخ الطرقيين، ويبيّن أنهم سبب الضرر الحاصل على الإسلام، واصفًا إياهم بأخطر صفاتهم البارزة: التغرير بالناس الجهال بالأوهام الزائفة.

ثم يصرح الناظم بهؤلاء المفسدين للدين ويبيّن مكان تواجدهم عاكفين عند المشاهد المكذوبة فضائلها يصطادون الجاهلين مزورين لها بالفضائل ولأصحابها بالمكارم.

مستخدمين في ذلك التزوير زخرف القول وأحلاه، والكذب والافتراء وقلب الحقائق، فيُقبل الناس على تلك المقامات والمشاهد ويعظمون أصحابها ويغلون فيهم وينزلونهم أعلى المنازل.

---

(١) الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٤٨٧).

٤٤١ - فكم أحلُّوا من حرامٍ ظاهرِ	ولم يخافوا هولَ يوم آخرِ
٤٤٢ - كقولهم إن تراب القبرِ	فيه الشفاءُ من جميعِ الضر
٤٤٣ - فيأكل الزائرُ من ترابِهِ	ليشتفيْ المغرورُ من مُصابِهِ
٤٤٤ - أضافَ أسقامًا إلى أسقامِهِ	وازداد آلامًا على آلامِهِ
٤٤٥ - وحَبَّبوا مسحَ الوجوهِ بالخِرقْ	تبرُّكًا لأجل قولٍ مختلقْ

قوله: فكم أحلّوا من حرام ظاهر.

ينتقل الناظم هنا إلى بيان بعض ما أحلوه من حرام ظاهر الحرمة لتظاهر الأدلة على تحريمه.

ويقصد بالاستفهام هنا أنهم أحلّوا حرامًا كثيرًا ظاهر الحرمة، كدعاء الأموات والاستغاثة بهم، وبناء المساجد على القبور، وغير ذلك كثير مما هو ظاهر الحرمة بالنص كما وضحت ذلك في البيت رقم:٤٠٧، ويكفي في تحريمه اللعن لصاحبه.

قوله: ولم يخافوا هول يوم الآخر. أي: وحالهم أنهم غير خائفين من العقوبة التي تنتظرهم يوم القيامة؛ لأنهم يضلّون الناس عن دين الله وعن سنة نبيه ﷺ.

ويكفيهم قوله تعالى: ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[1]

قوله: كقولهم إن تراب القبر... فيه الشفاء.

هنا يضرب الناظم مثالاً للأمور التي أحلوها وهي حرام ظاهر وأضلّوا الناس وغررورهم بها غير ما ذكره سابقاً، وهو التبرك بتراب القبور بدعوى أن فيها الشفاء من جميع العلل، فيأخذ الزائر منها ويأكل بعضهم منها طلبًا للشفاء، فيزيد مرضه

(١) [النحل: ٢٥].

مرضًا وألمه ألمًا.

قال صاحب الجواهر عن كثيب عينات [1]:"وهو ترياق مجرب ودواء ناجع للأمراض المستحكمة المعدية ، وجرب وشوهد ، وتجربته أكبر برهان ، تضرب له أكباد الإبل في وقاية الأمراض رزقنا الله حسن الاعتقاد والظن الحسن الجميل والنية الصادقة" [2]

قال ابن الجوزي ﷺ: «ومن عاداتهم زيارة المقابر في ليلة النصف من شعبان وإيقاد الدار عندها وأخذ تراب القبر المعظم»[3].

ويقول الشيخ حافظ الحكمي: «ويدخل في ذلك - يقصد: التبرك - عدة أمور، منها: الاستشفاء بتربة القبور: ويقع ذلك من الجاهلين على أنواع، مثل: أخذها ومسح الجلد بها، أو التمرغ على القبور أو الاغتسال بها مع الماء أو شربها.. إلخ، وهذا كله ناشئ من اعتقادهم في صاحب القبر أنه ينفع ويضر، حتى عدوا ذلك إلى تربته التي دفن فيها، وبعضهم يعديه إلى التربة التي وضعت عليه جنازته»[4].

وأخذ شيء من تراب القبر للتبرك به لم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أخذ شيئاً من تراب القبور، ولا ثبت عن أحد من أصحابه أنهم كانوا يأخذون من تراب قبره أو قبر صاحبيه ولا ثبت عن أحد من أئمة الدين من التابعين وتابعيهم

---

(1)هذه البلدة تحتوي على عدد كبير من الأضرحة أشهرها سبعة ولها قداسة ومكانة عظيمة عند قبورية حضرموت ، ويسمى أبو بكر بن سالم صاحب عينات بمولى الكثيب لأنه عندما قربت وفاته حاول بعضهم أن يستخلفه فأبى وقال : (إذا ما لحقنا حد متأهل با نطرحه في كثيب عينات) فاشتهر الكثيب منذ ذلك الوقت وقالوا عنه أنه ترياق مجرب ودواء ناجع للأمراض المستحكمة المعدية) انظر:الجواهر في مناقب الشيخ أبي بكر تاج الأكابر ص ٤ .

(2) المرجع السابق ص ١١٧ .

(٣) تلبيس إبليس (ص: ٣٥٤).

(٤) معارج القبول (١/ ١٣٨).

وسادات السلف من الأئمة الأربعة ومن عاصرهم أنهم كانوا يأخذون شيئاً من تراب القبور للتبرك بها، وهذا يفيدك أنه إحداث في الدين وبدعة وكل إحداث في الدين فهو رد، ولو كان خيراً لسبقنا له من هم أحرص منا على العلم والهدى، ولو كان ذلك من الشرع لوجب على النبي صلى الله عليه وسلم بيانه بقوله أو بفعله أو بإقراره وكذلك بين لنا عدم جوازه بالأدلة الناهية عن الغلو في القبور وأصحابها، ولأن بركة المسلم إنما هي البركة المعنوية اللازمة أي بركة عمل، وهذه البركة لازمة لمحلها لا تنتقل عنه، فإذا مات الولي الصالح ودفن في قبره فإن بركته لا تنتقل إلى التراب لأنها من البركة المعنوية اللازمة، والذين يأخذون من تراب قبور الصالحين والأولياء ظنوا أن بركتهم بركة ذاتية منتقلة وهذا خطأ فادح، وهو الذي أوجب الوقوع في هذه المحدثات والبدع وبه تعلم أن السبب هو الجهل بالسنة والبعد عن الشرع .

يقول ابن مفلح رحمه الله: «قال الإمام أحمد رحمه الله: ونحنُ لأخذِ ترابِ القبورِ للتبركِ أو النبشِ أكرهُ؛ لأنه لا أصلَ له في السنةِ ولا نعلمُ أحداً فعلَهُ»[1].

ثم إن الإستشفاء بتراب القبور ليس سببا شرعيا يعتمد عليه .

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "أخذ التراب من القبور للاستشفاء به بدعة، وهو ضلال في دين الله وسفهٌ في العقل، فإن هذا التراب لم يحدث له أي شيء يجعله سبباً في شفاء المرضى من أجل دفن الميت في القبر، بل هذه التربة كسائر تراب الأرض، وليس لها مزيةٌ على غيرها، ومن تبرك بها أو استشفى بها فقد ابتدع وضل وسفه في عقله، وعليه أن يتوب إلى الله عز وجل من هذا العمل، وأن يعلم أن الشفاء من الله عز وجل، وأنه

(١) الفروع (٣/ ٤٨١-٤٨٢).

لا شفاء بأي سببٍ من الأسباب إلا ما جعله الله سبباً، ولم يجعل الله تعالى أخذ التراب من القبور سبباً في شفاء المرضى" [1]

وقال أيضا رحمه الله: "ما يفعله بعض العامة الجهلة من التردد على قبور من يسمونهم أولياء أو يعتقدونهم أولياء للاستشفاء بتراب القبر أو التبرك بالدعوة عنده أو ما أشبه ذلك، فكل هذا من البدع، بل قد تكون وسيلةً إلى الشرك بهم ودعائهم مع الله عز وجل "[2]

قوله: وحببوا مسح الوجوه بالخرق تبركاً...

هنا يتابع الناظم بيان بعض المحرمات التي استحبها مشايخ الطرق للزائرين بقصد التكسب من الزيارة وغير ذلك، فيذكر مسح الوجوه بالخرق التي على القبور أو لامست القبور، ومن لا يستطيع الوصول إلى القبر من الصغار والعجزة ومن لم يحضر الزيارة، فإنه كذلك يمسح وجهه ورأسه بهذه الخرقة لتعمه البركة.

ثم يذكر الناظم السبب الذي يجعلهم يتمسحون بها، وهو أنهم يعتقدون أن هذه الخرق قد حلت بها البركة من صاحب القبر، ويبنون اعتقادهم هذا على أقوال مكذوبة لا يعتمد عليها، ومنها: أن البركة تسري من الولي إلى ضريحه، ومن ثم إلى كل ما يلامسه من خرق ومناديل ونحوها.

ومن الأمثلة على زعمهم ما قاله النابلسي[3]: «ومن تعظيم الأولياء بناء القبب

---

(1)فتاوى الشيخ ١/ ١١٢.

(2).المرجع السابق

(٣) هو: عبدالغني بن إسماعيل بن عبدالغني الدمشقي النابلسي- الحنفي النقشبندي القادري، أديب

على قبورهم، والستور والثياب عليها؛ لأنهم أفضل من الكعبة، وكسوة الكعبة أمر مشروع، ومن تعظيم الأولياء إيقاد القناديل والشموع عند قبورهم، وكذا وضع اليدين على القبور والتماس البركة من مواضع روحانيات الأولياء؛ ومن تعظيمهم نذر الزيت والشمع للأولياء لتوقد عند قبورهم وكذا نذر الدراهم والدنانير للأولياء؛ وأما قول بعض المغرورين: إن هذه الأمور كلها حرام؛ لأنها وسيلة إلى الشرك بالله فهذا إهانة للأولياء»(1).

والتبرك لغة: هو طلب البركة، وتبركت به أي: تيمنت، والبركة: هي دوام الخير وكثرته(2).

وشرعًا: طلب حصول الخير بمقاربة أي شيء أو ملامسته(3).

وينقسم التبرك إلى قسمين:

الأول: تبرك مشروع، وهو التماس البركة من شيء علم بالشرع أنه مبارك، مثل: التبرك بكلام الله عز وجل الذي هو القرآن، والتبرك بالنبي ﷺ في حياته، وبآثاره بعد

صوفي له مشاركة في أنواع العلوم، ولد بدمشق سنة (١٠٥٠هـ)، وتوفي بها سنة (١١٤٣هـ)، وخلف مصنفات كثيرة جداً منها: «الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية»، و«جواهر النصوص في حل كلمات الفصوص» شرح لفصوص الحكم لابن عربي في جزئين، و«ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الحديث» فهرس لكتب الحديث الستة، و«جواب عبدالغني النابلسي في حكم شطح الولي». انظر: جامع كرامات الأولياء (٢/ ١٩٤). والأعلام (٤/ ٣٢). ومعجم المؤلفين (٥/ ٢٧١).

(١) شفاء الصدور(ص١١٧) نقلاً عن جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية (٢/ ٦٢٥).

(٢) لسان العرب (١٠/ ٣٩٦).

(٣) التبرك أنواعه وأحكامه، ناصر الجديع، (ص: ٣٩).

وفاته، والتبرك بماء زمزم طلباً للشفاء، قال ﷺ: {إنها مباركة، إنها طعام طعم}[(١)].

الثاني: تبرك ممنوع: وهو التماس البركة فيما لم يأذن به الشرع؛ كمن اعتقد أن هذا الشيء يمنح البركة بذاته، كمن يتبرك بالأشجار، أو الأحجار، أو قبور الصالحين، لطلب نفع أو دفع ضر، فذلك شرك أكبر.

أما من اعتقد أن هذا الشيء سبب لحصول البركة من الله، كمن يتمسح بمقام إبراهيم أو حجر إسماعيل أو بالصالحين، فذلك شرك أصغر، وإن اعتقد أن هذا العمل مما يتقرب به إلى الله فهو محرم ووسيلة إلى الشرك[(٢)].

ونرد على دعواهم هذه بقوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾[(٣)].

فإن هذا التبرك على هذا الوجه لم يشرعه الله عز وجل ولم يأذن به.

وكذلك نرد عليهم بقول الرسول ﷺ: {من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد}[(٤)]. فهذا التبرك ليس من الدين، بل هو من الإحداث والابتداع في الدين.

وكذلك عدم ثبوت ذلك عن السلف الصالح.

يقول شيخ الإسلام: «التبرك بالآثار لا يجوز؛ لأنه إما شرك إن اعتقد أن ذلك الشيء يمنح البركة، أو وسيلة إلى الشرك إن اعتقد أن زيارته وملامسته والتمسح به سبب لحصولها من الله، وأما ما كان الصحابة يفعلونه من التبرك بشعر النبي ﷺ وريقه، وما انفصل من جسمه ﷺ، فذلك خاص به ﷺ في حال حياته، بدليل أن

---

(١) صحيح مسلم (٤/ ١٩١٩، ح٢٤٧٣).

(٢)التبرك أنواعه وأحكامه، ناصر الجديع، (ص: ٥٧).

(٣) [الشورى:٢١].

(٤) تقدم تخريجه (ص: ٢٩٨).

الصحابة لم يكونوا يتبركون بحجرته وقبره بعد موته، ولا كانوا يقصدون الأماكن التي صلى فيها أو جلس فيها؛ ليتبركوا بها وكذلك مقامات الأولياء من باب أولى، ولم يكونوا يتبركون بالأشخاص الصالحين كأبي بكر وعمر وغيرهما من أفاضل الصحابة، لا في الحياة ولا بعد الموت، ولم يكونوا يذهبون إلى غار حراء؛ ليصلوا فيه أو يدعوا، ولم يكونوا يذهبون إلى الطور الذي كلم الله عليه موسى؛ ليصلوا فيه ويدعوا، أو إلى غير هذه الأمكنة من الجبال التي يقال: إن فيها مقامات الأنبياء أو غيرهم، ولا إلى مشهد مبني على أثر نبي من الأنبياء(١).

ويقول ابن القيم رحمه الله: "فلو كان الدعاء عند القبور، والصلاة عندها، والتبرك بها فضيلة أو سنة أو مباحًا، لفعل ذلك المهاجرون والأنصار وسنّوا ذلك لمن بعدهم، وكذلك التابعون لهم بإحسان راحوا على هذا السبيل، وقد كان عندهم من قبور أصحاب رسول الله ﷺ بالأمصار عدد كثير، وهم متوافرون، فما منهم من استغاث عند قبر صاحب ولا دعاه ولا دعا به ولا دعا عنده ولا استشفى به ولا استسقى به ولا استنصر به ومن المعلوم أن مثل هذا مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله بل على نقل ما هو دونه"(٢).

وقال ابن عقيل رحمه الله منكراً إلقاء الخرق على الشجر لأجل التبرك بها: "لما صعبت التكاليف على الجهال والضغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم، قال: وهم كفار عندي بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور وإكرامها بما نهى الشرع عنه من إيقاد النيران وتقبيلها وتخليفها وخطاب الموتى بالألواح وكتب الرقاع فيها، يا مولاي افعل بي كذا

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢\٧٩٥-٨٠٢).

(٢) إغاثة اللهفان (١/ ٢٠٤) بتصرف.

وكذا وأخذ التراب تبركاً، وإفاضة الطيب على القبور وشد الرحال إليها وإلقاء الخرق على الشجر، اقتداء بمن عبد اللات والعزى"(١).

وقال ابن قدامة رحمه الله : " فصل ومس الجنازة بالأيدي والأكمام والمناديل محدث مكروه"(٢)

وقال العلامة ابن الحاج المالكي رحمه الله في الفصل الذي عقده لزيارة قبر خير الرسل ﷺ :" فترى من لا علم عنده يطوف بالقبر الشريف كما يطوف بالكعبة الحرام ويتمسح به ويقبله ويلقون عليه مناديلهم وثيابهم يقصدون به التبرك وذلك كله من البدع"(٣)

المعنى الإجمالي للأبيات:

يتابع الناظم رحمه الله بيان ضرر هؤلاء المفسدين، فيقول: ومن ضررهم أيضًا على الإسلام وأهله أنهم يحلون الحرام البيّن الواضح غير مبالين ولا خائفين من عذاب يوم القيامة وأهواله. ومن ذلك أنهم أجازوا للناس أكل تراب قبر الولي وزعموا له من الخصائص أنه يشفي من جميع الأمراض، فأقبل الزوار على أكل تراب القبور المعظمة طلبًا للشفاء.

والحال والمآل أن ذلك المسكين المغرر به قد زاد على سقمه سقمًا وعلى مرضه مرضًا بسبب المرض أولاً، والمرض الحاصل بسبب أكله تراب القبر ثانيًا.

---

(١) تلبيس إبليس (ص: ٣٥٤).

(٢) المغني ٦/ ١٤٠.

(٣) المدخل ١/ ٢١٨.

٤٤٦ - ثـم الطـوافُ واسـتلامُ المشـهدِ	بـالفمِ تقبـيلاً لـه وباليـدِ
٤٤٧ - فـإن أقاسـوه عـلى لَـثْمِ الحَجَـرْ	فلـيس للقيـاسِ ديـن يُعتـبرْ
٤٤٨ - لإنـما تقبيلُهـا عبـادَهْ	مرضـيَّةٌ مشـروعةٌ مـرادَهْ
٤٤٩ - لكونهـا في ركـنِ أسـمى بيـتِ	لا حَجَـرًا مـن فـوقِ قـبرِ الميـتِ
٤٥٠ - ألم تـروا يـا أمَّـةَ الشـهادَهْ	لـدى الطـوافِ لثمَـه عبـادَهْ
٤٥١ - ونسـبةُ البيت الـذي منه الحَجَـرْ	لله لا لميـت مـن البشـر
٤٥٢ - وحبَّبـوا زيـارة القبـور	بالشـمعِ والأدهـانِ والبُخُـورِ

قوله: ثم الطواف. أي: ومن مظاهر التبرك بعد مسح الوجوه بالخرق: الطواف حول القبور.

جاء في فضل الطواف حول قبر أبي الحسن الشاذلي : "من طاف بقبرأبي الحسن الشاذلي سبع مرات كانت له عمرة، ومن طاف به عشر مرات كانت له حجة، ولا يلزمه الذهاب إلى مكة " [(١)]

يقول ابن القيم ﷺ مبيّناً حال عباد القبور: «ثم انثنوا بعد ذلك حول القبر طائفين تشبيهاً له بالبيت الحرام الذي جعله الله مباركاً وهدىً للعالمين»[(٢)].

والطواف من العبادات التي شرعها الله في مكانٍ مخصوص، ولا يصرف إلا لله، ومن صرفه لغيره فقد أشرك، ومن الأدلة على ذلك:

(١)أولياء الشاذلية، مسرور الشذلي ، ص١٢

(٢) إغاثة اللهفان (١/ ١٩٤).

قوله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾[٤].

فالطواف حصره الله في الآيات السابقات على البيت العتيق، فلا يجوز أن يطاف بغيره، لا عند قبر الرسول ﷺ، ولا عند قبر غيره.

قال الطبري[٥] رحمه الله: «وليطّوفوا بالبيت الحرام، وعني بالطواف الذي أمر جل ثناؤه حاجّ بيته العتيق به في هذه الآية، طواف الإفاضة، الذي يطاف به بعد التعريف، إما يوم النحروإما بعده»[٦].

وقال ابن كثير: «أي: اجعله خالصاً لهؤلاء الذين يعبدون الله وحده، فالطائف به

---

(١) [الحج:٢٩].

(٢) [الحج:٢٦].

(٣) [البقرة:١٢٥].

(٤) [البقرة:١٥٨].

(٥) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، الإمام الجليل، المجتهد المطلق، ولد في آمل طبرستان، سنة ٢٢٤هـ، رحل من بلده في طلب العلم وهو صغير، واستقر ببغداد، كان أحد الأئمة الأعلام، يرجع إلى رأيه؛ لمعرفته وفضله له من التصانيف: جامع البيان، تاريخ الأمم والملوك، القراءات، انظر: التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، (١/ ٢٠٥).

(٦) جامع البيان في تأويل القرآن، (٩/ ١٤١).

معروف، وهو أخص العبادات عند البيت، فإنه لا يفعل ببقعة من الأرض

وكما أن الطواف عبادة خصّها الله في بيته الحرام، كذلك فعلها الرسول ﷺ في مكان واحد مخصوص وهو عند الكعبة، كما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: {قدم النبي ﷺ فطاف بالبيت سبعاً، وصلى خلف المقام ركعتين، ثم خرج إلى الصفا}(٢). والمسلم عليه الالتزام بما جاء في الكتاب والسنة.

والرسول ﷺ قد رتب الأجر على الطواف في هذا المكان المخصوص، كما في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: {من طاف بالبيت، وصلى ركعتين، كان كعتق رقبة}(٣).

وقد أنكر الطواف بالقبور العلماء، يقول شيخ الإسلام رحمه الله: «فإن الطواف لا يشرع إلا بالبيت العتيق باتفاق المسلمين، ولهذا اتفقوا على تضليل من يطوف بغير ذلك، مثل من يطوف بالصخرة، أو بحجرة النبي ﷺ، أو بالمساجد المبنية بعرفة، أو منى، أو غير ذلك، أو بقبر بعض المشايخ، أو بعض أهل البيت، كما يفعله كثير من جهال المسلمين، فإن الطواف بغير البيت العتيق لا يجوز باتفاق المسلمين، بل من اعتقد ذلك ديناً وقربة عُرف أن ذلك ليس بدين باتفاق المسلمين، وأن ذلك معلوم بالضرورة من دين الإسلام، فإن أصر على اتخاذه ديناً قتل»(٤).

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٣/ ١٨٩٦).

(٢) صحيح البخاري (٢/ ٥٨٨، ح١٥٤٧).

(٣) سنن ابن ماجه (٢/ ٩٨٥، ح٢٩٥٦). ورواه الطبراني في "الكبير" ٢/ ٤٦٥، قال الهيثمي في "مجمع الزاوئد": ورجاله ثقات ١/ ٣٣٦. وصححه الألباني في الصحيحة (٢٧٢٥).

(٤) الفتاوى، (٢٦/ ٢٥٠).

ويقول ابن الحاج رحمه الله[(١)]: «فترى من لا علم عنده، يطوف بالقبر الشريف، كما يطوف بالكعبة الحرام، ويتمسح به ويقبّله، ويلقون عليه مناديلهم وثيابهم، يقصدون به التبرك، وذلك كله من البدع؛ لأن التبرك إنما يكون بالاتباع له - عليه الصلاة والسلام - وما كان سبب عبادة الجاهلية للأصنام إلا من هذا الباب»[(٢)].

ويقول الألوسي رحمه الله: «وقد رأيت من يبيح ما يفعله الجهلة في قبور الصالحين، من أشرافها وبنائه بالجص والآجر، وتعليق القناديل عليها، والصلاة إليها، والطواف بها، واستلامها، والاجتماع عندها في أوقات مخصوصة، إلى غير ذلك....إلى أن قال: وكل ذلك محادّة لله تعالى ورسوله، وإبداع دين لم يأذن به الله عز وجل»[(٣)].

قوله: واستلام المشهد... بالفم تقبيلاً.

يقول ابن القيم رحمه الله مبيّناً بعض بدع عباد القبور: «ثم أخذوا في التقبيل والاستلام؛ ثم عفروا لديه تلك الجباه والخدود التي يعلم الله أنها لم تعفر كذلك بين يديه في السجود»[(٤)].

ويقول شيخ الإسلام في رد هذه البدعة: «وقد اتفق العلماء على ما مضت به السنة من أنه لا يشرع الاستلام والتقبيل لمقام إبراهيم الذي ذكره الله تعالى في القرآن، في قوله: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ﴾ فإذا كان هذا بالسنة المتواترة وباتفاق الأئمة لا يشرع تقبيلها بالفم ولا مسحه باليد فغيره من مقامات الأنبياء أولى أن لا يشرع

---

(١)محمد بن محمد ابن الحاجّ، أبو عبدالله العبدري الفارسي، نزيل مصر، لزم الشيخ أبا محمد بن أبي حمرة وانتفع بذلك، جمع كتاباً سماه: المدخل، له من المؤلفات: شموس الأنوار وكنوز الأسرار، مات سنة ٧٣٧هـ، انظر: الأعلام، للزركلي، (٧/ ٣٥). وانظر: جهود المالكية في تقرير توحيد العبادة، عبدالله العرفج، (ص: ٥٨).

(٢) المدخل (١/ ٢٦٣).

(٣) روح المعاني، (١٥/ ٢٣٩).

(٤) إغاثة اللهفان (١/ ١٩٤).

تقبيلها بالفم ولا مسحها باليد، وأيضاً فإن المكان الذي كان النبي ﷺ يصلي فيه ب المدينة النبوية دائماً لم يكن أحد من السلف يستلمه ولا يقبله ولا المواضع التي صلى فيها بمكة وغيرها.

فإذا كان الموضع الذي كان يطؤه بقدميه الكريمتين ويصلي عليه لم يشرع لأمته التمسح به ولا تقبيله، فكيف بما يقال: إن غيره صلى فيه أو نام عليه»[1].

قوله: فإن أقاسوه على لثم الحجر فليس للقياس.....

هنا يعرض الناظم لشبهة المتصوفة في تحليل استلام القبور وتقبيلها قياسًا على استلام وتقبيل الحجر الأسود.

وقوله: أقاسوه خطأ والصحيح بدون همز (قاسوه).

وقوله: للقياس. خطأ والصواب (للقايس)[2] فإن القياس دليل يُعتد به عند أكثر العلماء أمّا هنا فليس للقايس دليل يعتبر، أي فليس قياسه هذا من الدين بل هو بدعة.

يقول الأمير الصنعاني رحمه الله في رد قياس تقبيل القبور على الحجر الأسود: «التقبيل للجمادات لم يثبت إلا في تقبيل الحجر الأسود، كما أخرجه النسائي عن ابن عباس قال: (رأيت عمر قبل الحجر ثلاثاً، ثم قال: إنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ قبلك ما قبلتك)[3]، قال الطبري: إنّما قال عمر ذلك لأنَّ النَّاس كانوا حديثي عهد بعبادة الأصنام، فخشي عمر أن يظن الجهال أن تقبيل الحجر من

(١) اقتضاء الصراط (١/ ٤٢٧).

(٢) في نسخة مطبعة السلفية (للقايس) وهو الصواب.

(٣) صحيح البخاري (٢/ ٥٨٣، ح١٥٣٢). وصحيح مسلم (٢/ ٩٢٥، ح١٢٧٠).

باب تعظيم بعض الأحجار كما كانت العرب تفعل في الجاهلية، فأراد أن يبين لهم أنَّ ما فعله اتباعاً لرسول الله ﷺ لا لأن الحجر يضر أو ينفع[١]. فهذا الذي ورد في تقبيل الجماد ولا يقاس على الحجر الأسود غيرها .[٢].

قوله: وحببوا زيارة القبور.

هنا يتابع الناظم بيان بعض المحرمات التي استحبها مشايخ الطرق للزائرين بقصد التكسب من الزيارة وغير ذلك.

قوله: بالشمع والأدهان والبخور.

أي: جلب الشمع وسائر الدهانات والبخور إلى القبور عند الزيارة.

وهذا الأمر محرم شرعًا، وقد أفتى شيخ الإسلام بتحريمه حتى ولو كان نذرًا، يقول ﷺ: «لكنه إذا نَذَرَ نذرًا فإن كان طاعةً لله وَفَى به، وإن كان معصيةً مثل نَذْرٍ للكنائس والبيَع، ونَذْرِ الزيت والشمع والكسوة والنفقة للمشاهد التي على القبَورَ، فهذا لا يجوز الوفاءُ به»[٣].

وقال ابن عقيل ﷺ منكراً إفاضة الطيب على القبور: «لما صعبت التكاليف على الجهال والضغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم، وهم كفار عندي بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور وإكرامها بما نهى الشرع عنه من إيقاد النيران وتقبيلها وتخليفها وخطاب الموتى بالألواح وكتب الرقاع فيها، يا مولاي افعل بي كذا وكذا وأخذ التراب تبركاً، وإفاضة الطيب على القبور وشد الرحال إليها وإلقاء الخرق على الشجر، اقتداء بمن

(١) نقله الحافظ في الفتح (٣/ ٤٦٣).

(٢) الإنصاف (ص: ٩٨).

(٣) جامع المسائل لابن تيمية (٤/ ١٦٧).

عبد اللات والعزى»[1].

وقال البركوي رحمه الله: «قال العلماء: لا يجوز النذر للقبور لا شمع ولا زيت ولا غير ذلك، فإنه نذر معصية لا يجوز الوفاء به بالاتفاق، ولا أن يوقف عليها شيء لأجل ذلك، فإن هذا الوقف لا يصح ولا يحل إثباته وتنفيذه»[2].

المعنى الإجمالي للأبيات:

يتابع الناظم بيان الأمور التي أحلوها وهي حرام فيقول إن منها: استحبابهم الطواف بالمشاهد والقبور واستلامها باليد وتقبيلها بالفم؛ معتمدين في ذلك على قياس استحباب استلام الحجر الأسود وتقبيله، وليس للقياس هنا وجه معتبر، وذلك لأن تقبيل الحجر الأسود عبادة يرضاها الله عز وجل وشرعها وأرادها؛ لأن هذا الحجر له من المزايا ما ليس لغيره من الأحجار التي توضع فوق القبور، ويكفيه في ذلك أنه في ركن أعظم بيت وأعلاه مكانةً على وجه الأرض، وتقبيله كما هو معلوم للأمة التي تشهد لمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة يعد عبادة نتعبد الله عز وجل بها.

ويكفي الأمر فيه سموًا ومكانة أن البيت الذي فيه الحجر هو بيت الله وليس لميت من موتى البشر.

ومن الأمور التي أحلوها واستحبوها أيضاً عند زيارة القبور: استصحاب الشموع وسائر أنواع الطيب من دهن وبخور.

---

(١) الفنون، ابن عقيل، (٢/ ٢٨٣).

(٢) زيارة القبور، البركوي، (ص: ٦٥).

٤٥٣ - ولـو سـمعتَ الزائـرَ المغـرورا يـدعو بصـدقِ النّيـةِ المقبـورا
٤٥٤ - يـا سـيّديْ عَجِّـل لنـا بغـارَهْ وجُـد علـى مـن جـاء للزيـارَهْ
٤٥٥ - لازددتَ مـن دعائـه تحسـرا وذابَ قلـبُ المتَّقِـي ممـا يَـرى
٤٥٦ - فـما لكـم يـا علـماءَ الـدينِ وخلفـاءَ المصـطفى الأمـين
٤٥٧ - لا تنكـرونَ هـذه المنـاكرا فقـد فشـتْ ضـارةً بـين الـورَى
٤٥٨ - فبيّنـوا الزيـارة المشـروعَهْ وانهـوْا عـن الزيـارةِ الممنوعَـهْ
٤٥٩ - فكـم نَـرَى مـن حـالفٍ كـذَّابِ بـالله لا يخشَـى مـن العقـابِ
٤٦٠ - وإن دَعَـا يحلـفُ بـالمزارِ يخـافُ منه فـوق خـوفِ البـاري

قوله: ولو سمعت الزائر المغرورا... يدعو.

يعود الناظم هنا إلى الحديث عن دعاء أصحاب القبور، وقد سبق بيانه والرد عليه في فصل الطريقة في البيت (رقم: ٢٦٧) عند قوله: ويصرخون بدعاء الأموات.

فيقول: لو قدر لك أن تسمع هؤلاء الزائرين المغرر بهم وهم يدعون هؤلاء المقبورين دعاءً صادقًا من قلوبهم يطلبون منهم النصر على الأعداء والرزق وسائر المكارم والجود على من جاء لزيارتهم لأصابتك الحسرة على دينك لما آل إليه حال بعض المسلمين ولذاب قلب المؤمن التقي المبتعد عن الشرك والبدع مما يراه من انتهاك لحرمات الدين من دعاء المقبورين.

قوله: يا سيدي عجل لنا بغاره.

قال الشوكاني ؒ مبيناً حال هؤلاء الجهال مع أصحاب القبور: «وكم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكي لها الإسلام. منها اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للأصنام، وعظم ذلك فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضر،

فجعلوها مقصداً لطلب قضاء الحوائج، وملجأ لنجاح المطالب، وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم، وشدوا إليها الرحال، وتمسحوا بها واستغاثوا، وبالجملة أنهم لم يدعوا شيئاً مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه. فإنا لله وإنا إليه راجعون»[1].

قوله: وجد على من جاء للزيارة.

يقول أحدهم متوجهاً للبدوي[2]:

نحوتك أرجو منك سالف عادتي — فجد لي وأسعفني بما أنا طامع

أغيرك ينحوه المؤمل أو سوى — رحابك أهل تثنى اليد المطامع

قوله: وذاب قلب المتقي مما يرى.

أي في هذه الاجتماعات من شرك وبدع ومنكرات.

يقول الجبرتي عن أحد هذه الموالد وما فيها من مفاسد: «ويجتمع العالم من أخلاط الناس خواصهم وعوامهم وفلاحي الأرياف وأرباب الملاهي والملاعيب والغواني والبغايا... فيملئون الصحراء والبساتين فيطئون القبور ويتغوطون ويزنون ويلوطون ويلعبون ويرقصون ويضربون بالطبول والزمور ليلاً ونهارًا»[3].

ويقول الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله متأثراً من هذه الأفعال المنكرة: «فأي فاقرة على الدين أصعب من هذه الأفعال، وهل جنى الأخابث على الدين أعظم من هذا الضلال، وهل استطاع الأعداء من هدم قواعد الدين ما هدمه هؤلاء الضلال، وهل

---

(١) نيل الأوطار، الشوكاني، (١/ ٥١٥).

(٢) السيد البدوي بين الحقيقة والخرافة (ص: ٢٨١).

(٣) تاريخ الجبرتي (١/ ٣٠٤).

تلاعب الشيطان بأحد ما تلاعب بهؤلاء الجهال، فأي مناف للتوحيد وأي مناقض له أقبح من هذا الشرك والتنديد»[1].

قوله: فما لكم يا علماء الدين. انتقل الناظم هنا بعد عرضه للمحرمات المنتشرة التي حللها المضلون من مشايخ الطرق وسدنة القبور إلى توجيه اللوم إلى علماء الشرع في زمنه الساكتين عن هذه الشركيات وهذه البدع، مذكرًا إياهم بأنهم خلفاء الرسول ﷺ في النصح، كما قال الرسول ﷺ: {العلماء ورثة الأنبياء...}[2].

قوله: لا تنكرونَ هذه المناكرا.

يستنكر الناظم عليهم هنا عدم إنكار هذه المنكرات الشركية والبدعية وقد انتشرت في بلاد المسلمين وأصبحت ظاهرة للعيان في أكثر البلدان.

فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شعيرة عظيمة يجب على المسلمين القيام بها؛ لأن الله أمرهم بذلك في قوله: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[3].

وهو سبب خيرية أمة الإسلام، يقول الله ﷻ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[4].

وترك هذا الواجب العظيم سبب لغضب الله ولعنته، يقول الله ﷻ: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ

(١) معارج القبول (٢/ ٥٣٦).

(٢) صحيح البخاري معلقاً (١/ ٣٧). وسنن الترمذي (٥/ ٤٨، ح٢٦٨٢). وسنن أبي داود (٣/ ٣١٧، ح٣٦٤١). وصحيح ابن حبان (١/ ٢٨٩، ح٨٨). ومسند أحمد (٥/ ١٩٦، ح٢١٧٦٣).

(٣) [آل عمران:١٠٤].

(٤) [آل عمران:١١٠].

كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[1].

وأصل المعروف توحيد الله، والإخلاص له، وأصل المنكر الشرك بالله وعبادة غيره، فجميع الرسل بعثوا يدعون الناس إلى توحيد الله، الذي هو أعظم المعروف، وينهون الناس عن الشرك بالله، الذي هو أعظم المنكر. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[2].

والإعراض عن هذا الواجب سبب لحلول المصائب والعقوبات وعدم إجابة الدعوات، يقول النبي ﷺ: {والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم}[3]

والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب لنجاة الأمم، والإعراض عنه وتركه سبب لهلاكها، يقول النبي ﷺ: {مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً}[4].

---

(١) [المائدة:٧٨-٧٩].

(٢) [النحل:٣٦].

(٣) سنن الترمذي الفتن (٤/ ٤٦٨، ح٢١٦٩). ومسند أحمد (٥/ ٣٩١، ح٢٣٣٧٥). وحسنه الألباني في المشكاة (ح٥١٤٠).

(٤) صحيح البخاري (٢/ ٨٨٢، ح٢٣٦١).

وبتحقيقه تصلح الأمة، ويكثر فيها الخير وتظهر فيها الفضائل وتختفي منها الرذائل، ويتعاون أفرادها على الخير، ويتناصحون ويجاهدون في سبيل الله، ويأتون كل خير ويذرون كل شر.

وبإضاعته والغفلة عنه تكون الكوارث العظيمة، والشرور الكثيرة، وتفترق الأمة، وتقسو القلوب أو تموت، وتظهر الرذائل وتنتشر، وتختفي الفضائل ويهضم الحق، ويظهر صوت الباطل، وهذا أمر واقع في كل مكان وكل دولة وكل بلد وكل قرية لا يؤمر فيها بالمعروف ولا ينهى فيها عن المنكر، فإنه تنتشر فيها الرذائل وتظهر فيها المنكرات ويسود فيها الفساد.

ومن أوجب الواجبات وأهم المهمات:

الإنكار على أهل البدع والشركيات، لقوله ﷺ: {ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب، يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف، يقولون مالا يفعلون، ويفعلون مالا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل}(١).

وأعظم المنكر الشرك كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾(٢)، وأظهره شرك القبور، وقد أنكره بعض العلماء، وممن أنكره ابن الأمير الصنعاني رحمه الله حيث يقول في مقدمة كتابه «وبعد: فهذا «تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد»، وجب علي تأليفه، وتعين علي تصنيفه؛ لما رأيته وعلمته من اتخاذ الأنداد في الأمصار والقرى وجميع البلاد: الشام ومصر ونجد وتهامة وجميع ديار الإسلام، وهو الاعتقاد في

(١) صحيح مسلم (١/ ٦٩، ح٥٠).

(٢) [لقمان: ١٣].

القبور، وفي الأحياء ممن يدعي العلم بالمغيبات والمكاشفات وهو من أهل الفجور، لا يحضر للمسلمين مسجداً، ولا يرى لله راكعاً ولا ساجداً، ولا يعرف السنة ولا الكتاب، ولا يهاب البعث ولا الحساب، فواجب علي أن أنكر ما أوجب الله إنكاره، ولا أكون من الذين يكتمون ما أوجب الله إظهاره»(١).

وقال رحمه الله أيضاً: «لما وجدت المنكر منتشراً في الأحياء وفي الأموات، في الأموات: الاعتقاد في أصحاب القبور وصرف العبادة لهم، والأحياء: الاعتقاد في الصوفيةأنهم أولياء، وأنهم كشفت لهم الحجب، وأنهم يعلمون المغيبات مع فجورهم وكفرهم وجب علي أن أنكر هذا المنكر الذي هو أعظم المنكرات»(٢).

وقد أنكره علماء اليمن من أهل السنة والجماعة في ذلك الوقت، كالأرياني والأكوع وابن الأمير وجل علماء دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله كالقرعاوي وتلميذه حافظ الحكمي والشيخ محمد بن إبراهيم وابن حميد وغيرهم.

قوله: فبيّنوا الزيارة المشروعة. الزيارة معناها في اللغة: القصد(٣).

وفي الاصطلاح: قصد زيارة القبور.

وزيارة القبور على قسمين:

الأول: زيارة شرعية وهي ما سنها رسول الله ﷺ لأمته، وتتضمن الذهاب إلى المقابر والسلام على أهلها والدعاء لهم. وهي بمنزلة الصلاة على الجنازة، فالمصلي على الميت قصده الدعاء للميت بالرحمة والمغفرة، وكذلك الزائر للمقابر يكون قصده الدعاء لهم والترحم عليهم على الوجه المشروع، فيثاب على إحسانه إليهم.

---

(١) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، الصنعاني، (ص: ٤).

(٢) المرجع السابق.

(٣) المصباح المنير، الفيومي، (٣/ ٢١٤).

ومن الأدلة على جواز هذه الزيارة ما يلي:

١- ما روي عن بُرَيدة بن الحصيب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: {إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها}(١).

٢- وما روي عن علي بن أبي طالب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: {إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكر الآخرة}(٢).

فإذا وصل المسلم إلى المقبرة يشرع له أن يسلم على أهلها بالسلام الوارد، ومنه ما روي عن ابن عباس ﷺ قال: {مر رسول الله ﷺ بقبور المدينة فأقبل عليهم بوجهه، فقال: السلام عليكم يا أهل القبور يغفر الله لنا ولكم، أنتم سلفنا ونحن بالأثر}(٣).

٣- وما روي عن عائشة ﷺ قالت: فقدته – تعني: رسول الله ﷺ – فإذا هو بالبقيع، فقال: {السلام عليكم دار قوم مؤمنين، أنتم لنا فرط، ونحن بكم لاحقون، اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم}(٤).

قوله: وانهوا عن الزيارة الممنوعة. هذا هو النوع الثاني من الزيارة، وهي الزيارة الممنوعة، وهي أيضاً نوعان:

٣- منها ما هو بدعة فقط: ولم تصل إلى حد الشرك كزيارة القبور لدعاء الله تعالى عندها، أو الطواف عليها، وسؤال الله عندها من باب التبرك بهذا القبر لا من جهة سؤال صاحب القبر من دون الله، أو قراءة القرآن عندها لإيصال ثواب القراءة للميت، فهذه من البدع التي قد تكون من كبائر الذنوب التي يخشى على صاحبها أن

(١) تقدم تخريجه (ص: ٤٨٨).

(٢) تقدم تخريجه (ص: ٤٨٨).

(٣) تقدم قريباً.

(٤) تقدم تخريجه (ص: ٥١١).

يقع في الشـرك.

٤- زيارة بدعية شـركية: وهي زيارة القبور من أجل دعاء أصحابها مـن دون الله تعالى، والاستغاثة والاستعانة بهم، وسؤالهم النصـر والمدد، والعافية، وشـفاء المـرض، وتفريج الكربات. فهـذا لـيس بمشـروع باتفـاق المسـلمين، وهـي زيـارة مـأخوذة مـن عبادة الأصنام(١).

قال شيخ الإسلام رحمه الله عن تلك الزيارة: «فالزيارة البدعية مثل قصد قبر بعض الأنبياء والصالحين للصلاة عنده أو الدعاء عنده، أو به، أو طلب الحوائج منه، أو من الله تعالى عند قبره، أو الاستغاثة به، أو الإقسام على الله تعالى بـه، ونحـو ذلك هو من البدع التي لم يفعلها أحد من الصحابة، ولا التابعين لهم بإحسان، ولا سن ذلك رسول الله ﷺ ولا أحد من خلفائه الراشدين، بـل قـد نهـى عـن ذلك أئمة المسلمين الكبار»(٢).

قوله: وإن دعا يحلف بالمزار. يعود النـاظم إلى هـؤلاء الجهـال المغـرر بهـم ويصـف حال تعظيمهم للمقبورين وكيف أن الواحد منهم لا يخشى من الحلف بالله كاذبًا لكنه يخاف أشد الخوف من الحلف بالمقبور.

يقول الشيخ سليمان بن عبـدالله رحمه الله: «.. ولهـذا إذا توجهـت عـلى أحـدهم اليمـين بالله أعطاك ما شئت من الأيمان كاذبًا أو صادقًا، فإن كان اليمين بصاحب القبر لم يقدم على اليمين إن كان كاذبًا، وما ذاك إلا لأن المدفون في التراب أخوف عنده من الله»(٣).

ويقول الشوكاني رحمه الله: «وقد توارد إلينا من الأخبار ما لا يشك معـه أن كثـيرًا مـن

(١) مجموع الفتاوى (١/ ١٦٥).
(٢) الفتاوى الكبرى (٣/ ٤٢ وما بعدها).
(٣) تيسير العزيز الحميد، (ص: ٤٨٥).

هؤلاء المقبورين أو أكثرهم إذا توجهت عليه يمين من جهة خصمه حلف بالله فاجرًا، فإن قيل له بعد ذلك: احلف بشيخك الولي الفلاني تلعثم وتلكأ وأبى واعترف بالحق»[(١)].

قوله: يخاف منه فوق خوف الباري.

وهذا الفعل يدل على تعظيم هؤلاء المقبورين والخوف منهم وهو نتيجة ما زرعه مشايخ الطرق في نفوس الأتباع، وما وضعوه من مظاهر التعظيم على القبور.

وهذا الخوف لا يجوز صرفه لغير الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾[(٢)].

وأمر الله عز وجل أن نخافه ونرهبه وحده سبحانه، فقال سبحانه: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾[(٣)]، وقال أيضاً: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾[(٤)] وقال تعالى: ﴿وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾[(٥)].

فالخوف عبادة يجب صرفها لله عز وجل وحده.

وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الحلف بغير الله، فعن ابن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: {من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك}[(٦)].

---

(١) نيل الأوطار (٤/ ٩٥).

(٢) [آل عمران:١٧٥].

(٣) [البقرة:٤٠].

(٤) [المائدة:٤٤].

(٥) [الأحزاب:٣٩].

(٦) سنن الترمذي (٤/ ١١٠، ح١٥٣٥)، وقال: "حديث حسن". ومسند أحمد (٢/ ١٢٥، ح٦٠٧٢). والحاكم في المستدرك (١/ ٦٥، ح٤٥). والألباني في الصحيحة (ح٢٠٤٢).

والسر في النهي عن الحلف بغير الله أن الحلف بالشيء يقتضي تعظيمه، والعظمة في الحقيقة إنما هي لله وحده، فمن حلف بغير الله فقد عظم ذلك المحلوف به، وصرف شيئًا من الأمور الخاصة بالله لغيره، مما يوقعه في الشرك بالله.

وقال أبو جعفر الطحاوي رحمه الله: «لم يرد به الشرك الذي يخرج من الإسلام حتى يكون به صاحبه خارجاً عن الإسلام، ولكنه أراد أنه لا ينبغي أن يحلف بغير الله تعالى، لأن من حلف بغير الله تعالى فقد جعل ما حلف به محلوفاً به، كما جعل الله تعالى محلوفاً به، وبذلك جعل من حلف به أو ما حلف به شريكاً فيما يحلف به، وذلك أعظم، فجعله شركاً بذلك شركاً غير الشرك الذي يكون به كافراً بالله تعالى خارجاً عن الإسلام»[1].

وقال ابن حجر رحمه الله: والتعبير بقوله: «فقد كفر أو أشرك للمبالغة في الزجر والتغليظ في ذلك، وقد تمسك به من قال بتحريم ذلك»[2].

قال الألباني[3] رحمه الله بعد نقله لهذا الكلام: «يعني – والله أعلم– أنه شرك لفظي وليس شركاً اعتقادياً، والأول تحريمه من باب سد الذرائع، والآخر محرم لذاته، وهو

---

(١) شرح مشكل الآثار، الطحاوي، (٢/ ٢٩٧).

(٢) فتح الباري (١١-٥٣١).

(٣) هو الشيخ العلامة محدث العصر، محمد ناصر الدين بن نوح بن آدم نجاتي الألباني، ولد في أشقودرة بشمال ألبانيا سنة: ١٣٣٣ هـ، وهو عالم واسع الاطلاع، ودرَّس الحديث وعلومه في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة من عام: ١٣٨١ هـ حتى عام: ١٣٨٣ هـ، واهتم بتقريب السنة للناس، فاشتغل بدراسة الأحاديث وبيان صحيحها من سقيمها، وكان له نشاط واسع في الدعوة إلى الله، وله مؤلفات كثيرة منها: السلسلة الصحيحة، السلسلة الضعيفة، إرواء الغليل تخريج أحاديث منار السبيل، أحكام الجنائز...، توفي رحمه الله سنة: ١٤٢٠ هـ. انظر ترجمته في: مقالات الألباني (ص: ١٧٥-٢٤٣). وانظر: ترجمة موسعة أيضاً في: جهود الإمام الألباني في بيان عقيدة السلف (ص: ٥-٦٦).

كلام وجيه متين»[1].

المعنى الإجمالي للأبيات:

يقول الناظم: ولو قدّر لك أن تسمع زوّار القبور وهم يدعون المقبورين متوجهين لهم بنيّة صادقة، وقاصدينهم بأحسن الألقاب وداعينهم المدد على عجل والجود على كل الزائرين بتحقيق المطالب؛ لأصابتك الحسرة على الإسلام، ولاحترق قلب المتقي مما يرى من الشركيات والبدع والمنكرات.

ثم يتوجه الناظم ﷺ للعلماء ورثة النبي محمد ﷺ مستنكرًا عليهم سكوتهم عن هذه المنكرات التي تفشت وظهرت وعدم إنكارهم على أصحابها.

ثم يدعوهم إلى بيان المعروف من الزيارة المشروعة والنهي عن الزيارة الشركية الممنوعة.

ثم يعود إلى بيان أحد المنكرات التي تفشّت وأصبحت ظاهرة عند كثير من الأتباع الذين لا يخشون من الحلف بالله وهم كاذبون غير خائفين من عقابه، وذلك أنه لو دعي أحدهم إلى أن يحلف بصاحب المقام والمزار كاذبًا فإنه يخاف من ذلك أشد من خوفه من خالق هؤلاء المخلوقين.

---

(١) السلسلة الصحيحة (٥/ ٦٩).

٤٦١ - فهـل تجـوزُ يـا ذوي الأحـلامِ هــذه الفعــالُ مــن ذوي الإســلامِ
٤٦٢ - أم عـدَّه الإسـلامُ شـركًا بيِّنـا ومَنْعُـه مـن قـادر تعيَّنـا
٤٦٣ - فهــذه عقائــدُ العــوامِ نتــائجُ التضــليلِ بالأوهــامِ
٤٦٤ - قـد دسَّـها للنـاس كـلُّ مـارقِ مخـادعِ غـاوٍ جهـولٍ مـاذقِ
٤٦٥ - يُعْـزَى إلى الطريـقِ المشـتهرَهْ قـد خـالف الشـريعةَ المطهَّـرَهْ

قوله: فهل تجوز يا ذوي الأحلام.

يتوجه الناظم هنا بالخطاب إلى ذوي العقول المستبصرة النيّرة سواء من العلماء أو من غيرهم مستفهمًا على سبيل التعجب والإنكار من تجويز مثل هـذه الأفعـال المنكـرة ممن ينتسبون للإسلام.

قوله: أم عده الإسلام شركًا بيّنًا.

يؤكد الناظم هنا ما قرره سابقًا من أن هذه الأفعال قد أنكرها الشرع بل عدها شركًا واضحًا كما وضحته في البيت رقم: ٤١٤.

قوله: ومنعه من قادر تعيّنا.

فقد منع رسول الله ﷺ هذه الأفعال الشركية، ومن ذلك أنه بعث علي رضي الله عنه لطمس التماثيل، وتسوية القبور المشرفة، كما في حديث أبي الهياج الأسدي السابق[1].

وكذلك علي رضي الله عنه بعث قائد الشرطة أبا الهياج الأسدي لهذه المهمة.

ويقول شرحبيل بن حسنة رحمه الله: [[رأيت عثمان رضي الله عنه يأمر بتسوية القبور، فقيل

(١) تقدم تخريجه.

له: هذا قبر أم عمرو بنت عثمان فأمر به فسوِّي]][1].

وتسوية أبي موسى الأشعري وأصحابه القبر الذي يزعم أهل تستر[2] أنه للنبي دانيال[3].

قوله: نتائج التضليل بالأوهام.

هنا يذكر الناظم السبب الأول لانحراف عقائد العوام وهو التضليل بالأوهام.

ويقصد بالأوهام هنا: أن هؤلاء المقبورين لهم من المكانة والمنزلة عند الله ما يجعلهم يتصرفون في الكون ويرزقون المحتاجين ويشفون المرضى، كذلك يوهمون الأتباع أنكم عصاة مذنبين لا تصلحون للدعاء ولا حتى للتوبة، فيجب أن تطلبوا وساطة هؤلاء الصالحين وتتبركوا بهم لتنالوا الخيرات. وقد بينت ذلك سابقاً ورددت عليه في فصل التكييف والتشبيه عند الحديث عن شبهة الإساءة والواسطة في البيت رقم ٣٣٣.

قوله: قد دسها للناس كل مارق مخادع....

المارق: الخارج من دينه والنافذ في كل شيء لا يتعوج فيه،وهواسم فاعل من المروق، وهو سرعة الخروج من الشيء، يقال: مرق السهم من الرمية إذا خرقها وخرج من الجانب الآخر في سرعة، ويقال: مرق من الدين أي خرج. فالمراد بالمارق هنا: الخارج عن الطاعة. [4].

(١) تقدم تخريجه (ص: ٤٧٤).

(٢) تَستُر : هي أعظم مدينة بخوزستان من بلاد العجم. انظر معجم البلدان لياقوت الحموي (٢/ ٢٩).

(٣) لم أجده إلا عند ابن كثيرفي البداية والنهاية (٢/ ٤٠).

(٤) انظر: لسان العرب (١٤/ ٦٠). المعجم الوسيط (٢/ ٨٦٥).

ويريد الشيخ بالمارق: علماء الضلالة ودعاة السوء الذين يزينون للناس دعاء المقبورين والذبح والنذر لهم ويحثونهم على ذلك، ويختلقون الكرامات لمن يسمونهم بالأولياء، وكذلك سدنة القبور الذين يحتالون على الناس لكسب أموالهم إذا قصدوا تلك الأضرحة؛ بادعاء أحوال للموتى، وقدرة على إفادة الأحياء، وإيصال النفع ودفع الضر عنهم.

والماذق: الذي لم يخلص في القصد وإنما نيته مشوبة سوءاً مأخوذ من مذق اللبن بالماء[1].

يوضح الناظم هنا المسبب لهذه العقائد الباطلة وهم أئمة الضلال ومشايخ الطرق، وكل ذي مصلحة من هذه الشركيات وهذه البدع، ويصف طريقتهم في تضليل العوام بالدس كما يصفهم بالخروج عن الشرع والخداع للناس والغواية والجهل.

قال صاحب الجواهر:" سمعت سيدنا العارف بالله الشيخ الحسن يقول : " أنه في وقت البرد أدفأ ما يكون في المسجد ، وسمعت أحداً من السادة يقول إنه وقع به رمد واشتد به فخرج إلى المسجد المحدد وجلس فسكن ما به وأصبح معافى " [2].

كل هذا الكلام لجذب الناس وترغيبهم في زيارة عينات تلك المدينة المقدسة التي مسجدها بقبوره من الجنة والجلوس فيه يشفي من الأمراض لا لكونه بيت من بيوت الله ولكن لوجود قبور الأولياء فيه .

---

(١) المعجم الوسيط (٢/ ٣٧٦).

(٢) الجواهر في مناقب الشيخ أبي بكر تاج الأكابر ص ١٠٩ .

كما ألف أصحاب عينات بعض القصص التي تفيد أن الفخر أبا بكر بن سالم كان سبباً في حصول الأولاد لبعض الناس ، وكل من لم يُرزق بأولاد فما عليه إلا أن يقدم إلى عينات وعليه أن يجلب معه قرباناً للشيخ (كخروف سمين أو دنانير) ويقف عند قبر الشيخ ويتوسل به ويعطي القربان للسدنة وسيجد مطلوبه.

قال صاحب الجواهر:"ومنها ما أخبر به بعض مشائخ المهرة قال جئت أنا وجماعة لزيارة سيدي الشيخ أبي بكر ، فوجدناه بقرية قسم ، فلما انفض المجلس خرجنا ثم دعاني الخادم للغداء وقد غاب واحد من أصحابنا ، فطلعوا على سيدي الشيخ ، وبعد أن أكلنا طلع صاحبنا ، فقال : يا سيدي إني جئت والباب مقلود فقال الغدا والخير يحصل ، فقال ما عاد أريد غداء إلا حاجة أخرى ، قال قل ما شئت ، قال معي زوجة لها عشرين سنة لم تحبل عقيم أريدها تحمل لي بولد ذكر ، فقال الشيخ : كان كذلك تحمل وستأتي بذكر ، فلما وصلنا ظهر حملها ذلك الشهر ، وأتت له بولد ذكر "[1]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن أئمة الضلال هؤلاء :" وهذا – يقصد شرك القبور – إنما ابتدعه وافتراه في الأصل قوم من المنافقين والزنادقة ليصدوا به الناس عن سبيل الله، ويفسدوا عليهم دين الإسلام، وابتدعوا لهم أصل الشرك المضاد لإخلاص الدين لله.. ولهذا صنف طائفة من الفلاسفة الصابئين المشركين في تقرير هذا الشرك ما صنفوه، واتفقوا هم والقرامطة الباطنية على المحادة لله ورسوله حتى فتنوا أمماً كثيرة وصدوهم عن دين الله. وأقل ما صار شعاراً لهم تعطيل المساجد وتعظيم المشاهد، فإنهم يأتون من تعظيم المشاهد وحجها والإشراك بها ما لم يأمر الله به ولا رسوله، بل نهى الله عنه ورسوله عباده المؤمنين.وأما المساجد فيخربونها، فتارة

(1) المرجع السابق ص ٢٢٣ .

لا يصلون جمعة ولا جماعة بناء على ما أصلوه من شعب النفاق وهو أن الصلاة لا تصح إلا خلف معصوم ونحو ذلك من ضلالتهم.."[1].

ويقول أيضاً رحمه الله: «ولم يكن على عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم من ذلك شيء في بلاد الإسلام، لا في الحجاز، ولا اليمن، ولا الشام، ولا العراق، ولا مصر، ولا خراسان، ولا المغرب، ولم يكن قد أحدث مشهد، لا على قبر نبي، ولا صاحب، ولا أحد من أهل البيت، ولا صالح أصلاً، بل عامة هذه المشاهد محدَثة بعد ذلك، وكان ظهورها وانتشارها حين ضعفت خلافة بني العباس، وتفرقت الأمة، وكثر فيهم الزنادقة الملبّسون على المسلمين، وفشت فيهم كلمة أهل البدع، وذلك من دولة المقتدر في أواخر المائة الثالثة؛ فإنه إذ ذاك ظهرت القرامطة العبيدية القدّاحية في أرض المغرب، ثم جاءوا بعد ذلك إلى أرض مصر»[2].

ويقول ابن القيم رحمه الله: «علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم، ويدعونهم إلى النار بأفعالهم؛ فكلما قالت أقوالهم للناس: هلموا؛ قالت أفعالهم: لا تسمعوا منهم؛ فلو كان ما دعوا إليه حقاً لكانوا أول المستجيبين له، فهم في الصورة أدلّاء، وفي الحقيقة قُطّاع الطرق»[3].

ويقول الشيخ عبدالرحمن المعلمي اليماني رحمه الله: «قد أكثر العارفون بالإسلام المخلصون له من تقرير أن كل ما وقع فيه المسلمون من الضعف والخور والتخاذل، وغير ذلك من وجوه الانحطاط، إنما كان لبعدهم عن حقيقة الإسلام، وأرى أن ذلك يرجع إلى أمور: الأول: التباس ما ليس من الدين بما هو منه - خلط ما ليس من

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٥١٧).

(٢) الفتاوى (٢٧/ ٤٦٦).

(٣) الفوائد، ابن القيم (ص: ٦١).

الدين بما هو من الدين مثل إدخال البدع .

ثانياً: ضعف اليقين بما هو من الدين.

وثالثاً: عدم العمل بأحكام الدين هذه الأشياء الثلاثة التي عليها مدار أسباب انحطاط المسلمين.. فانظر رحمك الله إلى أسباب تخلف المسلمين وانحطاطهم»[1].

قوله: يُعزى إلى الطريق المشتهره. العزو: هو النسبة أي منسوب إلى الطريق[2] المشتهر.

قوله: قد خالف الشريعة المطهرة. أي أن حاله ووصفه هو مخالفة الشريعة، وسبق أن وضحت ذلك في بداية فصل الطريقة والشريعة في البيت رقم: ٢٦١ وفي هذا الفصل في البيت رقم: ٤٣٩.

المعنى الإجمالي للأبيات:

يوضح الناظم رحمه الله للمريد أن هذه الأفعال السابقة لا تجوز من المنتسبين إلى الإسلام ولا يقرها ذوي العقول بل عدها الشرع شركًا واضحًا، ويتعيّن على من يقدر منع هذه الأفعال..

ثم يتحوّل الناظم رحمه الله إلى بيان سبب فساد عقائد العوام وأنه نتيجة التضليل وإيهامهم بكرامات أصحاب المشاهد والقبور وفضل زيارتهم لها من قِبل مشايخ الطرق مستخدمين في ذلك التضليل والإيهام أساليب الدس.

ويصف هؤلاء المشايخ بالمكر والخداع والغواية والجهل، ويعزوهم إلى الطرق المشهورة بالتصوّف المخالفة للشريعة التي قد طهرها الله عز وجل من كل إصر وأغلال.

(١) مقدمة كتاب الأدب المفرد للبخاري.

(٢) في نسخة مطبعة السلفية (الطرائق) وهو الصواب.

٤٦٦ – فتابعت أمثـــالـه العبـــاد	فانتشـــر الضـــلالُ والإلحـــادُ
٤٦٧ – لجهلهـــمْ شـــريعةَ الإســـلامِ	وكـــلِّ مـــا فيهـــا مـــن الأحكـــامِ
٤٦٨ – والجهـلُ والأوهـامُ أسبابُ الشَّـقا	لم تلـــقَ شـــعبًا جـــاهلاً قـــد ارتَقَـــى
٤٦٩ – مـن أجـل ذا لم نـرقَ معـراجَ العُـلى	ومـــن تَـــرَى بالجهـــل قـــد ســـاد المَـــلا

قوله: فتابعت أمثاله العباد. أي بسبب هذا الدس والتضليل والإيهام والتغرير من هؤلاء المشايخ اتبعهم الناس، فانتشر الضلال في العقائد والميل عن الشرع المستقيم.

كما ذكروا في فضل الطواف حول قبر أبي الحسن الشاذلي : "من طاف بقبرأبي الحسن الشاذلي سبع مرات كانت له عمرة، ومن طاف به عشر مرات كانت له حجة، ولا يلزمه الذهاب إلى مكة " [1]

كل هذه الفضائل ليكثر الزائرون وتلقى الأموال والنذور على القبر ثم يجمعها مشايخ الطرق.

قوله: لجهلهم شريعة الإسلام.

يذكر هنا الناظم السبب الثاني لانحراف عقائد العوام وهو الجهل بالشرع وعقائده وأحكامه.

يقول ابن القيم ﵀ مؤكداً ذلك: «قد غلب الشرك على أكثر النفوس لظهور الجهل، وخفاء العلم، فصار المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، والسنة بدعة، والبدعة سنة، ونشأ في ذلك الصغير وهرم عليه الكبير، وطمست الأعلام، واشتدت غربة

---

(١)أولياء الشاذلية، مسرور الشذلي ، ص١٢

الإسلام، وقلّ العلماء، وغلب السفهاء، ولكن مع هذا لا تزال طائفة من العصابة المحمدية بالحق قائمين، ولأهل الشرك والبدع مجاهدين، إلى أن يرث الله سبحانه الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين»(١).

وقال ابن الجوزي ﵀: «الباب الأعظم الذي يدخل منه إبليس على الناس هو الجهل، فهو يدخل منه على الجهال بأمان، وأما العالم فلا يدخل إلا مسارقة»(٢).

وقال القرافي المالكي: «..أصل كل فساد في الدنيا والآخرة إنما هو الجهل، فاجتهد في إزالته عنك ما استطعت، كما أن أصل كل خير في الدنيا والآخرة إنما هو العلم، فاجتهد في تحصيله ما استطعت، والله تعالى هو المعين على الخير كله»(٣).

قال ابن القيم ﵀: «وأسباب هذا الجهل أمرين:

الأول: الإعراض عن الكتاب والسنة تعلماً وتعليماً وتدبراً وتفهماً لما فيهما. فالمعرض عن التوحيد مشرك شاء أم أبى، والمعرض عن السنة مبتدع ضال شاء أمأبى.

الثاني: أنهم حملوا نصوص الكتاب والسنة على أناس قد مضوا، وأما هم فغير مخاطبين بها وهذا ما يتصوره أكثر الناس، لا يشعرون بدخول الواقع تحته، وتضمنه له، ويظنونه في نوع وفي قوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثاً، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن، ولعمر الله إن كان أولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم أو شر منهم أو دونهم، وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك، ولكن الأمر كما قال عمر بن الخطاب ﵁: [إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في

(١) زاد المعاد (٣/ ٥٠٧).

(٢) تلبيس إبليس (ص: ١٣٠).

(٣) الفروق (٤/ ٢٦٥).

الإسلام من لا يعرف الجاهلية][1] وهذا لأنه إذا لم يعرف الجاهلية والشرك وما عابه القرآن وذمه وقع فيه وأقره، ودعا إليه وصوبه وحسنه وهو لا يعرف أنه هو الذي كان عليه أهل الجاهلية أو نظيره أو شر منه أو دونه، فينقض بذلك عرى الإسلام عن قلبه.. »[2].

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله: «..ومن الأسباب المانعة عن فهم كتاب الله أنهم ظنوا أن ما حكى الله عن المشركين وما حكم عليهم ووصفهم به، خاص بقوم مضوا، وأناس سلفوا وانقرضوا، ولم يعقبوا وارثاً، وربما سمع بعضهم قول من يقول من المفسرين: هذه نزلت في عباد الأصنام، هذه في النصارى، هذه في الصابئة، فيظن الغُمْر أن ذلك مختص بهم، وأن الحكم لا يتعداهم، وهذا من أكبر الأسباب التي تحول بين العبد وبين فهم القرآن والسنة»[3].

المعنى الإجمالي للأبيات:

يصف الناظم المآل الذي صار إليه الأتباع، فيقول: فتابع العباد أولئك المضلين فانتشر الضلال والميل عن الشريعة، وذلك بسبب الجهل بأحكامها.

ثم يعزو الناظم رحمه الله أسباب شقاء الشعوب المسلمة وعدم رقيّهم وتقدمهم إلى سببين رئيسيين هما: الجهل بأحكام الشرع المطهر والأوهام التي يعيشون فيها، لذلك لم يصلوا إلى المراتب العالية، وحالهم كما ترى قد ساد فيهم الجاهل على جميع الملأ.

---

(١) تقدم تخريجه ص:١٣٣.

(٢) إغاثة اللهفان (١/ ٢١٤) بتصرف يسير. مدارج السالكين (١/ ٣٤٣-٣٤٤).

(٣) تحفة الطالب والجليس في كشف شبه داود بن جرجيس (ص: ٥٩-٦٠).

٤٧٠ - فقد جَهِلنا مَهْيعِ الحقيقَهْ	وغَّرنا مشايخُ الطريقَهْ
٤٧١ - وفرَّقُونا كلَّنا أشْتاتا	واقتسمونا بينهمْ أقواتا
٤٧٢ - وكلُّ شيخٍ ساخطٌ لمثلِهِ	ومنكرٌ لقولِه وفعلِهِ
٤٧٣ - قلوبهمْ مملوءةٌ من الحسَدْ	وفَخُّهمْ للناسِ في كلِّ بلدْ
٤٧٤ - قد نصبوه لاصطياد الناسِ	وأوهموا العوامَ باللِّباسِ
٤٧٥ - وأوصَدوا بابَ العلوم النافعَهْ	فظلَّتِ الأمةُ فيهم ضائعَهْ

قوله: فقد جهلنا مهيع الحقيقة. هنا يؤكد الناظم ما ذكره من أن الجهل هو أعظم أسباب ضلال الأمة، ويصف الحال والمآل الذي وصلنا إليه بسببه.

والمهيع هو: المنبع والعين. أي عين الحقيقة ولبّها[(١)].

والسلف أمرونا بالتزامه. فعن علي ﵁ قال: [اتقوا البدع، والزموا المهيع][(٢)].

والحقيقة: بيّنتها سابقا في فصل الطريقة والشريعة في البيت رقم: ٢٥٦.

قوله: وغرنا مشايخ الطريقة.

وهنا يؤكد أيضا الناظم على السبب الأول من أسباب ضلال الأمة وهو التضليل المتعمد من قبل أئمة الضلال من مشايخ الطرق وغيرهم. وهوما عرض له سابقا بلفظ الإيهام في قوله: نتائج التضليل بالأوهام. في البيت رقم: ٤٦٣.

قوله: وفرقونا كلنا أشتاتًا. هنا يعرض الناظم لنتيجة من نتائج هذا التضليل وهو تفريق جماعة المسلمين إلى طرق وجماعات وأحزاب تجاوز عددها المئات إلى الآلاف.

قوله: واقتسمونا بينهمْ أقواتا. هنا يعرض الناظم لهدف رئيس ونتيجة حتمية

(١) الدر النضيد (ص: ٩٣- ٩٤).

(٢) الشريعة (١/ ٦٤).

لمخطط هؤلاء الأئمة المضلين وهو أن كل شيخ طريقة يريد أن يظفر بأكبر عدد من الناس يستعبدهم ويخطف أموالهم يتنعم بها.

فمن أسباب انتشار الفتنة بأصحاب القبور تحقيق المكاسب، ومن تلك المكاسب الحصول على الأموال، فالسدنة الذين حول القبور لهم الأثر البالغ في تعظيم أصحاب القبور، وذلك من خلال اختلاق القصص والترهات التي يحكونها عن صاحب القبر حتى يعظم قدره عند زواره فيحصل هو على مكاسب، منها:

١ ـ الحصول على أكبر قدر ممكن من الأموال التي تقدم لصاحب القبر..

٢ ـ الحصول على الجاه والشرف والمكانة بين الناس.

يقول العلامة الشوكاني رحمه الله: «وربما يقف جماعة من المحتالين على قبر ويجلبون الناس بأكاذيب عن ذلك الميت ليستجلبوا منهم النذور ويستدروا منهم الأرزاق ويقتنصوا النحائر ويستخرجوا من عوام الناس ما يعود عليهم وعلى من يعولونه، ويجعلون ذلك مكسباً ومعاشاً وربما يهولون على الزائر لذلك الميت بتهويلات، ويجعلون قبره بما يعظم في عين الواصلين إليه، ويوقدون في المشهد الشموع، ويوقدون فيه الأطياب، ويجعلون لزيارته مواسم مخصوصة يتجمع فيها الجمع الجم، فيبهر الزائر، ويرى ما يملأ عينه وسمعه من ضجيج الخلق وازدحامهم وتكالبهم على القرب من الميت والتمسح بأحجار قبره وأعواده، والاستغاثة به والالتجاء إليه، وسؤاله قضاء الحاجات ونجاح الطلبات مع خضوعهم واستكانتهم وتقريبهم إليه نفائس الأموال ونحرهم أصناف النحائر»[1].

وهذه الأضرحة قد تحولت خلال السنوات الأخيرة بوابة سريعة للثراء، لعدد من

---

(١) الدر النضيد (ص: ٩٣– ٩٤).

كبار مشايخ الطرق الصوفية الذين أحكموا سيطرتهم على حصيلة صناديق النذور. فأصبح عددًا من كبارهم من الأغنياء وأصحاب السيارات الفارهة التي يجد أصحاب المؤسسات الاقتصادية صعوبة بالغة في اقتنائها، بشكل دعا بعض أبناء طرقهم إلى الانشقاق عليهم وتأسيس أضرحة وهمية علها تقربهم من عالم المال والثراء.

قوله: وكل شيخ ساخط لمثله. أي: كذلك من صفات هؤلاء المشايخ الطرقيين التنافس فيما بينهم لاقتسام الأتباع، ولذلك تجد كل شيخ يسخط المنافس له ويتصيّد أخطاءه، وينكر أقواله وأفعاله.

يقول أحد مشايخ التيجانية لمريده:" فاعلم أني أجزتك في كل ما أردت من الأوراد إلا ما كان من أوراد الشيوخ التي هي لازمة للدخول في طرقهم فلا آذن لك"[(١)].

قوله: قلوبهم مملوءة من الحسد. أي: كذلك من صفاتهم الحسد لكل من يكسب الأتباع، فقلوبهم مملوءة منه، وحيلهم لاصطياد الأتباع لا تنقطع، وفخاخهم للاصطياد منتشرة في كل بلد.

ذكر الشعراني في ترجمة الشيخ محمد السروري أنه كان يغير على أصحابه أن يجتمعوا بأحد من أهل عصره. [(٢)].

قوله: وأوهموا العوام باللباس. فمن صفاتهم كذلك: إيهام الأتباع بلباس الظاهر من الصوف ونحوه ليوهموا الأتباع بأنهم زهاد عن مطامع الدنيا، وحقيقتهم خلاف ذلك.

---

(١)جواهر المعاني (٢/ ١٨٢).

(٢)الطبقات الكبرى (٤/ ٣٦٥).

قوله: وأوصدوا باب العلوم النافعة. أي: ومن حيلهم لاصطياد الأتباع تجهيلهم وإغلاق باب طلب العلم النافع لكي لا ينكشف زيفهم وشبهاتهم الباطلة وأدلتهم الواهية، فحصل بسبب هذا التزهيد والتجهيل المتعمّد ضياع الأتباع، مما ساهم في ضياع الأمة المسلمة عبر العصور.

يقول القشيري:" والناس إما أصحاب النقل والأثر وإما أرباب العقل والفكر، وشيوخ هذه الطائفة ارتقوا عن هذه الجملة، فالذي للناس غيب فهو لهم ظهور، والذي للخلق من المعارف مقصود فلهم من الحق سبحانه موجود فهم من أهل الوصال والناس أهل الاستدلال»[1].

المعنى الإجمالي للأبيات:

يتابع الناظم ﵀ وصف حال الأتباع فيذكرأنهم جهلوا عين الشريعة ومنبعها الصافي ووقعوا في فخ الغرور من قبل مشايخ الطرق ومزقوهم أشتاتًا، كل فئة من الناس تتبع طريقة معينة ومشايخ معينين. فاقتسموهم بينهم في التبع مثل ما يقتسم الناس أقواتهم من الطعام.

ثم يصف حال مشايخ الطرق المتعصبين لطريقتهم والساخطين على غيرهم من المنافسين لهم بالمشيخة أو المشابهين لهم بالمنزلة من مشايخ الطرق الأخرى، كذلك الاختلاف عليهم في الأقوال والأفعال والإنكار لطريقتهم.

وقد ملأ الحسد قلوبهم، ونصبوا للناس فخاخهم في كل البلدان لاستمالتهم لطريقتهم بكل الوسائل، واصطيادهم كما تصطاد الحيوانات بالفخاخ، موهمين للناس أنهم زاهدين متواضعين من خلال لباسهم فقط والحقيقة غير ذلك.

(١) المرجع السابق (ص: ١٨٠).

وكذلك أغلقوا وحاربوا كل علم نافع يهدي إلى الصراط المستقيم أو يبصر الناس بسبيل هؤلاء المضلين، وبسبب ذلك التجهيل ضاعت الأمة.

٤٧٦ - فيـا ولاةَ الأمـرِ في الإسـلامِ	أهْملـتهمُ هدايـةَ العـوامِ
٤٧٧ - فانتشـر الإلحـادُ والفسـادُ	والجهـلُ والضـلالُ والعنـادُ
٤٧٨ - فكلكـمْ يسـألُ عـن رعيتِـهْ	عـن نصـحِهِ بالصـدقِ أو خيانتِـه
٤٧٩ - فليتـقِ الله ولا يُـداجِ	في الـدين مـن رآه ذا اعوجـاجِ
٤٨٠ - فيـا ولاةَ الأمـر بـالحقِّ اصْـدَعُوا	وعـاقبوا مـن ضـلِ أو يبتـدعُ
٤٨١ - فمـن يـزد في الـدين غـير مـا شـرعْ	أو خـالف السـنةَ فهـو المبتـدِعْ
٤٨٢ - فاهـدوا برفـقٍ سـائرَ الجهـالِ	وانفُـوا دعـاةَ الزيـغِ والضَّـلالِ

قوله: فيا ولاة الأمر في الإسلام.

ينتقل الناظم هنا بعد توجيهه اللوم لعلماء الدين وذوي العقول المستبصرة في الأمة، إلى ولاة الأمر من الأمراء وغيرهم فيلقي عليهم اللوم أيضًا فيما انتشر في بلاد الإسلام من بدع وشركيات ومنكرات.

قوله: أهملتم هداية العوام.

يعزو الناظم هنا السبب في انتشار البدع والشركيات والمنكرات في بلاد الإسلام لإهمال ولاة الأمر في واجبهم الشرعي في الحرص على هداية العوام من خلال إرسال العلماء والدعاة لهم وتيسير كل السبل المفضية إلى هدايتهم.

قوله: فانتشر الإلحاد والفساد. أي: بسبب إهمال هداية العوام انتشر في بلاد الإسلام الإلحاد في الاعتقاد والفساد في الأعمال والجهل في العقول والضلال عن الطريق المستقيم والعناد عن قبول الحق، لتمكن البدع وشبهاتها من عقول العوام.

وقد ذكرنا طرفاً من ذلك في الأبيات السابقة من هذا الفصل.

قوله: فكلكمْ يسألُ عن رعيتِهْ.

هنا يذكّر الناظم ولاة الأمر بالأحاديث الزاجرة عن إهمال الرعية والسؤال سيكون يوم القيامة، كما في حديث: {ما من مسلم يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرمه الله على الجنة}(١)، وحديث: {كلكم راع ومسئول عن رعيته فالإمام راع ومسئول عن رعيته.....}(٢).

قوله: فليتق الله ولا يداج.

المداجاة: المداراة. يقال: داجيته، إذا داريته، كأنك ساترته العداوة(٣).

وهنا يذكر الناظم أيضًا ولاة الأمر بوجوب تقوى الله عز وجل في مسألة إهمال الرعية وتركهم فريسة للمضلّين من مشايخ الطرق وغيرهم، كذلك يحذرهم من أن يتغاضوا عن هؤلاء المضلّين المعوجين عن الطريق المستقيم، بل يأخذوا على أيديهم كائنًا من كانوا، تحقيقاً وامتثالاً لنصوص الكتاب والسنة الدالة على وجوب النهي عن المنكر والتي ستأتي في البيت القادم.

قوله: فيا ولاةَ الأمر بالحقِّ اصْدَعُوا.

يعيد الناظم هنا النداء لولاة الأمر بعد أن ذكرهم بمسؤوليتهم في الهداية والنصح، أنه أيضًا عليهم واجب آخر مهم وهو الصدع بالحق وتمكين العلماء والدعاة منه، امتثالاً لأمر الله لرسوله ﷺ: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾(٤)، واستجابة لأمر الله لمن مكنهم في أرضه: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ

---

(١) صحيح مسلم (١/ ١٢٥، ح١٤٢).

(٢) صحيح البخاري (٢/ ٨٤٨، ح٢٢٧٨). وصحيح مسلم (٣/ ١٤٥٩، ح١٨٢٩).

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٦/ ٢٣٣٤).

(٤) [الحجر: ٩٤].

ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾[١].

يقول الماوردي عن واجبات ولي الأمر: «والذي يلزمه من الأمور العامة عشرة أشياء:

أحدها: حفظ الدين على أصوله المستقرة، وما أجمع عليه سلف الأمة، فإن نجم[٢] مبتدع أو زاغ[٣] ذو شبهة عنه، أوضح له الحجة، وبين له الصواب، وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود؛ ليكون الدين محروساً من خلل، والأمة ممنوعة من زلل»[٤].

والقيام بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإظهارها واجب على الكفاية، فيجب على من ولي أمر المسلمين أن ينتدب أقواماً لإقامة هذه الشعيرة العظيمة؛ لقول الله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[٥]، وأرسل الرسول ﷺ علياً رضي الله عنه لإزالة الشرك وأسبابه، فعن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: {ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته}[٦].

وقد سبق أمره وفعله ﷺ فقد هدم أصنام الكعبة بيده كما بيّنت سابقاً.

---

(١) [الحج: ٤١].

(٢) أي: ظهر.

(٣) زَاغَ ُ زَوْغًا ، وزَوَغَانًا : مالَ عن القَصْدِ، و زَاغَ عن الطرق : عَدَلَ. انظر: تهذيب اللغة (٢/ ٣٢٠).

(٤) الأحكام السلطانية (١٧-١٨).

(٥) [آل عمران:١٠٤].

(٦) تقدم تخريجه (ص:٥٤٥).

كذلك كان الرسول ﷺ يعظم المنكر إن تعلق بالعقيدة، فعن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: {إن رسول الله لما خرج إلى حنين مر بشجرة للمشركين يقال لها: ذات أنواط يعلقون عليها أسلحتهم، فقالوا: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال النبي ﷺ: سبحان الله، هذا كما قال قوم موسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم}.[1]

قوله: وعاقبوا من ضل أو يبتدع.

كذلك هنا ينادي الناظم ولاة الأمر ويطالبهم بالواجب الشرعي الملقى على عاتقهم وهو معاقبة المضلين المبتدعين والأخذ على أيديهم، استجابة لقول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾[2].

ولقول الرسول ﷺ: {مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا}[3].

قوله: فمن يزد في الدين غير ما شرع. هنا يوضح الناظم تعريف المبتدع الذي طالب بمعاقبته فيعرفه بأنه الذي يزيد في الدين غير ما شرع.

---

(١) سنن الترمذي (٤/ ٤٧٥، ح٦٧٠٢)، وقال: "حسن صحيح"، واللفظ له. ومسند أحمد (٥/ ٢١٨، ح٢١٩٤٧). وصحيح ابن حبان (١٥/ ٩٤، ح٦٧٠٢). وصححه الألباني في ظلال الجنة (ح٧٦).

(٢) [الحج:٤١].

(٣) تقدم تخريجه (ص: ٥٣٣).

قوله: أو خالف السنة فهو المبتدع. هذا التعقيب من الناظم فيه نظر، فليس كل مخالف للسنة مبتدع فقد يخالف المسلم السنة دون زيادة أو ابتداع في مثل أن يؤديه العبادة على غير صفتها المسنونة، فيكون قد خالف السنة لكنه لم يبتدع.

فلا يُحْكَم على المسلم بالابتداع إلاَّ إذا خالف نصًّا شرعيًّا ظاهرًا أو أمرًا مجمعًا عليه خلافًا لا يُعْذَر فيه، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «والبدعة التي يُعَدُّ بها الرجل من أهل الأهواء، ما اشتهر عند أهل العلم بالسنَّة مخالفتُها للكتاب والسنَّة، كبدعة الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة» (١)

ويقول في نصٍّ آخَرَ: «من خالف الكتابَ المستبين، والسنَّة المستفيضة، أو ما أجمع عليه سلف الأمَّة خلافًا لا يُعْذَر فيه، فهذا يُعامَل بما يُعامَل به أهل البدع» (٢)

ويقول الشيخ صالح الفوزان حفظه الله :" لا فرق بين صاحب البدعة والمبتدع، صاحبه هو المبتدع فمن ارتكب بدعة فإنه يسمى مبتدعاً، إلا إذا كان جاهلاً لا يعلم أنها بدعة فلا يحكم عليه بالابتداع حتى يبين له، أما إذا كان متعمداً وعارفاً أنها بدعة وعمل بها هذا مبتدع، فكل ما خالف الأدلة في الاعتقاد أو في العمل ؛ فإنه بدعة "(٣)

والبدعة في اللغة اسم من الابتداع، فهي من بَدَعَ الشيء يَبْدَعُه بَدْعاً وابتدعه: أنشأه وبدأه.والبديع والبِدْعُ الشيء الذي يكون أولاً، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾(٤) أي ما كنت أول من أُرسِل، قد أرسل قبلي رسلٌ كثير.

(١) الفتاوى، ٢٤/ ١٧٠.

(٢)المصدر نفسه (٢٤/ ١٧٢).

(٣) فتاوى الشيخ ، رقم الفتوى٣٩٨٥.

(٤) [الأحقاف:٩].

وفلان بِدْعٌ في هذا الأمر أي أولُ لم يسبقه أحد، وأبدع وابتدع وتبدَّع: أتى ببدعةٍ، قال تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾[1].

وقال تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[2]، فهو ﷻ الخالق المخترع لا عن مثال سابق[3].

فالبدعة في اللغة معناها يدور حول الاختراع والإحداث والابتداء والإنشاء.

وأما البدعة شرعا فقد عرفها جمع من العلماء بتعريفات متنوعة تصب في معنى واحد، قال شيخ الإسلام ﷺ: «البدعة في الدين هي ما لم يَشْرَعْه اللهُ ورسولُه»[4].

وقال ابن رجب ﷺ: «والمراد بالبدعة: ما أُحْدِثَ ممَّا لا أصلَ له في الشريعة يدُلُّ عليه، فأمَّا ما كان له أصلٌ من الشرع يدُلُّ عليه، فليس ببدعةٍ شرعًا، وإن كان بدعةً لغةً»[5].

وقال ابن حجر ﷺ: «ما أُحْدِثَ ولا دليلَ له من الشرع بطريقٍ خاصٍّ ولا عامٍّ»[6].

وقال الراغب: «إيراد قولٍ لم يستَنَّ قائلُها وفاعلها فيه بصاحب الشريعة وأماثِلِها المتقدِّمة وأصولِها المتقَنَة»[7].

وقال الشاطبي ﷺ: «عبارةٌ عن طريقةٍ في الدين مخترعةٍ تضاهي الشرعِيَّة، يُقْصَدُ بالسلوك عليها المبالغةُ في التعبُّد لله سبحانه»[8].

---

(١) [الحديد:٢٧].

(٢) [البقرة:١١٧].

(٣) انظر: لسان العرب (٨/ ٧) مادة (بدع). وتاج العروس (٢٠/ ٣١١) مادة (بدع). والقاموس المحيط (٣/ ٣) مادة (البديع).

(٤) مجموع الفتاوى (٤/ ١٠٧ - ١٠٨).

(٥) جامع العلوم والحكم (ص: ٥٠٠).

(٦) فتح الباري (١٣/ ٢٥٤).

(٧) المفردات في غريب القرآن (ص:٣٩).

(٨) الاعتصام للشاطبي (١/ ٤٣).

ويتلخص مما تقدم أن البدعة في اللغة تشمل الأمر المحدث المخترع المذموم والأمر الحسن لأن الأمر المخترع قد يترتب عليه مصلحة فيكون حسنًا، وقد يترتب عليه مفسدة فيكون مذمومًا، وأما في الشرع فلا تطلق إلا على شيء مذموم، وسميت البدعة في الدين بدعة لكونها مخترعة محدثة.

قال ابن حجر رحمه الله: «فالبدعةُ في عُرْفِ الشرع مذمومةٌ بخلاف اللغة، فإنَّ كلَّ شيء أُحْدِثَ على غير مثالٍ يسمى بدعةٌ سواءٌ كان محمودًا، أو مذمومًا»[(١)].

وأما ما ورد عن بعض السلف من استِحْسَان بعضِ البدَعِ، فإنّه يحمل على أنه في البدع اللغويَّة، لا الشرعيَّة.

فمن ذلك قول عمر رضي الله عنه لّمّا جمع النّاسَ في قيام رمضان على إمام واحدٍ في المسجد، وخرج ورآهم يصَلُّون كذلك، فقال: [نعمتِ البدعةُ هذه][(٢)] [(٣)].

وعلى هذا فالبدعة في الشرع لا تطلق إلا على شيء مذموم، وهو الصواب الذي دلت عليه الأدلة، قال رسول الله ﷺ: {فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسَّكوا بها، وعَضُّو عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإنَّ كل محدثة بدعةٌ، وكلَّ بدعة ضلالةٌ}[(٤)].

وقال ﷺ: «أما بعد: فإن خيرَ الحديث كتابُ الله ،وخير الهدْيِ هديُ محمد، وشرَّ الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة»[(٥)].

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٢٥٣).

(٢) البخاري (٢/ ٦٠ ، ٢٠١٠).

(٣) انظر: جامع العلوم والحكم (ص:٥٠١). وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٣٨) عند تفسير الآية: (١١٦) من سورة البقرة.

(٤) تقدم تخريجه ص:١٤٠

(٥) تقدم تخريجه (ص:١٤١).

ففي هذين الحديثين دلالة على أن البدع مذمومة كلُّها، وكلُّها ضلالة، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «فهذا نصُّ رسول الله ﷺ، فلا يحِلُّ لأحد أن يدفع دلالته على ذمّ البدع، ومن نازع في دلالته فهو مراغمٌ»(١)، ثم قال رحمه الله: «ولا يحُلُّ لأحدٍ أن يقابِل هذه الكلمةَ الجامعةَ من رسول الله ﷺ، وهي قوله: (كل بدعة ضلالةٌ) بسلب عمومها، وهو أن يقال: ليست كلُّ بدعة ضلالةً، فإنَّ هذا إلى مُشَاقَّةِ رسول الله ﷺ أقربُ منه إلى التأويل»(٢).

ومن ذلك قوله ﷺ: {مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ}(٣).

ووجه الاستدلال أنّ الإحداث في الدين الذي هو بدعة أمر مردود بجميع أنواعه، فلا توجد ثمة بدعة حسنة.

والآثار عن السلف الصالح أيضا دالةٌ على ذمهم للبدع مطلقا دون تفريق بين البدعة الحسنة والبدعة السيئة.

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: [كلُّ بدعة ضلالةٌ، وإنْ رآها الناسُ حسنةً](٤).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: [ما يأتي على الناسِ من عامٍ إلا أحدثوا فيه بدعةً، وأماتوا فيه سنةً، حتى تَحْيَى البدعُ، وتموتَ السُّنَنُ](٥).

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٥٨٦-٥٨٧).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٥٩١).

(٣) تقدم تخريجه (ص: ٢٩٨).

(٤) أخرجه محمد بن نصر المروزي في السنة (ص: ٩٤ رقم: ٨٣).

(٥) أخرجه ابن وضَّاح في البدع والنهي عنها (ص:٤٥)، والطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٣١٩ رقم ١٠٦١٠)، قال الهيثمي: (ورجاله موثقون). مجمع الزوائد (١/ ٤٤٧ رقم ٨٩٢).

وقال الإمام مالك رحمه الله: [من ابتدَعَ في الإسلام بدعةً يراها حسنةً فقد زَعَم أنَّ محمدًا ﷺ خان الرسالةَ لأنَّ الله يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[1]، فما لم يكن يومئذٍ دينًا؛ فلا يكون اليوم دينًا]»[2].

وقال الإمام أحمد رحمه الله: «أصولُ السنة عندنا التمسُّكُ بما كان عليه أصحابُ رسول الله ﷺ، والاقتداءُ بهم، وتركُ البدع، وكلُّ بدعة ضلالةٌ»[3].

قوله: فاهدوا برفق سائر الجهال. يختم الناظم رحمه الله الفصل بما لام عليه سابقًا ولاة الأمر من إهمالهم هداية العوام ويطالبهم بأن يسعوا في هداية الأتباع الجهال الذين غُرّر بهم، وأن ترافق هدايتهم اللين والرفق بهم فإنهم عوام جهّال غير قاصدين للابتداع والمخالفة.

قوله: وانفوا دعاة الزيغ والضلال. هنا أيضًا يطالب الناظم ولاة الأمر بإنزال العقوبة بهؤلاء المضلّين المغررين بالجهال دعاة الانحراف عن دين الله وعن سنة رسول الله ﷺ وذلك بنفيهم وإبعادهم عن مخالطة هؤلاء العوام الجهال.

قال الماوردي رحمه الله مبيناً واجبات ولي الأمر: «فإن نجم مبتدع أو زاغ ذو شبهة عنه، أوضح له الحجة، وبين له الصواب، وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود؛ ليكون الدين محروساً من خلل، والأمة ممنوعة من زلل»[4].

المعنى الإجمالي للأبيات:

يتوجه الناظم رحمه الله إلى ولاة أمر المسلمين في كل البلدان ناصحًا لهم ومبينًا أنهم قد

(١) [المائدة:٣].

(٢) الاعتصام (١/ ٦٢).

(٣) طبقات الحنابلة لأبي يعلى الفراء (٢/ ١٦٦).

(٤) الأحكام السلطانية (١٧-١٨).

قصـروا في هداية العـوام ووصـل التقصـير إلى حـد الإهمـال، وبسـبب ذلـك الإهمـال انتشـر الإلحاد في الدين والفساد بشتى صوره، والجهل والضلال عـن الشـرع والعناد عن قبول الحق أو ترك الباطل.

ومذكرًا لهم بالمسؤولية التي سوف يسأل عن رعيتها هل نصح فيها وصدق أو أنـه خان فيها وغش. ناصحاً لهم كذلك بأن يتقوا الله في هذه المسؤولية ولا يراعـون أحـدًا قد حاد عن الطريق المستقيم على حساب الدين.

وأن يصدعوا بالحق ويعاقبوا أهل الضلال والبدع، وهم الذين يزيدون في دين الله غير ما شـرعه ويخالفون سنة نبيه ﷺ.

ويهدوا الجهال من العوام ويبينوا لهم الطريق برفق وينفوا دعاة البدع الزائفين عـن الطريق المستقيم الضالين عنه.

خاتمة في التصوف المحمود [1]

(مجمل ما عرضه الفصل)

بيّن فيه الناظم رحمه الله أن انقطاع العبد بالكلية للعبادة إذا كان قصده إرضاء الله، وكانت أعماله صالحة، وكان مقدماً للعلم على العمل، سائراً على منهج السلف في العبادة، مع مراقبة الله في السر والعلن، مع الإكثار من ذكر الله، والتفقه في الدين، والمداومة على الطاعة وأولها الواجبات كالصلاة جماعة فلا بأس بذلك..

ثم تكلم عن أفضل الأذكار والعبادات، وأن أفضل العبادات هو العلم بالتوحيد، وفهم معنى الشهادتين، وتفهم كتاب الله والعلم به...

وذكر في هذه الخاتمة جملة من الوصايا فيها بيان للأسباب الحقيقية لتزكية النفس ذكر منها:

الإكثار من ذكر الله... وزن الخواطر والأعمال بالكتاب والسنة... تأديب النفس بحكم الشرع... السمو بالنفس وعلو الهمة... الإحسان إلى الأيتام والمساكين، ومعاونة الضعفاء ... رحمة الإخوان في الدين... المحافظة على أوراد الصباح والمساء المأثورة... تفسير القرآن بما تعرفه العرب من كلامها والبعد عن التفسيرات الشاذة... السير على منهج النبي ﷺ واتباع سنته.

---

(1) تجوّز الناظم رحمه الله في وصف التصوف بالمحمود إذا استكمل شروطا معينة ، ، بينما منهج السلف هو رد التصوف جملة وتفصيلاً. أنظرمبحث المآخذ على المنظومة ص:٥٤

خاتمة في التصوف المحمود[1]

٤٨٣ - ثم اعلموا يا معشر الإخوانِ هداكمُ الله العليُّ الشانِ
٤٨٤ - أن انقطاعَ العبد بالكليَّهْ لله بالعبادةِ المرضيَّهْ
٤٨٥ - تبَتُّلاً بصالحِ الأعمالِ مبتغيًا رضاءَ ذي الجلالِ

قوله: ثم اعلموا يا معشر الإخوان.

(ثمَّ) هنا عاطفة على (ثمَّ) في قوله: ثم اسمعوا يا أمة الإسلام، في فصل القبور لينتقل بها إلى معان جديدة وفصل جديد.

والعلم هو: إدراك الشيء على حقيقته، وقيل هو: الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، وقيل هو: صفة راسخة تدرك بها الكليات والجزئيات[2].

والأخوة هنا هي أخوة الدين، وإن كان يختلف معهم في بعض أصوله وفروعه إلا أنهم مغرّر بهم لذلك لا تنتفي عنهم الأخوة، والتقرب إليهم بهذه الألفاظ الجميلة هو من باب تأليف القلوب وتحفيزها على استماع الخير.

وهذا شأن الناصحين، فالله عزوجل عندما أرسل موسى وهارون إلى فرعون الطاغية، قال لهما: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾[3].

وكذلك هو شأن الرسول ﷺ في دعوته ونصحه، حيث قال لعمه المشرك أبي

---

(١) تجوّز الناظم رحمه الله في وصف التصوف بالمحمود إذا استكمل شروطا معينة ، أنظرمبحث المآخذعلى المنظومة ص: ٥٤

(٢) التعريفات (١/ ١٩٩).

(٣) [طه: ٤٤].

طالب في مرض موته: {يا عم! قل: لا إله إلا الله}[1].

فكيف بهؤلاء الجهال الذين ضُلّل بهم فهم أحق بالشفقة في النصح.

قوله: هداكمُ الله العليُّ الشانِ.

يطلب الناظم هنا لهم الهداية من الله، وهذا من حسن دعوته وهدايته ﷺ، فالدعوة بدون هداية الله لا سبيل لها إلى المدعو، فهداية الله عز وجل هي أساس التوفيق. كما أخبر الله عز وجل في قوله: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾[2].

والعلي: اسم من أسماء الله عز وجل.

قال الحليمي في معناه: «الذي ليس فوقه فيما يجب له من معالي الجلال أحد، ولا معه من يكون العلو مشتركاً بينه وبينه، لكنه العليّ بالإطلاق»[3].

وقال كذلك: «الذي علا عن كل عيب وسوء ونقص ومن كمال علوه ألا يكون فوقه شيء»[4].

وعلوه سبحانه يشمل ثلاثة أمور[5]:

الأول: علو الشأن قال تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝١﴾[6]، ومعنى علو الشأن: أي علو القدر، فالله عز وجل قدره وشأنه عظيم في أسمائه وصفاته لا يماثله مخلوق، كما قال

---

(١) صحيح البخاري (١/ ٤٥٧، ح١٢٩٤). وصحيح مسلم (١/ ٥٤، ح٢٤).

(٢) [القصص:٥٦].

(٣) الأسماء والصفات، للحليمي، (١/ ٤٥).

(٤) المرجع السابق.

(٥) انظر: طريق الهجرتين (٢/ ١٣٨).

(٦) [الأعلى:١].

تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝١١﴾[(١)].

الثاني: علو القهر، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ۝١٨﴾[(٢)].

الثالث: علو الفوقية، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا﴾[(٣)].

والإيمان بعلو الله يوجب تعظيم الله عز وجل وتنزيهه عن كل نقص.

قوله: أن انقطاع العبد بالكلية لله بالعبادة المرضية.

يقصد رحمه الله بالانقطاع: إشغال جميع الوقت بعبادة الله عز وجل التي رضيها لنا.

قال السعدي رحمه الله: «فإن الانقطاع إلى الله والإنابة إليه، هو الانفصال بالقلب عن الخلائق بمحبة الله، وما يقرب إليه، ويوفي من رضاه»[(٤)].

وليس قصد الناظم رحمه الله بالانقطاع العزلة الكاملة عن الحياة وعن الخلق للعبادة في خلوة أو حتى مسجد، فهذه رهبانية ما كتبها الله عز وجل على العباد، ولا يرضاها لهم، ولم يفعلها رسول الله ﷺ، فقد كان هديه ﷺ منذ ابتداء بعثته إلى وفاته، مجاهدة الخلق ودعوتهم للحق، ولم تشرع العزلة إلا عند الفتنة التي يخشى فيها المسلم على دينه.

والعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة[(٥)].

(١) [الشورى:١١].

(٢) [الأنعام:١٨].

(٣) [النحل:٥٠].

(٤) تفسير السعدي (ص: ٨٢٧).

(٥) مجموع الفتاوى (١٠/٦).

والمرضية: التي رضيها الله عز وجل، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾(1).

وهي العبودية المطلقة التي فضلها الله عز و جل وفضل صاحبها على الاقتصار عليلأنها شاملة لجميع أنواع العبوديات الأخرى، يقول ابن القيم رحمه الله: «وصاحب التعبد المطلق، ليس له غرض في تعبد بعينه يؤثره على غيره، بل لايزال متنقلاً في منازل العبودية، كلما رفعت له منزلة، عمل على سيره إليها، واشتغل بها حتى تلوح له منزلة أخرى، فهذا دأبه في السير حتى ينتهي سيره، فإن رأيت العلماء رأيته معهم، وإن رأيت العباد رأيته معهم، وإن رأيت المجاهدين رأيته معهم، وإن رأيت الذاكرين رأيته معهم، وإن رأيت المتصدقين المحسنين رأيته معهم.

فهذا هو العبد المطلق، الذي لم تملكه الرسوم، ولم تقيده القيود، ولم يكن عمله على مراد نفسه، وما فيه لذتها وراحتها من العبادات، بل هو على مراد ربه، ولو كانت راحة نفسه ولذتها في سواه، فهذا هو المتحقق بـ"إياك نعبد وإياك نستعين" حقاً، القائم بهما صدقاً، ملبسه ما تهيأ، ومأكله ما تيسر، واشتغاله بما أمر الله به في كل وقت بوقته، ومجلسه حيث انتهى به المكان ووجده خالياً، لا تملكه إشارة، ولا يتعبده قيد، ولايستولي عليه رسم، حر مجرد، دائر مع الأمر حيث دار، يدين بدين الآمر أنى توجهت ركائبه، ويدور معه حيث استقلت مضاربه، يأنس به كل محق، ويستوحش منه كل مبطل، كالغيث حيث وقع نفع، وكالنخلة لا يسقط ورقها، وكلها منفعة حتى شوكها، وهو موضع الغلظة منه على المخالفين لأمر الله، والغضب إذا انتهكت محارم الله، فهو لله وبالله ومع الله، قد صحب الله بلا خلق، وصحب الناس بلا نفس، بل إذا

(1) [المائدة:3].

كان مع الله، عزل الخلائق عن البين، وتخلى عنهم، وإذا كان مع خلقه، عزل نفسه من الوسط وتخلى عنها. فواهاً له ما أغربه بين الناس! وما أشد وحشته منهم! وما أعظم أنسه بالله وفرحه به، وطمأنينته وسكونه إليه!! والله المستعان، وعليه التكلان»[١].

قوله: تَبَتُّلاً بصالحِ الأعمالِ. قال النووي رحمه الله: التبتل: هو الانقطاع للعبادة.[٢]

إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨﴾[٣]. أي: انقطع إليه.

وصالح الأعمال: التي صلحت بإخلاصها لله عز وجل وموافقتها لسنة النبي صلى الله عليه وسلم وبذلك يرضاها الله عز وجل. قال الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾[٤] أي: أخلصه وأصوبه[٥].

قوله: مبتغيًا رضاءَ ذي الجلالِ. ذي الجلال: اسم من أسماء الله عز وجل، قال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٧٨﴾[٦]، وقال أنس رضي الله عنه: {كنت جالساً مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد ورجل يصلي، فقال: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت، المنان بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: دعا

---

(١) مدارج السالكين (١/ ١١١).

(٢) شرح النووي على مسلم (٩/ ١٦٧).

(٣) [المزمل:٨].

(٤) [الكهف: ١١٠]

(٥) جامع العلوم والحكم (ص: ٧٢).

(٦) [الرحمن:٧٨].

الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى}[1]، وهو من الأسماء المضافة، حيث أضيفت الصفة (الجلال) إليه ﷻ، والجلال يضمن التعظيم وغيره من الأوصاف.

ويقصد بذلك: أن تكون أعماله وعباداته خالصة لله يبتغي بها رضاه.

المعنى الإجمالي للأبيات:

يهدي الناظم ﷺ المريدين إلى أسباب تزكية النفوس التي يدعونها أو ينشدونها داعياً لهم بالهداية من الله العلي في شأنه ومكانته.

مبينًا لهم أهمية أن ملازمة العبادة التي يرضاها الله ﷷ في كل وقت بقصد التقرّب من الله بصالح الأعمال ابتغاء رضاه ﷻ هو أو لأمر يجب أن يعلموه ويطلبوه للوصول إلى مبتغاهم.

(١) سنن الترمذي (٥/ ٥٥٠، ح٣٥٤٤). سنن أبي داود (١/ ٥٥٤، ح١٤٩٧). وسنن ابن ماجه (٢/ ١٢٦٨، ح٣٨٥٨). والألباني في الصحيحة (ح١٣٤٢).

٤٨٦ - مقدِّمًا للعلم من قبلِ العمل حتى يكونَ سالمًا من الخللْ
٤٨٧ - مبتدئًا بالعلم بالطهارَهْ عن جملةِ الأحداثِ والقذارَهْ
٤٨٨ - والعلم بالمفروضِ والمسنونِ من كل مطلوبٍ بأصلِ الدينِ
٤٨٩ - وليعلمِ الحرامَ والمكروها حتى يُنَزِّهْ نفسَه تنزيها
٤٩٠ - من فعلِ مكروهٍ وعن محرَّمِ والعلم محتاجٌ إلى التعلمِ
٤٩١ - مُصفِّيا بالعلم رانَ قلبِهِ وكلّ ما يبعده عن ربِّهِ

قوله: مقدماً للعلم من قبل العمل.

يهدي الناظم رحمه الله المريد إلى أهمية تقدم العلم للعبادات حتى تسلم من مخالفة هدي الرسول صلى الله عليه وسلم وسنته.

وهذا هدي القرآن تقديم العلم على العمل، كما أمر الله عز وجل بذلك في كتابه في قوله تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾(١).

وقد بوب البخاري رحمه الله في صحيحه باب العلم قبل القول والعمل وصدره بالآية السابقة(٢).

وطلب العلم عبادة سابقة على الصلاة والصيام وسائر العبادات، لأنه لا يمكن للمسلم أن يصلي ويصوم ويعبد ربه حتى يتعلم هذه العبادات، لذلك بعث الله رسله لتعليم الناس: ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ

(١) [محمد:١٩]

(٢) صحيح البخاري (١/ ٢٤).

﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾(١).

والجاهل بأحكام عبادته لن يؤديها على الوجه الذي شرعها الله عليه، فلن تكون سبيل قرب وتزكية له، فكانت فريضة طلب العلم مقدمةً على باقي الفرائض من هذا الوجه.

فلا بد أن يتعلم الحد الأدنى من العلم في عقيدته وفقهه وتزكيته، لكي يعرف ما ينبغي عليه أن يطهِّر نفسه منه، وما ينبغي أن يزكيها به.

قوله: حتى يكون سالماً من الخلل.

يقصد الخلل الناشئ عن العمل بدون علم، فإنه يوقع في الضلالة والبدع، وقد أمرنا الله عز وجل أن نطلب هداية الصراط المستقيم الذي هو سبيل المؤمنين وهو العلم النافع أولاً ثم العمل الصالح، وأخبرنا أن هناك فريقان ضلاّ هذا الطريق المستقيم: الأول: المغضوب عليهم وهم اليهود الذين علموا الحق ولم يعملوا به، والثاني: النصارى الذين عملوا على غير علم فضلّوا الطريق. فقال تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾(٢).

قوله: مبتدئاً بالعلم بالطهاره.

أي: أن العلم بطهارة القلوب والأبدان هي أول ما يبدأ به في التعلّم.

أما طهارة القلب فلأن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾(٣). وذلك يشمل القلب والبدن، ولأنه

(١) [البقرة:١٥١].

(٢) [الفاتحة:٦-٧].

(٣) [البقرة:٢٢٢].

الأساس والملك الذي إذا صلح صلحت بقية الأعضاء، كما جاء في الحديث: {ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كلّه ألا وهي القلب}(١).

وأما طهارة الأبدان فلأن الطهارة شرط في صحة كثير من الأعمال ولا تتم إلا بها، كالصلاة، والطواف في الحج.

وقد أمر الله عز وجل بها في قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾﴾(٢). وقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾(٣). فأمر كل من قام إلى الصلاة أن يتطهر قبل فعلها.

وأخبر أنه يحب أهلها كما في قوله تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾(٤).

وأمر بها الرسول ﷺ في قوله: {مفتاح الصلاة الطهور}(٥).

والقاعدة الأصولية تؤكد على أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب(٦).

وأول ما يجب على طالب التزكية أن يعلمه من الفقه في هذه المرحلة ما يأتي:

١ – أن يتعلم التوحيد بأدلته والشرك وأسبابه وأنواعه.

٢ – أن يتعلم العبادات المفروضة، وكيف يؤديها، كالطهارة والصلاة

---

(١) صحيح البخاري (١/ ٢٨، ح٥٢)، وصحيح مسلم (٣/ ١٢١٩، ح١٥٩٩).

(٢) [المدثر:٤].

(٣)[المائدة:٦].

(٤)[التوبة:١٠٨].

(٥) سنن الترمذي (١/ ٩، ح٣). سنن أبي داود (١/ ١٦، ح٦١). وسنن ابن ماجه (١/ ١٠١، ح٢٧٥). ومسند أحمد (١/ ١٢٣، ح١٠٠٦). وصححه الألباني في صحيح الجامع (ح٥٨٨٥).

(٦) قاعدة أصولية انظرها في شرح مختصر الروضة، (١/ ٣٣٥). والإحكام للآمدي (١/ ١٥٢). والمستصفى (١/ ٥٧).

والصيام إذا كان شهره، والحج إذا كان وقته، والزكاة إذا وجبت في ماله.

٣- أن يتعلم الكبائر والمعاصي، ويتوجه إلى التوبة منها، ويبذل جهداً في تركها.

٤- أن يتعلم المعاملات فيترك ما كان منها مخالفاً، كالربا والبيوع الفاسدة والرشوة، ويعمل أعماله الدنيوية وفق أمر الله وأحكامه.

قوله: عن جملة الأحداث والقذاره.

قوله الأحداث جمع حدث وهو: الوصف القائم بالبدن الذي يمنع من الصلاة ونحوها مما تشترط له الطهارة[١].

والقذارة هي: النجاسة[٢].

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾[٣]: أي: طهّر نفسه من الدنس والخبث والشرك، وعبد الله وحده لا شريك له، واتبع المرسلين فيما جاءوا به من خبر وطلب[٤].

والمؤمن يزكو بالطهارة وبالوضوء، كما قال الله: عز وجل ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[٥].

---

(١) الروض المربع على زاد المستنقع، (١/ ١٣). والشرح الممتع على زاد المستقنع، لابن عثيمين (١/ ٢٥).

(٢) المرجع السابق.

(٣) [طه:٧٥-٧٦].

(٤) انظر تفسير ابن كثير (٣/ ١٥٦).

(٥) [التوبة:١٠٨].

قوله: والعلم بالمفروض والمسنون.

أي: الذي فرضه الله ﷻ علينا، سواءً في كتابه أو في سنة رسوله ﷺ، فإن العلم به من أهم العلوم؛ لأن المفروضات هي أساسات الإسلام وأركان الإيمان.

والفرض في الاصطلاح: مرادف للواجب في أصح الروايتين عن الإمام أحمد ؒ وهو قول الشافعي ؒ أيضاً، وعند الأحناف يفرقون بينه وبين الواجب، فالفرض عندهم: ما ثبت بدليل قاطع شرعاً كنص الكتاب والإجماع[1].

والواجب: ما ثبت بدليل ظني كالقياس وخبر الواحد[2].

قوله: (المسنون). السنة لغة: الطريقة، واصطلاحاً: ما نقل عن الرسول ﷺ قولاً أو إقراراً[3].

وقال الشاطبي: «يطلق لفظ السنة على ما جاء منقولاً عن النبي ﷺ على وجه الخصوص مما لم ينص عليه في الكتاب العزيز... ويطلق أيضاً في مقابلة البدعة... ويطلق أيضاً لفظ السنة على ما عليه الصحابة، وجد ذلك في الكتاب أو السنة أو لم يوجد... »[4].

قوله: من كل مطلوب بأصل الدين.

أصل الدين هو أساسه وقاعدته التي يقوم عليها، وهو توحيد الله ﷻ.

قال الصنعاني ؒ: «فاعلم أن هاهنا أصولاً هي قواعد للدين، ومن أهم ما تجب

---

(١)شرح مختصر الروضة (١/ ٢٧٥).

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق (٢/ ٦٠).

(٤) الموافقات، الشاطبي، (٤/ ٢٩٠).

معرفته على الموحدين»[1].

وأهل السنة والجماعة يقصدون بأصول الدين أصول الإيمان الستة، وما يندرج في ذلك من المسائل الأصلية والتبعية.

وقد استعمله طائفة من علماء الحديث والسنة ويعنون به ما دلت عليه الألفاظ الشرعية مثل: (العقيدة، السنة، التوحيد، الشريعة). والمخالفون لهم يقصدون به (علم الكلام)[2].

وكما أن للدين أصلاً كذلك له فروع، وهي الأحكام التكليفية التي أمرنا بالقيام بها،والعلم بها جميعاً أصول الدين وفروعه واجبه ومسنونه مطلوب في الشرع لا فرق بينها فكلها شريعة مطلوبة وكلها طريق لتزكية النفس.

قوله: وليعلم الحرام والمكروها.

المحرم لغة: الممنوع، واصطلاحاً: ما نهى عنه الشارع على وجه الإلزام بالترك. ويسمى محظوراً أو ممنوعاً، ويثاب تاركه امتثالاً، ويستحق العقاب فاعله[3].

أما المكروه لغة: المبغض، واصطلاحاً: ما نهى عنه الشارع لا على وجه الإلزام بالترك، كالأخذ والإعطاء بالشمال[4].والمكروه يثاب تاركه امتثالاً، ولا يعاقب فاعله[5].

والعلم بهما مطلوب مثل الواجبات، والنصوص التي تحث على العلم عموماً تشملهما.

---

(١) تطهير الاعتقاد، الصنعاني، (١/ ١).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، صالح آل الشيخ، (١/ ٨).

(٣) الأصول من علم الأصول، ابن عثيمين (١/ ٨).

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

قوله: حتى ينزه نفسه تنزيها.

النَّزَه: تجنيب النفس المدانس، ورجل نزيه الخلق: بعيد عن المطامع الدنيّة[1].

وقصد الناظم أن العلم بالمحرمات والمكروهات طريق لتنزيه النفس وتزكيتها تمام التزكية كما سيأتي في البيت القادم.

قوله: والعلم محتاجٌ إلى التعلمِ.

فإن التعلم وملازمة العلماء هي طريق العلم ومفتاحه. وهو يشير إلى حديث: {إنما العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم..}[2].

قوله: مُصفِّيا بالعلم رانَ قلبهِ.

يهدي الناظم المريد إلى أن العلم النافع من أهم أسباب تزكية النفس؛ لأنه يؤدي إلى خشية الله وزيادة الإيمان به عز وجل، قال تعالى مبيناً ذلك: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ

---

(١) جمهرة اللغة، (١/ ٤٦٢). معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (٥/ ٤١٧).

(٢) من حديث أبي الدرداء: المعجم الأوسط للطبراني (٣/ ١١٨، ح٢٦٦٣)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٢٨): "رواه الطبراني في الأوسط وفيه محمد بن الحسن بن أبي يزيد وهو كذاب".
والمغني عن حمل الأسفار (٢/ ٨٥٠) وضعف سنده. وصححه الألباني في الصحيحة (ح٣٤٢).
قلت فالحديث لا ينزل - إن شاء الله - عن الحسن لغيره، بسنده عن معاوية مرفوعاً، ويشهد له وروده موقوفاً عن ابن مسعود ، فقد جاء موقوفاً بسند صحيح عن ابن مسعود عند وكيع في الزهد (٣/ ٨٣١، تحت رقم ٥١٨)، وعن وكيع أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ١٨٨)، وأحمد في الزهد ص٣٠٠، وأبوخيثمة في العلم ص٢٨، ولفظه: "إن أحداً لا يولد عالماً، وإنما العلم بالتعلم".
وقال في فتح الباري: "قوله: "وإنما العلم بالتعلم" هو حديث مرفوع أيضا أورده بن أبي عاصم والطبراني من حديث معاوية أيضا بلفظ: "يا أيها الناس تعلموا إنما العلم بالتعلم والفقه بالتفقه ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين"، إسناده حسن إلا أن فيه مبهما اعتضد بمجيئه من وجه آخر. فتح الباري(١/ ١٦١).

ﵟٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْﵞ(١)، فالذين يعلمون ما جاءت به الشريعة، ومعنى الشهادتين ومقتضياتها، وحكمة الشريعة في أحكام الحلال والحرام، لا ريب أنهم أقرب الناس إلى دين الله، وأعرف الناس بالله وأكثرهم زكاة بسبب خشية الله.

وقوله: ران قلبه. أي ما يغطيه ويحجب العلم عنه. قال تعالى: ﵟكَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمﵞ(٢). أي: غلب على قلوبهم وغَمَرها وأحاطت بها الذنوب فغطتها، يقال منه: رانت الخمر على عقله، فهي تَرِين عليه رَيْنا، وذلك إذا سكر، فغلبت على عقله(٣).

وقوله : مصفياً .التصفية لم أقف على ما يدل عليها وإنما الذي ورد التزكية، فالتزكية هي المصطلح الشرعي.

والتزكية لغة: الطهارة والنماء والزيادة(٤).

واصطلاحاً: إصلاح النفوس وتطهيرها عن طريق العلم النافع والعمل الصالح، وفعل المأمورات وترك المحظورات(٥).

وقد فسر النبي ﷺ معنى تزكية النفس بالإحسان، حيث قال: {ثلاث من فعلهن فقد ذاق طعم الإيمان: من عبد الله ﷻ وحده بأنه لا إله إلا هو، أعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه في كل عام، ولم يعط الهرمة، ولا الدرنة، ولا المريضة، ولكن من أوسط أموالكم، فإن الله ﷻ لم يسألكم خيرها، ولم يأمركم بشرها، وزكى نفسه، فقال رجل:

(١) [فاطر:٢٨].

(٢) [المطففين: ١٤].

(٣) انظر: لسان العرب (١٣/ ١٩٢). مختار الصحاح (١/ ١٣٣).

(٤) تهذيب اللغة (١٠/ ١٧٥).

(٥) معالم في السلوك، لعبد اللطيف (ص: ٥٧- ٥٨).

وما تزكية النفس؟ فقال: أن يعلم أن الله عز وجل معه حيث كان}[(١)].

ويكفي بياناً لأهمية التزكية أن الله تعالى أقسم أقساماً كثيرة ومتوالية على أن صلاح العبد وفلاحه منوط بتزكية نفسه، فقال سبحانه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾[(٢)].

وقال سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥﴾[(٣)].

وكان الأنبياء عليهم السلام يدعون إلى تزكية النفوس، فهذا موسى عليه السلام يقول لفرعون: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ۝١٩﴾[(٤)].

وقال تعالى عن نبينا محمد ﷺ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾[(٥)].

وتزكية النفس سبب الفوز بالدرجات العلى، والنعيم المقيم، كما قال عز وجل: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَـٰتُ ٱلْعُلَىٰ ۝٧٥ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ۝٧٦﴾[(٦)].

---

(١) المعجم الصغير للطبراني (١/ ٣٣٤، ح٥٥٥)، وقال: "لا يروى هذا الحديث عن بن معاوية إلا بهذا الإسناد، ولا نعرف لعبد الله بن معاوية الغاضري حديثاً مسنداً غير هذا". وسنن البيهقي (٤/ ٩٥، ح٧٠٦٧). وصححه الألباني في الصحيحة (ح ١٠٤٦).

(٢) [الشمس:٧-١٠].

(٣) [الأعلى:١٤-١٥].

(٤) [النازعات:١٨-١٩].

(٥) [الجمعة:٢].

(٦) [طه:٧٥-٧٦].

قال ابن كثير رحمه الله: «أي: طهّر نفسه من الدنس والخبث والشرك، وعبد الله وحده لا شريك له واتبع المرسلين فيما جاءوا به من خبر وطلب»[١].

وكان من دعائه ﷺ: {اللهم آت نفسي تقواها، وزكِّها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها}[٢].

وقد اهتم السلف بتزكية النفوس، ونقل العلماء أنه من مذهب أهل السنة. يقول الأصفهاني رحمه الله: «ومن مذهب أهل السنة التورع في المآكل والمشارب والمناكح[٣]، والتحرر من الفواحش والقبائح، والتحريض على التحابّ في الله عز وجل، واتقاء الجدال والمنازعة في أصول الدين، ومجانبة أهل الأهواء والضلالة، وهجرهم ومباينتهم، والقيام بوفاء العهد والأمانة، والخروج من المظالم والتبعات، وغض الطرف عن الريبة والحرمات، ومنع النفس عن الشهوات، وترك شهادة الزور، وقذف المحصنات، وإمساك اللسان عن الغيبة والبهتان، والفضول من الكلام، وكظم الغيظ والصفح عن زلل الإخوان، والمسابقة إلى فعل الخيرات، والإمساك عن الشبهات، وصلة الأرحام، ومواساة الضعفاء، والنصيحة في الله والشفقة على خلق الله، والتهجد لقيام الليل لا سيما لحملة لقرآن، والبدار إلى أداء الصلوات»[٤].

وذكر ابن تيمية رحمه الله جملة من الصفات السلوكية والأخلاقية لأهل السنة التي تزكي النفوس، ومن ذلك قوله: «يأمرون بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، والرضا بمر القضاء، ويدعون إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ويعتقدون معنى

(١) انظر تفسير ابن كثير (٣/ ١٥٦).

(٢) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٨٨، ح٢٧٢٢).

(٣) يقصد أبواب النكاح والفروج.

(٤) الحجة في بيان الحجة (٢/ ٥٢٨).

قوله ﷺ: {أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً}[١]، ويندبون أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، ويأمرون ببر الوالدين، وصلة الأرحام، وحسن الجوار والإحسان إلى اليتامى والمساكين وابن السبيل والرفق بالمملوك، وينهون عن الفخر والخيلاء والبغي والاستطالة على الخلق بحق أو بغير حق، ويأمرون بمعالي الأخلاق وينهون عن سفاسفها»[٢].

قوله: وكلّ ما يبعده عن ربِّهِ .أي: من الصوارف والمشاغل التي تشغل فكر وقلب العبد فتتسبب في غفلته وقسوة قلبه ومن ثم تبعده عن ربه.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «فكذلك النفس والأعمال لا تزكو حتى يزال عنها ما يناقضها»[٣].

وقال ابن القيم رحمه الله في وجوب التخلص من هذه الشواغل والمعوقات: «والمقصود: أن المريد إن لم يتخلص قصده في مطلوبه عما يعوقه من الشواغل أو ما يدركه من المعوقات؛ لم يبلغ مقصوده، ولم يصل إليه، وإن وصل إليه فبعد جهد شديد ومشقة، بسبب تلك الشواغل، ولم يصل القوم إلى مطلبهم إلا بقطع العلائق ورفض الشواغل»[٤].

(١) سنن الترمذي (٣/ ٤٦٦، ح١١٦٢). وسنن أبي داود (٤/ ٢٢٠، ح٤٦٨٢، ح). ومسند أحمد (٢/ ٢٥٠، ح٧٣٩٦). والمستدرك للحاكم (١/ ٤٣، ح١). والألباني في الصحيحة (ح٢٨٤).

(٢) العقيدة الواسطية مع شرح الهراس (ص: ١٧٢-١٧٣).

(٣) المجموع (١٠/ ٦٢٩).

(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ٢٠٠)

وقال أيضاً ﷺ موضحاً أثر هذه الشواغل والقواطع على القلب: «اعلم أن القلب يسير إلى الله عز وجل والدار الآخرة، ويكشف عن طريق الحق ونهجه، وآفات النفس والعمل، وقطاع الطريق بنوره وحياته وقوته، وصحته وعزمه، وسلامة سمعه وبصره، وغيبة الشواغل والقواطع عنه، وهذه الخمسة تطفئ نوره، وتعور عين بصيرته، وتثقل سمعه، إن لم تصمه وتبكمه وتضعف قواه كلها، وتوهن صحته وتفتر عزيمته، وتوقف همته، وتنكسه إلى ورائه، ومن لا شعور له بهذا فميت القلب، وما لجرح بميت إيلام، فهي عائقة له عن نبل كماله. قاطعة له عن الوصول إلى ما خلق له. وجعل نعيمه وسعادته وابتهاجه ولذته في الوصول إليه»(١).

وقال أيضاً ﷺ مبيّناً أهمية إبعاد الصوارف عن القلب لينتفع بالهداية: "إن لم يصرف عنه الموانع والصوارف التي تمنع موجب الهداية وتصرفها لم ينتفع بالهداية ولم يتم مقصودها له فإن الحكم لا يكفي فيه وجود مقتضيه بل لا بد مع ذلك من عدم مانعه ومنافيه ومعلوم ان وساوس العبد وخواطره وشهوات الغي في قلبه كل منها مانع وصول اثر الهداية اليه فإن لم يصرفها الله عنه لم يهتد هدى تاما "(٢).

وقال أيضاً ﷺ عن حال صاحب التعبد المطلق: «قد صحب الله بلا خلق، وصحب الناس بلا نفس، بل إذا كان مع الله، عزل الخلائق عن البين، وتخلى عنهم، وإذا كان مع خلقه، عزل نفسه من الوسط وتخلى عنها. فواهاً له ما أغربه بين الناس! وما أشد وحشته منهم! وما أعظم أنسه بالله وفرحه به، وطمأنينته وسكونه إليه!! والله المستعان، وعليه التكلان»(٣).

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٤٥٢).

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ٨٤).

(٣) مدارج السالكين (٢/ ٣١٥).

المعنى الإجمالي للأبيات:

يهدي الناظم هنا المريد إلى وجوب تقديم العلم على أي عمل حتى يكون العمل صوابًا وفق الشرع، سالمًا من أي مخالفة له.

وأول ما يجب تعلمه الطهارة من كل حدث وقذر، كذلك العلم بكل مفروض ومسنون لكل عبادة تُعد من أصول الدين، وكذلك العلم بالمحرمات والمكروهات حتى يجتنبها وينزه نفسه عنها.

ثم وضح لهم أهمية التعلّم والحاجة إليه في كسب العلم، كذلك أثر العلم في تصفية القلوب من الذنوب.

٤٩٢ - فإن صفا فؤاده من عيبِهِ وصوَّر ابتعاده من قُربِهِ
٤٩٣ - ولازَمَ الحِمْيَةَ حتى عُوفي فذاك للصفاء يُدْعَى صُوفي
٤٩٤ - لأنه قد لازمَ العبادَهْ حتى ارتقَى مراتبَ السعادَهْ

قوله: فإن صفا فؤاده من عيبِهِ.

يوضح الناظم ﵀ بعض العقبات أمام تزكية النفس، والمخرج من ذلك.

فيقول: إن القلب إذا تخلص من عيوبه وصل إلى أعلى مراتب الإيمان، ويقصد عيوب النفس من الكبر والحسد وسائر المعوقات للتزكية من المحرمات والمكروهات، وأعمال القلب هي الأصل، فإذا زال عمل القلب زال الإيمان، وفساد القلوب رأس كل شر، وإذا خبث القلب خبثت الأعضاء. فإذا حرص العبد على تعاهد هذه الأعمال طاب قلبه فطابت أعضاؤه، وصلاح القلوب رأس كل خير، وينشأ عن ذلك اجتناب المحرمات كلها، وتوقي الشبهات حذراً من الوقوع في المحرمات(١).

وتعاهد النفس بمتابعة هذه الأعمال تجعل القلب صالحاً، ليس فيه إلا إرادة الله، وإرادة ما يريده، فإذا كان كذلك، لم تنبعث الجوارح إلا فيما يريده الله، فسارعت إلى ما فيه رضاه، وكفت عما يكرهه، وعما يخشى أن يكون مما يكرهه وإن لم يتيقن ذلك، وهذا هو زكاء القلوب ليس لكل أحد(٢).

قوله: وصوَّر ابتعاده من قُربِهِ.

أي: أصبح عليماً بنفسه وبعيوبها، ومتصوراً مدى قربها من الله وبعدها، وذلك من

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠/ ١٥). جامع العلوم والحكم لابن رجب (١/ ٢١٠-٢١٢). الآداب الشرعية لابن مفلح (٣/ ١٢٤).
(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب (١/ ٢١٣).

خلال المحاسبة الدائمة لنفسه.

قوله: ولازَمَ الحِمْيَةَ حتى عُوفي.

يقصد الحمية عن المحرمات والمكروهات التي هي سبب تدسية النفس، كما قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾[(١)]، قال ابن كثير ﵀: «خسر من دساها بالفجور والمعاصي»[(٢)].

قال شيخ الإسلام ﵀: «وكذلك ترك الفواحش يزكو بها القلب، وكذلك ترك المعاصي، فإنها بمنزلة الأخلاط الرديئة في البدن، ومثل الدغل في الزرع، فإذا استفرغ البدن من الأخلاط الرديئة، كاستخراج الدم الزائد، تخلصت القوة الطبيعية واستراحت، فينمو القلب، وكذلك القلب إذا تاب من الذنوب، كان استفراغاً من تخليطاته، حيث خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فإذا تاب من الذنوب، تخلصت قوة القلب وإراداته للأعمال الصالحة، واستراح القلب من تلك الحوادث الفاسدة التي كانت فيه»[(٣)].

وقال تلميذه ابن القيم ﵀: «والمقصود أن زكاة القلب موقوفة على طهارته، كما أن زكاة البدن موقوفة على استفراغه من أخلاطه الرديئة الفاسدة، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢١﴾[(٤)]، ذكر ذلك سبحانه عقيب تحريم الزنا والقذف ونكاح الزانية، فدل على أن

---

(١) [الشمس:١٠].

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٧٥).

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠/ ٩٦-٩٧).

(٤) [النور:٢١].

التزكي هو باجتناب ذلك»[1].

وقال أيضًا رحمه الله: «القلب يمرض كما يمرض البدن، وشفاؤه في التوبة والحمية»[2].

قوله: فذاك للصفاء يُدْعَى صُوفي.

يقصد بذاك ماذكره سابقاً من تبتل بالأعمال الصالحة وتعلم للعلم وتصفية من عيوب النفس وملازمة للحمية، وليس غير ذلك يؤدي إلى الصفا.

كما قال ابن القيم رحمه الله: «وتزكية النفوس أصعب من علاج الأبدان وأشد، فمن زكى نفسه بالرياضة والمجاهدة والخلوة التي لم يجيء بها الرسل، فهو كالمريض الذي يعالج نفسه برأيه، وأين يقع رأيه من معرفة الطبيب؟ فالرسل أطباء القلوب، فلا سبيل إلى تزكيتها وصلاحها إلا من طريقهم، وعلى أيديهم، وبمحض الانقياد والتسليم لهم»[3].

ويظهر جلياً أن الناظم رحمه الله قد جانب الصواب في مسألة النسبة، فهو يقرن بين الصفا والصوفي، وهذا بعيد وغير موافق من جهة النسبة، فالمعلوم أن النسبة إلى صفا صفائي وليس صوفي[4]. وتسمية المسلم بالصوفي لا تليق ويكفي فيها ترك تسمية الله عز و جل لنا بالمسلمين قال تعالى: ﴿ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ﴾[5]. وقد فصّلت في ذلك في مبحث المآخذ على المنظومة.

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٤٩).

(٢) الفوائد لابن القيم (ص: ١٨٣).

(٣) إغاثة اللهفان (١/ ٧٨).

(٤) انظر: دراسات في الفرق (ص: ٩٨). أبحاث في التصوف، عبد الحليم محمود، (ص: ٥٥).

(٥) الحج: ٧٨

قوله: لأنه قد لازمَ العبادَهْ.

من هنا يهدي الناظم رحمه الله المريد إلى الأسباب المفضية إلى التزكية (الصفا) الذي ذكره.

ويبدؤها بملازمة العبادة والمداومة عليها؛ فإن المداومة والملازمة للعبادة وعدم الغفلة عنها تجعل قلب العبد في حالة تيقظ، ولأن من طبيعة الإيمان الضعف والفتور، فلا بد من ملازمة تغذيته بالعبادات والطاعات، كما قال الرسول ﷺ: {إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب الخلق، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم }[(1)].

وأخبر الرسول ﷺ أن الله يحب الديمة من العمل لما له من أثر في الإيمان، كما قالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ: {أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل}[(2)]. فحب الله عز وجل للعبد هو مفتاح التزكية وجالبها.

أمّا معنى العبادة فقد فسرها ابن عباس رضي الله عنهما بالتوحيد[(3)].

وقال ابن جرير رحمه الله: «معنى العبادة الخضوع لله بالطاعة، والتذلل له بالاستكانة»[(4)].

(1) المستدرك للحاكم (1/ 45، ح5). وحسن إسناده الهيثمي (1/ 52). وحسنه الألباني في الصحيحة (ح1585).

(2) صحيح البخاري (5/ 2201، ح5523). وصحيح مسلم (4/ 2171، ح2818)، واللفظ له.

(3) انظر تفسير ابن جرير، (1/ 160).

(4) تفسير ابن جرير، (1/ 160).

وقال القاضي أبو يعلى[1] رحمه الله: «حقيقة العبادة هي الأفعال الواقعة لله عز وجل على نهاية ما يمكن من التذلل والخضوع المتجاوز لتذلل بعض العباد»[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة»[3].

وقال بعضهم: «العبادة ما أمر به شرعاً من غير اطِّراد عرفي ولا اقتضاء عقلي»[4].

فالتزكية ثمرة العبادات وخلاصة نتائجها، فهي غاية هذه العبادات، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[5]، إنما هو محض التطهير والتزكية، وكما قال جل وعلا: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡ﴾[6]، وقال في الغاية من الصوم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾[7].

والأعمال الصالحة هي أهم وسائل التزكية العملية التي يعيش المسلم حياته معها، وبقدر ما يكثر منها بقدر ما يكون مزكياً لنفسه، بشرط أن يأتي بها على وجهها الذي شرعه الله ويخلص فيها لله، قال تعالى: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ

---

(١) هو: خليل بن عبدالله بن أحمد بن إبراهيم بن الخليل القزويني، أبو يعلى الخليلي، قاض، من حفاظ الحديث، العارفين برجاله، طال عمره، وعلا إسناده. [انظر: سير أعلام النبلاء " ١٧/ ٦٦٦"، " الإعلام للزركلي " ٢/ ٣١٩].

(٢) المعتمد في أصول الدين، (ص: ١٠٣).

(٣) العبودية، (ص: ٣٨).

(٤) مجموعة التوحيد (رسالة في تعريف العبادة لأبي بطين)، (ص: ٤٠٠).

(٥) [التوبة:١٠٣].

(٦) [الحج:٣٧].

(٧) [البقرة:١٨٣].

﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾(١).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «القلب يحتاج أن يتربى فينمو ويزيد حتى يكمل ويصلح، كما يحتاج البدن أن يربى بالأغذية المصلحة له، ولابد من ذلك من منع ما يضره، فلا ينمو البدن إلا بإعطاء ما ينفعه ودفع ما يضره، كذلك القلب لا يزكو، وينمو ويتم صلاحه إلا بحصول ما ينفعه ودفع ما يضره»(٢).

ولكل عمل صالح أمرنا الله به أو ندبنا إليه أثر في تزكية النفس وتصفيتها، فكل العبادات والطاعات تؤدي إلى الصلاح والتقوى قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾(٣)، فهذه الآية تدل على أن العبادات جميعاً لها أثرها في إيجاد التقوى في النفوس.

وأول الواجبات وأهم العبادات أن يطهر العبد نفسه من أنجاس الشرك، ويزكيها بالتوحيد كما قال تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾﴾(٤)، وكما قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾(٥). قال: «الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله»، وكذلك قول موسى عليه السلام لفرعون: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾(٦). أي: تتطهر من هذا الشرك بالتوحيد، فأصل التزكية، التزكية بترك الشرك والقيام بالتوحيد، بل لا تزكو النفس بسائر أنواع العبادات حتى تزكو بالتوحيد أولاً.

(١) [النحل:٩٧].

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠/ ٩٦).

(٣) [البقرة:٢١].

(٤) [المدثر:٤-٥].

(٥) [فصلت:٦-٧].

(٦) [النازعات:١٨].

ثم بعد التوحيد الفرائض وهي مقدمة على غيرها وأحب إلى الله من النوافل، فالفرائض هي من أعظم ما نتقرب به إلى الله بعد الإيمان، قال رسول الله ﷺ: {إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه}(١)، بين هذا الحديث أن الفرائض والنوافل تورث محبة الله وولايته وإكرامه، والله لا يحب إلا من زكت نفسه وطهرت.

قال الشوكاني رحمه الله: «واعلم أن من أعظم فرائض الله سبحانه ترك معاصيه التي هي حدوده، التي من تعداها كان عليه من العقوبة ما ذكره الله تعالى في كتابه العزيز، ولا خلاف أن الله افترض على العباد ترك كل معصية كائنة ما كانت، فكان ترك المعاصي من هذه الحيثية داخلاً تحت عموم قوله: «وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي من مما افترضت عليه»، بل دخول فرائض الترك للمعاصي أولى من دخول فرائض الطاعات كما يدل عليه حديث: «إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فلا تقربوه»(٢).

وقد وردت نصوص كثيرة من الكتاب والسنة تذكر لكل عمل صالح آثاره في تزكية النفس، سنذكر بعضها في هذا الفصل بحسب ما ذكره الناظم.

قوله: حتى ارتقَى مراتبَ السعادَهْ.

كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾(٣).

(١) تقدم تخريجه (ص: ٣٦٤).

(٢) صحيح البخاري (٦/ ٢٦٥٨، ح٦٨٥٨). وصحيح مسلم (٢/ ٩٧٥، ح١٣٣٧)، واللفظ له.

(٣) [طه:٧٥-٧٦].

قال القاسمي(١) رحمه الله في تفسير الآية: «لهم المنازل الرفيعة بسبب إيمانهم وعملهم الصالح... وتطهر من دنس الكفر والمعاصي.. »(٢).

قال ابن القيم رحمه الله مبيّناً ثواب العبادات في الدنيا قبل الآخرة: «والإقبال على الله تعالى والإنابة إليه والرضا به وعنه، وامتلاء القلب من محبته، واللهج بذكره، والفرح والسرور بمعرفته: ثواب عاجل، وجنة وعيش لا نسبة لعيش الملوك إليه ألبتة...»(٣).

وعليه فلا ينبغي لطالب التزكية أن يكتفي بالقليل في هدفه وعمله، ولا يسعى في تزكية نفسه ليحصِّل له الزحزحةَ عن النار فحسب، بل يرغب أن يكون من أهل المقامات العالية والدرجات الرفيعة ويرغب بالمعالي والأهداف السامية.

المعنى الإجمالي للأبيات:

يبيّن الناظم للمريد أنه إذا زكى القلب من أدرانه، وأصبح الفرد عارفًا لعيوبه التي تبعده عن ربه وعباداته التي تقربه منه، وثبت على الابتعاد عن المحرمات والمكروهات حتى تعافى قلبه من أدرانه، عند ذلك ولأجل ما ذكرنا من أسباب يصبح الصفا الذي يجده الفرد في قلبه هو سبب التسمية والإطلاق على الشخص بأنه صوفي.

ثم يعود الناظم إلى بيان الأسباب المؤدية إلى زكاة النفس وصفائها، وأولها ملازمة العبادة وهي سبب ارتقاء العبد أعلى درجات ومراتب الإيمان الموصل للسعادة.

(١) هو محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، إمام الشام في عصره، علما بالدين، وتضلعا من فنون الأدب، كان سلفي العقيدة لا يقول بالتقليد، ولد سنة ١٢٨٣هـ، وتوفي سنة ١٣٣٢ هـ. انظر ترجمته في الأعلام للزركلي (٢/ ١٣٥). ومعجم المؤلفين المعاصرين (٢/ ٥٦٠-٥٦٤).

(٢) محاسن التأويل للقاسمي (١١/ ١٧٨).

(٣) الوابل الصيب (ص: ١٠٤).

٤٩٥ - ولم يــزلْ لنفســه معاتِبــا   وعــن هواهــا دائــمًا مُجانبــا
٤٩٦ - مراقبًــا لله في الــدوامِ   لم يخشَ فيــه لومــةَ اللَّــوامِ
٤٩٧ - يقــول حقًــا صــادقًا لا يكــذبُ   وزاهــدًا عــمَّا ســواه يرغــبُ
٤٩٨ - مؤدَّبًــا بــأدب الشــريعةِ   وعــاملاً بالســنة الرفيعــةِ

قوله: ولم يزلْ لنفسه معاتِبا.

يهدي الناظم رحمه الله المريد إلى أن من أسباب تزكية النفس لوم النفس ومعاتبتها على التقصير.

ومعاتبة النفس ولومها على التقصير من صفات المؤمن، فنفس المؤمن تلومه على تقصيره في جنب الله تعالى دائماً، كما قال سبحانه: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ٢﴾(١).

قال عكرمة رحمه الله:" يلوم على الخير والشر لو فعلت كذا وكذا".

وقال الطبري رحمه الله: "والمعنى والأشبه بظاهر التزيل أنها تلوم صاحبها على الخير والشر وتندم على ما فات"(٢).

وقال ابن القيم رحمه الله: «اللوامة نوعان: لوامة ملومة، وهي النفس الجاهلة الظالمة التي يلومها الله وملائكته. ولوامة غير ملومة وهي التي لا تزال تلوم صاحبها على تقصيره في طاعة الله مع بذله جهده، فهذه غير ملومة»(٣).

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يعاتبون أنفسهم ومن ذلك ما روي عن أنس رضي الله عنه قال: سمعتُ عمرَ بن الخطابِ رضي الله عنه، وقد دخلَ حائطاً، وبيني وبينه جدار، يقول: «عمرُ

(١) [القيامة:١-٢].
(٢) ابن كثير (٤/ ٢٢).
(٣) إغاثة اللهفان (١/ ٧٨).

بن الخطاب أميرُ المؤمنين!! بخٍ بخ، واللهِ لتتقينَ الله يا ابن الخطاب أو ليُعذبنَّك! »[١].

قوله: وعن هواها دائمًا مُجانبا.

يهدي الناظم رحمه الله المريد إلى أن من أسباب تزكية النفس مجانبة هوى النفس.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾[٢]، قال سهل: «ترك الهوى مفتاح الجنة»[٣].

وقد تعوذ النبي ﷺ من الهوى كما في حديث قطبة بن مالك رضي الله عنه كان النّبيّ ﷺ، يقول: {اللّهمّ إنّي أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء}[٤].

وخشيه ﷺ علينا منه كما في حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه أنّه قال: قال رسول اللهّ ﷺ: {إنّ ممّا أخشى عليكم شهوات الغيّ في بطونكم وفروجكم ومضلّات الهوى}[٥].

وعدّه ﷺ من المهلكات كما في حديث أنس رضي الله عنه أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: {ثلاث كفّارات، وثلاث درجات، وثلاث منجيات، وثلاث مهلكات}، أمّا الكفّارات: فإسباغ الوضوء في السّبرات[٦]، وانتظار الصّلوات بعد الصّلوات، ونقل الأقدام إلى الجمعات، وأمّا الدّرجات: فإطعام الطّعام، وإفشاء السّلام، والصّلاة باللّيل والنّاس نيام، وأمّا المنجيات: فالعدل في الغضب والرّضا، والقصد في الفقر

---

(١) موطأ مالك (٢/ ٩٩٢، ح١٨٠٠). والطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٢٩٢). والزهد لابن حنبل (ص١١٥). وذم الهوى لابن أبي الدنيا (ص٤١).

(٢) [النازعات:٤٠-٤١].

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٩/ ١٣٥).

(٤) تقدم تخريجه (ص: ١٨٠).

(٥) تقدم تخريجه (ص: ١٨٠).

(٦) تقدم تخريجه (ص: ١٨١).

والغنى، وخشية اللهّ في السر والعلانية، وأمّا المهلكات: فشحّ مطاع، وهوى متّبع، وإعجاب المرء بنفسه}[(١)].

وكذلك السلف رحمهم الله حذروا من اتباع الهوى، فهذا علي ﵁ يقول: [إنّ أخوف ما أتخوّف عليكم اثنتان: طول الأمل واتّباع الهوى. فأمّا طول الأمل فينسي الآخرة، وأمّا اتّباع الهوى فيصدّ عن الحقّ، ألا وإنّ الدّنيا قد ولّت مدبرة والآخرة مقبلة ولكلّ واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدّنيا، فإنّ اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل][(٢)].

ويقول ابن عبّاس ﵄: [[ما ذكر اللهّ ﷿ الهوى في موضع من كتاب إلّا ذمّه]][(٣)].

كما حذروا من مجالسة أهل الأهواء.

قال الحسن البصري ﵀: «لا تجالسوا أصحاب الأهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم»[(٤)].

وقال أبو قلابة ﵀: «لا تجالسوا أصحاب الأهواء ولا تجادلوهم، فإنّي لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون»[(٥)].

---

(١) حلية الأولياء (٦/ ٢٦٨). ومسند البزار (٢/ ٢٩٠، ح٦٤٩١). والمعجم الأوسط للطبراني (٦/ ٤٧، ح٥٧٥٤). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٩١): "رواه البزار والطبراني في الأوسط ببعضه، وقال: إعجاب المرء بنفسه من الخيلاء، وفيه زائدة بن أبي الرقاد، وزياد النميري، وكلاهما مختلف في الاحتجاج به". وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (ح٤٥٣): "حسن لغيره".

(٢) تقدم تخريجه (ص: ١٨١).

(٣) تقدم تخريجه (ص: ١٨١).

(٤) السنة لعبدالله بن أحمد (١/ ١٣٨، ح١٠٥).

(٥) السنة لعبدالله بن أحمد (١/ ١٣٧) رقم (٩٩). وسنن الدارمي (١/ ١٢١، ح٤٠١). وحلية الأولياء (٢/ ٢٨٧).

وقال ابن بطة رحمه الله: «فلا يحملنّ أحداً منكم حسن ظنّه بنفسه، وما عهده من معرفته بصحّة مذهبه على المخاطرة بدينه في مجالسة بعض أهل هذه الأهواء، فيقول: أداخله لأناظره أو لأستخرج منه مذهبه، فإنّهم أشدّ فتنة من الدّجّال، وكلامهم ألصق من الجرب، وأحرق للقلوب من اللّهب، ولقد رأيت جماعة من النّاس كانوا يلعنونهم ويسبّونهم، فجالسوهم على سبيل الإنكار والرّدّ عليهم، فما زالت بهم المباسطة، وخفيّ المكر، ودقيق الكفر، حتّى صبوا إليهم»[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبيّناً أثر الهوى على الإنسان: «بل إنّ أصحاب الهوى يغضبون على من خالفهم وإن كان مجتهداً معذوراً لا يغضب الله عليه، ويرضون عمّن يوافقهم، وإن كان جاهلاً سيّء القصد، ليس له علم ولا حسن قصد، فيفضي هذا إلى أن يحمدوا من لم يحمده الله ورسوله، ويذمّوا من لم يذمّه الله ورسوله، وتصير موالاتهم ومعاداتهم على أهواء أنفسهم لا على دين الله ورسوله ... وصاحب الهوى يعميه الهوى ويصمّه، فلا يستحضر ما لله ورسوله في الأمر ولا يطلبه أصلاً، ولا يرضى لرضا الله ورسوله، ولا يغضب لغضب الله ورسوله، بل يرضى إذا حصّل ما يرضاه بهواه، ويغضب إذا حصّل ما يغضب له بهواه، فليس قصده أن يكون الدّين كلّه لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، بل قصده الحميّة لنفسه وطائفته أو الرّياء، ليعظّم هو ويثنى عليه، أو لغرض من الدّنيا، فلم يكن لله غضبه، ولم يكن مجاهداً في سبيل الله»[(٢)].

وبيّن الإمام الشاطبي رحمه الله أن اتباع الهوى هو سبب اختلاف الأمة وهو علامة من علامات أهل البدع، حيث يقول وهو يذكر علامات أهل البدع: «فكلّ مسألة حدثت

(١) الإبانة، ابن بطة(٢/ ٤٦٩).

(٢) منهاج السنة النبوية (٥/ ٢٥٥-٢٥٦).

في الإسلام فاختلف النّاس فيها ولم يورث ذلك الاختلاف بينهم عداوة ولا بغضاء ولا فرقة، علمنا أنّها من مسائل الإسلام.

وكل مسألة طرأت فأوجبت العداوة والتّنافر والتّنابز والقطيعة علمنا أنّها ليست من أمر الدّين في شيء... فيجب على كلّ ذي دين وعقل أن يجتنبها، فإذا اختلفوا وتقاطعوا كان ذلك لحدث أحدثوه من اتّباع الهوى... وذكر منها أيضاً اتّباع الهوى وهي الّتي نبّه عليها قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ﴾[1]. وهو الميل عن الحقّ اتّباعاً للهوى[2].

وقال ابن القيم معلقًا على قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[3]: «علق سبحانه الهداية بالجهاد، فأكمل الناس هداية أعظمهم جهاداً، وأفرض الجهاد جهاد النفس، وجهاد الهوى، وجهاد الشيطان، وجهاد الدنيا، فمن جاهد هذه الأربعة في الله، هداه الله سبل رضاه الموصلة إلى جنته، ومن ترك الجهاد، فاته من الهدى بحسب ما عطل من الجهاد»[4].

قال الجنيد: «والذين جاهدوا أهواءهم فينا بالتوبة لنهدينهم سبل الإخلاص، ولا يتمكن من جهاد عدوه في الظاهر إلا من جاهد هذه الأعداء باطناً، فمن نُصر عليها نُصر على عدوه، ومن نُصرت عليه نُصر عليه عدوه»[5].

---

(١) [آل عمران: ٧.

(٢) بتصرف من الموافقات، الشاطبي، (٤/ ١٠٤- ١٠٧).

(٣) [العنكبوت:٦٩].

(٤) الفوائد (ص: ٨٧).

(٥)الفوائد لابن القيم (ص: ١٠٩).

وقال أيضاً: «وهلاك النفس من إهمال محاسبتها ومن موافقتها واتباع هواها»[1].

قوله: مراقبًا لله في الدوامِ.

يهدي الناظم رحمه الله المريد إلى أن من أسباب تزكية النفس مراقبة الله عز وجل في جميع الأوقات.

ومعنى المراقبة: دوامُ علمِك بأن الله لا يخفى عليه شيءٌ من أمرك.

قال ابن المبارك لرجل: راقب الله تعالى، فسأله عن تفسيرها فقال: كن أبدا كأنك ترى الله عز وجل[2].

وسئل الحارث المحاسِبي عن المراقبة فقال: علم القلب بقرب الله تعالى[3].

فإن المراقبة وسيلة للإحسان الذي هو أعلى مراتب النفس البشرية وغاية زكاتها، كما في حديث النبي ﷺ لما سأله جبريل عليه الصلاة والسلام عن الإحسان، قال ﷺ: {أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك}[4].

فالحديث لم يذكر تعريف الإحسان وإنما ذكر الوسيلة الأسهل للتحقق بالإحسان، وهي المراقبة، أي: مراقبة العبد لنفسه، ومراقبته لرقابة الله عليه، فمن انتبه إلى أن الله رقيب يراقبه، وسميع يسمعه، وبصير يراه، وعليم خبير يعلم ظاهره وخفاياه؛ فذلك يدعوه إلى الحياء بين يدي الله، فيصلح عبادته ويجودها بين يديه، ويخجل ويستحيي من معصيته وهو يراه، ويدقق على نفسه فيتأدب بأحسن الآداب.

يقول ابن القيم رحمه الله: «ولكن أحب العباد إلى الله الذين يستكثرون من الصالحات

(١) المرجع السابق (ص: ١٠٩).
(٢) إحياء علوم الدين (٤/ ٢٩٧).
(٣) المرجع السابق.
(٤) صحيح البخاري (١/ ٢٧، ح٥٠). وصحيح مسلم (١/ ٣٦، ح٨).

مع المراقبة فيها»[1].

وللمراقبة ثمرات عديدة تعود على النفس بالتزكية ومنها:

١- الإيمان، فعن عبد الله بن معاوية رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «ثلاثٌ من فعلهنَّ فقد طَعِم طعمَ الإيمان: من عبد الله وحده وأنه لا إله إلا الله. وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه، رافدةً عليه كلَّ عام، ولا يعطي الهرِمَة، ولا الدَّرِنَة، ولا المريضة، ولا الشَّرَطَ اللئيمة، ولكن من وسط أموالكم، فإن الله لم يسألكم خيره ولم يأمركم بشره. وزكى نفسه». فقال رجل: وما تزكية النفس؟ فقال: «أن يعلم أن الله عز وجل معه حيث كان»[2].

٢- الطهر والعفاف. وإذا ذُكِرت مراقبة الله وما تفضي إليه من طهر وعفاف ذُكِر يوسف عليه السلام. فلقد راودته امرأة العزيز وكانت ذات منصب وجمال، وهي سيدته، وجاء الطلب منها، وألحفت في مسألتها وكررت طلبها، وكان المكان خالياً، ويوسف عليه السلام يسكن بيتها، وغلقت الأبواب فأمنا من عامل المفاجأة فلا يدخل أحد عليهما، وكان الكريمُ عليه السلام شاباً قوياً، والأنبياء من أقوى خلق الله، وكان أعزب لا زوجة له، غريباً، والغريب لا يحتشم احتشام غيره، والمرأة توعدته وهددته، مع ذلك كله: قال: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾[3].

وقال ابن القيم رحمه الله: "وأرباب الطريق مجمعون على أن مراقبة الله تعالى في الخواطر سبب لحفظها في حركات الظواهر، فمن راقب الله في سره حفظه الله في

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٣١٥).

(٢) رواه أبو داود (٤/ ١٦٣، ح٦٢٨). والطبراني في الأوسط (٢/ ٨٣، ح٥٢٣).

(٣) [يوسف: ٢٣].

حركاته في سره وعلانيته"[١].

والمراقبة علامة التقوى وفيها المخرج والنجاة، يقول ابن الجوزي رحمه الله: «ضاق بي أمر أوجب غماً لازماً دائماً، وأخذت أبالغ في الفكر في الخلاص من هذه الهموم بكل حيلة وبكل وجه، فما رأيت طريقاً للخلاص، فعرضت لي هذه الآية: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢﴾[٢] فعلمت أن التقوى سبب للمخرج من كل غم، فما كان إلا أن هممت بتحقيق التقوى فوجدت المخرج...»[٣].

قوله: لم يخشَ فيه لومةَ اللَّوامِ.

يهدي الناظم رحمه الله المريد إلى أن من أسباب تزكية النفس المضي في مرضاة الله وإنكار المنكرات وعدم الخوف من لوم اللائمين.

فقد ذكر الله عز وجل أن من صفات المؤمنين: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ﴾[٤].

قال الطبري في تفسيرها: «أي لا يخافون في ذات الله أحداً، ولا يصدهم عن العمل بما أمرهم الله به من قتال عدوهم لومة لائم لهم في ذلك»[٥].

يقول ابن القيم: «وأشرف النفوس من لامت نفسها في طاعة الله واحتملت ملام اللائمين في مرضاته فلا تأخذها فيه لومة لائم، فهذه قد تخلصت من لوم الله، وأما من رضيت بأعمالها ولم تلم نفسها ولم تحتمل في الله ملام اللوام، فهي التي يلومها الله

(١) مدارج السالكين (٢/ ٦٦).

(٢) [الطلاق:٢].

(٣) صيد الخاطر (ص: ١٥٣).

(٤) [المائدة:٥٤].

(٥) تفسير الطبري (١٠/ ٤٢٣).

عز وجل»[1].

قوله: يقول حقًا صادقًا لا يكذبُ.

يهدي الناظم رحمه الله المريد إلى أن من أسباب تزكية النفس قول الحق والصدق وتجنب الكذب،

والحق هو خلاف الباطل، وقد أخبر الله عز وجل أن قول الحق من صفات الأنبياء فقد أخبر عن موسى عليه السلام: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾﴾[2].

وأخبر أن من صفات أهل الكتاب كتمان الحق فقال عز وجل عنهم: ﴿وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾[3].

والصدق نقيض الكذب، وهو قول الحق، والمطابق للواقع والحقيقة، والصادق هو المخبر بما يطابق اعتقاده، والصديق المبالغ في الصدق[4].

وقد أمر الله بالصدق، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[5].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله في الآية: «أي اصدقوا، والزموا الصدق تكونوا من أهله

---

(١) كتاب الروح (١/ ٢٥٥).

(٢) [الأعراف:١٠٤-١٠٥].

(٣) [البقرة:٤٢].

(٤) لسان العرب لابن منظور (١/ ١٩٣).

(٥) [التوبة:١١٩].

وتنجو من المهالك، ويجعل لكم فرجاً من أموركم ومخرجاً»[1].

ويقول السعدي رحمه الله في الآية أيضاً: «الذين أقوالهم صدق، وأعمالهم وأحوالهم لا تكون إلا صدقاً، خالية من الكسل والفتور، سالمة من المقاصد السيّئة، مشتملة على الإخلاص والنيّة الصالحة»[2].

ويقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[3]. يقول المراغي[4]: «إنّه سبحانه أمر المؤمنين بشيئين: الصدق في الأقوال، والخير في الأفعال، وبذلك يكونون قد اتقوا الله وخافوا عقابه، ثم وعدهم على ذلك بأمرين: الأول:

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٦٢).

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص:٣٢٥.

(٣) [الأحزاب:٧٠-٧١].

(٤)الشيخ الإمام القدوة الفقيه العلامة ، بقية المشايخ أبو تراب عبد الباقي بن يوسف بن علي بن صالح بن عبد الملك بن هارون المراغي ، النريزي الشافعي ، نزيل نيسابور . قال السمعاني : هو الإمام أبو تراب ، عديم النظير في فنه ، بهي المنظر ، سليم النفس ، عامل بعلمه ، حسن الخلق ، نفاع للخلق ، قوي الحفظ ، فقيه النفس ، تفقه ببغداد على القاضي أبي الطيب . : مفتي نيسابور ، أفتى سنين على مذهب الشافعي ، وكان حسن الهيئة ، بهيا ، عالما ، قيل : عاش ثلاثا وتسعين سنة ، مات في رابع عشر ذي القعدة سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة وقيل : بل مولده سنة إحدى وأربعمائة . سير أعلام النبلاء ١٩/ ١٧٠.

إصلاح الأعمال إذ بتقواه يصلح العمل، والعمل يرفع صاحبه إلى أعلى العليين ويجعله يتمتع بالنعيم المقيم في الجنة خالداً فيها أبداً. الثاني: مغفرة الذنوب وستر العيوب والنجاة من العذاب العظيم»(١).

وعن أبي سفيان رضي الله عنه في حديثه الطويل في قصّة هرقل، قال هرقل: فماذا يأمركم؟ يعني: النبي ﷺ، قال أبوسفيان قلت يقول: «اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاةوالصدق والعفاف والصلة»(٢).

وفي فضل الصدق يقول الله عز وجل: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾(٣).

ويقول الرسول ﷺ: {عليكم بالصدق فإنّ الصدق يهدي إلى البر، وإنّ البر يهدي إلى الجنة}(٤).

وفي أثر الصدق في قوة الإيمان وزكاة النفس يقول المولى تبارك وتعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾(٥). فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: [غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فلمّا قدم قال: غبت عن أول قتال قاتله رسول الله صلى الله عليه

---

(١) تفسير المراغي (٢٢ / ٤٥).

(٢) صحيح البخاري (٨/ ٢٩، ح٦١١٧). وصحيح مسلم (١/ ٦٤، ح٣٧).

(٣) [الأحزاب:٢٣-٢٤].

(٤) صحيح البخاري (٥/ ٢٢٦١، ح٥٧٤٣). وصحيح مسلم (٤/ ٢٠١٢، ح٢٦٠٧).

(٥) [الأحزاب:٢٣-٢٤].

وسلم المشركين، لئن أشهدني الله عز وجل قتالاً ليرين الله ما أصنع، فلمّا كان يوم أحد انكشف الناس، فقال: اللهم إنّي أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء يعني المشركين، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني المسلمين، ثم مشى بسيفه، فلقيه سعد بن معاذ، فقال: أي سعد، والذي نفسي بيده إني لأجد ريح الجنة دون أحد..قال أنس: فوجدناه بين القتلى به بضع وثمانون جراحة، من ضربة سيف، وطعنة برمح، ورمية بسهم، قد مثلوابه، قال: فما عرفناه حتى عرفته أخته ببنانه، قال أنس: فكنا نقول: أنزلت هذه الآية: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ فيه وفي أصحابه(١).

و يقول الرسول ﷺ: {من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه}(٢).

والصدق علامة من علامات الإيمان وأثر من آثاره، كما قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾(٣).

يقول السعدي رحمه الله في معرض تفسيره للآية: «أولئك: أي: المتصفون بما ذكر من العقائد الحسنة والأعمال التي هي آثار الإيمان وبرهانه ونوره، والأخلاق التي هي جمال الإنسان وحقيقته الإنسانية، فأولئك هم (الذين صدقوا) في إيمانهم، لأنّ أعمالهم

(١) صحيح البخاري (٣/ ١٠٣٢، ح٢٦٥١).

(٢) صحيح مسلم (٣/ ١٥١٧، ح١٩٠٩).

(٣) [البقرة:١٧٧].

صدقت إيمانهم، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ١٧٧﴾ لأنهم تركواالمحظور وفعلوا المأمور، لأن هذه الأمور مشتملة على كل خصال الخير تضمناً ولزوماً، لأنّ الوفاء بالعهد يدخل فيه الدين كله، ولأن العبادات المنصوص عليها في هذه الآيةأكبر العبادات، ومن قام بها كان بما سواها أقوم، فهؤلاء هم الأبرار الصادقون المتقون»[1].

قوله: وزاهدًا عمَّا سواه يرغبُ.

يهدي الناظم رحمه الله المريد إلى أن من أسباب تزكية النفس الزهد في مرغوبات الدنيا.

وقد ذم الله عز وجل إيثار الدنيا على الآخرة ورغب في الآخرة، فقال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ١٦ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ١٧﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ٢٠﴾[3]، قال سعيد بن جبير رحمه الله: «متاع الغرور: ما يلهيك عن طلب الآخرة.. »[4].

والدنيا مبغوضة من الله لكونها مبعدة عنه سبحانه وتعالى الله إلا ذكره تعالى وما أحبه من أعمال البر، والعلم النافع الدال على الله، فهذا هو المقصود من الدنيا.[5]

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، فقال: {إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه، وعالم أو متعلم}[6].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٤).

(٢) [الأعلى:١٦-١٧].

(٣) [الحديد:٢٠].

(٤) جامع العلوم والحكم لابن رجب (٢/ ١٩٣).

(٥) انظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب (٢/ ١٩٩). كذلك تحفة الأحوذي للمباركفوري (٦/ ٦١٣).

(٦) سنن الترمذي (٤/ ٥٦١، ح٢٣٢٢)، وقال: "حسن غريب". وسنن ابن ماجه (٢/ ١٣٧٧،

والتفكر في حقارة الدنيا، سبب لزوالها من القلب، وطريق للزهد فيها.

قال ابن رجب رحمه الله: «فالزهد في الدنيا، يراد به تفريغ القلب من الاشتغال بها، ليتفرغ لطلب الله ومعرفته، والقرب منه، والأنس به، والشوق إلى لقائه»[(١)].

قوله: مؤدَّبًا بأدب الشريعةِ.

يهدي الناظم رحمه الله المريد إلى أن من أسباب تزكية النفس التأدب بآداب الشريعة وعدم تجاوزها.

فتزكية النفوس لا تتم إلا عن طريق الشرع، يقول ابن القيم رحمه الله: «وتزكية النفوس أصعب من علاج الأبدان وأشد، فمن زكى نفسه بالرياضة والمجاهدة والخلوة، التي لم يجيء بها الرسل، فهو كالمريض الذي يعالج نفسه برأيه، وأين يقع رأيه من معرفة الطبيب؟ فالرسل أطباء القلوب، فلا سبيل إلى تزكيتها وصلاحها إلا من طريقهم، وعلى أيديهم، وبمحض الانقياد والتسليم لهم»[(٢)].

ويقول الشيخ عبدالرحمن المعلمي رحمه الله: «فإن كثيراً من تلك الآداب سهل على النفس، فإذا عمل الإنسان بما سهل عليه منها، تاركاً ما يخالفها لم يلبث إن شاء الله تعالى أن يرغب في الازدياد، فعسى أن لا تمضي عليه مُدة، إلاّ وقد أصبح قدوة لغيره في ذلك.. وبالاهتداء بذلك الهدي القويم، والتخلق بذلك الخُلق العظيم يستنير القلب، وينشرح الصدر، وتطمئنُ النفس، فيرسخ اليقين، ويصلح العمل»[(٣)].

ح٤١١٢). والمعجم الأوسط للطبراني (٤/ ٢٣٦، ح٤٠٧٢). والألباني في الصحيحة (ح٢٧٩٧).

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب (٢/ ١٩٨).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٣١٥).

(٣) مقدمة كتاب الأدب المفرد للبخاري.

قوله: وعاملاً بالسنة الرفيعةِ.

يهدي الناظم رحمه الله المريد إلى أن من أسباب تزكية النفس العمل بالسنة.

قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾(1). قال ابن كثير رحمه الله: «أي: مهما أمركم به فافعلوه ومهما نهاكم فاجتنبوه؛ فإنه إنما يأمر بخير وإنما ينهى عن شر»(2).

وقال السعدي: «وهذا شامل لأصول الدين وفروعه وظاهره وباطنه، وأن ما جاء به الرسول يتعين على العباد الأخذ به واتباعه ولا تحل مخالفته»(3).

وعن العرباض بن سارية(4) رضي الله عنه قال: {صلى بنا رسول الله ﷺ ذاتَ يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودِّعٍ فماذا تعهد إلينا؟ قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة}(5).

---

(1) [الحشر:7].

(2) تفسير القرآن العظيم (4/ 360).

(3) تيسير الكريم الرحمن (7/ 232-233).

(4) هو العرباض بن سارية السلمي، أبو نجيح، صحابي مشهور، كان من أهل الصفة، وكان شيخا كبيرا من الصحابة، سكن الشام ومات بها سنة 75 هـ. انظر ترجمته في الاستيعاب (ص:590). والإصابة (4/ 234).

(5) سنن الترمذي (5/ 44، ح2676)، وقال: "حسن صحيح". وسنن أبي داود (4/ 200، ح4607). وسنن ابن ماجه (1/ 16، ح43). ومسند أحمد (4/ 126، ح17182). والألباني في الصحيحة (ح937).

قال البغوي [(١)] رحمه الله: «فأمر بلزوم سنته وسنة الخلفاء الراشدين والتمسك بها بأبلغ وجوه الجد، ومجانبة ما أحدث على خلافها»[(٢)].

قال أبي بن كعب[(٣)] رضي الله عنه: [[عليكم بالسبيل والسنة]][(٤)].

وقال عبد الله بن عون: «ثلاث أُحبهن لنفسي ولإخواني: هذه السنة أن يتعلموها ويسألوا عنها، والقرآن أن يتفهموه ويسألوا الناس عنه، ويَدعوا الناس إلا من خير»[(٥)].

وقال الزهري[(٦)]: «كان من مضى من علمائنا يقولون: الاعتصام بالسنة نجاة»[(٧)].

وقال سفيان الثوري: كان الفقهاء يقولون: «لا يستقيم قول إلا بعمل، ولا

(١) هو الإمام العلامة الحافظ محيي السنة: أبو محمد، الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي، الفقيه الشافعي الكبير، المحدِّث المفسَّر، يلقب بمحيي السنة وركن الدين، له تفسير مشهور، وله: شرح السنة، وكان عالماً زاهداً قانعاً، توفي سنة: ٥١٦ هـ. انظر: السير (١٩/ ٤٣٩-٤٤٣). طبقات السبكي (٧/ ٧٥-٨٠).

(٢) شرح السنة (١/ ٢٠٦).

(٣) هو الصحابي الجليل: أبي بن كعب بن قيس بن عبيد النجاري الأنصاري، أبو المنذر وأبو الطفيل، سيد القراء، من أصحاب العقبة الثانية، شهد بدراً والمشاهد كلها، وله فضائل عظيمة، وكان عمر يسميه سيد المسلمين، مات سنة: (٢٠) أو: (١٩ هـ). وقيل: مات سنة: (٢٢ هـ) فقال عمر: اليوم مات سيد المسلمين. وقيل: مات في خلافة عثمان سنة: (٣٠) قال ابن عبد البر: الأكثر على أنه في خلافة عمر. انظر: الإصابة (١/ ٢٠-٢١). الاستيعاب (ص: ٧٢-٧٤).

(٤) تقدم تخريجه (ص: ٩٨).

(٥) صحيح البخاري معلقاً (٦/ ٢٦٥٤). ووصله اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٦١).

(٦) هو: أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيدالله بن عبدالله بن شهاب الزهري من التابعين، كان إماماً حافظاً تقياً محدثا، توفي سنة ١٢٥هـ وقيل قبلها. انظر: سير أعلام النبلاء (٧/ ١٠٧).

(٧) سنن الدرامي (١/ ٨٥، ح٩٦). وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للآلكائي (١/ ٩٤). وحلية الأولياء (٣/ ٣٦٩). والمجالسة وجواهر العلم (٢/ ٢٣٥، ح٣٦٣).

يستقيم قول وعمل إلا بنية، ولا يستقيم قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة»[1].

المعنى الإجمالي للأبيات:

يتابع الناظم رحمه الله بيان الأسباب المؤدية إلى زكاة النفس وصفائها، فيذكر منها دوام معاتبة النفس على تقصيرها في العبادة أو ارتكابها الخطأ، كذلك مجانبة هوى النفس والابتعاد عنه، كذلك دوام مراقبة الله عز وجل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصيحة خشية لله وإن لامه اللّوام فإنه لا يخشى فيه أحدًا.

كذلك قول الحق والصدق وعدم الكذب والزهد في كل ما ترغبه النفس، كذلك التأدب بآداب الشريعة، والعمل بالسنة ذات المكانة السامية.

(١) الإبانة لابن بطة (١/ ٣٣٣). وحلية الأولياء (٧/ ٣٢).

٤٩٩ - مستغرقًا أوقاته بالطاعهْ ... بما له فيها من استطاعَهْ

٥٠٠ - مشتغلاً بالذكر والصلاةِ ... وغيرها من سائر الطاعاتِ

٥٠١ - متابعًا فيها سبيلَ المصطفَى ... ولم يخالفْ في الهدَى من سَلَفا

٥٠٢ - ملازمًا في غالب الأوقاتِ ... تلاوةَ القرآنِ في الصلاةِ

٥٠٣ - لأنها معَ الصلاةِ أفضلُ ... وأجرُها من غيرِ شكٍ أكملُ

قوله: مستغرقًا أوقاته بالطاعهْ.

يعود الناظم ويؤكد على السبب الأول من أسباب تزكية النفس وهو ملازمة العبادة، فإن الملازمة والاستغراق معناهما واحد.

وحتى تثمر هذه الطاعات، ينبغي المسارعة إليها، والاستمرار عليها، فالقليل الدائم خير من الكثير المنقطع، والاجتهاد فيها، حتى لا تركن النفس وتضعف، ولنا قدوة بأبي بكر الصديق رضي الله عنه فلقد كان يومه مليء بالأعمال الصالحة، ولهذا زكى قلبه واستقام إيمانه، وبشر النبي ﷺ بدخول الجنة لمن كان كذلك، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: {من أصبح منكم اليوم صائماً، قال أبو بكر: أنا، قال: فمن تبع منكم اليوم جنازة، قال أبو بكر: أنا، قال: فمن أطعم اليوم منكم مسكيناً، قال أبو بكر: أنا، قال: فمن عاد منكم اليوم مريضاً، قال أبو بكر: أنا، فقال رسول الله ﷺ: ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة}(١).

قوله: بما له فيها من استطاعَهْ. يشير إلى قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾(٢).

(١) صحيح مسلم (٢/ ٧١٣، ح١٠٢٨).

(٢) [التغابن:١٦].

وقوله ﷺ: {إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم}[(١)].

قوله: مشتغلاً بالذكر والصلاةِ.

يهدي الناظم رحمه الله المريد إلى أن من أسباب تزكية النفس الاشتغال بالذكر والصلاة.

وقد بيّنت معنى الذكر وفضائله في فصل الذكر.

والذكرمن أعظم ما تزكو به النفس، والاطمئنان هو ثمرة التزكية، قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[(٢)].

قال ابن كثير رحمه الله: «أي: تطيب وتركن إلى جانب الله، وتسكن عند ذكره وترضى به مولى ونصيراً، ولهذا قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[(٣)] «أي: هو حقيق لذلك»[(٤)].

وأخبر سبحانه وتعالى أن الذكر يزيد في الإيمان ويرقق القلب، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾[(٥)].. وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: {لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده}[(٦)].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) [الرعد:٢٨].

(٣) [الرعد:٢٨].

(٤) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٥٥).

(٥) [الأنفال:٢].

(٦) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٧٤، ح٢٧٠٠).

وأخبر الرسول ﷺ أن الذكر أزكى الأعمال عند الله، وفيه إشارة إلى أنه من أعظم الأعمال التي تزكي المؤمن، فقال ﷺ: {ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى. قال: ذكر الله تعالى}(1).

والمداومة على أذكار اليوم والليلة، تحصن العبد المسلم بفضل الله تعالى من شر شياطين الجن والإنس، وتزيد العبد قوةً حسيّة ومعنوية إذا قالها مستشعراً لمعانيها موقناً بثمارها ونتاجها، ومثال ذلك حديث عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي ﷺ: {ما أصاب عبداً هم ولا حزن، فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري، وجلاء حزني وذهاب غمي، إلا ذهب الله حزنه وهمّه، وأبدله مكانه فرحاً}(2).

وهدي الصحابة رضي الله عنهم الحرص على الجلوس للذكر ويسمونه إيماناً، لأنه يزيد الإيمان ويقوي القلب.

---

(1) تقدم تخريجه (ص:323).

(2) مسند أحمد (1/ 391، ح3712). وصحيح ابن حبان (3/ 253، ح972)، وصحح إسناده الأرنؤوط. ومصنف ابن أبي شيبة (6/ 40، ح29318). وقال الهيثمس في مجمع الزوائد (10/ 136): "رواه أحمد وأبو يعلى والبزار، إلا أنه قال:(وذهاب غمي) مكان (همي)، والطبراني، ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني، وقد وثقه ابن حبان". والألباني في الصحيحة (ح199).

قال معاذ بن جبل ﷺ لرجل: [[اجلس بنا نؤمن ساعة]][(١)].

أما الصلاة فهي تطهر النفس والجوارح من الفحشاء والمنكر، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾[(٢)]، وفي حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: {أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمساً ما تقول ذلك يبقى من درنه؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيئاً. قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله به الخطايا}[(٣)].

قال ابن العربي: «وجه التمثيل، أن المرء كما يتدنس بالأقذار المحسوسة في بدنه وثيابه، ويطهره الماء الكثير، فكذلك الصلوات، تطهر العبد من أقذار الذنوب، حتى لا يبقي له ذنباً إلا أسقطته»[(٤)].

ومما يدل على أن الصلاة زكاة: أن المواظبة عليها تبرئ العبد من النفاق، كما قال رسول الله ﷺ: {من واظب على تكبيرة الإحرام أربعين يوماً كتبت له براءتان: براءة من النفاق، وبراءة من النار}[(٥)].

ويكفي أن الرسول ﷺ قد جعلت قرة عينه في الصلاة؛ لما تحدثه من أثر وزكاة في نفسه، وكذلك أخبر الرسول ﷺ أن المحافظة عليها تكفر الذنوب والخطايا التي اقترفت بينها، كما في قول الرسول ﷺ: {الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة

---

(١) صحيح البخاري معلقاً (١/ ١١).

(٢) [العنكبوت:٤٥].

(٣) تقدم تخريجه (ص: ٣٦٣).

(٤) فتح الباري (٢/ ١١).

(٥) المعجم الأوسط للطبراني (٧/ ١٨٨، ح٧٢٣٥).والترمذي وزاد " في جماعة" (٢/ ٨٢ح ٣٣٢٧) وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٣/ ١٨٨).

ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر}[1] ومحو الذنوب عن العبد سبب في زكاة نفسه.

قوله: وغيرها من سائر الطاعات.

أي: مشتغلاً كذلك مع الذكر والصلاة بجميع الطاعات، فإن الله عز وجل قد أمرنا بالعبادة مطلقًا، كما قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔاۖ﴾[2].

قوله: متابعًا فيها سبيلَ المصطفى.

يهدي الناظم رحمه الله المريد إلى أن من أسباب تزكية النفس المتابعة لسنة المصطفى ﷺ في جميع العبادات والطاعات.

فقد وردت آيات وأحاديث وآثار كثيرة تحث على المتابعة، منها:

قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١﴾[3]. قال ابن كثير: «هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله»[4].

وقوله تعالى: ﴿وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٢٠٩، ح٢٣٣).

(٢) [النساء:٣٦].

(٣) [آل عمران:٣١].

(٤) تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٦٦).

ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِى ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡىِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلۡأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾(١).

قال سعيد بن جبير رحمه الله في قوله: ﴿فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ قال: «للذين يتبعون محمداً صلى الله عليه وسلم»(٢).

وقال ابن جرير رحمه الله: «فاهتدوا به – أيها الناس – واعملوا بما أمركم أن تعملوا به من طاعة الله لكي تهتدوا فترشدوا وتصيبوا الحق في اتباعكم إياه»(٣).

وقوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾(٤).

قال ابن كثير رحمه الله: «أي: اقتفوا آثار النبي الأمي الذي جاءكم بكتاب أنزل إليكم من رب كل شيء ومليكه»(٥).

وقال ابن تيمية رحمه الله: «ففرض اتباع ما أنزله من الكتاب والحكمة وحظر اتباع أحد من دونه»(١).

---

(١) [الأعراف:١٥٦-١٥٨].

(٢) جامع البيان (٦/ ٨٨).

(٣) جامع البيان (٦/ ٨٨).

(٤) [الأعراف:٣].

(٥) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٢٠٨).

وعن العرباض بن سارية[2] رضي الله عنه قال: {صلى بنا رسول الله ﷺ ذاتَ يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودِّعٍ فماذا تعهد إلينا؟ قال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة}[3].

قال البغوي[4] رحمه الله: «فأمر بلزوم سنته وسنة الخلفاء الراشدين والتمسك بها بأبلغ وجوه الجد، ومجانبة ما أحدث على خلافها»[5].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: {كان رسول الله ﷺ يقول إذا خطب: أما بعد: إن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة}[6].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: {كل أمتي يدخلون الجنة إلا من

---

(١) مجموع الفتاوى (١٩/ ٦٧).

(٢) هو العرباض بن سارية السلمي، أبو نجيح، صحابي مشهور، كان من أهل الصفة، وكان شيخا كبيرا من الصحابة، سكن الشام ومات بها سنة ٧٥ هـ. انظر ترجمته في الاستيعاب (ص:٥٩٠). والإصابة (٤/ ٢٣٤).

(٣) تقدم تخريجه (ص:١٤٠).

(٤) هو الإمام العلامة الحافظ محيي السنة: أبو محمد، الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي، الفقيه الشافعي الكبير، المحدِّث المفسِّر، يلقب بمحيي السنة وركن الدين، له تفسير مشهور، وله: شرح السنة، وكان عالماً زاهداً قانعاً، توفي سنة: ٥١٦ هـ. انظر: السير (١٩/ ٤٣٩-٤٤٣). طبقات السبكي (٧/ ٧٥-٨٠) .

(٥) شرح السنة (١/ ٢٠٦).

(٦) تقدم تخريجه (ص:١٤١).

أبى، فقالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى}[1].

قال الطيبي[2] رحمه الله: «التقدير: من أطاعني وتمسك بالكتاب والسنة دخل الجنة، ومن اتبع هواه وزال عن الصواب وضلَّ عن الصراط المستقيم فقد دخل النار»[3].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إنما مَثَلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوماً، فقال: يا قوم، إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان فالنجاء، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذَّبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبَّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذَّب بما جئت به من الحق»[4].

قال العيني[5] رحمه الله: «مطابقته للترجمة تؤخذ من قوله: «فأطاعه طائفة من قومه» لأن طاعة النبي ﷺ اقتداء بسنته»[6].

قال الملا علي قاري[7]: «وهذا ليعلم أنه لا ينبغي أن يستروَح بظاهر الطاعة عن

---

(١) تقدم تخريجه (ص: ٩٧).

(٢) هو: الحسين بن محمد بن عبدالله، شرف الدين الطيبي، من علماء الحديث والتفسير والبيان، كان شديد الرد على المبتدعة، آية في استخراج الدقائق من الكتاب والسنة، توفي ٧٤٣هـ. انظر: البدر الطالع (١/ ٢٢٩). الأعلام للزركلي (٢/ ٢٥٦).

(٣) شرح الطيبي على المشكاة (١/ ٢٩٨).

(٤) صحيح البخاري (٦/ ٢٦٥٦، ح٦٨٥٤). وصحيح مسلم (٤/ ١٧٨٨، ح٢٢٨٣).

(٥) هو محمود بن أحمد بن موسى الحلبي الأصل، العنتابي المولد، ثم القاهري الحنفي ويعرف بالعيني، بدر الدين، أبو محمد، ولد سنة ٧٦٢هـ، وتوفي سنة ٨٥٥هـ. انظر ترجمته في الضوء اللامع للسخاوي (١٠/ ١٣١-١٣٥)، والفوائد البهية في تراجم الحنفية للكنوي (ص: ٢٠٧-٢٠٨).

(٦) عمدة القاري (٢٥/ ٢٩).

(٧) هو علي بن محمد سلطان الهروي المعروف بالقاري، الحنفي، نزيل مكة، أحد صدور العلم، ألف

اتباع ما جاء به»[1].

ومن آثار السلف في لزوم الاتباع:

قال ابن مسعود رضي الله عنه: [[اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتم]][2].

وقال أبي بن كعب رضي الله عنه: [[عليكم بالسبيل والسنة فإنه ليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله فتمسه النار أبداً، وإن اقتصاداً في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة]][3].

وقال أبو العالية رحمه الله: [[تعلموا الإسلام، فإذا تعلمتم الإسلام فلا ترغبوا عنه يميناً ولا شمالاً، وعليكم بالصراط المستقيم، وعليكم بسنة نبيكم والذي كان عليه أصحابه، وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء]][4].

وقال سفيان الثوري رحمه الله: «وجدتُ الأمرَ الاتباع»[5].

وقال ابنُ القيمّ رحمه الله: «من أحالك على غير (أخبرنا) و (حدثنا) فقد أحالكَ إمَّا على خيالٍ صوفي، أو قياسٍ فلسفي، أو رأيٍ نفسي، فليس بعد القرآن و(أخبرنا) و(حدّثنا) إلاّ شبهاتُ المتكلمين، وآراءُ المنحرفين، وخيالاتُ المتصوفين، وقياسُ المتفلسفين، ومن فارقَ الدليل ضلَّ عن سواءِ السبيل، ولا دليل إلى الله والجنّةِ سوى

التآليف الكثيرة، توفي سنة ١٠١٤ هـ. انظر ترجمته في خلاصة الأثر (٣/ ١٨٥-١٨٦).

(١) مرقاة المفاتيح (١/ ٣٨٠).

(٢) تقدم تخريجه (ص: ٩٨).

(٣) تقدم تخريجه (ص: ٩٨).

(٤) تقدم تخريجه (ص: ٩٨).

(٥)شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ٨٨، ح١١٣). وشرح السنة للبغوي (١/ ٢١٧).

الكتابُ والسنّة»[1].

قوله: ولم يخالفْ في الهدَى من سَلَفا.

يهدي الناظم رحمه الله المريد إلى أن من أسباب تزكية النفس السير على هدي السلف الصالح وعدم مخالفته.

والهدي لغة: الطريقة والسيرة، يقال: فلان يهدي فلاناً أي: يفعل مثل فعله ويسير سيرته، ومنه قولهم: ما أحسن هديه أي: سمته وسكونه وهو حسن الهدي والهدية أي: الطريقة والسيرة[2].

قال النووي رحمه الله: «خير الهدي هدي محمد، أي: أحسن الطرق طريق محمد ﷺ يقال: فلان حسن الهدي، أي: الطريقة والمذهب»[3].

والسلف في اللغة: قال ابن فارس: «السين واللام والفاء: أصلٌ يدل على تقدمٍ وسبقٍ، من ذلك: السلف الذين مضوا)[4]، و(السلف: ... الجماعة المتقدمون... والسلف- أيضًا - من تقدمك من آبائك وذوي قرابتك، الذين هم فوقك في السبق والفضل»[5].

واصطلاحًا: هم القرون الثلاثةالأولى، لشهادة النبي ﷺ لهم بالخيرية، فقال ﷺ: {خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم}[6].

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٤٦٨).

(٢) لسان العرب (١٥/ ٣٥٦).

(٣) شرح النووي على مسلم (٦/ ١٥٤).

(٤) مقاييس اللغة لابن فارس، (مادة: سلف) (٣/ ٤١٣).

(٥) لسان العرب لابن منظور، (مادة: سلف) (٦/ ٢٨٥).

(٦) تقدم تخريجه (ص: ٢٣٦).

وقد أوجب القرآن اتباع هديهم ولزوم طريقتهم، وتوعد من يخالف سبيلهم بالعذاب الأليم، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾(١).

وأثنى الله ﷻ عليهم ورضي عنهم، قال الله ﷻ عنهم: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾(٣).

وقد زكاهم الرسول ﷺ، بقوله: {خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته}(٤).

والسير على هدي السلف من عقيدة أهل السنة والجماعة، قال أبو القاسم اللالكائي رحمه الله: «أما بعد: فإن أوجب ما على المرء معرفة اعتقاد الدين، وما كلف الله به عباده من فهم توحيده وصفاته وتصديق رسله بالدلائل واليقين، والتوصل إلى طرقها والاستدلال عليها بالحجج والبراهين، وكان من أعظم مقول، وأوضح حجة

(١) [النساء:١١٥].

(٢) [الفتح:٢٩].

(٣) [التوبة:١٠٠].

(٤) تقدم تخريجه (٢٣٦).

ومعقول، كتاب الله الحق المبين، ثم قول رسول الله ﷺ وصحابته الأخيار المتقين، ثم ما أجمع عليه السلف الصالحون»[1].

وقال الأوزاعي[2] رحمه الله: «اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم»[3]، وقال أيضاً رحمه الله: «عليك بآثار السلف وإن رفضك الناس، وإياك ورأي الرجال وإن زخرفوه لك بالقول، فإن الأمر ينجلي وأنت منه على طريقٍ مستقيم»[4].

قوله: ملازمًا في غالب الأوقاتِ تلاوةَ القرآنِ......

يهدي الناظم رحمه الله المريد إلى أن من أسباب تزكية النفس تلاوة القرآن في أغلب الأوقات.

فمن أراد أن تزكو نفسه وتطمئن وتنشرح، فليتعاهدها بكتاب الله تلاوة وتدبراً وفهماً وحفظاً، قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[5]. قال ابن كثير: «أي: يذهب ما في القلوب من أمراض... وهو أيضاً رحمة يحصل فيها الإيمان والحكمة وطلب الخير والرغبة فيه...»[6].

وبقدر ما يتدبر الإنسان هذا القرآن، تكون تزكيته لنفسه كذلك، وتربية النفس

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/ ١٥٤).

(٢) هو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي، أبو عمرو، إمام أهل الشام في الحديث والفقه، ولد سنة ٨٨ هـ، وتوفي سنة ١٥٧ هـ. انظر ترجمته في تاريخ دمشق (٣٥/ ١٤٧-٢٢٩). ووفيات الأعيان (٣/ ١٢٧-١٢٨).

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥) [الإسراء:٨٢].

(٦) تفسير ابن كثير (٥/ ١١٢).

بقراءة القرآن، لا تكون بكثرة القراءة فقط، ولكن بقراءته مع تدبر معانيه. فهو جلاء القلوب، وإذا صفى القلب زكت النفس.

والتدبر: "هو التفكر والتأمل الذي يبلغ به صاحبه معرفة المراد من المعاني، وإنما يكون ذلك في كلام قليل اللفظ كثير المعاني التي أودعت فيها بحيث كلما ازداد المتدبر تدبراً انكشفت له معان لم تكن بادية له بادئ النظر"(1).

ولما كان حصول المقصود من إنزال القرآن الكريم لا يتم إلا بالتدبر لهذا الكتاب الكريم أمر الله بذلك قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩ ﴾(2)

وأصله {ليتدبروا} فأدغمت التاء في الدال، متعلق بـ{أنزلناه}(3)، ومعناه ليتفكروا فيها، فيقفوا على ما فيه ويعملوا به .

وتدبر الآيات يكون بالنظر في عواقبها وما تشير من دلالات وعبر، وما توصل إليه من المعاني الخفية، والنكت اللطيفة، والتي لا تحصل إلا بالتأمل والنظر في كتاب الله تعالى، كذلك إتباعه بالعمل قال الحسن:"تدبر آيات الله إتباعها"(4)

وقال الإمام الطبري:"ليتدبروا حجج الله التي فيه، وما شرع فيه من شرائعه، فيتعظوا ويعملوا به"(5).

---

(1) التحرير والتنوير:٢٣/ ٢٥٢

(2)[ص:٢٩].

(3) نظم الدرر:٦/ ٣٨١، فتح القدير:٤/ ٤٩٤

(4) الجامع لأحكام القرآن:٨/ ١٢٦ .

(5) تفسير الطبري:١٠/ ٥٧٦.

ثم عقب بذكر الغاية من إنزال القرآن الكريم وهو التدبر[1]،ومضمون الآية يشير إلى حكمة إنزال القرآن ، فلم ينزله الله تعالى ليتباهى به الناس ، ويتمارى به الحفاظ ، دون اعتناء بمضمونه، واستخراج لمكنونه، وأخذ بمراده ومطلوبه، قال ابن عطية:"وظاهر هذه الآية يعطي أن التدبر من أسباب إنزال القرآن"[2]، فالتأني في التلاوة له أثر كبير في حصول التدبر، إذ كيف يتدبر آيات القرآن من ينظر إلى آخر السورة، أو يستهويه الكمُّ، ولا يبالي بالكيف.

وعن أثر التدبر على النفس :

فقد بين المولى سبحانه وتعالى الحكمة البالغة من إنزال كتابه ، وأنه إنما أنزله ليتدبره المؤمنون ، ويعتبروا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، فتورثهم ذكرى ، وخوفاً وخشية ، فثمرة التدبر هي التذكر ، والاستجابة لأمر الله سبحانه وتعالى ، ولذلك أعقب التدبر حصول أثره ، فليس بعد التدبر إلا حصول الذكرى لأولي الألباب ، ولذلك قال {وليتذكر ألوا الألباب} "أي وليتعظ بالقرآن أولوا العقول"[3]، والألباب جمع لب ، و"اللب هو العقل الخالص من الشوائب، وسمي بذلك لكونه خالصُ ما في الإنسان من معانيه ، وقيل هو ما زكى في العقل ، فكل لبٍ عقلٌ وليس كل عقل لباً، ولهذا علق الله تعالى الأحكام التي لا يدركها إلا العقول الزكية بأولي الألباب"[4]، قال الألوسي:"أي وليتعظ به ذوو العقول الزاكية الخالصة من

---

(١) نظم الدرر:٦/ ٣٨١

(٢) المحرر الوجيز:٤/ ٥٠٣

(٣) تفسير النسفي: ٤/ ٦١ ، فتح القدير:٤/ ٤٩٤

(٤) مفردات ألفاظ القرآن:٧٣٣ ، فتح القدير:٤/ ٤٩٤.

الشوائب أو ليستحضروا ما هو كالمركوز في عقولهم لفرط تمكنهم من معرفته لما نصب عليه من الدلائل فإن إرسال الرسل وإنزال الكتب لبيان ما لا يعرفه إلا من جهة الشرع كوجوب الصلوات الخمس، والإرشاد إلى ما يستقل العقل بإدراكه كوجود الصانع جل جلاله وعم نواله"(١)، قال ابن جرير: "وليعتبر ألوا العقول والحجا ما في الكتاب من الآيات، فيرتدعوا عما هم عليه مقيمين من الضلالة، وينتهوا إلى ما دلهم عليه من الرشاد وسبيل الصواب"(٢)، قال الحسن البصري: "والله ما تدبره بحفظ حروفه وإضاعة حدوده حتى إن أحدهم ليقول قرأت القرآن كله فما أسقطت منه حرفاً وقد والله أسقطه كله، ما يرى للقرآن عليه أثر في خلق ولا عمل، والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده ، والله ما هؤلاء بالحكماء ولا الوزعة، لا كثَّر الله في الناس مثل هؤلاء"(٣)،

وخلاصة كلام الأئمة أن الله إنما أنزل كتابه ليفهم مضمونه ، ويطبق على واقع حال المسلم ، فليس الهدف من إنزال القرآن الترنم بتلاوته والتمايل عند قراءته ، والتغني بآياته ، والتفنن بقراءاته ورواياته ، وإظهار روعة الأداء ، وجودة التجويد ، واستعراض البراعة في قوة حفظه ، والتباهي بجميع ذلك ؛ مع إغفال جانب الفهم والتدبر والتَّفَكُّرِ في آياته ، والانصراف عن تلقف معانيه وتوجيهاته بالعمل والتطبيق ، ولذلك فقد خصَّ الله التذكر وقصره على أولي الألباب .

قوله: لأنها معَ الصلاةِ أفضلُ.

(١) روح المعاني:١٢/ ١٨١-١٨٢

(٢) جامع البيان:١٠/ ٥٧٦

(٣) تفسر ابن كثير:٤/ ٣٤، محاسن التأويل:٦/ ٩٧ .

فقد ذكر الله عن قيام الليل أنه أقوم قيلاً في قوله: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـًٔا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ۝٦﴾[1].

وقال تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ۝٧٨ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ۝٧٩﴾[2].

فمما رفع من شأنها وزاد فضلها وأجرها:

١- أنها اجتمعت فيها عبادتان عظيمتان: الصلاة وتلاوة القرآن.

٢- ولقوله ﷺ: {أفضل الصلاة طول القنوت}[3]، ومعناه: القيام؛ ولأن ذِكْرَ القيام هو القرآن، والقرآن أفضل.

٣- ولأن الأساس في الصلاة الخشوع وحضور القلب، فتكون التلاوة فيها أدعى للفهم.

المعنى الإجمالي للأبيات:

يعود الناظم ويؤكد على السبب الأول من أسباب تزكية النفس وهو ملازمة العبادة، فيهدي المريد إلى أهمية إشغال جميع الأوقات بطاعة الله عز وجل على قدر الاستطاعة، كذلك الاشتغال بذكر الله والصلاة وغيرها من الطاعات، مع متابعة هدي النبي ﷺ فيها، وهدي السلف الصالح.

كذلك ملازمة تلاوة القرآن أثناء الصلاة في أغلب الأوقات؛ لأن التلاوة مع الصلاة أفضل من التلاوة مفردة، وأجرها كذلك من غير شك أفضل.

---

(١) [المزمل:٦].

(٢) [الإسراء:٧٨-٧٩].

(٣) صحيح مسلم (١/ ٥٢٠، ح٧٥٦).

٥٠٤ - وكـلٌّ ذي وقـت مـن الأذكـارِ	أولى مـن الغـيرِ فـلا تُمـارِ
٥٠٥ - مثالُـه إجابـةُ المـؤذِّنِ	ثـم الـدعا بعـد الفـراغِ فـافطِنِ
٥٠٦ - وسـبّحنَّ واحمَـدَنْ وكـبِّرا	بعـد صـلاةِ الفـرضِ مـن غـير امـترا
٥٠٧ - والأفضـلُ التهليـلُ بـالإطلاقِ	عـلى جميـعِ الـذكر باتفـاقِ
٥٠٨ - واسـتغفرنَّ الله واسـأَلْهُ الرِّضـا	ولا تكـنْ لفعلِـه معترِضـا
٥٠٩ - ودُمْ عـلى اسـتغفاره والحوقلَـهْ	فإنهـا لكـل خـيرٍ مُوصـلَهْ

قوله: وكلٌّ ذي وقت من الأذكارِ.

يهدي الناظم رحمه الله المريد إلى المحافظة على الأذكار المقيّدة في أوقاتها، مثل: أذكار الصباح والمساء والنوم والكرب وغيرها، فإن لهذه الأذكار أثرًا في انشراح الصدر وزكاة النفس كما وضحنا ذلك في فصل الذكر.

قوله: أولى من الغيرِ فلا تُمار.

بيّن النووي رحمه الله السبب في الأولوية والأفضلية بقوله: «فالإتيان بالأذكار المقيدة في وقتها أو مكانها أو حالها أفضل من فعل غيرها من العبادات مثل تلاوة القرآن ونحوه؛ لأنها تفوت، والقراءة لا تفوت»(١).

قوله: مثالُه إجابةُ المؤذِّنِ .

وإجابة المؤذن وضحها ابن القيم رحمه الله بقوله: «وأمّا هَدْيُه ﷺ في الذِّكر عند الأذان وبعدَه، فشرع لأُمَّته منه خمسة أنواع:

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، (٤/ ٣٣٠، ٣/ ١١١). والمغني لابن قدامة، (٢/ ٨٨).

أحدها: أن يقول السامع كما يقول المؤذِّن، إلا في لفظ: «حيّ على الصلاة»، «حيّ على الفلاح» فإنه صح عنه إبدالُها بـ «لا حَوْلَ ولاَ قُوَّةَ إلاَّ بالله» ولم يجئ عنه الجمعُ بينها وبين: «حيّ على الصلاة»، «حيّ على الفلاح» ولا الاقتصارُ على الحيعلة، وهَدْيُه ﷺ الذي صح عنه إبدالُها بالحوقلة، وهذا مقتضى الحكمة المطابقةِ لحال المؤذِّن والسامع، فإن كلمات الأذان ذِكْرٌ، فَسَنَّ للسامع أن يقولها، وكلمة الحيعلة دعاءٌ إلى الصلاة لمن سمعه، فَسَنَّ للسامع أن يَسْتَعِينَ على هذه الدعوة بكلمة الإعانة، وهي: «لا حَوْلَ ولاَ قُوَّةَ إلاَّ باللهِ العَلِّي العظيم».(١)

الثاني: أن يقول: وأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ، وأنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله، رَضِيتُ بِالله رَباً، وَبالإِسْلاَمِ دِيناً، وبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً، وَأَخْبَرَ أَنَّ مَنْ قَالَ ذلِكَ غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ»(٢).(٣)

وبيّن الشيخ ابن باز رحمه الله السبب والدليل في الأولوية والأفضلية فقال: «فإذا سمع

(١) لحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: ((إذا قال المؤذِّن: الله أكبر الله أكبر، فقال أحدكم: الله أكبر الله أكبر، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، قال: أشهد أن لا إله إلا الله، ثم قال: أشهد أن محمدا رسول الله، قال: أشهد أن محمدا رسول الله، ثم قال: حي على الصلاة، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: حي على الفلاح، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: الله أكبر الله أكبر، قال: الله أكبر الله أكبر، ثم قال: لا إله إلا الله، قال: لا إله إلا الله، مِنْ قَلْبِه دخل الجنة)) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يسأل الله له الوسيلة ١ / ٣٠٠ رقم ٣٨٥).

(٢)قال رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم: ((مَن قال حين يسمع المؤذِّن: وأنا أشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحْدَه لا شريكَ له، وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، رضيتُ بالله رَبًّا، وبمحمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم رسولاً، وبالإسلام دِينًا، غُفِر له ذَنبُه))سنن أبي داود (١/ ١٤٤، ح٥٢٤). وقال الألباني: "حسن صحيح". وصحيح ابن حبان (٤/ ٥٩٣، ح١٦٩٥). وحسن إسناده الأرنؤوط.

(٣) زاد المعاد ٢/ ٦٦.

الشخص الأذان وهو في قراءة، أو تسبيح، قطع ما هو فيه، وأتى بمتابعة المؤذن؛ امتثالاً لقول النبي ﷺ: {إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول}[(1)].[(2)]

وبيّن ابن قدامة رحمه الله أنه يستحب إذا دخل المسجد فسمع المؤذن أن ينتظر فلا يتسنن ليجيب المؤذن قال رحمه الله: «وإن دخل الرجل المسجد فسمع المؤذن استحب له انتظاره؛ ليفرغ ويقول مثل ما يقول، جمعاً بين الفضلين»[(3)].

قوله: ثم الدعا بعد الفراغِ فافطِن.

قال ابن القيم رحمه الله:«وأمّا هَدْيُه ﷺ في الذِّكر عند الأذان وبعدَه، فشـرع لأُمَّته منه خمسة أنواع:

الثالث:أن يُصلِّي على النبي ﷺ بعدَ فَراغه من إجابة المؤذِّن، وأكْمَلُ ما يُصلَّى عليه بِهِ، ويصل إليه، هي الصلاة الإبراهيمية كما علَّمه أُمَّته أن يُصلُّوا عليه، فلا صلاَةَ عليه أكملُ منها وإن تحذلق المتحذلقون.[(4)]

---

(1) صحيح مسلم (1/ 288، ح384).

(2) مجموع فتاوى ابن باز، (10/ 357).

(3) المغني لابن قدامة، (2/ 89).

(4)قال رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم: ((إذا سمعتُمُ المؤذِّن، فقولوا مِثلَ ما يقول، ثم صَلُّوا عليَّ؛ فإنَّه مَن صلَّى عليَّ صلاةً، صلَّى اللهُ عليه بها عَشْرًا، ثم سَلُوا الله لِيَ الوَسِيلةَ، فإنَّها مَنـزلةٌ في الجنة لا تَنبغي إلا لِعَبدٍ مِن عباد الله، وأرْجو أن أكونَ أنا هو، فمَن سأَلَ لِيَ الوَسيلةَ حَلَّتْ له الشفاعة)) رواه مسلم (384)، وأبو داود (523)، والنسائي (2/ 25)،والترمذي(3614) وقال : " حديث حسن صحيح ".

الرابع: أن يقولَ بعد صلاته عليه: «اللهُمَّ رَبَّ هذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، والصَّلاةِ القَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّداً الوَسِيلَةَ والفَضِيلَةَ، وابْعَثْهُ مَقاماً مَحْمُوداً الذي وعَدْتَهُ إنَّكَ لا تُخْلِفُ المِيعَادَ» هكذا جاء بهذا اللفظ: «مقاماً محموداً» بلا ألف ولا لام، وهكذا صح عنه ﷺ.[1]

الخامس: أن يدعوَ لنفسه بعد ذلك، ويسألَ الله من فضله، فإنه يُسْتَجَاب له، كما في «السنن» عنه ﷺ: {قل كما يقولون - يعني: المؤذنين - فإذا انتهيت فسل تعطه}[2].

ولحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: {أن رجلاً قال: يا رسول الله! إن المؤذنين يفضلوننا، فقال رسول الله ﷺ: «قل كما يقولون، فإذا انتهيت فسل تُعطه}[3].

ولحديث أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: {إن الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة فادعوا}[4].[5]

(١)حديث جابرٍ ا أن رسول الله ﷺ قال: ((من قال حين يسمَع النداء: اللهمَّ ربَّ هذه الدعوةِ التامَّة، والصلاةِ القائمة، آتِ محمداً الوسيلةَ، والفضيلةَ، وابْعَثْه مقاماً محموداً الذي وعدتَّه، حلَّتْ له شفاعتي يوم القيامة)) أخرجه البخاري (كتاب الأذان، باب الدعاء عند النداء ١/ ٢٠٨ رقم ٦١٤).

(٢) سنن أبي داود (١/ ١٤٤، ح٥٢٤). وقال الألباني: "حسن صحيح". وصحيح ابن حبان (٤/ ٥٩٣، ح١٦٩٥). وحسن إسناده الأرنؤوط.

(٣) التخريج السابق.

(٤) سنن الترمذي(١/ ٤١٥، ح٢١٢). سنن أبي داود (١/ ١٤٤، ح٥٢١). ومسند أحمد (٣/ ٢٢٥، ح١٣٣٨١)، واللفظ له. ومصنف ابن أبي شيبة (٦/ ٣١، ح٢٩٢٤٧). وحسنه الحافظ ابن حجر،أنظر: نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار٢/ ٨٦.

(٥)زاد المعاد ٢/ ٦٦.

قوله: وسبّحنَّ واحمَدَنْ وكبِّرا بعد صلاةِ الفرضِ....

لحديث أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: {من سبَّحَ الله دُبُرَ كلِّ صلاةٍ ثلاثًا وثلاثين، وحمد الله ثلاثًا وثلاثين، وكبّر الله ثلاثًا وثلاثين، فتلك تسعة وتسعون، وقال تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، غفرت خطاياه ولو كانت مثل زَبَدِ البَحْرِ}[1].

ولحديث كعب بن عجرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: {مُعقِّبات[2] لا يخيب قائلُهن أو فاعلُهن دُبرَ كلِّ صلاةٍ مكتوبةٍ: ثلاثًا وثلاثين تسبيحة، وثلاثًا وثلاثين تحميدة، وأربعًا وثلاثين تكبيرة}[3].

ولحديث أبي هريرة ﷺ: {أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: ذهب أهل الدثور[4] من الأموال بالدرجات العلا، والنعيم المقيم، فقال: وما ذاك؟ قالوا: يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ولهم فضل أموال يحجون بها، ويعتمرون، ويجاهدون، ويتصدقون فقال: أفلا أُعلِّمكم شيئًا تُدركون به من سبقكم، وتَسبقون به مَنْ بَعْدكم، ولا يكون أحدٌ أفضلَ منكم إلا من صنع مثلَ ما صنعتم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: تُسبّحون، وتُكبّرون، وتحْمَدون في دُبُرِ كلِّ صلاةٍ ثلاثًا وثلاثين مرة، فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا

(١) صحيح مسلم (١/ ٤١٨، ح٥٩٧).

(٢) مُعقبّات: أي تسبيحات تُفعل أعقاب الصلوات، أو سُمّيت مُعقّبات: لأنها تُفعل مرةً بعد أخرى.

(٣) صحيح مسلم (١/ ٤١٨، ح٥٩٦).

(٤) الدثور: الأموال الكثيرة.

ففعلوا مثله، فقال رسول الله ﷺ: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾}[1].

قوله: والأفضلُ التهليلُ بالإطلاقِ.

لقول الرسول ﷺ: {خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير}[2].

وعن جابر بن عبدالله[3] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: {إن أفضل الدعاء: الحمد لله، وأفضل الذكر: لا إله إلا الله}[4].

وقد وضحت أفضلية التهليل بالتفضيل في فصل الذكر في البيت (رقم: ٢٩٦) عند قوله: أما لدى الإطلاق فالتهليل.

---

(١) صحيح البخاري (١/ ٢٨٩، ح٨٠٧). وصحيح مسلم (١/ ٤١٦، ح٥٩٥).

(٢) سنن الترمذي (٥/ ٥٧٢، ح٣٥٨٥)، وقال: "هذا حديث غريب من هذا الوجه، وحماد بن أبي حميد هو محمد بن أبي حميد، وهو أبو إبراهيم الأنصاري المديني، وليس بالقوي عند أهل الحديث". وقال في تلخيص الحبير (٢/ ٢٥٤): "وفي إسناده حماد بن أبي حميد، وهو ضعيف، ورواه العقيلي في الضعفاء من حديث نافع عن بن عمر بلفظ: "أفضل دعائي ودعاء الأنبياء قبلي عشية عرفة لا إله إلا الله" الحديث، وفي إسناده فرج بن فضالة وهو ضعيف جداً، قال البخاري: منكر الحديث، ورواه الطبراني في المناسك من حديث علي نحو هذا، وفي إسناده قيس بن الربيع". وحسنه الألباني في الصحيحة (ح١٥٠٣).

(٣) هو الصحابي الجليل، جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب الأنصاري السلمي يكنى أبا عبد الله وأبا عبد الرحمن وأبا محمد على أقوال. أحد المكثرين عن النبي ﷺ، وروى عنه جماعة من الصحابة، وله ولأبيه صحبة. وكان قد شهد العقبة، قيل مات سنة:(٧٨هـ)، وقيل مات جابر بعد أن عُمِّر فأوصى ألا يصلي عليه الحجاج. وقيل مات سنة :٧٤ ، ويقال مات سنة :٧٣ ، ويقال إنه عاش أربعاً وتسعين سنة. انظر: الإصابة (١/ ٢٤٣-٢٤٤).

(٤) سنن الترمذي (٥/ ٤٦٢، ح٣٣٨٣). وسنن ابن ماجه (٢/ ١٢٤٩، ح٣٨٠٠). والمستدرك للحاكم (١/ ٦٧٦، ح١٨٣٤). وصححه ووافقه الذهبي. وصحيح ابن حبان (٣/ ١٢٦، ح٨٤٦). وحسنه الألباني في الصحيحة (ح١٤٩٧).

قوله: واستغفرن الله.

يهدي الناظم رحمه الله المريد إلى أن من أسباب تزكية النفس ملازمة الاستغفار.

وأصل الغفر التغطية والستر... غفر الله ذنوبه أي: سترها والغفر والمغفرة التغطية على الذنوب والعفو عنها[1]، ومعناه طلب مغفرة الذنوب من الله عز وجل.

وإذا جاء مفردًا فله معنى، وإذا قرن بالتوبة له معنى آخر.

قال ابن القيم رحمه الله: «وأما الاستغفار فهو نوعان: مفرد، ومقرون بالتوبة.

فالمفرد: كقول نوح عليه السلام لقومه: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ ﴾[2]، وكقول صالح لقومه: ﴿لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٤٦ ﴾[3]، وكقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٩٩ ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝٣٣ ﴾[5].

والمقرون: كقوله تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ﴾[6]، وقول هود لقومه: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ

(١) لسان العرب (٦/ ٢٣٧٣). النهاية في غريب الحديث (٣/ ٣٧٣).

(٢) [نوح:١٠-١١].

(٣) [النمل:٤٦].

(٤) [البقرة:١٩٩].

(٥) [الأنفال:٣٣].

(٦) [هود:٣].

تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ﴾(1)، وقول صالح لقومه: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ﴿٦١﴾﴾(2)، وقول شعيب ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴿٩٠﴾﴾(3).

فالاستغفار المفرد كالتوبة، بل هو التوبة بعينها، مع تضمنه طلب المغفرة من الله، وهو محو الذنب، وإزالة أثره، ووقاية شره، لا كما ظنه بعض الناس: أنه الستر، فإن الله يستر على من يغفر له ومن لا يغفر له، ولكن الستر لازم مسمَّاها أو جزؤه، فدلالتها عليه إما بالتضمن وإما باللزوم.

وحقيقتها: وقاية شر الذنب، ومنه: المغفر: لما يقي الرأس من الأذى. والستر لازم لهذا المعنى، وإلا فالعمامة لا تسمى مِغْفرًا، ولا القبع ونحوه مع ستره، فلا بد في لفظ «المِغفر» من الوقاية، وهذا الاستغفار هو الذي يمنع العذاب في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾(4)، فإن الله لا يُذِّب(5) مستغفرًا، وأما من أصر على الذنب، وطلب من الله مغفرته، فهذا ليس باستغفار مطلق؛ ولهذا لا يمنع العذاب، فالاستغفار يتضمن التوبة، والتوبة تتضمن الاستغفار، وكل منهما يدخل في مسمى الآخر عند الإطلاق.

وأما عند اقتران إحدى اللفظتين بالأخرى؛ فالاستغفار: طلب وقاية شر ما مضى.

(1) [هود:٥٢].

(2) [هود:٦١].

(3) [هود:٩٠].

(4) [الأنفال:٣٣].

(5) أي لا يطرد.

والتوبة: الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله. فها هنا ذنبان: ذنب قد مضى؛ فالاستغفار منه: طلب وقاية شره. وذنب يخاف وقوعه؛ فالتوبة: العزم على ألا يفعله. والرجوع إلى الله يتناول النوعين: رجوع إليه ليقيه شر ما مضى، ورجوع إليه ليقيه شر ما يستقبل من شر نفسه وسيئات أعماله.

وأيضًا فإن المذنب بمنزلة من ركب طريقًا تؤديه إلى هلاكه، ولا توصله إلى المقصود، فهو مأمور أن يوليها ظهره، ويرجع إلى الطريق التي فيها نجاته. والتي توصله إلى مقصوده وفيها فلاحه.

فهاهنا أمران لا بد منهما: مفارقة شيء، والرجوع إلى غيره، فخصت «التوبة» بالرجوع، و«الاستغفار» بالمفارقة، وعند إفراد أحدهما يتناول الأمرين.

وأيضًا فالاستغفار من باب إزالة الضرر، والتوبة طلب جلب المنفعة.

فالمغفرة: أن يقيه شر الذنب. والتوبة: أن يحصل له بعد هذه الوقاية لما يحبه، وكل منهما يستلزم الآخر عند إفراده والله أعلم»[1]اهـ.

وشأن الاستغفار عظيم في زكاة النفس؛ لأنه يؤدي إلى مغفرة الذنوب وهي أكبر عائق لزكاة النفس، ولأن ملازمته تفرج الهموم وتخرج من المضايق التي هي مؤثرات على زكاة النفس، كما قال تعالى: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ ﴾[2]، وقال عن يونس عليه السلام: ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[3]. وكما قال الرسول ﷺ: {من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجًا

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٣٤-٣٣٦).

(٢) [نوح:١٠].

(٣) [الصافات:١٤٣-١٤٤].

ومن كل ضيق مخرجًا ومن كل بلاء عافية}(١).

وقد وضحت أفضلية الاستغفار في فصل الذكر في البيت (رقم: ٢٩٧) عند قوله: كذاك الاستغفار ثم الحوقلة.

قوله: واسأله الرضا ولا تكنْ لفعلِه معترِضا.

يهدي الناظم رحمه الله المريد إلى أن من أسباب تزكية النفس الرضا بالقضاء والقدر وعدم الاعتراض عليه.

والرضا: ضد السخط، والسخط: الكراهية للشيء وعدم الرضا به(٢).

وسؤال الله الرضا ورد في حديث: {اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء}(٣).

قال ابن القيم رحمه الله في حكم الرضا بالقضاء: «... حكم شرعي ديني، فهذا حقه أن يتلقى بالمسالمة والتسليم، وترك المنازعة، بل بالانقياد المحض، وهذا تسليم العبودية المحضة، فلا يعارض بذوق، ولا وجد، ولا سياسة، ولا قياس، ولا تقليد، ولا يرى إلى خلافه سبيلاً ألبتة، وإنَّما هو الانقياد المحض، والتسليم، والإذعان، والقبول، فإذا تلقى بهذا التسليم والمسالمة، إقراراً وتصديقاً بقي هناك انقياد آخر وتسليم آخر، له إرادة وتنفيذ وعمل، فلا تكون له شهوة تنازع مراد الله من تنفيذ حكمه، كما لم تكن له شبهة تعارض إيمانه وإقراره، وهذا حقيقة القلب السليم، الذي سلم من شبهة تعارض الحق، وشهوة تعارض الأمر، فلا استمتع بخلاقه، كما استمتع

(١) تقدم تخريجه (ص: ٢٧٧).

(٢) لسان العرب (٧/ ٣١٢). المصباح المنير (١/ ٢٧٢).

(٣) مسند أحمد (٥/ ١٩١، ح٢١٧١٠). وصحيح ابن حبان (٥/ ٣٠٤، ح١٩٧١). والمعجم الأوسط للطبراني (٦/ ١٦٥، ح٦٠٩١). والمستدرك للحاكم (١/ ٦٩٧، ح١٩٠٠). والسنة لابن أبي عاصم (١/ ١٨٥، ح٤٢٦). وصححه الألباني في ظلال الجنة (ح١٢٨).

به الذين يتبعون الشهوات، ولا خاض في الباطل خوض الذين يتبعون الشبهات، بل اندرج خلاقه تحت الأمر، واضمحل خوضه في معرفته بالحق، فاطمأن إلى الله، معرفة به، ومحبة له، وعلماً بأمره، وإرادة لمرضاته»(١).

وبيّن رحمه الله الآثار السيئة لعدم الرضا بالقدر يقول رحمه الله: «فمن لم يكن راضياً بقضاء الله وقدره فهو ساخط، وسخط العبد على قضاء الله – تعالى – مناف لرضاه به.

كذلك عدم الرضا بالقضاء والقدر يستلزم سوء الظن بالله، ومنازعة في اختياره لعبده، وأن الرب سبحانه يختار شيئاً ويرضاه، فلا يختاره العبد ولا يرضاه، وهذا مناف للعبودية»(٢).

والرضا بالقضاء والقدر له أثر في تزكية النفس قال الرسول ﷺ: {ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا...}(٣) وأي تزكية ودرجة عالية أعظم من أن يجد الإنسان طعم الإيمان.

قوله: ودُمْ على استغفاره والحوقلَهْ.

الحوقلة قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، وهذا اختصار عند العرب نظرًا لكثرة استعمالها، فتضم بعض حروف الكلمات إلى بعض حروف الأخرى(٤).

فقد أمر الله عز وجل بالمداومة على ذكره ومنها الاستغفار والحوقلة في آيات كثيرة، منها:

---

(١) شفاء العليل (ص: ٣١٩).

(٢) المرجع السابق (٣٧٧).

(٣) صحيح مسلم (١/ ٦٢، ح٣٤).

(٤) تهذيب اللغة (٥/ ٣٧٠). لسان العرب (١٥/ ١٢٣)

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾(1).

وقوله في التسبيح وهو من الذكر ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾(2)، أي: أول النهار وآخره من كل يوم.

ومنها: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾(3).

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾(4).

وقوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾(5).

ووعد الله عز وجل للذاكرين كثيرًا الأجر العظيم، كما قال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾(6).وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾(7).

وكذلك رسول الله ﷺ وصف المداومين والملازمين على ذكره بأنهم مفرّدون سابقون لجميع العاملين، فقال ﷺ: {سيروا هذا جمدان، سبق المفرّدون. قالوا: وما

(1) [الأحزاب:٤١-٤٢].

(2) [ق:٣٩].

(3) [النساء:١٠٣].

(4) [ق:٤٠].

(5) [البقرة:٢٠٠].

(6) [الأحزاب:٣٥].

(7) [الجمعة:١٠].

المفردون يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات}(١).

وأوصى ﷺ الأعرابي الذي طلب شيئًا يتشبّث به، فقال له: {لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله}(٢).

وداوم النبي ﷺ على أوراده ولم يتركها حتى فارق الدنيا، فقد روى عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في دعائه حين يمسي وحين يصبح لم يدعه حتى فارق الدنيا أو حتى مات: {اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي}(٣)، فالرسول ﷺ كان حريصاً على المحافظة على أوراده.

وداوم صحابته على الأوراد حتى في أشد حالاتهم، فعن علي بن أبي طالب، أن فاطمة رضي الله عنها أتت النبي ﷺ تسأله خادماً، فقال: {ألا أخبرك ما هو خير لك منه؟ تسبحين الله عند منامك ثلاثاً وثلاثين، وتحمدين الله ثلاثاًوثلاثين، وتكبرين الله أربعاً وثلاثين، ثم قال علي رضي الله عنه فما تركتها بعد. قيل: ولا ليلة صفين؟ قال: ولا ليلة صفين}(٤).

(١) تقدم تخريجه (ص: ٣٢٥).

(٢) تقدم تخريجه (ص: ٢٨٥).

(٣) سنن أبي داود (٤/ ٣١٨، ح٥٠٧٦). وسنن ابن ماجه (٢/ ١٢٧٣، ح٣٨٧١). وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه. ومسند أحمد (٢/ ٢٥، ح٤٧٨٥). ومصنف ابن أبي شيبة (٦/ ٣٥، ح٢٩٢٧٨). ومسند عبد بن حميد(١/ ٢٦٤، ح٨٣٧).

(٤) صحيح البخاري (٥/ ٢٠٥١، ح٥٣٦٢) واللفظ له. وصحيح مسلم (٤/ ٢٠٩١، ح٢٧٢٧).

ومن الأذكار التي حث الشرع على الإكثار منها الاستغفار قال تعالى: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ ﴾(1).

وقال الرسول ﷺ: {من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ومن كل بلاء عافية}(2).

وقد ذكرت أدلة كثيرة على أهمية الاستغفار، وفضله وثماره في فصل الذكر في البيت رقم: ٢٩٧. عند قوله:كذاك الاستغفار ثم الحوقلة.

قوله: فإنها لكل خيرٍ مُوصلَهْ. فقد ورد في فضلها مع الكلمات الأربع حديث: {ما على الأرض رجل يقول: لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، إلا كفرت عنه ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر}(3).

المعنى الإجمالي للأبيات:

يهدي الناظم ؒ هنا المريد إلى الاهتمام بأذكار اليوم والليلة، وكل وقت ذكره أهم من غيره من العبادات، وإن كانت فاضلة عليه بدون جدال. ومثاله: إجابة المؤذن والدعاء بعد الأذان أولى وأهم من الصلاة وتلاوة القرآن، فانتبه لذلك ولأهمية هذه الأذكار في وقتها.

كذلك التسبيح والتحميد والتكبير بعد الصلاة المفروضة، فقد ثبت أفضليتهما من غير شك في ذلك.

ثم يتابع الناظم بيان أفضلية الذكر ويذكر أن أفضل الذكر على الإطلاق التهليل،

---

(١) [نوح:١٠].

(٢) تقدم تخريجه (ص: ٢٧٧).

(٣) تقدم تخريجه (ص:٣٤٥).

وذلك متفق عليه عند العلماء.

ثم يحث الناظم على الاستغفار وسؤال الله عزوجل الرضا، ويحذر من الاعتراض على قضاء الله وقدره.

كذلك يحث الناظم على المداومة على الاستغفار وقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فإن لهذه الكلمة شأن في بلوغ الخيرات.

٥١٠ - وإن أتاكَ خاطرٌ فَزِنْهُ ... بوزنِ شرعِ الله تعلمَنْهُ
٥١١ - فإن يكنْ من جملةِ المناهي ... فذاك إغواءٌ بلا اشتباهِ
٥١٢ - وإن يكنْ من يُدْعَى إلى الطاعاتِ ... فذاك إلهامٌ إلى الخيراتِ
٥١٣ - فكنْ إلى خيراتهِ مسارِعًا ... ولا تكنْ لشره مطاوِعًا
٥١٤ - وأدِّب النفس بحكمِ الشرعِ ... وربِّها إن طمحتْ بالمنعِ
٥١٥ - وكنْ شريفَ النفسِ عالي الهمَّةِ ... ذا فطنة تريك عين الحكمةِ
٥١٦ - واجعلْ كتاب اللهِ ميزانَ العملْ ... والسُّنةَ الغراءَ إن خِفتَ الزللْ

قوله: وإن أتاكَ خاطرٌ فَزِنْهُ.

يهدي الناظم رحمه الله المريد إلى أن من أسباب تزكية النفس حفظ الخواطر.

والخاطرهو: ما يخطر في القلب من تدبير، أو أمر، جمعه: الخواطر. [1]

وإلى هذا المعنى أشار الزمخشري فقال: الخواطر: ما يتحرك بالقلب من رأي أو معنى. [2]

والخطرات شأنها أصعب؛ لأنها مبدأ الخير والشر، ومنها تولد الإرادات، والهمّ والعزائم، فمن راعى خطراته ملك زمام نفسه، وقهر هواه، ومن استهان بالخطرات قادته إلى الهلكات.

قال ابن القيم رحمه الله: «قاعدة في ذكر طريق يوصل إلى الاستقامة في الأحوال والأقوال والأعمال. وهي شيئان: أحدهما حراسة الخواطر وحفظها والحذر من إهمالها

---

(1) تاج العروس ١/ ٢٧٢.

(2) الكشاف ٥/ ٣٤.

والاسترسال معها، فإن أصل الفساد كله من قبلها يجيء لأنها هي بذر الشيطان والنفس في أرض القلب، فإذا تمكن بذرها تعاهدها الشيطان بسقيه مرة بعد أخرى حتى تصير إرادات ثم يسقيها بسقيه حتى تكون عزائم ثم لا يزال بها حتى تثمر الأعمال.

ولا ريب أن دفع الخواطر أيسر من دفع الإرادات والعزائم فيجد العبد نفسه عاجزاً أو كالعاجز عن دفعها بعد أن صارت إرادة جازمة وهو المفرط إذالم يدفعها وهي خاطر ضعيف كمن تهاون بشرارة من نار وقعت في حطب يابس فلما تمكنت منه عجز عن إطفائها.فإن قلت: فما الطريق إلى حفظ الخواطر؟ قلت: أسباب عدة.

أحدها: العلم الجازم باطلاع الرب سبحانه ونظره إلى قلبك وعلمه بتفصيل خواطرك.

الثاني: حياؤك منه.

الثالث: إجلالك له أن يرى مثل تلك الخواطر في بيته الذي خلق لمعرفته ومحبته.

الرابع: خوفك منه أن تسقط من عينه بتلك الخواطر.

الخامس: إيثارك له أن تساكن قلبك غير محبته.

السادس: خشيتك أن تتولد تلك الخواطر ويستعر شرارها فتأكل ما في القلب من الإيمان ومحبة الله فتذهب به جملة وأنت لا تشعر.

السابع: أن تعلم أن تلك الخواطر بمنزلة الحب الذي يلقى للطائر ليصاد به، فاعلم أن كل خاطر منها فهو حبة في فخ منصوب لصيدك وأنت لاتشعر.

الثامن: أن تعلم أن تلك الخواطر الرديئة لا تجتمع هي وخواطر الإيمان ودواعي المحبة والإنابة أصلاً، بل هي ضدها من كل وجه وما اجتمعا في قلب إلا وغلب

أحدهما صاحبه وأخرجه واستوطن مكانه، فما الظن بقلب غلبت خواطر النفس والشيطان فيه خواطر الإيمان والمعرفة والمحبة فأخرجتها واستوطنت مكانها لكن لو كان للقلب حياة لشعر بألم ذلك وأحس بمصابه.

التاسع: أن يعلم أن تلك الخواطر بحر من بحور الخيال لا ساحل له، فإذا دخل القلب في غمراته غرق فيه وتاه في ظلماته فيطلب الخلاص منه فلا يجد إليه سبيلاً فقلب تملكه الخواطر بعيد من الفلاح معذب مشغول بما لا يفيد.

العاشر: أن تلك الخواطر هي وادي الحمقى وأماني الجاهلين، فلا تثمر لصاحبها إلاالندامة والخزي، وإذا غلبت على القلب أورثته الوساوس وعزلته عن سلطانها وأفسدت عليه رعيته[1] وألقته في الأسر الطويل»[2].

قوله: بوزنِ شرعِ الله تعلمَنْهُ.

أي: يجب على المسلم أن يعرض الخواطر على ميزان الشرع وأن تكون خواطره تبعًا له، كما قال عليه الصلاة والسلام: {لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به}[3].

قوله: فإن يكنْ من جملةِ المناهي فذاك إغواءٌ بلا اشتباهِ.

الضمير المستتر يعود إلى الخاطر، أي: يدفع إليها ويحببها إلى النفس فاعلم بأن هذا الخاطر إغواء من الشيطان بلا ريب وعليك تركه.

---

(١) يقصد أعضاء الجسد الباقية فهي كالرعية للجسد.

(٢) طريق الهجرتين (١/ ٧٥).

(٣) شرح السنة للبغوي (١/ ٢١٣). وفتح الباري (١٣/ ٢٨٩)، وقال: "أخرجه الحسن بن سفيان وغيره ورجاله ثقات وقد صححه النووي في آخر الأربعين". وضعفه الألباني في ظلال الجنة (ح١٥).

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن للشيطان لمة بابن آدم، وللملك لمة، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فوعد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله تعالى، فيحمد الله تعالى، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان»[1].

ويقول ابن القيم رحمه الله: «ثم للناس في هذه المحنة مراتب لا يحصيها إلا الله، فمنهم من تكون لمة الشيطان أغلب من لمة الملك وأقوى، فإذا ألـمَّ به الشيطان وجد من الألم والضيق والحصر وسوء الحال بحسب ما عنده من حياة القلب، فيبادر إلى طرد تلك اللَّمَّة ولا يدعها تستحكم فيصعب تداركها، فهو دائماً في حرب بين اللَّمَّتين، يدال له مرة ويدال عليه مرة أخرى والعاقبة للمتقين»[2].

وقال أيضاً رحمه الله: «وتأمل حكمة القرآن وجلالته كيف أوقع الاستعاذة من شر الشيطان؟! الموصوف بأنه الوسواس إلى آخر السورة، ولم يقل: من شر وسوسته لتعم الاستعاذة جميع شره، فإن قوله: الوسوسة يعم كل شر. ووصفه بأعظم صفاته وأشدها شراً وهي الوسواس التي هي مبادئ الإرادة؛ فإن القلب يكون فارغًا من الشر فيوسوس إليه، ويخطر الذنب بباله فيصوره لنفسه ويشهيه فيصير شهوة ويزينها ويحسنها له فتصير إرادة، ثم لا يزال يمثل ويشهي وينسي ضررها ويطوي عنه سوء عاقبتها فلا يرى إلا التذاذه بالمعصية فقط وينسي ما وراء ذلك، فتصير الإرادة جازمة فيشتد الحرص من القلب، فلا يزال الشيطان بالعبد يقوده إلى الذنب وينظم شمل الاجتماع بألطف حيلة وأتم مكيدة.

---

(١) سنن الترمذي (٥/ ٢١٩، ح٢٩٨٨). وصحيح ابن حبان (٣/ ٢٧٨، ح٩٩٧). وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (ح١٩٦٣).

(٢) التبيان في أقسام القرآن (١/ ٤١٨).

فأصل كل معصية وبلاء إنما هو الوسوسة، لهذا وصفه بهذا ليكون الاستعاذة من شرها أهم»[1].

قوله: وإن يكنْ من يُدْعَى إلى الطاعات فذاك إلهامٌ ......

أي: وإن كان الخاطر يدعو إلى الطاعات ويزينها ويحببها إلى النفس فاعلم أن ذلك الخاطر إلهام من الله يدعوك إلى الخيرات، فلتحمد الله عليه، ولتسارع بفعلها.

قال ابن القيم ﵀: "أما لمة الشيطان فهي وعده وتمنيته حين يعد الإنسي، ويأمره وينهاه، كما قال تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾[2] "[3].

وقال أيضًا ﵀: «والخطرات المحمودة أقسام تدور على أربعة أصول:

خطرات يستجلب بها العبد منافع دنياه.

وخطرات يستدفع بها مضارّ دنياه.

وخطرات يستجلب بها مصالح آخرته.

وخطرات يستدفع بها مضارّ آخرته.

فليحصر العبد خطراته وأفكاره وهمومه في هذه الأقسام الأربعة»[4].

وكما أن هذا معلوم في الخواطر النفسانية فهكذا الخواطر الإيمانية الرحمانية هي أصل الخير كله.

فإن أرض القلب إذا بذر فيها خواطر الإيمان والخشية والمحبة والإنابة والتصديق

---

(١) تفسير المعوذتين (ص: ٩٦).

(٢) [النساء: ١٢٠].

(٣) التبيان في أقسام القرآن (١/ ٤١٨).

(٤) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، (ص: ٢٦٨).

بالوعد ورجاء الثواب وسقيت مرة بعد مرة وتعاهدها صاحبها بحفظها ومراعاتها والقيام عليها أثمرت له كل فعل جميل وملأت قلبه من الخيرات واستعملت جوارحه في الطاعات واستقر بها الملك في سلطانه واستقامت له رعيته، ولهذا لما تحققت طائفة من السالكين ذلك عملت على حفظ الخواطر، فكان ذلك هو سيرها وجل أعمالها وهذا نافع لصاحبه بشرطين: أحدهما: أن لا يترك به واجباً ولا سنة، والثاني: أن لا يجعل مجرد حفظها هو المقصود بل لا يتم ذلك إلا بأن يجعل موضعها خواطر الإيمان والمحبة والإنابة والتوكل والخشية، فيفرغ قلبه من تلك الخواطر ويعمره بأضدادها، وإلا فمتى عمل على تفريغه منها معاً كان خاسراً فلا بد من التفطن لهذا»[1].

قوله: فكنْ إلى خيراتهِ مسارِعًا ولا تكن لشره......

يهدي الناظم ﷺ المريد إلى أن من أسباب تزكية النفس المسارعة إلى الخيرات، وكف الشر.

وقد أمر الله بالمسارعة إلى الخيرات في قوله: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾[2].

ووصف عباده المؤمنين بأنهم يسارعون في الخيرات، فقال تعالى: ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ﴾[3].

قال ابن كثير ﷺ في قوله تعالى: ﴿۞لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ

(١) طريق الهجرتين (١/ ١٥٨).

(٢) [آل عمران:١٣٣].

(٣) [الأنبياء:٩٠].

﴿١٧٧﴾[1]:«والمراد بالبر، جميع خصال الخير التي يحبها الله، فمن صنع البر، فقد اتقى، ومن اتقى، فقد تزكى، لأن النفس والقلب يطمئنان إلى البر، ومتى تحلى الإنسان بالأخلاق الحسنة، استطاع تقويم نفسه وتزكيتها»[2].

وكف الشر سبيل إلى تزكية النفس ،يقول شيخ الإسلام رحمه الله: «فكذلك النفس والأعمال لا تزكو حتى يزال عنها ما يناقضها،ولا يكون الرجل متزكياً إلا مع ترك الشر، فإنه يدنس النفس ويدسيها"[3]

قوله: وأدِّب النفس بحكمِ الشرعِ.

يهدي الناظم رحمه الله المريد إلى أن من أسباب تزكية النفس تأديب النفس بأحكام الشرع.

قال ابن المبارك رحمه الله: "الإيمان في خمسة حصون: اليقين. ثم الإخلاص، ثم أداء الفرائض، ثم أداء السنن، ثم حفظ الآداب، فما دام العبد يحفظ الآداب ويتعاهدها فالشيطان لا يطمع فيه. فإذا ترك الآداب طمع الشيطان في السنن، ثم في الفرائض، ثم في الإخلاص، ثم في اليقين"[4].

ويقول الشيخ عبدالرحمن المعلمي رحمه الله: «وأرى أن معرفة الآداب النبوية الصحيحة في العبادات والمعاملات، والإقامة، والسفر، والمعاشرة، والوحدة، والحركة، والسكون، واليقظة والنوم، والأكل والشرب، والكلام والصمت.. وغير

---

(١) [البقرة:١٧٧].

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٢٤).

(٣) المجموع (١٠/ ٦٢٩).

(٤) الغنية (١/ ١٢٨).

ذلك، مما يعرض للإنسان في حياته، مع تحري العمل بها كما يتيسر، هو الدواء الوحيد لتلك الأمراض- كل ما وقع فيه المسلمون من الضعف والخور والتخاذل -. فإن كثيراً من تلك الآداب سهل على النفس، فإذا عمل الإنسان بما سهل عليه منها، تاركاً ما يخالفها لم يلبث - إن شاء الله تعالى - أن يرغب في الازدياد، فعسى أن لا تمضي عليه مُدة، إلاّ وقد أصبح قدوة لغيره في ذلك.. وبالاهتداء بذلك الهدي القويم، والتخلق بذلك الخُلق العظيم يستنير القلب، وينشرح الصدر، وتطمئنُ النفس، فيرسخ اليقين، ويصلح العمل، وإذا كُثر السالكون في هذا السبيل لم تلبث تلك الأمراض أن تزول إن شاء الله»[1].

قوله: وربَّما إن طمحتْ بالمنعِ.

يهدي الناظم ﵀ المريد إلى أن من أسباب تزكية النفس منع النفس من الشهوات والاسترسال في المباحات.

والتربية هي: «إعداد المسلم إعداداً كاملاً من جميع النواحي في جميع مراحل نموه للحياة الدنيا والآخرة في ضوء المبادئ والقيم وطرق التربية التي جاء بها الإسلام»[2].

وطمحت: أي أبعدت في الطلب[3].

فمن وسائل تربية النفس وتزكيتها: مخالفتها والإنكار عليها وعدم تلبية رغباتها لأنها داعية للراحة والعصيان.

يقول ابن القيم رحمه الله : "... فحق على الحازم المؤمن بالله واليوم الآخر ألا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها وخطراتها وخطواتها،

(١) مقدمة كتاب الأدب المفرد.

(٢) جوانب التربية الإسلامية، د. مقداد يالجن (ص: ٢٦).

(٣) تهذيب اللغة (٤/ ٢٣٣).

فكل نفس من أنفاس العمر جوهرة نفيسة لاحظ لها يمكن أن يشتري بها كنْزاً من الكنوز لا يتناهى نعيمه أبد الآبدين، فإضاعة هذه الأنفاس، أو اشتراء صاحبها بها ما يجلب هلاكه خسران عظيم لا يسمح بمثله إلا أجهل الناس وأحمقهم وأقلهم عقلا، وإنما يظهر له حقيقة هذا الخسران يوم التغابن "يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا"[(١)].

ويقول الغزالي: "اعلم أن أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك، وقد خلقت أمارة بالسوء مبالغة في الشر فرارة من الخير، وأمرت بتزكيتها وتقويمها وقودها بسلاسل القهر إلى عبادة ربها وخالقها ومنعها عن شهواتها وفطامها عن لذاتها، فإن أهملتها جمحت وشردت ولم تظفر بها بعد ذلك"[(٢)].

قوله: وكنْ شريفَ النفسِ عالي الهمَّةِ.

يهدي الناظم رحمه الله المريد إلى أن من أسباب تزكية النفس شرف النفس وعلو الهمة.

ومعنى شرف النفس بيّنه ابن القيم رحمه الله في الفرق بين شرف النفس والتيه فقال: «أما شرف النفس فهو صيانتها من الدنايا والرذائل والمطامع التي تقطع أعناق الرجال فيربأ بنفسه عن أن يلقيها في ذلك، بخلاف التيه فإنه خلق متولد بين أمرين إعجابه بنفسه وإرادته بغيره يتولد بين هذين التيه، والأول يتولد بين خلقين كريمين إعزاز النفس وإكرامها وتعظيم مالكها وسيدها وأن لا يكون عبده دنيا وضيعاً خسيساً فيتولد من بين هذين الخلقين شرف النفس وصيانتها، وأصل هذا كله استعداد النفس وتهيؤها وإمداد وليها ومولاها لها، فإذا فقد الاستعداد والامداد فقد

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٨٠).

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي (٤/ ٣٨٢).

الخير كله»[1].

والنفوس الشريفة لا ترضى من الأشياء إلا بأعلاهاوأفضلها وأحمدها عاقبة، والنفوس الدنيئة تحوم حول الدناءات وتقع عليها كما يقع الذباب على الأقذار. فالنفس الشريفة العلية لا ترضى بالظلم ولا بالفواحش ولا بالسرقة والخيانة؛ لأنها أكبر من ذلك وأجلّ، والنفس المهينة الحقيرة الخسيسة بالضد من ذلك.

وقد تواردت نصوص القرآن والسنة على حث المؤمنين على ارتياد معالي الأمور، والصبر على ذلك، وتنوعت أساليب القرآن في ذلك..

ومنها: ثناؤه سبحانه على أصحاب الهمم العالية وفي طليعتهم الأنبياء والمرسلون، وفي مقدمتهم أولو العزم من الرسل وعلى رأسهم خاتمهم محمد ﷺ ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[2].

ومنها: أنه عبر سبحانه عن أوليائه الذين كبرت همتهم بوصف الرجال في مواطن البأس والجلد والعزيمة والثبات على الطاعة، والقوة في دين الله قال تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ١٠٨﴾[3]، وقال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ٣٦ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ٣٧﴾[4]، وقال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ

(١) الروح، ابن القيم (ص: ٢٣٣).

(٢) [الأحقاف:٣٥].

(٣) [التوبة:١٠٨].

(٤) [النور:٣٦-٣٧].

نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾(١).

ومنها: أن الله سبحانه وتعالى أمر المؤمنين بالهمة العالية، والتنافس في الخيرات قال تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾(٢).

وكذلك أرشد رسوله ﷺ إلى محبة الله لمعالي الأمور فقال ﷺ: {إن الله يحب معالي الأمور وأشرافها، ويكره سفسافها}(٣).

كذلك لابد من الهمة في طلب الطاعات، ومعالي الأمور، ومرضاة الله سبحانه وتعالى، فيما يحبه جل وعلا وإن كان شاقاً، وإن كان مخالفاً للنفس. ولذلك كلما أخلص الإنسان ارتفعت همّته في طلب الطاعات، والوصول إلى رضوان الله عز وجل. والنفس بطبيعتها دنيئة، فما لم ترفعها بالهمة العالية، فإنها تبقى في الدرك الأسفل، راكنةً إلى الدنيا متلطخة بأوحالها وأوضارها.

يقول ابن القيم: "الكيس يقطع من المسافة بصحة العزيمة وعلو الهمة وتجريد القصد وصحة النية - مع العمل القليل - أضعاف أضعاف ما يقطعه الفارغ من ذلك مع التعب الكثير والسفر الشاق!!" (٤).

---

(١) [الأحزاب:٢٣].

(٢) [البقرة:١٤٨].

(٣) المعجم الكبير للطبراني (٣/ ١٣١، ح٢٨٩٤). وقال الهيثمي (٨/ ١٨٨): "رواه الطبراني وفيه خالد بن الياس ضعفه أحمد وابن معين والبخاري والنسائي وبقية رجاله ثقات". وذخيرة الحفاظ (٢/ ٦٠٨)، وقال: "رواه خالد بن إلياس عن محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان، عن أمه فاطمة بنت حسين، عن أبيها حسين بن علي، وخالد هذا متروك الحديث، وتفرد به عنه المغيرة بن عبدالرحمن". وصححه الألباني في الصحيحة (ح١٦٢٧).

(٤) طريق الهجرتين (٢/ ٢١١).

قوله: ذا فطنة تريك عين الحكمةِ.

يهدي الناظم رحمه الله المريد إلى أن من أسباب تزكية النفس الفطنة والحذر من شبهات المضلين، ومن خطرات النفس.

يقول ابن القيّم رحمه الله :" فالكياسة، والحذر، والفطنة، من صفات المؤمن، كما قال الرسول ﷺ: {المؤمن كيس فطن حذر}[1] أي: عاقل ذا بصيرة نافدة؛ لأن الفطنة حدة البصيرة في بذل الأمور، يفطن بزيادة نور عقله إلى ما غاب عن غيره، فيهدم دنياه ليبني بها أخراه، ولا يهدم أخراه ليبني بها دنياه، فهو ذو عقل راجح، وبصيرة نافدة، جعلته يدرك بواطن الأمور حتى صار حازماً يحذر ما سيقع، فلا يؤتى من جهة الغفلة"[2].

قوله: واجعلْ كتاب اللهِ ميزانَ العملْ والسنة الغراء...

يهدي الناظم رحمه الله المريد إلى أن من أسباب تزكية النفس التحاكم إلى الكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ۝٥٩﴾[3]. فأمر الله عند التنازع بالرد إليه، أي: إلى كتابه،

---

(١) كشف الخفاء (٢/ ٣٨٧)، وقال: "رواه الديلمي والقضاعي عن أنس رفعه، وهو ضعيف، وللديلمي عن أنس أيضاً بلفظ: "المؤمن فطن حذر وقاف متثبت لا يعجل عالم ورع، والمنافق همزة لمزة حطمة لا يقف عند شبهة ولا عند محرم كحاطب ليل لا يبالي من أين كسب ولا فيما أنفق". وأخرجه البخاري في تاريخه عن كعب بن عاصم بمثله إلا أنه زاد: "كيس" في الترجمة، ولم يقل كحاطب ليل"... إلى آخره". وضعفه الألباني في الضعيفة (ح٧٦٠).

(٢) انظر: طريق الهجرتين (٢/ ٣٢).

(٣) [النساء:٥٩].

وبالرد إلى رسوله وذلك في حياته ﷺ، ويكون الرد إلى سنته بعد وفاته ﷺ.

فأخبر أن ذلك خير للمسلم ويعود عليه بالخير في دينه ودنياه ونفسه فإن الرد إلى الله ورسوله يجعل القلب في طمأنينة وسعادة.

وقال ﷺ: {إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله وسنتي}(١).

المعنى الإجمالي للأبيات:

يحث الناظم رحمه الله المريد على الانتباه لشأن الخواطر ووجوب ردها إلى الشرع لمعرفة حسنها من قبحها، ويقول له إذا علمت أنها من الخواطر المنهية التي يغوي بها الشيطان فيجب عليك تركها بدون تردد؛ لأن مصدرها الشيطان بدون شك، وإن كانت هذه الخواطر تدعو إلى الطاعات فاعلم أنها إلهام من الله يحض على فعل الخيرات.

ثم يدعو الناظم المريد إلى المسارعة إلى الخيرات وعدم الانقياد إلى شرور النفس وأهوائها ومطاوعتها في ذلك.

ثم يحث الناظم المريد على الاهتمام بآداب الشرع وحمل النفس عليها، ومنعها من الانسياق وراء أهوائها وشهواتها، والتطلّع إلى معالي الأمور، لافتًا الانتباه إلى أهمية الفطنة ودورها في الوصول إلى حقائق الأمور.

كما يهدي الناظم المريد إلى لزوم كتاب الله وسنة رسوله وجعله المرجع في كل أمر حتى ينجو المسلم من الوقوع في البدع والمعاصي وغيرها.

(١) سنن الترمذي (٥/ ٦٦٣، ح٣٧٨٨)، وقال: "حسن غريب". ومسند أحمد (٣/ ٥٩، ح١١٥٧٨). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٤٥٨).

٥١٧- وخـــيرُ طاعـــاتِ الإلـــهِ كلِّهـــا مـــن كـــلِّ مفـــروضٍ ومنـــدوبٍ لهـــا
٥١٨- العلـــمُ بالتوحيـــدِ والعبـــادَهْ وفهـــمُ معنـــى النطـــقِ بالشـــهادَهْ
٥١٩- وبعـــدَهُ فالأفضـــلُ الصـــلاةُ فَرضًـــا ونفـــلاً وكـــذا الزكـــاةُ
٥٢٠- والصـــومُ والحـــجُّ عـــلى الأنـــامِ مـــن مســـتطيعِ الحـــجِّ والصـــيامِ

قوله: وخيرُ طاعاتِ الإلهِ كلِّها.

يتحول الناظم هنا إلى بيان أفضل الطاعات والعبادات التي على المسلم أن يبدأ بها و يلزمها من فروض ومستحبات.

مما يبيّن حرص الناظم رحمه الله على هذه الأمور ، وبذل جهده في بيانها .

وقد صنّف ابن القيم ﷺ المتنازعين في أفضل العبادة وأنفعها وأحقها بالإيثار والتخصيص إلى أربعة أصناف، وذكر لكل صنف حججهم ثم رجح الصنف الرابع، وفيه بيان أن أفضل الأعمال يكون بحسب الأوقات والحاجات، ولأهميته نورده بلفظه.

قال ابن القيم ﷺ: «ثم أهل مقام «إياك نعبد» لهم في أفضل العبادة وأنفعها وأحقها بالإيثار والتخصيص أربع طرق، فهم في ذلك أربعة أصناف.

الصنف الأول: عندهم أنفع العبادات وأفضلها: أشقها على النفوس وأصعبها.

قالوا: لأنه أبعد الأشياء عن هواها، وهو حقيقة التعبد.

وقالوا: والأجر على قدر المشقة ورووا حديثا لا أصل له: {أفضل الأعمال أحمزها}(١).

(١) أي أصعبها وأشقها. قال المزي : "هو من غرائب الأحاديث ، ولم يروى في شيء من الكتب الستة،

وهؤلاء: هم أهل المجاهدات والجور على النفوس.

وقالوا: وإنما تستقيم النفوس بذلك، إذ طبعها الكسل والمهانة، والإخلاد إلى الأرض، فلا تستقيم إلابركوب الأهوال وتحمل المشاق.

الصنف الثاني: قالوا: أفضل العبادات التجرد، والزهد في الدنيا والتقليل منها غاية الإمكان واطراح الاهتمام بها، وعدم الاكتراث بكل ما هو منها.

ثم هؤلاء قسمان:

فعوامهم: ظنواأن هذا غاية فشمروا إليه، وعملوا عليه، ودعوا الناس إليه، وقالوا: هو أفضل من درجةالعلم والعبادة، فرأوا الزهد في الدنيا غاية كل عبادة ورأسها.

وخواصهم: رأوا هذا مقصوداً لغيره، وأن المقصود به عكوف القلب على الله، وجمع الهمة عليه، وتفريغ القلب لمحبته والإنابة إليه، والتوكل عليه، والاشتغال بمرضاته، ودوام ذكره بالقلب واللسان، والاشتغال بمراقبته دون كل ما فيه تفريق للقلب وتشتيت له.

الصنف الثالث: رأوا أن أنفع العبادات وأفضلها: ما كان فيه نفع متعد، فرأوه أفضل من ذي النفع القاصر، فرأوا خدمة الفقراء، والاشتغال بمصالح الناس، وقضاء حوائجهم، ومساعدتهم بالمال والجاه والنفع أفضل، فتصدوا له، وعملوا عليه، واحتجوا بقول النبي ﷺ: {الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم

وهو منسوب في النهاية لإبن عباس ، بلفظ : سئل رسول اللهّ صلى اللهّ عليه وسلم : أي الأعمال أفضل ؟ قال :" أحمزها "، أي أقواها وأشدها.أنظر : المقاصد الحسنة فيما اشتهر على الألسنة ، حديث ١٣٥ .

لعياله}[1].

واحتجوا بأن عمل العابد قاصر على نفسه، وعمل النفاع متعد إلى الغير، وأين أحدهما من الآخر!!.

قالوا: ولهذا كان فضل العالم على العابدكفضل القمر على سائر الكواكب.

قالوا: وقد قال رسول الله لعلي بن أبي طالب ﷺ: {لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم}[2] وهذا التفضيل إنما هو للنفع المتعدي، واحتجوا بقوله: {من دعا إلى هدى كان له من الأجرمثل أجور من اتبعه، من غير أن ينقص من أجورهم شيء}[3].

واحتجوا بأن صاحب العبادة إذا مات انقطع عمله، وصاحب النفع لاينقطع عمله، ما دام نفعه الذي نسب إليه.

واحتجوا بأن الأنبياء إنما بعثوا بالإحسان إلى الخلق وهدايتهم، ونفعهم في معاشهم ومعادهم، لم يبعثوا بالخلوات والانقطاع عن الناس والترهب، ولهذاأنكر

(١) المعجم الكبير للطبراني (١٠/ ٨٦، ح١٠٠٣٣). وقال الهيثمي (٨/ ١٩١): "فيه عمير، وهو أبو هارون القرشي متروك "، وفي كشف الخفاء (١/ ٤٥٧) قال: "قال النووي في فتاويه: هو حديث ضعيف؛ لأن فيه يوسف بن عطية ضعيف باتفاق الأئمة، ورواه الحافظ عبدالعظيم المنذري في أربعينه عن أنس رفعه بلفظ: الخلق كلهم عيال الله فأحب خلقه اليه أنفعهم لعياله، قال أبو عبدالله محمد السلمي في تخريجها: ومعنى عيال الله فقراء الله؛ فالخلق كلهم فقراء الى الله وهو الذي يعولهم. انتهى وله طرق بعضها يقوي بعضاً، قال العسكري: هذا الكلام على المجاز والتوسع، كأن الله لما كان المتضمن بأرزاق العباد والكافل بهم كان الخلق كالعيال له". وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢٩٤٦).

(٢) صحيح البخاري (٣/ ١٠٩٦، ح٢٨٤٧). وصحيح مسلم (٤/ ١٨٧٢، ح٢٤٠٦).

(٣) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٦٠، ح٢٦٧٤).

النبي على أولئك النفر الذين هموا بالانقطاع للتعبد، وترك مخالطة الناس.

الصنف الرابع: قالوا: إن أفضل العبادة: العمل على مرضاة الرب في كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته، فأفضل العبادات في وقت الجهاد: الجهاد، وإن آل إلى ترك الأوراد، من صلاة الليل، وصيام النهار، بل ومن ترك إتمام صلاة الفرض، كما في حالة الأمن.

والأفضل في وقت حضور الضيف مثلاً: القيام بحقه والاشتغال به عن الورد المستحب، وكذلك في أداء حق الزوجة والأهل....فالأفضل في كل وقت وحال: إيثار مرضاة الله في ذلك الوقت والحال، والاشتغال بواجب ذلك الوقت ووظيفته ومقتضاه.

وهؤلاء هم أهل التعبد المطلق، والأصناف قبلهم أهل التعبد المقيد، فمتى خرج أحدهم عن النوع الذي تعلق به من العبادة وفارقه، يرى نفسه كأنه قد نقص وترك عبادته، فهو يعبد الله على وجه واحد، وصاحب التعبد المطلق، ليس له غرض في تعبد بعينه يؤثره على غيره، بل لايزال متنقلاً في منازل العبودية، كلما رفعت له منزلة، عمل على سيره إليها، واشتغل بها حتى تلوح له منزلة أخرى، فهذا دأبه في السير حتى ينتهي سيره، فإن رأيت العلماء رأيته معهم، وإن رأيت العباد رأيته معهم، وإن رأيت المجاهدين رأيته معهم، وإن رأيت الذاكرين رأيته معهم، وإن رأيت المتصدقين المحسنين رأيته معهم)[(١)].

<u>قوله: العلمُ بالتوحيدِ والعبادَهْ.</u>

أي أن خير الطاعات العلم بالتوحيد والعبادة.

---

(١) طريق الهجرتين (١/ ١١١-١١٤).

يقول ابن القيم ﷺ مقرراً هذا الأمر: «إن شرف العلم تابع لشرف معلومه، ولا ريب أن أجل معلوم وأعظمه وأكبره هو الله الذي لا إله إلا هو رب العالمين، وقيوم السماوات والأرضين، الملك الحق المبين، الموصوف بالكمال كله، المنزه عن كل عيب ونقص، وعن كل تمثيل وتشبيه في كماله، ولا ريب أن العلم به وبأسمائه وصفاته وأفعاله أجل العلوم وأفضلها. ونسبته إلى سائر العلوم كنسبة معلومه إلى سائر المعلومات. وكما أن العلم به أجل العلوم وأشرفها فهو أصلها كلها... والمقصود أن العلم بالله أصل كل علم، وهو أصل علم العبد بسعادته وكماله، ومصالح دنياه وآخرته. والجهل به مستلزم للجهل بنفسه، ومصالحها وكمالها، وما تزكو به وتفلح به، فالعلم به سعادة العبد، والجهل به أصل شقاوته»[(١)].

ويقول في موضع آخر: «ولما كان العلم للعمل قريناً وشافعاً وشرفه لشرف معلومه تابعاً كان أشرف العلوم على الإطلاق علم التوحيد وأنفعها علم أحكام أفعال العبيد، ولا سبيل إلى اقتباس هذين النورين وتلقي هذين العلمين إلا من مشكاة من قامت الأدلة القاطعة على عصمته وصرحت الكتب السماوية بوجوب طاعته ومتابعته وهو الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى»[(٢)].

ويقول أيضاً ﷺ: «أفضل العلم: العلم بالله وهو العلم بأسمائه وصفاته وأفعاله، التي توجب لصاحبها معرفة الله وخشيته ومحبته وهيبته وإجلاله وعظمته والتبتل إليه والتوكل عليه والصبر عليه والرضا عنه والانشغال به دون خلقه»[(٣)].

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٣١١).

(٢) إعلام الموقعين (١/ ٥).

(٣) المرجع السابق.

ويقول ابن أبي العز الحنفي ﷺ: «علم أصول الدين أشرف العلوم، إذ شرف العلم بشرف المعلوم، وهو الفقه الأكبر بالنسبة إلى فقه الفروع، ولهذا سمي الإمام أبو حنيفة رحمة الله عليه ما قاله وجمعه في أوراق من أصول الدين (الفقه الأكبر) وحاجة عباد الله إليه فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة، لأنه لا حياة للقلوب ولا نعيم ولا طمأنينة إلا بأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويكون مع ذلك كله أحب إليها مما سواه»[(١)].

قوله: وفهمُ معنى النطقِ بالشهادَهْ.

وهو داخل في التوحيد، فلكلمة التوحيد سبعة شروط، نظمها بعضهم بقوله:

العلم، واليقين، والقبول والانقياد فادرِ ما أقول

والصدق، والإخلاص، والمحبه وَفَّقكَ الله لما أحبه[(٢)]

والفهم شرط من شروط تحقيقها وهو العلم بمعناها المنافي للجهل.

قال تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[(٣)]، وقال ﷺ: {من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة}[(٤)].

قوله: وبعدَهُ فالأفضلُ الصلاةُ فرضاً ونفلاً.

فقد افتتح الله أعمال المؤمنين المفلحين بالصلاة واختتمها بها، وهذا يؤكد أهميتها، قال الله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٥

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ١٧).

(٢) معارج القبول لحافظ الحكمي، (٢/ ٤١٨).

(٣) [محمد:١٩].

(٤) تقدم تخريجه (ص:٢١٤).

﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩﴾[1].

وعن معاذ رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: {رأس الأمر الإسلام، وعمودُه الصلاةُ، وذروةُ سنامِه الجهادُ}[2].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: {بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت}[3].

وللصلاة أثر في تزكية النفس:

فإن المسلم المحافظ على صلاته يعود عليها خمس مرات في اليوم والليلة على الأقل ويعود بذلك إلى توبته فتخلل التوبة يومه كله ولا تكاد تبقي من ذنوبه شيئاً، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ۝١١٤﴾[4]، وقال عليه الصلاة والسلام: {أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء، قالوا: لا يبقى من درنه شيء،

(١) [المؤمنون:١-٩].

(٢) سنن الترمذي (٥/ ١١، ح٢٦١٦)، وقال: "حديث حسن صحيح". وسنن ابن ماجه (٢/ ١٣١٤، ح٣٩٧٣). وحسنه الألباني في إرواء الغليل (٢/ ١٣٨).

(٣) صحيح البخاري (١/ ١٢، ح٨). وصحيح مسلم (١/ ٤٥، ح١٦).

(٤) [هود:١١٤].

قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا}(1).

والصلاة من أعظم النواهي عن المعاصي، قال تعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾(2).

وهي معينة للعبد على متاعب الحياة، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾(3)

قوله: وكذا الزكاةُ.

أي: كذلك هي قرينة الصلاة في الأفضلية وفي الأمر؛ لحديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما المتقدم في أركان الإسلام(4).

وقد جمع الله بينها وبين الصلاة في مواضع كثيرة في كتابه الكريم، وهذا يدل على عظم مكانتها عند الله عز وجل، وعظم شأنها، قال الله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾(5).

وقال سبحانه: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ ﴾(6).

ومدح الله القائمين بها في آيات كثيرة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ

---

(1) تقدم تخريجه.

(2) [العنكبوت:45].

(3) [البقرة:153].

(4) تقدم قريباً.

(5) [البقرة:43].

(6) [البقرة:110].

إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ﴿٥٥﴾ ﴾(1).

فالزكاة طهارة ومتى ما خلصت النية في إنفاقها، صارت وسيلة لتزكية النفس وتطهيرها ونمائها وصلاحها، قال تعالى: ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾(2).

قال ابن تيمية رحمه الله: «الزكاة تستلزم الطهارة، قال تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ ﴾، من الشر ﴿وَتُزَكِّيهِم﴾ بالخير»(3).

وهي من صفات المتقين قال تعالى: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ ﴾(4).

وزكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، فهي تكمل وتسد الخلل، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنه {أن النبي صلى الله عليه وسلم فرض زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين}(5).

قوله: والصومُ والحجُّ على الأنامِ.

أما الصوم فلأن الله كتبه على العباد، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ

(1) [مريم:٥٤-٥٥].

(2) [التوبة:١٠٣].

(3) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠/ ٦٣٤).

(4) [الليل:١٧-١٨].

(5) سنن أبي داود (٢/ ١١، ح١٦٠٩). وسنن ابن ماجه (١/ ٥٨٥، ح١٨٢٧). والمستدرك للحاكم (١/ ٥٦٨، ح١٤٨٨). وصححه الألباني في صحيح أبي داود. وفي صحيح الجامع (ح٣٧٥٠).

﴿عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٨٣﴾(١)

ولقول الله عز وجل في الحديث القدسي: كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به)(٢).

ولحديث جبريل في أركان الإسلام المتقدم.

وهو تزكية للنفوس لأنه يؤدي إلى التقوى التي هي أهم أسباب زكاة النفس، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٨٣﴾(٣)

قال ابن كثير في الآية السابقة: «فيه زكاة للنفس وتطهير لها، وتنقية من الأخلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة، إذ الصوم فيه تزكية للبدن، وتضييق لمسالك الشيطان»(٤).

وهكذا صيام النفل، جعله النبي ﷺ حصناً واقياً من الشهوات، حتى تصير النفس مطمئنة لا تنغمس في الرذيلة، كما في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: {من استطاع الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء}(٥).

أما الحج فلقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩٧﴾(٦).

ولحديث جبريل المتقدم في أركان الإسلام.

---

(١) [البقرة:١٨٣].

(٢) صحيح البخاري (٥/ ٢٢١٥، ح٥٥٨٣). وصحيح مسلم (٢/ ٨٠٧، ح١١٥١).

(٣) [البقرة:١٨٣].

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٤٣٦).

(٥) صحيح البخاري (٢/ ٦٧٣، ح١٨٠٦).

(٦) [آل عمران:٩٧].

وهو يعين على التقوى وتزكية النفس، قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾(١). فإن الله أمر من أهل بالحج أن يبتعد عن الفسوق فيزكي نفسه بالبعد عن المحرمات.

ويمحو الخطايا ويزيل أدران النفس العائقة عن التزكية، فعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: {من حجّ هذا البيت فلم يرفث، ولم يفسق، رجع كما ولدته أمه}.

وعن عبد الله بن مسعود ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: {تابعوا بين الحج والعمرة؛ فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحج المبرور ثواب إلا الجنة}(٢).

قوله: من مستطيعِ الحجِّ والصيامِ.

إشارة إلى قوله تعالى في الحج: ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾(٣).

وقوله تعالى في الصيام: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾(٤).

المعنى الإجمالي للأبيات:

يبيّن الناظم ﵀ للمريد أفضل الطاعات التي عليه أن يلزمها من فروض

---

(١) [البقرة:١٩٧].

(٢) سنن الترمذي (٣/ ١٧٥، ح٨١٠)، وقال: "حسن غريب". وسنن النسائي (٥/ ١١٥، ح٢٦٣١). وسنن ابن ماجه (٢/ ٩٦٤، ح٢٨٨٧). ومسند أحمد (١/ ٣٨٧، ح٣٦٦٩)، وقال الألباني في صحيح الترمذي. وفي الصحيحة (ح١٢٠٠).

(٣) [آل عمران:٩٧].

(٤) [البقرة:١٨٤].

ومستحبات، وهي العلم بتوحيد رب العالمين وعبادته وفهم حقيقة معنى شهادة أن لا إلـه إلا الله، وبعـد ذلـك في الأفضـلية الصـلاة المفروضـة والنافلـة ثـم الزكـاة والصـوم والحج على المستطيع.

٥٢١- أحسِنْ إلى اليتيمِ والمسكينِ   تَرْقَى سما العُليا بهذا الدينِ
٥٢٢- أعِنْ ضعيفًا ما لَهُ من ناصر   وارحمْ أخًا في الدين غيرَ قادرِ

قوله: أحسِنْ إلى اليتيمِ والمسكينِ.

يعود الناظم رحمه الله إلى هداية المريد إلى أسباب تزكية النفس، فيذكر منها الإحسان إلى اليتيم والمسكين.

وقد أمرنا الله عز وجل بالإحسان إلى اليتيم، في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩﴾(١).

كما حثُّ رسول الله ﷺ على الإحسان إلى اليتيم واعدًا على ذلك بالأجر العظيم؛ يقول رسول الله ﷺ: {أنا وكافل اليتيم(٢) في الجنة كهاتين. وأشار بأصبعيه، يعني السَّبَّابة والوسطى}(٣).

كذلك رغَّب رسول الله ﷺ أفراد الأُمَّة أن يضمُّوا اليتامى إلى أولادهم، فقال ﷺ: {من ضم يتيما بين أبوين مسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يستغني عنه وجبت له الجنة ألبتة}(٤).

وبين رسول الله ﷺ أن رحمة اليتيم سبب في تزكية القلب ولينه وكسر قسوته.

---

(١) [الضحى:٩].

(٢) كافل اليتيم: القائم بأموره من نفقة وكسوة وتأديب وتربية، وغير ذلك. انظر: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري (١٠/ ٤٣٦).

(٣) صحيح البخاري (٥/ ٢٠٣٢، ح٤٩٩٨).

(٤) مسند أحمد (٤/ ٣٤٤، ح١٩٠٤٧) وقال شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح لغيره. والبخاري: الأدب المفرد (٧٨). والمعجم الكبير للطبراني (١٩/ ٣٠٠، ح٦٧٠). ومسند أبي يعلى (٢/ ٢٢٧، ح٩٢٦). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٦١): "رواه أبو يعلى والسياق له وأحمد باختصار والطبراني، وهو حسن الإسناد". وصححه الألباني في الصحيحة (٢٨٨٢).

قال رسول الله ﷺ لرجل أتى إليه يشكو قسوة قلبه: {أتحب أن يلين قلبك، وتدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم، وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك؛ يلن قلبك، وتدرك حاجتك}(١).

كما رغّب رسول الله ﷺ في إنفاق المال على المسكين واليتيم، فقال: {...وإن هذا المال خضرة حلوة، فنعم صاحب المسلم ما أعطى منه المسكين، واليتيم، وابن السبيل...}(٢).

كذلك أمرنا الله عز وجل بأن نعطي المسكين حقَّه المفروض له من قِبَلِ الله، فيقول تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾(٣).

كما رغب رسول الله ﷺ الأُمَّة كلها بالسعي في قضاء حوائج المسكين، فيقول رسول الله ﷺ: {الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل الصائم النهار}(٤).

وكان رسول الله ﷺ أسرعَ الناس إلى تطبيق ما يقول، فقد روى عبد الله بن أبي أَوْفَى رضي الله عنه {أن رسول الله ﷺ كان لا يأنف ولا يستنكف أن يمشي مع الأرملة والمسكين؛ فيقضي لهما حاجتهما}(٥).

---

(١) المعجم الأوسط للطبراني (٣/ ٣٤٥، ح٣٣٥٥). قال الهيثمي (٨/ ١٦٠): "وفي إسناده من لم يسم وبقية مدلس". ومصنف عبد الرزاق (٤/ ١٦، ح٦٨٢١). وحسنه الألباني في الصحيحة (ح٨٥٤).

(٢) صحيح البخاري (٢/ ٥٣٢، ح١٣٩٦).

(٣) [الإسراء:٢٦].

(٤) صحيح البخاري (٥/ ٢٠٤٧، ح٥٠٣٨). وصحيح مسلم (٤/ ٢٢٨٦، ح٢٩٨٢).

(٥) سنن النسائي (٣/ ١٠٨، ح١٤١٤). وسنن الدارمي (١/ ٤٨، ح٧٤). وصحيح ابن حبان (١٤/ ٣٣٤، ح٦٤٢٣) وقال شعيب الأرناؤوط: "إسناده صحيح على شرط مسلم". وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (ح٥٨٣٣).

قوله: تَرْقَى سما العليا بهذا الدينِ.

ويقصد الناظم بالرقي هنا الدرجات الرفيعة من زكاة النفس والدرجات الرفيعة في الجنة، والعليا هي الجنة.

يدل على ذلك الحديث المشهور: {أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين}. وأشار بأصبعيه، يعني: السَّبَّابة والوسطى[1].

قوله: أعِنْ ضعيفًا ما لَهُ من ناصر.

يهدي الناظم رحمه الله المريد إلى أن من أسباب تزكية النفس إعانة الضعفاء ونصرتهم.

ونصرة الضعفاء والمحتاجين من الأخلاق الحميدة، وقد أمر الشارع الحكيم بإعانة الضعفاء والمحتاجين.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: {من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر، يسر الله عليه في الدنياوالآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه..}[2].

وقال رسول الله ﷺ: {كل سُلامي من الناس صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس. قال: تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة}[3].

كذلك أمر رسول الله ﷺ بنصرة الضعفاء، فقال ﷺ: {انصر أخاك ظالمًا أو

(١) تقدم تخريجه (ص: ٦٥٧).

(٢) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٧٤، ح٢٦٩٩).

(٣) صحيح البخاري (٢/ ٩٦٤، ح٢٥٦٠). وصحيح مسلم (٢/ ٦٦٩، ح١٠٠٩).

مظلومًا}[1].

قوله: وارحمْ أخًا في الدين غيرَ قادرٍ.

يهدي الناظم رحمه الله المريد إلى أن من أسباب تزكية النفس رحمة غير القادرين من الضعفاء والمسنين والعاجزين والمرضى ونحوهم.

والرحمة خلق حسن، حث عليه الشارع وأمرنا به، وذكر صوراً كثيرة من صور هذا الخلق، وجعله أصلاً.

ومن صور الرحمة: الرحمة بين المسلمين بشكل عام، وهؤلاء الضعفاء داخلون أصلاً تحت الرحمة العامة لجميع الخلق والمسلمين على وجه الخصوص كما في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ ﴾[2].

وقوله سبحانه: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾[3].

وكما في قول الرسول ﷺ: {من لا يرحم الناس لا يُرحم}[4].

وقوله كذلك ﷺ: {الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا مَن في الأرض يرحمكم مَن في السماء}[5].

وقوله ﷺ: {ترى المؤمنين في تراحمهم، وتوادهم، وتعاطفهم، كمثل الجسد، إذا

(١) صحيح البخاري (٢/ ٨٦٣، ح٢٣١٢).

(٢) [البلد:١٧].

(٣) [الفتح:٢٩].

(٤) وصحيح مسلم (٤/ ١٨٠٩، ح٢٣١٩).

(٥) سنن الترمذي (٤/ ٣٢٣، ح١٩٢٤). وسنن أبي داود (٤/ ٢٨٥، ح٤٩٤١). ومسند أحمد (٢/ ١٦٠، ح٦٤٩٤). وصححه الألباني في الصحيحة (ح٩٢٥).

اشتكى عضواً، تداعى له سائر جسده بالسهر والحمّى}[١].

وقوله كذلك: {أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق. ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى، ومسلم. وعفيف متعفف ذو عيال}[٢].

ولهم رحمة خاصة تدل على عناية الشرع بهم على وجه الخصوص، سواء الصغير أو الكبير أو الضعيف أو المريض، كما في حديث أبي هريرة: أنّ النبي ﷺ قال: {إذَا أمّ أحدكم الناس فليخفف، فإن فيهم الصغير والكبير والضعيف والمريض، فإذا صلى وحده، فليصل كيف شاء}[٣].

وعن أبي الدرداء عويمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: {ابغوني الضعفاء، فإنما تنصرون، وترزقون بضعفائكم}[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَبّلَ النبي ﷺ الحسنَ بن عليّ رضي الله عنهما وعنده الأقرعُ بن حابس التميمي. فقال الأقرعُ: إن لي عَشرةً من الولد ما قبّلتُ منهم أحداً، فنظرَ إليه رسولُ الله ﷺ ثم قال: {من لا يرحم لا يرحم}[٥].

عن أسامة بن زيد قال: أرسلت بنت النبي ﷺ إليه أن ابنا لي قبض فأتنا. فأرسل يقرأ السلام ويقول: إن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عند الله بأجل مسمى فلتصبر ولتحتسب، فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها، فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ورجال، فدفع إلى رسول الله ﷺ الصبي

---

(١) صحيح البخاري (٥/ ٢٢٣٨، ح٥٦٦٥)، واللفظ له. وصحيح مسلم (٤/ ١٩٩٩، ح٢٥٨٦).

(٢) صحيح مسلم (٤/ ٢١٩٧، ح٢٨٦٥).

(٣) صحيح مسلم (١/ ٣٤١، ح٤٦٧).

(٤) سنن أبي داود (٣/ ٣٢، ح٢٥٩٤). وسنن النسائي الكبرى (٣/ ٣٠، ح٤٣٨٨).

(٥) صحيح البخاري (٥/ ٢٢٣٥، ح٥٦٥١). وصحيح مسلم (٤/ ١٨٠٨، ح٢٣١٨).

ونفسه تقعقع ففاضت عيناه، فقال سعد: يا رسول الله! ما هذا؟ قال: هذا رحمة يجعلها الله في قلوب عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء»(١).

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: جاء شيخٌ يريد النبي ﷺ فأبطأ القوم عنه أن يُوسِّعوا له، فقال النبي ﷺ: {ليس مِنَّا من لم يرحم صغيرنا، ويوقِّرُ كبيرنا}(٢).

المعنى الإجمالي للبيتين:

يهدي الناظم رحمه الله المريد إلى أهمية الإحسان إلى اليتامى والمساكين ودورهما في رقي النفس وزكاتها.

كذلك يهديه إلى أهمية إعانة الضعفاء الذين ليس لهم معين ولا ناصر، والرحمة بإخوانه المسلمين العاجزين.

---

(١) صحيح البخاري (١/ ٤٣١، ح١٢٢٤). وصحيح مسلم (٢/ ٦٣٥، ح٩٢٣).

(٢) سنن الترمذي (٤/ ٣٢١، ح١٩١٩). وسنن أبي داود (٤/ ٢٨٦، ح٤٩٤٣). ومسند أحمد (٢/ ١٨٥، ح٦٧٣٣). وصححه الألباني في الصحيحة(ح٢١٩٦).

٥٢٣ - واذكـرْ إلـه العـالمين جَهْـرا فـإن خشـيتَ سُـمعةً فسـرا
٥٢٤ - واختـرْ مـن الأذكـارِ مـا قـد أُثـرا عـن النبـيِّ المصـطفَى واشـتَهَرا
٥٢٥ - وادعُ لـدَى الصـباحِ والمسـاءِ بـما دعـا المختـارُ مـن دعـاءِ
٥٢٦ - مُشـكلُ مـأثورٍ مـن الأذكـار أو مـن دعـاءِ صـحَّ في الأخبَـارِ
٥٢٧ - فـاحرِصْ عليـهِ والـزمِ المتابعَـهْ فإنَّهـا مـن المزايـا النافعَـهْ

قوله: واذكرْ إله العالمين جَهْرا.

يعيد الناظم ﵀ هنا التأكيد على أهمية الذكر وتكراره في أكثر من موضع، يدل على أهميته في التزكية عند الناظم وهو حق لا جدال فيه، فيأمر المريد هنا بالجهر في الذكر في موضعه.

كما قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾(١).

قال الضحاك(٢): «معناه: اجهر بالقراءة في صلاة الغداة والمغرب والعشاء»(٣).

قوله: فإن خشيتَ سُمعةً فسرا.

هنا يخصص الناظم إطلاق أمره بالجهر بالذكر بأنه في حالة خشية السمعة فالسر بالذكر أفضل.

---

(١) [الأعراف:٢٠٥].

(٢) هو: أبو محمد وقيل أبو القاسم الضحاك بن مزاحم الهلالي، صاحب التفسير، كان من أوعية العلم، وثقه أحمد وابن معين وغيرهما، كان يعلم الصبيان حسبة، مات سنة خمس وقيل سنة ست ومائة. انظر: تهذيب التهذيب (٤/ ٣٩٧-٣٩٨). سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٩٨).

(٣) تفسير السمرقندي (١/ ٥٩٠).

فمن آداب الذكر والدعاء: إخفاؤه سراً، فلا يسمعه غير من يناجيه، قال الله سبحانه: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥﴾[1].

قال الحسن رحمه الله: «كان المسلمون يجتهدون في الدعاء، ولا يُسمع لهم صوت، إن كان إلا همساً فيما بينهم وبين ربهم»[2].

وذكر ابن القيم رحمه الله في فوائد خفض الصوت والإسرار بالدعاء فوائد عديدة، وأسراراً بديعة، منها:

١- أنه أعظم إيماناً.

٢- أنه أعظم في الأدب والتعظيم.

٣- أنه أبلغ في التضرع والخشوع.

٤- أنه أبلغ في الإخلاص.

٥- أنه أبلغ في حضور القلب على اللهَّ تعالى في الدعاء.

٦- أنه دال على قرب صاحبه من الله؛ لأنه أدعى لدوام الطلب والسؤال)[3].

قوله: واخترْ من الأذكارِ ما قد أُثرا.

هنا يهدي الناظم رحمه الله المريد إلى لزوم الأذكار المأثورة عن النبي ﷺ، ذلك لكونه ﷺ أعلم بالله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله،ولكونه أفصح العرب وأعلمهم بمواقع الكلام، وأوتي جوامع الكلم، وأمده الله بالتسديد وكمال النصح لأمته. فهو المبلِّغ عن الله، ونحن متعبَّدون بطريقته في الذكر والدّعاء والأوراد.

(١) [الأعراف:٥٥].

(٢) تفسير الطبري (٨/ ٢٠٦). الدر المنثور (٣/ ٤٦٧).

(٣) انظر: بدائع الفوائد، (٣/ ١٠٦).

فالالتزام بألفاظ الذكر والورد من الثوابت التي لا يدخل فيه الاجتهاد ويجب المحافظة على اللفظ كما ورد عن رسول الله ﷺ.

وقد أمر رسول الله ﷺبالتزام النص في الذكر والدعاء، فعن البراء بن عازب[1] رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: {إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت، فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة واجعلهن آخر ما تتكلم بهقال: فرددتها على النبي ﷺ فلما بلغت: اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت قلت ورسولك قال: لا ونبيك الذي أرسلت}[2].

قوله: عن النبيِّ المصطفَى واشتَهَرا.

يقصد مع كونها مأثورة عن النبي ﷺ؛ كذلك يحسن اختيار المشهورة منها التي تلقتها الأمة بالقبول والعمل، وجمعها أهل العلم في الكتب المشهورة بالأذكار. وذكرتها في فصل الذكر في البيت (رقم: ٢٩١) عند قوله: الذكر بالمأثور نعم القربة.

قوله: وادعُ لدَى الصباحِ والمساءِ بما دعا المختارُ......

يهدي الناظم رحمه الله المريد إلى أهمية أذكار الصباح والمساء الواردة، وقد ورد في فضلها أحاديث عديدة، منها:

قال رسول الله ﷺ: {لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة الغداة حتى

---

(١) هو البراء بن عازب بن حارث الأنصاري الحارثي الخزرجي، أبو عمارة، له ولأبيع صحبة، وقد روى عن النبي ﷺ جملة من الأحاديث، توفي أيام مصعب بن الزبير. انظر ترجمته في الاستيعاب (ص:٨٠-٨١). والإصابة (١/ ١٤٧).

(٢) صحيح البخاري (١/ ٩٧، ح٢٤٤). وصحيح مسلم (٤/ ٢٠٨١، ح٢٧١٠).

تطلع الشمس أحب إليَّ من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل، ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس، أحبُّ إليَّ من أن أعتق أربعة}(١).

قوله: «من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل» أي: حررها وأخلصها إذ هي من أنفس وأغلى الأنفس.

ومن أمثلتها قول الرسول ﷺ: {أصبحنا وأصبح الملك لله، والحمد لله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، رب أسألك خير ما في هذا اليوم وخير ما بعده، وأعوذ بك من شر ما في هذا اليوم وشر ما بعده، رب أعوذ بك من الكسل، وسوء الكبر، رب أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر}(٢).

وإذا أمسى قال: { أمسينا وأمسى الملك لله... رب أسألك خير ما في هذه الليلة وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شر ما في هذه الليلة وشر ما بعدها} (٣).

ومنها: {اللهم بك أصبحنا، وبك أمسينا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك النشور}(٤).

وإذا أمسى قال: {اللهم بك أمسينا، وبك أصبحنا، وبك نحيا، وبك نموت،

---

(١) سنن أبي داود (٣/ ٣٢٤، ح٣٦٦٧). وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (١/ ١٦٥)، والمشكاة (ح٩٧٠) .

(٢)صحيح مسلم (٤/ ٢٠٨٩، ح٢٧٢٢).

(٣) المرجع السابق.

(٤) سنن الترمذي (٥/ ٤٦٦، ح٣٣٩١). وسنن أبي داود (٤/ ٣١٧، ح٥٠٦٨). وسنن ابن ماجه (٢/ ١٢٧٢، ح٣٨٦٨).

وإليك المصير}[١].

وقوله المختار. يقصد محمد ﷺ اختاره الله لرسالته واصطفاه من بين الخلق، كما في الحديث: {فأنا خيركم بيتاً، وخيركم نفساً}[٢].

قوله: مشكل مأثور من الأذكار.

في طباعة البيت خطأ، فلا معنى يستقيم بهذا اللفظ (مشكل)

والصحيح (وكل) [٣] أي: وكل مأثور من الأذكار فاحرص عليه، والزم المتابعة فيه.

قوله: فاحرِصْ عليهِ.

يهدي الناظم رحمه الله المريد إلى الحرص على المأثور من الأذكار والدعاء بما صح عن المصطفى.

أما المأثور من الأذكار فقد ذكرت فضله وأهميته، ووجوب الحرص عليه في فصل الذكر. وذكرت أثره في زكاة النفس في البيت رقم: ٥٠٠.

أما الدعاء فذكرت أهميته في فصل الطريقة وهو من أسباب التزكية، ففي حديث عبد الله بن عمرو العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: {إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب الخلق، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم}[٤].

وقد دعا النبي ﷺ ربه أن يؤتي نفسه تقواها ويزكيها قال ﷺ: {اللهم آت نفسي

(١) المرجع السابق.

(٢) رواه الترمذي (٢/ ٢٢، ح٣٦٠٧)، وقال حديث حسن صحيح.

(٣)وهو ما أثبت في طبعة السلفية.

(٤) المستدرك للحاكم (١/ ٤٥، ح٥). وحسن إسناده الهيثمي (١/ ٥٢). وحسنه الألباني في الصحيحة (ح١٥٨٥).

تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها}[1].

قوله: والزمِ المتابعَهْ.

كذلك هنا يهدي الناظم المريد إلى أن يلزم متابعة هدي النبي ﷺ في الذكر والدعاء، فإن تلك المتابعة هي ميزة يختص بها المؤمن الصادق من غيره من أدعياء المحبة لله ولرسوله.

وقد بيّنت أهمية المتابعة في البيت (رقم: ٥٠١).

المعنى الإجمالي للأبيات:

يهدي الناظم ؒ المريد إلى أهمية الذكر، وأن الأصل فيه أن يكون جهرًا إلا إذا خشي السمعة فالإسرار به أفضل. وأن يختار من الأذكار ما أثر عن النبي ﷺ واشتهر في كتب الحديث وكتب الأذكار.

وأن يواظب على أذكار الصباح والمساء الواردة عن النبي المختار ﷺ المأثورة عنه الصحيحة.

كذلك يهدي الناظم المريد إلى الحرص على الأذكار الثابتة عن النبي ﷺ، وأن يلزم متابعة النبي ﷺ فإن تلك المتابعة مزية يتميز بها المسلم، وهي في الوقت نفسه نافعة له في دنياه وآخرته.

---

(١) تقدم تخريجه (ص: ٥٧٧).

٥٢٨ – وسـر عـلى نهـجِ النبـي وسـيرِه ولا تتـابعْ مَـنْ رَضـي بغـيرِهِ
٥٢٩ – فـإن ظننـتَ مرشـدًا سـواهُ قـد اصـطفاه اللهُ وارتضـاهُ
٥٣٠ – مثالُـه هدايـةً وعلـما ورحمـةً وعصـمةً وحلـما
٥٣١ – وناصـحًا بـالرفق للعبـاد وهاديًـا لحاضـر وبـادِ
٥٣٢ – فقـد نبـذتَ الحـقَّ والصـوابا والسُّـنةَ الغـراءَ والكتابـا

قوله: وسر على نهجِ النبي وسيرِه.

يهدي الناظم المريد إلى الحرص على السير على نهج النبي ﷺ وطريقته وسيرته.

وقد أمر الله جل وعز المؤمنين بالتأسي به والاقتداء بهديه واقتفاء آثاره ﷺ، قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[١].

قال القرطبي رحمه الله: «واختلف في هذه الأسوة بالرسول ﷺ هل هي على الإيجاب أو على الاستحباب على قولين؟ أحدهما: على الإيجاب حتى يقوم دليل على الاستحباب. الثاني: على الاستحباب حتى يقوم دليل على الإيجاب. ويحتمل أن يحمل على الإيجاب في أمور الدين وعلى الاستحباب في أمور الدنيا»[٢].

يقول ابن حزم رحمه الله: «قول الله عز وجل أسوة: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[٣].

(١) [الأحزاب:٢١].
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٩/ ١٥٥ – ١٥٦).
(٣) [الأحزاب:٢١].

فكل ما فعله رسول الله ﷺ فالفضل لنا والأجر، والإحسان في أن نفعل كما فعل ائتساءً به والمانع من ذلك مخطئ، والراغب عن سنته ظالم لنفسه هالك إلا أن يأتي نص قرآن أوسنة ثابتة بأنه خصوصي لرسول الله ﷺ فلا يحل أن يعمل به حينئذ»[1].

فما كان من الأفعال النبوية أوالأقوال يفيد الوجوب الشرعي فيلزم لزومه والحيد عنه معصية لله ورسوله ﷺ، يقول تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾[2].

وقد كان أصحاب النبي ﷺ يقتفون أثره عليه الصلاة والسلام في كل أمورهم وشئونهم الدينية والدنيوية ومن ذلك:

ما روى ابن عمر رضي الله عنه أنه رأى قوما يسبّحون – أي: يصلون النافلة والمراد بذلك في السفر - بعد الصلاة فقال: {لو كنت مسبحاً – أي: متنفلاً - لأتممت صلاتي يا ابن أخي: صحبت رسول الله ﷺ فلم يزد على ركعتين حتى قبضه الله، وصحبت أبا بكر فلم يزد على ركعتين حتى قبضه الله، وذكر عمر وعثمان، وقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[3]}[4].

وقال رضي الله عنه: {لما قدم رسول الله ﷺ طاف بالبيت سبعاً وصلى خلف المقام ركعتين، ثم طاف بين الصفا والمروة سبعاً، قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ

---

(١) المحلى (٩/ ٥٠٠).

(٢) [النور:٦٣].

(٣) [الأحزاب:٢١].

(٤) صحيح البخاري (٢/ ٥٨٧، ح١٠٥١). وصحيح مسلم (١/ ٤٧٩ح٦٨٩)، واللفظ له.

﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾، فنحن نصنع ما صنع رسول الله ﷺ}[١].

وعن سعيد بن يسار أنه قال: {كنت أسير مع عبد الله بن عمر بطريق مكة، فلما خشيت الصبح نزلت فأوترت، فقال: أليس لك في رسول الل هﷺ أسوة؟ قلت: بلى والله. قال: فإن رسول الله ﷺ كان يوتر على البعير}[٢].

وعن عابس بن ربيعة قال: {رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقبل الحجر (يعني الأسود) ويقول: إني أعلم أنك حجر ما تنفع ولا تضر، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك}[٣].

وعن سعيد بن جبير قال: «كنت مع ابن عمر حيث أفاض من عرفات فلما أتى جمعا جمع بين المغرب والعشاء فلما فرغ قال: «فعل رسول الله ﷺ في هذا المكان مثل هذا»[٤].

قوله: ولا تتابعْ مَنْ رَضي بغيرِهِ.

يحذّر الناظم رحمه الله المريد من متابعة غير هدي وسيرة النبي ﷺ من طرق مبتدعة وطرقيين رضوا بحظوظ الدنيا والسير وراءها بديلاً عن سيرة النبي ﷺ ونهجه وهديه.

فالعبادات والقربات مبناها على الإتباع، والإتباع يستلزم العلم، أما من يتعبد الله

---

(١) صحيح البخاري (١/ ١٥٤، ح٣٨٧). وصحيح مسلم (٢/ ٩٠٦، ح١٢٣٤).

(٢) صحيح البخاري (١/ ٣٣٩، ح٩٥٤). وصحيح مسلم (١/ ٤٨٧، ح٧٠٠).

(٣) صحيح البخاري (٢/ ٥٧٩، ح١٥٢٠). وصحيح مسلم (٢/ ٩٢٥، ح١٢٧٠).

(٤) سنن النسائي (١/ ٢٩١، ح٦٠٥). ومسند أحمد (٢/ ٢، ح٤٤٥٢). وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١٦٨٦-١٦٨٧).

ﷻ على جهل فهو إلى البدعة لا محالة. كما قال تعالى عن النصارى: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾(1).

وقد عرفت البدعة ، وبينّت ذم السلف لها ولأهلها في البيت رقم :٤٨٠ عند قوله: أو خالف السنة فهو المبتدع.

كذلك تحدثت عن المتابعة وأثرها في تزكية النفس في البيت رقم :٥٠١ عند قوله : متابعا فيها سبيل المصطفى .

وألخص ضرر البدع وخطرها في التالي:

١ - أنها هدم للدين إذ لم تنجم بدعة من البدع إلا وأميتت في مقابلها سنة من سنن الدين حتى تفشو البدع وتندرس معالم الدين.

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: " ما يأتي على الناس من عام إلا أحدثوا فيه بدعة، وأماتوا فيه سنة، حتى تحيا البدع وتموت السنن "(2).

وعن حسان بن عطية(3). قال: " ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها. . "(1).

---

(١) [الحديد:٢٧].

(٢)البدع والنهي عنها لابن وضاح القرطبي ص : ٥٣.

(٣)أبو بكر المحاربي مولاهم الدمشقي . حدث عن أبي أمامة الباهلي ، وسعيد بن المسيب ، وحدث عنه الأوزاعي ،وقال الأوزاعي :ما رأيت أحدا أكثر عملا في الخير من حسان بن عطية .وقيل : كان حسان من أهل بيروت .وثقه أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، بقي إلى حدود سنة ثلاثين ومائة قال يحيى بن معين :كان قدريا . قلت : لعله رجع وتاب. أنظر:سير أعلام النبلاء ٥/ ٤٦٨.

وقال ابن القيم رحمه الله: " والظفر به في عقبة البدعة أحب إليه - أي الشيطان -؛ لمناقضتها الدين، ودفعها لما بعث الله به رسوله. وصاحبها لا يتوب منها، ولا يرجع عنها؛ بل يدعو الخلق إليها، ولتضمنها القول على الله بلا علم، ومعاداة صريح السنة، ومعاداة أهلها، والاجتهاد على إطفاء نور السنة، وتولية من عزله الله ورسوله، وعزل من ولاه الله ورسوله، واعتبار ما رده الله ورسوله، ورد ما اعتبره، وموالاة من عاداه، ومعاداة من والاه، وإثبات ما نفاه، ونفي ما أثبته، وتكذيب الصادق، وتصديق الكاذب، ومعارضة الحق بالباطل، وقلب الحقائق بجعل الحق باطلاً، والباطل حقاً، والإلحاد في دين الله، وتعمية الحق على القلوب، وطلب العوج لصراط الله المستقيم، وفتح باب تبديل الدين جملة؛ فإن البدع تستدرج بصغيرها إلى كبيرها حتى ينسلخ صاحبها من الدين؛ كما تنسل الشعرة من العجين؛ فمفاسد البدع لا يقف عليها إلا أرباب البصائر"(٢).

وقال أيضاً رحمه الله: "فهم (أي: المبتدعة) أعظم ضرراً على الإسلام وأهله من أولئك؛ لأنهم انتسبوا إليه وأخذوا في هدم قواعده وقلع أساسه، وهم يتوهمون ويوهمون أنهم ينصرونه"(٣).

وقال كذلك رحمه الله: "كل بدعة مضلة في الدين أساسها القول على الله بلا علم، ولهذا اشتد نكير السلف والأئمة لها، وصاحوا بأهلها من أقطار الأرض، وحذروا

(١)البدع والنهي عنها لابن وضاح القرطبي ص: ٥٢.

(٢)مدارج السالكين ١/ ٢٢٢.

(٣)الصواعق المرسلة ٣/ ٢٨١.

فتنتهم أشد التحذير، وبالغوا في ذلك ما لم يبالغوا مثله في إنكار الفواحش، والظلم، والعدوان؛ إذ مضرة البدع وهدمها للدين ومنافاتها له أشد"(١).

٢- أنها تضعف نور الحق وتخفيه .

روي عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه أخذ حجرين فوضع أحدهما على الآخر ثم قال لأصحابه: هل ترون ما بين هذين الحجرين من النور؟ قالوا: يا أبا عبد الله، ما نرى بينهما إلا قليلا، قال:" والذي نفسي بيده، لتظهرن البدع حتى لا يرى من الحق إلا قدر ما بين هذين الحجرين من النور"(٢).

٣- البدع طريق إلى تشتيت الأمة المسلمة

عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: «خط لنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم خطا بيده ثم قال: هذا سبيل الله مستقيما ثم خط خطوطا عن يمين ذلك الخط وعن شماله، ثم قال: وهذه سبل متفرقة ليس من سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه، ثم قرأ {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ}(٣)»(٤).

٤- أنها سبب للفتنة.

عن الزبير بن بكار قال: «سمعت مالك بن أنس، وأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الله من أين أحرم؟ قال: من ذي الحليفة، من حيث أحرم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، فقال: إني أريد أن أحرم من المسجد من عند القبر قال: لا تفعل، فإني أخشى عليك الفتنة، فقال: وأي فتنة في هذا؟ إنما هي أميال أزيدها. قال: وأي فتنة أعظم من أن

(١)مدارج السالكين ١/ ٣٧٢.

(٢)البدع والنهي عنها ص :٥٨.

(٣)[الأنعام: ١٥٣]

(٤)مسند الإمام أحمد (١ / ٤٣٥ - ٤٦٥) ، والنسائي كما في تحفة الأشراف (٧/ ٤٦) وسنده حسن.

ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصر عنها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم؟ فإن الله يقول: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (1).»(2).

٥- بسبب ضرر البدعة وأثرها السيئ استحق محدثها لعنة الله والملائكة والناس أجمعين فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعا : ((من أحدث حدثا أو آوى محدثا لعنه الله والملائكة والناس أجمعون)).(3)

وخطر المبتدع أشد على الناس من خطر العاصي؛ لأن العاصي غايته أن يكون فعل بعض ما نُهي عنه؛ بينما المبتدع ترك ما أُمر به، والعاصي مقر بذنبه معترف بخطئه؛ يعلم أنه على معصية؛ بخلاف المبتدع الذي يستحل بدعته، ويتدين بها، وضرر العاصي على نفسه؛ أما ضرر المبتدع فعلى غيره، والبدعة لا يتاب منها، والمعصية يتاب منها.

قال ابن تيمية رحمه الله: "أهل البدع شر من أهل المعاصي الشهوانية بالسنة والإجماع؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بقتال الخوارج ونهى عن قتال أئمة الظلم، وقال في الذي يشرب الخمر: (لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله)(4).وقال في ذي الخويصرة: (يخرج من ضئضئ هذا أقوام يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين - وفي رواية: من الإسلام - كما يمرق السهم من الرمية؛ يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، وقراءته مع قراءتهم؛ أينما لقيتموهم

---

(١)[النور: ٦٣]

(٢)الاعتصام (١ / ٤٩) .

(٣)أخرجه النسائي (٨ / ٢٤٦ح٢٣١٩) وأبو داود (٣/ ٢٥٦ح ٤٥٣٠) .

(٤)صحيح البخاري كتاب: الحدود، باب: ما يكره من لعن شارب الخمر، وأنه ليس بخارج من الملة، (٤/ ٧٧ح٦٧٨٠).

فاقتلوهم؛ فإن في قتلهم أجراً عند الله لمن قتلهم يوم القيامة)[1]، وقد قررت هذه القاعدة بالدلائل الكثيرة مما تقدم من القواعد؛ ثم إن أهل المعاصي ذنوبهم فعل بعض ما نهوا عنه من: سرقة، أو زنا، أو شرب خمر، أو أكل مال بالباطل، وأهل البدع ذنوبهم ترك ما أمروا به من اتباع السنة، وجماعة المؤمنين "[2].

وقال أيضاً رحمه الله: "أهل الذنوب الذين يعترفون بذنوبهم أخف ضرراً على المسلمين من أمر أهل البدع؛ الذين يبتدعون بدعة يستحلون بها عقوبة من يخالفهم"[3].

وقال كذلك رحمه الله: "ومعلوم أن المذنب إنما ضرره على نفسه، وأما المبتدع فضرره على النوع، وفتنة المبتدع في أصل الدين، وفتنة المذنب في الشهوة، والمبتدع قد قعد للناس على صراط الله المستقيم يصدهم عنه، والمذنب ليس كذلك، والمبتدع قادح في أوصاف الرب وكماله، والمذنب ليس كذلك، والمبتدع مناقض لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، والعاصي ليس كذلك، والمبتدع يقطع على الناس طريق الآخرة، والعاصي بطيء السير بسبب ذنوبه"[4].

قوله: فإن ظننتَ مرشدًا سواهُ.

يحذر الناظم رحمه الله هنا المريد من أن يظن لحظة من أن هناك مرشدًا وهاديًا مثل الرسول ﷺ.

(١) سبق تخريجه ص:٢٥٢.

(٢)مجموع الفتاوى ٢٠/ ١٠٣-١٠٤.

(٣)منهاج السنة ٥/ ١٥٤.

(٤)الجواب الكافي ١/ ١٠١.

قال الله تعالى واصفاً رسوله محمد ﷺ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾(١).

قال السعدي رحمه الله: «فقد بعث الله تعالى النبي ﷺ للناس كافة، وهو من أنفس المؤمنين خاصة، يعرفون حاله، ويتمكنون من الأخذ عنه، وهو في غاية النصح لهم، والسعي في مصالحهم، ويشق عليه الأمر الذي يشق عليهم، ويحب لهم الخير، ويسعى جاهدا في إيصاله إليهم، ويحرص على هدايتهم إلى الإيمان، ويكره لهم الشر، وهو شديد الرأفة والرحمة بهم، أرحم بهم من والديهم؛ ولهذا كان حقه مقدما على سائر حقوق الخلق، وواجب على الأمة الإيمان به، وتعظيمه، وتعزيره وتوقيره»(٢).

وقال أيضاً عند قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾(٣): «أقرب ما للإنسان نفسه، فالرسول أولى به من نفسه؛ لأنه ﷺ بذل لهم النصح والشفقة والرأفة؛ فلذلك وجب على العبد إذا تعارض مراد نفسه مع مراد الرسول ﷺ أن يقدم مراد الرسول ﷺ، وأن لا يعارض قول الرسول ﷺ بقول أحد من الناس، كائنا من كان، وأن يقدم محبته على محبة الناس كلهم»(٤).

قوله: قد اصطفاه اللهُ وارتضاهُ.

كذلك يحذر الناظم رحمه الله المريد من أن يظن أن هناك بديلاً عنه قد اصطفاه الله عز وجل لهذه الأمة ورضيه لها، والاصطفاء دليله قول الرسول ﷺ: {إنّ الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم}(٥).

---

(١) [التوبة: ١٢٨].

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، (ص: ٣٥٧).

(٣) [الأحزاب: ٦].

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص: ٦٥٩).

(٥) تقدم تخريجه (ص:٣٠١).

قوله: مثالُه هدايةً وعلماً.

أي: لا يوجد مرشداً مثله في حسن طريقته في هداية الخلق وحسن تعليمهم.

فقد كان ﷺ حريصاً على هداية الخلق:

فعن أبي هريرة ﷺ قال: {جاء الطفيل بن عمرو الدوسي إلى رسول الله ﷺ فقال: إن دوسا قد عصت وأبت، فادع الله عليهم، فاستقبل رسول الله القبلة ورفع يديه، فقال الناس: هلكوا. فقال: «اللهم اهد دوسا وائت بهم، اللهم اهد دوسا وائت بهم}(١).

وهذا يدل على حسن هدايته ﷺ وتأنيه في الدعوة إلى الله ﷻ؛ فإنه ﷺ لم يعجل بالعقوبة، أو الدعاء على من رد الدعوة؛ ولكنه ﷺ دعا لهم بالهداية، فاستجاب الله دعاءه، وحصل على ثمرة الصبر والتأني وعدم العجلة، فقد رجع الطفيل إلى قومه، ورفق بهم، فأسلم على يديه خلق كثير، ثم قدم على النبي ﷺ وهو بخيبر، فدخل المدينة بثمانين أو تسعين بيتا من دوس، ثم لحقوا بالنبي ﷺ بخيبر، فأسهم لهم مع المسلمين(٢).

وقد بعث الله النبي ﷺ رسولاً يتلو آيات الله ومعلماً ومزكياً للنفوس، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾(٣).

وكذلك كان النبي ﷺ يتعهد الصحابة بالتعليم والتربية وتزكية النفوس، والحث على مكارم الأخلاق، ويؤدبهم بآداب الود والإخاء والمجد والشرف والعبادة والطاعة(٤).

---

(١) البخاري (٦/ ١٠٧، ح ٢٩٣٧). ومسلم، (٤/ ١٩٥٧، ح٢٥٢٤).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١/ ٣٤٦). وزاد المعاد (٣/ ٦٢٦). والإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٢٢٥).

(٣) [الجمعة:٢].

(٤) انظر: الرحيق المختوم (ص١٧٩، ١٨١، ٢٠٨). والتاريخ الإسلامي، لمحمود شاكر (٢/ ١٦٥).

فقد علم الأعرابي الذي بال بالمسجد أن المساجد تنزه عن الأذى بأحسن أسلوب(١)، وعلم الصحابة جميع خصال الخير:

قال ﷺ: {يا أيها الناس: أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام}(٢).

وقال ﷺ: {تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين، ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا}(٣).

قوله: ورحمةً وعصمةً وحلما.

أي: كذلك لا يوجد مرشداً مثله في الرحمة بالخلق والحلم بهم مع ما عصمه الله به من الوقوع في السيئات ومنكرات الأخلاق.

قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾(٥).

ومما يدل على أن رحمة النبي ﷺ عامة للعالم.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٥٢، ح٢٤٨٥)، وقال: هذا حديث صحيح. وابن ماجه، (٢/ ١٠٨٣، ح٣٢٥١). والدارمي (١/ ١٥٦). وأحمد (١/ ١٦٥، ٢/ ٣٩١). وانظر: صحيح الترمذي، (٢/ ٣٠٣).

(٣) أخرجه مسلم، (٤/ ١٩٨٧، ح ٢٥٦٥).

(٤) [آل عمران: ١٥٩].

(٥) [الأنبياء: ١٠٧].

حديث حذيفة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: {أيما رجل من أمتي سببته سبة أو لعنته لعنة في غضبي؛ فإنما أنا من ولد آدم، أغضب كما يغضبون، وإنما بعثني رحمة للعالمين، فاجعلها عليهم صلاة يوم القيامة}(١).

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: {إنما أنا رحمة مهداة}(٢).

وقد قال ﷺ : {أنا محمد، وأحمد، والمقفي، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة}(٣).

ومن الأمثلة العظيمة لرحمته ﷺ حديث أنس ﷺ قال: {كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده فقعد عند رأسه فقال له: «أسلم» فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال: له أطع أبا القاسم، فأسلم، [وفي رواية النسائي فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله]، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار» [وفي رواية أبي داود: أنقذه بي من النار](٤). وغير ذلك كثير.

وذكرت أمثلة على رحمته ﷺ في البيت (رقم: ٥٢٢) عند قوله: وارحم أخاً في الدين غير قادر.

ومما يدل على حلمه ﷺ: أنه جاء زيد بن سعنة إلى رسول الله ﷺ يطلبه دينا عليه، فأخذ بمجامع قميصه وردائه وجذبه، وأغلظ له القول، ونظر إلى النبي ﷺ بوجه غليظ وقال: يا محمد، ألا تقضيني حقي، إنكم يا بني عبد المطلب قوم مطل، وشدد له في القول، فنظر إليه عمر وعيناه تدوران في رأسه كالفلك المستدير، ثم قال: يا عدو الله، أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع، وتفعل ما أرى، فو الذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر لومه لضربت بسيفي رأسك، ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة وتبسم، ثم قال: «أنا وهو يا عمر كنا أحوج إلى غيره هذا منك يا عمر، أن تأمرني بحسن

(١) أبو داود، (٤/ ٢٢٤، ح٤٦٥٩). وصححه الألباني في صحيح أبي داود، (٣/ ١٣٤).

(٢) الحاكم، (١/ ٣٥، ح١٣٣). وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة بطرقه، برقم (٤٩٠).

(٣) مسلم، (٣/ ١٢٥، ح٢٣٥٥).

(٤) البخاري، (٣/ ٢١٩، ح٣٤٦٩).

الأداء، وتأمره بحسن التقاضي، اذهب به يا عمر فاقضه حقه، وزده عشرين صاعا من تمر»، فكان هذا سببا لإسلامه، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

وكان زيد قبل هذه القصة يقول: "لم يبق شيء من علامات النبوة إلا وقد عرفتها في وجه محمد ﷺ إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلما"[(١)].

فاختبره بهذه الحادثة فوجده كما وصف، فأسلم وآمن وصدق، وشهد مع النبي ﷺ مشاهده، واستشهد في غزوة تبوك مقبلا غير مدبر[(٢)].

أما العصمة: فهي في اللغة: قال ابن فارس:" العين والصاد والميم أصل واحد يدل على إمساك ومنع وملازمة، والمعنى في ذلك كله معنى واحد، من ذلك: العصمة أن يعصم الله تعالى عبده من سوء يقع فيه. وتطلق العصمة على الحفظ ـ أيضاً ".[(٣)].

واصطلاحا: منع الله تعالى عبده من المعاصي.[(٤)].

قال الحافظ ابن حجر: "وعصمة الأنبياء على نبينا وعليهم الصلاة والسلام: حفظهم من النقائص، وتخصيصهم بالكمالات النفيسة، والنصرة والثبات في الأمور وإنزال السكينة".[(٥)]

(١) ذكر ابن حجر في كتاب الإصابة في تمييز الصحابة هذه القصة وعزاها إلى الطبراني، والحاكم، وأبي الشيخ في كتابه أخلاق النبي ﷺ، وابن سعد، وغيرهم، ثم قال ابن حجر: ورجال إسناده موثقون... ومحمد بن أبي السري وثقه ابن معين... والوليد قد صرح بالتحديث ١/ ٥٦٦. وذكره ابن كثير في البداية والنهاية، وعزاه إلى أبي نعيم في الدلائل. البداية والنهاية (٢/ ٣١٠). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٤٠). رواه الطبراني، ورجاله ثقات.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٥٦٦).

(٣)انظر: معجم المقاييس (ص: ٧٧٩).

(٤)الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (ص: ١٨٨).

(٥)فتح الباري (١١/ ٦١٠-٦١١).

فقد اتفقت الأمة على أنَّ الرسل معصومون في تحمّل الرسالة[1]، فلا ينسون شيئاً مما أوحاه الله إليهم إلاّ شيئاً قد نُسخ، وقد تكفل الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بأن يقرئه فلا ينسى شيئاً مما أوحاه إليه، إلا شيئاً أراد الله أن ينسيه إياه: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾[2]، وتكفل له بأن يجمعه في صدره: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨﴾[3].

وهم معصومون في التبليغ، فالرسل لا يكتمون شيئاً ممّا أوحاه الله إليهم، ذلك أن الكتمان خيانة، والرسل يستحيل أن يكونوا كذلك، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[4]، ولو حدث شيء من الكتمان أو التغيير لما أوحاه الله، فإن عقاب الله يحلّ بذلك الكاتم المغيّر ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ۝٤٦﴾[5].

وما يدل على عصمته في التبليغ قوله تعالى : (وما ينطق عن الهوى إن هو إلاَّ وحي يوحى)[6]

وكذلك عصم الله رسوله صلى الله عليه وسلم من القتل حتى يبلغ رسالة ربه ، قال تعالى : (يا أيُّها الرَّسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لَّم تفعل فما بلَّغت رسالته والله

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٩١).

(٢) [الأعلى:٦-٧].

(٣) [القيامة:١٦-١٨].

(٤) [المائدة:٦٧].

(٥) [الحاقة:٤٤-٤٦].

(٦)[النجم : ٣-٤] .

يعصمك من الناس)[١]، قال سفيان الثوري فيما نقله عنه ابن كثير في تفسير هذه الآية : " بلغ أنت رسالتي ، وأنا حافظك ، وناصرك ومؤيدك على أعدائك ، ومظفرك بهم ، فلا تخف ولا تحزن ، فلن يصل أحد منهم إليك بسوء يؤذيك "[٢]

. وقد أورد ابن كثير في تفسيره هذه الآية الأحاديث التي تفيد أنّ الصحابة كانوا يحرسون الرسول صلى الله عليه وسلم قبل نزول هذه الآية ، فلما نزلت ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرس. [٣].

ولما سأل الرسول صلى الله عليه وسلم المرأة التي أهدته شاة مسمومة قالت : " أردت قتلك " فقال : ما كان الله ليسلطك على ذلك " [٤]

فقد عصم الله رسوله أن يقتله السم ، وأكل معه بعض أصحابه فماتوا كما أفادته بعض الأحاديث التي روت الواقعة .

كذلك عصم الله رسوله صلى الله عليه وسلم من الشيطان ، وقد أعان الله رسوله على قرينه الشيطان فأسلم ، فلا يأمره إلا بخير ، ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن ، قالوا : وإياك ؟ قال : وإياي ، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم ، فلا يأمرني إلا بخير "[٥]

---

(١)[المائدة : ٦٧]

(٢)تفسير ابن كثير : ٣/ ١٢٠٥ .

(٣)المصدر السابق : ٣/ ١٢٠٦ .

(٤) البخاري (٤/ ٣٢٤ح٣٦١٥).

(٥)صحيح مسلم : (٢/ ٤٣٥ح٨١٤٣).

أما في مسألة عصمة الأنبياء من صغائر الذنوب فمذهب السلف هو عدم عصمتهم من الصغائر التي لا تخل بالمروءة والشرف مع عدم الإقرار عليها فالخطأ من طبع البشر والأنبياء بشر يقع منهم الخطأ و إن كانوا لا يقرون على الخطأ فيأتي الوحي بالتصويب والتسديد، واعتقاد غير ذلك غلو في الأنبياء ،و تأويل لظاهر النصوص بلا دليل صحيح صريح ، و مخالفة لما كان عليه السلف، و موافقة للفرق الضالة في غلوهم في الأنبياء .

قال ابن بطال[1] رحمه الله: " فأجمعت الأمة على أنهم معصومون فى الرسالة ، و أنه لا تقع منهم الكبائر ، و اختلفوا فى جواز الصغائر عليهم فأطبقت المعتزلة و الخوارج على أنه لا يجوز وقوعها منهم ، و زعموا أن الرسل لا يجوز أن تقع منهم ما ينفر الناس عنهم و أنهم معصومون من ذلك . و هذا باطل .

وقال أهل السنة: جائز وقوع الصغائر من الأنبياء، واحتجوا بقوله تعالى مخاطبًا لرسوله: ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾[2] فأضاف إليه الذنب، وقد ذكر الله فى كتابه ذنوب الأنبياء فقال تعالى : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾[3] ، وقال نوح لربه : ﴿ إِنَّ ابُنِى مِنْ أَهْلِى ﴾[4] ، فسأله أن ينجيه، وقد كان تقدم إليه تعالى فقال: ﴿ وَلاَ تُخَاطِبْنِى فِى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾[5] ، وقال إبراهيم: ﴿ وَالَّذِى أَطْمَعُ أَن

(١) هو: العلامة أبو الحسن، علي بن خلف بن بطال البكري، القرطبي، من كبار المالكية، عني بالحديث العناية التامة، شرح "الصحيح" في عدة أسفار، توفي ٤٤٩هـ. [" سير أعلام النبلاء"١٨/ ٤٧].

(٢)[الفتح : ٢]

(٣)[طه : ١٢١]

(٤)[هود: ٤٥]

(٥)[هود: ٣٧]

يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾[1] ، وفى كتاب الله تعالى من ذكر خطايا الأنبياء ما لا خفاء به " [2].

وقال ابن عبد البر رحمه الله :" معْلُومٌ أَنَّهُ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) لَمْ يُكَفِّرْ عَنْهُ إِلَّا الصَّغَائِرُ لِأَنَّهُ لَا يَأْتِي كَبِيرَةً أَبَدًا لَا هُوَ وَلَا أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ لِأَنَّهُمْ مَعْصُومُونَ مِنَ الْكَبَائِرِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ " [3]

وقال القاضي عياض رحمه الله :" وَأَمَّا الصَّغَائِر فَجَوَّزَهَا جَمَاعَة مِن السَّلَف وَ غَيْرِهِم عَلَى الْأَنْبِيَاء وَهُو مَذْهب أبي جَعْفَر الطَّبَرِيّ وَ غَيْرُه مِن الْفُقَهَاء وَ الْمُحَدِّثِين وَ الْمُتَكَلِّمِين " [4].

وقال النووي رحمه الله :" و اختلفوا في وقوع غيرها من الصغائر منهم فذهب معظم الفقهاء والمحدثين والمتكلمين من السلف والخلف إلى جواز وقوعها منهم ".[5]

وقال ابن تيمية رحمه الله :" القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف حتى إنه قول أكثر أهل الكلام كما ذكر " أبو الحسن الآمدي " أن هذا قول أكثر الأشعرية وهو أيضا قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء بل هو لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول ولم ينقل عنهم ما يوافق القول وإنما نقل ذلك القول في العصر

---

(١)[الشعراء: ٨٢]

(٢)شرح ابن بطال لصحيح البخاري ١٠/ ٤٣٩ – ٤٤٠ .

(٣)الاستذكار لابن عبد البر ٣/ ٢٦٦.

(٤)الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢/ ١٤٤.

(٥)شرح صحيح مسلم للنووي ٣/ ٥٤

المتقدم عن الرافضة ثم عن بعض المعتزلة ثم وافقهم عليه طائفة من المتأخرين. وعامة ما ينقل عن جمهور العلماء أنهم غير معصومين عن الإقرار على الصغائر ولا يقرون عليها ولا يقولون إنها لا تقع بحال و أول من نقل عنهم من طوائف الأمة القول بالعصمة مطلقا وأعظمهم قولا لذلك : الرافضة فإنهم يقولون بالعصمة حتى ما يقع على سبيل النسيان والسهو والتأويل. وينقلون ذلك إلى من يعتقدون إمامته وقالوا بعصمة علي والاثني عشر ثم " الإسماعيلية " الذين كانوا ملوك القاهرة و كانوا يزعمون أنهم خلفاء علويون فاطميون وهم عند أهل العلم من ذرية عبيد الله القداح كانوا هم وأتباعهم يقولون بمثل هذه العصمة لأئمتهم و نحوهم مع كونهم كما قال فيهم أبو حامد الغزالي - في كتابه الذي صنفه في الرد عليهم - قال: ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض. وقد صنف " القاضي أبو يعلى " وصف مذاهبهم في كتبه وكذلك غير هؤلاء من علماء المسلمين فهؤلاء وأمثالهم من الغلاة القائلين بالعصمة وقد يكفرون من ينكر القول بها وهؤلاء الغالية هم كفار باتفاق المسلمين "[1]

و قال الذهبي[2] رحمه الله ": وَقد يَقع مِنْهُم الذَّنب وَلَا يقرونَ عَلَيْهِ وَلَا يقرونَ على خطأ وَلَا فسق أصلا فهم منزهون عَن كل مَا يقْدَح فِي نبوتهم وَعَامة الْجُمْهُور الَّذين يجوزون عَلَيْهِم الصَّغَائِر يَقُولُونَ إِنَّهُم معصومون من الْإِقْرَار عَلَيْهَا ".[1]

(١)مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٥ / ١٠٥- ١٠٦ .

(٢) هو محمد بن أحمد بن عثمان التركماني الأصل، الفارقي، ثم الدمشقي، الذهبي، أبو عبد الله، الحافظ، مهر في فن الحديث وجمع فيه المجاميع المفيدة الكثير، ومن شيوخه: ابن غدير وابن عساكر ويوسف الغسولي، وغيرهم، ومن مصنفاته: سير أعلام النبلاء، والعبر في خبر من غبر، وميزان الاعتدال

قوله: وحلماً. الحلم: ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب[٢].

وقد أمر الله نبيه بلزوم الحلم والعفو، فقال تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾[٣].

وقد بلغ النبي ﷺ في حلمه، وعفوه في دعوته إلى الله تعالى الغاية فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لرسول الله ﷺ: {يا رسول الله! هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد؟ فقال: لقد لقيت من قومك [ما لقيت]، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال[٤]، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أَسْتَفِق إلا بقرن الثعالب[٥]، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله ﷻ قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال: فناداني ملك الجبال وسلم عليّ، ثم قال: يا محمد! إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربي إليك لتأمرني بأمرك فما شئت؟ إن شئت أن أُطْبِق عليهم الأخشبين. فقال له رسول الله ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من

وغيرها، ولد سنة ٦٧٣ هـ، وتوفي سنة ٧٤٨ هـ. انظر ترجمته في الوافي بالوفيات (٢/ ١١٤-١١٨)، الدرر الكامنة لابن حجر (٣/ ٣٣٦-٣٣٨).

(١) المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال (ص :٥٠).

(٢) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، مادة حلم، (ص: ١٢٩).

(٣) [الأعراف:١٩٩].

(٤) ابن عبد ياليل بن كلال من أكابر أهل الطائف من ثقيف. الفتح، (٦/ ٣١٥).

(٥) وهو ميقات أهل نجد، ويقال له: قرن المنازل، ويعرف الآن بالسيل الكبير. انظر: الفتح، (٦/ ١١٥).

يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً}[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذةً شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق النبي صلى الله عليه وسلم قد أثّرت به حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك، ثم أمر له بعطاء)[2].

قوله: وناصحًا بالرفق للعباد.

أي: كذلك لا يوجد مرشداً مثله في نصحه للخلق بالرفق وحسن الدعوة لهم.

فقد كان صلى الله عليه وسلم ينصح برفق روى أبو أمامة رضي الله عنه قال: {إن فتىً شابًا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا له: مه مه! فقال له: "ادنه"، فدنا منه قريبًا، قال: "أتحبه لأمك؟ " قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: "ولا الناس يحبونه لأمهاتهم". قال: "أفتحبه لابنتك؟ " قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لبناتهم". قال: "أفتحبه لأختك؟ " قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لأخواتهم". قال: "أفتحبه لعمتك؟ " قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لعماتهم". قال: "أفتحبه لخالتك؟ " قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لخالاتهم". قال: فوضع يده عليه، وقال: "اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصِّن فرجه"، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء»[3].

---

(١) صحيح البخاري (٣/ ١١٨٠، ح٣٠٥٩). وصحيح مسلم (٣/ ١٤٢٠، ح١٧٩٥). وما بين المعقوفتين من البخاري دون مسلم.

(٢) صحيح البخاري (٣/ ١١٤٨، ح٢٩٨٠). وصحيح مسلم(٢/ ٧٣٠، ح١٠٥٧).

(٣) أخرجه أحمد في المسند من حديث أبي أمامة ا (٥/ ٢٥٧)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، وعزاه إلى

وقد قال ﷺ: «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به»[(١)].

فقد عظم النبي ﷺ شأن الرفق في الأمور كلها، وبين ذلك بفعله وقوله بيانا شافيا كافيا؛ لكي تعمل أمته بالرفق في أمورها كلها، وخاصة الدعاة إلى الله ﷻ؛ فإنهم أولى الناس بالرفق في دعوتهم، وفي جميع تصرفاتهم، وأحوالهم.

قوله: وهاديًا لحاضر وبادِ.

الهداية في اللغة : تعني الدلالة والإرشاد. والهُدى: الرشادُ والدلالةُ، يؤنَّث ويذكَّر.

يقال: هَداهُ الله للدين هُدًى.

وهَدَيْتُهُ الطريق والبيت هِدايَةً، أي عرَّفته، هذه لغة أهل الحجاز . [(٢)]

والهداية بمعنى الإرشاد ،وهو ضدّ الضلال .

والهداية في الاصطلاح : هي الإرشاد إلى الطريق الذي يوصل الإنسان إلى غايته، وهو إتباع شرع الله. [(٣)]

يقصد الناظم: كذلك لا يوجد مرشداً مثله في الهداية لجميع الخلق حاضرهم وباديهم كما بينّا ذلك في البيت السابق وفيه إشارة لحديث الأعرابي الذي بال بالمسجد[(٤)].

قوله: فقد نبذتَ الحقَّ والصوابا.

يحكم الناظم على المريد الذي يظن أن هناك مرشدًا مثل النبي ﷺ في الأخلاق

الطبراني وقال: رجاله رجال الصحيح. وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، برقم (٣٧٠).

(١) مسلم، (٣/ ١٢٥، ح١٨٢٨).

(٢) الصحاح ٤/ ٢٤٤.

(٣)الهدى والضلال على ضوء الثقلين ص:١٤

(٤) تقدم تخريجه ص:٢٦٦

وحسن الدعوة بأنه قد ترك الحق وجانب الصواب.

فسيرته ﷺ في إيمانه وعبادته وخلقه وتعامله مع غيره، وفي جميع أحواله كانت سيرة مثالية في الواقع، ومؤثرة في النفوس؛ قد اجتمعت فيها صفات الكمال، واقترن فيها القول بالعمل؛ وهذا مالم يجتمع لأحد غيره.

قوله: والسُّنةَ الغراءَ والكتابا.

أي: كذلك إن ظننت الظن السبق فقد تركت آيات الكتاب والسنة الواضحة، كقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾[1]. وقول الرسول ﷺ لعمر رضي الله عنه: {لو كان موسى حيًا لما وسعه إلا اتباعي}[2] وكل الأحاديث التي تدل على حسن خلقه وحسن دعوته ﷺ.

المعنى الإجمالي للأبيات:

يهدي الناظم رحمه الله المريد إلى الحرص على السير على هدي وسيرة النبي ﷺ ولا يتّبع أئمة الطرق الذين رضوا بغير هدي النبي ﷺ.

وكذلك يحذره من أن يظن أن هناك أحداً مثل الرسول ﷺ وهو الذي اصطفاه الله وارتضاه لإرشاد الناس أو أن أحدًا يماثله في الحرص على هداية الخلق وفي العلم بدين الله وبطرق الهداية وفي الرحمة بالخلق عمومًا وبالجاهل خصوصًا، ومع ذلك زاد عن غيره من المرشدين بالعصمة عن الزلل، كذلك هو ﷺ متصف بالحلم، وهو الناصح للعباد بالرفق واللين والهادي لجميع الناس دون استثناء حاضرهم وباديهم.

ثم يبين له عاقبة ظنّه المنحرف هذا وهو أنك إن فعلت ذلك وظننت هذا الظن فإنك حينئذ قد تركت الحق والصواب والكتاب والسنة، والتمست الهدي من غير مظانه.

---

(١) [القلم:٤].

(٢) مسند أحمد (٣/ ٣٣٨، ح١٤٦٧٢). ومصنف ابن أبي شيبة (٥/ ٣١٢، ح٢٦٤٢١)، واللفظ له. وشعب الإيمان للبيهقي (١/ ١٩٩، ح١٧٦). وحسن الألباني في المشكاة (ح١٧٧).

٥٣٣ - فالمرشدونَ الصادقون الأتقيا   من اقتفَوْا في الهدي خيرَ الأنبيا
٥٣٤ - يعلِّمون الناس أحكام الهُدى   وما لهمْ إلا اتباعُ أحمدا
٥٣٥ - قولاً وفعلاً واعتقادًا جاء بِهْ   وحْيًا وهدْيًا واضحًا لم يشتَبِهْ

قوله: فالمرشدونَ الصادقون الأتقيا.

ينتقل الناظم هنا إلى بيان صفات المرشدين الصادقين في إرشادهم الأتقياء في دعوتهم الذين يحسن اتباعهم، فمن صفاتهم:

١- الاعتصام بالكتاب والسنة، والعض على ذلك بالنواجذ.

٢- التحاكم إلى الكتاب والسنة في الأصول والفروع.

٣- حبهم لأهل السنة والمتمسكين بها وبغضهم لأهل البدع.

٤- لا يستوحشون من قلة السالكين.

٥- الصدق في الأقوال والأفعال، بالتطبيق الصحيح لهدي الكتاب والسنة.

٦- التأسي برسول الله ﷺ الذي كان خلقه القرآن[١].

قوله: من اقتفَوْا في الهدي خيرَ الأنبيا.

يوضح الناظم هنا أولى صفات المرشدين الصادقين، وهي السير على هدي النبي ﷺ.

وفيه إشارة إلى قوله ﷺ في مقدمة خطبته: «وخير الهدي هدي محمد ﷺ»[٢].

وإلى قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ

(١) انظر: عقيدة السلف وأصحاب الحديث، للإمام أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، (ص: ١٤٧).

(٢) تقدم تخريجه ص: ١٤١

﴿ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾[(١)].

وقد أرشد النبي ﷺ إلى لزوم سنته وهدي الخلفاء الراشدين فقال: {عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين}[(٢)].

وذكرت طرفًا من ذلك في البيت (رقم: ٥٢٨) عند قوله: وسر على نهج النبي.

قوله: يعلِّمون الناس أحكام الهُدى.

هنا يذكر الناظم الصفة الثانية من صفات المرشدين الصادقين وهي الحرص على تعليم جميع الخلق أحكام الشريعة.

وقد بعث الله النبي ﷺ رسولاً يتلو آيات الله ومعلماً ومزكياً للنفوس، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢﴾[(٣)].

وحث عليه الصلاة والسلام على تعليم كتاب الله، فقال: {خيركم من تعلم القرآن وعلمه}[(٤)].

قوله: وما لهمْ إلا اتباعُ أحمدا.

هنا يذكر الناظم الصفة الثالثة من صفات المرشدين الصادقين، وهي قصر المتابعة في الهداية والتعليم وسائر الأمور على سنة النبي ﷺ.

وكما في الأثر: قال عروة بن الزبير: نهى أبو بكر وعمر عن المتعة، فقال ابن عباس: ما يقول عرية؟ قال: يقول: نهى أبو بكر وعمر عن المتعة، فقال ابن عباس:

---

(١) [الأحزاب:٢١].

(٢) تقدم تخريجه (ص:١٤٠).

(٣) [الجمعة:٢].

(٤) صحيح البخاري (٤/ ١٩١٩، ح٤٧٣٩).

أراهم سيهلكون، أقول: قال النبي ﷺ، ويقول نهى أبو بكر وعمر]][(١)].

قال شيخ الإسلام: «ثم من طريقة أهل السنة والجماعة اتباع آثار رسول الله ﷺ باطناً وظاهراً واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار واتباع وصية رسول الله ﷺ حيث قال: {عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة}[(٢)] ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ ويؤثرون كلام الله على غيره من كلام أصناف الناس ويقدمون هدي محمد ﷺ على هدي كل أحد»[(٣)].

وقد بيّنت أهمية المتابعة في البيت رقم :٥٠١ في قوله : متابعا فيها سبيل المصطفى.

قوله: قولاً وفعلاً واعتقادًا جاء بِهْ.

هنا يوضح الناظم للمريد أن الاتباع مفهوم شامل لا يقتصر على المحبة أو القول، إنما يشمل القول والفعل والاعتقاد بما جاء به من الكتاب وما طبقه من الهدي الصحيح غير المشتبه.

قال شيخ الإسلام ﵀: «ثم هم مع هذه الأصول يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة، ويرون إقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد مع الأمراء أبراراً كانوا أو فجاراً ويحافظون على الجماعات ويدينون بالنصيحة... ويأمرون بالصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بمر القضاء، ويدعون إلى مكارم الأخلاق

(١)مسند أحمد (١/ ٣٣٧)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢٣٧٨) وإسناده ضعيف، فيه شريك بن عبد الله قال الحافظ في التقريب: صدوق يخطىء كثيراً.

(٢) تقدم تخريجه ص:١٤٠

(٣) العقيدة الواسطية (١/ ٣٠).

ومحاسن الأعمال ويعتقدون معنى قوله ﷺ: {أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً}[1] ويندبون إلى أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك، ويأمرون ببر الوالدين وصله الأرحام وحسن الجوار والإحسان إلى اليتامى والمساكين وابن السبيل والرفق بالمملوك، وينهون عن الفخر والخيلاء والبغي والاستطالة على الخلق بحق أو بغير حق، ويأمرون بمعالي الأخلاق وينهون عن سفسافها، وكل ما يقولونه ويفعلونه من هذا وغيره فإنما هم فيه متبعون للكتاب والسنة وطريقتهم هي دين الإسلام الذي بعث الله به محمداً ﷺ»[2].

المعنى الإجمالي للأبيات:

يوضح الناظم رحمه الله للمريد أن المرشدين الحقيقيين الصادقين في إرشادهم هم من اتبعوا خير الأنبياء محمد ﷺ في هديه في الإرشاد، ويحرصون على تعليم الناس أحكام الشرع وهدي النبي ﷺ.

ومن صفاتهم كذلك: اتباع الرسول ﷺ في كل ما يقولونه ويفعلونه، واعتقاد ما جاء به القرآن والسنة الواضحة الغير مشتبهة.

---

(١) تقديم تخريجه (ص:٦٦٤).

(٢) العقيدة الواسطية (١/ ٣٢).

٥٣٦ - ومن تراهُ حادَ عن شريعتِهْ فقد هَوَى عن دينِهِ ومِلَّتِهْ

٥٣٧ - ومن يفسر مُحكمَ الآياتِ وهَدْيَ طه أشرفَ الهُداةِ

٥٣٨ - بأيِّ معنى شذَّ عن لفظ العربْ فذاكَ ممنْ ضلَّ ديناً أو كذبْ

٥٣٩ - لأنه بلفظهمْ قد أُنْزِلا وكلُّ ما قد قاله خيرُ الملا

٥٤٠ - فلا تُفسره بغيرِ الظاهرِ فاحفظْ وكُنْ لله خيرَ شاكرِ

قوله: ومن تراهُ حادَ عن شريعتِهْ فقد هَوَى......

يوجه الناظم رحمه الله هنا نظر المريد إلى حقيقة مهمة وهي: أن كل من ضلوا عن الشريعة وأضلوا غيرهم قد أسقطوا أنفسهم في الشرك والبدع وسقطوا عن دين الإسلام وملّة الرسول ﷺ.

قال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[(١)].

أي: عن أمر رسول الله ﷺ، وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك قبل، وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله، كائنا ما كان، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما، عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)) [(٢)].

(١) [النور:٦٣].

(٢)البخاري (٢٦٩٧) ، ومسلم (١٧١٨)

قال ابن كثير رحمه الله: «فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول باطنا أو ظاهرا ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي: في قلوبهم، من كفر أو نفاق أو بدعة، ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ أي: في الدنيا، بقتل، أو حد، أو حبس، أو نحو ذلك»[1].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾[2].

قال الطبري رحمه الله: «يعني جل ثناؤه بقوله: "ومن يشاقق الرسول"، ومن يباين الرسولَ محمدًا ﷺ، معاديًا له، فيفارقه على العداوة له "من بعد ما تبين له الهدى"، يعني: من بعد ما تبين له أنه رسول الله، وأن ما جاء به من عند الله يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم" ويتبع غير سبيل المؤمنين"، ويتبع طريقًا غير طريق أهل التصديق، ويسلك منهاجًا غير منهاجهم، وذلك هو الكفر بالله، لأن الكفر بالله ورسوله غير سبيل المؤمنين وغير منهاجهم "نولّه ما تولّى"، يقول: نجعل ناصره ما استنصره واستعان به من الأوثان والأصنام، وهي لا تغنيه ولا تدفع عنه من عذاب الله شيئًا، ولا تنفعه»[3].

وقال ابن كثير رحمه الله: ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول ﷺ، فصار في شق والشرع في شق، وذلك عن عمد منه بعدما ظهر له الحق وتبين له واتضح له. وقوله: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ هذا ملازم للصفة الأولى، ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع، وقد تكون لما أجمعت عليه الأمة المحمدية، فيما علم

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٩٠).

(٢) [النساء:١١٥].

(٣) تفسير الطبري (٩/ ٢٠٥).

اتفاقهم عليه تحقيقا، فإنه قد ضمنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ، تشريفا لهم وتعظيما لنبيهم ﷺ.

ولهذا توعد تعالى على ذلك بقوله: ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ أي: إذا سلك هذه الطريق جازيناه على ذلك، بأن نحسنها في صدره ونزينها له - استدراجا له - كما قال تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾﴾[١]. وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[٢]. وقوله ﴿وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾[٣].

وجعل النار مصيره في الآخرة، لأن من خرج عن الهدى لم يكن له طريق إلا إلى النار يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾[٤]. [٥]

قوله: ومن يفسر مُحكمَ الآياتِ.

كذلك هنا يوجه الناظم نظر المريد إلى مسألة مهمة تسببت في إضلال الأتباع، وهي: تفسير آيات القرآن المحكمة على غير المراد المتفق عليه عند السلف.

مثل الصوفية الذين يفسرون الآيات المحكمة من القرآن بتفاسير مخالفة لتفسير السلف الصالح وهو ما يسمى بالتفسير الإشاري.

---

(١) [القلم: ٤٤].

(٢) [الصف: ٥].

(٣) [الأنعام: ١١٠].

(٤) [الصافات: ٢٢-٢٣].

(٥) تفسير ابن كثير (٢/ ٣١٤).

قال الزرقاني[١]: «التفسير الإشاري[٢]: هو تأويل القرآن بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوف»[٣] ا.هـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «ومتى كان المعنى صحيحاً والدلالة ليست مرادة، فقد يسمى ذلك إشارة، وقد أودع الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي[٤] حقائق التفسير من هذا قطعة»[٥].

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿**لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ**﴾[٦] فالآية في نفقة الزوجة، لكن أرباب السلوك يرون فيها إشارة إلى أن الواصل يرشد إلى الله على قدر ما وهبه الله من المعرفة، والسالك يرشد أيضاً لكن على قدره، قال ابن عطاء الله في الحكم: ﴿**لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ**﴾.. الواصلون إليه ﴿**وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ**﴾[٧].. السائرون إليه)[٨].

---

(١) هو محمد بن عبد الباقي بن يوسف الأزهري المالكي، الشهير بالزرقاني، الإمام المحدث الناسك النحرير الفقيه العلامة، أخذ عن والده وعن النور علي الشبراملسي وعن الشيخ محمد البابلي وغيرهم، وله من المؤلفات شرح على الموطأ، وشرح على المواهب، وغير ذلك، توفي سنة ١١٢٢ هـ. انظر ترجمه في سلك الدرر (٤/ ٣٢-٣٣).

(٢) الإشارة: ما يخفى عن المتكلم كشفه بالعبارة للّطافة معناه . انظر :معجم اصطلاحات الصوفية (ص: ١٩، ٧١).

(٣) مناهل العرفان للزرقاني (٢/ ٥٦).

(٤) هو محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الأزدي، أبو عبدالرحمن السلمي، شيخ خراسان وكبير الصوفية، وصاحب تصانيف، منها التفسير وطبقات الصوفية وغيرهما، توفي سنة (٤١٢هـ). انظر: سير الأعلام (١٧/ ١٥٢). شذرات الذهب (٣/ ٢١١). العبر في خبر من غبر (٣/ ١٢٩).

(٥) مجموع الفتاوى (١٠/ ٥٦٠).

(٦) [الطلاق:٧].

(٧) [الطلاق:٧].

(٨) شرح حكم ابن عطا الله، ابن عجيبه (ص: ٤٧).

كذلك تفسير أحد الصوفية قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾[1]، قال: معناه: (من ذل) من الذل (ذي) إشارة النفس، (يشف) من الشفاء (ع) من الوعي)[2].

ويقول ابن عطاء الله السكندري: «سمعت شيخنا - يقصد المرسي أبو العباس[3] - يقول في قوله عز وجل: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٍ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ قَدِيرٌ ١٠٦﴾[4]؛ أي: ما نذهب من ولي لله إلا ونأتِ بخير منه أو مثله»[5].

قوله: وهَدْيَ طه أشرفَ الهُداةِ.

أي: كذلك يشترك في الحكم الآتي من يشرح سنة النبي ﷺ وهديه على غير مراده.

قال المناوي رحمه الله ممثلاً لشرحهم سنة النبي ﷺ على غير مراده: «وقالوا: أراد بالسحور الاستغفار... وهذه خرافات يحرِّفون بها الكتاب والسُّنة وبطلانه قطعي، وكيف يحمل التسحُّر على الاستغفار مع كون المصطفى ﷺ كان يتسحّر بتناول الطعام في السّحر، ويقول: تسحّروا»[6].[7]

(١) [البقرة:٢٥٥].

(٢) الإتقان (٢/ ١٨٤).

(٣) هو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء البغدادي، صوفي بالغ في الجوع والرياضة والخلوة حتى فقد عقله ثمانية عشر عاماً، وكان موافقاً للحلاج في بعض اعتقاده على ضلاله، وقتل بسبب الحلاج سنة (٣٠٩هـ). انظر: سير النبلاء (١٤/ ٢٥٥). و البداية والنهاية (١١/ ١٤٤).

(٤) [البقرة:١٠٦].

(٥) لطائف المنن (ص: ٦٣).

(٦)متفق عليه ، البخاري (ح١٩٢٣) ومسلم (ح١٠٩٥).

(٧)فيض القدير (٣/ ٢٤٤).

وقد بيّنت عدم صحة تسمية النبي ﷺ بـ "طه" في البيت رقم ٣٦٥.

قوله: بأيِّ معنى شذَّ عن لفظ العربْ.

هنا يبيّن الناظم للمريد ضابطًا مهمًا من ضوابط تفسير القرآن وشرح السنة، وهو الرجوع إلى لغة العرب لمعرفة المعنى وأن كل معنى خلافه فإنه يعتبر شاذاً يجب تركه.

قوله: فذاكَ ممنْ ضلَّ ديناً أو كذبْ.

يوضح الناظم هنا أن من أقدم على مثل هذا الأمر الخطير لتعلقه بكتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ بأنه قد ضل عن الصراط المستقيم، وكذب في تفسيره وشرحه.

وممن عدّه ضلال بل كفر المفسر أبو الحسن الواحدي[1] رحمه الله حيث قال: «صنف أبو عبد الرحمن السلمي، حقائق التفسير - وهو تفسير على الطريقة الصوفية بما يعرف بالتفسير الإشاري - فإن كان يعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر»[2].

وفصّل فيه شيخ الإسلام رحمه الله وجعله على قسمين، فقال: «والثاني: ما كان في نفسه حقاً لكن يستدلون عليه من القرآن والحديث بألفاظ لم يُرَد بها ذلك، فهذا الذي يسمونه إشارات وحقائق التفسير لأبي عبد الرحمن فيه من هذا الباب شيء كثير...

وهو الذي يشتبه كثيراً على بعض الناس، فإن المعنى يكون صحيحاً لدلالة

(١)هو الإمام العلامة ، الأستاذ أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي ، النيسابوري ، الشافعي ، صاحب " التفسير " ، وإمام علماء التأويل ، من أولاد التجار . لزم الأستاذ أبا إسحاق الثعلبي وأكثر عنه ، وأخذ علم العربية عن أبي الحسن القهندزي الضرير . صنف التفاسير الثلاثة : " البسيط " ، و " الوسيط " ، و " الوجيز " .. ولأبي الحسن كتاب " أسباب النزول " مروي ، وكتاب " التحبير في الأسماء الحسنى " تصدر للتدريس مدة ، وعظم شأنه . مات بنيسابور في جمادى الآخرة سنة ثمان وستين وأربعمائة .سير أعلام النبلاء ١٨/ ٧٢.

(٢) فتاوى ابن الصلاح (ص: ٢٩).

الكتاب والسنة عليه، ولكن الشأن في كون اللفظ الذي يذكرونه دل عليه، وهذان قسمان:

- أحدهما: أن يقال: إن ذلك المعنى مراد باللفظ، فهذا افتراء على الله...

- القسم الثاني: أن يجعل ذلك من باب الاعتبار والقياس لا من باب دلالة اللفظ، فهذا ممنوع القياس، فالذي تسميه الفقهاء قياساً هو الذي تسميه الصوفية إشارة، وهذا ينقسم إلى صحيح وباطل كانقسام القياس إلى ذلك، فمن سمع قول الله تعالى: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[1]، وقال: إنه اللوح المحفوظ أو المصحف، فقال: كما أن اللوح المحفوظ الذي كتب فيه حروف القرآن لا يمسه إلا بدن طاهر فمعاني القرآن لا يذوقها إلا القلوب الطاهرة وهى قلوب المتقين، كان هذا معنى صحيحاً واعتباراً صحيحاً...وكذلك من قال: لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا جنب فاعتبر بذلك أن القلب لا يدخله حقائق الإيمان إذا كان فيه ما ينجسه من الكبر والحسد فقد أصاب»[2].

قال ابن القيم ﷫: «وهذه الأقوال إن أريد أن اللفظ دل عليها وأنها هي المراد فغلط، وإن أريد أنها أخذت من طريق الإشارة والقياس فأمرها قريب»[3].

قوله: لأنه بلفظهمْ قد أُنْزِلا.

هنا يعلل الناظم سبب تقييد الحكم بلفظ العرب، وذلك لأن القرآن قد نزل بلغة العرب، كما قال تعالى: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[4].

---

(١) [الواقعة:٧٩].

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٤٠).

(٣) التبيان في أقسام القرآن (ص: ٤٩).

(٤) [الزمر:٢٨].

قوله: خير الملا.

فإنّ الله ﷻ يصطفي لرسالته من كان خيار قومه في النسب.

قال رسول الله ﷺ: {أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، إنّ الله تعالى خلق الخلق فجعلني في خيرهم، ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم فرقة، ثمّ جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة، ثمّ جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً، فأنا خيركم بيتاً، وخيركم نفساً}(١).

وفي صحيح مسلم عن واثلة بن الأسقع قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: {إنّ الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم}(٢) (٣).

قوله: فلا تُفسره بغيرِ الظاهرِ.

قال ابن القيم رحمه الله: «وتفسير الناس يحاور على ثلاثة أصول: تفسير على اللفظ وهو الذي ينحو إليه المتأخرون، وتفسير على المعنى وهو الذي يذكره السلف، وتفسير على الإشارة والقياس وهو الذي ينحو إليه كثير من الصوفيةوغيرهم وهذا لا بأس به بأربعة شرائط:

١- أن لا يناقض معنى الآية.

٢- أن يكون معنى صحيحاً في نفسه.

٣- أن يكون في اللفظ إشعار به.

٤- أن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم.

---

(١) رواه الترمذي (٢/ ٢٢، ح٣٦٠٧)، وقال حديث حسن صحيح.

(٢) تقدم تخريجه (ص:٣٠١).

(٣) انظر: الرسل والرسالات (ص: ٨٢).

فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباطاً حسناً»[1].

وقال الزرقاني: «مما تقدم يعلم أن التفسير الإشاري لايكون مقبولاً إلا بشروط خمسة، وهي:

١- ألا يتنافى وما يظهر من معنى النظم الكريم.

٢- ألا يدعى أنه المراد وحده دون الظاهر.

٣- ألا يكون تأويلاً بعيداً سخيفاً كتفسير بعضهم قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٦٩﴾ بجعل كلمة (لمع) فعلاً ماضياً وكلمة المحسنين مفعوله.

٤- ألا يكون له معارض شرعي أو عقلي.

٥- أن يكون له شاهد شرعي يؤيده... »[2].

قوله: فاحفظْ وكُنْ لله خيرَ شاكرِ.

أي: احفظ ما هديتك له ومن ذلك ما أوصيتك به من عدم تفسير القرآن بغير الظاهر، واشكر الله باتباع هدي السلف في تفسير القرآن والابتعاد عن التفاسير المحرفة للمعنى.

المعنى الإجمالي للأبيات:

يوضح الناظم رحمه الله للمريد بعض صفات مشايخ الطرق الذين ضلّوا طريق الشرع الذي سنه النبي ﷺ وبسبب ضلالهم عن الشرع فإنهم قد تركوا الدين وملّة المسلمين.

فتراهم يفسرون الآيات المحكمة من كتاب الله والسنة الواضحة من هدي رسول الله ﷺ أشرف الهادين إلى دين الله بمعانٍ شاذة عن مدلولاتها في اللغة العربية لغة

(١) التبيان في أقسام القرآن (١/ ٤٩).

(٢) مناهل العرفان (٢/ ٥٨).

القرآن والسنة، وهذا فعل الضالين عن دين الله الكذابين على كتابه وسنة رسوله ﷺ.

ثم يبين له السبب في وجوب تفسير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لأن القرآن قد نزل بها والرسول ﷺ خاطب العرب بلغتهم.

ثم يحذره أن يفسره بغير الظاهر من لغة العرب، ويحفظ وصيته هذه ويشكر الله أن هداه للسنة وهدي السلف.

٥٤١ - قد تَمَّ ما أمليتُه بفضلِهِ مُكمَّلاً بحولِهِ وطولِهِ
٥٤٢ - فقد دنتْ قطوفُه للجاني نعمَ الغراسُ أَثْمرَ المعاني
٥٤٣ - أعيذُه من شر كلِّ حاسدِ أو جاحدٍ للحقِّ أو معاندِ
٥٤٤ - أو قائلٍ بالجهل قولَ مُختلِقْ أو ذوي هوىً يريدُ لا يصغي لحقْ

قوله: قد تَمَّ ما أمليتُه بفضلِهِ.

يختتم الناظم هنا المنظومة بإسناد الفضل والمنّة لله عز وجل وحده، وإسناد الفضل لله من الأدب وتمام الشكر؛ امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾[1].

ويقصد بالإملاء هنا إلقاء النظم على الغير، وقد يكون الإملاء بمعنى الكتابة. يقال أمليت الكتاب وأمللته إذا ألقيته على الكاتب ليكتب. والإملاء عند أصحاب الحديث أن يلقي المحدث حديثا على أصحابه فيتكلم فيه مبلغ علمه من الغريب والفقه وما يتعلق بالإسناد وما يعلمه من النوادر والنكت. والإملاء أعم من أن يكون من حفظ أو كتاب ولهذا يقيد ويقال إملاء من كتابه[2].

قوله: مُكمَّلاً بحولِهِ وطولِهِ.

كذلك يسند الناظم القدرة على التمام إلى قدرة الله وفضله ومنته امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾[3]. أي: بقدرة الله وفضله ومنته تم اكتمال النظم.

(١) [يونس:٥٨].
(٢) انظر: جامع العلوم في اصطلاحات الفنون (١/ ١١٩).
(٣) [الكهف:٣٩].

والحول هو: التحول والانتقال من حال إلى حال ومن خير إلى خير[1].

والطول - بفتح الطاء -: فُسّر بالفضل والمنّ، قال ابن فارس: «الطول له أصل صحيح يدل على فضل وامتداد في الشيء»[2].

وقال الراغب: «والطول خص به الفضل والمنّ»[3].

وقال الشوكاني: «وأصل الطول الإنعام والتفضل، أي: ذي الإنعام على عباده والتفضل عليهم. وقال مجاهد: ذي الغنى والسعة. ومنه قوله: «ومن لم يستطع منكم طولاً» أي: غنى وسعة، وقال عكرمة: ذي الطول ذي المن. قال الجوهري: والطول بالفتح المن يقال: منه طال عليه ويطول عليه إذا امتن عليه. وقال محمد بن كعب: ذي الطول ذي التفضل»[4].

قوله: فقد دنتْ قطوفُه للجاني.

الدُّنى: ما قرب من خير أو شر[5].

والقطف: اسم للثمار المقطوفة، وجمعها: قطوف.

قال الله تعالى في وصف الجنة: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[6]، أي: ثمارها قريبة المتناول، يقطفها القاعد والقائم.

(١) لسان العرب (١١/ ٦٧٤).

(٢) مقاييس اللغة (٣ / ٦٣٣).

(٣) مفردات غريب القرآن (ص: ٣١٢).

(٤) فتح القدير (٤/ ٥٥٢).

(٥) تهذيب اللغة (١٤/ ١٣٣).

(٦) [الحاقة: ٢٣].

والقطاف: اسم وقت القطف، قال الحجاج[1] على المنبر: «أرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها»[2].

والجاني: الكاسب الذي يجني الثمار عندما يحين قطافها،يقال: أجنت الشجرة، إذا صار لها جنى يجني فيؤكل[3].

فالناظم هنا يشجع المريد على قطف ثمار المنظومة ويشبه ذلك بجني المزارع لثمار غرسه، وهو تشبيه صورة بصورة على سبيل التشبيه التمثيلي، وهو من صور البلاغة الجميلة.

فقد هدى الناظم رحمه الله فيها المريد إلى سبيل التوحيد والسنة، فما على المريد إلا أن يقطف ثمارهما.

قوله: نعمَ الغراسُ أَثْمرَ المعاني.

يصف الناظم هنا المعاني التي هدى إليها المريد بأنها نعم المعاني، وذلك لأنها مبنية على الكتاب والسنة، فأثمرت المعاني النافعة المزكية.

قوله: أعيذُه من شر كلِّ حاسدِ.

يستعيذ الناظم هنا بالله عز وجل من الحاسدين المتربصين به وبمنظومته كل شر، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ

(١) هو: أبو محمد الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل الثقفي، تولى إمارة الحجاز ثم إمارة العراق، وبقي فيها عشرين سنة، يقول الذهبي: كان ظلوماً جبارا ناصبيا، وكان ذا شجاعة وفصاحة وتعظيم للقرآن، وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه، توفي سنة ٩٥هـ وهو كهل. ["البداية والنهاية" ٩/ ١٣٦، "سير النبلاء" ٤/ ٣٤٣].

(٢) تهذيب اللغة (٩/ ٢٦).

(٣) تهذيب اللغة (١١/ ١٣٤).

﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾[1].

ويقصد بالحاسد هنا من يبغض الحق والتوحيد والسنة ويتمنى عدم انتشارها.

قال ابن القيم رحمه الله: «والأسباب المانعة من قبول الحق كثيرة جدا فمنها: الجهل به، وهذا السبب هو الغالب على أكثر النفوس، فإن من جهل شيئا عاداه وعادى أهله، فإن انضاف إلى هذا السبب بغض من أمره بالحق ومعاداته له وحسده كان المانع من القبول أقوى، فإن انضاف إلى ذلك إلفه وعادته ومرباه على ما كان عليه آباؤه ومن يحبه ويعظمه قوي المانع، فإن انضاف إلى ذلك توهمه أن الحق الذي دعي إليه يحول بينه وبين جاهه وعزه وشهواته وأغراضه قوي المانع من القبول جدا»[2].

قوله: أو جاحدٍ للحقِّ أو معاندِ.

المعاند هو المعارض بالخلاف لا بالوفاق.... وقال الليث: عند الرجل يعند عنودا وعاند معاندة، وهو أن يعرف الشيء ويأبى أن يقبله؛ ككفر أبي طالب، كان كفره معاندة؛ لأنه عرف وأقر وأنف أن يقال: تبع ابن أخيه، فصار بذلك كافرا[3].

فالناظم هنا يستعيذ بالله من الجاحدين الذين لا يقبلون الحق بل ينكرونه، أو يعارضونه بسبب المعاندة.

قال ابن القيم رحمه الله: "إن هذه المعارضة ميراث بالتعصيب من الذين ذمهم الله في كتابه بجدالهم في آياته بغير سلطان وبغير علم وأخبر أن مصدر تلك المجادلة كبر واستكبار

---

(١) [الفلق:١-٥].

(٢) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (١/ ٢٤٤).

(٣) تهذيب اللغة (٢/ ١٣١).

عن قبول الحق ممن يرون أنهم أعلم منهم كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾[1]»[2].

قوله: أو قائلٍ بالجهل قولَ مُختلِقْ.

الاختلاق اسم خص به الكذب وذلك ان قدر تقدير يوهم انه صدق ويقال خلق الكلام إذا قدره صدقا أو كذبا واختلقه إذا جعله كذبا لا غير[3].

كذلك يستعيذ بالله من الجاهلين من الأئمة المضلين وغيرهم المختلقين في دين الله البدع والشركيات والمنكرات.

قال ابن القيم رحمه الله: «وهذا شأن النفوس الجاهلة الظالمة إذا كان عندها شيء من علم قد تميزت به عمن هو أجهل منها وحصل لها به نوع رياسة ومال فإذا جاءها من هو أعلم منها بحيث تمحى رسوم علومها ومعارفها في علمه ومعرفته عارضته بما عندها من العلم وطعنت فيما عنده بأنواع المطاعن»[4].

قوله: أو ذوي هوىً يريدُ لا يصغي لحقْ.

سبق أن بينت معنى الهوى وذمّ الشرع له في البيت رقم: ٢٦٩.

والصغي هو الميل يقال: صغيت إلى الشيء أصغى صغيا إذا ملت، قال الله تعالى: ﴿وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ﴾[5]؛ أي ولتميل[1].

(١) [غافر: ٨٣].

(٢) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (٣/ ٩٠١).

(٣) الفروق اللغوية للعسكري (ص: ١٣٧).

(٤) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (٣/ ٩٠١).

(٥) [الأنعام: ١١٣].

وقوله: ذوي. خطأ والصواب (ذي)[2] فالفعل يريد ويصغى يعود إلى مفرد.

فالناظم رحمه الله يستعيذ بالله من هؤلاء المضلين أهل الأهواء الذين لا يقبلون الحق بل يتبعون أهواءهم.

فإن إتباع الهوى مانع من الاستجابة للحق ، قال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾[3].

وضرب القران أمثلة على ذلك منها ماذكره الله تعالى عن المشركين في قوله: ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾[4].

وقد فصلت في اتباع الهوى في البيت رقم (٢٦٩).

المعنى الإجمالي للأبيات:

يختم الناظم رحمه الله المنظومة بإسناد الفضل والمنة والقدرة على إكمالها إلى الله عز وجل، ويبشر المريد بأن ثمرات المنظومةقد قربت من مريديها الحريصين على قطفها. فهي نعم الغراس لاتباعها هدي النبي صلى الله عليه وسلم قد أثمرت نعم المعاني المقتفية للسنة.

ثم يستعيذ بالله عز وجل أن يعيذ قوله في هذه المنظومة من شر الحاسدين للسنة ومن المنكرين للحق ومن المعادين أهله، ومن الجاهلين الذين يُضلون الناس بغير علم، ومن المفترين على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم التفاسير المختلفة، ومن أهل الأهواء والبدع الذين لا يريدون الحق ولا يلتفتون إليه بأسمائهم.

(١) لسان العرب (١٤/ ٤٦١).

(٢) كما في نسخة قطر.

(٣) [القصص: ٥٠].

(٤) [طه: ١٦].

٥٤٥ - يهـدي سـبيلَ الحـقِّ كـلَّ منصـفِ	مـؤتمنٍ خـالٍ عـن التعسُّـفِ
٥٤٦ - فكـلُّ لفـظٍ ظـاهرُ المـرامِ	كأنَّـه في طَـرَفِ الـثُّمامِ
٥٤٧ - فالحمـدُ لله عـلى إكمالِـهِ	شـكرًا عـلى مـا مَـنَّ مِـنْ أفضـالِهِ
٥٤٨ - ثـم الصـلاةُ والسـلامُ سـرمدا	تَغْشَـى رسـولَ الله طـه أحمـدا
٥٤٩ - والآلَ والأصـحابَ أربـابَ الوفـا	وحسـبُنا الله تعـالى وكَفَـى

قوله: يهدي سبيلَ الحقِّ كلَّ منصفِ.

يصف الناظم رحمه الله هنا المنظومة بأنها: تهدي إلى طريق الحق وهو سبيل التوحيد والسنة كل منصف في طلبه للحق مبتغ له.

قال ابن القيم رحمه الله: «فعلى المسلم أن يتبع هدي النبي ﷺ في قبول الحق ممن جاء به من ولي وعدو وحبيب وبغيض وبر وفاجر، ويرد الباطل على من قاله كائنا من كان»(١).

قوله: مؤتمنٍ خالٍ عن التعسُّفِ.

التعسف: ركوب الأمر بغير روية وركوب الفلاة وقطعها على غير توخي صوب ولا طريق مسلوك. يقال: اعتسف الطريق اعتسافا إذا قطعه دون صوب توخاه فأصابه. وقال شمر: العسف: السير على غير علم ولا أثر. ومنه قيل: رجل عسوف إذا لم يقصد قصد الحق. وعسف المفازة: قطعها بلا هداية ولا قصد. وتعسف فلان فلانا إذا ركبه بالظلم ولم ينصفه. ورجل عسوف إذا كان ظلوما(٢).

أي كذلك يهتدي بهذه المنظومة كل أمين في تعامله ونظره واستدلاله وأخذه لنصوص الكتاب والسنة، مبتعدٍ عن رد الحق ولوي عنقه.

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ٨٢).

(٢) تهذيب اللغة (٢/ ٦٤).

قوله: فكلٌّ لفظٍ ظاهرُ المرامِ.

رام الشيء أي طلبه وأراده، والمرام: هو المطلوب. [(١)]

يصف الناظم هنا ألفاظ المنظومة بالوضوح، أي: فكل لفظ من ألفاظ المنظومة واضح بيّن ما يهدف إليه من معنى.

قوله: كأنَّه في طَرَفِ الثُّمامِ.

الثُّمام: نبْت ضعيف قصير لا يطول، والعرب تقول للشيء الذي لا يعسر تناوله: هو على طرف الثمام، وذلك أن الثمام لا يطول فيشق تناوله[(٢)].

كذلك يصف الناظم هنا ألفاظ المنظومة بالقرب، أي: قريبة ألفاظها ومعانيها، سهلة التناول.

قوله: فالحمدُ لله على إكمالِهِ.

قال ابن القيم رحمه الله: «الحمد لله: الإخبار عنه بصفات كماله ومحبته والرضا به»[(٣)].

وهو أيضا يستلزم التنزيه عن كل نقص، قال أيضا رحمه الله: «وإذا قال العبد: (الحمد لله) استلزم ذلك إثبات كل كمال يحمد عليه الرب تعالى، فعلا ووصفا واسما، واستلزم تنزيهه عن كل سوء وعيب، فعلا ووصفا واسما»[(٤)].

فالناظم هنا يثني على الله عز وجل ويحمده على إكمال هذه المنظومة، وهذا من حسن اتباعه رحمه الله.

فقد أخبر الله عز وجل عن المؤمنين أنهم يحمدون الله عز وجل على ما منّ عليهم بدخول

---

(١) لسان العرب مادة روم (٦/ ٣١٣).

(٢) لسان العرب مادة ثمم (٣/ ٨٠).

(٣) الوابل الصيب (ص: ١١٩).

(٤) بدائع الفوائد (٢/ ٩٣).

الجنة، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾(١).

قوله: شكرًا على ما مَنَّ مِنْ أفضالِهِ.

كذلك هنا يشكر الناظم الله عز وجل على ما منّ به عليه من أفضال كثيرة ومنها التفضل بإكمال هذه المنظومة.

قال ابن القيم رحمه الله: "أصل الشكر: هو الاعتراف بإنعام المنعم على وجه الخضوع له والذل والمحبة "(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "الحمد والشكر بينهما عموم وخصوص. فالحمد أعم من جهة أسبابه التي يقع عليها؛ فإنه يكون على جميع الصفات. والشكر لا يكون إلا على الإحسان.

والشكر أعم من جهة ما به يقع؛ فإنه يكون بالاعتقاد والقول والفعل. والحمد يكون بالفعل أو بالقول أو بالاعتقاد"(٣).

أما المنّة فهي النعمة الثقيلة... فيقال: منّ فلان على فلان؛ إذا أثقله بالنعمة، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا﴾(٤)، وذلك لا يقال على الحقيقة إلا لله تعالى(٥).

---

(١) [الأعراف:٤٣].

(٢) طريق الهجرتين لابن القيم (ص: ٩٥).

(٣) الفتاوى (١١/ ١٤٦). وانظر: مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٢٤٦).

(٤) [آل عمران: ١٦٤].

(٥) المفردات (ص: ٤٧٧).

وقال ابن الأثير: "المن العطاء... وكثيرا ما يرد المن في كلامهم بمعنى: الإحسان إلى من لا يستثيبه، ولا يطلب الجزاء عليه"(١).

ومن أعظم نعمه تعالى ومننه على المؤمنين: هدايتهم لصراطه المستقيم؛ قال تعالى: ﴿ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ﴾(٢).

وهي نعمة كبرى يجب شكرها وحمد الله تعالى عليها قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ ﴾(٣).

قوله: ثم الصلاةُ والسلامُ سرمدا.

يثنّي الناظم هنا بعد الحمد والشكر لله عز وجل بالصلاة والسلام الدائمين المستمرين إلى يوم القيامة على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

وأصل الصلاة الدعاء، يقال صليت عليه، أي : دعوت له، ومنه قوله تعالى : ﴿وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡ﴾(٤).(٥)

قال ابن القيم رحمه الله: «فصلاة العبد على الرسول هي ثناء على الرسول، وإرادة من الله أن يعلي ذكره، ويزيده تعظيما وتشريفا، والجزاء من جنس العمل، فمن أثنى على رسوله جزاه الله من جنس عمله بأن يثني عليه، ويزيد تشريفه وتكريمه»(٦).

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (ص: ٨٨٤).

(٢) [الحجرات: ١٧].

(٣) [الأعراف: ٤٣].

(٤) [التوبة: ١٠٣].

(٥) المفردات، (ص: ٤٩٠).

(٦) جلاء الأفهام، (ص: ١٢٧).

وقال أيضاً: «ولما كانت الصلاة على النبي ﷺ وهي ثناء الله تعالى، وتكريمه، والتنويه به، ورفع ذكره، وزيادة حبه وتقريبه كما تقدم، كانت مشتملة على الحمد والمجد، فكأن المصلي طلب من الله تعالى أن يزيد في حمده ومجده، فإن الصلاة عليه هي نوع حمد له وتمجيد، هذا حقيقتها»[1].

وأخبر الله عز وجل أنه هو سبحانه وتعالى، وملائكته يصلون على النبي ﷺ ثم أمرنا أن نصلي عليه أيضاً، قال جل شأنه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[2].

فدلت هذه الآية الكريمة على علو منزلة، ورفعة درجته ﷺ، وذلك بأن الرب عز وجل يصلي عليه، وكذلك ملائكته الذين لا يحصي عددهم إلا الله عز وجل

قال أبو العالية رحمه الله: «صلاة الله على رسوله ثناؤه عليه عند الملأ الأعلى»[3].

وقال السعدي رحمه الله: «فهذا الأمر من الشارع الحكيم بالصلاة عليه فيه:

أولا: اقتداء بالله تعالى و ملائكته.

وثانيا: جزاء له ببعض حقوقه علينا.

وثالثا: تكميلا لإيماننا»[4].

---

(١) جلاء الأفهام، (ص: ٢٤٥-٢٤٦).

(٢) الأحزاب: ٥٦].

(٣) رواه البخاري تعليقا، الحديث رقم (٤٧٩٧). وحسنه الألباني رحمه الله في فضل الصلاة على النبي، (ص: ٩٥).

(٤) انظر تفسير ابن السعدي، (ص: ٧٨٨).

وذكر ابن القيم رحمه الله: «أن صلاة الله تبارك وتعالى على عبده نوعان: عامة، وخاصة، أما العامة: فهي صلاته على عباده المؤمنين، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾[1].

النوع الثاني: صلاته الخاصة على أنبيائه ورسله، خصوصا على خاتمهم، وخيرهم محمد ﷺ[2].

وقد أمرنا نبينا ﷺ بعد أمر الله تعالى لنا أن نصلي عليه، وأن نجتهد في الإكثار منها، قال ﷺ: {صلوا عليّ، واجتهدوا في الدعاء، وقولوا: اللهم صل على محمد و على آل محمد}[3].

وقد بشر الرسول ﷺ أن من صلى عليه، نال الأجر المضاعف من خيري الدنيا و الآخرة، فقال : {من صلى عليّ صلاة واحدة، صلى الله عليه بها عشرا }[4].

وفي رواية: {من صلى عليّ من أمتي صلاة مخلصا من قلبه، صلى الله عليه بها عشر صلوات، ورفعه بها عشر درجات، وكتب له بها عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات}[5].

(١) الأحزاب: ٤٣].
(٢) جلاء الأفهام لابن القيم ، (ص: ١٢١).
(٣) أخرجه النسائي، (١/ ٣٢٣، ح١٢٩٢). والطبراني في الكبير، (٥/ ٢١٨)، برقم (٥١٤٣). وصححه الألباني في صحيح النسائي، (١٢٩٢). وصحيح الجامع الصغير، برقم ٣٧٨٣.
(٤) مسلم، (١/ ٣٥، ح٣٨٤).
(٥) النسائي، (١/ ٣٤، ح١٢٩٩). والبزار، برقم (٣١٦٠). وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم (١٦٥٩). وصحيح النسائي، برقم (١٢٩٧).

و أخبر ﷺ أن أولى الناس به يوم القيامة، و أقربهم منه أكثرهم عليه صلاة عن إيمان، و عن محبة له و اتباع لشريعته فقال: {إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة}[1].

قوله: تَغْشَى رسولَ الله طه أحمدا. أي تُغطيه وتصله في قبره[2]. كما جاء في الحديث: {صلوا علي فإن صلاتكم تبلغني أينما كنتم}[3].

وقد بيّنت عدم صحة تسمية النبي ﷺ بـ "طه" في البيت رقم: ٣٦٥.

حتى حديث أبي الطفيل[4] رضي الله عنه الضعيف لم يذكره قال رسول الله ﷺ: {إن لي عند ربي عشرة أسماء قال أبو الطفيل: قد حفظت منها ثمانية: (محمد، وأحمد، وأبو القاسم، والفاتح، والخاتم، والماحي، والعاقب، والحاشر)[5].

أما أحمد، فقد ثبت في قوله تعالى: ﴿بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[6].

---

(١) الترمذي، (١/ ٢٢١، ح٤٨٤). وابن أبي شيبة، (١١/ ٥٠٥)، برقم (٣٢٤٧٤). وابن حبان، (٣/ ١٩٢). والبيهقي في الكبرى، (٣/)(٢٤٩). وحسنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب، برقم (١٦٦٨).

(٢) انظر: لسان العرب، مادة (غشا) (١١/ ٩٨).

(٣) سنن أبي داود (٢/ ٢١٨، ح٢٠٤٢). ومسند أحمد (٢/ ٣٦٧، ح٨٧٩٠). ومصنف ابن أبي شيبة (٢/ ١٥٠، ح٧٥٤٢). وصحح إسناده الحافظ في الفتح (٦/ ٤٨٨). وصححه الألباني في صحيح أبي داود. وحسنه في المشكاة (ح٩٢٦).

(٤) هو الصحابي عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمرو الكناني ثم الليثي، رأى النبي ﷺ وهو شاب، وروى عنه أحاديث، كما روى عن بعض الصحابة، قيل: مات سنة:١٠٠ هـ، وقيل: واثنتين، وقيل: وسبع، وقيل: وعشر. انظر: الإصابة (٤/ ٢٢٧٧-٢٢٧٨) .

(٥) تقدم تخريجه (ص:٤٧٠).

(٦) [الصف:٦].

قوله: والآلَ والأصحابَ أربابَ الوفا.

أي: كذلك تصل الصلاة والسلام آل رسول الله ﷺ وهم أتباعه من آل بيته ، وقد يدخل فيه كل من تبعه من المسلمين، وكذلك تصل أصحابه المتصفين بالوفاء بالعهود والمواثيق.

والآل يقصد بهم آل محمد ﷺ وفيه عدة أقوال أقربها أنهم:

١- من تحرم عليهم الصدقة. وهو قول الشافعي(١)، وأحمد(٢)، واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية(٣)، وابن القيم(٤)

ودليلهم حديث أبي هريرة ﵁قال: {كان رسول الله ﷺ يؤتى بالتمر عند صرام النخل؛ فيجيء هذا بتمرهِ، وهذا بتمرهِ حتى يصير عنده كوماً من تمر؛ فجعل الحسن والحسين رضي الله عنهما يلعبان بذلك التمر، فأخذ أحدهما تمرة فجعله في فيه، فنظر إليه رسول الله ﷺ، فأخرجها من فيه فقال: أما علمت أن آل محمد لا يأكلون الصدقة} (٥).

وحديث : {إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد، إنما هي أوساخ الناس} (٦).

٢- هم ذريته وأزواجه خاصة. حكاه ابن عبد البر(٧)، وصححه ابن العربي(٨).

---

(١) انظر: الأم للشافعي (٢/ ١٠٦-١٠٧). أحكام القرآن له (١/ ١٥٨).

(٢) جلاء الأفهام لابن القيم (١/ ٢٣٧-٢٣٨).

(٣) الاختيارات لشيخ الإسلام (ص: ٩٣).

(٤) جلاء الأفهام (ص: ٢٥٠).

(٥) رواه البخاري (٣/ ٤٤١ح١٤٨٥). ومسلم (٧/ ١٧٤ح٢٤٧٠).

(٦) رواه مسلم (٧/ ١٧٦-١٧٨ح ٢٤٧٨).

(٧) التمهيد لابن عبد البر (١٦/ ١٩٦)

(٨) أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٨٥٧)، وتقدمت ترجمة ابن العربي (ص: ٧٥

ودليلهم صفة الصلاة على رسول الله ﷺ حيث ورد أن النبي ﷺ قال في تعليمه الصحابة التشهد: {قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد} [1]. وهو حديث مجمل بيّنه حديث : {قولوا: اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد} [2].

وحديث عائشة رضي الله عنها قالت: {إن كنا آلَ محمدٍ ﷺ لنمكث شهراً ما نستوقد بنار، إن هو إلا التمر والماء} [3].

كما استدلوا بحديث: {اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً} [4]." قالوا : "ومعلوم أن هذه الدعوة المستجابة لم تنل كلَّ بني هاشم ولا بني المطلب؛ لأنه كان فيهم الأغنياء، وأصحاب الجِدة وإلى الآن، وأما أزواجه وذريته ﷺ فكان رزقهم قوتاً، وما كان يحصل لأزواجه بعده من الأموال كن يتصدقن به، ويجعلن رزقهن قوتاً"[5].

٣- هم أتباعه إلى يوم القيامة.

ودليلهم قوله تعالى: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ ٣٤﴾[6]، فالمراد به: أتباعه وشيعته المؤمنون به من أقاربه وغيرهم. وذلك أن آل المعظم المتبوع هم أتباعه على دينه وأمره،

(١) رواه البخاري (١١/ ١٨٢ح٦٣٥٧). ومسلم (٤/ ٣٤٥-٣٤٦ ح٩٠٧) من حديث كعب بن عُجرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (١١/ ٢٠٢-٢٠٣ح ٦٣٦٠) من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم (١٨/ ٣٠٧ح ٧٣٧٥)

(٤) رواه البخاري (١١/ ٣٤١ح٦٤٦٠) ومسلم (٧/ ١٤٦ح٢٤٢٤) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) جلاء الأفهام (ص: ٢٤٤).

(٦) [القمر: ٣٤].

قريبهم وبعيدهم. قالوا: واشتقاق هذه اللفظة يدل عليه؛ فإنه من آل يؤول إذا رجع، ومرجع الأتباع إلى متبوعهم؛ لأنه إمامهم وموئلهم(١).

والراجح والله أعلم هو القول الثاني وهم ذريته وأزواجه فأدلته أصرح في المسألة .

أما الأصحاب فقد عرفهم شيخ الإسلام رحمه الله بقوله : " والأصحاب، جمع صاحب، والصاحب: اسم فاعل من صحبه يصبحه، وذلك يقع على قليل الصحابة وكثيرها؛ لأنه يقال: صحبته ساعة، وصحبته شهرا وصحبته سنة... قال الإمام أحمد وغيره: كل من صحب النبي ﷺ سنة أو شهرا أو يوما أو رآه مؤمنا به فهو من أصحابه، له من الصحبة بقدر ذلك"(٢).

وقال ابن حجر رحمه الله: " من لقي النبي ﷺ مؤمنا به، ومات على الإسلام، ولو تخللت ردة - في الأصح -"(٣).

ومما يدل على وفاء الصحابة رضي الله عنهم لأمر رسول الله ﷺ حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: {قال لي رسول الله ﷺ لو قد جاء مال البحرين لقد أعطيتك هكذا وهكذا ثلاثًا، فلم يقدم مال البحرين حتى قبض رسول الله ﷺ، فلما قدم على أبي بكر أمر مناديًا فنادى من كان له عند النبي ﷺ دين، أو عدة فليأتني، قال جابر: فجئت أبا بكر فأخبرته أن النبي ﷺ قال: لو جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا ثلاثًا، قال: فأعطاني}(٤).

(١) الصلاة والسلام على النبي ﷺ (ص: ١٢١).
(٢) الصارم المسلول (ص: ٥٤٨-٥٤٩).
(٣) نخبة الفكر مع شرحها نزهة النظر للحافظ ابن حجر (ص: ١٤٩). وانظر: الإصابة له (١/ ٧).
(٤) البخاري (٤/ ٢٧١ ح٤٣٨٣).

قوله: وحسبُنا الله تعالى وكَفَى. أي: هو كافينا من شر ما استعذناه من الحاسدين والحاقدين والمعاندين والجاهلين وغيرهم.

فحسب: يستعمل في معنى الكفاية (حسبنا الله) أي: كافينا(١).

قال الراغب: «الكفاية ما فيه سد الخلة وبلوغ المراد في الأمر»(٢).

والبيت فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾(٣).

وقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾﴾(٤)، وقوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾(٥).

قال السعدي رحمه الله: «الكافي عبده جميع ما يحتاجون ويضطرون إليه، الكافي كفاية خاصة من آمن به وتوكل عليه واستمد منه حوائج دينه ودنياه»(٦).

وكذلك دلت السنة على كفاية الله لعبده، ومن ذلك حديث أنس رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه قال: {الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي}(٧).

ومن الأدلة على كفاية الله عز وجل لعباده في الرزق إذا دعوه في الوقاية من شر الأعداء

---

(١) مفردات القرآن للراغب، مادة (حسب) (ص: ١٣٦).

(٢) المفردات (ص: ١٩٨).

(٣) [آل عمران:١٧٣].

(٤) [الزمر:٣٦]

(٥) [البقرة:١٣٧]

(٦) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٥/ ٣٠٤).

(٧) تقدم تخريجه (ص:٤٤٥).

من شياطين وغيرهم، حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: {إذا خرج الرجل من بيته، فقال: بسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، قال: يقال حينئذ: هديت وكفيت ووقيت، فيتنحى عنه الشيطان، فيقول شيطان آخر: كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقي}(١).

ومن الأدلة على كفاية الله عز وجل لعباده إذا توكلوا عليه وحده: قول الرسول ﷺ: {لو أنكم تتوكلون حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتعود بطانا}(٢).

قال بعض السلف: جعل الله تعالى لكل عمل جزاءً من جنسه، وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته لعبده؛ فقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾، ولم يقل: نؤته كذا وكذا من الأجر، كما قال في الأعمال؛ بل جعل نفسه سبحانه وتعالى كافي عبده المتوكل عليه، وحسبه وواقيه(٣).

قال ابن القيِّم رحمه الله:

وهو الحسيب كفاية وحماية
والحسب كافي العبد كل أوان(٤)

وقال السعدي رحمه الله: فلو توكل العبد على ربه حق التوكل بأن اعتمد بقلبه على ربه اعتمادًا قويا كاملاً في تحصيل مصالحه، ودفع مضاره، وقويت نفسه، وحسن ظنه بربه، حصلت له الكفاية، وأتم الله له أحواله، وسدده في أقواله وأفعاله، وكفاه همه، وجلا غمه»(٥).

---

(١) تقدم تخريجه (ص:٤٤٥).

(٢) تقدم تخريجه (ص:٤٤٦).

(٣) بدائع الفوائد (٢/ ٧٦٦-٧٦٧).

(٤) النونية مع شرحها للهراس: (٢/ ٢٣٣).

(٥) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٩٢٠).

المعنى الإجمالي للأبيات:

يؤكد الناظم ﷺ ما بدأه بأن قوله هذا في المنظومة يهدي إلى طريق الحق وهو التوحيد والسنة، وذلك لمن نظر إليه بإنصاف وعدل وتحلّى بالأمانة وابتعد عن رد الحق ولوي عنقه، واصفًا ألفاظه بالوضوح والقرب، مشبهًا إياه بالزرع القريب قطفه.

ثم يختم المنظومة مرة ثانية بإسناد الحمد لله على إكمالها وشكره على ما منَّ عليه من فضل في إملائها وتقريب ألفاظها ومعانيها، ثم كذلك يزيّنها بالصلاة والسلام الدائمين الواصلين إلى رسوله محمد ﷺ في قبره، وكذلك على آل محمد وأصحابه الأوفياء.

ثم يتوكل على الله في كفايته مما استعاذ به من المعارضين لقوله، وهو سبحانه حسيبه وكافيه.

الخاتمة

في ختام هذه الرسالة أحمد الله الذي وفقني لإتمامها، كما أثّني بالخلاصة التالية:

١- عاش الناظم ﷺ في عصر تسودة محاربة الدين ، وبلد تسلط على سياستة الأعداء .

٢- عاش الناظم ﷺ في عصر إنتشر فيه الشرك والبدع والجهل بسبب التصوّف.

٣-أن نشأة الناظم ﷺ كانت قريبة من الصوفية فقد احترف النشيد بالدف في المناسبات الدينية .

٤- السبب في رحلة الناظم ﷺ لبلاد الهند والأفغان هو طلب الحديث والقراءات .

٥- تأثر الناظم ﷺ بكتب شيخ الإسلام، وابن القيم، والشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله جميعاً .

٦- أن عقيدة الناظم ﷺ على مذهب أهل السنة والجماعة وما عنده من أخطاء قد بيّنتها في مضانها.

٧- لا يصنف الناظم ﷺ على مذهب فقهي معين ، إنما هو في الأغلب متبع لشيخ الإسلام ﷺ وتلاميذه ، ومن تأثر بمنهجه مثل الشيخ محمد بن بدالوهاب ﷺ .

٨- السبب في عدم إنتشار مؤلفات الناظم ﷺ هو هدم بيته وفيه مكتبته ،وكانت مؤلفاته عبارة عن مسودات لم تنسخ ولم تطبع بعد.

١٠-كان الناظم رحمه الله مؤثراً ومصلحاً في القطر الجنوبي من اليمن يتضح ذلك من ثناء العلماء عليه .

١١-تنوع شعر الناظم رحمه الله وتعدد أغراضه.

١٢-أشهر صفات الناظم رحمه الله هيبة الشخصية والزهد.

١٣-إسم المنظومة متفق عليه ،وعلى ناظمها العبّادي، أما سبب تأليفها فهو الرد على القبوريين .

١٤-أن للمنظومة خمس طبعات متداولة .

١٥-هناك عدة مآخذ على المنظومة أهمها التكرار واستخدام بعض ألفاظ ومصطلحات أهل الكلام والبدع .

١٦-تأكيد الناظم رحمه الله على مسألة وجوب امتثال طريق الشرع في كل العبادات .

١٧-تركيز الناظم رحمه الله على بيان فساد طريقة الصوفية لإشتمالها على كثير من الشركيات والبدع.

١٨-تحذير الناظم رحمه الله من الغلو في المشايخ ، ودعاء الأموات في أكثر الأبيات.

١٩-تكرار الناظم رحمه الله للذكر وأهميتة في تزكية النفوس دليل على أهميتة عند

٢٠-حرص الناظم رحمه الله على إزالة الشبهات التي قد يتأثر بها عامة الناس.

٢١-إستخدام الناظم رحمه الله أحياناً الردود العقلية لإزالة الشبهات كما فعل عند الشطح في مناقب الأولياء، وشبهة الواسطة.

٢٢–حرص الناظم رحمه الله على الهداية واضح من خلال حرقتة على الدين بسبب الأئمة المضلين وانتشار المنكرات عند القبور.

٢٣–الفصل الأخير من المنظومة يدل على إهمام الناظم رحمه الله بمسأله تزكية النفس.

٢٤–يتضح من المنظومة أن منهج الناظم رحمه الله في التعامل مع المخالفين من المتصوفة يختلف بحسب الحال والأشخاص فهو عند خطابه للمريد يغلب جانب الرأفة والشفقة والحرص على الهداية، بينما نجده إذا جاء ذكر الأشياخ شدد عليهم ودعى ولاة الأمر إلى معاقبتهم والأخذ على أيديهم.

٢٥–تركيز الناظم رحمه الله على جانب التزكية، وبيان طرق تحصيله، فهو يصف الداء ويصرف الدواء، ويكفي أنه خصص سبعين بيتاً من المنظومة لذلك .

٢٦–أهمية العناية بالمنظومات العقدية المؤلفة وفق منهج السلف الصالح لما لها من مزايا كسهولة الحفظ وسرعة الاستذكار وميل النفوس لها .

٢٧–المنظومات ميدان خصب لتعليم الطالب أصول البحث العلمي، ومن ذلك استكشاف قدرات الطالب الذهنية على الشرح والتعليل .

٢٨–ضرورة السعي في إبراز جهود علماء السنة المعاصرين لما للتقارب الزمني من أثر إيجابي على طلاب العلم في التأسي بدعوات هؤلاء العلماء .

٢٩–السعي في إبراز جهود كل العلماء المتأثرين بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله من أمثال الشيخ العبّادي رحمه الله الذي صرح بذلك أمام خصومه من المتصوفة وغيرهم، كما بيّنا ذلك في قسم الدراسة.

٣٠-العناية بدفع مصيبة التصوف بكل السبل والوسائل، ومن ذلك نشر جهود العلماء في محاربة التصوف، بعد خدمتها بالتحقيق أو الشرح أو غير ذلك من سبل البحث العلمي.

والحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً. وصلى الله وسلم على هادي الخلق أجمعين إلى سبيل الحق والتوحيد، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس العامة

محتويات الفهارس العامة

فهـرس الآيات القرآنيـة

الآية	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ ﴾	العنكبوت:٤٥	٣٢٤، ٦٩٥، ٧٤٤
﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾	الأعراف:٣	١٣٩، ٥٩٥، ٦٩٧
﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ ﴾	التوبة:٣١	٤٥٧
﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾	الأعراف:٥٥	٤٣٩، ٧٥٦
﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ ﴾	الحديد:٢٠	٦٨٧
﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾	البقرة:١٩٧	٧٤٧
﴿ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا ﴾	الكهف:١	٣٩٧
﴿ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾	الأنعام:١	٤٨٨، ٤٩٣
﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾	الكهف:٤٦	٣٤٦
﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا	البقرة:٢٢	٤٨٧

الآية	السورة ورقم الآية	الصفحة
لَكُمْ ﴾		
﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾	الحج:٤١	٦٤٠
﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾	الرعد:٢٨	٢١٣، ٣٢٥، ٣٦٤، ٣٧٣، ٦٩٣
﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾	يونس:٦٣	٥١٤
﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾	آل عمران:١٧٣	٨١٣
﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾	النجم:٣٢	٢٧٩
﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا ﴾	آل عمران:١٩٠	٣٢٦
﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَه ﴾	الزمر:١٨	١٨٨، ١٨٩
﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا﴾	الأحزاب:٣٩	٦٢٠
﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾	طه:٥	٤٧٨

الآية	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾	الفاتحة:٣	٤٤١، ٤٧٨
﴿ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ ﴾	آل عمران:١٧	٤٣٨
﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾	الطلاق:١٢	٥٢٦
﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾	الروم:٤٠	٤٩٤
﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾	الشورى:١٩	٣٩٦
﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ ﴾	البقرة:٢٥٥	٣١٦، ٤٤١، ٧٩١
﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ﴾	الرعد:٨-٩	٤٤٤
﴿ انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا ﴾	النساء:٤٩-٥٠	٢٠٠
﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾	الفاتحة:٦-٧	٢٤٩، ٦٥٥

الآية	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ﴾	الكهف:١٠	٤٥٤
﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾	الأنفال:٩	٤٥٣
﴿ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾	مريم:٣	٤٣٩
﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾	الفرقان:٧٠	٤١٤، ٤٢٩، ٤٣٤
﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾	مريم:٩٣	٣٩٧
﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ﴾	الأحزاب:٣٥	٣٢٤، ٣٥١، ٧١٩
﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾	البقرة:١٥٨	٦٠٦
﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾	الأعراف:٥٤	٣٩٨
﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾	المزمل:٦	٧٠٧
﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ ﴾	المائدة:٤٤	٦٢٠

الآية	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾	الفتح:١	٤٢٩
﴿ إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾	القصص:٥٦	٦٤٩
﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾	الأنفال:٢	٦٩٣، ١٩٢
﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾	يس:٨٢	٣١٧
﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾	العنكبوت:١٧	٢١٧
﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾	آل عمران:١٧٥	٦٢٠
﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾	المائدة:٥٥-٥٦	٥٧٩
﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي ﴾	طه:١٤	٣٦٣
﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾	الفاتحة:٥	٤٠٧، ٤٠٨، ٤٥٢
﴿ أَزِفَتِ الآزِفَةُ ﴾	النجم:٥٧-٥٨	٤٤٩
﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا ﴾	المائدة:٤٨-٥٠	٢٤٠

الآية	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾	آل عمران:٨٣	٣١٧
﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الأَوَّلِينَ ﴾	المؤمنون:٦٨	١٨٩
﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ﴾	فاطر:٨	٥٣٠
﴿ أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ ﴾	الإسراء:٧٨-٧٩	٧٠٧
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ ﴾	الحج:١٨	٤٢٦
﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾	الزمر:٣٦	٨١٣،٤٤٥
﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾	يونس:٦٢	٥١٤، ٥١٥، ٥٢١
﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾	يونس:٦٢	٤٢٤
﴿ أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾	الزمر:٣	٤١٥
﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾	الملك:١٤	٤٤٠

الآية	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿ أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴾	الأنبياء:٢١	٥٣١
﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾	الشورى:٢١	١٣١، ١٧٩، ١٨٠، ٦٠٢
﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ ﴾	النمل:٦٢	٤٤٨، ٤٩٥
﴿ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾	البقرة:١٨٤	٧٤٧
﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾	الأعلى:١٦-١٧	٦٨٧
﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ ﴾	الرحمن:٧٨	١٧٥، ٦٥٢
﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾	الملك:١	٣٩٨
﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾	البقرة:١٩٩	٣٣٨، ٧١٤
﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾	الجاثية:١٨	١٣٧، ١٧٩، ٥٩٤
﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ﴾	الحديد:٢٧	٣٧٧، ٧٦٤
﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾	البلد:١٧	٧٥٢

الآية	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾	الحج:٢٩	٦٠٦
﴿ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى ﴾	النجم:٤٠-٤١	٤٣٥
﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلائِدَ ﴾	المائدة:٩٧	٤٤٠
﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾	الأعراف:١٩٩	٧٧٩
﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾	التوبة:١٠٣	٤٣٠، ٦٧١، ٧٤٥
﴿ ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴾	مريم:٢	٣٢٠
﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾	الأعراف:١٤٦	٣٠٣
﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾	المعارج:١	٤٦٧
﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾	الأعلى:١	٦٤٩
﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ ﴾	الأنعام:١٤٨	٥٣٧
﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾	الفتح:١١	٣٩١
﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾	الإسراء:١	٣٩٧

الآية	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿ طه ﴾	طه:١	٤٧٠
﴿ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴾	الغاشية:٣-٤	٣٧٧
﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ﴾	غافر:٣	٤٤٤
﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ ﴾	التغابن:١٦	٦٩٢
﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾	غافر:١٤	١٧١
﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ ﴾	البقرة:١٥٢	٣٥٠، ٣٢٤
﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ﴾	الأحقاف:٣٥	٧٣٢
﴿ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ﴾	الشورى:١١	٣١٥، ٣٠٨
﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾	القصص:٨	٥٢٨، ٥٢٧
﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾	الطلاق:٢	٦٨٢
﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾	البقرة:٢٠٠	٧١٩، ٣٥١
﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَإِنْ	البقرة:١٣٧	٨١٣، ٤٤٥

الآية	السورة ورقم الآية	الصفحة
تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾		
﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾	القصص:٥٠	١٢٩، ٥٩٤
﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾	الشرح:٥-٦	٤٥٥
﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾	الواقعة:٨	٥١٦
﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ ﴾	الضحى:٩	٧٤٩
﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾	آل عمران:١٥٩	٧٧١
﴿ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾	البروج:١٦	٣٩٨
﴿ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى ﴾	النازعات:١٨	٦٧٢
﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾	نوح:١٠-١١	٣٣٨، ٧١٤
﴿ فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾	طه:٤٤	٦٤٨
﴿ فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾	الصافات:١٤٣-١٤٤	٣٤٤، ٧١٦
﴿ فَلَوْلا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً ﴾	الأحقاف:٢٨	٤١٥
﴿ فَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾	الشعراء:٢١٣	٢١٧

الآية	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴾	الماعون:٤-٥	٣٥٨
﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴾	النور:٣٦-٣٧	٣٢٦، ٧٣٣
﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾	آل عمران:٩٧	٧٤٦، ٧٤٧
﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴾	الكهف:٦٣	٣٢٠
﴿ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾	الكهف:٦٦	٢٧٨
﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا ﴾	الأعراف:١٢٨	٤٠٧، ٤٥٢
﴿ قَالَ يَاقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ﴾	النمل:٤٦	٣٣٨، ٧١٤
﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ﴾	يونس:٦٨	٤٨٥
﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾	المؤمنون:١-٩	٧٤٣
﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾	الأعلى:١٤-١٥	٦٦٢
﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾	الشمس:٩	٤٣١
﴿ قُرآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾	الزمر:٢٨	٧٩٣
﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾	سبأ:٢٢	٤٩١

الآية	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلًا ﴾	الإسراء:٥٦	٤٤٨
﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾	فصلت:٦-٧	٦٧٢
﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾	الأعراف:٣٣	١٩١
﴿ قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا ﴾	الجن:٢١-٢٢	٤٠١
﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾	الأنعام:٥٦	٤٦٦
﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾	الأنعام:٤٠-٤١	٢١٧
﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾	الفلق:١-٥	٨٠٠
﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾	الناس:١	٤٩٣
﴿ قُلْ أَنَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾	الأنعام:٧١	٤٠٠
﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾	النور:٣٠	٤٣٠
﴿ قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ﴾	الأنعام:٥٠	٢٩٦

الآية	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿ قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ ﴾	الأعراف:١٨٨	٣٩١، ٤٠١
﴿ قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ ﴾	النمل:٦٥	٢٤٨، ٣٩٠
﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ ﴾	الأحقاف:٩	٢٧٩
﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلا ضَرًّا ﴾	الرعد:١٦	٣٩٩، ٤٩٤
﴿ قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾	المائدة:٧٧	٢٥٠
﴿ قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾		
﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾	المطففين:١٤	٣٤٤
﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾	البقرة:١٥١	٣٧٦، ٦٥٥
﴿ كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ﴾	الإسراء:٢٠	٤٥٣، ٤٥٤

الآية	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿ للهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾	الشورى:٤٩	٣٩٨
﴿ لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾	الأحزاب:٢٣-٢٤	٦٨٥
﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾	الفتح:١-٢	٤١٤
﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُ ﴾	الطلاق:٧	٤٥٤
﴿ لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾	القيامة:١-٢	٦٧٥
﴿ لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾	النور:٦٣	٧٦٢، ٧٨٧
﴿ لا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾	الفرقان:١٤	٢٠٩
﴿ لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ﴾	التوبة:١٠٨	٦٥٧، ٧٣٢
﴿ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾	الأنبياء:٢٣	٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١
﴿ مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ	الحشر:٧	٦٨٩

الآية	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾	الحج:٧٣-٧٤	٤٩٥
﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾	البقرة:١٠٦	٧٩١
﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾	الفاتحة:٤	٣٩٨
﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾	النحل:٩٧	٦٧٢
﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾	الفتح:٢٩	٧٥٢،٧٠٢
﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾	الأحزاب:٢٣	٧٣٣
﴿ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾	الجاثية:١٨-٢٠	٢٤٠
﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾	لقمان:١١	٤٩٤
﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴾	الشعراء:٢٢١-٢٢٢	٢٨٦
﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾	آل عمران:٧	٥٢٨،٢٤٤

الآية	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾	الجمعة:٢	٦٦٢، ٧٧٠، ٧٨٤
﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾	الأحزاب:٤٣	٤٤١
﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾	النساء:٦	٢٧٨
﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴾	الشعراء:٩٦-١٠١	٤٨٨
﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾	البقرة:١٠٢	٤٠١
﴿ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴾	الشعراء:١٣٢-١٣٣	٤٥٣، ٤٥٤
﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾	المزمل:٨	٦٥٢
﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾	الأعراف:٢٠٥	٣٦٣، ٣٦٩، ٣٧٢، ٧٥٥
﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ ﴾	مريم:٥٤-٥٥	٧٤٥

الآية	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾	هود:٩٠	٣٣٩، ٧١٥
﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾	النساء:٣٦	٦٩٦
﴿ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾	الأعراف:١٥٦	١٣٩، ٦٩٧
﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾	الزمر:١٧-١٨	١٩١
﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾	آل عمران:١٣٥	٣٤١، ٣٤٢
﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾	الأعراف:١٩٧	٤٥١
﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾	العنكبوت:٦٩	٦٧٩
﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾	النحل:٢٠-٢١	٤٩٥
﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾	التوبة:١٠٠	٧٠٢
﴿ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾	الأحقاف:٥-٦	٤٦٦

الآية	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾	البقرة:١٨٦	٤١٤، ٤٤٢
﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾	القصص:٥٥	١٨٩، ٥٨٤
﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾	الشعراء:٨٠	٤٥٠
﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا ﴾	الحج:٢٦	٦٠٦
﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾	البقرة:١٢٥	٦٠٦
﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ ﴾	الصف:٦	٨٠٥،٨٠٩
﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَابُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾	لقمان:١٣	٢١٩
﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾	هود:٦١	٣٣٩، ٣٤٣، ٤٤٢، ٧١٥
﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾	الأنعام:١٧	٤٤٩
﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ﴾	يونس:١٠٧	٣١٧، ٤٢٢،

الآية	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾	الحجر:٤٣	٢٠٩
﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ وَالأُولَى ﴾	الليل:١٣	٢٤٨
﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾	القلم:٤	٧٨٢
﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾	طه:٨٢	٤٤٤
﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾	مريم:٤٨-٤٩	٤٦٦
﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾	هود:١١٤	٧٤٣
﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾	البقرة:٤٣	٧٤٤
﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ ﴾	البقرة:١١٠	٧٤٤
﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾	هود:١٠٨	٤٥٣
﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴾	النازعات:٤٠	٢٣٥، ٦٧٦
﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾	هود:٣	٣٣٩، ٣٤٢، ٧١٤

الآية	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾	النجم:٣٩	٤٣٦،٩٤
﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ للهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا ﴾	الجن:١٨	١٧٠
﴿ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ﴾	النجم:٣٩-٤١	٤٣٤
﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾	الأنعام:١٥٣	١٣٧
﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾	الجن:١٩	٣٩٧
﴿ وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾	الأنعام:٥١	٤١٥
﴿ وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ﴾	النازعات:١٨-١٩	٦٦٢
﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾	الأنبياء:٨٣	٥٠٢
﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾	الإسراء:٢٦	٧٥٠
﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ﴾	الكهف:١٧	٢٨٣

الآية	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴾	التوبة:٣٠	٣٨٥
﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾	الشمس:١٠	٦٦٨
﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾	التوبة:١٠٥	٤٣٥
﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ ﴾	الإسراء:١١١	٣٣٣، ٤٩١
﴿ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ﴾	الكهف:٢١	٥٥٤، ٥٥٥
﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾	البقرة:١٤٣	٢٤٩
﴿ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴾	الأنعام:٥٥	١٣٣
﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾	الأنبياء:٥١	٤٥٤
﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾	النحل:٣٦	٦١٥
﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ ن ﴾	ق:١٦	٤٤٢

الآية	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾	الجاثية:٣٧	٣٩٨
﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾	المؤمنون:٧١	٥٤٢
﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾	لقمان:٢٧	٤٤٠
﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾	السجدة:١٣	٤٥٣
﴿ وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾	الكهف:٣٩	٧٩٧
﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ﴾	البقرة:١٤٥	٢٣٩
﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾	البقرة:١٤٨	٧٣٤،٧٣٣
﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾	الأعراف:٣٤	٤٢٢
﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾	النور:٤٢	٣٩٨
﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾	آل عمران:١٠٤	٦٣٩،٦١٤

الآية	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿ وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾	النساء:٣٢	٤٦٨
﴿ وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ ﴾	يونس:١٠٦	١٧٠، ٤٠٠، ٤٠٦
﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ﴾	الحشر:١٩	٣٥٠
﴿ وَلا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾	يونس:٦٥	١٧٦
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ ﴾	الأنبياء:٧	٤٧٧
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾	الأنبياء:١٠٧	٧٧١
﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾	يونس:٦١	٤٤٣
﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾	المدثر:٣١	٥٣٤
﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾	الذاريات:٥٦	٢٤٧
﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ ﴾	الأنفال:٣٣	٣٣٩، ٧١٤،

الآية	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿ وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً ﴾	الأنفال:٣٥	١٩٢، ٣٥٨
﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهَّ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾	الأحقاف:٥	٢١٧، ٤٠٥، ٤٤٤، ٤٦٩
﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾	طه:١٢٤	٣٥٢، ٣٦٤
﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴾	طه:٧٥-٧٦	٤٣١، ٦٥٧، ٦٦٢، ٦٧٣
﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾	الزخرف:٣٦	٣٥٢
﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمِ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَّ يَجِدِ اللهَّ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾	النساء:١١٠	٣٤٠
﴿ وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللهَّ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾	لقمان:٢٢	٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦
﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾	النساء:١١٥	٧٠٢، ٧٨٨

الآية	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴾	ق:٤٠	٣٥١، ٧١٩
﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾	البقرة:١٦٥	٤٨٨
﴿ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾	فاطر:٢٨	٦٦١
﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لا تُبْصِرُونَ ﴾	الواقعة:٨٥	٤٤٢
﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾	الأعراف:٤٣	٤٥٣
﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾	الشمس:٧–١٠	٦٦٢
﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ ﴾	الإسراء:٨٢	٧٠٣، ٧٠٤
﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾	الأنعام:١٨	٦٥٠
﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ﴾	الأنعام:٥٩–٦٠	٤٤٠

الآية	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾	الشورى:٢٥	٤٤٢
﴿ وَيَاقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾	هود:٥٢	٣٣٩، ٤٣١، ٧١٥
﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا ﴾	يونس:١٨	٤١٥
﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُهُمْ وَلا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴾	الفرقان:٥٥	٣٩١
﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾	المائدة:٣٥	٤٧٦، ٤٧٨
﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا ﴾	الأحزاب:٧٠-٧١	٦٨٤
﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾	التوبة:١١٩	٦٨٣
﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾	الأحزاب:٤١-٤٢	٣٢٨، ٣٥١، ٣٦٣، ٧١٩
﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾	البقرة:١٥٣	٧٤٤
﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	الأنفال:٤٥	٣٢٤، ٣٢٩

الآية	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾	النساء:٥٩	٧٣٥
﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ﴾	التحريم:٨	٤١٣، ٤٢٩
﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾	البقرة:١٨٣	٦٧١، ٧٤٦
﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾	النور:٢١	٦٦٨
﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا ﴾	النساء:٤٣	٢٠٢
﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾	المنافقون:٩	٣٢٥، ٣٥٢
﴿ يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾	المائدة:٦٧	١٢٢
﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾	البقرة:٢١	٦٧٢
﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ﴾	فاطر:١٥	٣٩٤

الآية	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ﴾	الحج:٧٣	٣٩٤، ٤٥١
﴿ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾	البقرة:٤٠	٦٢٠
﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾	النحل:٥٠	٦٥٠
﴿ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُ وَمَا لا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ ﴾	الحج:١٢	٤٩٤
﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾	الرحمن:٢٩	٤٦٨
﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ ﴾	النساء:١٠٨	٥٣٧
﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾	النساء:١٢٠	٧٢٧
﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ﴾	الحج:٢	٢٠٣
﴿ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴾	نوح:١٠	٧١٦، ٧٢١

الآية	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ ﴾	العنكبوت:٢١	٥٣٠
﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾	فاطر:١٣	٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠٧
﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾	فاطر:١٤	٤٦٩
﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾	محمد:١٩	٢١٤، ٣٦١، ٣٧٦، ٦٥٤، ٧٤٢
﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ ﴾	النساء:١٠٣	٣٢٨، ٣٥١، ٧١٩
﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ ﴾	الجمعة:١٠	١٥٩، ٣٥١، ٧١٩
﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾	آل عمران:٣١	٦٩٦
﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾	آل عمران:٣١-٣٢	٥٩٤
﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾	يونس:٥٨	٧٩٧

الآية	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾	يونس:٣٥	٤٩٥
﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا﴾	الزمر:٥٣	٤٢٩، ٤٤٢
﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ﴾	يونس:٦٤	٢٩٧
﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾	البقرة:٢٠٥	٥٣٧
﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾	النساء:١٧١	٢٥٠، ٣٩٤
﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾	إبراهيم:٣٤	٤٦٨
﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾	العنكبوت:٦٥	٢٦٦
﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴾	الإسراء:٩٠-٩٣	٢٩٦
﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾	البقرة:٢٨٤	٥٣٠
﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾	النازعات:٢٠	٢٨٧

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الآثار

فهرس الأعلام

فهرس المصطلحات

و

الكلمات الغريبة

المصطلح و الكلمة الغريبة	الصفحة
	٣٢٢، ٧٥٩، ٩٠٦
مأثور	٢٣٣، ٣٢٣، ٧٥٩
مارق	٦٢٤
المبتدع	١٥٣، ٣٦٧، ٦٤٠، ٦٤١، ٧٦٤، ٧٦٧، ٧٦٨
مجيب	١٠١، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥١٠
المحال	٨٧، ٩٢، ٢٦٥، ٣٠٤، ٤٠٤
محكم	٢٨٤، ٢٩٦، ٤٥٨
المختار	١١٤، ١٢٩، ١٥٧، ١٦٠، ١٦١، ١٦٣، ٢٣٨، ٢٤٦، ٧٥٩، ٧٦٠، ٩٠٨، ٩٣٢
المخلصون	٨٧، ٣٠٤، ٣١٨، ٦٢٧
مدد	٦٩، ٢١٦، ٢٢٩، ٣٠٦
المرا	٤٠٣
المرام	٤١١، ٥٢٥،

فهرس الفرق والطوائف والأماكن

فهرس المصادر والمراجع

١-الإبانة الكبرى ، ابن بطة أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري ، تحقيق: حمد التويجري وآخرون، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض. بدون ط.

٢-أبحاث في التصوف ، للدكتور عبد الحليم محمود ، المدرجة في مجموعة مؤلفاته ص ٥٥ ط دار الكتاب اللبناني الطبعة الأولى ١٩٧٩ م.

٣-الأبعاد الموضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر في اليمن، عبدالعزيز المقالح، دار العودة ، بيروت ١٩٨٧ .

٤-ابن رجب الحنبلي وأثره في توضيح عقيدة السلف. د.عبد الله بن سليمان الغفيلي. دار المسير. الرياض. ط١. (١٤١٨هـ).

٥-الاتجاه الرومانسي في الشعر اليمني، عبدالرحمن العمراني، مركز عيادي - صنعاء ط١، ٢٠٠٢م.

٦-الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م .

٧-الآثار ، أبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني، تحقيق: أبو الوفا الأفغاني، دار الكتب العلمية، بيروت .

٨-إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد ، تحقيق: مصطفى شيخ مصطفى و مدثر سندس، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .

٩-أحكام الجنائز وبدعها، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف،

الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.

١٠- الأحكام السلطانية، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي ، دار الحديث – القاهرة .

١١- أحكام القرآن لأحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٤١٢هـ، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي

١٢- أحكام القرآن، تأليف: أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي (ت ٥٤٣ هـ)، مراجعة محمد عبد القادر عطا.

١٣- الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي ، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان .

١٤- الإحكام في أصول الأحكام، لعلي بن محمد الآمدي، تحقيق: سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، ط: الأولى، ١٤٠٤هـ.

١٥- إحياء المقبور من أدلة استحباب بناء المساجد والقباب على القبور ، لأحمد عبد الله الصديق الغماري الطبعة الثانية ، نشر مكتبة القاهرة بمصر .

١٦- الإخنائية (أو الرد على الإخنائي)، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: أحمد بن مونس العنزي، دار الخراز ، جدة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .

١٧- الآداب الشرعية والمنح المرعية، للإمام أبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ، بيروت، تحقيق شعيب الأرنؤوط و عمر القيام.

١٨- الآداب الشرعية، عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعمر القيام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .

١٩- آداب المريدين، السهروردي، تحقيق فهم شلتوت، القاهرة، دار الوطن العربي .

٢٠- أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي ، دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦م .

٢١- الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار البشائر الإسلامية – بيروت، ط٣، ١٤٠٩ – ١٩٨٩م، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي .

٢٢- أدوار التاريخ الحضرمي،محمد أحمد الشاطري،دار عالم المعرفة،جده،ط٢، ١٤٠٣هـ

٢٣- الأربعون الصغرى : لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق : أبو إسحاق الحويني الأثري ، ط الأولى ١٤٠٨ هـ ، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت .

٢٤- الأربعين في أصول الدين، الغزالي، دار المنهاج، ط١، ١٤٢٦هـ .

٢٥- الأربعين في أصول الدين،للغزالي،دارالآفاق الدولية ،ط:الرابعة،١٤٠٢ هـ.

٢٦- الأربعين في التصوف، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم السلمي النيسابوري، مجلس دائرة المعارف العثمانية .

٢٧- الأربعين في صفات رب العالمين ، الذهبي ، تحقيق : جاسم الدوسري ،الدار السلفية، الكويت ،١٤٠٨هـ.

٢٨- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ)، تحقيق: أبو حفص سامي الأثري، دار الفضيلة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ.

٢٩- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، ابن الجوزي، ط٤، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .

٣٠- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، للشيخ صالح بن فوزان الفوزان، دار ابن الجوزي، ط: الثامنة، ١٤٢٣هـ.

٣١- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الأولى، ١٤٩٩ هـ.

٣٢- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الأولى، ١٤٩٩ هـ.

٣٣- أساس التقديس ، لفخر الدين الرازي،تقديم:محمد العريبي دار الفكر اللبناني ، ط: الأولى ، ١٩٩٣ م.

٣٤- الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، للحافظ ابن عبد البر، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار قتيبة، دمشق، ط: الأولى ، ١٤١٣هـ

٣٥- الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأنصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار، تأليف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الأندلسي (ت ٤٦٣ هـ)، تخريج وترقيم: الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي، دار قتيبة-بيروت و دار الوعي-القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ٠

٣٦- الاستغاثة في الرد على البكري، لشيخ الإسلام ابن تيمية، دار الوطن، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٣٧- الاستقامة، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي ، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود ، ط١، ١٤٠٣هـ .

٣٨- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ، تحقيق: علي محمد البجاوي، الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م .

٣٩- أسد الغابة في معرفة الصحابة، الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير ، تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م .

٤٠- الأسماء والصفات،لأحمد بن الحسين أبي بكر البيهقي،تحقيق عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، ط ١، جدة.

٤١- الأشباه والنظائر، تأليف: زين الدين بن إبراهيم الشهير بابن نجيم الحنفي (ت ٩٧٠ هـ)، تحقيق: محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ.

٤٢- الإصابة في تمييز الصحابة، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٤٣- اصطلاحات الصوفية، كمال عبدالرزاق القاشاني، دار المنار، القاهرة، ط١،

١٤١٣هـ .

٤٤- إصلاح المجتمع ،محمد بن سالم البيحاني ،مؤسسة طيبة الخيرية، ١٤١٩هـ.

٤٥- الأصول الثلاثة وأدلتها، تأليف: محمد بن عبد الوهاب التميمي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، الطبعة العاشرة، ١٤٢٠ هـ.

٤٦- الأصول من علم الأصول لمحمد بن صالح بن عثيمين ، مكتبة الرشد الرياض – الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٥هـ

٤٧- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م).

٤٨- إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين ، أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمد شطا الدمياطي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م .

٤٩- إعانة المستفيد شرح كتاب التوحيد، تأليف: صالح بن فوزان الفوزان، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٥٠- الاعتصام، للعلامة إبراهيم بن موسى الغرناطي الشاطبي، تحقيق: سليم الهلالي، دار ابن القيم ـ دار ابن عفان، ط: الثانية، ١٤٢٧هـ.

٥١- الاعتصام، للعلامة إبراهيم بن موسى الغرناطي الشاطبي، تحقيق: سليم الهلالي، دار ابن القيم ـ دار ابن عفان، ط: الثانية، ١٤٢٧هـ.

٥٢- اعتقاد أئمة أهل الحديث، تأليف: أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي (ت٣٧١ هـ)، تحقيق: الدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار العاصمة،

الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.

٥٣- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، للحافظ البيهقي، تحقيق: أبي العينين، دار الفضيلة، ط: الثانية، ١٤٢٧هـ.

٥٤- أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، تأليف: الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي (ت ١٣٧٧ هـ)، دراسة وتحقيق: أحمد بن علي علوش مدخلي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.

إعلام الموقعين ، لابن القيم ، دار عفان وابن القيم ، مشهور حسن آل سلمان .

٥٥- إعلام الموقعين عن رب العالمين، تأليف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ)، تخريج: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ.

٥٦- إعلام الموقعين عن رب العالمين، تأليف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ)، تخريج: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ.

٥٧- الإعلام بقواطع الإسلام لأحمد بن حجر الهيتمي ضمن الجامع في ألفاظ الكفر، تحقيق: د. محمد الخميس، دار إيلاف بالكويت، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ.

٥٨- الأعلام، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط: السابعة عشرة، ٢٠٠٧م.

٥٩- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبي عبد الله، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م، تحقيق محمد حامد الفقي.

٦٠- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبي

عبد الله، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م، تحقيق محمد حامد الفقي.
٦١- الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي البغدادي، موفق الدين، ويعرف بابن اللباد، وبابن نقطة ، مطبعة وادي النيل، ط١، ١٢٨٦ هـ .
٦٢- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ، لشيخ الإسلام ابن تيمية، دار الفضيلة ، تحقيق: ناصر بن عبد الكريم العقل، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ.
٦٣- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ، لشيخ الإسلام ابن تيمية، دار الفضيلة ، تحقيق: ناصر بن عبد الكريم العقل، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ.
٦٤- اقتضاء الصراط المستقيم، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، دار المسلم، الرياض، ١٤١٥هـ، تحقيق الدكتور ناصر العقل.
٦٥- الألفاظ الموضحات لأخطاء دلائل الخيرات، عبد الله بن محمد بن أحمد الدويش،تحقيق : عبد العزيز بن أحمد بن محمد المشيقح ،الناشر: دار العليان ،سنة النشر: ١٤١١ – ١٩٩٠.
٦٦- الأم، تأليف: محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤ هـ)، تحقيق الدكتور رفعت فوزي عبد المطلب، دار الوفاء، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.
٦٧- الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع، للحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق: مشهور حسن سلمان، دار ابن القيم، دار ابن عفان، ط: الثانية، ١٤٢٢هـ.
٦٨- إنباء الغمر بأبناء العمر، تأليف: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢ هـ)، تحقيق: الدكتور حسن حبشي، وزارة الأوقاف-جمهورية مصر العربية، القاهرة، ١٤١٥ هـ.

٦٩- الانسان الكامل، عبدالكريم الجيلي، ط٤، ١٤٠٢هـ، مكتبة مصطفى البابي .

٧٠- الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطاف، للصنعاني، تحقيق: د.عبد الرزاق البدر، طبع عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة، ط: الأولى ، ١٤٢١ هـ .

٧١- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام المبجل أحمد بن حنبل، تأليف: أبو الحسن، علي بن سليمان المرداوي الحنبلي (ت ٨٨٥ هـ)، تصحيح وتحقيق: محمد حامد الفقي، الطبعة الأولى، ١٣٧٥ هـ.

٧٢- الأنوار الرحمانية لهداية الفرقة التيجانية، عبد الرحمن بن يوسف الأفريقي ـ ط. ٤، توزيع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م.

٧٣- الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية، عبدالوهاب الشعراني، تحقيق طه عبدالباقي، ط١، مكتبة المعارف، بيروت .

٧٤- الانوار المحمدية من المواهب اللدنية ، اختصار الشيخ يوسف النبهاني – المطبعة الادبية بيروت .

٧٥- الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية، يوسف بن إسماعيل النبهاني .

٧٦- أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، قاسم بن عبد الله بن أمير علي القونوي الرومي الحنفي ، تحقيق: يحيى مراد، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م- ١٤٢٤هـ .

٧٧- إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى مذهب الحق من أصول التوحيد لأبي عبدالله محمد بن المرتضى اليماني الشهير بابن الوزير – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان

٧٨- إيقاظ الهمم في شرح الحكم، أحمد بن محمد بن عجيبه، دار المعرفة، بيروت .

٧٩- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير، تأليف: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت.

٨٠- البحر الرائق شرح كنز الدقائق، لزين الدين ابن نجيم الحنفي، الناشر دار المعرفة، بيروت.

٨١- البحر المحيط في أصول الفقه، عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ، دار الكتبي، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

٨٢- البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، مكتبة المعارف، بيروت.

٨٣- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، تأليف: أبو بكر بن مسعود الكاساني الحنفي (ت ٥٨٧ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ.

٨٤- بدائع الفوائد، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبي عبد الله، الناشر مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م، تحقيق هشام عبد العزيز عطا، عادل عبد الحميد العدوي، أشرف أحمد.

٨٥- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع"، دار المعرفة – بيروت

٨٦- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ)، مطبعة السعادة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٤٨ هـ.

٨٧- بدع القبور أنواعها وأحكامها، تأليف: صالح العصيمي، دار الفضيلة، ط: الأولى، ١٤٢٦هـ.

٨٨- البدع والنهي عنها، تأليف: محمد بن وضاح القرطبي (ت ٢٨٦ هـ)، تحقيق:

محمد أحمد دهمان، دار الصفا، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ.

٨٩- البدع والنهي عنها، تأليف: محمد بن وضاح القرطبي، تحقيق: محمد أحمد دهمان، دار البصائر، ط: الثانية، ١٤٠٠هـ.

٩٠- البدعة ضوابطها وأثرها السيئ في الأمة، للشيخ د.علي بن ناصر الفقيهي، طبع الجامعة الإسلامية بالمدينة، ط: الرابعة، ١٤٢٢هـ.

٩١- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ)، تحقيق: أبو الفضل محمد إبراهيم، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩ هـ.

٩٢- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبي الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، الناشر دار الهداية، تحقيق مجموعة من المحققين.

٩٣- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تأليف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق: الدكتور عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.

٩٤- تاريخ الصائبة المندائيين، لمحمد عمر حمادة، دار الوثائق ـ سوريا، ط، الأولى، ١٤١٨هـ.

٩٥- تاريخ المدينة المنورة، أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري، سنة الولادة / سنة الوفاة ٢٦٢هـ، تحقيق: علي محمد دندل وياسين سعد الدين بيان، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م .

٩٦- تاريخ اليمن المعاصر ١٩٠٥-١٩٤٨، الدكتور عبد العزيز المسعودي،مكتبة

السنحاني ، ط١، ١٤١٣هـ.

٩٧- تاريخ دمشق للحافظ علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تحقيق: محب الدين عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، ١٤١٥هـ.

٩٨- تاريخ دمشق للحافظ علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تحقيق: محب الدين عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، ١٤١٥هـ.

٩٩- تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، عبد الرحمن بن حسن الجبرتي ، دار الجيل ، بيروت .

١٠٠- تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية ، تأليف:حمزة علي إبراهيم لقمان، دار مصر للطباعة ، ١٣٧٩ هـ .

١٠١- تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس، عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد الله بن سلطان بن خميس الملقب بـ"أبابطين" ، تحقيق: عبد السلام بن برجس العبد الكريم، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م .

١٠٢- تأويل مختلف الحديث، تأليف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين الأصفر، الكتب الإسلامي- بيروت، مؤسسة الإشراق-الدوحة، الطبعة الثانية، ١٤١٩ هـ.

١٠٣- تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة، تحقيق: سليم الهلالي، دار ابن القيم ، ط: الأولى، ١٤٢٧هـ.

١٠٤- التبرك أنواعه وأحكامه، ناصر بن عبدالرحمن الجديع، مكتبة الرشد، الرياض ، ط٦، ١٤٢٨هـ.

١٠٥- التبصرة في أصول الفقه، إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز آبادي الشيرازي أبي إسحاق، الناشر دار الفكر، دمشق، ١٤٠٣هـ، تحقيق د. محمد حسن هيتو.

١٠٦- التبيان في أقسام القرآن، تأليف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ)، تحقيق: محمد زهري النجار، المؤسسة، السعيدة، الرياض.

١٠٧- التبيان في أقسام القرآن، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله بن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٢هـ.، ودار إحياء العلوم، ط١، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م.

١٠٨- تجريد التوحيد المفيد للإمام أحمد بن علي المقريزي ، اعتناء : علي العمران ، عالم الفوائد ، ط : الثانية ، ١٤٢٤ هـ .

١٠٩- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، تأليف: أبو العلي محمد عبد الرحمن المباركفوري (ت ١٣٥٣ هـ)، الإشراف: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر، دار الفكر، بيروت.

١١٠- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، لمحمد بن عبد الرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري، مطبعة المعرفة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ.

١١١- تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين، الإمام محمد بن علي الشوكاني، تخريج وتحقيق سيد إبراهيم، علي حسن،، دار الحديث القاهرة، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ-١٩٩٨م) .

١١٢- تحفة الطالب والجليس في كشف شبه داود بن جرجيس، عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب آل الشيخ ، تحقيق: عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم، دار العصمة، ط٢، ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠م .

١١٣- التحفة العراقية في الأعمال القلبية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المطبعة السلفية – القاهرة، ط٢، ١٣٩٩م .

١١٤- تحفة المودود بأحكام المولود، للإمام ابن القيم، تحقيق: بشير عيون، دار البيان، ط: الثانية، ١٤٠٧هـ.

١١٥- التدمرية تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية (ت ٧٢٨ هـ)، تحقيق: الدكتور محمد بن عودة السعوي، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الثامنة، ١٤٢٤ هـ.

١١٦- التذكار في أفضل الأذكار من القرآن الكريم، القرطبي (٦٧١ هـ)، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

١١٧- تذكرة الحفاظ، تأليف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

١١٨- تصحيح الدعاء، د. بكر بن عبد اللهَّ أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ-١٩٩٩م) .

١١٩- التصوف المنشأ والمصادر، للشيخ إحسان إلهي ظهير، تقديم: سيد العفاني، مكتبة بيت السلام بالرياض، ط: الأولى، ١٤٢٩هـ.

١٢٠- التصوف المنشأ والمصادر، للشيخ إحسان إلهي ظهير، تقديم: سيد العفاني، مكتبة بيت السلام بالرياض، ط: الأولى، ١٤٢٩هـ.

١٢١- تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، للأمير الصنعاني، اعتناء: الشيخ عبد المحسن العباد، دار المغني.

١٢٢- التعرف لمذاهب أهل التصوف، الكلاباذي، تحقيق محمود النواوي، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، ط٣، ١٤١٢هـ .

١٢٣- التعرف لمذهب أهل التصوف، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (المتوفى: ٣٨٠هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت .

١٢٤- التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط٣، دار الكتاب العربي، ١٤١٧هـ .

١٢٥- تفسير السعدي (تيسير الكريم المنان)، للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، الرياض –دار ابن الجوزي – الطبعة الثانية.

١٢٦- تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي – تحقيق الشيخ على محمد معوض – الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الدكتور زكريا عبد المجيد النوتى، دار الكتب العلمية بيروت .

١٢٧- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، للإمام محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمود شاكر، دار إحياء التراث، ط: الأولى.

١٢٨- تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، ط: الثانية، ١٤٢٠هـ.

١٢٩- تفسير المراغي لأحمد مصطفى المراغى – دار إحياء التراث العربي – بيروت .

١٣٠- تفسير المعوذتين، ابن القيم ،تحقيق : سيد إبراهيم ،دار الحديث ، بدون ط.

١٣١– تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي ، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م

١٣٢– التفسير والمفسرون، الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: ١٣٩٨هـ)، مكتبة وهبة، القاهرة .

١٣٣– تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي، تأليف: محمد أحمد لوح، دار ابن القيم ، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٣٤– تلبيس إبليس، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

١٣٥– تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، تأليف: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢ هـ)، اعتناء: أبو عاصم حسن بن عباس بن قطب، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ.

١٣٦– تمام المنة في التعليق على فقه السنة، محمد ناصر الدين الألباني، دار الراية، الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤١٧ هـ.

١٣٧– التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تأليف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الأندلسي (ت ٤٦٣ هـ)، تحقيق: محمد التائب وسعيد أحمد أعراب وغيرهما

١٣٨- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، مؤسسة قرطبة، مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري.

١٣٩- التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، دار طيبة - الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.

١٤٠- تهذيب الأسماء واللغات، لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ، بإشراف مكتب البحوث والدراسات.

١٤١- تهذيب السنن، ابن القيم، تحقيق د: إسماعيل مرحبا، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٢٨هـ.

١٤٢- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تأليف: أبو الحجاج يوسف المزي (ت ٧٤٢ هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ.

١٤٣- تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، نشر دار إحياء التراث العربي، ، بيروت، ٢٠٠١م، الطبعة الأولى، تحقيق محمد عوض مرعب.

١٤٤- التوحيد، للحافظ ابن منده، تحقيق: د.علي فقيهي، مكتبة العلوم والحكم ، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ.

١٤٥- التيجانية ، د: علي بن محمد آل دخيل الله، دار العاصمة، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ.

١٤٦- التيجانية، علي بن محمد الدخيل الله، نشر وتوزيع دار طيبة ـ الرياض ـ دار مصر للطباعة ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١م.

١٤٧- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، لسليمان بن عبد الله آل الشيخ، المكتب الإسلامي، بيروت دمشق ، ١٤٢٣هـ، تحقيق زهير الشاويش.

١٤٨- تيسير العزيز الحميد، للشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ، تحقيق: أسامة العتيبي، دار الصميعي، ط: الأولى، ١٤٢٨هـ.

١٤٩- تيسير الكريم المنان، للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، الرياض –دار ابن الجوزي – الطبعة الثانية.

١٥٠- جامع الأحاديث، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، ضبط نصوصه وخرج أحاديثه: فريق من الباحثين بإشراف د. علي جمعة، بدون ط.

١٥١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للإمام محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمود شاكر، دار إحياء التراث، ط: الأولى.

١٥٢- الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تأليف: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦ هـ)، المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ هـ، تصحيح: محب الدين الخطيب، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي.

١٥٣- جامع العلوم والحكم، لأبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، الناشر دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

١٥٤- جامع المسائل للإمام ابن تيمية، المجموعة الخامسة، تحقيق: محمد عزيز شمس ، دار عالم الفوائد، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ.

١٥٥- جامع كرامات الأولياء، يوسف النبهاني الشاذلي، مكتبة البابي الحلبي، ط٢، ١٣٩٤هـ، تحقيق إبراهيم عطوه .

١٥٦- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي، دار عالم الكتب الرياض ، ١٤٢٣هـ، تحقيق هشام سمير البخاري.

١٥٧- الجامع لشعب الإيمان، تأليف: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨ هـ)، تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ.

١٥٨- الجرح والتعديل، تأليف: أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم التميمي الحنظلي الرازي (ت ٣٢٧ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٧٣ هـ.

١٥٩- جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام، تأليف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ)، ضبط النص: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الرابعة، ١٤٢٣ هـ.

١٦٠- جمهرة اللغة لابن دريد لابي بكر محمد بن الحسن بن دريد – تحقيق د. رمزى منير بعلبكي – دار العلم للملايين – بيروت .

١٦١- جهود المالكية في تقرير توحيد العبادة، عبدالله بن فهد العرفج، دار التوحيد ، الرياض ط١ ، ١٤٢٨هـ.

١٦٢– جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، أبو عبد الله شمس الدين بن محمد بن أشرف بن قيصر الأفغاني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، دار الصميعي ، ط١، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م .

١٦٣– الجواب الباهر في زوار المقابر ، ابن تيمية، تحقيق : سليمان الصنيع وعبدالرحمن المعلمي ، طبع رئاسة البحوث العلمية ، الرياض ، ١٤٠٤هـ.

١٦٤– الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبي العباس، الناشر دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤ه، تحقيق د. علي حسن ناصر، د. عبد العزيز إبراهيم العسكر، د. حمدان محمد.

١٦٥– الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي. ابن القيم الجوزية، دار إحياء التراث الإسلامي، الطبعة الثانية (١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م).

١٦٦– جواهر المعاني في فيض التجاني، علي حرازم براده، مطبعة الحلبي، القاهرة، بدون ط، ١٩٦٣م .

١٦٧– الجوهر المنظم في زيارة القبر النبوي المكرم. ابن حجر الهيتمي. دار الكتب العلمية. المطبعة الشرقية. (١٣٢٦هـ).

١٦٨– حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، تأليف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ)، تحقيق: زائد بن أحمد النشيري، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ.

١٦٩– الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (ت ٤٥٠ هـ)، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض

والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.

١٧٠- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني المعروف بقوام السنة (ت ٥٣٥ هـ)، تحقيق ودراسة: محمد بن ربيع بن هادي المدخلي ومحمد بن محمود أبو رحيم، دار الراية، الرياض.

١٧١- الحجة في بيان المحجة، أبو القاسم الأصبهاني، دار الراية، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.

١٧٢- الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى -د٠ محمد ربيع هادى المدخلى، جامعة أم القرى، عمادة شؤون المكتبات.

١٧٣- حلقات القرآن الكريم ومجالس العلم في مساجد عدن، إعداد: أمين سعيد باوزير، مركز العبّادي للدراسات والنشر بصنعاء، ط: الثانية، ١٤٢٦هـ.

١٧٤- حلية الأبرار وشعار الأخيار المعروف بالأذكار النووية للنووي، تحقيق: علي الشرجي، مطبعة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

١٧٥- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبي نعيم أحمد الأصبهاني، مكتبة الخانجي، القاهرة، بدون ط.

١٧٦- حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تأليف: عبد الرزاق البيطار (ت ١٣٣٥ هـ)، تحقيق: محمد بهجة البيطار، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣ هـ.

١٧٧- الحوقلة مفهومها وفضائلها ودلالاتها العقدية، تأليف: الأستاذ الدكتور عبد

الرزاق بن عبد المحسن البدر، دار الفضيلة.
١٧٨- حياة عالم وأمير، للشيخ محمد بن علي الأكوع، ط: الأولى، ١٤١٧هـ.
١٧٩- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، تأليف: محمد المحبي.
١٨٠- الداء والدواء أو الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار المعرفة - المغرب، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
١٨١- الدر المنثور، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الفكر - بيروت .
١٨٢- الدر المنثور، لجلال الدين السيوطي، نشر دار الفكر، بيروت - ١٩٩٣م.
١٨٣- الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد، مطبوع ضمن الرسائل السلفية، دار الكتب العلمية، ١٣٤٨هـ.
١٨٤- درء تعارض العقل والنقل، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبي العباس، الناشر دار الكنوز الأدبية، الرياض، ١٣٩١هـ، تحقيق محمد رشاد سالم.
١٨٥- دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها، ناصر العقل، دار أشبيليا ، ط١ ، ١٤١٨هـ.
١٨٦- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع عبد الرحمن بن القاسم النجدي، مطابع المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ.
١٨٧- الدرر السنية في الطريقة التيجانية، للرباطي ، ط٢، مطبعة حجازي، القاهرة، ١٣٧٥ هـ.

١٨٨- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، للحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، دار النشر مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد/ الهند، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، الطبعة الثانية، تحقيق محمد عبد المعيد خان.

١٨٩- الدعاء المأثور، وآدابه، لأبي بكر الطرطوشي، تحقيق الدكتور محمد رضوان، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ).

١٩٠- الدعاء ومنزلته في العقيدة، لأبي عبد الرحمن جيلان العروسي، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ-١٩٩٦م).

١٩١- الدعاء: مفهومه- وأحكامه، إعداد: محمد الحمد، دار ابن خزيمة، الطبعة الثانية (١٤١٨هـ-١٩٩٨م).

١٩٢- دلائل الخيرات ، محمد الجزولي، قدم له: عيسى بن عبد الله الحميري، طبعة دار الفقيه، سنة ٢٠٠٥م

١٩٣- دلائل الخيرات، محمد سليمان الجزولي .

١٩٤- دلائل النبوة، لأحمد بن الحسين لبيهقي، الناشر دار الكتب العلمية، ودار الريان للتراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م تحقيق الدكتور/ عبد المعطي قلعجي.

١٩٥- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تأليف: ابن فرحون المالكي (ت ٧٩٩ هـ)، تحقيق: الدكتور أبو النور محمد الأحمدي، دار التراث، القاهرة،

١٩٦- الدين الخالص، تأليف: محمد صديق حسن القنوجي البخاري، مكتبة دار التراث، القاهرة.

١٩٧- ديوان البوصيري، محمد بن سعيد البوصيري، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٩٧٣م.

١٩٨- ديوان عنترة بن شداد ، تحقيق ودراسة : محمد سعيد مولوي ، المكتب الإسلامي ، القاهرة .

١٩٩- الذخائر المحمدية. محمد بن علوي المالكي. مطبعة حسان. القاهرة. (١٩٧٨م).

٢٠٠- ذم الملاهي ، لابن أبي الدنيا ،تحقيق : محمد عبدالقادر عطا ، دار الاعتصام .

٢٠١- ذم الهوى، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، مراجعة: محمد الغزالي، بدون ط .

٢٠٢- ذمّ ما عليه مدعو التصوف، ابن قدامه المقدسي، المكتب الإسلامي، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٣هـ.

٢٠٣- الذيل على طبقات الحنابلة، تأليف: أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥ هـ)، دار المعرفة، بيروت.

٢٠٤- رحلة في الشعر اليمني، عبدالله البردوني، دار العودة ، بيروت ١٩٨٢ .

٢٠٥- رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (المتوفى: ١٢٥٢هـ)، دار الفكر-بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٢٠٦- الرد على أبي الحسن الشاذلي في حزبه، ابن تيمية، تحقيق د. سمية علي، ط١ .

٢٠٧– الرد على الأخنائي، الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: أحمد بن مونس العنزي، الخراز – جدة، ط١، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

٢٠٨– الرد على المنطقيين، الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: ، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٢٠٩– الرسالة القشيرية، أبي القاسم عبدالكريم القشيري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١٤٢٢هـ.

٢١٠– رسالة المحبة ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ضمن مجموع الفتاوى (أنظر مجموع الفتاوى).

٢١١– الرسالة، للإمام الشافعي، تحقيق: الشيخ أحمد شاكر، مكتبة المعارف، ط:الثالثة، ١٤٢١هـ.

٢١٢– الرسل والرسالات، لعمر بن سليمان الأشقر، دار النفائس، ط: الحادية عشرة، ١٤٢٢هـ.

٢١٣– رماح حزب الرحيم، عمر سعيد الفوتي، مطبعة الحلبي، القاهرة، بدون ط، ١٩٦٣م.

٢١٤– روح المعاني، للعلامة أبي الفضل الألولسي، دار الفكر، بيروت (١٤١٧هـ–١٩٩٧م).

٢١٥– روح المعاني، للعلامة أبي الفضل الألولسي، دار الفكر، بيروت (١٤١٧هـ–

١٩٩٧م).

٢١٦-الروح، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبي عبد الله، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥ هـ.

٢١٧-الروض المربع بشرح زاد المستقنع ، للعلامة : منصور بن يونس البهوتي ، تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض،دار الكتاب العربي، ط: الرابعة ، ١٤١٢ هـ .

٢١٨- الروضة الندية شرح الدرر البهية، الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، دار المعرفة .

٢١٩- الرياض النضرة في مناقب العشرة، أبو العباس، أحمد بن عبد الله بن محمد، محب الدين الطبري (المتوفى: ٦٩٤هـ)، دار الكتب العلمية، ط٢ .

٢٢٠- زاد المسير في علم التفسير الامام أبي الفرج عبدالرحمن بن على بن محمد الجوزى المكتب الاسلامي .

٢٢١- زاد المسير في علم التفسير، تأليف: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤ هـ.

٢٢٢- زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط٢٧، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.

٢٢٣- الزاهر في معاني كلمات الناس، تأليف: أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨ هـ)، تحقيق: الدكتور حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢٢٤- الزاهر في معاني كلمات الناس، تأليف: أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت

٣٢٨ هـ)، تحقيق: الدكتور حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢٢٥- الزهد، لأحمد بن حنبل، دار ابن رجب، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣م، المحقق يحيى بن محمد سوس.

٢٢٦- الزواجر عن اقتراف الكبائر. أحمد بن حجر الهيتمي. دار المعرفة. بيروت. (١٤٠٨هـ).

٢٢٧- الزواجر عن اقتراف الكبائر، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (المتوفى: ٩٧٤هـ)، دار الفكر، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

٢٢٨- زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، دار طيبة، الرياض .

٢٢٩- سبل السلام شرح بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني (ت ١١٨٢ هـ)، تعليق: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٧ هـ.

٢٣٠- سبل السلام شرح بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني (ت ١١٨٢ هـ)، تعليق: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٧ هـ.

٢٣١- سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٥ هـ.

٢٣٢- السلسلة الصحيحة، لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر مكتبة المعارف – الرياض.

٢٣٣- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، تأليف أبو الفضل محمد خليل المرادي، (ت ١٢٠٦ هـ)، دار البشائر الإسلامية ودار ابن حزم، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨ هـ.

٢٣٤- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، تأليف أبو الفضل محمد خليل المرادي، (ت ١٢٠٦ هـ)، دار البشائر الإسلامية ودار ابن حزم، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨ هـ.

٢٣٥- السنة الامام أبي بكر أحمد بن عمر وبن أبي عاصم – تحقيق د ٠ باسم بن فيصل الجوابرة – دار الصميعي .

٢٣٦- السنة للإمام أحمد بن عمرو ابن أبي عاصم ، تحقيق: د.باسم الجوابرة ، دار الصميعي ، ط : الثالثة ، ١٤٢٦ هـ .

٢٣٧- السنة، تأليف: أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي (ت ٢٩٤ هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن محمد البصيري، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.

٢٣٨- السنة، لعبد الله بن أحمد ، تحقيق: محمد بن سعيد القحطاني، دار عالم الكتب ، ط: الرابعة، ١٤١٦هـ.

٢٣٩- سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن زيد القزويني (ت ٢٧٥ هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة العلمية، بيروت

٢٤٠- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت ٢٧٥ هـ)، إعداد وتعليق: عزت عبيد الدعاس وعادل السيد، دار ابن حزم، بيروت،الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.

٢٤١- سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، ت ٢٥٥ هـ، طبعة ١٤٠٤ هـ، تحقيق عبد الله بن هاشم اليماني، توزيع الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٢٤٢- السنن الكبرى، تأليف: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨ هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤ هـ.

٢٤٣- سنن النسائي، شرح: جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)-حاشية السندي (ت ١١٣٨ هـ)، دار المعرفة، بيروت.

٢٤٤- سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٤١٣هـ، حققه شعيب الأرنؤوط وآخرون.

٢٤٥- سيف الله على من كذب على أولياء الله. صنع الله الحنفي. دار الوطن. الرياض. (١٤٢٠هـ). ط١.

٢٤٦- شأن الدعاء لأبي سليمان الخطابي، تحقيق أحمد الدقاق، دار المليون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م).

٢٤٧- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تأليف: أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد العكري (١٠٨٩ هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط ومحمود الأرنؤوط، دار ابن

كثير، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.

٢٤٨- شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٢هـ.

٢٤٩- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة -للإمام العالم الحافظ أبي القاسم هبة الله بن الحسن منصور الطبري اللالكائي تحقيق د ٠ أحمد سعد حمدان -دار طيبة للنشر والتوزيع - الرياض

٢٥٠- شرح أصول اعتقاد أهل السنة، للحافظ اللالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد الغامدي، دار طيبة، ط: السابعة ، ١٤٢٢هـ.

٢٥١- شرح السنة، للإمام البغوي، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، تحقيق شعيب الأرناؤوط، وزهير الشاويش.

٢٥٢- شرح الصدور بتحريم رفع القبور، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط٤، ١٤٠٨هـ .

٢٥٣- شرح الطيبي على المشكاة ، شرف الدين الحسين الطيبي ، مكتبة الباز ، مكة ، ط١ ، ١٤١٧هـ.

٢٥٤- شرح العقيدة الأصبهانية ، ابن تيمية ، مكتبة الرشد ، الرياض ،ط١، ١٤١٥هـ.

٢٥٥- شرح العقيدة الطحاوية، تخريج العلامة الألباني رحمه اللهَّ، المكتب الإسلامي الطبعة السابعة (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م).

٢٥٦- شرح العقيدة الطحاوية، تخريج العلامة الألباني رحمه اللهَّ، المكتب الإسلامي

الطبعة السابعة (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م).

٢٥٧- شرح القصيدة النونية، لمحمد خليل الهراس، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، ومكتبة ابن تيمية، ١٤٠٧هـ.

٢٥٨- شرح الكوكب المنير، لابن النجار تقي الدين أبو البقاء محمد ت / محمد الزحيلي ونزيه حماد . العبيكان الطبعة الثانية ١٤١٨هـ .

٢٥٩- الشرح الممتع على زاد المستقنع، محمد بن صالح العثيمين (ت ١٤٢١ هـ)، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.

٢٦٠- الشرح الممتع على زاد المستنقع للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين بترتيب د. سليمان بن عبد الله حمود أبا الخيل – د. خالد بن على بن محمد المشيقح – مؤسسة آسام .

٢٦١- شرح النووي، لصحيح مسلم (المسمى: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، تحقيق: خليل شيحا، دار المعرفة، ط: السابعة، ١٤٢١هـ.

٢٦٢- شرح حكم ابن عطاءالله السكندري، عبدالمجيد الشرنوبي، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، ط١٣، ١٤٣١هـ .

٢٦٣- شرح رياض الصالحين، للعلامة ابن عثيمين رحمه اللهً، دار ابن الجوزي القاهر، الطبعة الأولى (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).

٢٦٤- شرح صحيح البخارى، علي بن خلف بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الثانية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٢٦٥- شرح صحيح مسلم للنووي، دار أبي حيان، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ-

١٩٩٥م).

٢٦٦- شرح مختصر الروضة لنجم الدين أبي الربيع سليمان بن عبد القوى بن عبدالكريم الطوفي تحقيق عبدالله بن عبد المحسن التركي – مؤسسة الرسالة .

٢٦٧- شرح معاني الآثار، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري الطحاوي الحنفي (ت ٣٢١ هـ)، تحقيق: محمد زهري النجار ومحمد سيد جاد الحق، مراجعة: دز يوسف عبد الرحمن المرعشلي، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.

٢٦٨- الشريعة، للإمام الآجري، تحقيق: عبد الله الدميجي، دار الوطن ، ط: الثانية، ١٤٢٠هـ.

٢٦٩- الشعر المعاصر في اليمن، عزالدين إسماعيل، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ١٩٧٢.

٢٧٠- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض، تقديم: عامر الجزار ، دار الحديث ، القاهرة، د.ت.

٢٧١- الشفا، لابن سينا ، مراجعة:أحمد فؤاد الإهواني، ١٩٦٦م.

٢٧٢- شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور، مرعي بن يوسف الحنبلي، تحقيق ودراسة : جمال محمد صلاح ، عمادة شؤون المكتبات ، جامعة أم القرى ، مكة .

٢٧٣- شفاء العليل، للإمام ابن القيم، خرج نصوصه وعلق عليه: مصطفى الشلبي، مكتبة السوادي، جدة، الطبعة الثانية، (١٤١٥هـ-١٩٩٥م).

٢٧٤- شواهد الحق في الاستغاثة بخير الخلق. يوسف بن إسماعيل النبهاني (ت١٣٥٠هـ) مطبعة مصطفى البابي بمصر (١٤٠٨هـ).

٢٧٥- شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق، يوسف بن إسماعيل النبهاني، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٨٥هـ .

الشيخ العبادي مولده نشأته جريدة الأيام، مقال لمحمد علي سعيد، العدد (٣٥٢) ١٨/ نوفمبر / ١٩٦٥م.

١-الصارم القرآني للبيحاني (مخطوط).

٢٧٦- الصارم المنكي في الرد على السبكي، تأليف: الإمام ابن عبد الهادي، تحقيق: عقيل المقطري، مؤسسة الريان، ط: الثانية عشر، ١٤٢٤هـ.

٢-الصحاح، لإسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين، بيروت الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م ،تحقيق أحمد عبد الغفور عطار.

٢٧٧- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، هلاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت ٧٣٩ هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ.

٢٧٨- صحيح ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري (٣١١ هـ)، تحقيق: الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، ١٤٠٠ هـ.

٢٧٩- صحيح الأدب المفرد، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة الدليل، الجيبل، الطبعة الرابعة، ١٤١٨ هـ.

٢٨٠- صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ.

٢٨١- صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨ هـ.

٢٨٢- صحيح سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.

٢٨٣- صحيح سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ

٢٨٤- صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ.

٢٨٥- صحيح سنن النسائي، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ.

٢٨٦- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.

٢٨٧- صحيفة ١٤ أكتوبر بتاريخ ٢١ / يونيو / ١٩٩٠م. عدن .

٢٨٨- الصلة، تأليف: ابن بشكوال (ت ٥٧٨ هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري-القاهرة ودار الكتاب اللبناني-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ.

الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبي عبد الله، الناشر دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، تحقيق د. علي بن محمد الدخيل الله.

٢٨٩- صوفيات حجازية حقائق شاملة عن صوفية الحجاز، السيد أبوعبد الله المدني.

٢٩٠- الصوفية في حضر موت، أمين أحمد السعدي، دار التوحيد، الرياض، ط: الأولى، ١٤٢٩هـ.

٢٩١- صيد الخاطر، للإمام ابن الجوزي، دار المنارة، جدة، الطبعة الخامسة (١٤١٢هـ-١٩٩١م).

٢٩٢- الضعفاء الكبير. محمد بن عمر العقيلي. دار الكتب العلمية. بيروت. ط١.

٢٩٣- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، تأليف: محمد بن عبد الرحمن السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

٢٩٤- الطب النبوي، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصفهاني، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٧هـ.

٢٩٥- طبقات الأولياء، ابن الملقن / تحقيق نور شريبه، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ.

٢٩٦- طبقات الحنابلة، تأليف: القاضي أبو الحسين محمد بن أبي يعلى الفراء البغدادي الحنبلي (ت ٥٢٦ هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام، ١٤١٩ هـ.

٢٩٧- طبقات الشافعية الكبرى لأبي نصر عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق: محمود الطناحي وزميله، دار إحياء الكتب العربية، د.ت.

٢٩٨- طبقات الشافعية الكبرى، تأليف: عبد الوهاب بن علي السبكي (ت ٧٧١ هـ)، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، ١٣٨٣ هـ.

٢٩٩- طبقات الشافعية، تأليف: أبو بكر بن أحمد بن قاضي شهبة الدمشقي (ت ٨٥١ هـ)، اعتناء: الدكتور الحافظ عبد العليم خان، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة الأولى، ١٣٩٩ هـ.

٣٠٠- طبقات الصوفية، أبي عبدالرحمن السلمي .

٣٠١- الطبقات الكبرى لابن سعد ، دار صادر ، د.ت.

٣٠٢- الطبقات الكبرى، عبدالوهاب الشعراني، ط١، بيروت، دار الجيل، ١٤٠٨هـ .

٣٠٣- الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد بن منيع أبي عبد الله البصري الزهري، الناشر دار صادر، بيروت.

٣٠٤- طبقات المفسرين، تأليف: أحمد بن محمد الأدنروي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.

٣٠٥- الطبقات، لخليفة بن خياط أبي عمر الليثي العصفري، الناشر دار طيبة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م، تحقيق د. أكرم ضياء العمري.

٣٠٦- طرح التثريب في شرح التقريب، تأليف: أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت ٨٠٦ هـ)، مؤسسة التاريخ العربي.

٣٠٧- طرح التثريب في شرح التقريب، تأليف: أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت ٨٠٦ هـ)، مؤسسة التاريخ العربي.

٣٠٨- طريق الهجرتين، للعلامة الإمام ابن القيم، تحقيق عمر بن محمود، دار البنا لقيم، الدمام، ط (٢) (١٤١٤هـ).

٣٠٩- ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم، لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٣١٠- عارض الجهل وأثره على أحكام الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة. لأبي العلا بن راشد الراشد. ط١. (١٤٢٣هـ). مكتبة الرشد.

٣١١- العالم الرباني الشيخ المقرئ عبيد الله الأفغاني، بقلم يحيى البكري الشهري، دار عالم الفوائد، ط:الأولى، ١٤٢٤هـ.

٣١٢- العبر في خبر من غبر، تأليف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣١٣- العبودية، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة، ١٣٩١هـ.

٣١٤- عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تأليف: عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، تحقيق: الدكتور عبد الرحيم بن عبد الرحمن، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٧ م.

٣١٥- عدن في التاريخ بين الازدهار والانهيار، تأليف: علوي عبد الله طاهر، ١٩٩٧م. بدون المطبعة.

٣١٦- العقيدة السفارينية (الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية) مع شرح الشيخ ابن عثيمين، مدار الوطن، ط: الأولى، ١٤٢٦هـ.

٣١٧- عقيدة السلف وأصحاب الحديث، للإمام الصابوني، تحقيق: ناصر الجديع، دار العاصمة ، ط: الثانية، ١٤١٩هـ.

٣١٨- العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام مع شرح الشيخ الهراس، مراجعة : عبد الرزاق عفيفي، توزيع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط: الرابعة، ١٣٩٦هـ.

٣١٩- العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام مع شرح الشيخ الهراس، مراجعة : عبد الرزاق عفيفي، توزيع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط: الرابعة، ١٣٩٦هـ.

٣٢٠- العقيدة الواسطية: اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، السلف – الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

٣٢١- العلل، للدارقطني دار طيبة الرياض د. محفوظ الرحمن زين الله ط ١٤٠٥هـ .

٣٢٢- علم الأخلاق الإسلامية، يالجن محمد علي، عالم الكتب للطباعة والنشر – الرياض، ط١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م، ط٢، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م .

٣٢٣- علوم الحديث، تأليف: أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري الشهير بابن الصلاح (ت ٦٤٣ هـ)، تحقيق: نور الدين عتر، دار الفكر، بيروت.

٣٢٤- علوم الحديث، تأليف: أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري الشهير بابن الصلاح (ت ٦٤٣ هـ)، تحقيق: نور الدين عتر، دار الفكر، بيروت.

٣٢٥- عمدة القارى شرح البخاري للشيخ الامام بدر الدين أبى محمد محمود بن أحمد العينى – دار احياء التراث العربي بيروت .

٣٢٦- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، تأليف: أبو محمد محمود بن أحمد العيني (ت ٨٥٥ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ.

٣٢٧- عوارف المعارف، السهروردي، ط دار المعارف، بيروت .

العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ت د.مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي دار ومكتبة الهلال .

٣٢٨- العين، تأليف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ)، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي.

٣٢٩- غاية الأماني في الرد على النبهاني، لمحمود شكري الألوسي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة ومكتبة العلم، جدة.

٣٣٠- غاية المرام في علم الكلام للآمدي، تحقيق: حسن محمود، مطابع الأهرام بالقاهرة، ١٣٩١هـ.

٣٣١- غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت٢٢٤ هـ، تحقيق: الدكتور حسين محمد محمد شرف، مجمع اللغة العربية، مصر، ١٤١٣ هـ.

٣٣٢- غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت٢٢٤ هـ، تحقيق: الدكتور حسين محمد محمد شرف، مجمع اللغة العربية، مصر، ١٤١٣ هـ.

٣٣٣- غريب الحديث، تأليف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله الجبوري، الطبعة الأولى، ١٣٩٧ هـ.

٣٣٤- غريب الحديث، تأليف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله الجبوري، وزارة الأوقاف، الجمهورية

العراقية، الطبعة الأولى، ١٣٩٧ هـ.

٣٣٥- الغنيه لطالبي طريق الحق، عبدالقادر الجيلاني، مطبعة الحلبي، القاهرة، ط٣، ١٩٥٦م.

٣٣٦- غيث المواهب العليه في شرح الحكم العطائية، للنفزي الرندي، دار الكتب الحديثة، القاهرة، بدون ط، ١٩٧٠م.

٣٣٧- الفتاوى ، العز بن عبد السلام، تخريج : عبدالرحمن عبدالفتاح ، دار المعرفة ، بيروت ، ط١، ١٤٠٦هـ.

٣٣٨- فتاوى ابن الصلاح، لعثمان بن عبد الرحمن ب عثمان الشهرزوي أبي عمرو، الناشر مكتبة العلوم والحكم، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ، ، تحقيق د. موفق عبد الله عبد القادر.

٣٣٩- الفتاوى البزازية، للإمام فخر الدين بن منصور الفرغاني، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الرابعة، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٣٤٠- فتاوى العقيدة للشيخ محمد بن صالح ابن عثيمين – مكتبة السنة

٣٤١- الفتاوى الكبرى لابن تيمية، الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٣٤٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، نشر دار المعرفة، بيروت، تحقيق محب الدين الخطيب.

٣٤٣- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية ، لمحمد بن علي الشوكاني، دار الفكر، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ، ومكتبة الرشد، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، الرياض.

٣٤٤- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد،الرحمن بن حسن آل الشيخ، ط٥، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ١٤٢١هـ .

٣٤٥- فتح رب البرية بتلخيص الحموية، لابن عثيمين، ط: جامعة الإمام بالرياض، ١٤٢٠هـ.

٣٤٦- فتوح الغيب، عبدالقادر الجيلاني، تحقيق عبدالعليم الدرويش، دار الهادي، ط١، ١٤٢٨هـ، دمشق، سوريا .

٣٤٧- الفتوحات الإلهية شرح المباحث الأصلية، ابن عجيبه الحسني، دار المعرفة، بيروت .

٣٤٨- الفتوحات الرباني، محمد علاء الصديقي، دار إحياء التراث، بيروت .

٣٤٩- الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية لمحمد بن علان الصديقي دار احياء التراث العربي – بيروت .

٣٥٠-الفتوحات الربانية على الأذكار النووية، للعلامة محمد الصديقي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م)، ودار العثمانية.

٣٥١- الفتوحات المكية، محمد بن علي بن عربي / تحقيق عثمان يحيى، القاهرة، ١٩٧٢

.

٣٥٢- الفرق بين الفرق، تأليف: أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، مصر.

٣٥٣- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق: عبد الرحمن اليحيى ، دار الفضيلة، ط: الأولى ، ١٤٢٠هـ.

٣٥٤- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق: عبد الرحمن اليحيى ، دار الفضيلة، ط: الأولى ، ١٤٢٠هـ.

٣٥٥- الفروع، لابن مفلح، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤٢٤هـ.

٣٥٦- الفروق، للقرافي، تحقيق عمر القيام، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤٢٤هـ.

٣٥٧- فضل عشر ذي الحجة، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، تحقيق: أبو عبد الله عمار بن سعيد تمالت الجزائري، العمرين العلمية ، الشارقة، ط١ .

٣٥٨- فقه الأسماء الحسنى تأليف الشيخ د. عبد الرزاق البدر، مطبعة الحميضي ، ط: الأولى، ١٤٢٩هـ.

٣٥٩- فقه اللغة وسر العربية، الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .

٣٦٠- الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف، مكتبة ابن تيمية، الكويت، ط٣، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

٣٦١- الفنون ، ابن عقيل ، دار أضواء السلف ، الرياض ، ط١، ٢٠١٣م

فهرس المراجع والمصادر

٣٦٢- الفوائد البهية في تراجم الحنفية، تأليف: أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي، اعتناء: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني، دار المعرفة، بيروت.

٣٦٣- الفوائد، تأليف: الإمام ابن القيم الجوزية، ترتيب وتعليق علي بن عبد الحميد، ابن حزم، جدة، (١٤١٧هـ-١٩٩٦م).

٣٦٤- فيض القدير شرح الجامع الصغير، لمحمد عبد الرءوف المناوي، دار النشر: المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز، مكة المكرمة.

٣٦٥- الفيوضات الربانية، إسماعيل بن محمد القادري، دار إحياء الكتب، القاهرة، بدون ط .

٣٦٦- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: الشيخ د.ربيع المدخلي، مكتبة الفرقان، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٣٦٧- قاعدة في المعجزات والكرامات، ابن تيمية ، تحقيق : حماد سلامة ، مكتبة المنار ، الزرقاء ، الأردن ، ط١ ، ١٤١٠هـ.

٣٦٨- القاموس المحيط، محمد الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط (٥)، (١٤١٦هـ).

٣٦٩- القاموس المحيط، محمد الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط (٥)،

(١٤١٦هـ).

٣٧٠- قبسات من حياة البيحاني، جمع: خليل سلام، دار حضرموت، ط: الأولى، ١٤٢٦هـ.

٣٧١- القبورية في اليمن، للشيخ أحمد المعلم ، دار ابن الجوزي، ط: الأولى، ١٤٢٧هـ.

٣٧٢- قلادة الجواهر، محمد أبو الهدى الصيادي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون ط، ١٤٠٠هـ .

٣٧٣- قوادح عقدية في بردة البوصيري، د. عبد العزيز محمد آل عبد اللطيف .

٣٧٤- قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، للشيخ محمد جمال الدين القاسمي، دار الكتب العلمية، ط: الأولى، ١٣٩٩هـ.

٣٧٥- القواعد الحسان لتفسير القرآن، للعلامة ابن سعدي، دار الصميعي، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م).

٣٧٦- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، للعلامة ابن عثيمين رحمه الله، أضواء السلف، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٣٧٧- قوت القلوب في معاملة المحبوب، أبي طالب بن محمد بن علي المكي، المطبعة المصرية، القاهرة، ١٩٣٢م .

٣٧٨- القول المفيد على كتاب التوحيد ، للشيخ :محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، ط: الرابعة، ١٤٢١هـ.

٣٧٩- الكافي في فقه أهل المدينة، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: محمد محمد أحيد ولد ماديك الموريتاني، الرياض الحديثة، الرياض، ط٢، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

٣٨٠- الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، تأليف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ)، تحقيق وتعليق: محمد بن عبد الرحمن العريفي وغيره، إشراف: الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد،.

٣٨١- الكامل في ضعفاء الرجال، لعبد الله بن عدي الجرجاني، دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ.

٣٨٢- كتاب الإيمان، تأليف: الحافظ محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده (ت ٣٩٥ هـ)، تحقيق: الدكتور علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ.

٣٨٣- كتاب التعريفات، تأليف: علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت ٨١٦ هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٧ هـ.

٣٨٤- كتاب العين، تأليف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ)، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي.

٣٨٥- كرامات الأولياء للالكائي - من كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (المتوفى: ٤١٨هـ)، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة ، الرياض ، ط٨، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م .

٣٨٦- كشاف اصطلاحات الفنون الشيخ العلامة محمد على بن على بن محمد التهانوى مع حاشية أحمد حسن بسج – منشورات محمد على بيضون دار الكتب العلمية – بيروت .

٣٨٧- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لمحمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق : عادل عبد الموجود وزميله ،مكتبة العبيكان ، ط:الأولى ، ١٤١٨ هـ .

٣٨٨- كشف الأستار عن زوائد البزار، لأبي بكرالهيثمي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٤هـ.

٣٨٩- كشف الخفاء ومزيل الإلباس، لإسماعيل بن محمد العجلوني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ.

٣٩٠- كشف المحجوب، علي بن عثمان الهجويري، دار النهضة، بيروت، ١٩٨٠م .

٣٩١- الكشف عن حقيقة الصوفية، محمود القاسم، مكتبة العاصمة، عمان الأردن، ط ١٤٢٨هـ .

٣٩٢- الكلام على مسألة السماع ، ابن القيم ، تحقيق : راشد الحمد ، دار العاصمة ، الرياض ، ط١، ١٤٠٩هـ.

٣٩٣- كلمة الإخلاص وتحقيق معناها "، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٣٩٧هـ.

٣٩٤- الكليات، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، تحقيق عدنان درويش، محمد المصري.

٣٩٥- كنت هناك ... عدن أحداث يناير ٨٦، بقلم ديفيد جارودي تعريب: محمود بهنسي، الدار المصرية، ط: الأولى، ١٤٠٧هـ.

٣٩٦- الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، تأليف: نجم الدين محمد بن محمد الغزي (ت ١٠٦١ هـ)، وضع الحواشي: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.

٣٩٧- الكواكب السائرة، نجم الدين العزبي، دار الأمان، بيروت، بدون .

٣٩٨- لسان العرب، للإمام العلامة جمال الدين بن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة (١٤١٤هـ-١٩٩٤م).

٣٩٩- لطائف المنن، عبدالوهاب الشعراني، مطبعة الميمنية، القاهرة .

٤٠٠- لمع البوارق، مصطفى البكري،مطبوع بآخر كتاب شواهد الحق للنبهاني (راجع شواهد الحق).

٤٠١- اللمع في التصوف، عبدالله بن علي الطوسي، شركة القدس، القاهرة، ط١٤٢٩هـ .

٤٠٢- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، تأليف: أبو العون محمد بن أحمد السفاريني (ت ١١٨٨ هـ)، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٢ هـ.

٤٠٣- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدين الهيثمي، دار الكتاب العربي، بيروت.

٤٠٤- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر،

بيروت، ١٤١٢هـ.

٤٠٥- المجموع شرح المهذب، تأليف: الإمام النووي ، تحقيق : محمد نجيب المطيعي ، مكتبة الإرشاد ـ جدة .

٤٠٦- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم، وساعده ابنه محمد، طُبع بأمر الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود، الطبعة الأولى (١٣٨٩م).

٤٠٧- مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الثريا، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ.

٤٠٨- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، جمع: الدكتور محمد بن سعد الشويعر، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤٢٧ هـ.

٤٠٩- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، جمع: الدكتور محمد بن سعد الشويعر، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤٢٧ هـ.

٤١٠- مجموعة التوحيد (رسالة في تعريف العبادة لأبي بطين) ، تحقيق : بشير عيون ، مكتبة المؤيد ، الطائف ، ١٤٠٧هـ.

٤١١- مجموعة الرسائل الكبرى، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤١٢- مجموعة الرسائل والمسائل للإمام تقي الدين أحمد بن تيمية – دار الكتب العلمية بيروت – لبنان .

٤١٣- محاسن التاويل لمحمد جمال الدين القاسمى – دار الفكر بيروت مع تعليق محمد فؤاد عبدالباقي – الطبعة الثانية .

٤١٤- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، نشر دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤١٣هـ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد.

٤١٥- المحلى، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، الناشر دار الفكر.

٤١٦- محمد ﷺ الإنسان الكامل، محمد علوي المالكي، المكتبة العصرية ، القاهرة ، مصر ،ط١٤١٤،٣هـ.

٤١٧- محمد سعيد جرادة البحث عن النموذج/ المثال، للدكتور: أحمد الهمداني، مركز العبّادي بصنعاء ط: الأولى، ١٤٢٨هـ.

٤١٨- المحيط في اللغة ، الصاحب اسماعيل بن عباد – تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين – عالم الكتب بيروت .

٤١٩- مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، الناشر مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٤١٥هـ، تحقيق محمود خاطر.

٤٢٠- مختصر الصواعق المرسلة، لمحمد بن الموصلي، تحقيق: الحسن العلوي، أضواء السلف، ط: الأولى، ١٤٢٥هـ.

٤٢١- المخصص، لعلي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ١٩٩٦م.

٤٢٢- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبي عبد الله، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م، الطبعة الثانية، تحقيق محمد حامد الفقي.

٤٢٣- المدخل، لابن الحاج المالكي، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٧٧م .

٤٢٤- مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر، تأليف: محمد الأمين المختار الشنقيطي، دار القلم، بيروت.

٤٢٥- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، تأليف: علي بن سلطان محمد القاري (ت ١٠١٤ هـ)، تحقيق: جمال عيتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.

٤٢٦- المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة ، جمع وتحقيق ودراسة : عبدالإله بن سلمان الأحمدي ، دار طيبة ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٢هـ.

٤٢٧- المستدرك على الصحيحين، تأليف: أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الحرمين، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.

٤٢٨- المستصفى في علم الأصول، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تحقيق: محمد بن سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م .

٤٢٩– مسند البزار (البحر الزخار)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.

٤٣٠– المسند، أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٤٣١– مشاهير علماء الأمصار، تأليف: أبو حاتم محمد بن أحمد بن حبان البستي ، وضع الحواشي: مجدي بن منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٤٣٢– مشاهير علماء الأمصار، تأليف: أبو حاتم محمد بن أحمد بن حبان البستي (ت ٣٥٤ هـ)، وضع الحواشي: مجدي بن منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٤٣٣– مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التيجاني الجاني، محمد الخضر ابن سيدي عبد الله بن مايابي الجكني الشنقطي ، طبع بمطبعة دار إحياء الكتب العربية بمصر.

٤٣٤– مشكاة المصابيح، تأليف: محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩ هـ.

٤٣٥– المصادر العامة للتلقي عند الصوفية عرضا ونقدا، تأليف: صادق سليم صادق، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.

٤٣٦– مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام. عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ. دار الهداية. الرياض.

٤٣٧- المصباح المنير، لأحمد بن علي الفيومي، مكتبة لبنان، ١٩٨٧م، ودار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٤٣٨- مصرع التصوف، برهان الدين البقاعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٠هـ.

٤٣٩- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، للشيخ حافظ الحكمي، ضبط: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ.

٤٤٠- معالم السنن، تأليف: أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي(ت ٣٨٨هـ)، مطبعة محمد راغب الطباخ، حلب، الطبعة الأولى، ١٣٥٢ هـ.

٤٤١- معالم في السلوك وتزكية النفوس، عبد العزيز بن محمد بن علي آل عبد اللطيف، دار الوطن،ط١، ١٤١٤هـ.

٤٤٢- معاني القرآن وإعرابه، تأليف: أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (ت ٣١١ هـ)، شرح وتحقيق: الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ.

٤٤٣- معاني القرآن وإعرابه، تأليف: أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (ت ٣١١ هـ)، شرح وتحقيق: الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ.

٤٤٤- المعتمد في أصول الفقه، بن علي الطيب أبو الحسين البَصْري المعتزلي (المتوفى: ٤٣٦هـ)، تحقيق: خليل الميس، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.

٤٤٥- المعجم الأوسط، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، دار الحرمين، القاهرة،

١٤١٥هـ، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني.

٤٤٦- معجم البلدان، لياقوت الحموي، تقديم: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث، ط: الأولى، ١٤١٧هـ.

٤٤٧- المعجم الكبير للحافظ أبي القاسم الطبراني، حققه: حمدي السلفي، مطبعة الوطن العربي، الطبعة الأولى (١٤٠٠هـ-١٩٨٠م).

٤٤٨- معجم المؤلفين المعاصرين في آثارهم المخطوطة والمفقودة وما طبع منها أو حقق بعد وفاتهم، تأليف: محمد خير رمضان يوسف، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤٢٥ هـ.

٤٤٩- المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، القاهرة.

٤٥٠- معجم مصطلحات الصوفية، عبدالمنعم الحفني، دار المسيرة، بيروت .

٤٥١- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، الناشر دار الفكر، الطبعة ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م، المحقق عبد السلام محمد هارون.

٤٥٢- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسيني بن فارس، تحقيق وضبط: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة (١٤٠٢هـ).

٤٥٣- معرفة الثقات. أحمد بن عبد الله العجلي. مكتبة الدار. المدينة المنورة. ط١. (١٤٠٥هـ).

٤٥٤- المغرب في ترتيب المعرب، تأليف: أبو الفتح ناصر الدين المطرزي (ت ٦١٠

هـ)، تحقيق: محمود فاخوري وعبد الحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد، سورية، الطبعة الأولى، ١٣٩٩ هـ.

٤٥٥- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، محمد الخطيب الشربيني، الناشر دار الفكر، مكان النشر بيروت .

٤٥٦- المغني عن حمل الأسفار، لأبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي، مكتبة طبرية، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، الرياض، تحقيق أشرف عبد المقصود .

٤٥٧- المغني، لابن قدامة، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط: الأولى ، ١٤١٠هـ.

٤٥٨- مفاهيم يجب أن تصحح ، محمد علوي المالكي ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٩م

٤٥٩- مفاهيم يجب أن تصحح. محمد بن علوي المالكي. ط٤. (١٤١٠هـ) دولة الإمارات. وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف.

٤٦٠- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة، تأليف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ)، تقديم وضبط النص وتعليق: علي بن حسن الحلبي الأثري، دار ابن عفان، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ.

٤٦١- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة، تأليف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ)، تقديم وضبط النص وتعليق: علي بن حسن الحلبي الأثري، دار ابن عفان، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ.

٤٦٢- المفردات، للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية (١٤١٨هـ-١٩٩٧م).

٤٦٣- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، تأليف: محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢ هـ)، دار الكتاب العربي.

٤٦٤- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تأليف: أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت ما بين ٣٢٠ هـ إلى نيف وثلاثين وثلاثمائة)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١١ هـ.

٤٦٥- مقالة التشبيه، جابر إدريس، أضواء السلف ، الرياض ، ط١، ١٤٢٢هـ

٤٦٦- مقالة التعطيل والجعد بن درهم، محمد بن خليفة بن علي التميمي، السلف،ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م .

٤٦٧- المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد الغزالي، دار السلام ، الرياض ، ط١، ٢٠٠٨م

٤٦٨- مكاشفة القلوب، أبي حامد الغزالي، تحقيق: جمال شرف، المكتب الثقافي، ط١، ١٤٢٥هـ .

٤٦٩- الملل والنحل، تأليف: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ)، تحقيق: أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ هـ.

٤٧٠- من أبرز أعلام الدعاة والتنوير في عدن خلال مائة عام، لأمين باوزير ، مركز العبّادي بصنعاء، ط: الأولى، ١٤٢٩هـ.

٤٧١- منازل السائرين، أبي إسماعيل الهروي، مطبعة الحلبي، القاهرة، ط٢.
٤٧٢- مناقب الإمام أحمد بن حنبل، تأليف: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي.
٤٧٣- مناهل العرفان في علوم القرآن، عبد العظيم الزرقاني شهرته: الزرقاني، تحقيق: أحمد زمرلي، الكتاب العربي، ط١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م .
٤٧٤- منتخب الكلام في تفسير الأحلام، تأليف: محمد بن سيرين، ترتيب: محمود طعمة حلبي، دار المعرفة، بيروت، الخامسة، ١٤٢٣ هـ.
٤٧٥- المنتقى ، لأبي الوليد الباجي دار الكتاب الإسلامي مصورة من الطبعة المصرية .
٤٧٦- منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس، اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب آل الشيخ (المتوفى: ١٢٩٣هـ)، الهداية للطبع والنشر والترجمة .
٤٧٧- منهاج السنة النبوية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم ، طبع جامعة الإمام بالرياض، ط: الأولى، ١٤٠٦هـ.
٤٧٨- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، تأليف: أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ)، المطبعة المصرية، الأزهر، الطبعة الأولى، ١٣٤٩ هـ.
٤٧٩- المنهاج في شعب الإيمان، تأليف: أبو عبد الله الحسين بن الحسن الحليمي (ت٤٠٣ هـ)،تحقيق: حلمي محمد فوده، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩ هـ.

٤٨٠- منهج ودراسات لآيات الأسماء و الصفات ، محمد الأمين الشنقيطي، ط دار عالم الفوائد .

٤٨١- الموافقات للإمام الشاطبي، ضبط وتعليق: مشهور حسن سلمان، دار ابن عفان، ط: الأولى، ١٤١٧هـ.

٤٨٢- المواقف، لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، الناشر دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة.

٤٨٣- المواقف، محمد عبدالجبار النفري، دار الكتب المصرية، القاهرة .

الموسوعة اليمنية

٤٨٤- موطأ الإمام مالك- رواية يحيى الليثي، لمالك بن أنس أبي عبد الله الأصبحي، الناشر دار إحياء التراث العربي، مصر، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

٤٨٥- موقف ابن تيمية من الأشاعرة، لعبد الرحمن المحمود ، مكتبة الرشد ،ط: الأولى ، ١٤١٥ هـ.

٤٨٦- النبوات، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. عبد العزيز الطويان، أضواء السلف، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ.

٤٨٧- نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر، تأليف:الدكتور يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٧ هـ.

٤٨٨- نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر، تأليف:الدكتور يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٧ هـ.

٤٨٩- نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، تأليف: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢ هـ)، تحقيق: نور الدين عتر، مطبعة الصباح، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٢١ هـ.

٤٩٠- نصب الراية لأحاديث الهداية، تأليف: أبو محمد عبد الله بن يوسف الحنفي الزيلعي (ت٧٦٢ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـ.

٤٩١- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: عبدالرزاق غالب المهدي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٤٩٢- نهاية الأقدام في علم الكلام، لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: محمد حسن، دار الكتب العلمية، ط: الأولى، ١٤٢٥هـ.

٤٩٣- النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات مجد الدين المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، دار ابن المعرفة، بيروت ١٤٢٢هـ، تحقيق مأمون شيحة

٤٩٤- نيل الأوطار بتخريج أحاديث كتاب الأذكار، للعلامة: أبي زكريا النووي، حقق نصوصه وخرّج أحاديثه: أبو أسامة سليم الهلالي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الثانية (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م).

٤٩٥-نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، دار ابن القيم - الرياض ودار ابن عفان-مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ.

٤٩٦- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، تأليف: أبو عبد الله محمد بن أبي

بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ)، تحقيق: الدكتور محمد أحمد الحاج، دار القلم-دمشق، الدار الشامية-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ.

٤٩٧- هداية المريد إلى سبيل الحق والتوحيد، للعلامة أحمد العبادي، المكتبة الأثرية بعدن ، ط: الأولى، ١٤٢٦هـ.

٤٩٨- هداية المريد إلى سبيل الحق والتوحيد، للعلامة أحمد العبادي، تصحيح د.عبد الله البراك، دار الوطن بالسعودية، ط : الأولى ، ١٤٢٢ هـ .

٤٩٩- هداية المريد إلى سبيل الحق والتوحيد، للعلامة أحمد العبادي، مطبعة أنصار السنة المحمدية بمصر، ١٣٥٨هـ.

٥٠٠- هداية المريد إلى سبيل الحق والتوحيد، للعلامة أحمد العبادي،تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، طبع بإحياء التراث بقطر، ١٤٠٤هـ.

٥٠١- الهداية الهادية إلى الطائفة التيجانية، الدكتور محمد تقي الدين الهلالي ، دار الطباعة الحديثة بالدار البيضاء، ط. ٢. ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

٥٠٢- هداية الوصول في علم الأصول للعلامة أحمد العبادي، اعتناء: عقيل المقطري، مؤسسة الريان، ط: الأولى، ١٤١٣هـ.

٥٠٣- الوابل الصيب، للعلامة ابن القيم، طبع مطابع النصر الحديثة، الرياض، توزيع رئاسة البحوث العلمية والإفتاء.

٥٠٤- الواسطة بين الحق والخلق، الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي

(المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد بن جميل زينو، مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، ط١ .

٥٠٥- الوافي بالوفيات، تأليف: صلاح الدين خليل بن إيبك الصفدي (ت ٧٦٤ هـ)، تحقيق واعتناء: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ.

٥٠٦- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تأليف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت ٦٨١ هـ)، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

٥٠٧- الولاء والبراء في الإسلام، لمحمد بن سعيد القحطاني، دار طيبة، ط: الأولى، د.ت.

٥٠٨- اليمن الجنوبي: الحياة السياسية من الاستعمار إلى الوحدة، علي الصراف، دار الطليعة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٦م .

٥٠٩- اليواقيت والدرر في شرح نخبة ابن حجر، زين الدين محمد بن تاج العارفين المناوي (المتوفى: ١٠٣١هـ)، تحقيق المرتضي الزين أحمد، مكتبة الرشد – الرياض، ط١، ١٩٩٩م .

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات